

روح البيان في تفسير القرآن

تأليف

الإمام الشيخ إسماعيل حقي بن مصطفى
الحنفي الخلوتي البروسوي
المتوفى ١١٢٧ هـ

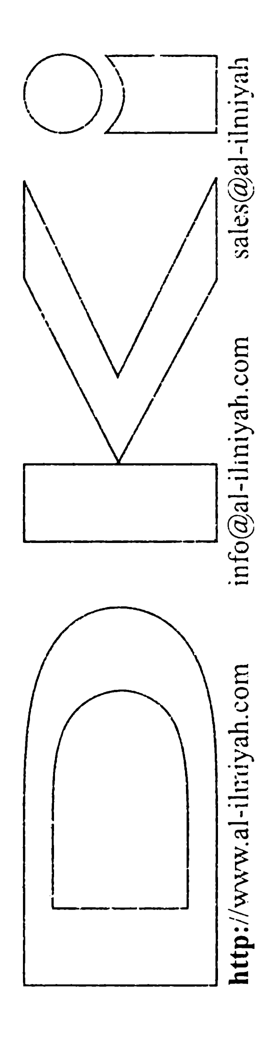
ضبطه وصححه وخرج آياته
عبد اللطيف حسن عبد الرحمن

الجزء السادس

المحتوى:
من أول سورة الحج - إلى آخر سورة العنكبوت



أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban



الكتاب : روح البيان في تفسير القرآن
Title : RŪḤ AL-BAYĀN FĪ TAFSĪR AL-QUR'ĀN
التصنيف : تفسير قرآن
Classification: Exegesis of the Qur'an
المؤلف : الشيخ إسماعيل البروسوي (ت ١١٢٧ هـ)
Author: Al-Shaykh ISmail Al-Burusawi (D. 1127 H.)
المحقق : عبداللطيف حسن عبدالرحمن
Editor : Abdullatif Hassan Abdulrahman
الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت
Publisher: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

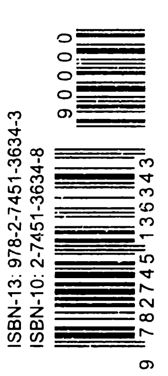
Pages (10Vols./10Parts)	5344 (١٠ أجزاء/١٠ مجلدات)	عدد الصفحات
Size	17x24 cm	قياس الصفحات
Year	2018 A.D. - 1439 H.	سنة الطباعة
Printed in	Lebanon لبنان	بلد الطباعة
Edition	4th (2 Colors) الرابعة (لونان)	الطبعة

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠



ISBN-13: 978-2-7451-3634-3
ISBN-10: 2-7451-3634-8

٢٢ ـ سورة الحج

مكية إلا ست آيات من ﴿هذان خصمان﴾ إلى آخر ﴿الحميد﴾
وهي ثمان وسبعون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ①﴾.

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم﴾ أي: احذروا من عقوبة مالك أموركم ومربيكم بطاعته**﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾** الزلزلة التحريك الشديد بطريق التكرير كما يدل عليه تكرير الحروف لأن زلزل مضاعف زل والساعة عبارة عن القيامة سميت بذلك لسرعة حسابها كما في المفردات.

اختلف العلماء في وقت هذه الزلزلة.

فقال بعضهم: تكون في الدنيا قبيل طلوع الشمس من مغربها فيكون الذهول والوضع الإتيان على حقيقتهما.

وقال بعضهم: تكون يوم القيامة فيحملان على التمثيل والأظهر ما قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن زلزلة الساعة قيامها فيكون معناها أن الزلزلة الواقعة عند قيام الساعة شيء عظيم لا يحيط به الوصف فلا بد من التقوى لتخليص النفس من العذاب.

﴿يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ②﴾.

﴿يوم ترونها﴾ منتصب بما بعده أي: وقت رؤيتكم تلك الزلزلة **﴿تذهل كل مرضعة عما أرضعت﴾** الذهول الذهاب عن الأمر مع دهشة والمرضعة المرأة المباشرة للإرضاع بالفعل وبغير التاء هي التي من شأنها الإرضاع لكن لم تلابس الفعل ومثلها حائض وحائضة والتعبير عن الطفل بما دون من لتأكيد الذهول وكونه بحيث لا يخطر ببالها أنه ماذا أي تغفل مع حيرة عما هي بصدد إرضاعه من طفلها الذي ألقمته ثديها اشتغالاً بنفسها وخوفاً: وبالفارسية [غافل شود وفراموش كندازهيبت آن هر شير دهنده ازان فرزندى كه ويرا شيرميدهدبا وجود مهربانىء مرضعه بررضيع] أي لو كان مثلها في الدنيا لذهلت المرضعة عما أرضعته لغير فطام وكذا قوله تعالى: **﴿وتضع كل ذات حمل حملها﴾** أي تلقي وتسقط جنينها لغير تمام من شدة ما غشيها والحمل بالفتح ما كان في البطن أو على رأس الشجر وبالكسر ما كان على الظهر.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى مواد الأشياء فإن لكل شيء مادة هي ملكوته ترضع

رضيعها من الملك وذهولها عنه بهلاك استعدادها للإرضاع وذات حمل هي ما تسمى هيولى فإنها حامل بالصور أي تسقط حمل الصور الشهادية إملاك الهيولى. ﴿وترى الناس﴾ أهل الموقف ﴿سكارى﴾ جمع سكران، أي كأنهم سكارى وأفراد الخطاب هنا بعد جمعه في ترونها لأن الزلزلة يراها الجميع لكونها أمراً مغايراً للناس بخلاف الحالة القائمة بهم من أثر السكر فإن كل أحد لا يرى إلا ما قام بغيره والسكر حالة تعرض بين المرء وعقله وأكثر ما يستعمل ذلك في الشراب وقد يعتري من الغضب والعشق ولذا قال الشاعر:

سكران سكر هوى وسكر مدامة

ومنه سكرات الموت.

قال جعفر رضي الله عنه: أسكرهم ما شاهدوا من بساط العز والجبروت وسرادق الكبرياء حتى ألجأ النبيين إلى أن قالوا نفسي نفسي.

دران روز كزفعل پرسند وقول ... أولو العزم راتن بلرزد زهول

بجابي كه دهشت خورد انبيا ... توعذر كنه راچه داري بيا

﴿وما هم بسكارى﴾ حقيقة. قال الكاشفي: [زيرا زوال عقل ازخوف وحيرت سكر نباشد واكر رأي العين مانند سكر نمايد] وفيه إشارة إلى أن الصور الأخروية وإن كانت مثل الصور الدنيوية في ظاهر النظر لكن بين الحقيقتين تخالف ولذا قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا يشبه شيء مما في الجنة شيئاً مما في الدنيا إلا بالاسم.

واعلم أن السكر من أنواع شتى. فمن شراب الغفلة والعصيان. ومن حب الدنيا وشهواتها. ومن التنعم. ومن لذة العلم ومن الشوق. ومن المحبة. ومن الوصال. ومن المعرفة. ومن المحبية والمحبوبية كما قال بعضهم:

لي سكرتان وللندمان واحدة ... شيء خصصت به من بينهم وحدي

﴿ولكن عذاب الله شديد﴾ فغشيهم هوله وطير عقولهم وسلب تمييزهم وللعذاب نيران نار جهنم ونار القطيعة والفراق ونار الاشتياق ونار الفناء في النار والبقاء بالنار كقوله تعالى: ﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [النمل: ٨] وكانت استغاثة النبي عليه السلام بقوله: «كلميني يا حميراء» من فوران هذه النار وهيجانها والله اعلم.

قال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله: لو أمرني الله أن أقسم العذاب بين الخلق ما قسمت للعاشقين عذاباً. قال الحافظ:

هرچند غرق بحر كناهم زصد جهت ... كرآشناي عشق شوم زاهل رحمتم

قال بعضهم: نزلت هاتان الآيتان في غزوة بني المصطلق ليلاً فقرأهما رسول الله على أصحابه فلم ير أكثر باكياً من تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدراً وكانوا بين حزين وباك ومفكر فقال عليه السلام: «أتدرون أي يوم ذلك» فقالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «ذلك يوم يقول الله لآدم يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك فيقول اخرج بعث النار فيقول من كل كم قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين» قال عليه السلام: «فذلك» أي التقاول «حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى» أي: من الخوف ﴿وما هم بسكارى﴾ أي من الخمر ﴿ولكن عذاب الله شديد﴾ فكبر ذلك على المسلمين فبكوا وقالوا يا رسول الله أينا ذلك فقال:

«أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألفاً ومنكم رجل» ثم قال: «والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة» فكبروا وحمدوا الله ثم قال: «والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبروا وحمدوا الله ثم قال: «والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا ثلثي أهل الجنة وإن أهل الجنة مائة وعشرون صفاً ثمانون منها أمتي وما المسلمون إلا كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الحمار بل كالشعرة السوداء في الثور الأبيض وكالشعرة البيضاء في الثور الأسود»، ثم قال: «ويدخل من أمتي سبعون ألفاً الجنة بغير حساب» فقال عمر رضي الله عنه سبعون ألفاً قال: «نعم ومع كل ألف سبعون ألفاً» فقام عكاشة بن محصن رضي الله عنه فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال ﷺ: «أنت منهم فقام رجل من الأنصار فقال: ادع الله أن يجعلني منهم فقال عليه السلام: «سبقك بها عكاشة».

قال: بعض أرباب الحقائق وجه كون هذه الأمة ثمانين صفاً أن الله تعالى قال في حقهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠﴾ [المؤمنون: ١٠] ولما كانت الجنة دار أبيهم آدم فالأقرب إليه من أولاده يحجب الأبعد وأقرب بنيه إليه وأفضلهم على الإطلاق هو محمد ﷺ وأمته فكان ثلثا الجنة للأصل الأقرب وبقي الثلث للفرد الأبعد وذلك أن الأمة المحمدية أقرب إلى الكمال من سائر الأمم كالذكر أقرب إلى الكمال من الأنثى وللذكر مثل حظ الأنثيين ولهذا السر يكنى آدم في الجنة بأبي محمد ولا شك أنه عليه السلام أبو الأرواح كما أن آدم أبو البشر فالأب الحقيقي يحجب أولاد أولاده فأمته هم الأولاد الأقربون وسائر الأولاد هم الأبعدون.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ٣ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ٤﴾.

﴿**ومن الناس**﴾ مبتدأ، أي وبعض الناس وهو النضر بن الحارث وكان جدلاً يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين ولا بعث بعد الموت﴿**من يجادل**﴾ الجدال المفاوضة على سبيل المنازعة والمقاتلة وأصله من جدلت الحبل أي أحكمت فتله كأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه ﴿**في الله**﴾ أي في شأنه ويقول فيه ما لا خير فيه من الأباطيل حال كون ذلك المجادل ملابساً ﴿**بغير علم**﴾ [بي دانشي وبي معرفتي وبي برهاني وحجتي].

والآية عامة في كل ذات كافر يجادل الله وصفاته بالجهل وعدم اتباع البرهان.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن من يجادل في الله ما له علم بالله ولا معرفة به وإلا لم يجادل فيه ولم يستسئل وإنما يجادل لاتباعه الشيطان كما قال: ﴿**ويتبع**﴾ في جداله وعامة أحواله ﴿**كل شيطان مريد**﴾ متجرد للفساد متعر من الخيرات وهم رؤساء الكفرة الذين يدعون من دونهم إلى الكفر أو إبليس وجنوده يقال: مرد الشيء إذا جاوز حد مثله وأصله العري يقال: غلام أمرد وغصن أمرد إذا عري من الشعر والورق.

وروي (أهل الجنة مرد) فقد حمل على ظاهره وقيل إن معناه معرّون عن المقابح والشوائب ﴿**كتب عليه**﴾ أي قضى على كل شيطان من الجن والإنس كما في «التأويلات النجمية».

قال الكاشفي [نوشته شده است بان ديو درلوح محفوظ]﴿**أنه**﴾ أي الشأن﴿**من**﴾ [هركس كه] ﴿**تولاه**﴾ اتخذه ولياً وتبعه﴿**فأنه يضله**﴾ بالفتح على أنه خبر مبتدأ محذوف أي

فشأن الشيطان أن يضل من تولاه عن طريق الحق ﴿ويهديه﴾ يدله ﴿إلى عذاب السعير﴾بحمله على مباشرة ما يؤدي إليه من السيئات وإضافة العذاب إلى السعير وهي النار الشديدة الاشتغال بيانية كشجر الاراك.

وعن الحسن أنه اسم من أسماء جهنم.

قال في «التأويلات النجمية»: أما الشيطان الجني فيضله بالوساوس والتسويلات والقاء الشبه وأما الشيطان الإنسي فبإيقاعه في مذاهب أهل الأهواء والبدع والفلاسفة والزنادقة المنكرين للبعث والمستدلين بالبراهين المعقولة بالعقول المشوبة بشوائب الوهم والخيال وظلمة الطبيعة فيستدل بشبههم ويتمسك بعقائدهم حتى يصير من جملتهم ويعد في زمرتهم كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١] ويهديه بهذه الاستدلالات والشبهات إلى عذاب السعير سعير القطيعة والحرمان انتهى.

واعلم أن الكمال الآدمي في العلوم الحقيقية وهي أربعة:

الأول: معرفة النفس وما يتعلق بها.

والثاني: معرفة الله تعالى وما يتعلق به.

والثالث: معرفة الدنيا وما يتعلق بها.

والرابع: معرفة الآخرة وما يتعلق بها وأهل التقليد دون أهل الاستدلال وهم دون أهل الإيقان وهم أهل العيان ولا بد للسالك أن يجهد في الوصول إلى مرتبة العيان وذلك بتسليك مرشد كامل فإن الاتباع بغيره لا يوصل إلى المنزل. قال المولى الجامي:

خواهي بصوب كعبة تحقيق ره بري   بي بربي مقلدكم كرده ره مرو

وعند الوصول إلى مرتبة العيان يلزم غسل الكتب فإنه لا يحتاج إلى الدليل بعد الوصول إلى المدلول وفي «المثنوي»:

چون شدي بربامهاي آسمان   سرد باشد جست وجوي نردبان

آينه روشن كه شد صاف وجلي   جهل باشد برنهادن صيقلي

پيش سلطان خوش نشسته در قبول   زشت باشد جستن نامه ورسول

وعند هذا المقام ينقطع الجدل من الأنام إذ لا جدال بعد العلم الحقيقي ولا اتباع للشيطان الأسود والأبيض بعد حط الرحل في عالم الذات الذي لا يدخله الشيطان وهو مقام آمن من شر الوسواس الخناس.

فعلى العاقل الاجتهاد في الليل والنهار لتزكية النفس وقمع الإنكار فإنه جهاد أكبر إذ النفس من الأعداء الباطنة التي يستصعب الاحتراز عنها.

نفس ازدرون وديو زبيرون زندرهم   ازمكراين دورهزن پرحيله چون كنم

نسأل الله سبحانه أن يحفظنا من شر الأعداء ويجعلنا تابعين للحق الصريح الذي لا محيد عنه إنه أعظم ما يرجى منه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ

لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾.

﴿يا أيها الناس﴾ يا أهل مكة المنكرين للبعث **﴿إن كنتم في ريب من البعث﴾** البعث الإخراج من الأرض والتسيير إلى الموقف وجيء بأن مع كثرة المرتابين لاشتمال المقام على ما يقلع الريب من أصله وتصوير أن المقام لا تصلح إلا لمجرد الفرض له كما يفرض المحال إن كنتم في شك من إمكان الإعادة وكونها مقدورة له تعالى أو من وقوعها. **﴿فإنا خلقناكم﴾** ليس جزاء للشرط لأن خلقهم مقدم على كونهم مرتابين بل هو علة للجزاء المحذوف أي فانظروا إلى مبدأ خلقكم ليزول ريبكم أي خلقنا كل فرد منكم خلقاً إجمالياً **﴿من تراب﴾** في ضمن خلق آدم منه وفي الحديث: «إن الله جعل الأرض ذلولاً تمشون في مناكبها وخلق بني آدم من تراب ليذلهم بذلك فأبوا إلا نخوة واستكباراً ولن يدخل الجنة من كان في قلبه حبة من خردل من كبر» **﴿ثم﴾** خلقناكم خلقاً تفصيلياً **﴿من نطفة﴾** هي الماء الصافي قلّ أو كثر ويعبر بها عن ماء الرجل من نطف الماء إذا سال أو من النطف وهو الصب **﴿ثم من علقة﴾** قطعة من الدم جامدة مكونة من المني **﴿ثم من مضغة﴾** أي قطعة من اللحم مكونة من العلق وهي في الأصل مقدار ما يمضغ **﴿مخلقة﴾** بالجر صفة مضغة أي مستبينة الخلق مصورة. **﴿وغير مخلقة﴾** أي: لم يستبن خلقها وصورتها بعد والمراد تفصيل حال المضغة وكونها أولاً قطعة لم يظهر فيها شيء من الأعضاء ثم ظهر بعد ذلك شيء لكنه آخر غير المخلقة لكونها عدم الملكة كذا في «الإرشاد».

ويؤيده قول حضرة النجم في «التأويلات»: **﴿مخلقة﴾** أي منفوخة فيها الروح **﴿وغير مخلقة﴾** أي صورة لا روح فيها وفي الحديث: «إن أحدكم يجمع خلقه» أي: يحرز ويقر مادة خلقه «في بطن أمه» أي: في رحمها من قبيل ذكر الكل وإرادة الجزء «أربعين يوماً». ـ روي ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النطفة إذا وقعت في الرحم فأراد الله أن يخلق منها تنشر في بشرة المرأة تحت كل ظفر وشعرة فتمكث أربعين ليلة ثم تنزل دماً في الرحم فذاك جمعها «ثم تكون علقة مثل ذلك ثم تكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الله إليه الملك فينفخ فيه الروح» وهذا يدل على أن التصوير يكون في الأربعين الثاني لكن المراد تقدير تصويرها لأن التصوير قبل المضغة لا يتحقق عادة «ويؤمر بأربع كلمات» يعني يؤمر الملك بكتابة أربع من القضايا وكل قضية سميت كلمة «بكتب رزقه وأجله» أي: مدة حياته «وعمله وشقي» وهو من وجبت له النار «أو سعيد» وهو من وجبت له الجنة قدم ذكر شقي لأن أكثر الناس كذا **﴿لنبين لكم﴾** أي خلقناكم على هذا النمط البديع لنبين لكم بذلك أمر البعث والنشور فإن من قدر على خلق البشر أولاً من تراب لم يشم رائحة الحياة قط فهو قادر على إعادته.

بعث إنسان كرنشد عيان ... أول خلقش نكر هذا بيان
هر كه برايجاد أو قادر بود ... قدرتش بربعث أو ظاهر شود
أوست خلاقي كه از بعد خزان ... ميكند پيدا بهار بوستان

﴿ونقر في الأرحام ما نشاء﴾ استئناف مسوق لبيان حالهم بعد تمام خلقهم أي ونحن نقر في الأرحام بعد ذلك ما نشاء أن نقره فيها **﴿إلى أجل مسمى﴾** وقت معين هو وقت الوضع

وأدناه ستة أشهر عند الكل وأقصاه سنتان عند أبي حنيفة رحمه الله وأربع سنين عند الشافعي وخمس سنين عند مالك. روي: أن الضحاك بن مزاحم التابعي مكث في بطن أمه سنتين ومالكاً ثلاث سنين كما ذكره السيوطي وأخبر الإمام رحمه الله أن جارة له ولدت ثلاثة أولاد في اثنتي عشرة سنة تحمل أربع سنين وفيه إشارة إلى أن بعض ما في الأرحام لا يشاء الله تعالى إقراره فيها بعد تكامل خلقه فيسقط. ﴿**ثم نخرجكم**﴾ أي من بطون أمهاتكم بعد إقراركم فيها عند تمام الأجل المسمى حال كونكم. ﴿**طفلاً**﴾ أطفالاً بحيث لا تقومون لأموركم من غاية الضعف والأفراد باعتبار كل واحد منهم أو بإرادة الجنس المنتظم للواحد والمتعدد والطفل الولد ما دام ناعماً كما في «المفردات».

وقال المولى الفناري في تفسير الفاتحة حد الطفل من أول ما يولد إلى أن يستهل صارخاً إلى انقضاء ستة أعوام ﴿**ثم لتبلغوا أشدكم**﴾ علة لنخرجكم معطوفة على علة أخرى مناسبة لها كأنه قيل ثم نخرجكم لتكبروا شيئاً فشيئاً ثم لتبلغوا كما لكم في القوة والعقل والتمييز وهو فيما بين الثلاثين والأربعين.

وفي «القاموس»: ما بين ثماني عشرة إلى ثلاثين واحد جاء على بناء الجمع كآنك ولا نظير لهما انتهى.

﴿**ومنكم من يتوفى**﴾ أي: يقبض روحه ويموت بعد بلوغ الأشد أو قبله والتوفي عبارة عن الموت وتوفاه الله قبض روحه ﴿**ومنكم من يرد إلى أرذل العمر**﴾ وهو الهرم والخرف والرذل والرذال المرغوب عنه لرداءته والعمر مدة عمارة البدن بالحياة. ﴿**لكيلا يعلم من بعد علم**﴾ كثير ﴿**شيئاً**﴾ أي شيئاً من الأشياء أو شيئاً من العلم وهو مبالغة في انتقاض علمه وانتكاس حاله وإلا فهو يعلم بعض الأشياء كالطفل أي ليعود إلى ما كان عليه أوان الطفولية من ضعف البنية وسخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما عمله وينكر ما عرفه ويعجز عما قدر عليه وقد سبق بعض ما يتعلق بهذه الآية في سورة النحل عند قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ [النحل: ٧٠] الآية. قال الشيخ سعدي قدس سره.

طرب نوجوان زپير مجوى | كه دكر نايد آب رفته بجوى
زرع راچون رسيد وقت درو | نخرامد چنانكه سبزهٔ نو

وقال:

چو دوران عمر ازجهل دركذشت | مزن دست وپاكاب از سركذشت
بسبزي كجا تازه كردد دلم | كه سبزى نخواهد دميد از كلم
تفرج كنان در هوا وهوس | كذشتيم بر خاك بسيار كس
كساني كه ديكر بغيت اندرند | بيايند وبر خاك مابكذرند
دريغاكه فصل جواني كذشت | بلهو ولعب زندكاني كذشت
چه خوش كفت باكودك آموزكار | كه كاري نكرديم وشد روزكار

قال النسفي في «كشف الحقائق»: [أي درويش جهل پيش ازعمل دوزخست وجهل بعد ازعلم بهشت است ازجهت آنكه جهل پيش از علم سبب حرص وطمعست وجهل بعد ازعلم سبب رضا وقناعت است].

وفي «عرائس البقلي»: ارذل العمر أيام المجاهدة بعد المشاهدة وأيام الفترة بعد المواصلة

لكيلا يعلم بعد علم بما جرى عليه من الأحوال الشريفة والمقامات الرفيعة وهذا غيرة الحق على المحققين حين أفشوا أسراره بالدعاوى الكثيرة أستعيذ بالله وأستزيد منه فضله وكرمه ليخلصنا به من فتنة النفس وشرها.

وفي «التأويلات النجمية»: في الآية إشارة إلى أن أطفال المكونات كانوا في أرحام أمهات العدم متقررين بتقرير الحق إياهم فيها ولكل خارج منها أجل مسمى بالإرادة القديمة والحكمة الأزلية فلا يخرج طفل مكون من رحم العدم إلا بمشيئة الله تعالى وأوان أجله وهذا رد على الفلاسفة يقولون بقدم العالم ويستدلون في ذلك بأنه هل كان لله تعالى في الأزل أسباب الإلٰهية في إيجاد العالم بالكمال أو لا فإن قلنا لم تكن أثبتنا له نقصاناً فالناقص لا يصلح للإلٰهية وإن قلنا قد كان له أسباب الإلٰهية بالكمال بلا مانع يلزم إيجاد العالم في الأزل بلا تقدم زماني للصانع على المصنوع بل بتقدم رتبي فنقول في جوابهم إن الآية تدل على أن الله تعالى كان في الأزل ولم يكن معه شيء شاء وكان قادراً على إيجاد ما يشاء كيف شاء ولكن الإرادة الأزلية اقتضت بالحكمة الأزلية أجلاً مسمى بإخراج طفل العالم من رحم العدم أوان أجله وإن لم يكن قبل وجود العالم أوان وإنما كان مقدار الأوان في أيام الله التي لم يكن لها صباح ولا مساء كما قال الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ﴾ [إبراهيم: ٥] وبقوله: **﴿نخرجكم﴾** الخ يشير إلى أن كل طفل من أطفال المكونات يخرج من رحم العدم مستعداً للتربية وله كمال يبلغه بالتدريج ومن المكونات ما ينعدم قبل بلوغ كماله ومنها ما يبلغ كماله ثم يتجاوز عن حد الكمال فيؤول إلى ضد الكمال لكيلا يبقى فيه من أوصاف الكمال شيء وذلك معنى قوله: **﴿لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً﴾**.

دفتر دانش من جملة بشوييد بمى   تاشودازنم فيض ازلي جانم حي

﴿وترى الأرض﴾ يا من شأنه الرؤية وهو حجة أخرى على البعث **﴿هامدة﴾** ميتة يابسة همدت النار إذا صارت رماداً **﴿فإذا﴾** [بس چون] **﴿أنزلنا عليها الماء﴾** أي المطر **﴿اهتزت﴾** تحركت بالنبات والاهتزاز الحركة الواقعة على البهجة والسرور فلا يكاد يقال اهتز فلان لكيت وكيت إلا إذا كان الأمر من المحاسن والمنافع. **﴿وربت﴾** انتفخت وازدادت من ربا يربو ربا زاد ونما والفرس ربوا انتفخ من عدو وفزع كما في «القاموس» **﴿وأنبتت من كل زوج﴾** صنف **﴿بهيج﴾** البهجة حسن اللون وظهور السرور فيه وابتهج بكذا سروراً بان أثره في وجهه. والمعنى حسن رائق يسر ناظره: وبالفارسية [تازه وترونيكو وبهجت افزاي بس قادري كه زمين مرده را بابي زنده سازد تواناست برآنكه اجزاي موتي را جمع ساخته بهمان حال كه بوده اندباز كرداند.].

آنكه پى دانهٔ نهال افراخت   دانهٔ هم شجر تواند ساخت

كرد نابوده را بقدرت بود   چه عجب كردهد ببوده وجود

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾.

﴿ذلك بأن الله﴾ أي ذلك الصنع البديع وهو خلق الإنسان على أطوار مختلفة وتصريفه في أطوار متباينة وإحياء الأرض بعد موتها حاصل بسبب أنه تعالى: **﴿هو الحق وأنه يحيي الموتى﴾** أي شأنه وعادته إحياؤها وحاصله أنه تعالى قادر على إحيائها بدءاً وإعادة وإلا لما أحيا

النطفة والأرض الميتة مراراً بعد مرار. ﴿وأنه على كل شيء قدير﴾ مبالغ في القدرة وإلا لما أوجد هذه الموجودات. ﴿وأن الساعة﴾ أي: القيامة ﴿آتية﴾ فيما سيأتي لمجازاة المحسن والمسيء ﴿لا ريب فيها﴾ إذ قد وضح دليلها وظهر أمرها وهو خبر ثانٍ ﴿وأن الله يبعث﴾ [برمي انكيزد] أي بمقتضى وعده الذي لا يقبل الخلف. ﴿من في القبور﴾ جمع قبر وهو مقر الميت والبعث هو أن ينشر الله الموتى من القبور بأن يجمع أجزاءهم الأصلية ويعيد الأرواح إليها وأنكره الفلاسفة بناء على امتناع إعادة المعدوم قلنا إن الله يجمع الأجزاء الأصلية للإنسان وهي الباقية من أول عمره إلى آخره ويعيد روحه إليه سواء سمي ذلك إعادة المعدوم بعينه أم لا، وأما الأجزاء المأكولة فإنما هي فضل في الأكل فليست بأصلية. روي: أن السماء تمطر مطراً يشبه المني فمنه النشأة الآخرة كما أن النشأة الدنيا من نطفة تنزل من بحر الحياة إلى أصلاب الآباء ومنها إلى أرحام الأمهات فيتكون من قطرة الحياة تلك النطفة جسداً في الرحم وقد علمنا أن النشأة الأولى أوجدها الله على غير مثال سبق وركبها في أي صورة شاء وهكذا النشأة الآخرة يوجدها الحق على غير مثال سبق مع كونها محسوسة بلا شك فينشىء الله النشأة الأخرى على عجب الذنب الذي يبقى من هذا النشأة الدنيا وهو أصلها فعليه تركب النشأة الآخرة ثم إن الله تعالى كما يحيي الأرض والموتى بالماء الصوري كذلك القلوب القاسية بالماء المعنوي وهو الاذكار وأنوار الهداية.

فالعاقل يجتهد في تنوير القلب وإحيائه بأنوار الطاعات والاذكار كي يتخلص من ظلمات الشكوك والشرك جلياً كان أو خفياً ولا شك أن الجسد من الروح كالقبر من الميت ينتفع في قبره بدعوات الأحياء كذلك الروح يترقى إلى مقامه العلوي بما حصل من إمداد القوى والأعضاء نسأل الله الحياة الأبدية بفضله وكرمه.

اكر هوشمندي بمعنى كراي — كه معنى بماندنه صورت بجاي

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾﴾.

﴿ومن الناس من﴾ هو أبو جهل ﴿يجادل في الله﴾ حال كون ذلك المجادل ﴿بغير علم﴾ ضروري أو بديهي فطري ﴿ولا هدى﴾ استدلال ونظر صحيح هاد إلى المعرفة.

قال الكاشفي: [وبادليلي كه راه نمايد بمقصد] ﴿ولا كتاب منير﴾ وحي مظهر للحق.

قال الكاشفي: [وبي كتابي روشن كه بدان صواب از خطا ظاهر كردد] أي يجادل في شأنه تعالى من غير تمسك بمقدمة ضرورية ولا بحجة نظرية ولا ببرهان سمعي بل بمحض التقليد والجدال بغير هذه الأمور الثلاثة شهادة على المجادل بإفراطه في الجهل في الله ويستحيل عليه بانهماكه في الغي والضلال. ﴿ثاني عطفه﴾ حال أخرى من فاعل يجادل من ثنى العود إذا حناه وعطفه لأنه ضم أحد طرفيه إلى الآخر وعطف الإنسان بكسر العين جانبه من رأسه إلى وركه أو قدمه.

قال ابن الشيخ العطف بكسر العين الجانب الذي يعطفه الإنسان ويلويه ويميله عند الإعراض عن الشيء وبفتح العين التعطف والبر وثنى العطف وكناية عن التكبر كلي الجيد والشدق.

ففي الجلالين لاوي عنقه تكبرا

وفي «التفسير الفارسي»: [پيچيده دامن خوداست واين كنايه باشد ازتكبرچه متكبر دامن ازهر چيز درمي چيند].

وفي «الإرشاد»: عاطفاً بجانبه وطاوياً كشحه معرضاً متكبراً ﴿**ليضل عن سبيل الله**﴾ متعلق بيجادل فإن غرضه الإضلال عنه وإن لم يعترف بأنه إضلال أي ليخرج المؤمنين من الهدى إلى الضلال أو ليثبت الكفرة عليه. ﴿**له في الدنيا خزي**﴾ الخزي الهوان والفضيحة أي ليثبت في الدنيا بسبب ما فعله خزي وهو ما أصابه يوم بدر من القتل والصغار. ﴿**ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق**﴾ الحريق بمعنى المحرق فيجوز أن يكون من إضافة المسبب إلى سببه على أن يكون الحريق عبارة عن النار وأن يكون من إضافة الموصوف إلى صفته والأصل العذاب الحريق.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾﴾.

﴿**ذلك**﴾ أي يقال له يوم القيامة ذلك الخزي في الدنيا وعذاب الآخرة كائن. ﴿**بما قدمت يداك**﴾ بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي وإسناده إلى يديه لما أن الاكتساب عادة بالأيدي ويجوز أن يكون الكلام من باب الالتفات لتأكيد الوعيد وتشديد التهديد. ﴿**وأن الله ليس بظلام للعبيد**﴾ محله الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي والأمر أنه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم.

فإن قلت: الظاهر أن يقال ليس بظالم للعبيد ليفيد نفي أصل الظلم ونفي كونه مبالغاً مفرطاً في الظلم لا يفيد نفي أصله.

قلت: المراد نفي أصل الظلم وذكر لفظ المبالغة مبني على كثرة العبيد فالظالم لهم يكون كثير الظلم لإصابة كل منهم ظلماً لأن العبيد دال على الاستغراق فيكون ليس بظالم لهذا ولا ذلك إلى ما لا يحصي وأيضاً أن من عدله تعالى أن يعذب المسيء من العبيد ويحسن إلى المحسن ولا يزيد في العقاب ولا ينقص من الأجر لكن بناء على وعده المحتوم فلو عذب من لا يستحق العذاب لكان قليل الظلم منه كثيراً لاستغنائه عن فعله وتنزيهه عن قبحه وهذا كما يقال زلة العالم كبيرة وفي المرفوع: «يقول الله تعالى: إني حرمت الظلم على نفسي وحرمته على عبادي فلا يظلمون» يقال: من كثر ظلمه واعتداؤه قرب هلاكه وفناؤه وشر الناس من ينصر الظلوم ويخذل المظلوم.

وفي الآية إشارة إلى أن العبيد ظلامون لأنفسهم كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: ١١٨] بأن يضعوا العبادة والطلب في غير موضعه: قال المولى الجامي:

قصد ما ابروي تست ازسجده در محرابها كرنباشد نيت خالص چه حاصل ازعمل

واعلم أن جدال المنافق والمرائي وأهل الأهواء والبدع مذموم وأما من يجادل في معرفة الله ودفع الشبه وبيان الطريق إلى الله تعالى بالعلم بالله وهدي نبيه عليه السلام وشاهد نص كتاب منير يظهر بنوره الحق من الباطل فجداله محمود.

قال بعضهم: البحث والتفتيش عما جاءت به السنة بعد ما وضح سنده يجر الباحث إلى التعمق والتوغل في الدين فإنه مفتاح الضلال لكثير من الأمة يعني الذين لم يرزقوا بأذهان وقادة

وقرائح نقادة وما هلكت الأمم الماضية إلا بطول الجدال وكثرة القيل والقال فالواجب أن يعض بأضراسه على ما ثبت من السنة ويعمل بها ويدعو إليها ويحكم بها ولا يصغي إلى كلام أهل البدعة ولا يميل إليهم ولا إلى سماع كلامهم فإن كل ذلك منهي شرعاً وقد ورد فيه وعيد شديد وقد قالوا الطبع جذاب والمقارنة مؤثرة والأمراض سارية: قال المولى الجامي قدس سره.

بهوش باش كه راه بسي مجرد زد عروس دهر كه مكاره است ومحتاله

بلاف ناخلفان زمانه غره مشو ومروجو سامري ازره ببانك كوساله

في كلام أهل البدعة والأهواء كخوار العجل فكما أن السامري ضل بذلك الخوار وأضل كثيراً من بني إسرائيل فكذا كل من كان في حكمه فإنه يغتر بأوهامه وخيالاته ظناً أنها علوم صحيحة فيدعو أهل الأوهام إليها فيضلهم بخلاف من له علم صحيح وكشف صريح فإنه لا يلتفت إلى كلمات الجهال ولا يميل إلى خارق العادة ألا ترى أن من ثبت على دين موسى لم يصغ إلى الخوار وعرف أنه ابتلاء من الله تعالى فويل للمجادل المبطل وويل للسامع إلى كلامه وقد ذم الله تعالى هذا المجادل بالكبر وهو من الصفات العائقة عن قبول الحق ولا شيء فوقه من الذمائم.

وعن أرسطو من تكبر على الناس أحب الناس ذلته.

وعنه: بإصابة المنطق يعظم القدر.

وبالتواضع تكثر المحبة.

وبالحلم تكثر الأنصار.

وبالرفق يستخدم القلوب.

وبالوفاء يدوم الإخاء.

وبالصدق يتم الفضل. نسأل الله التخلي عن الصفات القبيحة الرذيلة والتحلي بالملكات الحسنة الجميلة.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۢ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾

﴿ومن الناس﴾. روي: أن الآية نزلت في أعاريب قدموا المدينة وكان أحدهم إذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرياً سرياً وولدت امرأته ولداً وكثر ماله وماشيته قال: ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا إلا خيراً واطمأن وإن كان الأمر بخلافه قال ما أصبت إلا شراً وانقلب فقال تعالى وبعض الناس: **﴿من يعبد الله﴾** حال كونه **﴿على حرف﴾** أي على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه فلا ثبات له فيه كالذي ينحرف على طرف الجيش فإن أحس بظفر قر وإلا فرّ فالحرف الطرف والناحية وصف الدين بما هو من صفات الأجسام على سبيل الاستعارة التمثيلية.

قال الراغب: حروف الهجاء أطراف الكلمة الرابطة بعضها ببعض **﴿فإن أصابه﴾** [پس اكر برسد اورا] **﴿خير﴾** أي دنيوي من الصحة والسعة **﴿اطمأن﴾** في الدين **﴿به﴾** بذلك الخير والاطمئنان السكون بعد الانزعاج.

قال الكاشفي [آرام كير بدين وثابت شود برآن بسبب آن چيز] انتهى أي ثبت على ما كان عليه ظاهراً لا باطناً إذ ليس له اطمئنان المؤمنين الراسخين **﴿وإن أصابته فتنة﴾** أي: شيء يفتن

به من مكروه يعتريه في نفسه أو أهله أو ماله فالمراد بالفتنة ما يستكرهه الطبع ويثقل على النفس وإلا لما صح أن يجعل مقابلاً للخير لأنه أيضاً فتنة وامتحان وإن أصابه شر مع أنه المقابل للخير لأن ما ينفر عنه الطبع ليس شراً في نفسه، بل هو سبب القربة ورفع الدرجة بشرط التسليم والرضى بالقضاء. ﴿**انقلب على وجهه**﴾ الانقلاب الانصراف والرجوع والوجه بمعنى الجهة والطريقة أي ارتد ورجع إلى الكفر.

قال الكاشفي: [بركردد برروي خود يعني ازجهتي كه آمده بدان جهت عودكند مراد آنست كه مرتد كردد واز دين إسلام دست بردارد].

يقول الفقير: قوله في «بحر العلوم»: تحول عن وجهه فانكب فرجع إلى ما كان عليه من الكفر يشير إلى أن على بمعنى عن كما ذهب إليه بعضهم في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] حيث فسره بالجهة التي أقبل إليها وهي الإسلام ﴿**خسر الدنيا والآخرة**﴾ فقدهما وضيعهما بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد والأظهر أن خسران الدنيا ذهاب أهله حيث أصابته فتنة وخسران الآخرة الحرمان من الثواب حيث ذهب الدين، ودخل النار مع الداخلين كما قال الكاشفي: [زيان كرددر دنيا كه بمراد نرسد وزيان دارد در آخرت كه عملهاي أونابود شد] ﴿**ذلك**﴾ [زيان هردو سراي] ﴿**هو الخسران المبين**﴾ [آنست زيان هويدا چه برهمه عقلاً ظاهر اسن زيان ازان عظيم ترنيست].

نه مال ونه أعمال نه دنيا ونه دين   لامعۀ صدق ونه أنوار يقين

درهر دوجهان منفعل وخوار وحزين   البته زياني نبود بدتر ازين

قال بعضهم: الخسران في الدنيا ترك الطاعات ولزوم المخالفات والخسران في الآخرة كثرة الخصوم والتبعات.

﴿يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾﴾.

﴿**يدعو من دون الله**﴾ استئناف مبين لعظم الخسران فيكون الضمير راجعاً إلى المرتد المشرك أي يعبد متجاوزاً عبادة الله تعالى: ﴿**ما لا يضره**﴾ إذا لم يعبده ﴿**وما لا ينفعه**﴾ إن عبده أي جماداً ليس من شأنه الضر والنفع كما يلوح به تكرير كلمة ما ﴿**ذلك**﴾ الدعاء ﴿**هو الضلال البعيد**﴾ عن الحق والهدى مستعاراً من ضلال من أبعد في التيه ضالاً عن الطريق فطالت وبعدت مسافة ضلاله فإن القرب والبعد من عوارض المسافة الحسية.

﴿**يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير**﴾ الدعاء بمعنى القول واللام داخلة على الجملة الواقعة مقولاً له ومن مبتدأ وخبره مبتدأ ثان خبره أقرب والجملة صلة للمبتدأ الأول وقوله لبئس الخ جواب لقسم مقدر وهو وجوابه خبر للمبتدأ الأول وإيثار من على ما مع كون معبوده جماداً وإيراد صيغة التفضيل مع خلوه عن النفع بالكلية للمبالغة في تقبيح حاله والإمعان في ذمه، أي: يقول ذلك الكافر يوم القيامة بدعاء وصراخ حين يرى تضرره بمعبوده ودخوله النار بسببه ولا يرى منه أثر النفع أصلاً لمن ضره أقرب من نفعه والله لبئس الناصر ولبئس الصاحب والمعاشر والخليط هو فكيف بما هو ضرر محض عار عن النفع بالكلية، فالآية استئناف مسوق لبيان مآل دعائه المذكور وتقرير كونه ضالاً بعيداً والظاهر أن

اللام، زائدة ومن مفعول يدعو ويؤيده القراءة بغير اللام أي يعبد من ضره بكونه معبوداً لأنه يوجب القتل في الدنيا والعذاب في الآخرة أقرب من نفعه الذي يتوقع بعبادته في زعمهم وهو الشفاعة والتوسل إلى الله فإيراد كلمة من وصيغة التفضيل تهكم به والجملة القسمية مستأنفة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾﴾.

﴿إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ بيان لكمال حسن حال المؤمنين العابدين له تعالى أثر بيان سوء حال الكفرة. والجنة الأرض المشتملة على الأشجار المتكاثفة الساترة لما تحتها والنهر مجرى الماء الفائض فإسناد الجري إلى الأنهار من الإسناد الحكمي كقولهم سال الميزاب إذ الجريان من أوصاف الماء لا من أوصاف النهر ووصف الجنات به دلالة على أنها من جنس ما هو أبهى الأماكن التي يعرفونها لتميل إليها طباعهم كما قال الكاشفي [غايت نزهت باغ وبستان بآب روانست] **﴿إن الله يفعل ما يريد﴾** أي يفعل البتة كل ما يريده من إثابة الموحد الصالح وعقاب المشرك لا دافع له ولا مانع.

وفي الآيات إشارات، منها: أن من يعبد الله على طبع وهوى ورؤية عوض وطمع كرامات ومحمدة الخلق ونيل الدنيا فإذا أصابته أمانيه سكن في العبادة وإذا لم يجد شيئاً منها ترك التحلي بتحلية الأولياء فخسرانه في الدنيا فقدان القبول والجاء عند الخلق وافتضاحه عندهم وسقوطه من طريق السنة والعبادة إلى الضلالة والبدعة وخسرانه في الآخرة بقاؤه في الحجاب عن مشاهدة الحق واحتراقه بنيران البعد، وأيضاً أن بعض الطالبين ممن لا صدق له ولا ثبات في الطلب يكون من أهل التمني فيطلب الله في شك فإن أصابه شيء مما يلائم نفسه وهواه، أو فتوح من الغيب أقام على الطلب في الصحبة وإن أصابه بلاء أو شدة وضيق في المجاهدات والرياضات وترك الشهوات ومخالفة النفس وملازمة الخدمة ورعاية حق الصحبة والتأدب بآداب الصحبة والتحمل من الإخوان انقلب على وجه يتبدل الإقرار بالإنكار والاعتراض والتسليم بالآباء والاستكبار والإرادة بالارتداد والصحبة بالهجران خسر ما كان عليه من الدنيا وبتركه وخسر الآخرة بارتداده عن الطلب والصحبة.

ومن هنا قال الشيخ مرتد الطريقة شر من مرتد الشريعة ذلك هو الخسران المبين فإن من رده صاحب قلب يكون مردود القلوب كلها كما أن من قبله يكون مقبول الكل. قال الحافظ:

كليد كنج سعادت قبول أهل دلست مباد كس كه درين نكته شك وريب كند
شبان وادىء أيمن كهي رسد بمراد كه چندان سال بجان خدمت شعيب كند

يقول الفقير: المسلمون صنفان صنف مشتغل بالجهاد الأصغر وصنف مشتغل بالجهاد الأكبر فضعفاء الصنف الأول يكونون على طرف الجيش والثاني على طرف الدين فإن كان الأمر على مرادهم أقبلوا وإلا أدبروا وفي ذلك خسارة لهم من جهة الدنيا والآخرة لأنهم يغلبهم الكفار والنفس الأمارة في الدنيا ويفوت عنهم درجات السعداء في الآخرة فلا يظفرون بغنيمة مطلقاً فلا بد من الصبر على المشاق.

وقال الشيخ سعدي في وصف الأولياء.

خوشا وقت شوريد كان غمش اكر زخم بينند اكر مرهمش
دماً دم شراب ألم در كشند وكر تلخ بينند دم در كشند
نه تلخست صبري كه برياد أوست كه تلخي شكر باشد ازدست دوست

ومنها: أن من يعبد الله يعبد الضار والنافع الذي يصدر منه كل نفع وضر إما بواسطة الملائكة والإنس والجمادات أو بغير الواسطة وأما من يعبد ما سواه تعالى فيعبد ما لا يضر وما لا ينفع وذلك لأن الملك أو الإنسان أو الشيطان أو شيئاً من المخلوقات من فلك أو كوكب أو غيرها لا يقدر على خير أو شر بنفسه أو نفع أو ضر بل كل ذلك أسباب مسخرة لا يصدر منها إلا ما سخرت له وجملة ذلك بالإضافة إلى القدرة الأزلية كالقلم بالإضافة إلى الكاتب فلبئس المولى ما عبده وطلبه من دون الله تعالى ولبئس العشير أي ما عاشره وشهواتها.

ومنها: أن من يدخل الجنة من المؤمنين لا يدخل الجنة بمجرد الإيمان التقليدي والأعمال الظاهرية بل يدخله الله بالإيمان الحقيقي الذي كتبه بقلم العناية في قلبه الذي من نتائجه الأعمال الصالحة لوجه الله تعالى.

﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾

﴿من﴾ شرطية. والمعنى بالفارسية [هركه ازظانين بالله ظن السوء]**﴿كان يظن﴾** يتوهم **﴿أن لن ينصره الله﴾** أي محمداً ﷺ**﴿في الدنيا﴾** بإعلاء دينه وقهر أعدائه**﴿والآخرة﴾** بإعلاء درجته والانتقام من مكذبيه يعني أنه تعالى ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن من أعاديه وحساده خلاف ذلك ويتوقعه من غيظه. **﴿فليمدد بسبب إلى السماء﴾** السبب الذي تصعد به النخل أي ليربط بحبل إلى سقف بيته لأن كل ما علاك فهو سماء**﴿ثم ليقطع﴾** .

قال في «القاموس»: قطع فلان الحبل اختنق، ومنه قوله تعالى: **﴿ثم ليقطع﴾** أي: ليختنق انتهى وسمي الاختناق قطعاً لأن المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه.

قال الكاشفي: [پس ببرد آن رسن را تابزمين افتد وبميرد]**﴿فلينظر﴾** المراد تقدير النظر وتصوره لأن الأمر بالنظر بعد الاختناق غير معقول أي فليتصور في نفسه وليقدر النظر إن فعل **﴿هل يذهبن كيده﴾** فعل ذلك بنفسه وسماه كيداً لأنه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر على غيره أو على وجه الاستهزاء لأنه لم يكد به محسوده إنما كاد به نفسه. **﴿ما يغيظ﴾** الغيظ أشد غضب وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من فوران دم قلبه أي ما يغيظه من النصرة كلا يعني أنه لا يقدر على دفع النصرة وإن مات غيظاً كما قال الحافظ:

كرجان بدهد سنك سيه لعل نكردد باطينت أصلي كه كند بد كهر افتاد

وفي الآية إشارة إلى نفي العجز عن الله تعالى وأنه فوق عباده وأنه ينصر أولياءه. روي: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أقبل يهودي بعد وفاة رسول الله ﷺ حتى دخل المسجد قال أين وصي محمد فأشار القوم إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال أسألك عن أشياء لا يعلمها إلا نبي أو وصي نبي فقال أبو بكر سل عما بدا لك فقال اليهودي: أخبرني عما لا يعلم الله وعما ليس لله وعما ليس عند الله فقال أبو بكر هذا كلام الزنادقة وهمّ هو والمسلمون به فقال ابن عباس رضي الله عنهما ما أنصفتم الرجل إن كان عندكم جوابه وإلا فاذهبوا به إلى من يجيبه

فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي رضي الله عنه: «اللهم أيد قلبه وثبت لسانه» فقام أبو بكر ومن حضره حتى أتوا علياً فأفادوا له ذلك فقال أما ما لا يعلمه الله فذلكم يا معشر اليهود قولكم إن عزيراً ابن الله والله لا يعلم أن له ولداً وأما ما ليس لله فليس له شريك وأما ما ليس عند الله فليس عند الله ظلم وعجز فقال اليهودي أشهد أن لا إله إلا الله وإنك وصي رسول الله ففرح المسلمون بذلك.

واعلم أن الكفار أرادوا أن يطفئوا نور الله فأطفأهم الله حيث نصر حبيبه وأنجز وعده وهزم الأحزاب وحده وأما تشديد المحنة في بعض الأحيان وتأخير النصرة فلحكم ومصالح فعلى العبد الصالح الراضي بالله تعالى رباً أن يصبر على أذى الأعداء وحسدهم فإن الحق يعلو ولا يعلى وسيرجع الأمر من المحنة إلى الراحة فيكون أهل الإيمان والإخلاص مستريحين ومن الراحة إلى المحنة فيكون أهل الشرك والنفاق مستراحاً منهم والله تعالى يفعل ما يريد.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾.

﴿وكذلك﴾ أي مثل ذلك الانزال البديع المنطوي على الحكم البالغة. **﴿أنزلناه﴾** أي القرآن الكريم كله حال كونه **﴿آيات بينات﴾** واضحات الدلالة على معانيها اللطيفة. **﴿وأن الله يهدي من يريد﴾** محل الجملة الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي والأمر أن الله تعالى يهدي بالقرآن ابتداء أو يثبت على الهدى أو يزيد فيه من يريد هدايته أو تثبيته أو زيادته وفي الحديث: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين»: أي يرفع بالقرآن درجة أقوام وهم من آمن به وعمل بمقتضاه ويحط به أقواماً آخرين وهم من أعرض عنه ولم يحفظ وصاياه وكان نظر الصحابة رضي الله عنهم وشغلهم في الأحوال والأعمال ولذا كانوا يتعلمون عشر آيات لا يجاوزونها إلى غيرها حتى يعملوا بما فيها.

قال في «الأحياء»: مات النبي عليه السلام عن عشرين ألفاً من الصحابة ولم يحفظ القرآن منهم إلا ستة اختلف منهم في اثنين فكان أكثرهم يحفظ السورة أو السورتين وكان الذي يحفظ البقرة والأنعام من علمائهم فالاشتغال بعلم القرآن والعمل بمقتضاه من علامات الهداية ولا بد من الاجتهاد آناء الليل وأطراف النهار إلى أن يحصل المقصود فإن من أراد أن يصل إلى ماء الحياة يقطع الظلمات بلا فتور وجمود والملال من العلم واستماعه سبب الانقطاع عن طريق التحقيق وأثر الحرمان من العناية والتوفيق.

دل ازشنيدن قرآن بكيردت همه وقت　　　چو باطلان زكلام حقت ملولي چيست

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال جلست في عصابة من ضعفاء المهاجرين وإن بعضهم ليستتر ببعض من العري وقارىء يقرأ علينا إذ جاء رسول الله ﷺ فقام علينا فلما قام رسول الله سكت القارىء فسلم ثم قال: «ما كنتم تصنعون»؟ قلنا كنا نستمع إلى كتاب الله فقال: «الحمد الله الذي جعل من أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم» قال: فجلس وسطنا ليعدل بنفسه فينا ثم قال بيده: هكذا فتحلقوا وبرزت وجوههم له فقال: «أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم» وذلك

خمسمائة سنة وذلك لأن الأغنياء يوقفون في العرصات ويسألون من أين جمعوا المال وفيم صرفوه ولم يكن للفقراء مال حتى يوقفوا ويسألوا عنه ويعني رسول الله بالفقراء الفقراء الصابرين الصالحين وبالأغنياء الأغنياء الشاكرين المؤدين حقوق أموالهم هذا ثم إن كون القرآن مشتملاً على متشابهات وغوامض لا ينافي كون آياته بينات لأنه ليس فيه ما لا يعلم معناه لكن العلماء يتفاوتون في طبقات المعرفة هدانا الله وإياكم إلى ما هدى العلماء الراسخين إليه وشرفنا في كل غامض بالاطلاع عليه. **﴿إن الذين آمنوا﴾** بكل ما يجب أن يؤمن به **﴿والذين هادوا﴾** دخلوا في اليهودية.

قال الراغب: الهود الرجوع برفق وصار في التعارف التوبة قال تعالى: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] أي: تبنا إليك.

قال بعضهم: اليهود في الأصل هو من قولهم هدنا إليك وكان اسم مدح ثم صار بعد نسخ شريعتهم لازماً لهم وإن لم يكن فيه معنى المدح كما أن النصارى في الأصل من قوله: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢] ثم صار لازماً لهم بعد نسخ شريعتهم. **﴿والصابئين﴾** أي: الذين صبؤوا عن الأديان كلها أي خرجوا واختاروا عبادة الملائكة والكواكب من صبأ الرجل عن دينه إذا خرج عنه إلى دين آخر، قال الراغب: الصابئون قوم كانوا على دين نوح وقيل لكل خارج من الدين إلى دين آخر صابىء من قولهم: صبأ ناب البعير إذا طلع. **﴿والنصارى﴾** جمع نصران ونصرانة مثل الندامى جمع ندمان وندمانة ويستعمل بغير الياء فيقال: رجل نصران وامرأة نصرانة **﴿والمجوس﴾**.

قال في «القاموس»: مجوس كصبور رجل صغير الأذنين وضع ديناً ودعا إليه معرب «منج كوش» ورجل مجوسي جمعه مجوس كيهودي ويهود وهم عبدة النار وليسوا من أهل الكتاب ولذا لا تنكح نساؤهم ولا تؤكل ذبائحهم وإنما أخذت الجزية منهم لأنهم من العجم لا لأنهم من أهل الكتاب. **﴿والذين أشركوا﴾** يعني: عبدة الأوثان **﴿إن الله يفصل بينهم يوم القيامة﴾** في حيز الرفع على أنه خبر لأن السابقة أي يقضي بين المؤمنين وبين الفرق الخمس المتفقة على ملة الكفر بإظهار المحق من المبطل بإثابة الأول وعقاب الثاني بحسب الاستحقاق يعني أن الله تعالى يعامل كل صنف منهم يوم القيامة على حسب استحقاقه إما بالنعيم وإما بالجحيم وبالوصال أو بالفراق وعلم من الآية أن الأديان ستة واحد للرحمٰن وهو دين المؤمنين هو الإسلام كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩] وخمسة للشيطان وهي ما عدا الإسلام لأنها مما دعا إليها الشيطان وزينها في أعين الكفرة. **﴿إن الله على كل شيء شهيد﴾** [كواه وازهمه حال آكاه].

قال الإمام الغزالي رحمه الله: الشهيد يرجع معناه إلى العلم مع خصوص إضافة فإنه تعالى عالم الغيب والشهادة والغيب عبارة عما بطن والشهادة عما ظهر وهو الذي يشاهد فإذا اعتبر العلم المطلق فهو العليم مطلقاً وإذا أضيف إلى الغيب والأمور الباطنية فهو الخبير وإذا أضيف إلى الأمور الظاهرة فهو الشهيد وقد يعتبر مع هذا أن يشهد على الخلق يوم القيامة بما علم وشاهد منهم.

وفي الآية وعيد وتهديد فعلى العاقل أن يذكر يوم الفصل والقضا ويجتهد في الأعمال التي يحصل بها الرضى. قال الشيخ سعدي قدس سره:

قيامت كه نيكان باعلى رسند زقعر ثرا باثريا رسند
تراخود بماند سرازننك پيش كه كردت بر آيد عملهاي خويش
برادر زكار بدان شرم دار كه درروي نيكان شوي شرمار
بناز وطرب نفس پرورده كير باايام دشمن قوي كرده كير
يكى بچة كرك مي برورديد چوپر ورده شد خواجه رابردريد
بهشت أوستاند كه طاعت برد كرا نقد باشد بضاعت برد
پي نيك مردان ببايد شتافت كه هركو سعادت طلب كردبافت
وليكن تودنبال ديو خسي ندانم كه در صالحان كي رسي
پميبر كسي را شفاعتكرست كه بر جادة شرع پيغمبرست
ره راست بايد نه بالاي راست كه كافرهم ازروي صورت جوماست

واعلم أن الإيمان والكفر أوصاف القلب وللقلب بابان علوي وسفلي فالعلوي يتصل إلى الروح والسفلي إلى النفس فإذا انسد الباب السفلي بالمخالفة إلى النفس ينفتح الباب العلوي فتنصب المعارف الإلهية من الروح إلى القلب فيكون القلب منوراً بأنوار المعرفة ويتخلص من الحجب النفسانية، وإذا انسد الباب العلوي بسبب الاتباع إلى النفس ينفتح الباب السفلي فتظهر في القلب الوساوس الشيطانية وكل بدعة وهوى والدين الباطل إنما يحصل من النفس والشيطان فمن اتبع هوى النفس ووساوس الشيطان ضل عن طريق الحق والدين المبين واتخذ إلٰهه هواه فإن الله تعالى يفصل بينه وبين المهتدي، فإنه كما أن الإيمان والكفر لا يجتمعان في قلب فكذا أهلهما لا يجتمعون في دار والبرزخ الفاصل بينهم وإن كان موجوداً الآن على ما عرفه أهل المعرفة لكنه معنوي فإذا كان يوم القيامة يصير صورياً حسياً.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ (١٨)﴾.

﴿ألم تر﴾ ألم تعلم يا من من شأنه العلم. **﴿أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض﴾** أي: ينقاد لتدبيره ومشيئته الملائكة والجن والإنس مطيعاً أو عاصياً وذلك لأن السجود إما سجود باختيار وهو للإنسان وبه يستحق الثواب وإما سجود تسخير وهو للإنسان والحيوان والنبات شبه الانقياد بأكمل أفعال المكلف في باب الطاعة وهو السجود إيذاناً بكمال التسخير والتذلل وإنما حمل على المعنى المجازي إذ ليس في كفرة الإنس ومردة الجن والشياطين وسائر الحيوانات والجمادات سجود طاعة وعبادة وهو وضع الجبهة على الأرض خصوصاً لله تعالى. **﴿والشمس والقمر والنجوم﴾** بالسير والطلوع والغروب لمنافع العباد **﴿والجبال﴾** بإجراء الينابيع وإنبات المعادن. **﴿والشجر﴾** بالظل وحمل الثمار ونحوها **﴿والدواب﴾** [چهار پايان] أي: بعجائب التركيب ونحوها فكل شيء ينقاد له سبحانه على ما خلقه وعلى ما رزقه وعلى ما أصحه وعلى ما أسقمه فالبر والفاجر والمؤمن والكافر في هذا سواء **﴿وكثير من الناس﴾** أي: ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة فهو مرتفع بمحذوف لا بالمذكور وإلا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز.

قال في «التأويلات»: أهل العرفان يسجدون سجود عبادة بالإرادة والجماد وما لا يعقل ومن لا يدين يسجدون سجود خضوع للحاجة.

قال الكاشفي: [همه ذرات عالم مرخدايرا خاضع وخاشعند بدلالت حال كه افصح است ازدلالت مقال].

درنكر تابيني ازعين شهود جملة ذرات جهانرادر سجود

﴿وكثير﴾ من الناس ﴿حق﴾ ثبت ﴿عليه العذاب﴾ بسبب كفره وإبائه عن الطاعة.

قال الكاشفي: [اين سجدة ششم است باتفاق علما ازسجدات قرآن. درفتوحات اين را سجدة مشاهد واعتبار كفته اندكه ازهمه اشياغير آدميانرا تبعيض نكرد پس بنده بايدكه مبادرت نمايد بسجدة تا از كثير أول باشد كه ازاهل سجده واقترابندنه از كثير ثاني مستحق عذاب وعقابند].

ذوق سجده وطاعتي پيش خدا خوشتر باشد زصد دولت ترا

يقول الفقير: الكثير الأول كثير في نفسه قليل بالنسبة إلى الكثير الثاني إذ أهل الجمال أقل من أهل الجلال هو الواحد من الألف وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن الواحد على الحق هو السواد الأعظم وعن بعضهم: قليل إذا عدوا كثير إذا شدوا أي أظهروا الشدة. ﴿ومن﴾ [وهر كرا] ﴿يهن الله﴾ يهنه الله: بالفارسية[خوار كرداند] بأن كتب عليه الشقاوة في الأزل حسبما علمه من صرف اختياره إلى الشر ﴿فما له من مكرم﴾ يكرمه بالسعادة إلى الأبد ﴿إن الله يفعل ما يشاء﴾ من الإكرام والإهانة من الأزل إلى الأبد.

قال الإمام النيسابوري رحمه الله في «كشف الأسرار»: جعل الله الكفار أكثر من المؤمنين ليريهم أنه مستغن عن طاعتهم كما قال: (خلقت الخلق ليربحوا عليّ لا لأربح عليهم) وقيل ليظهر عز المؤمنين فيما بين ذلك لأن الأشياء تعرف بأضدادها والشيء إذا قل وجوده عز ألا ترى أن المعدن لعزته صار مظهراً للاسم العزيز وقيل: ليرى الحبيب قدرته بحفظه بين أعدائه الكثيرة كما حفظ رسول الله ﷺ وهو واحد وأهل الأرض أعداد كله ليتبين أن النصر من عند الله والقليل يغلب الكثير يعونه وعنايته ومن أكرمه بالغلبة لا يهان بالخذلان البتة.

فإن قيل: إن رحمته سبقت وغلبت غضبه فيقتضي الأمر أن يكون أهل الرحمة أكثر من أهل الغضب وأهل الغضب تسع وتسعون من كل ألف واحد يؤخذ للجنة كما ورد في الصحيح، وورد: (أهل الرحمة كشعرة بيضاء في جلد الثور الأسود).

قلنا هذه الكثرة بالنسبة إلى بني آدم وأما أهل الرحمة بالنسبة إليهم وإلى الملائكة والحور والغلمان فأكثر من أهل الغضب والتحقيق أن المقصود من النشآت كلها ظهور الإنسان الكامل وهو واحد كالألف فالناس عشرة أجزاء فتسعة الأعشار كفار والواحد مؤمنون ثم المؤمنون عشرة فتسعة عصاة وواحد مطيعون ثم المطيعون عشرة فتسعة أهل الزهد وواحد أهل العشق ثم أهل العشق عشرة فتسعة أهل البرزخ والفرقة وواحد أهل المنزل والوصلة فهو أعز من الكبريت الأحمر والمسك الأذفر وهو الذي أكرمه الله بكرامة لم يكرم بها أحداً من العالمين فلو أن أهل العالم اجتمعوا على إهانته ما قدروا إذ له العز الحقيقي لأنه أذل نفسه بالفناء في الله وهو مقام السجود الحقيقي فأعزّه الله ورفعه ألا ترى إلى قوله: «من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة» أي من أغضب وآذى وأهان واحداً من أوليائي فقد ظهر وخرج بالمحاربة لي والله ينصر أولياءه

فيكون المبارز مقهوراً مهاناً بحيث لا يوجد له ناصر ومكرم.

أهل حق هركز نمى باشد مهان أهل باطل خوار باشد درجهان

﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾﴾

﴿هذان﴾ أي: فريق المؤمنين وفريق الكفرة المنقسم إلى الفرق الخمس **﴿خصمان﴾** أي: فريقان مختصمان. **﴿اختصموا﴾** [جنك كردند وجدل نمودند] **﴿في ربهم﴾** في شأنه أو في دينه أو في ذاته وصفاته والكل من شؤونه فإن اعتقاد كل من الفريقين بحقية ما هو عليه وبطلان ما عليه صاحبه وبناء أقواله وأفعاله عليه خصوصة للفريق الآخر وإن لم يجر بينهما التحاور والخصام.

أهل دين حق وأنواع ملل مختصم شد بي زبان اندر علل

﴿فالذين كفروا﴾ تفصيل لما أجمل في قوله يفصل بينهم يوم القيامة **﴿قطعت لهم﴾** التقطيع [پاره پاره كردن] والمراد هنا قدرت على مقادير جثتهم **﴿ثياب من نار﴾** أي نيران هائلة تحيط بهم إحاطة الثياب بلابسها **﴿يصب﴾** [ريخته ميشود] صب الماء إراقته من أعلى **﴿من فوق رؤوسهم الحميم﴾** أي الماء الحار الذي انتهت حرارته لو قطرت قطرة منه على جبال الدنيا لأذابتها.

قال الراغب: الحميم الماء الشديد الحرارة وسمي العرق حميماً على التشبيه واستحم الفرس عرق وسمي الحمام إما لأنه يعرق وإما لما فيه من الماء الحار والحمى سميت بذلك إما لما فيها من الحرارة المفرطة وإما لما يعرض فيها من الحميم أي العرق وإما لكونها من إمارات الحمام أي: الموت.

﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿يصهر به﴾ [كداخته شود] أي يذاب بذلك الحميم من فرط الحرارة يقال صهرت الشيء فانصهر أي أذبته فذاب فهو صهير والصهر إذابة الشيء والصهارة ما ذاب منه. **﴿ما في بطونهم﴾** من الأمعاء والأحشاء. **﴿والجلود﴾** تشوى جلودهم فتتساقط عطف على ما وتأخيره عنه لمراعاة الفواصل أي إذا صب الحميم على رؤوسهم يؤثر من فرط حرارته في باطنهم نحو تأثيره في ظاهرهم فيذاب به أحشاؤهم كما يذاب به جلودهم ثم يعاد كما كان. **﴿ولهم﴾** للكفرة أي لتعذيبهم وجلدهم **﴿مقامع من حديد﴾** [كرزها باشد دردست زبانية ازآهن] جمع مقمعة وهي آلة القمع.

قال في «بحر العلوم»: سياط منه يجلدون بها وحقيقتها ما يقمع به أي يكف بعنف وفي الحديث (لو وضعت مقمعة منها في الأرض فاجتمع عليها الثقلان ما أقلوها منها) أي رفعوها **﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها﴾** أي أشرفوا على الخروج من النار ودنوا منه حسبما يروى أنها تضربهم بلهبها فترفعهم حتى إذا كانوا في أعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفاً وهو من ذكر البعض وإرادة الكل إذ الخريف آخر الفصول الأربعة. **﴿من غم﴾** أي: غم شديد من غمومها يصيبهم وهو بدل اشتمال من الهاء. **﴿أعيدوا فيها﴾** أي في قعرها بأن ردوا من أعلاها

إلى أسفلها من غير أن يخرجوا منها.

قال الكاشفي: [بازكردانيده شوندبدان كرزها دردوزخ يعني چون بكنارة دوزخ رسيده بخروج نزديك شوندزبانيه كرزبرسر ايشان ميزند وبازمي كرداند لدركات]. ﴿و﴾ قيل لهم: ﴿ذوقوا﴾ [بچشيد] ﴿عذاب الحريق﴾ [عذاب آتش سوزنده] أو العذاب المحرق كما سبق والعدول إلى صيغة الفعيل للمبالغة.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿فالذين كفروا﴾ من أرباب النفس بانقطاعهم عن الله ودينه وباتباعهم الهوى وطلب الشهوات الدنيوية ومن أصحاب الروح بإعراضهم عن الله ورد دعوة الأنبياء. ﴿قطعت لهم ثياب من نار﴾ بتقطيع خياط القضاء على قدّ هم وهي ثياب نسجت من سدى مخالفات الشرع ولحمة موافقات الطبع. ﴿يصب من فوق رؤوسهم الحميم﴾ حميم الشهوات النفسانية يذاب ويخرج ما في قلوبهم من الأخلاق الحميدة الروحانية. ﴿ولهم مقامع من حديد﴾ أي الأخلاق الذميمة واستيلاء الحرص والأمل وقيل لهم ذوقوا عذاب ما أحرقت منكم نار الشهوات من الاستعدادات الحسنة انتهى.

إن قيل: نار جهنم خير أم شر.

قلنا: ليست هي بخير ولا بشر، بل عذاب وحكمة.

وقيل: خير من وجه كنار نمرود شر في أعينهم وبرد وسلام على إبراهيم وكالسوط في يد الحاكم خير للطاغي وشر للمطيع فالنار خير ورحمة على مالك وجنوده وشر على من دخل فيها من الكفار.

وأيضاً خير لعصاة المؤمنين حيث تخلص جواهر نفوسهم من ألواث المعاصي وشر لغيرهم كالطاعون رحمة للمؤمنين ورجز للكافرين والوجود خير محض عند العارفين والعدم شر محض عند المحققين لأن الوجود أثر صنع الحكيم كما قال: ﴿مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ﴾[آل عمران: ١٩١] فالشرور بالنسبة إلى الأعيان الكونية لا بالنسبة إلى أفعال الله ولله في ملكه أن يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فالنار مظهر الجلال فمن جهة مظهريتها خير محض، ومن جهة تعلقها ببعض الأعيان شر محض وقد خلق الله النار ليعلم الخلق قدر جلال الله وكبريائه ويكونوا على هيبة وخوف منه ويؤدب بها من لم يتأدب بتأديب الرسل ولهذا الشر علق النبي ﷺ السوط حيث يراه أهل البيت لئلا يتركوا الأدب. وروي: أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام: ما خلقت النار بخلاً مني ولكن اكره أن أجمع أعدائي وأوليائي في دار واحدة.

وقيل: خلق النار لغلبة الشفقة كرجل يضيف الناس ويقول من جاء إلى ضيافتي أكرمته ومن لم يجيء ليس عليه شيء ويقول مضيف آخر: من جاء إليّ أكرمته ومن لم يجيء ضربته وحبسته ليتبين غاية كرمه وهو أكمل وأتم من الكرم الأول والله تعالى دعا الخلق إلى دعوته بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥] ثم دفع السيف إلى رسوله فقال: من لم يحب ضيافتي فاقتله فعلى العاقل أن يجيب إلى دعوة الله ويمتثل لأمره حتى يأمن من قهره، قال الشيخ سعدي قدس سره:

هنوزت اجل دست هوشت نبست ... بر آور بدركاه داور دودست
توپيش از عقوبت درعفو كوب ... كه سودى ندارد فغان زيرچوب
چنان شرم دار از خداوند خويش ... كه شرمت زهمسايكانست وخويش

بترس ازكناهان خويش اين نفس كه روز قيامت نترسي زكس
بران خورد سعدي كه بيخي نشاند كسي برد خرمن كه تخمي فشاند

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾[وكردند عملهاي شايسته] **﴿جنات تجري من تحتها الأنهار﴾** الأربعة **﴿يحلون فيها﴾** من حليت المرأة إذا ألبست الحلي وهو ما يتحلى به من ذهب أو فضة، أي تحليهم الملائكة بأمره وتزينهم. بالفارسية [آراسته كردانند وپيرايه بندند ايشانرا دربهشت] **﴿من أساور﴾** أي بعض أساور وهي جمع أسورة جمع سوار. بالفارسية [دستوانه]. **﴿من ذهب﴾** بيان للأساور. **﴿ولؤلؤاً﴾** عطف على محل من أساور وقرىء بالجر عطفاً على ذهب على أن الأساور مرصعة بالذهب واللؤلؤ أو على أنهم يسورون بالجنسين إما على المعاقبة وإما على الجمع كما تجمع نساء الدنيا بين أنواع الحلي، وما أحسن المعصم إذا كان فيه سواران سوار من ذهب أحمر قان وسوار من لؤلؤ أبيض يقق وقيل: عطف على أساور لا على ذهب لأن السوار لا يكون من اللؤلؤ في العادة وهو غلط لما فيه من قياس عالم الملك بعالم الملكوت وهو خطأ لقوله: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» وينصره قول سعيد بن جبير يحلى كل واحد منهم ثلاثة أساور واحد من ذهب وواحد من فضة وواحد من اللؤلؤ واليواقيت.

قال ابن الشيخ وظاهر أن السوار قد تتخذ من اللؤلؤ وحده بنظم بعضه إلى بعض غاية ما في الباب أن لا يكون معهوداً في الزمان الأول أي فيكون تشويقاً لهم بما لم يعرفوه في الدنيا **﴿ولباسهم فيها حرير﴾** يعني أنهم يلبسون في الجنة ثياب الإبريسم وهو الذي حرم لبسه في الدنيا على الرجال على ما روى أبو سعيد عن النبي ﷺ أنه قال: «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة» فإن دخل الجنة لبس أهل الجنة ولم يلبسه هو ولذلك قال أبو حنيفة رحمه الله: لا يحل لرجل أن يلبس حريراً إلا قدر أربع أصابع لما روي أنه عليه السلام لبس جبة مكفوفة بالحرير ولم يفرق بين حالة الحرب وغيره وقال أبو يوسف ومحمد: يحل في الحرب ضرورة.

قلنا الضرورة تندفع بما لحمته إبريسم وسداه غيره وعكسه في الحرب فقط كما في «بحر العلوم».

قال الإمام الدميري في «حياة الحيوان»: ويجوز لبس الثوب الحرير لدفع القمل لأنه لا يقمل بالخاصية والأصح أن الرخصة لا تختص بالسفر كما في «أنوار المشارق».

﴿وهدوا إلى الطيب من القول﴾[راه نموده شده اند مؤمنان به پاكيزه ازقول يعني بسخنهاي پاك راه نمايند ايشانرا درآخرت وآن چنان باشدكه چون نظرايشان بربهشت افتدكويند «الحمد لله الذي هدانا لهذا» وچون ببهشت درآيندبرزبان رانندكه «الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن» وچون درمنارل خود قرار كيرند كويند «الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض» الآية وأكثر مفسران برانندكه ايشان راه يافته اند بقول طيب دردنياكه كلمة طيبة «لا إله إلا الله ومحمد رسول الله» است] كما قال في «التأويلات النجمية» هو الإخلاص في قول لا إله إلا الله والعمل به.

وقال في «حقائق البقلي»: هو الذكر أو الأمر بالمعروف أو نصيحة المسلمين أو دعاء المؤمنين وارشاد السالكين.

قال الكاشفي: [حضرت الهي دركشف الاسرار فرموده كه كلام پاكيزه آنست كه ازدعوى پاك باشد وازعجب دوروبنياز نزديك. سهل تستري رحمه الله فرموده كه درين كلام نظر كردم هيچ راه بحق نزديكتر ازنياز نديدم وهيچ عجائب صعبتر ازدعوى نيافتم.

ايمن آبادست اين راه نياز ترك نازش كيروبا اين ره بساز

روبترك دعوئ دعوت بكو راه حق ازكبرو از نخوت مجو

﴿وهدوا إلى صراط الحميد﴾ أي المحمود نفسه أو عاقبته وهو الجنة آخر بيان الهداية لرعاية الفواصل.

وقال الكاشفي [وراه يافته شده اند أهل إيمان براه خداوند ستوده كه دين اسلامست] أي فيكون المعنى دين الله المحمود في أفعاله.

وفي «التأويلات النجمية»: هو الطريق إلى الله فإن الحميد هو الله تعالى.

واعلم أن علامة الاهتداء إلى الطريق القويم السلوك بقدم العمل الصالح وهو ما كان خالصاً لله تعالى ومجرد الإيمان وإن كان يمنع المؤمن من الخلود في النار ويدخله الجنة لكن العمل يزيد نور الإيمان وبه يتنور قلب المؤمن.

قال موسى عليه السلام يا رب أي عبادك أعجز؟ قال: الذي يطلب الجنة بلا عمل والرزق بلا دعاء قال: وأي عبادك أبخل؟ قال: الذي سأله سائل وهو يقدر على إطعامه ولم يطعمه وكان رجل بيثرب جمع قوماً من ندمائه ودفع إلى غلام له أربعة دراهم وأمره أن يشتري شيئاً من الفواكه للمجلس فمر الغلام بباب مسجد منصور بن عمار وهو يسأل لفقير شيئاً ويقول من دفع إليه أربعة دراهم دعوت له أربع دعوات فدفع الغلام الدراهم فقال منصور ما الذي تريد أن أدعو لك فقال: لي سيد أريد أن أتخلص منه فدعاه منصور ثم قال: والآخر، أن يخلف الله عليّ دراهمي فدعاه ثم قال: والآخر، فقال: أن يتوب الله على سيدي فدعاه ثم قال: والآخر، فقال: أن يغفر الله لي ولسيدي ولك وللقوم فدعاه منصوراً فرجع الغلام إلى سيده فقال لم أبطأت فقص عليه القصة فقال وبم دعا فقال: سألت لنفسي العتق فقال: اذهب فأنت حر ثم قال: وأي شيء الثاني فقال: أن يخلف الله عليّ الدراهم فقال: لك أربعة آلاف درهم ثم قال: وأي شيء الثالث فقال: أن يتوب الله عليك فقال: تبت إلى الله ثم قال وأي شيء الرابع فقال: أن يغفر الله لي ولك وللمذكور وللقوم فقال هذا الواحد ليس إليّ فلما بات رأى في المنام كأن قائلاً يقول له أنت فعلت ما كان إليك أترى أني لا أفعل ما إليّ فقد غفرت لك وللغلام ولمنصور وللقوم الحاضرين ففي الحكاية فوائد لا تخفى نسأل الله المغفرة والعاقبة المحمودة.

توچا كر درسلطان عشق شوچواياز كه هست عاقبت كار عاشقان محمود

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله﴾ أي يمنعون الناس عن طاعة الله والدخول في دينه والمراد بصيغة المضارع الاستمرار لا الحال والاستقبال كأنه قيل: إن الذين كفروا ومن

شأنهم الصد عن سبيل الله ومثله قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ [الرعد: ٢٨] ﴿**والمسجد الحرام**﴾ عطف على سبيل الله والمراد به مكة أو يمنعون المؤمنين عن طواف المسجد الحرام أي المحترم من كل وجه فلا يصاد صيده ولا يقطع شوكه ولا يسفك فيه الدماء.

قال الكاشفي: [بقول اشهر روز حديبيه است كه حضرت پيغمبر عليه السلام وأصحاب بورا ازطواف خانه ومسجد بازداشتند] ﴿**الذي جعلناه**﴾ صيرناه حال كونه معبداً ﴿**للناس**﴾ كائناً من كان من غير فرق بين مكي وآفاقي ﴿**سواء العاكف فيه والباد**﴾ مفعول ثان لجعلنا والعاكف مرتفع به على الفاعلية يقال: للمقيم بالبادية: باد والبادية كل مكان يبدو ما يعنّ فيه وبالعكس في شيء من ساعات الليل والنهار. وبالفارسية (يكسانست مقيم درو وآينده يعني غريب وشهري درقضاي مناسك وإداي مراسم تعظيم خانه مساوي اند].

وفائدة وصف المسجد الحرام بذلك زيادة تشنيع الصادين عنه وخبر إنّ محذوف أي معذبون كما يدل عليه آخر الآية ﴿**ومن**﴾ [وهركه] ﴿**يرد**﴾ مراداً ما ﴿**فيه**﴾ [درحرم] ﴿**بإلحاد بظلم**﴾ حالان مترادفان أي حال كونه مائلاً عن القصد ظالماً وحقيقته ملتبساً بظلم فالباء للملابسة والإلحاد الميل.

قال الراغب: ألحد فلان مال عن الحق والإلحاد ضربان إلحاد إلى الشرك بالله وإلحاد إلى الشرك بالأسباب فالأول ينافي الإيمان ويبطله والثاني يوهن عراه ولا يبطله ومن هذا النحو الآية ﴿**نذقه من عذاب أليم**﴾ جواب من يعني يجب على من كان فيه أن يعدل في جميع ما يريده والمراد بالإلحاد والظلم صيد حمامه وقطع شجره ودخوله غير محرم وجميع المعاصي حتى قيل: شتم الخادم لأن السيئات تضاعف بمكة كما تضاعف الحسنات: يعني [چون مكة محترمة مخصوصيت بتضاعف حسنات چونمازي درو باچندين نماز در غير او برابراست پس جزاي مساوي نيزدروكلي ترست ازسائر مواضع].

ولحرمة المسجد الحرام ومسجد الرسول والمسجد الأقصى قال الفقهاء: لو نذر أن يصلي في أحد هذه الثلاثة تعين بخلاف سائر المساجد فإن من نذر أن يصلي في أحدها له أن يصلي في آخر.

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر اعلم أن الله تعالى قد عفا عن جميع الخواطر التي لا تستقر عندنا إلا بمكة لأن الشرع قد ورد أن الله يؤاخذ فيه من يريد فيه بإلحاد وبظلم وهذا كان سبب سكنى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بالطائف احتياطاً لنفيه لأنه ليس في قدرة الإنسان أن يدفع عن قلبه الخواطر انتهى.

وفي الآية إشارات منه: أن من حال النفوس المتمردة والأرواح المرتدة مع إنكارهم وإعراضهم عن الحق يصدون الطالبين عن طريق الله بالإنكار والاعتراضات الفاسدة على المشايخ ويقطعون الطريق على أهل الطلب ليردوهم عن طلب الحق وعن دخول مسجد حرم القلب فإنه حرم الله تعالى، قال الحافظ:

در راه عشق وسوسة اهرمن بسيست ... هش دارو كوش دل به پيام سروش كن

وفي «المثنوي»:

پس عدو جان صرافست قلب ... دشمن درويش كه بود غير كلب
مغزراً خالي كن از انكار يار ... تاكه ريحان يابد ازكلزار يار

ومنها: أنه يستوي في الوصول إلى مقام القلب الذي سبق إليه بمدة طويلة والذي يصل إليه في الحال ليس لأحد فضل على الآخر إلا بالسبق إلى مقامات القلب.

قال في «الحقائق»: المقيم بقلبه هناك من أول عمره إلى آخره والطارىء لحظة من المكاشفين والمشاهدين ينكشف له ما انكشف للمقيمين لأنه وهاب كريم يعطي للنائب من المعاصي ما يعطي المطيع المقيم في طاعته طول عمره. قال الحافظ:

فيض روح القدس ار باز مدد فرمايد ... دكران هم بكنند آنجه مسيحا ميكرد

وقد قال بعضهم أمسيت كردياً وأصبحت عربياً.

ومنها: أن من أراد في القلب ميلاناً إلى غير الحق يذيقه الله عذاب أليم البعد والقطيعة عن الحضرة فالقلب معدن محبة الله ووضع محبة غيره فيه ظلم. قال الشيخ سعدي قدس سره:

دلم خانة مهريارست وبس ... ازان مي نكنجد دروكين كس

قال الخجندي:

بادوست كزين كمال يا جان ... يك خانه دوميهمان نكنجد

فلا يسع القلب غير حبة الله تعالى وعشقه وتوجهه.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت﴾ يقال: بوأه منزلاً أي أنزله فيه.

والمعنى اذكر وقت جعلنا مكان البيت، أي الكعبة مباءة له عليه السلام أي مرجعاً يرجع إليه للعمارة والعبادة.

وفي «الجلالين»: بينا له أن يبني. روي أن الكعبة الكريمة بنيت خمس مرات.

إحداها: بناء الملائكة إياها قبل آدم وكانت من ياقوتة حمراء ثم رفعت الى السماء أيام الطوفان.

والثانية: بناء إبراهيم روي أن الله تعالى لما أمر إبراهيم ببناء البيت لم يدر أين يبني فأعلمه الله مكانه بريح أرسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على القديم.

وقال الكلبي بعث الله سحابة على قدر البيت فقامت بحيال البيت وفيها رأس يتكلم يا إبراهيم بن علي قدري فبنى عليه.

والمرة الثالثة: بناء قريش في الجاهلية وقد حضر رسول الله ﷺ هذا البناء وكان يومئذٍ رجلاً شاباً فلما أرادوا أن يرفعوا الحجر الأسود اختصموا فيه فأراد كل قبيلة أن تتولى رفعه ثم توافقوا على أن يحكم بينهم أول رجل يخرج من هذه السكة فكان عليه السلام أول من خرج فقضى بينهم أن يجعلوه في مرط ثم يرفعه جميع القبائل كلهم فرفعوه ثم ارتقى هو عليه السلام فرفعوه إليه فوضعه في مكانه وكانوا يدعونه الأمين قيل: كان بناء الكعبة قبل المبعث بخمس عشرة سنة.

والمرة الرابعة: بناء عبد الله بن الزبير رضي الله عنه.

والخامسة: بناء الحجاج وهو البناء الموجود اليوم وكان البيت في الوضع القديم مثلث الشكل إشارة إلى قلوب الأنبياء عليهم السلام إذ ليس لنبي إلا خاطر إلٰهي وملكي ونفسي ثم

كان في الوضع الحادث على أربعة أركان إشارة إلى قلوب المؤمنين بزيادة الخاطر الشيطاني ـ ذكر المحدث الكازوروني في «مناسكه» ـ أن هذا البيت خامس خمسة عشر سبعة منها في السماء إلى العرش وسبعة منها إلى تخوم الأرض السفلى لكل بيت منها حرم هذا البيت لو سقط منها بيت لسقط بعضها على بعض إلى تخوم الأرض السابعة ولكل بيت من أهل السماء والأرض من يعمره كما يعمر هذا البيت وأفضل الكل الكعبة المكرمة.

روبحرم نه كه دران خوش حريم هست سيه بوش نكاري مقيم
صحن حرم روضة خلد برين أوبچنان صحن مربع نشين
قبلة خوبان عرب روى أو سجدة شوخان عجم سوى أو
كعبة بودنو كل مشكين من تازه ازو باغ دل وديـن من

﴿أن لا تشرك بي شيئاً﴾ مفسرة لبوأنا من حيث إنه متضمن لمعنى تعبدنا إذ التبوئة لا تقصد إلا من أجل العبادة فكأنه قيل: وإذ تعبدنا إبراهيم قلنا له لا تشرك بي شيئاً [آنكه شرك ميار وانباز مكير بمن چيزي راكه من ازشرك منزه ومقدسم] ﴿وطهر بيتي﴾ من الأوثان والأقذار أن تطرح حوله أضافه إلى نفسه لأنه منور بأنوار آياته ﴿للطائفين﴾ لمن يطوف به. ﴿والقائمين والركع السجود﴾ جمع راكع وساجد أي ويصلي فيه ولعل التعبير عن الصلاة بأركانها وهي القيام والركوع والسجود للدلالة على أن كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك فكيف وقد اجتمعت.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن المراد بالقائمين المقيمون بالبيت فيكون المراد بالطائفين من يطوف به وآفاقي غير مقيم هناك.

قال الكاشفي: [اين بزبان أهل علمست وأما بلسان إشارات ميفر ما يدكه دل خودراكه دار الملك كبرياي منست ازهمه چيزپاك كن وغيري را بروراه مده كه أو پيمانة اشراب محبت ماست «القلوب أواني الله في الأرض فأحب أواني إليّ أصفاها» وحي آمد بداود عليه السلام كه براي من خانة پاك سازكه نظر عظمت من بوي فرود آيد داود عليه السلام كفت «وأي بيت يسعك» كدام خانه است كه عظمت وجلال تراشايد فرمودكه آن دل بندة مؤمن است داود عليه السلام فرمودكه اوراچه كونه پاك دارم كفت آتش عشق دروي زن تاهرچه غير ماست همه رابسوزد].

خوش آن آتش كه دردل برفروزد بجز حق هرچه پيش آيد بسوزد

قال سهل رحمه الله كما يطهر البيت من الأصنام والأوثان يطهر القلب من الشرك والريب والغل والغش والقسوة والحسد. قال الشيخ المغربي رحمه الله:

كل توحيد نرويد ززميني كه درو خار شرك وحسد وكبر وريا وكينست
مسكن دوست زجان ميطلبيدم كفتا مسكن دوست اكرهست دل مسكين است

وفي «التأويلات النجمية»: كن حارساً للقلب لئلا يسكن فيه غيري وفرغ القلب من الأشياء سواي ويقال: ﴿وطهر بيتي﴾ أي بإخراج كل نصيب لك في الدنيا والآخرة من تطلع إكرام وتطلب إنعام أو إرادة مقام ويقال: طهر قلبك. ﴿للطائفين﴾ فيه من واردات الحق وموارد الأحوال على ما يختاره الحق ﴿والقائمين﴾ وهي الأشياء المقيمة من مستوطنات العرفان والأمور المغنية عن البرهان وتطلعه بما هي حقيقة البيان ﴿والركع السجود﴾ وهي أركان

الأحوال المتوالية من الرغبة والرهبة والرجاء والمخافة والقبض والبسط والأنس والهيبة وفي معناها أنشدوا:

لست من جملة المحبين إن لم أجعل القلب بيته والمقاما
وطوافي إجالة السر فيه وهوركني اذا أردت استلاما

﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝٢٧ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ۝٢٨﴾.

﴿وأذن في الناس﴾ التأذين النداء إلى الصلاة كما في القاموس والمؤذن كل من يعلم بشيء نداء كما في «المفردات» والمعنى ناد فيهم يا إبراهيم ﴿بالحج﴾ بدعوة الحج والأمر به. وبالفارسية [وندا درده أي إبراهيم درميان مردمان وبخوان ايشانرا بحج خانة خداي].

روي أن إبراهيم عليه السلام «لما فرغ من بناء البيت قال الله تعالى له أذن في الناس بالحج قال: يا رب وما يبلغ صوتي؟ قال تعالى: عليك الأذان وعليّ البلاغ فصعد إبراهيم الصفا وفي رواية أبا قبيس، وفي أخرى على المقام فارتفع المقام حتى صار كطول الجبال فأدخل أصبعيه في أذنيه وأقبل بوجهه يميناً وشمالاً وشرقاً وغرباً وقال: أيها الناس ألا إن ربكم قد بنى بيتاً وكتب عليكم الحج إلى بيت العتيق فأجيبوا ربكم وحجوا بيته الحرام ليثيبكم به الجنة ويجيركم من النار فسمعه أهل ما بين السماء والأرض فما بقي شيء سمع صوته إلا أقبل يقول لبيك اللهم لبيك فأول من أجاب أهل اليمن فهم أكثر الناس حجاً» ومن ثمة جاء في الحديث: «الإيمان يمان» ويكفي شرفاً لليمن ظهور أويس القرني منه وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: «أني لأجد نفس الرحمٰن من قبل اليمن».

قال مجاهد: من أجاب مرة حج مرة ومن أجاب مرتين أو أكثر يحج مرتين أو أكثر بذلك المقدار.

قال في «أسئلة الحكم»: فأجابوه من ظهور وبطون الأمهات في عالم الأرواح.

أذن في الناس ندايست عام توكه بخواب آمده بين الآنام
دعوئ خاصي كني وامتياز خاص نباشد همه كس جون إياز
بهر همين شد دل خاصان دونيم حالت لبيك زاميد وبيم

وفي «الخصائص الصغرى»: وافترض على هذه الأمة ما افترض على الأنبياء والرسل وهو الوضوء والغسل من الجنابة والحج والجهاد وما وجب في حق نبي وجب في حق أمته إلا أن يقوم الدليل الصحيح على الخصوصية ﴿يأتوك﴾ جواب للأمر والخطاب لإبراهيم فإن من أتى الكعبة فكأنه قد أتى إبراهيم لأنه مجيب نداءه ﴿رجالاً﴾ حال، أي مشاة على أرجلهم جمع راجل كقيام جمع قائم.

قال الراغب: اشتق من الرجل رجل وراجل للماشي بالرجل ﴿وعلى كل ضامر﴾ عطف على رجالاً أي وركباناً على كل بعير ضامر أي مهزول أتعبه بعد السفر فهزل.

قال الراغب: الضامر من الفرس الخفيف اللحم من الأصل لا من الهزال ﴿يأتين﴾ صفة لضامر لأن المعنى على ضوامر من جماعة الإبل. ﴿من كل فج﴾ طريق واسع.

قال الراغب: الفج طريق يكتنفها جبلان. ﴿عميق﴾ بعيد واصل العمق البعد سفلاً يقال: بئر عميق إذا كانت بعيدة القعر. روي: عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «للحاج الراكب بكل خطوة تخطوها راحلته سبعون حجة وللحاج الماشي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم» قال: قيل، وما حسنات الحرم قال: «الحسنة بمائة ألف».

قال مجاهد: حج إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ماشيين وكانا إذا قربا من الحرم خلعا نعالهما هذا إذا لم يتغير خلقه بالمشي وإلا فالركوب أفضل ولما انفرد الرهبانيون في الملل السالفة بالسياحة والسفر إلى البلاد والبواد، سئل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «أبدل الله بها الحج» فأنعم بالحج على أمته بأن جعل الحج وسفره رهبانية لهم وسياحة، وفي الخبر: «إن الله ينظر إلى الكعبة كل سنة في نصف شعبان فعند ذلك تحن إليها القلوب» فلا يحن عند التجلي إلا القلب المسارع لإجابة إبراهيم فما حن قلب لتلك الإجابة إلا القلب المسارع لدعوة الحق في قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: أخبرني بعض العارفين عن رجل من أهل الثروة في الدنيا لم يحدث نفسه بالحج قط فجرى له أمر كان سبباً لأن قيد بالحديد وجيء به إلى الأمير صاحب مكة ليقتله لأمر بلغه عنه والذي وشى به عند الأمير حاضر فاتفق أن كان وصوله يوم عرفة والأمير بعرفة فأحضره بين يديه وهو مغلول العنق بالحديد فاستدعى الأمير الواشي وقال له: هذا صاحبنا فنظر إلى الرجل فقال: لا أيها الأمير فاعتذر إليه الأمير وأزيل عنه الحديد واغتسل وأهلّ بالحج ولبى من عرفة ورجع معفواً مغفوراً بالظاهر والباطن فانظر العناية الإلهية ما تفعل بالعبد فمن الناس من يقاد إلى الجنة بالسلاسل وهو من أسرار الإجابة الإبراهيمية، وفي «فتوح الحرمين»:

هركه رسيده بوجود ازعدم در ره اوساخته أز سرقدم
هيج نبي هيج ولى هم نبود كونبرد در ره اميدسود
جمله خلائق زعرب تاعجم باديه پميا بهواي حرم

﴿ليشهدوا﴾ متعلق بيأتوك أي ليحضروا﴿منافع﴾ كائنة﴿لهم﴾ من المنافع الدينية والدنيوية وهي العفو والمغفرة والتجارة في أيام الحج فتنكيرها لأن المراد بها نوع من المنافع مخصوص بهذه العبادة لا يوجد في غيرها من العبادات.

وعن أبي حنيفة رحمه الله: أنه كان يفاضل بين العبادات قبل أن يحج فلما حج فضل الحج على العبادات كلها لما شاهد من تلك الخصائص. ﴿ويذكروا اسم الله﴾ عند إعداد الهدايا والضحايا وذبحها.

قال الكاشفي: [مراد قربانيست كه بنام خداي كنند كفار ينام بت ميكردند] وفي جعله غاية للإتيان إيذان بأنه الغاية القصوى دون غيره. ﴿في أيام معلومات﴾ هي أيام النحر كما ينبىء عنه قوله تعالى: ﴿على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ فإن المراد بالذكر ما وقع عند الذبح علق الفعل بالمرزوق وبينه بالبهيمة تحريضاً على التقرب وتنبيهاً على مقتضى الذكر والبهيمة هو اسم لكل ذات أربع في البحر والبر فبينت بالأنعام وهي الإبل والبقر والضأن والمعز لأن الهدي والذبيحة لا يكونان من غيرها.

قال الراغب: البهيمة ما لا نطق له وذلك لما في صوته من الإبهام لكن خص في التعارف بما عدا السباع والطير. والأنعام جمع نعم وهو مختص بالإبل وتسميته بذلك لكون الإبل عندهم أعظم نعمة لكن الأنعام يقال للإبل والبقر والغنم ولا يقال لها: أنعام حتى يكون في جملتها الإبل. **﴿فكلوا منها﴾** التفات إلى الخطاب والفاء فصيحة عاطفة لمدخولها على مقدر أي فاذكروا اسم الله على ضحاياكم فكلوا من لحومها والأمر للإباحة وكان أهل الجاهلية لا يأكلون من نسائكهم فاعلم الله أن ذلك جائز إن شاء أكل وإن شاء لم يأكل، **﴿وأطعموا البائس﴾** هذا الأمر للوجوب والبائس الذي أصابه بؤس وشدة وبالفارسية: [در مانده ومحنت كشيده] **﴿الفقير﴾** المحتاج.

قال الكاشفي: [محتاج تنكدست را] فالبائس الشديد الفقر والفقير المحتاج الذي أضعفه الإعسار ليس له غنى أو البائس الذي ظهر بؤسه في ثيابه وفي وجهه والفقير الذي لا يكون كذلك بأن تكون ثيابه نقية ووجهه وجه غني.

وفي «مختصر الكرخي» أوصى بثلث ماله للبائس، الفقير والمسكين قال: فهو يقسم إلى ثلاثة أجزاء جزء للبائس وهو الذي به الزمانة إذا كان محتاجاً، والفقير المحتاج الذي لا يطوف بالأبواب والمسكين الذي يسأل ويطوف وعن أبي يوسف إلى جزأين الفقير والمسكين واحد واتفق العلماء على أن الهدي إن كان تطوعاً كان للمهدي أن يأكل منه وكذا أضحية التطوع لما روي أنه عليه السلام ساق في حجة الوداع مائة بدنة فنحر منها ثلاثاً وستين بدنة بنفسه إشارة إلى مدة عمره ونحر علي رضي الله عنه ما بقي ثم أمر عليه السلام أن يؤخذ بضعة من كل بدنة فتجعل في قدر ففعل ذلك فطبخ فأكلا من لحمها وحسيا مرقها وكان هدي تطوع.

واختلفوا في الهدي الواجب هل يجوز للمهدي أن يأكل منه شيئاً مثل دم التمتع والقران والنذور والكفارات والدماء الواقعة جبراً للنقصان والتي وجبت باصياد الحج وفواته وجزاء الصيد فذهب قوم إلى أنه لا يجوز للمهدي أن يأكل شيئاً منها ومنهم الشافعي رحمه الله وذهب الأئمة الحنفية إلى أنه يأكل من دم التمتع والقران لكونهما دم الشكر لا دم الجنابة ولا يأكل من واجب سواها وكذا لا يأكل أولاده وأهله وعبيده وإماؤه وكذا الأغنياء إذ الصدقة الواجبة حق للفقراء.

وفي الآية إشارة إلى أنه يلزم على الأغنياء أن يشاركوا الفقراء في المآكل والمشارب فلا يطعموهم إلا ما يأكلون ولا يجعلوا لله ما يكرهون.

قال ابن عطاء: البائس الذي تأنف من مجالسته ومواكلته والفقير من تعلم حاجته إلى طعامك ولم يسأل.

﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾

﴿ثم ليقضوا تفثهم﴾ عطف على يذكروا أي ليزيلوا وسخهم بخلق الرأس وقص الشارب والأظفار ونتف الإبط والاستحداد عند الإحلال أي الخروج من الإحرام فالتفث الوسخ يقال: للرجل ما أتفثك وما ادرنك أي وما أوسخك وكل ما يستقذر من الشعث وطول الظفر ونحوهما تفث.

قال الراغب: أصل التفث وسخ الظفر وغير ذلك مما شأنه أن يزال عن البدن والقضاء

فصل الأمر قولاً كان ذلك أو فعلاً وكل منها على وجهين إلهي وبشري والآية من قبيل البشرى كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١] أي افرغوا من أمركم وقول الشاعر:

قضيت أموراً ثم غادرت بعدها

يحتمل القضاء بالقول والفعل جميعاً كما في «المفردات» ﴿**وليوفوا نذورهم**﴾ يقال: وفى بعهده وأوفى إذا تمم العهد ولم ينقض حفظه كما دل عليه الغدر وهو الترك والنذر أن توجب على نفسك ما ليس بواجب والمراد بالنذور ما نذروه من أعمال البر في أيام الحج فإن الرجل إذا حج واعتمر فقد يوجب على نفسه من الهدي وغيره ما لولا إيجابه لم يكن الحج يقتضيه وإن كان على الرجل نذور مطلقة فالأفضل أن يتصدق بها على أهل مكة. ﴿**وليطوفوا**﴾ طواف الركن الذي به يتم التحلل فإنه قرينة قضاء التفث. ﴿**بالبيت العتيق**﴾ أي القديم فإنه أول بيت وضع للناس أو المعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار إليه ليهدمه فعصمه الله وأما الحجاج الثقفي فإنما قصد إخراج ابن الزبير رضي الله عنه لا التسلط عليه ولما قصد التسلط عليه أبرهة فعل به ما فعل.

اعلم أن طواف الحجاج ثلاثة.

الأول: طواف القدوم وهو أن من قدم مكة يطوف بالبيت سبعاً يرمل ثلاثاً من الحجر الأسود إلى أن ينتهي إليه ويمشي أربعاً وهذا الطواف سنة لا شيء بتركه.

والثاني: طواف الإفاضة يوم النحر بعد الرمي والحلق ويسمى أيضاً طواف الزيارة وهو ركن لا يحصل التحلل من الإحرام ما لم يأت به.

والثالث: طواف الوداع لا رخصة لمن أراد مفارقة مكة إلى مسافة القصر في أن يفارقها حتى يطوف بالبيت سبعاً فمن تركه فعليه دم إلا المرأة الحائضة يجوز لها ترك طواف الوداع ثم أن الرمل يختص بطواف القدوم ولا رمل في طواف الإفاضة والوداع:

اي كه درين كوى قدم مي نهى   روى توجه بحرم مي نهى
پاي باندازه درين كوى نه   پاي اكر سوده شود روى نه
چرخ زنان طوف كنان برحضور   توشده بروانه واوشمع نور
عادت بروانه ندانى مكر   چرخ زند أول وسوزد دكر

قال الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: في «الفتوحات المكية»: لما نسب الله العرش في السماء إلى نفسه وجعله محل استواء للرحمٰن فقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] وجعل الملائكة حافين به بمنزلة الحراس الذين يدورون بدار الملك والملازمين له لتنفيذ أمره كذلك جعل الله بيته في الأرض ونصبه للطائفين به على ذلك الأسلوب وتميز البيت على العرش بأمر جلي وسر إلهي ما هو في العرش وهي يمين الله في الأرض لتبايعه في كل شوط مبايعة رضوان فالحجر يمين الله يبايع به عباده بلا شك ولكن على الوجه الذي يعلمه سبحانه من ذلك فصح النسب بالتقديس ومن هنا يعرف أن ما في الوجود إلا الله سبحانه وتقدس.

كعبه كزو درهمه دلها ره است   جزوى از اعضاي يمين الله است

قال بعض الكبار: وضع الله بيته في الأرض قبل آدم وذريته وآجال الطائفين حوله ابتلاءً وامتحاناً ليحتجبوا بالبيت عن صاحب البيت يعني حجبهم بالوسائط عن مشاهدة جماله غيرة

على نفسه من أن يرى أحد إليه سبيلاً حكي: أن عارفاً من أولياء الله تعالى قصد الحج وكان له ابن فقال ابنه: إلى أين تقصد فقال: إلى بيت الله فظن الغلام أن من يرى البيت يرى رب البيت فقال: يا أبي لم لا تحملني معك فقال: أنت لا تصلح لذلك فبكى الغلام فحمله معه فلما بلغا إلى الميقات أحرما ولبيا ودخلا الحرم فلما شوهد البيت تحير الغلام عند رؤيته فخر ميتاً فدهش والده وقال أين ولدي وقطعة كبدي فنودي من زاوية البيت، أنت طلبت البيت فوجدته وهو طلب رب البيت فوجد رب البيت فرفع الغلام من بينهم فهتف هاتف إنه ليس في القبر، ولا في الأرض، ولا في الجنة، بل هو في مقعد صدق عند مليك مقتدر. وفي «المثنوي».

خوش بكش اين كاروانرا تابحج ... أي أمير الصبر مفتاح الفرج
حج زيارت كردن خانه بود ... حج رب البيت مردانه بود

فمن أعرض عن الجهة وتوجه إلى الوجه الأحدي صار الحق قبلة له فيكون هو قبلة الجميع كآدم عليه السلام كان قبلة الملائكة لأنه وسيلة الحق بينه وبين ملائكته لما عليه من كسوة جماله وجلاله كما قال عليه السلام: «خلق الله آدم على صورته» يعني ألقى عليه حسن صفاته ونور مشاهدته.

قال بعض العارفين: لما كانت البيت المحرم سر لباس شمس الذات الأحدية وحد الحق سبحانه القصد إليه فقال: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧] فجاء بلفظ البيت لما فيه من اشتقاق المبيت والمبيت لا يكون إلا في الليل، والليل محل التجلي للعباد فإنه فيه نزول الحق كما يليق وهو مظهر الغيب وهو محل التجلي ولباس الشمس كذلك البيت الحرام مظهر حضرة الغيب الإلهي وسر التجلي الوجداني وسر منبع رحمة الرحمانية لأن الحق إذا تجلى لأهل الأرض بصفة الرحمة ينزل الرحمة أولاً على البيت ثم تقسم منه فالبيت سر وحدانية الحق فجعل الحق حجة واحدة لا يتكرر وجوبه، كتكرر سائر العبادات لأجل مضاهاته بحضرة الأحدية وفضل البيت على سائر البيوت كفضله سبحانه على خلقه والفضل كله لله تعالى فأنوار جميع البيوت وفضائلها مقتبسة من نوره كما وردت الإشارة أن الأرض مدت من البيت وهو حقيقة الحقائق الكونية الشهادية فلذلك سميت مكة بأم القرى شرفها الله تعالى وتقدس.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً**﴾ أي: ونادِ في الناسين من النفس وصفاتها والقالب وجوارحه بزيارة القلب للاتصاف بصفاته والدخول في مقاماته يأتوك مشاة وهي النفس وصفاتها. ﴿**وعلى كل ضامر**﴾ وهو القالب وجوارحه يعني يقصدون القلب بالأعمال الشرعية البدنية فإنهم كالركبان لأن الأعمال البدنية مركبة بحركات الجوارح ونيات الضمير كما أن أعمال النفس مفردة لأنها نيات الضمير فحسب. ﴿**يأتين من كل فج عميق**﴾ وهو سفل الدنيا لأن القالب من الدنيا وأكثر استعماله في مصالح الدنيا بالجوارح والأعضاء فردها إلى استعمالها في مصالح القلب إتيانها من كل فج عميق. ﴿**ليشهدوا منافع لهم**﴾ أي: ليحضروا وينتفعوا بالمنافع التي هي مستكنة في القلب فأما النفس وصفاتها فمنافعها بتبديل الأخلاق وأما القالب وجوارحه فمنافعهم قبول طاعاتهم وظهور آثارها على سيماهم ويذكروا اسم الله أي القلب والنفس والقالب شكراً على ما رزقهم من بهيمة الأنعام بأن جعل الصفات البهيمية الحيوانية مبدلة بالصفات القلبية الروحانية الربانية وبقوله: ﴿**فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير**﴾ يشير إلى أن انتفعوا من هذه المقامات والكرامات وأطعموا بمنافعها

الطالب المحتاج والقاصد إلى الله بالخدمة والهداية والإرشاد ثم ليقضوا الطلاب تفثهم وهو ما يجب عليهم من شرائط الإرادة وصدق الطلب. ﴿وليوفوا نذورهم﴾ فيما عاهدوا الله على التوجه إليه وصدق الطلب والإرادة. ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ أي: يطوفوا حول الله بقلبهم وسرهم ولا يطوفوا حول ما سواه وأراد بالعتيق القديم وهو من صفات الله تعالى.

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿ذلك﴾ أي الأمر والشأن ذلك الذي ذكر من قوله: ﴿وإذ بوأنا﴾ إلى قوله: ﴿بالبيت العتيق﴾ فإن هذه الآية مشتملة على الأحكام المأمور بها والمنهي عنها وهذا وأمثاله يطلق للفصل بين الكلامين أو بين وجهي كلام واحد ﴿ومن﴾ [وهركه] ﴿يعظم حرمات الله﴾ جمع حرمة وهي ما لا يحل هتكه وهو خرق الستر عما وراءه أي أحكامه وفرائضه وسننه وسائر ما لا يحل هتكه كالكعبة الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام بالعلم بوجوب مراعاتها والعمل بموجبه ﴿فهو خير له﴾ أي: فالتعظيم خير له ثواباً ﴿عند ربه﴾ أي في الآخرة.

قال ابن الشيخ: عند ربه يدل على الثواب المدخر لأنه بطاعة ربه فيما حصل من الخيرات.

وفي الآية إشارة إلى أن تعظيم حرمات الله هو تعظيم في ترك ما حرمه الله عليه وتعظيم ترك ما أمره الله به يقال بالطاعة يصل العبد إلى الجنة وبالحرمة يصل إلى الله ولهذا قال: ﴿فهو خير له عند ربه﴾ يعني: تعظيم الحرمة خير للعبد في التقرب إلى الله من تقربه بالطاعة ويقال: ترك الخدمة يوجب العقوبة وترك الحرمة يوجب الفرقة ويقال: كل شيء من المخالفات فللعفو فيه مساغ وللأمل فيه طريق وترك الحرمة على خطر أن لا يغفر ذلك بأن يؤدي شؤمه لصاحبه إلى أن يختل دينه وتوحيده. ﴿وأحلت﴾ جعلت حلالاً وهو من حل العقدة. ﴿لكم﴾ لمنافعكم ﴿الأنعام﴾ وهي الأزواج الثمانية على الإطلاق من الضأن اثنين أي الذكر والأنثى ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين فالخيل والبغال والحمير خارجة من الأنعام. ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾ آية تحريمه كما قال في سورة المائدة ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ﴾ [المائدة: ٣] الآية، وهو استثناء متصل بناء على أن ما عبارة عما حرم منها لعارض كالميتة وما أهل به لغير الله والجملة اعتراض جيء به تقريراً لما قبله من الأمر بالأكل والإطعام، ودفعاً لما عسى يتوهم أن الإحرام يحرمها كما يحرم الصيد والمعنى أن الله تعالى، قد أحل لكم أن تأكلوا الأنعام كلها إلا ما استثناه كتابه فحافظوا على حدوده، وإياكم أن تحرموا مما أحل الله شيئاً، كتحريم عبدة الأوثان البحيرة والسائبة ونحوهما وأن تحلوا مما حرم حلالهم شيئاً، كأكل الموقوذة والميتة ونحوهما. ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ أي: الرجس الذي هو الأوثان يعني عبادتها كما يجتنب الأنجاس والرجس الشيء القذر يقال: رجل رجس ورجال أرجاس والرجس يكون على أربعة أوجه إما من حيث الطبع وإما من جهة العقل وإما من جهة الشريعة وإما من كل ذلك كالميتة فإنها تعاف طبعاً وعقلاً وشرعاً والرجس من جهة الشرع الخمر والميسر والأوثان وهي جمع وثن وهو حجارة كانت تعبد كما في «المفردات».

وقال بعضهم: الفرق بينه وبين الصنم أن الصنم هو الذي يؤلف من شجر أو ذهب أو فضة في صورة الإنسان والوثن هو الذي ليس كذلك.

قال في «الإرشاد» وقوله: ﴿فاجتنبوا﴾ الخ مرتب على ما يفيده قوله تعالى: ﴿ومن يعظم حرمات الله﴾ من وجوب مراعاتها والاجتناب عن هتكها ولما كان بيان حل أنعام من دواعي التعاطي لا من مبادىء الاجتناب عقبه بما يجب الاجتناب عنه من الحرمات، ثم أمر بالاجتناب عما هو أقصى الحرمات كأنه قيل ومن يعظم حرمات الله فهو خير له والأنعام ليست من الحرمات فإنها محللة لكم إلا ما يتلى عليكم آية تحريمه فإنه مما يجب الاجتناب عنه فاجتنبوا ما هو معظم الأمور التي يجب الاجتناب عنها. ﴿واجتنبوا قول الزور﴾ تعميم بعد تخصيص فإن عبادة الأوثان رأس الزور والمشرك يزعم أن الوثن يحق له العبادة كأنه قيل فاجتنبوا عبادة الأوثان التي هي رأس الزور واجتنبوا قول الزور كله ولا تقربوا شيئاً منه وكأنه لما حث على تعظيم الحرمات اتبع ذلك رداً لما كانت الكفرة عليه من تحريم السوائب والبحائر ونحوهما والافتراء على الله تعالى بأنه حكم بذلك. وبالفارسية: [واجتناب كنيد ازسخن دروغ مطلقاً] وقيل: المراد به شهادة الزور لما روي أنه عليه السلام قال: «عدلت شهادة الزور الإشراك بالله تعالى ثلاثاً» وتلا هذه الآية وكان عمر رضي الله عنه يجلد شاهد الزور أربعين جلدة ويسود وجهه بالفحم ويطوف به في الأسواق والزور من الزور وهو الانحراف كالإفك المأخوذ من الإفك الذي هو القلب والصرف فإن الكذب منحرف مصروف عن الواقع.

وفي «التأويلات النجمية»: قول الزور كل قول باللسان مما لا يساعده قول القلب ومن عاهد الله بقلبه في صدق الطلب ثم لا يفي بذلك فهو من جملة قول الزور.

طريق صدق بياموز ازآب صافي دل   براستي طلب ازادكي جو سروچمن
وفاكنيم وملامت كشيم وخوش باشيم   كه در طريقت ما كافريست رنجيدم

﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾

﴿حنفاء لله﴾ حال من واو فاجتنبوا أي حال كونكم مائلين عن كل دين زائغ إلى الدين الحق مخلصين له والحنف هو الميل عن الضلال إلى الاستقامة والحنيف هو المائل إلى ذلك وتحنف فلان أي تحرى طريق الاستقامة. **﴿غير مشركين به﴾** أي: شيئاً من الأشياء فيدخل في ذلك الأوثان دخولاً أولياً وهو حال أخرى من الواو. **﴿ومن﴾** [هركه] **﴿يشرك بالله فكأنما خر من السماء﴾**.

قال الراغب: معنى (خر) سقط سقوطاً يسمع منه خرير وهو صوت الماء والريح وغير ذلك مما يسقط من علو. **﴿فتخطفه الطير﴾** الخطف الاختلاس بالسرعة وصيغة المضارع لتصوير هذه الحالة الهائلة التي اجترأ عليها المشرك للسامعين.

قال الكاشفي: [وهركه شرك آرد بخداي تعالى پس همچنا نست كه كويبا درافتاد ازآسمان برروى زمين وهلاك شد پس مي ربايند اورا مرغان مردار خوار ازروى زمين واجزا واعضاي اورا متفرق ومتمزق ميسازند]. **﴿أو تهوي به الريح﴾** أي: تسقطه وتقذفه يقال: هوى يهوي من باب ضرب هوياً سقط من علو إلى سفل وأما هوى يهوي من باب علم هوى فمعناه أحب.

﴿في مكان سحيق﴾ أي: بعيد فإن السحق البعد وليس إسحاق العلم منه فإنه عبراني معناه الضحاك واو للتخيير كما في قوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ١٩].

قال الكاشفي: [يابزير افكند اورا باد ازموضعي مرتفع درجانبي دوراز فرياد رس ودستكير اين كلمات ازتشبيهات مركبه است يعني هركه أزاوج إيمان بحضيض كفر افتد هواي نفس اورابريشان سازد ياباد وسوسة شيطان اورا در وادي ضلالت افكند ونابود شود ملخص سخن آنكه هلاك مشركانست] فالهلاك في الشرك كما أن النجاة في الإيمان.

وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه عليه السلام قال له: «هل تدري ما حق الله» قال: قلت: الله ورسوله أعلم قال: «فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً يا معاذ هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك» قلت: الله ورسوله أعلم قال: «أن لا يعذبهم» فلا بد من تخصيص العبادة بالله والتخليص من شوب الشرك ليكون العبد على الملة الحنيفية وهي واحدة من لدن آدم إلى يومنا هذا وهي ملازمة التوحيد واليقين.

وسئل رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل قال: «الإيمان بالله ورسوله» قيل ثم ماذا قال: «الجهاد في سبيل الله» قيل ثم ماذا قال: «حج مبرور»، وفي الحديث: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» قالوا: يا رسول الله وما الشرك الأصغر قال: «الرياء».

مُرائي هركسي معبود سازد مُرائي را ازان كفتند مشرك

قال الحافظ:

كويا باورونمي دارند روز داوري كين همه قلب ودغل دركار داورميكنند

فالشرك أقبح الرذائل كما أن التوحيد أحسن الحسنات وفي الحديث: «إذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة فإنها بعشرة أمثالها» فقال المخاطب: يا رسول الله قول لا إلٰه إلا الله من الحسنات قال: «أحسن الحسنات».

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿ذلك﴾ أي: الأمر والشأن ذلك الذي ذكر من أن تعظيم حرمات الله خير وأن الاجتناب عن الإشراك وقول الزور أمر لازم أو امتثلوا ذلك. ﴿ومن يعظم شعائر الله﴾ أي الهدايا فإنها من معالم الحج وشعائره كما ينبىء عنه قوله تعالى: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ [الحج: ٣٦] وهو الأوفق لما بعده. والشعائر جمع شعيرة وهي العلامة من الأشعار وهو الأعلام والشعور العلم وسميت البدنة شعيرة من حيث أنها تشعر بأن تطعن في سنامها من الجانب الأيمن والأيسر حتى يسيل الدم فيعلم أنها هدي فلا يتعرض لها فهي من جملة معالم الحج بل من أظهرها وأشهرها علامة وتعظيمها اعتقاد أن التقرب بها من أجل القربات وأن يختارها حساناً سماناً غالية الأثمان روي: أنه عليه السلام أهدى مائة بدنة فيها جمل لأبي جهل في أنفه برة من ذهب وأن عمر أهدى نجيبة أي ناقة كريمة طلبت منه بثلاثمائة دينار.

هركسي ازهمت والاي خويش سود بردارد خوركالاي خويش

قال الجنيد: من تعظيم شعائر الله التوكل والتفويض والتسليم فإنها من شعائر الحق في أسرار أوليائه فإذا عظمه وعظم حرمته زين الله ظاهره بفنون الآداب. ﴿فإنها﴾ أي: فإن تعظيمها ناشىء ﴿من تقوى القلوب﴾ وتخصيصها بالإضافة لأنها مركز التقوى التي إذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر أثرها في سائر الأعضاء.

﴿لكم فيها﴾ أي: في الهدايا المشعرة ليعرف أنها هدي. ﴿منافع﴾ هي درها ونسلها وصوفها وظهرها فإن للمهدي أن ينتفع بهديه إلى وقت النحر إذا احتاج إليه ﴿إلى أجل مسمى﴾ هو وقت نحرها والتصدق بلحمها والأكل منه. ﴿ثم محلها إلى البيت العتيق﴾ المحل اسم زمان بتقدير المضاف من حل الدين إذا وجب أداؤه معطوف على قوله منافع وإلى البيت حال من ضمير فيها والعامل في الحال الاستقرار الذي تعلق به كلمة في. والمعنى ثم بعد تلك المنافع هذه المنفعة العظمى وهي وقت حلول نحرها ووجوبه حال كونها متهيئة إلى البيت العتيق أي إلى الحرم الذي هو في حكم البيت فإن المراد به الحرم كله كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا﴾ [التوبة: ٢٨] أي: الحرم كله فإن البيت وما حوله نزهت عن إراقة دماء الهدايا وجعل مني منحراً ولا شك أن الفائدة التي هي أعظم المنافع الدينية في الشعائر هي نحرها خالصة لله تعالى وجعل وقت وجوب نحرها فائدة عظيمة مبالغة في ذلك فإن وقت الفعل إذا كان فائدة جليلة فما ظنك بنفس الفعل والعتيق المتقدم في الزمان والمكان والرتبة.

قال الكاشفي: [پس جان ذبح باوجوب نحران منتهى شود بخانة كه آزادست ازغرق شدن بوقت طوفان يا خانة بزركوار]. روي: أن إبراهيم عليه السلام وجد حجراً مكتوباً عليه أربعة أسطر الأول: «إني أنا الله لا إلٰه إلا أنا فاعبدني». والثاني: «إني أنا الله لا إلٰه إلا أنا محمد رسولي طوبى لمن آمن به واتبع». والثالث: «إني أنا الله لا إلٰه إلا أنا من اعتصم بي نجا». والرابع: «إني أنا الله لا إلٰه إلا أنا الحرم لي والكعبة بيتي من دخل بيتي أمن من عذابي» وفي الحديث: «إن الله تعالى ليدخل ثلاثة نفر بالحجة الواحدة الجنة الموصي بها والمنفذ لها والحاج عنه».

وفي «الاشباه»: ليس للمأمور الأمر بالحج ولو لمرض إلا إذا قال له الآمر اصنع ما شئت فله ذلك مطلقاً والمأمور بالحج له أن يؤخره عن السنة الأولى ثم يحج ولا يضمن كما في «التاتارخانية» ولو عين له هذه السنة لأن ذكرها للاستعجال لا للتقييد وإذا أمر غيره بأن يحج عنه ينبغي أن يفوض الأمر إلى المأمور فيقول حج عني بهذا المال كيف شئت مفرداً بالحج أو العمرة أو متمتعاً أو قارناً والباقي من المال لك وصية كيلا ضيق الأمر على الحاج ولا يجب عليه ردماً فضل إلى الورثة ولو أحج من لم يحج عن نفسه جاز والأفضل أن يحج من قد حج عن نفسه كما في «الفتاوى المؤيدية» ولا يسقط به الفرض عن المأمور وهو الحاج كما في «حواشي أخي چلبي» ولو أحج امرأة أو أمة بإذن السيد جاز لكنه أساء ولو زال عجز الآمر صار ما أدى المأمور تطوعاً للآمر وعليه الحج كما في «الكاشفي».

وعن أبي يوسف إن زال العجز بعد فراغ المأمور عن الحج يقع عن الفرض وإن زال قبله فعن النفل كما في «المحيط» والحج النفل يصح بلا شرط ويكون ثواب النفقة للآمر بالاتفاق وأما ثواب النفل فالمأمور يجعله للآمر وقد صح ذلك عند أهل السنة كالصلاة والصوم والصدقة كما في «الهداية» وإن مات الحاج المأمور في طريق الحج يحج غيره وجوباً من منزل آمره الموصي أو الوارث قياساً إذا اتحد مكانهما والمال واف فيه أن السفر هل يبطل بالموت أو لا وهذا إذا لم يبين مكاناً يحج منه بالإجماع كما في «المحيط».

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿**ولكل أمة**﴾ من الأمم لا لبعض منهم دون بعض فالتقديم للتخصيص. ﴿**جعلنا منسكاً**﴾ متعبداً وقرباناً يتقربون به إلى الله تعالى والمراد به إراقة الدماء لوجه الله تعالى. والمعنى شرعنا لكل أمة مؤمنة أن ينسكوا له تعالى يقال نسك ينسك نسكاً ونسوكاً ومنسكاً بفتح السين إذا ذبح القربان. ﴿**ليذكروا اسم الله**﴾ خاصة دون غيره ويجعلوا نسكهم لوجهه الكريم علل الجعل به تنبيهاً على أن المقصود الأصلي من المناسك تذكر المعبود. ﴿**على ما رزقهم من بهيمة الأنعام**﴾ عند ذبحها وفي تبيين البهيمة بإضافتها إلى الأنعام تنبيه على أن القربان يجب أن يكون من الأنعام وأما البهائم التي ليست من الأنعام كالخيل والبغال والحمير فلا يجوز ذبحها في القرابين.

وفي «التأويلات النجمية»: ولكل سالك جعلنا طريقة ومقاماً وقربة على اختلاف طبقاتهم فمنهم من يطلب الله من طريق المعاملات ومنهم من يطلبه من باب المجاهدات ومنهم من يطلبه به ليتمسك كل طائفة منهم في الطلب بذكر الله على ما رزقهم من قهر النفس وكسر صفاتها البهيمية والإنعامية فإنهم لا يظفرون على اختلاف طبقاتهم بمنازلهم ومقاماتهم إلا بقهر النفس وكسر صفاتها فيذكرون الله بالحمد والثناء على ما رزقهم من قهر النفس من العبور على المقامات والوصول إلى الكمالات. ﴿**فإلهكم إله واحد**﴾ الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من الجعل المذكور والخطاب للكل تغليباً أي فإلٰهكم إله منفرد يمتنع أن يشاركه شيء في ذاته وصفاته وإلا لاختل النظام المشاهد في العالم. ﴿**فله أسلموا**﴾ أي فإذا كان إلٰهكم إله واحد فاجعلوا التقرب أو الذكر سالماً له أي خالصاً لوجهه ولا تشوبوه بالإشراك. وبالفارسية [پس مرورا كردن نهيد وقربانرا بشرك آميخته مسازيد].

وفي «التأويلات النجمية»: والإسلام يكون بمعنى الإخلاص والإخلاص تصفية الأعمال من الآفات ثم تصفية الأخلاق من الكدورات ثم تصفية الأحوال من الالتفاتات ثم تصفية الأنفاس من الأغيار. ﴿**وبشر المخبتين**﴾ المتواضعين أو المخلصين فإن الخبت هو المطمئن من الأرض وحقيقة المخبت من صار في خبت الأرض ولما كان الإخبات من لوازم التواضع والإخلاص صح أن يجعل كناية عنهما.

قال الكاشفي: [وبشارت ده أي محمد فروتنانرا بيزركي آن سرايا سكارانرا برحمت بي منتهى، سلمي قدس سره فرمودهكه مزده ده مشتاقانرا بسعادت لقاكه هيچ مژده ازين فرح آفزاي ترنيست پس در صفت مخبتين ميفرمايد]. ﴿**الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم**﴾ الوجل استشعار الخوف كما في «المفردات» أي: خافت منه تعالى لإشراق أشعة جلاله عليها وطلوع أنوار عظمته والوجل عند الذكر على حسب تجلي الحق للقلب.

هـركـرانـور تـجـلـي شـد فـزون   خـشـيـت وخـوفـش بـوداز حـد بـرون

﴿**والصابرين على ما أصابهم**﴾ من المصائب والكلف.

قال في «بحر العلوم»: الذين صبروا على البلايا والمصائب من مفارقة أوطانهم

وعشائرهم ومن تجرع الغصص والأحزان واحتمال المشاق والشدائد في نصر الله وطاعته وازدياد الخير ومعنى الصبر الحبس يقال صبرت نفسي على كذا أي حبستها.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿والصابرين على ما أصابهم﴾ أي: خامدين تحت جريان الحكم من غير استكراه ولا تمنى خروجه ولا روم فرجه يستسلمون طوعاً. قال الحافظ:

اكر بلطف بخواني مزيد الطافست وكر بقهر براني درون ما صافست

وقال:

بدرد وصاف تراحكم نيست دم دركش كه هرچه ساقي ما كرد عين الطافست

وقال:

عاشقانرا كر درآتش مينشاند قهر دوست تنك چشمم كرد نظر زچشمة كوثر كنم

وقال:

آشنايان ره عشق اكرم خون بخورند نا كسم كر بشكايت سوى بيكانه روم

وقال:

حافظ از جور توحاشا كه بنالد روزي كه ازان روز كه دربند تؤام دلشادم

وأيضاً الحافظين مع الله أسرارهم لا يطلبون السلوة باطلاع الخلق على أحوالهم ﴿والمقيمي الصلاة﴾ في أوقاتها أصله مقيمين والإضافة لفظية.

وفي «التأويلات النجمية»: والمديمي النجوى مع الله كقوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المعارج: ٢٣] قال شاعرهم:

إذا ما تمنى الناس روحاً وراحة تمنيت أن أشكو إليك وتسمع

﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ في وجوه الخيرات قدم المفعول إشعاراً بكونه أهم كأنه قيل: ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به والمراد به إما الزكاة المفروضة لاقترانها بالصلاة المفروضة أو مطلق ما ينفق في سبيل الله لوروده مطلق اللفظ من غير قرينة الخصوص وفي الحديث: «بدلاء أمتي لا يدخلون الجنة بصيامهم وقيامهم ولكن دخلوها بسلامة الصدر وسخاء النفس والنصح للمسلمين».

واعلم أن خدمة المولى بالمال وبالوجود سبب لسعادة الدنيا والعقبى.

قال بعض الكبار: إن الله لما أظهر الصنائع وعرضها عل الخلق في الأزل اختار كل منهم صنيعة وقال طائفة ما أعجبنا شيء فأظهر الله لهم العبادة ومقامات الأولياء فقالوا: قد اخترنا خدمتك فقال: لأسخرنهم لكم ولأجعلنهم خداماً لكم واشفعنكم فيمن خدمكم وعرفكم.

قال الشيخ أبو الحسن: سمعت وصف ولي في جبل فبت عند باب صومعته ليلة فسمعته يقول: إلهي إن بعض عبادك طلب منك تسخير الخلق فأعطيته مراده وأنا أريد منك أن لا يحسنوا معاملتهم معي حتى لا ألتجىء إلا إلى حضرتك قال: فلما أصبحت سألت عن ذلك فقال: يا ولدي قل اللهم كن لي مكان قولك اللهم سخر لي فإذا كان الله لك فلا تحتاج إلى شيء أبداً فلا بد من الاجتهاد في طريق الطلب والجد في الدعاء إلى حصول المطلب. قال المولى الجامي:

بي طلب نتوان وصالت يافت آري كي دهد دولت حج دست جزراه بيابان برده را

﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿**والبدن**﴾ منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ﴾ [يس: ٣٩] جمع بدنة وهي الإبل والبقر مما يجوز في الهدي والأضاحي سميت بها لعظم بدنها.

قال في «بحر العلوم»: البدنة في اللغة من الإبل خاصة وتقع على الذكر والأنثى وأما في الشريعة فللإبل والبقر لاشتراكهما في البدانة ولذا ألحق عليه السلام البقر بالإبل في الإجزاء عن السبعة.

وفي «القاموس»: البدنة محركة من الإبل والبقر كالأضحية من الغنم تهدى إلى مكة للذكر والأنثى.

قال الكاشفي: [وشتران وكاوان كه براي هدى رانده آيد] ﴿**جعلناها لكم من شعائر الله**﴾ أي: من أعلام دينه التي شرعها الله مفعول ثان للجعل ولكم ظرف لغو متعلق به وأضيف الشعائر إلى اسم الله تعظيماً لها كبيت الله فإن المضاف إلى العظيم عظيم وقد سبق معنى الشعائر. وبالفارسية [ساختيم آنها يعني كشتن آنها شمارا از نشانهاي دين خدايرا تعالى] ﴿**لكم فيها**﴾ في البدن ﴿**خير**﴾ نفع كثير في الدنيا وأجر عظيم في العقبى.

وفيه إشارة إلى قربان بهيمة النفس عند كعبة القلب وأنه من أعلام الدين وشعار أهل الصدق في الطلب وأن الخير في قربانها وذبحها بسكين الصدق.

ظاهرش مرك وبباطن زنده كي ظاهرش ابترنهان پاينده كي

﴿**فاذكروا اسم الله عليها**﴾ بأن تقولوا عند ذبحها «الله أكبر لا إلٰه إلا الله والله أكبر اللهم منك وإليك» أي: هي عطاء منك ونتقرب بها إليك ﴿**صواف**﴾ كناية عن كونها قائمات لأن قيام الإبل يستلزم أن تصف أيديها وأرجلها جمع صافة. والمعنى حال كونها قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن معقولة الأيدي اليسرى.

والآية دلت على أن الإبل تنحر قائمة كما قال الكاشفي: [صواف درحالتي كه برپاي ايستاده باشند وشتررا ايستاده ذبح كردن سنت است]. ﴿**فإذا وجبت جنوبها**﴾ يقال: وجب الحائط يجب وجبة إذا سقط.

قال في «التهذيب»: الوجب [بيفتادن ديوار] وغيره والمعنى سقطت على الأرض وهو كناية عن الموت.

قال الكاشفي: [پس چون بيفتد برزمين پهلو هاي مذبوحان وروح ازايشان بيرون رود] ﴿**فكلوا منها**﴾ أي من لحومها إن لم يكن دم الجناية والكفارة والنذر كما سبق والأمر للإباحة ﴿**وأطعموا**﴾ الأمر للوجوب ﴿**القانع**﴾ أي الراضي بما عنده وبما يعطى من غير مسألة ﴿**والمعتر**﴾ الاعترار التعرض للسؤال من غير أن يسأل كما قال في «القاموس»: المعتر الفقير المعترض للمعروف من غير أن يسأل انتهى يقال: اعتره وعررت بك حاجتي والعر الجرب الذي يعر البدن أي يعترضه.

قال الكاشفي: [درزاد المسير آورده كه قانع فقير مكة است ومعتر درويش آفاقي] ﴿كذلك﴾مثل ذلك التسخير البديع المفهوم من قوله صواف. ﴿سخرناها لكم﴾ذللناها لمنافعكم: وبالفارسية [رام كردانيم] مع كمال عظمها ونهاية قوتها فلا تستعصي عليكم حتى تأخذونها منقادة فتعقلونها وتحسبونها صافة قوائمها ثم تطعنون في لباتها أي مناحرها من الصدور ولولا تسخير الله لم تطق ولم تكن أعجز من بعض الوحوش التي هي أصغر منها جرماً وأقل قوة. ﴿لعلكم تشكرون﴾لتشكروا إنعامنا عليكم بالتقرب والإخلاص ولما كان أهل الجاهلية ينضحون البيت أي الكعبة بدماء قرابينهم ويشرحون اللحم ويضعونه حوله زاعمين أن ذلك قربة قال تعالى نهياً للمسلمين ﴿لن ينال الله﴾لن يصيب ويبلغ ويدرك رضاه ولا يكون مقبولاً عنده. ﴿لحومها﴾المأكولة والمتصدق بها ﴿ولا دماؤها﴾المهراقة بالنحر من حيث أنها لحوم ودماء ﴿ولكن يناله التقوى منكم﴾وهو قصد الائتمار وطلب الرضى والاحتراز عن الحرام والشبهة.

وفيه دليل على أنه لا يفيد العمل بلا نية وإخلاص: وبالفارسية: [وليكن ميرسد بمحل قبول وي پرهيز كاري ازشماكه آن تعظيم امر خداوندست وتقرب بدو بقربان پسنديده]. ﴿كذلك سخرها لكم﴾تكرير للتذكير والتعليل بقوله: ﴿لتكبروا الله﴾أي لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء. ﴿على ما هداكم﴾على متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر وما مصدرية أي على هدايته إياكم أو موصولة أي على ما هداكم إليه وأرشدكم وهو طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها. ﴿وبشر المحسنين﴾أي المخلصين في كل ما يأتون وما يذرون في أمور دينهم بالجنة أو بقبول الطاعات.

قال ابن الشيخ: هم الذين يعبدون الله كأنهم يرونه يبتغون فضله ورضوانه لا يحملهم على ما يأتونه ويذرون إلا هذا الابتغاء وأمارة ذلك أن لا يستثقل ولا يتبرم بشيء مما فعله أو تركه والمقصود منه الحث والتحريض على استصحاب معنى الإحسان في جميع أفعال الحج.

واعلم أن كل مال لا يصلح لخزانة الرب ولا كل قلب يصلح لخدمة الرب فعجل أيها العبد في تدارك حالك وكن سخياً محسناً بمالك فإن لم يكن فبالنفس والبدن وإن كان لك قدرة على بذلهما فيهما معاً ألا ترى أن إبراهيم عليه السلام كيف أعطى ماله الضيافة وبدنه النيران وولده للقربان وقلبه للرحمٰن حتى تعجب الملائكة من سخاوته فأكرمه الله بالخلة.

قالوا للحجاج يوم عيد للقربان مناسك. الأول: الذهاب من منى إلى المسجد الحرام فلغيرهم الذهاب إلى المصلى موافقة لهم. والثاني: الطواف فلغيرهم صلاة العيد لقوله عليه السلام: «الطواف بالبيت صلاة». والثالث: إقامة السنن من الحلق وقص الأظفار ونحوهما فلغيرهم إزالة البدعة وإقامة السنة. والرابع: القربان فلغيرهم أيضاً ذلك إلى غير ذلك من البعادات وأفضل القربان بذل المجهود وتطهير كعبة القلب لتجليات الرب المعبود وذبح النفس بسكين المجاهدة والفناء عن الوجود.

قال مالك بن دينار رحمه الله: خرجت إلى مكة فرأيت في الطريق شاباً إذا جن عليه الليل رفع وجهه نحو السماء وقال: يا من تسره الطاعات ولا تضره المعاصي هب لي ما يسرك واغفر لي ما لا يضرك فلما أحرم الناس ولبوا قلت له لم لا تلبي فقال يا شيخ وما تغني التلبية عن الذنوب المتقدمة والجرائم المكتوبة أخشى أن أقول لبيك فيقال لي لا لبيك ولا سعديك لا

أسمع كلامك ولا أنظر إليك ثم مضى فما رأيته إلا بمنى وهو يقول؛ اللهم اغفر لي إن الناس قد ذبحوا وتقربوا إليك وليس لي شيء أتقرب به إليك سوى نفسي فتقبلها مني ثم شهق شهقة وخر ميتاً.

جان كه نه قرباني جانان بود — جيفة تن بهتر ازآن جان بود
هركه نشد كشته بشمشير دوست — لا شة مردار به ازجان أوست

وفي «المثنوي»:

معنىء تكبير أينست أي أميم — كاي خدا پيش توما قربان شديم
وقت ذبح الله أكبر ميكني — همچنان در ذبح نفس كشتني
تن چو إسماعيل وجان شد چون خليل — كرد جان تكبير برجسم نبيل
كشته كشته تن زشهوتها وآز — شد ببسم الله بسمل در نماز

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾.

﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا﴾، قال الراغب: الدفع إذا عدي بإلى اقتضى معنى الإنالة نحو قوله تعالى: ﴿فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ﴾ [النساء: ٦] وإذا عدي بعن اقتضى معنى الحماية نحو: **﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا﴾** أي: يبالغ في دفع ضرر المشركين عن المؤمنين ويحميهم أشد الحماية من أذاهم **﴿إن الله لا يحب كل خوان﴾** بليغ الخيانة في أمانة الله أمراً كانت أو نهياً أو غيرهما من الأمانات **﴿كفور﴾** بليغ الكفران لنعمته فلا يرضى فعلهم ولا ينصرهم.

والكفران في جحود النعمة أكثر استعمالاً والكفر في الدين أكثر والكفور فيهما جميعاً وصيغة المبالغة فيهما لبيان أنهم كانوا كذلك لا لتقييد البعض بغاية الخيانة والكفر فإن نفي الحب كناية عن البغض والبغض نفار النفس من الشيء الذي ترغب عنه وهو ضد الحب فإن الحب انجذاب النفس إلى الشيء الذي ترغب فيه قال عليه السلام: «إن الله يبغض المتفحش» فذكر بغضه له تنبيه على بعد فيضه وتوفيق إحسانه منه.

وفي الآية: تنبيه على أنه بارتكاب الخيانة والكفران يصير بحيث لا يتوب لتماديه في ذلك وإذا لم يتب لم يحبه الله المحبة التي وعد بها التائبين والمتطهرين وهي إصابتهم والإنعام عليهم فإن محبة الله للعبد إنعامه عليه ومحبة العبد له طلب الزلفى لديه.

واعلم أن الخيانة والنفاق واحد لأن الخيانة تقال اعتباراً بالعهد والأمانة والنفاق يقال اعتباراً بالدين ثم يتداخلان فالخيانة مخالفة الحق بنقض العهد في السر ونقيض الخيانة الأمانة ومن الخيانة الكفر فإنه إهلاك للنفس التي هي أمانة الله عند الإنسان وتجري في الأعضاء كلها قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء: ٣٦] ويجري في الصلاة والصوم ونحوهما إما بتركها أو بترك شرط من شرائطها الظاهرة والباطنة فأكل السحور مع غلبة الظن بطلوع الفجر أو الإفطار مع الشك بالغروب خيانة للصوم ومن أكل السحور فنام عن صلاة الصبح حتى طلع الشمس فقد كفر بنعمة الله التي هي السحور وخانه بالصلاة أيضاً فترك الفرض من أجل السنة تجارة خاسرة. روي: أن واحداً ضاع له تسعة دراهم فقال من وجدهم وبشرني فله عشرة دراهم فقيل له في ذلك فقال: إن في الوجدان لذة لا تعرفونها أنتم فأهل الغفلة

وجدوا في المنام لذة هي أفضل عندهم من ألف صلاة نعوذ بالله تعالى.

ومن الخيانة النقص في المكيال والميزان. حكي: أنه احتضر رجل فإذا هو يقول جبلين من نار جبلين من نار فسئل أهله عن عمله فقالوا كان له مكيالان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخرة.

ومن الخيانة التسبب إلى الخيانة.

وكتب رجل إلى الصاحب بن عباد أن فلاناً مات وترك عشرة آلاف دينار ولم يخلف إلا بنتاً واحدة فكتب على ظهر المكتوب النصف للبنت والباقي يرد عليها وعلى الساعي ألف ألف لعنة.

ثم إن المؤمن الكامل منصور على كل حال فلا يضره كيد الخائنين فإن الله لا يحب الخائنين فإذا لم يحبهم لم ينصرهم ويحب المؤمن فينصره.

وفي الآية إشارة إلى أن الله تعالى يدافع خيانة النفس وهواها عن المؤمنين وأن مدافعة النفس وهواها عن أهل الإيمان إنما كان لإزالة الخيانة وكفران النعمة لأنه لا يحب المتصفين بها وأنه يحب المؤمنين المخلصين عنها فالآية تنبيه على إصلاح النفس الأمارة وتخليصها عن الأوصاف الرذيلة.

وجود تو شهريست پرنيك وبد تو سلطان ودستور دانا خرد
هما نا كه دونان كردن فراز درين شهر كبرست وسود او آز
چو سلطان عنايت كند بابدان كجا ماند آسايش بخردان

قال الله تعالى:

﴿أذن﴾ الاذن في الشيء إعلام بإجازته والرخصة فيه والمأذون فيه محذوف، أي رخص في القتال. ﴿للذين﴾ للمؤمنين الذين ﴿يقاتلون﴾ بفتح التاء على صيغة المجهول، أي يقاتلهم المشركون. ﴿بأنهم ظلموا﴾ أي: بسبب أنهم ظلموا وهم أصحاب النبي عليه السلام كان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه عليه السلام بين مضروب ومشجوج ويتظلمون إليه فيقول عليه السلام لهم: «اصبروا فإني لم أومر بالقتال» حتى هاجروا فنزلت وهي أول آية نزلت في القتال بعدما نهى عنه في نيف وسبعين آية ﴿وإن الله على نصرهم لقدير﴾ وعد للمؤمنين بالنصر والتغليب على المشركين بعدما وعد بدفع أذاهم وتخليصهم من أيديهم.

قال الراغب: القدرة إذا وصف بها الإنسان فاسم لهيئة له بها يتمكن من فعل ما وإذا وصف الله بها فنفي للعجز عنه ومحال أن يوصف غير الله بالقدرة المطلقة معنى وإن أطلقت عليه لفظاً بل حقه أن يقال قادر على كذا ومتى قيل: هو قادر فعلى سبيل معنى التقييد ولهذا لا أحد غير الله يوصف بالقدرة من وجه إلا ويصح أن يوصف بالعجز من وجه والله تعالى هو الذي ينتفي عنه العجز من كل وجه والقدير هو الفاعل لما يشاء على قدر ما تقتضي الحكمة لا زائداً عليه ولا ناقصاً عنه ولذلك لا يصح أن يوصف به غير الله تعالى.

تعالى الله زهى قيوم ودانا توانايي ده هر ناتوانا

وفي الآية إشارة إلى أن قتال الكفار بغير إذن الله لا يجوز ولهذا لما وكز موسى عليه السلام القبطي الكافر وقتله قال هذا من عمل الشيطان لأنه ما كان مأذوناً من الله في ذلك وبهذا المعنى يشير إلى أن الصلاح في قتال كافر النفس وجهاده أن يكون بإذن الله على وفق الشرع

وأوانه وهو بعد البلوغ فإن قبل البلوغ تحلى المجاهدة باستكمال الشخص الإنساني الذي هو حامل أعباء الشريعة ولهذا لم يكن مكلفاً قبل البلوغ وينبغي أن تكون المجاهدة محفوظة عن طرفي التفريط والإفراط بل يكون على حسب ظلم النفس على القلب باستيلائها عليه فيما يضره من اشتغالها بمخالفة الشريعة وموافقة الطبيعة في استيفاء حظوظها وشهواتها من ملاذ الدنيا فإن منها يتولد رين مرآة القلب وقسوته واسوداده وإن ارتاضت النفس ونزلت عن ذميم صفاتها وانقادت للشريعة وتركت طبعها واطمأنت إلى ذكر الله واستعدت لقبول جذبة ﴿ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾ [الفجر: ٢٨] تصان من فرط المجاهدة ولكن لا يؤمن مكر الله المودع في مكر النفس وآخر الآية يشير إلى أن الإنسان لا يقدر على النفس وتزكيتها بالجهاد المعتدل إلا بنصر الله تعالى.

چورويي بخدكت نهى بر زمين   خدارا ثنا كوى وخودرا مبين
كراز حق نه توفيق خيري رسد   كي ازبنده خيري بغيري رسد

﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿الذين أخرجوا من ديارهم﴾ في حيز الجر على أنه صفة للموصول.

قال ابن الشيخ: لما بين أنهم إنما أذنوا في القتال لأجل أنهم ظلموا فسر ذلك الظلم بقوله: الذين إلى آخره والمراد بديارهم مكة وتسمى البلاد الديار لأنه يدار فيها للتصرف يقال: ديار بكر لبلادهم وتقول العرب الذين حوالى مكة نحن من عرب الدار يريدون من عرب البلد.

قال الراغب: الدار المنزل اعتباراً بدورانها الذي لها بالحائط وقيل: وجمعها ديار ثم تسمى البلدة داراً **﴿بغير حق﴾** أي خرجوا بغير موجب استحقوا الخروج فالحق مصدر قولك حق الشيء يحق بالكسر أي وجب **﴿إلا أن يقولوا ربنا الله﴾** بدل من حق أي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجباً للإقرار والتمكين دون الإخراج والتسيير لكن لا على الظاهر بل على طريقة قول النابغة:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم   بهن فلول من قراع الكتائب

﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض﴾ بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين في كل عصر وزمان **﴿لهدمت﴾** الهدم إسقاط البناء والتهديم للتكثير أي لخربت باستيلاء المشركين **﴿صوامع﴾** للرهبانية **﴿وبيع﴾** للنصارى وذلك في زمان عيسى عليه السلام الصوامع جمع صومعة وهي موضع يتعبد فيه الرهبان وينفردون فيه لأجل العبادة.

قال الراغب: الصومعة كل بناء منصمع الرأس متلاصقة والأصمع اللاصق أذنه برأسه والبيع جمع بيعة وهي كنائس النصارى التي يبنونها في البلدان ليجتمعوا فيها لأجل العبادة والصوامع لهم أيضاً إلا أنهم يبنونها في المواضع الخالية كالجبال والصحارى.

قال الراغب: البيعة مصلى النصارى فإن يكن ذلك عربياً في الأصل فتسميته بذلك لما قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ [التوبة: ١١١] الآية **﴿وصلوات﴾** كنائس لليهود في أيام موسى عليه السلام.

قال الكاشفي: [صومعهاي راهبان وكليساهاي ترسايان وكنشتهاي جهودان] سميت بالصلوات لأنها تصلى فيها.

قال الراغب: يسمى موضع العبادة بالصلاة ولذلك سميت الكنائس صلوات.

وقال بعضهم: هي كلمة معربة وهي بالعبرية «صلوثا» بالثاء المثلثة وهي في لغتهم بمعنى المصلى ﴿ومساجد﴾ للمسلمين في أيام شريعة محمد ﷺ وقدم ما سوى المساجد عليها في الذكر لكونه أقدم في الوجود بالنسبة إليها. وفي «الأسئلة المقحمة»: تقديم الشيء بالذكر لا يدل على شرفه كقوله تعالى: ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢] ﴿يذكر فيها اسم الله كثيراً﴾ أي ذكراً كثيراً أو وقتاً كثيراً صفة مادحة للمساجد خصت بها دلالة على فضلها وفضل أهلها ويجوز أن يكون صفة للأربع لأن الذكر في الصوامع والبيع والصلوات كان معتبراً قبل انتساخ شرائع أهلها.

وفي الآية إشارة إلى أنه تعالى لو لم ينصر القلوب على النفوس ويدافع عن القلوب استيلاء النفوس لهدمت صوامع أركان الشريعة وبيع آداب الطريقة وصلوات مقامات الحقيقة ومساجد القلوب التي يذكر فيها اسم الله كثيراً فإن الذكر الكثير لا يتسع إلا في القلوب الواسعة المنورة بنور الله. ﴿ولينصرن الله من ينصره﴾ أي: بالله لينصرن الله من ينصر أولياءه أو من ينصر دينه ولقد أنجز الله وعده حيث سلط المهاجرين والأنصار على صناديد العرب وأكاسرة العجم وقياصرة الروم وأورثهم أرضهم وديارهم. ﴿إن الله لقوي﴾ على كل ما يريده. ﴿عزيز﴾ لا يمانعه شيء ولا يدافعه، وفي «بحر العلوم»: يغني بقدرته وعزته في إهلاك أعداء دينه عنهم وإنما كلفهم النصر باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح في مجاهدة الأعداء وبذل الأرواح والأموال لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الأمر فيها إلى منافع دينية ودنيوية.

فإن قلت فإذا كان الله قوياً عزيزاً غالباً غلبة لا يجد معها المغلوب نوع مدافعة وانفلات فما وجه انهزام المسلمين في بعض وقد وعدهم النصرة.

قلت: إن النصرة والغلبة منصب شريف فلا يليق بحال الكافر لكن الله تعالى تارة يشدد المحنة على الكفار وأخرى على المؤمنين لأنه لو شدد المحنة على الكفار في جميع الأوقات وأزالها عن المؤمنين في جميع الأوقات لحصل العلم الاضطراري بأن الإيمان حق وما سواه باطل ولو كان كذلك لبطل التكليف والثواب والعقاب فلهذا المعنى تارة يسلط الله المحنة على أهل الإيمان وأخرى على أهل الكفر لتكون الشبهات باقية والمكلف يدفعها بواسطة النظر في الدلائل الدالة على صحة الإسلام فيعظم ثوابه عند الله ولأن المؤمن قد يقدم على بعض المعاصي فيكون تشديد المحنة عليه في الدنيا كفارة له في الدنيا وأما تشديد المحنة على الكافر فإنه يكون غضباً من الله كالطاعون مثلاً فإنه رحمة للمؤمنين ورجز أي عذاب وغضب للكافرين.

مرّ عامر برجل قد صلبه الحجاج قال: يا رب إن حلمك على الظالمين أضر بالمظلومين، فرأى في منامه أن القيامة قد قامت وكأنه دخل الجنة فرأى المصلوب فيها في أعلى عليين فإذا منادٍ ينادي حلمي على الظالمين أحل المظلومين في أعلى عليين.

واعلم أن الله تعالى يدفع في كل عصر مدبراً بمقبل ومبطلاً بمحق وفرعوناً بموسى ودجالاً بعيسى فلا تستبطيء ولا تنضجر. قال الحافظ:

اسم أعظم بكند كارخود أي دل خوش باش   كه بتلبيس وحيل ديو سليمان نشود

قال بعض الكبار: الأمراء يقاتلون في الظاهر وأولياء الله في الباطن فإذا كان الأمير في قتاله محقاً والطرف المقابل مستحقاً للعقوبة أعانه رجال الغيب من الباطن وإلا فلا.

وفي التوراة في حق هذه الأمة: أناجيلهم في صدورهم أي يحفظون كتابهم لا يحضرون قتالاً إلا وجبريل عليه السلام معهم وهو يدل على أن كل قتال حق يحضره جبريل ونحوه إلى قيام الساعة بل القتال إذا كان حقاً فالواحد يغلب الألف. قال الحافظ:

تيغي كه آسمانش ازفيض خود دهد آب   تنها جهان بكيرد بي منت سپاهي

﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾

﴿الذين إن مكناهم في الأرض﴾ وصف من الله للذين أخرجوا من ديارهم بما سيكون منهم من حسن السيرة عند تمكينه تعالى إياهم في الأرض وإعطائه إياهم زمام الأحكام **﴿أقاموا الصلاة﴾** لتعظيمي.

قال الراغب: كل موضع مدح الله بفعل الصلاة أو حث عليه ذكر بلفظ الإقامة ولم يقل المصلين إلا في المنافقين نحو: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾﴾ [الماعون: ٤] وإنما خص لفظ الإقامة تنبيهاً على أن المقصود من فعلها توفية حقوقها وشرائطها لا الإتيان بهيئتها فقط ولهذا روي أن المصلين كثير والمقيمين لها قليل **﴿وآتوا الزكاة﴾** لمساعدة عبادي **﴿وأمروا بالمعروف﴾** وكل ما عرف حسنه شرعاً وعرفاً. **﴿ونهوا عن المنكر﴾** هو ما يستقبحه أهل العلم والعقل السليم.

قال الراغب: المعروف اسم لكل فعل يعرف بالعقل والشرع حسنه والمنكر ما ينكر بهما.

وفي الآية إشارة إلى أن وصف القلوب المنصورة أنهم إن مكنهم الله في أرض البشرية استداموا المواصلات وآتوا زكاة الأحوال وهي أن يكون من مائتي نفس من أنفاسهم مائة وتسعة وتسعون ونصف جزء منها لهم والباقي إيثار على خلق الله في الله مهما كان زكاة أموال الأغنياء من مائتي درهم خمسة للفقراء والباقي لهم وأمروا بالمعروف حفظ الحواس عن مخالفة أمره ومراعاة الأنفاس معه إجلالاً لقدره ونهوا عن المنكر ومن وجوه المنكرات الرياء والإعجاب والمساكنة والملاحظة **﴿ولله﴾** خاصة **﴿عاقبة الأمور﴾** فإن مرجعها إلى حكمه وتقديره فقط: يعني [انجام امور آن كه اوميخواهد].

اين دولت فقر وها وهو ميخواهد   وأن كلشن وحوض وآب جوميخواهد
از حق همه كس حال نكو ميخواهد   آنست سرانجام كه أوميخواهد

وعن ابن عباس رضي الله عنهما رفعه إلى النبي عليه السلام: «أن من أشراط الساعة إماتة الصلوات واتباع الشهوات والميل إلى الهوى ويكون أمراء خونة ووزراء فسقة» فوثب سلمان فقال: بأبي وأمي إن هذا لكائن قال: «نعم يا سلمان عندها يذوب قلب المؤمن كما يذوب الملح في الماء ولا يستطيع أن يغير» قال: أو يكون ذلك؟ قال: «نعم يا سلمان إن أذل الناس يومئذٍ المؤمن يمشي بين أظهرهم بالمخالفة إن تكلم أكلوه وإن سكت مات بغيظه». قال عمر رضي الله عنه للنبي عليه السلام: أخبرني عن هذا السلطان الذي ذلت له الرقاب وخضعت له الأجساد ما هو فقال: «ظل الله في الأرض فإذا أحسن فله الأجر وعليكم الشكر وإذا أساء فعليه الاصر وعليكم الصبر» وفي الحديث: «عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة»، قال الحافظ:

شاه رابه بود از طاعت صد ساله وزهد — قدر يكساعت عمري كه درو داد كند

قال الشيخ سعدي قدس سره:

بقومي كه نيكي پسندد خداي — دهد خسر وعادل نيك رأي

چوخواهدكه ويران كند عالمي — كند ملك درنپچة ظالمي

نخواهي كه نفرين كنند ازپست — نكو باش تابد نكويد كست

نخفتست مظلوم ازآهش بترس — زدود دل صبحكا هش بترس

نترسي كه پاك اندروني شبي — بر آرد ز سوز جكر يا ربي

نمى ترسي أي كرك ناقص خرد — كه روزي پلنكيت برهم درد

ألا تابغفلت نخسبي كه نوم — حرامست برچشم سالار قوم

غم زير دستان بخور زينهار — بترس از زبر دستيء روزكار

وعن ازدشير لا سلطان إلا برجال ولا رجال إلا بمال ولا مال إلا بعمارة ولا عمارة إلا بعدل وحسن سياسية قيل السياسة أساس الرياسة.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ۖ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿**وإن يكذبوك**﴾ يا محمد وصيغة المضارع في الشرط مع تحقق التكذيب لما أن المقصود تسليته عليه السلام عما يترتب على التكذيب من الحزن المتوقع أي وإن تحزن على تكذيب قومك إياك فاعلم أنك لست بأوحدي في ذلك. ﴿**فقد كذبت قبلهم**﴾ قبل تكذيبهم. ﴿**قوم نوح**﴾ أي: نوحاً ﴿**وعاد**﴾ أي: هوداً ﴿**وثمود**﴾ أي: صالحاً ﴿**وقوم إبراهيم**﴾ أي: إبراهيم ﴿**وقوم لوط**﴾ أي: لوطاً.

﴿**وأصحاب مدين**﴾ أي: شعيباً ومدين كان ابناً لإبراهيم عليه السلام ثم صار علماً لقرية شعيب ﴿**وكذب موسى**﴾ كذبه القبط واصروا إلى وقت الهلاك وأما بنو إسرائيل فإنهم وإن قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحوه فما استمروا على العناد بل كلما تجدد لهم المعجزة جددوا الإيمان هكذا ينبغي أن يفهم هذا المقال وغير النظم بذكر المفعول وبناء الفعل له للإيذان بأن تكذيبهم له كان في غاية الشناعة لكون آياته في كمال الوضوح. ﴿**فأمليت للكافرين**﴾ أمهلتهم إلى أجلهم المسمى ﴿**ثم أخذتهم**﴾ أي: أخذت كل فريق من فرق المكذبين بعد انقضاء مدة إملائه وامهاله بعذاب الطوفان والريح الصرصر والصيحة وجند البعوض والخسف والحجارة وعذاب يوم الظلة والغرق في بحر القلزم.

قال الراغب: الأخذ وضع الشيء وتحصيله وذلك تارة بالتناول نحو معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده وتارة بالقهر ومنه الآية. ﴿**فكيف كان نكير**﴾ أي: انكاري عليهم بتغيير النعمة محنة والحياة هلاكاً والعمارة خراباً أي فكان ذلك في غاية الهول والفظاعة، فمعنى الاستفهام التقرير ومحصول الآية قد أعطيت هؤلاء الأنبياء ما وعدتهم من النصرة فاستراحوا فاصبر أنت إلى هلاك من يعاديك فتستريح ففي هذا تسلية للنبي عليه السلام.

﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾

﴿فكأين من قرية﴾

قال المولى الجامي في «شرح الكافية»: من الكناية كأين وإنما بني لأن كاف التشبيه دخلت على أي وأي كان في الأصل معربا لكنه انمحى عن الجزأين معناهما الإفرادي فصار المجموع كاسم مفرد بمعنى كم الخبرية فصار كأنه اسم مبني على السكون آخره نون ساكنة كما في من لا تنوين تمكن ولهذا يكتب بعد الياء نون مع أن التنوين لا صورة له في الخط انتهى.

والمعنى فكثير من القرى: وبالفارسية: [پس بسياردیه وشهر] وهو مبتدأ وقوله: **﴿أهلكناها﴾** خبره **﴿وهي ظالمة﴾** جملة حالية من قوله اهلكناها والمراد ظلم أهلها بالكفر والمعاصي وهو بيان لعدله وتقدسه عن الظلم حيث أخبر بأنه لم يهلكهم إلا إذا استحقوا الإهلاك بظلمهم. **﴿فهي خاوية﴾** عطف على أهلكناها والمراد بضمير القرية حيطانها والخواء بمعنى السقوط من خوى النجم إذا سقط أي ساقطة حيطان تلك القرية. **﴿على عروشها﴾** أي سقوفها بأن تعطل بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف فالعروش السقوف لأن كل مرتفع أظلك فهو عرش سقفاً كان أو كرماً أو ظلة أو نحوها.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى خراب قلوب أهل الظلم فإن الظلم يوجب خراب أوطان الظالم فيخرب أولاً أوطان راحة الظالم وهو قلبه فالوحشة التي هي غالبة على الظلمة من ضيق صدورهم وسوء أخلاقهم وفرط غيظهم على من يظلمون عليهم كل ذلك من خراب أوطان راحاتهم وهي في الحقيقة من جملة العقوبات التي تلحقهم على ظلمهم ويقال: خراب منازل الظلمة ربما يستأخر وربما يستعجل وخراب نفوسهم في تعطلها عن العبادات بشؤم ظلمها كما قال: **﴿فهي خاوية على عروشها﴾** وخراب قلوبهم باستيلاء الغفلة عليهم خصوصاً في أوقات صلواتهم وأوان خلواتهم غير مستأخر. **﴿وبئر معطلة﴾** البئر في الأصل، حفيرة يستر رأسها لئلا يقع فيها من مر عليها وعطلت المرأة وتعطلت إذا لم يكن عليها حلي فهي عاطل والتعطيل التفريغ، يقال لمن جعل العالم بزعمه فارغاً من صانع أتقنه وزينه معطل وهو عطف على قرية أي وكم بئر عامرة في البوادي، أي فيها الماء ومعها آلات الاستقاء إلا أنها تركت لا يستقى منها لهلاك أهلها. **﴿وقصر﴾** يقال: قصرت كذا ضممت بعضه بعضه إلى بعض ومنه سمي القصر.

قال في «القاموس»: القصر خلاف الطول وخلاف المد والمنزل وكل بيت من حجر وعلم لسبعة وخمسين موضعاً ما بين مدينة وقرية وحصن ودار أعجبها قصر بهرام جور من حجر واحد قرب همذان. **﴿مشيد﴾** مبني بالشيد أخليناه عن ساكنيه، وأهل المدينة يسمون الجص شيداً وقيل: مشيد أي مطول مرفوع البنيان وهو يرجع إلى الأول كما في «المفردات» ويقال: شيد قواعده أحكمها كأنه بناها بالشيد. وفي «القاموس»: شاد الحائط يشيده طلاه بالشيد وهو ما طلي به حائط من جص ونحوه والمشيد المعمول به وكمؤيد المطول روي أن هذه بئر نزل عليها صالح النبي عليه السلام مع أربعة آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله من العذاب وهي بحضرموت وإنما سمي بذلك لأن صالحاً حين حضرها، مات وثمة بلدة عند البئر اسمها حاضوراء، بناها قوم صالح وأمروا عليهم جليس بن جلاس وأقاموا بها زماناً ثم كفروا وعبدوا صنماً فأرسل الله عليهم حنظلة بن صفوان، نبياً وكان حمالاً فيهم فقتلوه في السوق فأهلكهم الله وعطل بئرهم وخرب قصورهم.

قال الإمام السهيلي: قيل: إن البئر الرس وكانت بعدن لأمة من بقايا ثمود وكان لهم ملك عدل حسن السيرة يقال له العلس وكانت البئر تسقي المدينة كلها وباديتها وجميع ما فيها من الدواب والغنم والبقر وغير ذلك لأنها كانت لها بكرات كثيرة منصوبة عليها ورجال كثيرون موكلون بها وإبازن بالنون من رخام وهي تشبه الحياض كثيرة تملأ للناس وآخر للدواب، وآخر للغنم والبقر والهوام، يستقون عليها بالليل والنهار يتداولون ولم يكن لهم ماء غيره فطال عمر الملك، فلما جاءه الموت طلي بدهن لتبقى صورته ولا يتغير وكذلك يفعلون إذا مات منهم الميت وكان ممن يكرم عليهم فلما مات شق ذلك عليهم ورأوا أن أمرهم قد فسد وضجوا جميعاً بالبكاء واغتنمها الشيطان منهم، فدخل في جثة الملك بعد موته بأيام كثيرة فكلمهم فقال: إني لم أمت ولكني قد تغيبت عنكم حتى أرى صنيعكم بعدي، ففرحوا أشد الفرح وأمر خاصته أن يضربوا له حجاباً بينه وبينهم يكلمهم من ورائه كيلا يعرف الموت في صورته ووجهه فنصبوه صنماً من وراء حجاب لا يأكل ولا يشرب وأخبرهم أنه لا يموت أبداً وأنه إله لهم وذلك كله يتكلم به الشيطان على لسانه فصدق كثير منهم وارتاب بعضهم وكان المؤمن المكذب منهم أقل من المصدق فكلما تكلم ناصح منهم زجر وقهر فاتفقوا على عبادته فبعث الله تعالى لهم نبياً كان الوحي ينزل عليه في النوم دون اليقظة وكان اسمه حنظلة بن صفوان فأعلمهم أن الصورة صنم لا روح له وأن الشيطان فيه وقد أضلهم وأن الله تعالى لا يتمثل بالحلق وأن الملك لا يجوز أن يكون شريكاً لله وأوعدهم ونصحهم وحذرهم سطوة ربهم ونقمته فآذوه وعادوه حتى قتلوه وطرحوه في بئر فعند ذلك حلت عليهم النقمة فباتوا شباعاً رواء من الماء وأصبحوا والبئر قد غار ماؤها وتعطل رشاؤها فصاحوا بأجمعهم وضج النساء والولدان وضجت البهائم عطشاً حتى عمهم الموت، وشملهم الهلاك، وخلفهم في أرضهم السباع وفي منازلهم الثعالب والضباع، وتبدلت بهم جناتهم وأموالهم بالسدر والشوك، شوك العضاة والقتاد فلا تسمع فيها إلا عزيف الجن وزئير الأسد نعوذ بالله من سطوته ومن الإصرار على ما يوجب نقماته.

وأما القصر المشيد: فقصر بناه شداد بن عاد بن إرم لم يبن في الأرض مثله فيما ذكر وحاله كحال هذه البئر المذكورة في إيحاشه بعد الإنس وإقفاره بعد العمران، وإن أحداً لا يستطيع أن يدنو منه على أميال لما يسمع فيه من عزيف الجن والأصوات المنكرة بعد النعيم والعيش الرغيد، وبها الملك وانتظام الأهل كالسلك فبادوا وما عادوا فذكرهم الله تعالى في هذه الآية موعظة وذكراً وتحذيراً من سوء عاقبة المخالفة والمعصية.

قال الكاشفي: [در تيسير آورده كه پادشاهي كافر بر وزير مسلمان غضب كرد وخواست اورا بكشد وزير بكريخت باچهار هزاركس ازاهل إيمان ودرپايان كوه حضرموت كه هواي خوش داشت منزل ساخت هرچند چاه كندند آب تلخ بيرون آمديكي ازرجال الغيب بديشان رسيده موضعي جهت چاه نشان كرد چون بكندند آبي درغايت صفا لطافت ونهايت رقت وعذوبت بيرون آمد.

درمزه چون شيرة شاخ نبات　　در خوشي همشيرة آب حيات

ايشان آن چاه راكشاده ساختند وازپايان تابالابخشتهاي زر ونقره برآوردند وپرستش پرور دكار خود مشغول كشتند بعد ازمدتي متمادي شيطان بصورت عجوز صالحه برآمد زنانرا دلالت

كرد برآنكه بوقت غيبت شوهران سحاقي اشتغال كند وديكر باره بشكل مردي زاهد برايشان ظاهر شدمردانرا بوقت دوري ازواج ازايشان باتيان بهائم ثم فرمود وچون اين عمل قبيح درميان ايشان بديد آمد حق سبحانه حنظلة يا قحافة بن صفوان رابه پيغمبري بديشان فرستاد وبدو نكرديدند آب ايشان غائب شد وبعد ازوعدة إيمان پيغمبر دعا فرموده آب بازآمد وهم فرمان نبردند حق تعالى فرمودكه بعد ازهفت سال وهفت ماه وهفت روز عذاب بديشان ميفرستم ايشان قصر مشيدرا بناكردند بخشتهاي زر ونقره ويواقيت وجواهر مرصع ساختند وبعد ازانقضاي زمانه مهلت رجوع بآن قصر كرده درها فروبستند وجبرائيل فرود آمد وايشانرا بكوشك برزمين فرو برد وچاه ايشان مانده است ودود سياه منتن ازانجا برمي آمد ودران نواحي نالة هلاك شد كان ميشنوند].

نه هركز شنيدم درين عمر خويش — كه بدمردرا نيكي آمد به پيش
رطب ناورد چوب خرزهره بار — چه تخم افكني برهمان چشم دار
غم وشاد ماني نماند وليك — جزاي عمل ماند ونام نيك

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾

﴿أفلم يسيروا﴾ أي: كفار مكة، أي أغفلوا فلم يسافروا ﴿في الأرض﴾ في اليمن والشام ليروا مصارع المهلكين. ﴿فتكون لهم﴾ بسبب ما يشاهدونه من مواد الاعتبار وهو منصوب على جواب الاستفهام وهو في التحقيق منفي. ﴿قلوب يعقلون بها﴾ ما يجب أن يعقل من التوحيد ﴿أو آذان يسمعون بها﴾ ما يجب أن يسمع من أخبار الأمم المهلكة ممن يجاورهم من الناس فإنهم أعرف منهم بحالهم وهم وإن كانوا قد سافروا فيها ولكنهم حيث لم يسافروا للاعتبار جعلوا غير مسافرين فحثوا على ذلك فالاستفهام للإنكار. ﴿فإنها﴾ أي القصة وبالفارسية [پس قصه اينست] ﴿لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ أي: ليس الخلل في مشاعرهم وإنما هو في عقولهم باتباع الهوى والانهماك في الغفلة، وبالفارسية [نابينا نشود ديدهاي حس يعني در مشاعر ايشان خلل نيست همه چيز مي بينند ولكن نابينا شود از مشاهدة اعتبار آن دلها كه هست درسينها يعني جشم دل إيشان پوشيده است ازمشاهدة أحوال كذشتكان لا جرم بدان عبرتي نمى كيرند] أولا يعتد بعمى الأبصار فكأنه ليس بعمى بالإضافة إلى عمى القلوب والعمى يقال في افتقاد البصر وافتقاد البصيرة وذكر الصدور للتأكيد ونفي التجوز قصداً للتنبيه على أن العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يختص بالبصر، وفي الحديث: «ما من عبد إلا وله أربع أعين عينان في رأسه يبصر بهما أمر دنياه، وعينان في قلبه يبصر بهما أمر دينه»، وأكثر الناس عميان بصر القلب لا يبصرون به أمر دينهم.

چشم دل بكشا ببين بي انتظار — هر طرف آيات قدرت آشكار
چشم سر جزپوست خود چيزي نديد — چشم سردر مغز هرچيزي رسيد

قال في «حقائق البقلي»: قدس سره: الجهال يرون الأشياء بأبصار الظاهر وقلوبهم محجوبة عن رؤية حقائق الأشياء التي هي تابعة أنوار الذات والصفات أعماهم الله بغشاوة الغفلة وغطاء الشهوة.

قال سهل: اليسير من نور بصر القلب يغلب الهوى والشهوة فإذا عمي بصر القلب عما فيه غلبت الشهوة وتواترت الغفلة فعند ذلك يصير البدن متخبطاً في المعاصي غير منقاد للحق بحال.

وفي «التأويلات النجمية»: في الآية إشارة إلى أن العقل الحقيقي إنما يكون من نتائج صفاء القلب بعد تصفية حواسه عن العمى والصمم فإذا صح وصف القلوب بالسمع والبصر صح وصفها بسائر صفات الحي من وجوه الإدراكات فكما تبصر القلوب بنور اليقين تدرك نسيم الإقبال بمشام السر وفي الخبر: «إني لأجد نفس الرحمٰن من قبل اليمن» وقال تعالى خبراً عن يعقوب عليه السلام: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٩٤] وما كان ذلك إلا بإدراك السرائر دون اشتمام ريح في الظاهر فعلى العاقل أن يجتهد في تصفية الباطن وتجلية القلب وكشف الغطاء عنه بكثرة ذكر الله تعالى وعن مالك بن أنس رضي الله عنه بلغني أن عيسى ابن مريم عليهما السلام قال: «لا تكثروا الكلام في غير ذكر الله فتقسو قلوبكم والقلب القاسي بعيد من الله ولكن لا تعلمون».

وقال مالك بن دينار من لم يأنس بحديث الله عن حديث المخلوقين فقد قل عمله وعمي قلبه وضاع عمره، وفي الحديث: «لكل شيء صقالة وصقالة القلب ذكر الله».

وقال أبو عبد الله الأنطاكي: دواء القلب خمسة أشياء: مجالسة الصالحين وقراءة القرآن وإخلاء البطن وقيام الليل والتضرع عند الصبح كذا في «تنبيه الغافلين».

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾.

﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ كانوا يقولون له عليه السلام ائتنا بما وعدتنا إن كنت من الصادقين: والمعنى بالفارسية [وبشتاب ميخواهند ازتوكافران مكة چون نضر بن حارث وإضراب أو يعني تعجيل مينمايند بطريق استهزاء وتعجيز بنزول عذاب موعود].

قال في «التأويلات النجمية»: يشير إلى عدم تصديقهم كما قال تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ [الشورى: ١٨] ولو آمنوا لصدقوا ولو صدقوا لسكتوا عن الاستعجال وهو طلب الشيء وتحريه قبل أوانه. ﴿ولن يخلف الله وعده﴾ أبداً وقد سبق الوعد فلا بد من مجيئه حتماً وقد أنجز الله ذلك يوم بدر.

قال في «التأويلات النجمية»: فيه إشارة إلى أن الخلف في وعيد الكفار لا يجوز كما أن الخلف في الوعد للمؤمنين لا يجوز الخلف في وعيد المؤمنين لأنه سبقت رحمة الله غضبه في حق المؤمنين ووعدهم بالمغفرة بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] وبقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣] انتهى وأحسن يحيى بن معاذ في هذا المعنى حيث قال الوعد والوعيد حق فالوعد حق العباد على الله ضمن لهم إذا فعلوا ذلك أن يعطيهم كذا ومن أولى بالوفاء من الله والوعيد حقه على العباد قال لا تفعلوا كذا فأعذبكم ففعلوا فإن شاء عفا وإن شاء أخذ لأنه حقه وأولاهما العفو والكرم لأنه غفور رحيم.

قال السري الموصلي:

إذا وعد السرّاء أنجز وعده وإن أوعد الضراء فالعفو مانعه

كذا في «شرح العضد» للجلال الدواني: ثم ذكر أن لهم مع عذاب الدنيا في الآخرة عذاباً

طويلاً وهو قوله: **﴿وإن يوماً عند ربك﴾** أي: من أيام عذابهم **﴿كألف سنة مما تعدون﴾** وذلك أن لليوم مراتب فيوم كالآن وهو أدنى ما يطلق عليه الزمان فمنه يمتد الكل وهو مشار إليه بقوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] فالشأن الإلٰهي بمنزلة الروح يسري في أدوار الزمان ومراتبه سريان الروح في الأعضاء ويوم كخمسين ألف سنة وهو يوم القيامة ويوم كألف سنة وهو يوم الآخرة والخطاب للرسول ومن معه من المؤمنين كأنه قيل: كيف يستعجلون بعذاب ويوم واحد من أيام عذابه في طول ألف سنة من سنيكم إما من حيث طول أيام عذابه حقيقة أو من حيث أن أيام الشدائد مستطالة كما يقال: ليل الفراق طويل وأيام الوصل قصار ويقال: سنة الوصل سنة وسنة الهجر سنة.

ويوم لا أراك كألف شهر وشهر لا أراك كألف عام

قال الحافظ:

آندم كه باتو باشم يكساله هست روزي واندم كه بي تو باشم يك لحظه هست سالي

ويجوز أن يكون قوله: وإن يوماً الخ، متعلقاً بقوله: ولن يخلف الخ والمعنى ما وعده تعالى ليصيبنهم ولو بعد حين لكنه تعالى حليم صبور لا يعجل بالعذاب وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون لكمال حلمه ووقاره وتأنيه، حتى استقصر المدد الطوال شبه المدة القصيرة عنده بالمدة الطويلة عند المخاطبين إشارة إلى أن الأيام تتساوى عنده إذ لا استعجال له في الأمور فسواء عنده يوم واحد وألف سنة، ومن لا يجري عليه الزمان فسواء عليه وجود الزمان وعدم الزمان وقلة الزمان وكثرة الزمان إذ ليس عنده صباح ولا مساء، وبالفارسية: [نزديك خداي تعالى يكروز برابر هزار سالست زيراكه حكم زمان بروجاري نيست پس وجود وعدم وقلت وكثرت آن نزديك خداي يكسانست هركاه كه خواهد عذاب فرستد وبر استعجال زمان عقوبت هيچ اثري مترتب نشود.

تادر نرسد وعدة هركاركه هست هرچند كني جهد بجاني نرسد

فعلى العاقل أن يلاحظ أن كل آت قريب ولا يغتر بالإمهال فإن بطش الله شديد وعذابه لا يطاق ويسارع إلى رضى الله تعالى بامتثال أوامره والاجتناب عن نواهيه وترك الاستهزاء بالدين وأهله بأحكام الله ووعده ووعيده فإن الله صادق في قوله حكيم في فعله وليس للعبد إلا تعظيمه وتعظيم أمره.

﴿وكأين من قرية﴾ وكثير من أهل قرية **﴿أمليت لها﴾** أمهلتها بتأخير العذاب كما أمهلت لهؤلاء. **﴿وهي ظالمة﴾** أي والحال أنها ظالمة مستوجبة لتعجيل العقوبة كدأب هؤلاء. **﴿ثم أخذتها﴾** بالعذاب بعد طول الإمهال: يعني [پس كرفتيم ايشانرا چون توبه نكردند بعذابي سحت دردنيا]. **﴿وإليّ المصير﴾** أي: إلى حكمي مرجع الكل لا إلى أحد غيري لا استقلالاً ولا شركة فأفعل بهم ما يليق بأعمالهم وفيه إشارة إلى أن الإمهال يكون من الله تعالى والإهمال لا يكون فإنه يمهل ولا يهمل ويدع الظالم في ظلمه ويوسع له الحبل ويطيل به المهل فيتوهم أنه يفلت من قبضة التقدير وذلك ظنه الذي أراد ويأخذه من حيث لا يرتقب فيعلوه ندامة ولات حينه، وكيف يستبقي بالحيلة ما حق في التقدير عدمه وإلى الله مرجعه فالظلم من العبد سبب للأخذ من الله فلا يلومن إلا نفسه، قال الحافظ:

توبتقصير خود افتادى ازين محروم ازكه مي نالي وفرياد جرا ميداري

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٤٩) فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٥٠)﴾.

﴿**قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين**﴾ أنذركم إنذاراً بيناً بما أوحي إليّ من أخبار الأمم المهلكة من غير أن يكون لي دخل في إتيان ما توعدونه من العذاب حتى يستعجلوني والاقتصار على الإنذار مع بيان حال الفريقين بعده؛ لأن صدر الكلام ومساقه للمشركين وعقابهم وإنما ذكر المؤمنون وثوابهم زيادة في غيظهم.

قال في «التأويلات النجمية»: يشير إلى إنذار أهل النسيان أي قل لهم يا محمد إني أشابهكم من حيث الصورة لكن أباينكم من حيث السيرة فأنا لمحسنكم بشير ولمسيئكم نذير وقد أيدت بإقامة البراهين ما جئتكم به من وجوه الأمر بالطاعة والإحسان والنهي عن الفجور والعصيان. ﴿**فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة**﴾ تجاوز لذنوبهم﴿**ورزق كريم**﴾ نعيم الجنة: يعني [رزق بي رنج ومنت] والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله.

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ (٥١)﴾.

﴿**والذين سعوا**﴾ أسرعوا واجتهدوا ﴿**في آياتنا**﴾ في رد آياتنا وإبطالها بالطعن فيها ونسبتها إلى السحر والشعر وغير ذلك من الافتراء. ﴿**معاجزين**﴾ حال كونهم يعاجزون الأنبياء وأولياءهم، أي يقابلونهم ويمانعونهم ليصيروهم إلى العجز عن أمر الله أو ظانين أنهم يعجزوننا فلا نقدر عليهم أو معاندين مسابقين من عاجز فلان فلاناً سابقه فعجزه سبقه كما قال الكاشفي: [درحالتي پيشي كيرند كانند برما بكمال خود يعني خواهندكه ازما دركذرند وعذاب ما ازيشان فوت] ﴿**أولئك**﴾ الموصوفون بالسعي والمعاجزة ﴿**أصحاب الجحيم**﴾ أي: ملازمون النار الموقدة وقيل: هو اسم دركة من دركاتها. وفي «المثنوي»:

هركه برشمع خدا آرد تفو ... شمع كي ميرد بسوزد پوزاو
كي شود دريا زپوزسك نجس ... كي شود خورشيد ازپف منطمس

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن من عاند أهل آياته من خواص أوليائه أولئك أصحاب جحيم الحقد والعداوة ورد الولاية والسقوط عن نظر الله وجحيم نار جهنم في الآخرة وإذا أراد الله تعالى بعبد خيراً يحوله عن الإنكار ويوفقه للتوبة والاستغفار. روي: أن رجلاً قال كنت أبغض الصوفية فرأيت بشراً الحافي يوماً قد خرج من صلاة الجمعة فاشترى خبزاً ولحماً مشوياً وفالوذجاً وخرج من بغداد فقلت إنه زاهد البلد فتبعته لأنظر ماذا يصنع وظننت أنه يريد التنعم في الصحراء فمشى إلى العصر فدخل مسجداً في قرية وفيه مريض فجعل يطعمه فذهبت إلى القرية لأنظر ثم جئت فلم أجد بشراً فسألت المريض فقال: ذهب إلى بغداد، فقلت: كم بيني وبين بغداد، قال: أربعون فرسخاً، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون ولم يكن عندي ما أكتري به وأنا عاجز عن المشي فبقيت إلى جمعة أخرى فجاء بشر ومعه طعام للمريض فقال المريض: يا أبا نصر رد هذا الرجل إلى منزله فنظر إليّ مغضباً وقال: لم صحبتني فقلت: أخطأت فأوصلني إلى محلتي فقال: اذهب ولا تعد فتبت إلى الله وأنفقت الأموال وصحبتهم، وفي الحكاية إشارت منها أن كرامات الأولياء حق ومنها أن إنكار ما ليس للعقل فيه مجال خطأ ومنها أن الرجوع إلى باب وارث الرسول ينظم العبد في سلك القبول. قال الحافظ:

كليد كنج سعادت قبول أهل دلست ... مبادكس كه درين نكته شك وريب كند

قال بعض الكبار: الاستمداد من أهل الرشاد وإن كان صالحاً عظيماً في نيل المراد إلا أن حسن الاعتقاد مع مباشرة الأسباب يسهل الأمور الصعاب ويوصل إلى رب الأرباب والله مفتح الأبواب والهادي إلى سبيل الصواب.

وقال بعضهم: المنكر على العلماء بالله إنما أنكر لقصور فهمه وقلة معرفته، فإن علومهم مبنية على الكشف والعيان وعلوم غيرهم من الخواطر الفكرية والأذهان وبداية طريقهم التقوى والعمل الصالح وبداية طريق غيرهم مطالعة الكتب والاستمداد من المخلوقين في حصول المصالح ونهاية علومهم الوصول إلى شهود حضرة الحي القيوم ونهاية علوم غيرهم تحصيل الوظائف والمناصب والخصام الذي لا يدوم فلا طريق إلا طريق السادة الأئمة الهداة القادة.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾

﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي﴾ هذا دليل بين على تغاير الرسول والنبي والرسول إنسان أرسله الله إلى الخلق لتبليغ رسالته وتبيين ما قصرت عنه عقولهم من مصالح الدارين وقد يشترط فيه الكتاب بخلاف النبي فإنه أعم ويعضده ما روي أنه عليه السلام سأل عن الأنبياء فقال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً» قيل: فكم الرسل منهم قال: «ثلاثمائة وثلاثة عشر جماً غفيراً» وفي رواية «مائتا ألف وأربعة وعشرون ألفاً».

وقال القهستاني: الرسول من بعث لتبليغ الأحكام ملكاً كان أو إنساناً بخلاف النبي فإنه مختص بالإنسان.

قال الكاشفي في «تفسيره»: [در بعض تفاسير قصة إلقاء الشيطان درامنيت پيغمبر وبر وجهي آورده اندكه مرضى أهل تحقيق نيست وما از تأويلات علم الهدى وتيسير وديكر كتب معتبره چون معتمد في المعتقد وذروة الأحباب مدت أنوار جمال مؤلفه إلى يوم الحساب آنرا انيجا ايراد كرديم بطريقي كه موافق أهل سنت است آورده اندكه چون والنجم نازل شد سيد عالم عليه السلام آنرادر مسجد الحرام در مجمع قريش ميخواند ودرميان آيتها توقف مي نمود تامردم تلقي نموده ياد كيرند پس طريق مذكور بعد ازتلاوت آيت. ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم: ١٩ـ٢٠] متوقف شد وشيطان دران ميان مجال يافت بكوش مشركان رسانيدكه تلك الغرانيق العلى وأن شفاعتهن لترتجي حاصل معنى آنكه ايشان بزركان يامرغان بلند پروازند واميد بشفاعت ايشان ميتوان داشت كفار باستماع أين كلمات خوش دل شده پنداشتندكه حضرت پيغمبر خواند وبتان ايشانرا ستايش كرد لا جرم در آخر سوره كه آن حضرت بامؤمنان سجده كردند أهل شرك اتفاق كردند جبرائيل فرود آمد وصورت حال بعرض رسانيد ودل مبارك حضرت بسيار اندوهناك شد وحق تعالى جهت تسليت خاطر عاطر سيد عالم آيت فرستاد وفرمود وما أرسلنا الخ] **﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى﴾** أي قرأ.

قال في «القاموس»: تمنى الكتاب قرأه.

قال الراغب: التمني تقدير شيء في النفس وتصويره فيها والأمنية الصورة الحاصلة في النفس من تمني الشيء وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ﴾ [البقرة: ٧٨]

معناه إلا تلاوة مجردة عن المعرفة من حيث أن التلاوة بلا معرفة المعنى تجري عند صاحبها مجرى أمنية تمناها على التخمين ﴿ألقى الشيطان في أمنيته﴾ أي: قراءته كما فسره الراغب وغيره.

قال الكاشفي: [بيفكند شيطان نزديك تلاوت ازآنچه خواست جنانكه بوقت تلاوت حضرت پيغمبر ما عليه السلام شيطاني كه اورا أبيض كويند بهنجار آواز حضرت آن كلمات برخواند وكمان بردند آن تلاوت پيغمبراست]. ﴿فينسخ الله﴾ يزيل ويبطل فالمراد بالنسخ هو النسخ اللغوي لا النسخ الشرعي المستعمل في الأحكام. ﴿ما يلقي الشيطان﴾ من كلمات الكفر ﴿ثم يحكم الله﴾ يثبت. ﴿آياته﴾ التي تلاها الأنبياء عليهم السلام، حتى لا يجد أحد سبيلاً إلى إبطالها ﴿والله عليم﴾ بما أوحي وبما ألقى الشيطان. ﴿حكيم﴾ ذو الحكيمة في تمكينه من ذلك يفعل ما يشاء ليميز به الثابت على الإيمان من المتزلزل فيه وقولهم: لو جوّز مثل هذا لأدى إلى اشتباه أحوال الأنبياء من حيث أن ما يسمع عند تلاوتهم من قولهم أو من إلقاء الشيطان فيتعذر الاقتداء مدفوع بأن ما ألقى الشيطان أمر ظاهر بطلانه عند المؤمنين المخلصين ألا ترى أن القرآن ورد بإبطال الأصنام فكيف يجوز كون قوله: تلك الغرانيق الخ من القرآن ولو سلم فالنسخ والأحكام والإيقاف على حقيقة الأمر ولو بعد حين يجلي كل مشتبه فيكون إلقاء الشيطان من باب الامتحان والتعليل الآتي يرفع النقاب ويهدي المتردد إلى طريق الصواب وهو قوله:

﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾.

﴿ليجعل﴾ أي: مكنه الله من الإلقاء في قراءة النبي عليه السلام خاصة ليجعل أن تمكينه تعالى إياه من الإلقاء في حق سائر الأنبياء لا يمكن تعليله بما سيأتي فأول الآية عام وآخرها خاص. ﴿ما يلقي الشيطان فتنة﴾ [ازمايشي وابتلايي]. ﴿للذين في قلوبهم مرض﴾ أي: شك ونفاق لأنه مرض قلبي مؤد إلى الهلاك الروحاني كما أن المرض القلبي مؤد إلى الهلاك الجسماني. ﴿والقاسية قلوبهم﴾ أي المشركين والقسوة غلظ القلب وأصله من حجر قاس والمقاساة معالجة ذلك.

قال الكاشفي: [مرد آنست منافق ومشرك از ألقاي شيطان درشك وخلاف افتند] ﴿وإن الظالمين﴾ أي: المنافقين والمشركين وضع الظاهر موضع ضميرهم تسجيلاً عليهم بالظلم. ﴿لفي شقاق﴾ خلاف ﴿بعيد﴾ عن الحق، أي لفي عداوة شديدة ومخالفة تامة ووصف الشقاق بالبعد مع أن الموصوف به حقيقة هو معروضة للمبالغة. ﴿وليعلم الذين أوتوا العلم أنه﴾ أي: القرآن.

وفي «التفسير الجلالين»: أن الذي أحكم الله من آيات القرآن. ﴿الحق من ربك﴾ أي هو الحق النازل من عنده ليس للشيطان مجال تصرف فيه من حق الأمر إذا ثبت ووجب. ﴿فيؤمنوا به﴾ القرآن أي يثبتوا على الإيمان به أو يزدادوا إيماناً برد ما يلقي الشيطان وهو عطف على قوله ليعلم ﴿فتخبت له قلوبهم﴾ تخشع وتتواضع وقد مر بيان الإخبات في هذه السورة.

قال الكاشفي: [پس نرم شود براي قرآن دلهاي ايشان وأحكام آنرا قبول كنند] ﴿**وإن الله لهادي الذي آمنوا**﴾ أي في الأمور الدينية خصوصاً في المداحض والمشكلات التي من جملتها ما ذكر ﴿**إلى صراط مستقيم**﴾ هو النظر الصحيح الموصل إلى الحق الصريح.

وفي «التأويلات النجمية»: إن الله ليبتلي المؤمن المخلص بفتنة وبلاء ويرزقه حسن بصيرة يميز بها بين الحق والباطل فلا يظله غمام الريب وينجلي عنه غطاء الغفلة فلا يؤثر فيه دخان الفتنة والبلاء كما لا تأثير للضباب الغداة في شعاع الشمس عند متوع النهار أي ارتفاعه وأن الهداية من الله ومن تأييده لا من الإنسان وطبعه وأن من وكله الله إلى نفسه وخذله بطبعه لا يزول عنه الشك والكفر والضلالة إلى الأبد ولو عالجه الصالحون. قال المولى الجامي:

آنراكه زمين كشد درون چون قارون ني موسيش آورد برون ني هارون
فاسد شده راز روزكار وارون لا يمكن أن يصلحه العطارون

وقال الشيخ:

توان پاك كردن زژنك آينه وليكن نيايد زسنك آينه

فعلى العاقل أن يستسلم لأمر القرآن المبين ويجتهد في إصلاح النفس الأمارة إلى أن يأتي اليقين فإن النفس سحارة ومكارة ومحتالة وغدارة. قال الشيخ المغربي:

ملك بودكه افتاد درچه بابل چه سحرها ست درين قعر جاه بابل ما

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرْيَةٖ مِّنۡهُ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾﴾.

﴿**ولا يزال الذين كفروا في مرية منه**﴾ أي: في شك وجدال من القرآن.

قال الراغب: المرية التردد في الأمر وهي أخص من الشك. ﴿**حتى تأتيهم الساعة**﴾ القيامة وقد سبق وجه تسميتها بها مراراً. ﴿**بغتة**﴾ فجاءت على غفلة منهم. وبالفارسية [ناكهان] ﴿**أو يأتيهم عذاب يوم عقيم**﴾ أصل العقم اليبس المانع من قبول الأثر والعقيم من النساء التي لا تقبل ماء الفحل والمعنى عذاب يوم لا يوم بعده كأن كل يوم يلد ما بعده من الأيام فما لا يوم بعده يكون عقيماً والمراد به الساعة أيضاً بشهادة ما بعد الآية من تخصيص الملك فيه بالله والحكم بين الفريقين كأنه قيل أو يأتيهم عذابها فوضع ذلك موضع ضميرها لمزيد التهويل كذا في «الإرشاد».

يقول الفقير: إن الساعة شفعت في القرآن بالعذاب الدنيوي في مواضع كثيرة كما في قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ﴾ [يوسف: ١٠٧] وفي قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ [مريم: ٧٥] ونحوها فالظاهر أن اليوم العقيم يوم لا يلد خيراً وليس لهم فيه فرج ولا فرح أصلاً كيوم بدر ونحوه ولما كان زمان الموت آخر زمان من أزمنة الدنيا وأول زمان من أزمنة الآخرة أثبت فيه تخصيص التصرف بالله والحكم بين الفريقين في الآية الآتية من حيث اتصال زمان الموت بزمان القيامة.

﴿**الملك**﴾ أي: السلطان القاهر والاستيلاء التام والتصرف على الإطلاق. وبالفارسية [پادشاهي وفرمان دهي]. ﴿**يومئذٍ**﴾ يوم إذ تأتيهم الساعة أو العذاب ﴿**لله**﴾ وحده بلا شريك

أصلاً لا مجازاً ولا حقيقة. يعني [امروز ملوك وسلاطين دعوى سلطنت وملك داري ميكنند دران روز كمر تكبر أزميان متجبران بكشايند وتاج ازسر خسروان بربايند ودعويها منقطع وكمالها مرتفع كردد ومالك ملك رخت تخيلات وتصورات ملوك را در قعر درياي عدم أفكند ورسوم توهمات وتفكرات سلاطين را بصدمت لمن الملك اليوم درهم شكندهمه را جزا ظهار عبوديت واقرار بعجز وبيچاركي چاره نباشد:

آن سركه صيت افسرش ازچرخ دركذشت روزي بـرآسـتـانـة أو خـاك در شـود

قال الشيخ سعدي قدس سره:

هـمـه تـخـت ومـلـكـي پـذيـرد زوال بـجـز مـلـك فـرمـان ده لا يـزال

قال ابن عطاء الملك على دوام الأوقات وجميع الأحوال له تعالى ولكن يكشف للعوام الملك يومئذٍ لإبراز القهارية والجبارية فلا يقدر أحد أن يجحد ما عاين. ﴿**يحكم بينهم**﴾ كأنه قيل: فماذا يصنع بهم حينئذٍ فقيل: يحكم بين فريقي المؤمنين بالقرآن والمجادلين فيه بالمجازاة ثم فسر هذا الحكم وفصله بقوله: ﴿**فالذين آمنوا**﴾ بالقرآن ولم يجادلوا فيه ﴿**وعملوا الصالحات**﴾ امتثالاً بما أمر في تضاعيفه ﴿**في جنات النعيم**﴾ مستقرون فيها.

قال الكاشفي: [در بوستانهاي ناز ونعمت أند بي رنج ومحنت].

قال الراغب: النعيم النعمة الكثيرة.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾﴾

﴿**والذين كفروا وكذبوا بآياتنا**﴾ أي أصروا على ذلك واستمروا ﴿**فأولئك**﴾ مبتدأ خبره جملة قوله: ﴿**لهم عذاب مهين**﴾، [خوار كننده ورسوا سازنده].

قال السمرقندي: مهين يذهب بعزهم وكبرهم رأساً وبالكلية ويلحقهم من الخزي والصغار ما لا يحيط به الوصف.

قال في «الإرشاد»: ومهين صفة لعذاب مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة وإدخال الفاء في خبر الثاني دون الأول تنبيه على أن إثابة المؤمنين بطريق التفضل لا لإيجاب الأعمال الصالحة إياها وأن عقاب الكافرين بسبب أعمالهم السيئة.

واعلم أن الفصل والحكومة العادلة كائن لا محالة وإن كان الكفار في شك من القرآن وما نطق به من البعث والمجازاة روي أن لقمان وعظ ابنه وقال يا بنيّ إن كنت في شك من الموت فادفع عن نفسك النوم ولن تستطيع ذلك وإن كنت في شك من البعث فإذا نمت فادفع عن نفسك الانتباه ولن تستطيع ذلك فإنك إذ فكرت في هذا علمت أن نفسك بيد غيرك فإن النوم بمنزلة الموت واليقظة بعد النوم بمنزلة البعث بعد الموت فإذا عرف العبد مولاه قبل أمره ونال به عزة لا تنقطع أبداً وهي عزة الآخرة التي تستصغر عندها عزة الدنيا. روي أن عابداً رأى سليمان عليه السلام في عزة الملك فقال: يا ابن داود لقد آتاك الله ملكاً عظيماً فقال سليمان لتسبيحة واحدة خير مما فيه سليمان فإنها تبقى وملك سليمان يفنى فإذا كانت التسبيحة الواحدة أفضل من ملك سليمان فما ظنك بتلاوة القرآن الذي هو أفضل الكتب الإلهية.

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر في «الفتوحات المكية»: يستحب لقارىء القرآن في المصحف أن يجهر بقراءته ويضع يده على الآية يتبعها فيأخذ اللسان حظه من الرفع

ويأخذ البصر حظه من النظر وتأخذ اليد حقها من المس قال: وهكذا كان يتلو ثلاثة من أشياخنا منهم عبد الله بن مجاهد فعلى العاقل أن يجتهد في الوصول إلى أعالي درجات الجنان بالإذكار وتلاوة القرآن.

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾.

﴿والذين هاجروا﴾ فارقوا أوطانهم ﴿في سبيل الله﴾ في الجهاد الموصل إلى جنته ورضاه حسبما يلوح به قوله تعالى: ﴿ثم قتلوا﴾، [پس كشته شدند درجهاد بادشمنان دين] والقتل إزالة الروح عن الجسد لكن إذا اعتبر بفعل المتولي لذلك يقال: قتل وإذا اعتبر بفوت الحياة يقال: موت. ﴿أو ماتوا﴾ أي: في تضاعيف المهاجرة. وبالفارسية [يا بمردن شربت شهادت ناچشيده] ﴿ليرزقنهم الله رزقاً حسناً﴾ مرزوقاً حسناً والمراد نعيم الجنة الغير المنقطع أبداً.

قال الكاشفي: [هر آينه روزي دهد خداي تعالى ايشانرا روزي نيكركه نعيم بهشت است نه تعبي رسد در تحصيل آن ونه علتي بود درتناول آن ونه دغدغة انقطاع باشد دران روزي]. ﴿وإن الله لهو خير الرازقين﴾ فإنه يرزق بغير حساب مع أن ما يرزقه لا يقدر عليه أحد غيره والرزق العطاء الجاري دنيوياً كان أو أخروياً ثم بين مسكنهم بقوله:

﴿ليدخلنهم مدخلاً﴾ اسم مكان أريد به الجنة ﴿يرضونه﴾ لما أنهم يرون فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿وإن الله لعليم﴾ بأحوال كل ﴿حليم﴾ لا يعاجل بعقوبة الأعداء مع غاية الاقتدار روي: أن إبراهيم عليه السلام رأى عاصياً في معصيته فدعا عليه وقال: اللهم أهلكه ثم رأى ثانياً وثالثاً ورابعاً فدعا عليه فقال الله تعالى: يا إبراهيم لو أهلكنا كل عبد عصى ما بقي إلا القليل ولكن إذا عصى أمهلناه فإن تاب قبلناه وإن استغفر أخرنا العذاب عنه لعلمنا أنه لا يخرج عن ملكنا.

قال الكاشفي: [آورده اندكه بعضي ازصحابه كفتند يا رسول الله باجمع برادران ديني بجهاد ميرويم ايشان شهيد ميشوند وبعطيات إلهي اختصاص ميكردند اكر ما بميريم وشهيد نميشويم حال ما چون باشد اين آيت فرود آمد] يعني: سوى في الآية بين المقتول والمتوفى على حاله في الوعد لاستوائهما في العقد وهو التقرب إلى الله ونصرة الدين. ونظيره ما قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر في «الفتوحات المكية»: إنما قال المؤذن قد قامت الصلاة بلفظ الماضي مع أن الصلاة مستقبلة بشرى من الله لعباده لمن جاء إلى المسجد ينتظر الصلاة، أو كان في الطريق آتياً أو كان في حال الوضوء بسببها، أو كان في حال القصد إلى الوضوء قبل الشروع فيه ليصلي بذلك الوضوء فيموت في بعض هذه المواطن قبل وقوع الصلاة منه فبشره الله بأن الصلاة قد قامت له في هذه المواطن كلها فله أجر من صلاها وإن كانت ما وقعت منه فلذلك جاء بلفظ الماضي لتحقق الحصول فإذا حصلت بالفعل أيضاً فله أجر الحصول كذلك وقد ورد أن أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة انتهى روي: أن جنازتين أصيب أحدهما بمنجنيق والآخر توفي فجلس فضالة بن عبيد عند قبر المتوفى فقيل له: تركت الشهيد فلم تجلس عنده فقال: ما أبالي من أي حفريتهما بعثت إن الله تعالى يقول: ﴿والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا﴾ الآية، وفي الحديث: «من خرج حاجاً فمات كتب له أجر

الحاج إلى يوم القيامة ومن خرج معتمراً فمات كتب له أجر المعتمر إلى يوم القيامة ومن خرج غازياً فمات كتب له أجر الغازي إلى يوم القيامة» روي: أن أبا طلحة رضي الله عنه لما غزا في البحر فمات طلبوا جزيرة يدفنونه فيها فلم يقدروا عليها إلا بعد سبعة أيام وما تغير جسده وهذا من صفة الشهداء.

وقال بعضهم: مراتب حسن الأرزاق متفاونة تفاوت حسن حال المرزوقين فلا تقتضي الآية تساوي المقتول والمتوفى على كل حال، فللمقتول في سبيل الله مزية على الميت بما أصابه في ذات الله تعالى فهو أفضل منه ويدل عليه دلائل كثيرة منها قوله عليه السلام لما سئل أي الجهاد أفضل: «أن يعقر جوادك ويهراق دمك»، وأيضاً المقتول في سبيل الله يجيء وريح دمه ريح المسك والميت لم ينل ذلك وأيضاً المقتول يتمنى الرجعة إلى الدنيا ليقتل في سبيل الله مرة ثانية لما يرى من فضل الشهادة وليس كذلك الميت وأيضاً القتل في سبيل الله يكفر كل ذنب ولم يرد ذلك في الموت وأيضاً الميت في سبيل الله يغسل والمقتول لا يغسل وأيضاً الشهيد المقتول يشفع ولم يرد ذلك في الميت وأيضاً الشهيد يرى الحور العين قبل أن يجف دمه وليس كذلك الميت.

وفي الآية إشارة إلى المهاجرة عن أوطان الطبيعة في طلب الحقيقة وقتل النفس بسيف الصدق أو الموت عن الأوصاف البشرية وأجر هذا هو الرزق المعنوي في الدنيا فرزق القلوب حلاوة العرفان ورزق الأسرار مشاهدات الجمال ورزق الأوراح مكاشفات الجلال. وفي «المنثوي»:

أي بسا نفس شهيد معتمد   مرده دردنيا وزنده مي رود
أي بساخامي كه ظاهر خويش ريخت   ليك نفس زنده آن جانب كريخت
آلتش بشكست وره زن زنده ماند   نفس زنده است ارچه مركب خون فشاند

﴿۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾.

﴿**ذلك**﴾ خبر مبتدأ محذوف أي الأمر ذلك الذي قصصنا عليكم وبينا لكم والجملة لتقرير ما قبله والتنبيه على أن ما بعده كلام مستأنف. ﴿**ومن**﴾ [وهركه] ﴿**عاقب بمثل ما عوقب به**﴾ أي: من جازى الظالم بمثل ما ظلم ولم يزد في الاقتصاص والعقوبة اسم لما يعقب الجرم من الجزاء وإنما سمي الابتداء بالعقاب الذي هو جزاء الجناية، أي مع أنه ليس بجزاء يعقب الجريمة للمشاكلة أو على سبيل المجاز المرسل فإنه ما وقع ابتداء سبب لما وقع جزاء وعقوبة فسمي السبب باسم المسبب. ﴿**ثم بغى عليه**﴾ ظلم عليه بالمعاودة إلى العقوبة يقال: بغى عليه بغياً علا وظلم.

قال الراغب: البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى تجاوزه أو لم يتجاوزه فتارة يعتبر في القدرة التي هي الكمية وتارة يعتبر في الوصف الذي هو الكيفية يقال: بغيت الشيء إذا طلبت أكثر ما يجب. ﴿**لينصرنه الله**﴾ على من بغى عليه لا محالة وهو خبر من ﴿**إن الله لعفو غفور**﴾ مبالغ في العفو والغفران فيعفو عن المنتصر ويغفر له ما صدر عنه من ترجيح الانتقام

على العفو والصبر المندوب إليهما بقوله: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى: ٤٣] فالعفو وإن اقتضى سابقية الجناية من المعفو عنه لكن الجناية لا تلزم أن تكون بارتكاب المحرم بل قد يعد ترك ما ندم إليه جناية على سبيل الزجر والتغليظ وفي «بحر العلوم»: العفو محاء للذنوب بإزالة آثارها من ديوان الحفظة والقلوب بالكلية كي لا يطالبهم بها يوم القيامة ولا يخجلوا عند تذكرها وبأن يثبت مكان كل ذنب عملاً صالحاً كما قال: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠] غفور، أي مريد لإزالة العقوبة عن مستحقها من الغفر وهو الستر أي ستور عليهم وقدم العفو لأنه أبلغ يشعر بالمحو الذي هو أبلغ من الستر وفيه إشارة إلى أن الأليق بالمنتصر والأقرب بحاله أن يعفو ويغفر عن كل من ظلمه ويقابله بالإحسان.

بدي را بدي سهل باشد جزا اكر مردي أحسن إلى من أساء

ولا يذكر ما صدر منه من أنواع الجفاء والأذى فإنه متى فعل ذلك فإن الله أكرم الأكرمين أولى أن يفعل ذلك على أن الانتصار لا يؤمن فيه تجاوز التسوية والاعتداء خصوصاً في حال الغضب والحرب والتهاب الحمية فربما كان المنتصر من الظالمين وهو لا يشعر انتهى كلام «البحر».

يقول الفقير سمعت من في حضرة شيخي وسندي قدس سره وهو يقول الإنسان الكامل كالبحر فمن آذاه واغتابه أو قصد إليه بسوء فإنه لا يتكدر به بل يعفو عنه ألا يرى أن البول إذا وقع في البحر فالبحر يطهره وكذا من أجنب إذا دخل البحر واغتسل فإنه يتطهر ولا يتغير البحر لا بالبول ولا بدخول الجنب وقال روح الله روحه من قال في حقنا قولاً فاحشاً أو فعل فعلاً مكروهاً فهو في حل فإنه إرادة الانتقام له أو وقوعه في أمر مكروه من باب الشرك في طريقنا فنحن لا نلتفت إليه أصلاً بل إلى ما وتر الله لنا من الأمور وكل فعله حسن وقد أخفى جماله في جلاله وأطال في ذلك وهو مذكور في كتابنا المسمى «بتمام الفيض».

قال في «الخلاصة»: في كتاب الحدود رجل قال لآخر يا خبيث هل يقول له بل أنت الأحسن أن يكف عنه ولا يجيب ولو رفع الأمر إلى القاضي ليؤدب يجوز ومع هذا لو أجاب لا بأس به، وفي «مجمع الفتاوى» في كتاب الجنايات لو قال لغيره: يا خبيث، فجازاه بمثله جاز لأنه انتصار بعد الظلم، وذلك مأذون فيه قال الله تعالى: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ [الشورى: ٤١] والعفو أفضل قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠] وإن كانت تلك الكلمة موجبة للحد لا ينبغي له أن يجيبه بمثلها تحرزاً عن إيجاب الحد على نفسه انتهى. كما قال في «التنوير»: لو قال لآخر: يا زاني، فقال الآخر: لا بل أنت الزاني حد بخلاف ما لو قال له مثلاً: يا خبيث فقال: أنت تكافئا.

وفي «التنوير»: أيضاً ضرب غيره بغير حق وضربه المضروب يعزران ويبدأ في إقامة التعزير بالبادي:

﴿ذلك﴾ النصر هو مبتدأ خبره قوله: **﴿بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾** أي بسبب أن القادر على ما يشاء من التغليب وغيره من آيات قدرته البالغة الدالة على التغليب أنه يحصل ظلمة الليل في مكان ضياء النهار بتغييب الشمس وضياء النهار في مكان ظلمة الليل باطلاعها وجعلها طالعة أو يزيد في أحد الملوين ما ينقص من الآخر من الساعات.

قال الراغب: الولوج الدخول في مضيق قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] وقوله: **﴿يولج الليل﴾** الخ تنبيه على ركب الله عليه العالم من زيادة الليل في

النهار في الليل وذلك بحسب مطالع الشمس ومغاربها ﴿**وأن الله سميع**﴾ يسمع قول المعاقب والمعاقب: ﴿**بصير**﴾ يرى أفعالهما فلا يهملهما.

﴿**ذلك**﴾ الوصف بكمال العلم والقدرة ﴿**بأن الله هو الحق**﴾ في الألوهية ﴿**وأن ما يدعون**﴾ يعبدون، ﴿**من دونه هو الباطل**﴾ إلهية ﴿**وأن الله هو العلي**﴾ على جميع الأشياء، ﴿**الكبير**﴾ عن أن يكون به شريك لا شيء أعلى منه شأناً وأكبر سلطاناً.

وفي «التأويلات النجمية»: أعلى من ما يجده الطالبون بداية والعظيم الذي لا يدرك الواصلون نهايته.

وفي «بحر العلوم»: هو العلي شأنه أي أمره وجلاله في ذاته وأفعاله لا شيء أعلى منه شأناً لأنه فوق الكل بالإضافة وبحسب الوجوب وهو فعيل من العلو في مقابلة السفل وهما في الأمور المحسوسة كالعرش والكرسي مثلاً، وفي الأمور المعقولة كما بين النبي ﷺ وأمته وبين الخليفة والسلطان والعالم والمتعلم من التفاوت في الفضل والشرف والكمال والرفعة ولما تقدس الحق سبحانه عن الجسمية تقدس علوه عن أن يكون بالمعنى الأول وهو الأمور المحسوسة فتعين واختص بالثاني.

قال الإمام الغزالي رحمه الله العبد لا يتصور أن يكون علياً مطلقاً إذ لا ينال درجة إلا ويكون في الوجود ما هو فوقها وهي درجات الأنبياء والملائكة نعم يتصور أن ينال درجة لا يكون في جنس الإنس من يفوقه وهي درجة نبينا عليه الصلاة والسلام ولكنه قاصر بالإضافة إلى العلو المطلق لأنه علو بالإضافة إلى بعض الموجودات والآخر أنه علو بالإضافة إلى الوجود لا بطريق الوجوب بل يقارنه إمكان وجود إنسان فوقه فالعلي المطلق هو الذي له الفوقية لا بالإضافة وبحسب الوجوب لا بحسب الوجود الذي يقارنه إمكان نقيضه والكبير هو ذو الكبرياء عبارة عن كمال الذات المعنى به كمال الوجود وكمال الوجود بشيئين أحدهما: أن يصدر عنه كل موجود والثاني أن يدوم إذ كل وجود مقطوع بعدم سابق أو لاحق فهو ناقص ولذلك يقال للإنسان: إذا طالت مدة وجوده أنه كبير السن طويل مدة البقاء ولا يقال: عظيم السن، فالكبير يستعمل فيما لا يستعمل فيه العظيم والكبير من العباد هو الكامل الذي لا تقتصر عليه صفات كماله بل تسري إلى غيره ولا يجالسه أحد إلا ويفيض عليه من كماله شيء وكمال العبد في عقله وورعه وعلمه فالكبير هو العالم التقي المرشد للخلق الصالح لأن يكون قدوة يقتبس من أنواره وعلومه ولهذا قال عيسى عليه السلام: «من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيماً في ملكوت السماء» وقيل لعيسى عليه السلام: يا روح الله من نجالس فقال: من يزيد في علمكم منطقه ويذكركم الله رؤيته ويرغبكم في الآخرة عمله.

وفي الآية إشارة إلى أن ما سوى الله باطل أي غير موجود بوجود ذاتي، وفي «المثنوي»:

كل شيء ما خلا الله باطل　　أن فضل الله غيم هاطل

ملك ملك أوست أو خود ما لكست　　غير ذاتش كل شيء هالكست

قال الشيخ أبو الحسن الكبرى: استغفر الله مما سوى الله، أي لأن الباطل يستغفر من إثبات وجوده لذاته فعلى العاقل أن يجتهد في تحصيل الشهود واليقين ويصل في التوحيد إلى مقام التمكين.

تادم وحدت زدي حافظ شوريده حال　　خامة توحيد كش بروزق اين وآن

نسأل الله التوفيق لدرك الحقيقة على التحقيق.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾

﴿**ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة**﴾ [سبز كشته يكباربعد ازپژمردكي وخشكي].

قال الراغب: الخضرة أحد الألوان بين البياض والسواد وهو إلى السواد أقرب ولهذا يسمى الأسود أخضر والأخضر أسود وقيل: سواد العراق للموضع الذي تكثر فيه الخضرة قوله: ألم تر استفهام تقرير ولذلك رفع فتصبح عطفاً على أنزل إذ لو نصب جواباً للاستفهام لدل على نفي الاخضرار والمقصود إثباته كما يدل النصب على نفي النظر في قوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟﴾ [محمد: ١٠] وأورد تصبح بصيغة المضارع ليدل على بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان ﴿**إن الله لطيف**﴾ يصل لطفه إلى الكل من حيث لا يعلم ولا يحتسب.

وقال الكاشفي: [لطف كننده است بربندكان بارويبدن كياه تا ايشانرا ازان روزي دهد] ﴿**خبير**﴾ بما يليق من التدابير الحسنة ظاهراً وباطناً.

وقال الكاشفي: [داناست بحال رزقاً ومرزوقاً].

﴿**له ما في السموات وما في الأرض**﴾ خلقاً وملكاً وتصرفاً، ﴿**وإن الله لهو الغني**﴾ في ذاته عن كل شيء. وبالفارسية: [هرآينه أوست بي نياز درذات خود ازهمه أشياء].

وفي «التأويلات النجمية» لا ينقص غناه من مواهبه ﴿**الحميد**﴾ المستوجب للحمد بصفاته وأفعاله.

وفي «التأويلات النجمية»: في ذاته مستغن عن الحامدين.

قال الإمام الغزالي رحمه الله الحميد هو المحمود المثنى عليه والله تعالى هو الحميد لحمده لنفسه أزلاً ولحمد عباده له أبداً ويرجع هذا إلى صفات الجلال والعلو والكمال منسوباً إلى ذكر الذاكرين له فإن الحمد هو ذكر أوصاف الكمال من حيث هو كمال.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾.

﴿**ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض**﴾ أي جعل ما فيها من الأشياء مذللة لكم معدة لمنافعكم تتصرفون فيه كيف شئتم فلا أصلب من الحجر، ولا أشد من الحديد ولا أهيب من النار وهي مسخرة منقادة لكم ﴿**والفلك**﴾ عطف على ما أو على اسم أن ﴿**تجري في البحر بأمره**﴾، حال من الفلك والمراد، بالأمر التيسير والمشيئة ﴿**ويمسك السماء**﴾ من ﴿**أن تقع على الأرض**﴾ بأن خلقها على صورة متداعية إلى الاستمساك يقال أمسك الشيء إذا أخذه والوقوع السقوط ﴿**إلا بإذنه**﴾ أي بمشيئة.

قال الراغب: في الشيء الإعلام بإجازته والرخصة فيه انتهى.

وذلك يوم القيامة وفيه رد لاستمساكها بذاتها فإنها مساوية لسائر الأجسام في الجسمية فتكون قابلة للميل الهابط كقبول غيرها.

يقول الفقير: من الغرائب ما رأيت في بعض الكتب أن طائراً كان يتدلى من الشجرة برجله كل ليلة إلى الصباح ويصبح خوفاً من وقوع السماء عليه ونظيره ما ذكره الحافظ أن الكركي لا يطأ الأرض بقدميه بل بأحدهما فإذا وطئها لم يعتمد عليها خوفاً أن تخسف الأرض وفي هذين عبرة لأولي الأبصار. ﴿إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ [مهربان وبخشاينده است] حيث هيأ لهم أسباب معاشهم وفتح لهم أبواب المنافع ودفع عنهم أنواع المضار وأوضح لهم مناهج الاستدلال بالآيات التكوينية والتنزيلية والرؤوف بمعنى الرحيم أو الرأفة أشد الرحمة أو أرقها كما في «القاموس».

قال في «بحر العلوم»: لرؤوف لمريد للتخفيف على عباده رحيم مريد للإنعام عليهم.

﴿وهو الذي أحياكم﴾ بعد أن كنتم جماداً عناصر ونطفاً حسبما فصل في مطلع السورة الكريمة. ﴿ثم يميتكم﴾ عند مجيء آجالكم. ﴿ثم يحييكم﴾ عند البعث ﴿إن الإنسان لكفور﴾ أي: لجحود للنعم مع ظهورها فلا يعبد المنعم الحقيقي وهذا وصف للجنس بوصف بعض أفراده.

قال الجنيد قدس سره أحياكم بمعرفته ثم يميتكم بأوقات الغفلة والفترة ثم يحييكم بالجذب بعد الفترة ثم يقطعكم عن الجملة فيوصلكم إليه حقيقة أن الإنسان لكفور يذكر ما له وينسى ما عليه.

اعلم أن الله تعالى كرم الإنسان وعظم شأنه فنقله من عالم الجماد إلى عالم النبات ثم منه إلى عالم الحيوان ثم جعله ناطقاً وأفاض عليه نعمة الصورية والمعنوية وجعل الموجودات خادمة له فلا بد من الشكر لألطافه والشكر إظهار النعمة والكشف عنها ونقيضه الكفران وهو سترها وإخفاؤها وكل نعمة فهي سبيل إلى معرفة المنعم لأنها أثره فيلزم الاستدلال بالأثر على المؤثر وهو الإيمان اليقيني وفي الحديث: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق وتحببت إليهم بالنعم حتى عرفوني» فعلى العاقل أن لا يغتر بالنعم والغنى ويلاحظ التوفيق في كل حال وفي الخبر أن الله تعالى قال للنبي ﷺ: «قل للقوي لا تعجبنك قوتك فإن أعجبتك قوتك فادفع الموت عن نفسك، وقل للعالم لا يعجبنك علمك فإن أعجبك علمك فأخبرني متى أجلك، وقل للغني لا يعجبنك مالك وغناؤك فإن أعجبك فأطعم خلقي غداء واحداً» فالإنسان عاجز والله على كل شيء قدير ومنه النعمة إلى الصغير والكبير قال الشيخ سعدي قدس سره:

اديم زمين سفرة عام أوست بريـن خوان يغماچه دشمن چه دوست

ولكل عضو من أعضاء الإنسان طاعة تخصه فإذا لم يصرفه إلى مصارفه ولم يستخدمه فيما يناسب فقد تعرض لسخط الله تعالى وفي «البستان»:

يكي كوش كودك بماليد سخت كه أي بو العجب رأى وبركشته بخت
تراتيشه دادم كه هيزم شكن نكفتم كه ديوار مسجد بكن
زبان آمد بهر شكر وسپاس بغيبت نكردانندش حق شناس
كذركاه قرآن وپندست كوش به بهتان وباطل شنيدن مكوش
دوچشم از پي صنع باري نكوست زعيب برادر فروكير ودوست

يقال: علامة المنيب أي المقبل إلى الله تعالى في ثلاث خصال:

أولاها: أن يجعل قلبه للتفكر في صفات الله والأمور الأخروية.
والثانية: أن يجعل لسانه للذكر والشكر.
والثالثة: أن يجعل بدنه للخدمة في سبيل الله تعالى بلا فتور إلى أن يأتي الموت نسأل الله سبحانه أن يوفقنا لطاعته وخدمته ويشرفنا بجنته ووصلته.

﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾﴾.

﴿لكل أمة﴾ معينة من الأمم الماضية والباقية والأمة جماعة أرسل إليهم رسول. **﴿جعلنا﴾** [معين ساختيم] **﴿منسكاً﴾** مصدر مأخوذ من النسك وهو العبادة أي شريعة خاصة لا لأمة منهم على معنى عيّنا كل شريعة لأمة معينة من الأمم بحيث لا تتخطى أمة منهم شريعتها المعينة لها إلى شريعة أخرى لا استقلالاً ولا اشتراكاً. **﴿هم ناسكوه﴾** صفة لمنسكاً مؤكدة للقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور على الفعل والضمير لكل أمة باعتبار خصوصها أي تلك الأمة المعينة ناسكوه والعاملون به لأمة أخرى فالأمة التي كانت من مبعث موسى إلى مبعث عيسى عليهما السلام، منسكهم التوراة هم ناسكوها والعاملون بها لا غيرهم والأمة التي من مبعث عيسى إلى مبعث النبي عليه السلام، منسكهم الإنجيل هم ناسكوه والعاملون به لا غيرهم وأما الأمة الموجودة عند بعث النبي عليه السلام ومن بعدهم من الموجودين إلى يوم القيامة فهم أمة واحدة منسكهم الفرقان ليس إلا. **﴿فلا ينازعنك﴾** أي: من يعاصرك من أهل الملل يقال: نزع الشيء جذبه من مقره كنزع القوس عن كبده المخاصمة **﴿في الأمر﴾** أي: في أمر الدين زعماً منهم أن شريعتهم ما عين لآبائهم الأولين من التوراة والإنجيل فإنهما شريعتان لمن مضى من الأمم قبل انتساخهما وهؤلاء أمة مستقلة منسكهم القرآن المجيد فحسب. وبالفارسية [پس بايدكه نزاع نكنند سائر أرباب اديان باتو دركار دين چه امردين توازان ظاهر ترست كه تصور نزاع دران توان درنور آفتاب چه جاي تأمل است]. **﴿وادع﴾** الناس كافة ولا تخص أمة دون أمة بالدعوة فإن كل الناس أمتك **﴿إلى ربك﴾** إلى توحيده وعبادته حسبما بين لهم في منسكهم وشريعتهم **﴿إنك لعلى هدى مستقيم﴾** أي: طريق موصل إلى الحق سويّ وهو الدين.

﴿وإن جادلوك﴾ وخاصموك بعد ظهور الحق ولزوم الحجة وأصله من جدلت الحبل أي حكمت فتله فكأن المجادلين يفتل كل واحد منهما الآخر عن رأيه. **﴿فقل﴾** لهم على سبيل الوعيد **﴿الله أعلم بما تعملون﴾** من الأباطيل التي من جملتها المجادلة فيجازيكم عليها.

﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾.

﴿الله يحكم بينكم﴾ يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين **﴿يوم القيامة﴾** بالثواب والعقاب كما فصل في الدنيا بالحجج والآيات **﴿فيما كنتم فيه تختلفون﴾** من أمر الدين.

﴿ألم تعلم﴾ الاستفهام للتقرير أي قد علمت **﴿أن الله يعلم ما في السماء والأرض﴾** فلا يخفى عليه شيء من الأشياء التي من جملتها ما يقول الكفرة وما يعملونه. **﴿إن ذلك﴾** أي: ما في السماء والأرض **﴿في كتاب﴾** هو اللوح قد كتب فيه قبل حدوثه فلا يهمنك أمرهم مع

علمنا به وحفظنا له. ﴿إن ذلك﴾ أي ما ذكر من العلم والإحاطة به وإثباته في اللوح ﴿على الله يسير﴾ سهل: وبالفارسية: [آسانست] فإن علمه وقدرته مقتضى ذاته فلا يخفى عليه شيء ولا يعسر عليه مقدور.

وفي الآيات إشارات: منها أن لكل فريق من الطلاب شرعة هم واردوها ولكل قوم طريقة هم سالكوها ومقاماً هم سكانه ومحلاً هم قطانه ربط كل جماعة بما أهلهم وأوصل كل ذوي رتبة إلى ما جعله محلهم فبساط التعبد موطوء بأقدام العابدين ومشاهد الاجتهاد معمورة بأصحاب الكلف من المجتهدين ومجالس أصحاب المعارف مأنوسة بلوازم العارفين ومنازل المحبين مأهولة بحضور الواجدين ولتفاوت مقامات السلوك والموصول تفاوتت الدعوة إلى الله تعالى فمنهم من يدعو الخلق من باب الفناء في حقيقة العبودية وهو قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٩] ومنهم من يدعوهم من باب ملاحظة العبودية وهو الذلة والافتقار وما يقتضيه مقام العبودية ومنهم من يدعوهم من باب ملاحظة الأخلاق الرحمانية ومنهم من يدعوهم من باب ملاحظة الأخلاق بالقهرية ومنهم من يدعوهم من باب الأخلاق الإلهية وهو أرفع باب وأجله وقد قالوا الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق وبعدد الأنفاس الإلهية فإن الشؤون المتجددة من الله تعالى في كل مظهر أنفاس الإلهية.

ومنها: أن أهل المجادلة هم أهل التأبي والإنكار والاعتراض والله أعلم بأحوالهم ويحكم يوم القيامة بين كل فريق بما يناسب حاله أما الأجانب فيقول لهم: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤] وأما الأولياء فقوم منهم يحاسبهم حساباً يسيراً وصنف منهم يؤتون أجورهم بغير حساب وأما الأحباب فيقعدون في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

ومنها: أن السماء سماء القلب وفية نور اليقين والصدق والإخلاص والمحبة والأرض أرض البشرية والنفس الأمارة وفيها ظلمة الشك والكذب والشرك وحرص الدنيا فيزيل الله عن أرباب القلوب البلوى ويجمل لهم النعمى وتنزل بأرباب النفوس البلوى ولا يسمع منهم الشكوى إن ذلك في كتاب مكتوب بقلم التقدير في القدم كما قال الشيخ سعدي.

كـرت صـورت خـال بـد يـانـكـوسـت　　نـكـاريـدة دسـت تـقـديـر أوسـت

إن ذلك على الله يسير مجازاتهم على وفق التقدير سهلة على الله تعالى ولكن ليعرف المؤمن أن كلاً ميسر أو مهيأ لما خلق له فمن وفق للعلم والعمل كان ذلك علامة للسعادة العظمى ومن ابتلي بالجهل والكسل كان ذلك أمارة للشقاوة الكبرى فلم يبق إلا التسليم للأحكام الإلهية والاجتهاد في طريق الحق بالشريعة والطريقة إلى أن يحصل الوصول إلى المعرفة والحقيقة وأما قوله:

قـضـا كـشـتي آنـجـا كـه خـواهـد بـرد　　وكـر نـاخـدا جـامـه بـرتـن درد

فناظر إلى عالم القضاء والعبد أعمى وليس له التفحص عن ذلك والله تعالى يقول الحق وهو يهدي السبيل.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾.

﴿**ويعبدون**﴾ أي: أهل الشرك ﴿**من دون الله**﴾ أي: متجاوزين عبادة الله تعالى ﴿**ما لم ينزل به**﴾ أي بجواز عبادته وما عبارة عن الأصنام. ﴿**سلطاناً**﴾ أي حجة وبرهاناً ﴿**وما ليس لهم به**﴾ أي بجواز عبادته ﴿**علم**﴾ حصل لهم من ضرورة العقل أو استدلاله فهم إنما يعبدون الأصنام بمجرد الجهل ومحض التقليد ﴿**وما للظالمين**﴾ أي: المشركين الذين ارتكبوا مثل هذا الظلم العظيم ﴿**من نصير**﴾ يدفع عنهم العذاب الذي يعتريهم بسبب ظلمهم.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى من كان من جملة خواصة أفرده ببرهان وأيده ببيان وأعزه بسلطان وما لأهل الخذلان سلطان فيما عبدوه من أصناف الأوثان ولا برهان على ما طلبوه وما لهم نصرة من الله بل خذلان.

﴿**وإذا تتلى عليهم**﴾ أي على المشركين ﴿**آياتنا**﴾ من القرآن حال كونها ﴿**بينات**﴾ واضحات الدلالة على العقائد الخفية والأحكام الإلهية. ﴿**تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر**﴾ أي الإنكار بالعبوس والكراهة كالمكرم بمعنى الإكرام. وبالفارسية: [يعني چون قرآن بركافران خواني انر كراهت ونفرت درروي إيشان به بيني ازفرط عناد ولجاج كه باحق دارند].

واعلم أن الوجوه كالمرائي فكل صورة من الإقرار والإنكار تظهر فيها فهي أثر أحوال الباطن وكل إناء يترشح بما فيه كتلون وجوه قوم صالح فما ظهر عليهم في ظاهرهم إلا حكم ما استقر في باطنهم.

قال الفقير:

هركرا صورت بياض الوجوه بود صورت حال درونش رونمود
كرسياه ويا كبودي بود رنك رنك أو ظاهر شد ازدل بي دل نك

﴿**يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا**﴾ أي يثبون ويبطشون بهم من فرط الغيظ والغضب لأباطيل أخذوها تقليداً من السطوة وهي البطش برفع اليد يقال سطا به ﴿**قل**﴾ رداً عليهم وإقناطاً مما يقصدونه من الإضرار بالمسلمين. ﴿**أفأنبئكم**﴾ أي: أخاطبكم فأخبركم ﴿**بشر من ذلكم**﴾ الذي فيكم من غيضكم على التالين وسطوتكم بهم. ﴿**النار**﴾ أي: هو النار على أنه جواب لسؤال مقدر كأنه قيل ما هو. ﴿**وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير**﴾ أي: النار والمصير المرجع.

وفيه إشارة إلى أن نار القطيعة والطرد والإبعاد شر من الإنكار الذي في قلوب المنكرين فعلى العاقل أن يجتنب عن كل ما يؤدي إلى الشرك والإنكار ويصحب أهل التوحيد والإقرار ويقبل الحقائق والأسرار ويحب أرباب الولاية ويبغض أصحاب الضلالة.

وفي بعض الأخبار يقول الله تعالى غداً: يا ابن آدم أما زهدك من الدنيا فإنما طلبت الراحة لنفسك وأما انقطاعك إلي فإنما طلبت العزة لنفسك ولكن هل عاديت لي عدواً أو واليت لي ولياً.

واعلم أن الكفر والإنكار يؤديان إلى النار كما أن التوحيد والإقرار يفضيان إلى الجنة وهما من أفضل النعم فإن العبد يصل بسبب التوحيد إلى السعادة الأبدية ولذلك كل عمل يوزن إلا شهادة أن لا إله إلا الله وإذا رسخ التوحيد في قلب المؤمن لم يجد بداً من الإقرار والذكر كلما وجد مجالاً صالحاً له حكي: أن بعض الصالحين رأى زبيدة امرأة هارون الرشيد في المنام بعد الموت وسأل عن حالها فقالت: غفر لي ربي فقال: أبالحياض التي حفرتها بين

الحرمين الشريفين فقالت: لا فإنها كانت أموالاً مغصوبة فجعل ثوابها لأربابها فقال: فيم قالت: كنت في مجلس شرب الخمر فأمسكت عن ذلك حين أذن المؤذن وشهدت ما شهد المؤذن فقال الله تعالى لملائكته أمسكوا عن عذابها لو لم يكن التوحيد راسخاً في قلبها لما ذكرتني عند السكر فغفر لي وأحسن حالي وأما أهل النار والمؤاخذة فالأدنى منهم عذاباً يتنعل من نار يغلي منه دماغه ولذلك قال الله تعالى: ﴿وبئس المصير﴾ فإنه لا راحة فيها لأحد عصمنا الله وإياكم من نار البعد وعذاب السعير إنه خير عاصم ومجير.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾.

﴿يا أيها الناس ضرب مثل﴾ أي: بين لكم حالة مستغربة أو قصة بديعة حقيقة بأن تسمى مثلاً وتسير في الأمصار والأعصار. **﴿فاستمعوا له﴾** أي: للمثل استماع تدبر وتفكر: وبالفارسية: [پس بشنويد آن مثل را بكوش هوش ودران تأمل كنيد].

وفي «التأويلات النجمية»: يشير بقوله: **﴿يا أيها الناس﴾** إلى أهل النسيان عن حقيقة الأمر بالعيان فلا بد لهم من ضرب مثل لعلهم ينبهون من نوم الغفلة فالخطاب لناسي عهد الميثاق عامة وللمستعين المستعدين لإدراك فهم الخطاب بقوله: **﴿فاستمعوا له﴾** خاصة وهذا الأمر أمر التكوين بسمعهم الخطاب ويتعظون به ثم بين المعنى فقال: **﴿إن الذين تدعون من دون الله﴾** يعني الأصنام التي تعبدونها متجاوزين عبادة الله تعالى وهو بيان للمثل وتفسير له.

قال الكاشفي: [وآن سيصد وشصت بت بودند برحوالي خانه نهاده حق سبحانه وتعالى فرمودكه اين همه بت كه مي پرستيد بجز خداي تعالى].

وفي «التأويلات»: من أنواع الأصنام الظاهرة والباطنة **﴿لن يخلقوا ذباباً﴾** أي لن يقدروا على خلقه أبداً مع صغره وحقارته فإن لن بما فيها من تأكيد النفي دالة على منافاة ما بين المنفي والمنفي عنه والذباب من الذب أي يمنع ويدفع.

قال في «المفردات»: الذباب يقع على المعروف من الحشرات الطائرة وعلى النحل والزنابير وفي قوله: **﴿وإن يسلبهم الذباب شيئاً﴾** فهو المعروف.

وفي «حياة الحيوان»: في الحديث: «الذباب في النار لا النحل» وهو يتولد من العفونة لم يخلق لها أجفان لصغر أحداقها ومن شأن الأجفان أن تصقل مرآة الحدقة من الغبار فجعل الله لها يدين تصقل بهما مرآة حدقتها فلهذا ترى الذباب أبداً يمسح بيديه عينيه وإذا بخر البيت بورق القرع ذهب منه الذباب. **﴿ولو اجتمعوا له﴾** أي لخلقه وهو مع الجواب المقدر في موضع حال جيء بها للمبالغة أي لا يقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين عليه فكيف إذا كانوا منفردين **﴿وإن يسلبهم الذباب شيئاً﴾** أي: أن يأخذ الذباب منهم شيئاً ويخطفه **﴿لا يستنقذوه منه﴾** أي: لا يستردوه من الذباب مع غاية ضعفه لعجزهم، وبالفارسية: [نميتوانند رهانيد يعني باز نميتوانند ستانند آن چيزرا] قيل: كانوا يطيبون الأصنام بالطيب والعسل ويغلقون عليها الأبواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله.

قال الكاشفي: [رسم ايشان آن بودكه بتان را بعسل وخلوق مي اندودند ودرهاي تنجانه

برايشان مي بستند مكسان ازروزن در آمده آنها ميخوردند وبعد ازچند روز أثر طيب وعسل برايشان نبود شادي مينمودندكه آنهاراً خورده اند حق سبحانه وتعالى ازعجز وضعف بتان خبر ميد هدكه نه برآفريدن مكس قادرند ونه بردفع ايشان ازخود]. ﴿ضعف الطالب والمطلوب﴾ أي: عابد الصنم ومعبوده أو الذباب الطالب لما يسلبه عن الصنم من الطيب والصنم المطلوب منه ذلك ﴿ما قدروا الله حق قدره﴾ أي: ما عرفوه حق معرفته أو ما عظموه حق تعظيمه حيث أشركوا ما لا يمتنع من الذباب ولا ينتصر منه وسموا باسم ما هو أبعد الأشياء منه مناسبة. ﴿إن الله لقوي﴾ على خلق الممكنات بأسرها وإفناء الموجودات عن آخرها. ﴿عزيز﴾ غالب على جميع الأشياء لا يغلبه شيء وآلهتهم التي يدعونها عجزة عن أقلها مقهورة من أذلها.

قال ابن عطاء دلهم بقوله: ﴿وإن يسلبهم﴾ الخ على مقادر الخليقة فمن كان أشد هيبة وأعظم ملكاً لا يمكنه الاحتراز من أهون الخلق وأضعفه ليعلم بذلك عجزه وضعفه وعبوديته وذلته ولئلا يفتخر على أبناء جنسه من بني آدم بما يملكه من الدنيا:

عاجز انكه عاجزاً نرا بنده اند ... گون فتدكاري زهم شرمنده اند
عجزو إمكان لازم يكديكرند ... پس همه خلقي زهم عاجز ترند
قوت أزحق است وقوت حق أوست ... آن أو مغزاست وآن خلق پوست

قال الواسطي: في الآية الأخيرة لا يعرف قدر الحق إلا الحق وكيف يقدر قدره أحد وقد عجز عن معرفة قدر الوسائط والرسل والأولياء والصديقين ومعرفة قدره أن لا يلتفت منه إلى غيره ولا يغفل عن ذكره ولا يفتره عن طاعته إذ ذاك عرفت ظاهر قدره وأما حقيقة قدره فلا يقدر قدرها إلا هو.

قال الكاشفي: [محققان برآنندكه چنانچه أهل شرك بحق المعرفة اورا تشناخته اند أهل علم نيز بحقيقت معرفت اوراه نبرده اند زيراكه دورباشي ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] كسي را در حوالي؛ باركاه كبريا نميكذارد وبعيب هويت خود هيچ رهبر ورهنمارا راه نميدهد ميان اووماسوى بهيچ نوع نسبتي نيست تادر طريق معرفتش شروع تواند كرد ومعرفت بي مناسبت ازقبيل محالات است ماللطين ورب العالمين.

چه نسبت خاك را با عالم پاك

قال بعض الكبار ما عرفناك حق معرفتك أي بحسبك ولكن عرفناك حق معرفتك أي بحسبنا.

وفي «شرح مفتاح الغيب» لحضرة شيخي وسندي قدس الله سره العلم الإلهي الشرعي المسمى في مشرب أهل الله علم الحقائق هو العلم بالحق سبحانه من حيث الارتباط بينه وبين الخلق وانتشاء العالم منه بقدر الطاقة البشرية وهو ما وقع فيه الكمل في ورطة الحيرة وأقروا بالعجز عن حق المعرفة انتهى.

قال الشيخ أبو العباس رحمه الله: معرفة الولي أصعب من معرفة الله فإن الله معروف بكماله وجماله متى يعرف مخلوقاً مثله يأكل كما يأكل ويشرب كما يشرب انتهى.

وهذا الكلام موافق لما في «شرح المفتاح» ولما قبله كما لا يخفى على من له أدنى ذوق في هذا الباب.

﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٧٥﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٧٦﴾﴾.

﴿الله يصطفي﴾ [بركزيند] ﴿من الملائكة رسلاً﴾ يتوسطون بينه وبين الأنبياء بالوحي مثل جبرائيل وميكائيل وإسرافيل.

قال في «المفردات»: أصل الصفاء خلوص الشيء من الشوب والاصطفاء تناول صفو الشيء كما أن الاختيار تناول خيره والاجتباء تناول جبايته واصطفاء الله بعض عباده قد يكون بإيجاد تعالى إياها صافياً عن الثوب الموجود في غيره وقد يكون باختياره وبحكمه وإن لم يتعر ذلك من الأول.

وفي «التأويلات»: يصطفي من الملائكة رسلاً بينه وبين العباد ولتربيتهم بأداء الرسالة إذا لم يكونوا بعد مستأهلين لاستماع الخطاب بلا واسطة فيربيهم بواسطة رسالة الملائكة. ﴿ومن الناس﴾ [ومي كزيند ازآدميان پيغمبران تاخلق را دعوت كند بوي] وهم المختصون بالنفوس الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقون بكلام العالمين الروحاني والجسماني يتلقون من جانب ويلقون إلى جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل إلى جانب الحق فيدعونهم إليه تعالى بما أنزل عليهم ويعلمونهم شرائعه وأحكامه ﴿إن الله سميع﴾ بجميع المسموعات.

وقال الكاشفي [شنواست مقالة پيغمبر رادر وقت تبليغ] ﴿بصير﴾ مدرك لجميع المبصرات فلا يخفى عليه شيء من الأقوال والأفعال.

وقال الكاشفي [بينا بحال امت اودر رد وقبول دعوت].

وفي «التأويلات النجمية»: سميع يسمع ضراعتهم في احتياج الوجود وهم في العدم بصير، من يستحق للرسالة وهو معدوم ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ عالم بواقع الأشياء ومترقبها.

وقال الكاشفي: [ميداند آنچه در پيش آدميانست يعني عملها كه كرده اند وآنچه ازپس ايشانست يعني كارهاً خواهندكرد] ﴿وإلى الله﴾ لا إلى أحد غيره لا اشتراكاً ولا استقلالاً ﴿ترجع﴾ ترد من الرجع القهقرى ﴿الأمور﴾ كلها لأنه مالكها بالذات لا يسأل عما يفعل من الاصطفاء وغيره وهم يسألون روي: أنه تكلم رجل في زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وافترى عليه فقال له زين العابدين: إن كنت كما قلت فأستغفر الله وإن لم أكن كما قلت فغفر الله لك فقام إليه الرجل وقبل رأسه وقال جعلت فداءك لست كما قلت فاغفر لي قال غفر الله لك فقال الرجل الله اعلم حيث يجعل رسالته.

وخرج يوماً من المسجد فلقيه رجل فسبه فثارت إليه العبيد والموالي فقال لهم زين العابدين: مهلاً على الرجل ثم أقبل على الرجل، وقال ما ستر عنك من أمرنا أكثر ألك حاجة نعنيك عليها فاستحيى الرجل فألقى إليه خميصة كانت عليه وأمر له بألف درهم فكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد الرسول ولا يتوهم أنهم كانوا أهل دنيا ينفقون منها الأموال إنما كانوا أهل سخاء وفتوة ومروءة وجود ومكارم كانت تأتيهم الدنيا فيخرجونها في العاجل وفيهم يصدق قول القائل:

تعود بسط الكف حتى لو أنه ثناها لقبض لم تطعه أنامله
فلو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتق الله سائله

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا﴾ أي في صلاتكم أمرهم بها لما أنهم ما كانوا يفعلونها أول إسلام.

قال أبو الليث: كانوا يسجدون بغير ركوع فأمرهم الله بأن يركعوا ويسجدوا وقال بعضهم كانوا يركعون بلا سجود ويسجدون بلا ركوع.

قال الكاشفي: [در أول إسلام همين قعود وقيام بدين آيت ركوع وسجود داخل شد] أو المعنى صلوا عبر عن الصلاة بهما لأنهما أعظم أركانها. **﴿واعبدوا ربكم﴾** بسائر ما تعبدكم به **﴿وافعلوا الخير﴾** وتحروا ما هو خير وأصلح في كل ما تأتون وما تذرون كنوافل الطاعات وصلة الأرحام ومكارم الأخلاق وفي الحديث: «حسنوا نوافلكم فبها تكمل فرائضكم» وفي المرفوع: «النافلة هدية المؤمن إلى ربه فليحسن أحدكم هديته وليطيبها».

قال في «المفردات»: الخير ما يرغب فيه الكل كالعقل مثلاً والعدل والفضل والشيء النافع والشر ضده وقيل: الخير ضربان خير مطلق وهو أن يكون مرغوباً فيه بكل حال وعند كل أحد وصف عليه السلام الجنة فقال: «لا خير بخير بعده النار ولا شر بشر بعده الجنة» وخير مقيد وهو أن يكون خير الواحد شر الآخر كالمال الذي ربما كان خيراً لزيد وشراً لعمرو **﴿لعلكم تفلحون﴾** أي افعلوا هذه كلها وأنتم راجون بها الإفلاح غير متيقنين له واثقين بأعمالكم. قال الشيخ سعدي قدس سره:

بضاعت نياوردم إلا أميد خدايا زعفوم مكن نا أميد

والفلاح الظفر وإدراك البغية وذلك ضربان دنيوي وآخروي، فالدنيوي الظفر بالسعادات التي يطيب بها حياة الدنيا وهو البقاء والغني والعز والعلم والأخروي أربعة أشياء بقاء بلا فناء وغني بلا فقر وعز بلا ذل وعلم بلا جهل ولذلك قيل لا عيش إلا عيش الآخرة.

زنهار دل مبند براسباب دنيوي

قالوا: الآية آية سجدة عند الشافعي وأحمد لظاهر ما فيها من الأمر بالسجود.

قال الكاشفي: [اين سجد، مختلف فيه است وبمذهب إمام شافعي سجدة هفتم باشد از سجدات قرآن وحضرت شيخ اين راسجدة الفلاح كفته] وقال الإمام الأعظم والإمام مالك: دل مقارنة السجود بالركوع في الآية على أن المراد سجود الصلاة.

قال في «التأويلات النجمية»: يشير بقوله: **﴿يا أيها الذين آمنوا﴾** الآية إلى الرجوع من تكبر قيام الإنسانية إلى تواضع خشوع الحيوانية فإن الحيوانات على أربع في الركوع لقوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾ [النور: ٤٥] والرجوع من الركوع إلى الانكسار والذلة والنباتية في السجود فإن النبات في السجود لقوله: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾﴾ [الرحمن: ٦] لأن الروح بهذه المنازل كان مجيئه من عالم الأوراح عبر على المنزل النباتي ثم على المنزل الحيواني إلى أن بلغ المنزل الإنساني فعند رجوعه إلى الحضرة يكون عبوره على هذه المنازل وهذا سر

قوله ﷺ «الصلاة معراج المؤمنين» ثم قال: ﴿واعبدوا ربكم﴾ يعني: بهذا الرجوع إليه خالصاً لوجه تعالى: ﴿وافعلوا الخير﴾ بالتوجه إلى الله في جميع أحوالكم وأعمال الخير كلها ﴿لعلكم تفلحون﴾ بالعبور على هذا المنازل من حجب الظلمات النفسانية والأنوار الروحانية.

﴿وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَـٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾

﴿وجاهدوا﴾ الجهاد والمجاهدة استفراغ الوسع في مدافعة العدو ﴿في الله﴾ أي في سبيل الله كما في «تفسير الجلالين».

وقال في غيره: أي لله ولأجله أعداء دينه الظاهرة كأهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس ﴿حق جهاده﴾ [چنانكه سزاوار جهاد أو باشد يعني بدل صافي ونيت خالص] أي جهاداً فيه حقاً خالصاً لوجهه فعكس وأضيف الحق إلى الجهاد مبالغة وأضيف الجهاد إلى الضمير الراجع إلى الله اتساعاً.

قال الإمام الراغب: الجهاد ثلاثة أضرب مجاهدة العدو الظاهر ومجاهدة الشيطان ومجاهدة النفس وتدخل ثلاثتها في قوله تعالى: ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده﴾ وفي الحديث: «جاهدوا الكفار بأيديكم وألسنتكم»، وفي الحديث: «جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم» وعنه ﷺ أنه رجع من غزوة تبوك فقال: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» فجهاد النفس أشد من جهاد الأعداء والشياطين وهو حملها على اتباع الأوامر والاجتناب عن النواهي. وفي «المثنوي»:

أي شهان كشتيم ما خصم برون ... ماند ازو خصمي بتر در اندرون

كشتن اين كار عقل وهوش نيست ... شير باطن سخرة خركوش نيست

﴿هو اجتباكم﴾ أي: هو اختاركم لدينه ونصرته لا غيره وفيه تنبيه على ما يقتضي الجهاد ويدعو إليه.

قال ابن عطاء الاجتبائية أورثت المجاهدة لا المجاهدة أورثت الاجتبائية.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده﴾ بأن تجاهدوا النفوس في تزكيتها بأداء الحقوق وترك الحظوظ وتجاهدوا القلوب في تصفيتها بقطع تعلقات الكونين ولزوم المراقبات عن الملاحظات وتجاهدوا الأرواح في تحليتها بإفناء الوجود في وجوده ليبقى بوجوده وجوده ﴿هو اجتباكم﴾ لهذه الكرامات من بين سائر البريات ولولا أن اجتباكم واستعداد هذا الجهاد أعطاكم وإليه هداكم لما جهدتم في الله كما قيل:

فلولا كمو ما عرفنا الهوى ... ولولا الهوى ما عرفنا كمو

ومن مبادىء الحق الجهاد وهو أن لا يفتر مجاهدة النفس لحظة كما قال قائلهم:

يا رب أن جهادي غير منقطع ... فكل أرضك لي ثغر وطرطوس

﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ أصل الحرج والحراج مجتمع الشيء وتصور منه ضيق ما بينهما فقيل للضيق حرج أي ما جعل فيه من ضيق بتكليف ما يشق عليه إقامته ولذلك أزال الحرج في الجهاد عن الأعمى والأعرج وعادم النفقة والراحلة والذي لا يأذن له أبواه.

قال الكاشفي: [يعني برشماتنك فرانكرفت ودر أحكام دين تكليف ما لا يطاق نكرد بوقت ضرورت رخصتها دادچون قصر تميم وإفطار در مرض وسفر].

وفي «التأويلات النجمية»: أي ضيق في السير إلى الله والوصول إليه لأنك تسير إلى الله بسيره لا بسيرك وتصل إليه بتقربه إليك لا بتقربك إليه وإن كنت ترى أن تقربك إليه منك ولا ترى أن تقربك إليه من نتائج تقربه إليك وتقربه إليك سابق على تقربك إليه كما قال: «من تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً» فالذراع إشارة إلى الشبرين شبر سابق على تقربك إليه وشبر لاحق يتقربك إليه حتى لو مشيت إليه فإنه يسارعك من قبل مهرولاً انتهى. ﴿ملة أبيكم إبراهيم﴾ نصب على المصدر بفعل دل عليه مضمون ما قبله بحذف المضاف أي وسع عليكم دينكم توسعة ملة أبيكم إبراهيم أو اتبعوا ملة أبيكم كما في «الجلالين».

قال الراغب: الملة كالدين وهو اسم لما شرع الله لعباده على لسان الأنبياء ليتوصلوا به إلى جوار الله تعالى والفرق بينها وبين الدين أن الملة لا تضاف إلا إلى النبي الذي تسند إليه نحو اتبعوا ملة إبراهيم واتبعت ملة آبائي ولا يكاد يوجد مضافاً إلى الله تعالى ولا إلى آحاد أمة النبي ولا يستعمل إلا في جملة الشرائع دون آحادها ولا يقال ملة الله ولا ملتي وملة زيد كما يقال دين الله، وأصل الملة من مللت الكتاب ويقال: الملة اعتباراً بالنبي الذي شرعها والدين يقال اعتباراً بمن يقيمه إذا كان معناه الطاعة هذا كله في «مفردات الراغب» وإنما جعله آباهم لأنه أبو رسول الله وهو كالأب لأمته من حيث أنه سبب لحياتهم الأبدية ووجودهم على الوجه المعتد به في الآخرة أو لأن أكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم.

قال ابن عطية ملة إبراهيم هو السخاء والبذل وحسن الأخلاق والخروج عن النفس والأهل والمال والولد.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن السير والذهاب إلى الله من سنة إبراهيم عليه السلام لقوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩] وإنما سماه بأبيكم لأنه كان أباكم في طريقة السير إلى الله كما قال النبي ﷺ: «أنا لكم كالوالد لولده» ﴿هو﴾ أي: الله تعالى ﴿سماكم المسلمين من قبل﴾ أي في الكتب المتقدمة ﴿وفي هذا﴾ أي في القرآن ﴿ليكون الرسول﴾ يعني حضرة محمد يوم القيامة متعلق بسمّاكم واللام لام العاقبة ﴿شهيداً عليكم﴾ بأنه بلغكم فيدل على شهادته لنفسه اعتماداً على عصمته أو بطاعة من أطاع وعصيان من عصى. ﴿وتكونوا شهداء على الناس﴾ بتبليغ الرسل إليهم ﴿فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ أي: فتقربوا إلى الله بأنواع الطاعات لما خصكم بهذا الفضل والشرف وتخصيصهما بالذكر لفضلها فإن الأول دال على تعظيم أمر الله والثاني على الشفقة على الخلق. ﴿واعتصموا بالله﴾ أي ثقوا به في مجامع أموركم ولا تطلبوا الإعانة والنصرة إلا منه. وبالفارسية: [وچنك در زنيد بفضل خداى يعني در مجامع أمور خود اعتماد بدو كنيد يابكتاب وسنت متمسك شويد سلمى فرموده كه اعتصام بحبل الله أمر عوام است وبالله كار خواص أما اعتصام بحبل الله تمسك بأوامر وتنفر ازنواهي واعتصام بالله خلوت دلست ازماسواي حضرت الهي]. ﴿هو مولاكم﴾ ناصركم ومتولي أموركم. ﴿فنعم المولى ونعم النصير﴾ إذ لا مثل له في الولاية والنصرة، بل لا ولي ونصير في الحقيقة سواه تعالى. قال الكاشفي: [پس نيك ياريست أو ونيكو مدد كاري بياري عيبها ببوشد وبمدد كاري كناهان ببخشدياري ازو جوي كه ازبادي درنما ند مدد كاري ازوي

طلب كه از مدد كاري عاجز نشود].

از يـاري خـلـق بـكـذراي مـرد خـدا يـاري طـلـب آنـچـنـان كـه ازروي وفـا
كـارتـوتـوانـدكـه بـسـازد هـمـه وقـت دست تـو تـوانـد كـه بـكـيـرد هـمـه جـا

قال فيثاغورث: متى التمست فعلاً من الأفعال فابدأ إلى ربك بالابتهال في النحج فيه.

وشكا رجل إلى أخيه الحاجة والضيق فقال له: يا أخي أغير تدبير ربك تريد لا تسأل الناس وسل من أنت له.

ودخل سليمان بن عبد الملك الكعبة فقال لسالم بن عبد الله: ارفع حوائجك فقال: والله لا أسأل في بيت الله غير الله فينبغي للعبد الطالب لعصمة الله تعالى أن يعتصم به في كل الأمور ويجتهد في رضاه في الخفاء والظهور ولا يقول إن هذا الأمر عسير فإن ذلك على الله يسير فإنه هو المولى فنعم المولى ونعم النصير قال تعالى ذلك أي النصر بأن الله مولى ﴿الذين آمنوا﴾ الآية.

تمت سورة الحج في أواخر جمادى الأولى
من سنة ألف ومائة وسبع.

٢٣ ـ تفسير سورة المؤمنين

مكية وهي مائة وعشر آيات عند البصريين ومائة وثماني عشرة عند الكوفيين

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾.

﴿قد أفلح المؤمنون﴾ سعد المصدقون ونالوا البقاء في الجنة ويدل عليه «أن الله تعالى لما خلق جنة عدن بيده قال: تكلمي فقالت: قد أفلح المؤمنون فقال: طوبى لك، منزل الملوك أي ملوك الجنة وهم الفقراء الصابرون».

فصيغة الماضي للدلالة على تحقق الدخول في الفلاح وكلمة قد لإفادة ثبوت ما كان متوقع الثبوت من قبل لأن المؤمنين كانوا متوقعين ذلك الفلاح من فضل الله والفلاح البقاء والفوز بالمراد والنجاة من المكروه والإفلاح الدخول في ذلك كالإبشار الذي هو الدخول في البشارة وقد يجيء متعدياً بمعنى الإدخال فيه وعليه قراءة من قرأ على البناء للمفعول ولما كان الفلاح الحقيقي لا يحصل بمطلق الإيمان وهو التصديق بما علم ضرورة أنه من دين نبينا عليه السلام، من التوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظائرها بل يحصل بالإيمان الحقيقي المقيد بجميع الشرائط قال بطريق الإيضاح أو المدح.

﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ الخشوع الخوف والتذلل.

وفي «المفردات»: الخشوع: الضراعة وأكثر ما يستعمل فيما يوجد على الجوارح والضراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد على القلب ولذلك قيل فيما ورد: «إذا ضرع القلب خشعت الجوارح» أي خائفون من الله متذللون له ملزمون أبصارهم مساجدهم.

قال الكاشفي: [گشم برسجده كاه نهاده وبدل بردركاه مناجات حاضر شده] روي: أنه عليه السلام كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وأنه رأى مصلياً يعبث بلحيته فقال: «لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه».

وفي «النتف»: يكره تقليب الوجه إلى نحو السماء عند التكبيرة الأولى، وجه النهي أن النظر إلى السماء من قبيل الالتفات المنهي عنه في الصلاة، وأما في غيرها فلا يكره لأن السماء قبلة الدعاء ومحل نزول البركات.

قال الكاشفي: [درلباب فرموده كه درحالت قيام ديده برسجده كاه بايد نهاد مكر بمكة معظمه كه درخانة مكرمه بايد نكريست]، وفي الحديث: «إن العبد إذا قام إلى الصلاة فإنما هو بين يدي الرحمٰن فإذا التفت يقول الله تعالى: إلى من تلتفت إلى خير مني أقبل يا ابن آدم إليّ فأنا خير ممن تلتفت إليه».

وفي «التأويلات النجمية»: خاشعون أي بالظاهر والباطن. أما الظاهر فخشوع الرأس

بانتكاسه وخشوع العين بانغماضها عن الالتفات وخشوع الأذن بالتذلل للاستماع وخشوع اللسان القراءة والحضور والتأني وخشوع اليدين وضع اليمين على الشمال بالتعظيم كالعبيد وخشوع الظهر انحناؤه في الركوع مستوياً وخشوع الفرج ينفي الخواطر الشهوانية وخشوع القدمين بثباتهما على الموضع وسكونهما عن الحركة.

وأما الباطن: فخشوع النفس سكونها عن الخواطر والهواجس وخشوع القلب بملازمة الذكر ودوام الحضور وخشوع السر بالمراقبة في ترك اللحظات إلى المكونات وخشوع الروح استغراقه في بحر المحبة وذوبانه عند تجلي صفة الجمال والجلال [محققي فرموده كه در نماز أول ازخود بيزار بايد شد پس طالب وصول بقرب يار بايد كذشت].

يار بيزاراست ازتو تاتويي أول ازخود خويش رابيزاركن
كر زتويكذره باقي مانداه است خرقه وتسبيح با زنار كن
ترك خويش وهردوعالم كيرورو ذرة منديش وچون عطاركن

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ۝٣﴾

﴿والذين هم عن اللغو﴾ أي: عما لا يعنيهم من الأقوال والأفعال.

وفي «المفردات»: اللغو من الكلام ما لا يعتد به وهو الذي يورد لا عن روية وفكر ويجري مجرى اللغا وهو صوت العصافر ونحوها من الطيور.

وفي «التأويلات النجمية»: اللغو كل فعل لا لله وكل قول لا من الله ورؤية غير الله وكل ما يشغلك عن الله فهو لغو.

قال الكاشفي: [أمام قشيري فرمودكه هرچه براي خدانيست حشواست وآنچه ازخدا بازدارد سهواست وآنچه بنده رادران حظي باشد لهواست وآنچه ازخدا نبود لغواست وحقيقت آنست كه لغو چيزى راكوينداز اقوال وأفعال بهيج كارنيايد]، ﴿معرضون﴾ يقال: أعرض أظهر عرضه أي ناحيته فإذا قيل عرض لي كذا أي بدا عرضه فأمكن تناوله وإذا قيل أعرض فمعناه ولى مبدياً عرضه، أي معرضون في عامة أوقاتهم كما ينبىء عنه الاسم الدال على الاستمرار فيدخل في ذلك إعراضهم عنه حال اشتغالهم بالصلاة دخولاً أولياً ومدار إعراضهم عنه، ما فيه من الحالة الداعية إلى الإعراض عنه لا مجرد الاشتغال بالجد في أمور الدين فإن ذلك ربما يوهم أن لا يكون في اللغو نفسه ما يزجرهم عن تعاطيه.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦﴾.

﴿والذين هم للزكاة فاعلون﴾ للصدقة مؤدون والتعبير عن الأداء بالفعل مذكور في كلام العرب قال أمية بن أبي الصّلت: المطعمون الطعام في السنة الأزمة والفاعلون للزكوات. وتوسيط حديث الإعراض بين الطاعة البدنية والمالية لكمال ملابسته بالخشوع في الصلاة والزكاة مصدر لأنه الأمر الصادر عن الفاعل لا المحل الذي هو موقعه.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن الزكاة إنما وجبت لتزكية النفس عن الصفات الذميمة النجسة من حب الدنيا أو غيره كقوله: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣] فإن الفلاح في تزكية النفس كقوله: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤﴾ [الأعلى: ١٤]، وقوله:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ٩-١٠]، ولم يكن المراد مجرد إعطاء المال وحبه في القلب وإنما كان لمصلحة إزالة حب الدنيا عن القلب ومثل حب الدنيا جميع الصفات الذميمة إلى أن تتم إزالتها:

﴿والذين هم لفروجهم﴾ الفرج والفرجة الشق بين الشيئين كفرجة الحائط والفرج ما بين الرجلين وكني به عن السوءة وكثر حتى صار كالصريح فيه. ﴿حافظون﴾ ممسكون لها من الحرام ولا يرسلونها ولا يبذلونها.

﴿إلا على أزواجهم﴾ زوجاتهم فإن الزوج يقع على الذكر والأنثى. ﴿أو ما ملكت أيمانهم﴾ يعني: [كنيز كان كه مليكة يمين اند] فما ملكت أيمانهم وإن كان عاماً للرجال أيضاً لكنه مختص بالنساء إجماعاً وإنما قال ما اجراء للمماليك مجرى غير العقلاء إذ الملك أصل شائع فيه.

قال في «الأسئلة المقحمة»: كيف يجوز أن يسمى الرقيق ملك يمين ولا يسمى به سائر الأملاك الجواب ملك الجارية والعبد أخص لأنه يختص بجواز التصرف فيه ولا يعم كسائر الأملاك فإن مالك الدار مثلاً، يجوز له نقض الدار ولا يجوز لمالك العبد نقض بنيته انتهى. وإفراد ذلك بعد تعميم قوله ﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾ لأن المباشرة أشهى الملاهي إلى النفس وأعظمها خطراً. ﴿فإنهم﴾ [پس بدرستي كه نكاه دار ندكان فروج] ﴿غير ملومين﴾ على عدم حفظها منهن [بشرط آنكه در حيض ونفاس وروزه واحرام نباشد]، واللوم عذل إنسان بنسبته إلى ما فيه لوم.

وفي «التهذيب»: اللوم: [ملامت كردن].

قال في «الأسئلة المقحمة»: أي فرق بين الذم واللوم الجواب أن الذم يختص بالصفات يقال الكفر مذموم واللوم يختص بالأشخاص يقال فلان ملوم.

وفي «التأويلات النجمية»: يعني يحفظون عن التلذذ بالشهوات أي لا يكون أزواجهم وإمائهم عدواً لهم بأن يشغلهم عن الله وطلبه فحينئذٍ يلزم الحذر منه، كقوله: ﴿عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤] وإنما ذكر بلفظ على لاستيلائهم على أزواجهم لا لاستيلائهن عليهم وكانوا عليهن لا مملوكين لهن فإنهم غير ملومين إذا كانت المناكحة لابتغاء النسل ورعاية السنة وفي أوانها.

﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿فمن ابتغى﴾ طلب: وبالفارسية [پس هركه جويد براي مباشرت]، ﴿وراء ذلك﴾ الذي ذكر من الحد المتسع وهو أربع من الحرائر وما شاء من الإماء. وبالفارسية؛ [غير زنان وكنيزان خود]، ﴿فأولئك هم العادون﴾ الكاملون في العدوان المتناهون فيه أو المتعدون من الحلال إلى الحرام والعدوان الإخلال بالعدالة والاعتداء مجاوزة الحق: وبالفارسية، [كاملند درست مكاري با ايشان ودركذرندكانند از حلال بحرام وانكه استمنا بيدكندهم ازين قبل است] كما في «تفسير الفارسي».

قال في «أنوار المشارق في الحديث»: «ومن لم يستطع» أي التزوج «فعليه بالصوم»

استدل به بعض المالكية على تحريم الاستمناء لأنه أرشد عند العجز عن التزوج إلى أن الصوم الذي يقطع الشهوة جائز وفي رواية «الخلاصة»: الصائم إذا عالج ذكره حتى أمنى يجب عليه القضاء ولا كفارة عليه ولا يحل هذا الفعل خارج رمضان إن قصد تسكين شهوته وأرجو أن لا يكون عليه ويل.

وفي بعض «حواشي البخاري»: والاستمناء باليد حرام بالكتاب والسنة قال الله تعالى: ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ إلى قوله: ﴿فأولئك هم العادون﴾ أي: الظالمون المتجاوزون الحلال إلى الحرام.

قال البغوي: في الآية دليل على أن الاستمناء باليد حرام.

قال ابن جريج: سألت عطاء عنه فقال: سمعت أن قوماً يحشرون وأيديهم حبالى وأظنهم هؤلاء.

وعن سعيد بن جبير عذب الله أمة كانوا يبعثون بمذاكرهم والواجب على فاعله التعزير كما قال ابن الملقن وغيره، نعم يباح عند أبي حنيفة وأحمد إذا خاف على نفسه الفتنة وكذلك يباح الاستمناء بيد زوجته أو جاريته لكن قال القاضي حسين مع الكراهة لأنه في معنى العزل.

وفي «التاتارخانية» قال أبو حنيفة: حسبه أن ينجو رأساً برأس.

﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم﴾ لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق أو الخلق. وبالفارسية يعني: [ايشانرا بران امين ساخته باشند ازامانات وودايع خلق يا انچه أمانت حق است چون نماز وروزه وغسل جنابت وبرعهد پاك باحق وخلق بندند] والأمانة اسم لما يؤتمن عليه الإنسان والعهد حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال ويسمى الموثق الذي يلزم مراعاته عهداً ﴿راعون﴾ أي قائمون عليها وحافظون لها على وجه الإصلاح.

وفي «التأويلات النجمية»: الأمانة التي حملها الإنسان وهي الفيض الإلهي بلا واسطة في القبول وذلك الذي يختص الإنسان بكرامة حمله وعهدهم أي الذي عاهدهم عليه يوم الميثاق على أن لا يعبدوا إلا إياه كقوله: ﴿وَأَنِ اعْبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [يونس: ٦١] راعون بأن لا يخونوا في الأمانات الظاهرة والباطنة ولا يعبدوا غير الله فإن أبغض ما عبد غير الله الهوى لأنه بالهوى عبد ما عبد من دون الله انتهى.

قال محمد بن الفضل: جوارحك كلها أمانات عندك أمرت في كل واحدة منها بأمر فأمانة العين الغض عن المحارم والنظر بالاعتبار وأمانة السمع صيانتها عن اللغو والرفث وإحضارها مجالس الذكر وأمانة اللسان اجتناب الغيبة والبهتان ومداومة الذكر وأمانة الرجل المشي إلى الطاعات والتباعد عن المعاصي وأمانة الفم أن لا يتناول به إلا حلالاً وأمانة اليد أن لا يمدها إلى حرام ولا يمسكها عن المعروف وأمانة القلب مراعاة الحق على دوام الأوقات حتى لا يطالع سواه ولا يشهد غيره ولا يسكن إلا إليه.

﴿والذين هم على صلاتهم﴾ المفروضة عليهم ﴿يحافظون﴾ يواظبون عليها بشرائطها وآدابها ويؤدونها في أوقاتها.

قال في «التأويلات النجمية»: يحافظون لئلا يقع خلل في صورتها ومعناها ولا يضيع منهم الحضور في الصف الأول صورة ومعنى.

وفي الحديث: «يكتب للذي خلف الإمام بحذائه في الصف الأول ثواب مائة صلاة،

وللذي في الأيمن خمس وسبعون، وللذي في الأيسر خمسون، وللذي في سائر الصفوف خمس وعشرون» كما في «شرح المجمع» والصف الأول أعلم بحال الإمام فتكون متابعته أكثر وثوابه أتم وأوفر كما في «شرح المشارق» لابن الملك، وفي الحديث: «أول زمرة تدخل المسجد هم أهل الصف وإن صلوا في نواحي المسجد» كما في «خالصة الحقائق» ولفظ يحافظون لما في الصلاة من التجدد والتكرر وهو السر في جمعها وليس فيه تكرير الخشوع والمحافظة فضيلة واحدة.

قال الكاشفي: [ذكر صلاة در مبدأ ومنتهاي اين اوصاف كه موجب فلاح مؤمنانست اشارتست بتعظيم شان نماز].

﴿**أولئك**﴾ المؤمنون المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة. وبالفارسية: [آن كروه مؤمنان كه جامع اين شش صفت اند ﴿**هم الوارثون**﴾ أي: الأحقاء بأن يسموا وارثاً دون من عداهم ممن ورث رغائب الأموال والذخائر وكرائمها. والوراثة انتقال مال إليك من غيرك من غير عقد ولا ما يجري مجرى العقد وسمي بذلك المنتقل عن الميت فيقال للمال المورث ميراث.

﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾﴾.

﴿**الذين يرثون الفردوس**﴾ بيان لما يرثونه وتقييد للموارثة بعد إطلاقها وتفسير لها بعد إبهامها تفخيماً لشأنها ورفعاً لمحلها وهي استعارة لاستحقاقهم الفردوس بأعمالهم حسبما يقتضيه الوعد الكريم للمبالغة فيه؛ لأن الوراثة أقوى سبب يقع في ملك الشيء ولا يتعقبه رد ولا فسخ ولا إقالة ولا نقض. ﴿**هم فيها**﴾ أي: الفردوس والتأنيث لأنه اسم للجنة أو لطبقتها العليا وهو البستان الجامع لأصناف الثمر روي: «أنه تعالى بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الأذفر وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان» ﴿**خالدون**﴾ يخرجون منها ولا يموتون. والخلود تبرىء الشيء من اعتراض الفساد وبقاؤه على الحالة التي هو عليها والخلود في الجنة بقاء الأشياء على الحالة التي هي عليها من غير اعتراض الكون والفساد عليها.

وفي «التأويلات النجمية»: الفردوس أعلى مراتب القرب قد بقي ميراثاً عن الأموات قلوبهم فيرثه الذين كانوا أحياء القلوب انتهى.

وفي «تفسير الفاتحة» للمولى الفناري رحمه الله: اعلم أن الجنان ثلاث: الأولى جنة الاختصاص الإلٰهي وهي التي يدخلها الأطفال الذين لم يبلغوا حد العمل وحدهم من أول ما يولد ويستهل صارخاً إلى انقضاء ستة أعوام ويعطي الله من شاء من عباده من جنات الاختصاص ما شاء ومن أهلها المجانين الذين ما عقلوا ومن أهلها أهل التوحيد العلمي ومن أهلها أهل الفترات ومن لم يصل إليهم دعوة رسول.

والجنة الثانية: ميراث ينالها كل من دخل الجنة ممن ذكرنا ومن المؤمنين وهي الأماكن التي كانت معينة لأهل النار لو دخلوها.

والجنة الثالثة: جنة الأعمال وهي التي ينزل الناس فيها بأعمالهم فمن كان أفضل من غيره في وجوه التفاضل كان له من الجنة أكثر سواء كان الفاضل بهذه الحالة دون المفضول أو لم

يكن فما من عمل إلا وله جنة يقع التفاضل فيها بين أصحابها ورد في الحديث الصحيح عن النبي عليه السلام أنه قال لبلال: «يا بلال بم سبقتني إلى الجنة فما وطئت فيها موضعاً إلا سمعت خشخشتك أمامي» فقال: يا رسول الله ما أحدثت قط إلا توضأت وما توضأت إلا صليت ركعتين فقال عليه السلام «بهما» فعلمنا أنها كانت جنة مخصوصة بهذا العمل فما من فريضة لا نافلة ولا فعل خير ولا ترك محرم ومكروه إلا وله جنة مخصوصة ونعيم خاص بمن دخلها ثم فصل مراتب التفاضل فمن أراد ذلك فليطلب هناك فما ذكره موافق لما قيل في الآية أنهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على أنفسهم لأنه تعالى خلق لكل إنسان منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار كما قال الكاشفي: [منزل مؤمنان ازدوزخ اضافة منازل كفار كنند ومنزلهاي ايشان ازبهشت برمنزل مؤمنان افزايند ودرزاد المسير آورده بهشت بنظر كفار در آرند ومقامهاي ايشانرا اكر ايمان آوردندي بريشان نمايند تاحسرت ايشان زياده كردد:

نظر ازدور درجانان بدان ما ندكه كافررا بهشت ازدور بنمايند وآن سوز دكرباشد

اللهم اجعلنا من الذين يرثون الفردوس ويتنعمون بنعيمها ويصلون إلى نسيمها واحفظنا عن الأسباب المؤدية إلى النار وجحيمها.

﴿**ولقد خلقنا الإنسان**﴾ اللام جواب قسم أي وبالله لقد خلقنا جنس الإنسان في ضمن خلق آدم خلقاً إجمالياً﴿**من سلالة**﴾ يقال: سل الشيء من الشيء نزع كسل السيف من الغمد وسل الشيء من البيت على سبيل السرقة وسل الولد من الأب ومنه للولد سليل، والسلالة اسم ما سل من الشيء واستخرج منه فإن فعالة اسم لما يحصل من الفعل فتارة يكون مقصوداً منه كالخلاصة وأخرى غير مقصود منه كالقلامة والكناسة والسلالة من القبيل الأول فإنها مقصودة ما يسل ومن ابتدائية متعلقة بالخلق، أي من خلاصة سلت من بين الكدر كما في «الجلالين»، ﴿**من طين**﴾ من بيانية متعلقة بمحذوف وقع صفة لسلالة أي خلقنا من سلالة كائنة من طين: وبالفارسية: [خلاصة وازنقاوه كه بيرون كشيده شده ازكل] والطين التراب والماء المختلط به.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى سلالة سلت من جميع طيبها وسبخها وسهلها وجبلها باختلاف ألوانها وطبائعها المتفاوتة ولهذا اختلفت ألوانهم وأخلاقهم لأنه مودع في طبيعتهم ما هو من خواص الطين الذي اختص بخاصية منها نوع من الحيوان من جنس البهائم والسباع والجوارح والحشرات المؤذيات الغالبة على كل أحد منها صفة من الصفات الذميمة والحميدة. فأما الذميمة فكالحرص في الفأرة والنملة وكالشهوة في العصفور وكالغضب في الفهد والأسد وكالكبر في النمر وكالبخل في الكلب وكالشره في الخنزير وكالحقد في الحية وغير ذلك من الصفات الذميمة وأما الحميدة فكالشجاعة في الأسد والسخاوة في الديك والقناعة في البوم وكالحلم في الجمل وكالتواضع في الهرة وكالوفاء في الكلب وكالبكور في الغراب وكالهمة في البازي والسلحفاة وغير ذلك من الصفات الحميدة فقد جمعها كلها مع خواصها وطبائعها ثم أودعها في طينة الإنسان وهو آدم عليه السلام. ﴿**ثم جعلناه**﴾ أي: الجنس باعتبار أفراده المغايرة لآدم وقال بعضهم: ثم جعلناه أي نسله فحذف المضاف فيكون المراد بالإنسان آدم خلق من صفوة سلت من الطين. ﴿**نطفة**﴾ بأن خلقناه منها والنطفة الماء الصافي ويعبر بها عن ماء الرجل. ﴿**في قرار**﴾ أي مستقر وهو الرحم عبر عنها بالقرار الذي هو مصدر مبالغة. ﴿**مكين**﴾ أي حصين وهو وصف لها بصفة ما استقر فيها مثل طريق سائر. وبالفارسية:

[درقرار كاهي كه استوار يعني رحم وجهل روز اورا نكاه داشتيم سفيد].

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾

﴿ثم خلقنا النطفة علقة﴾ بأن أحلنا النطفة البيضاء علقة حمراء.

قال الراغب: العلق الدم الجامد ومنه العلقة التي يكون منها الولد ﴿فخلقنا العلقة مضغة﴾ المضغة قطعة لحم تمضغ أي فصيرناها قطعة لحم لا استبانة ولا تمايز فيها. وبالفارسية: [پس ساختيم آن خون را آن مقدار كوشت كه بخايند يكبار كوشتي بي استخوان بسته جهل روز ديكر] ﴿فخلقنا المضغة﴾ أي: غالبها ومعظمها ﴿عظاماً﴾ بأن صلبناها بعد ثلاث وأربعين وجعلناها عموداً للبدن على هيئات وأوضاع مخصوصة تقتضيها الحكمة. ﴿فكسونا﴾ [پس بپوشانيديم] ﴿العظام﴾ المعهودة ﴿لحماً﴾ من بقية المضغة أي كسونا كل عظم من تلك العظام ما يليق به من اللحم على مقدار لائق به وهيئات مناسبة له: وبالفارسية: [برو برويانيديم كوشت بعد از رستن عروق وأعضاب وأوتار وعضلات برو] واختلاف العواطف للتنبيه على تفاوت الاستحالات وجمع العظام لاختلافها. ﴿ثم أنشأناه﴾ الإنشاء إيجاد الشيء وتربيته وأكثر ما يقال ذلك في الحيوان وبالفارسية [پس بيافريديم أورا]. ﴿خلقاً آخر﴾ بنفخ الروح فيه. وبالفارسية: [روح درو دميده تازنده شد بعد ازآنكه مرده بود يا بعد ازخروج اورادندان وموي داديم وراه پستان برو كشاديم وازمقام رضاع بفطام رسانيديم وبغذاهاي كونا كون تربيت فرموديم وچون قدم در حد بلوغ نهاد وقلم تكليف برو جاري كرديم وبر مراتب شباب وكهولت وشيخوخت بكذارانيديم] وثم لكمال التفاوت بين الخلقين واحتج به أبو حنيفة رحمه الله على أن من غصب بيضة فأفرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ فإنه خلق آخر.

قال في «الأسئلة المقحمة»: خلق الله الآدمي أطواراً ولو خلقه دفعة واحدة كان أظهر في كمال القدرة وأبعد عن نسبة الأسباب فما معناه فالجواب لا بل الخلق بتقليب الأعيان واختراع الأشخاص أظهر في القدرة فإنه تعالى خلق الآدمي من نطفة متماثلة الأجزاء ومن أشياء كثيرة مختلفة المراتب متفاوتة الدرجات من لحم وعظم ودم وجلد وشعر وغيرها ثم خص كل جزء منها بتركيب عجيب وباختصاص غريب من السمع والبصر واللمس والمشي والذوق والشم وغيرها وهي أبلغ في إظهار كمال الإلٰهية والقدرة. ﴿فتبارك الله﴾ فتعالى شأنه من علمه الشامل وقدرته الباهرة ﴿أحسن الخالقين﴾ بدل من الجلالة أي أحسن الخالقين خلقاً أي المقدرين تقديراً حذف المميز لدلالة الخالقين عليه فالحسن للخلق.

وفي «الأسئلة المقحمة»: هذا يدل على أن العبد خالق أفعاله ويكون الرب أحسن منه في الخالقية فالجواب معناه أحسن المصورين لأن المصور يصور الصورة ويشكلها على صورة المخلوق أخبر به لأنه لا يبلغ في تصويريه إلى حد الخالق لأنه لن يقدر على أن ينفخ فيها الروح وقد ورد الخلق في القرآن بمعنى التصوير قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾ [المائدة: ١١٠] أي وإذ تصور كذلك ههنا انتهى.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾ يعني خلقاً غير المخلوقات التي خلقها من قبل وهو أحسنهم تقويماً وأكملهم استعداداً وأجلهم كرامة وأعلاهم رتبة وأخصهم فضيلة فلهذا

أثنى على نفسه عند خليقته بقوله: ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ لأنه خلق أحسن المخلوقين حيث جعله معدن العرفان وموضع المحبة ومتعلق العناية [أي عزيز حق سبحانه وتعالى عرش وكرسي ولوح وقلم وملائكة ونجوم وسموات وأرضين بيافريد وذات مقدس را بدين نوع ثناءكه بعد ازآفرينش إنسان فرموده نفر موده واين دليل تفضيل وتكريم ايشانست.

بر ورق روى لطف إلٰه آيينة حسن كه تحرير كرد

وفي «المثنوي»:

أي رخ چزن زهره است شمس الضحى أي كداي رنك توكلكونها
تاج كرمناست بر فرق سرت طوق فضلناست آويزبرت
هيچ كرمنا شنيد أين آسمان كه شنيد آن آدمي پرغمان
أحسن التقويم در والتين بخواند كه كرامي كوهرست أي دوست جان
كر بكويم قيمت آن ممتنع من بسوزم هم بسوزد مستمع

[بعضي ازاهل وجدان كويندكه چون درين آيت أحوال بني آدم وترقي ازمقامي بمقامي بيان فرموده وآنست كه اورا زباني باداء مراسم حمد وثنايي كه مستحق باركاه قدم باشد نخواهد بود درستايش ذات مقدس ازجناب أو نيابت نموده كفت] ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ روي: أن عبد الله بن أبي سرح كان يكتب لرسول الله الوحي فلما انتهى عليه السلام إلى قوله ﴿خلقاً آخر﴾ سارع عبد الله إلى النطق به قبل إملائه عليه السلام فقال عليه السلام: اكتب هكذا أنزلت فشك عبد الله فقال: إن كان محمد يوحي إليه فأنا كذلك فلحق بمكة كافراً ثم أسلم يوم الفتح وقيل: مات على كفره ولما نزلت هذه الآية قال عمر رضي الله عنه ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ فقال عليه السلام: «هكذا نزلت يا عمر» وكان يفتخر بتلك الموافقة انظر كيف وقعت هذه الواقعة سبباً لسعادة عمر رضي الله عنه وشقاوة ابن أبي سرح حسبما قال تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦] لا يقال قد تكلم البشر ابتداء بمثل نظم القرآن وذلك فادح في إعجازه لما أن الخارج عن قدرة البشر ما كان مقدار أقصر سورة.

﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَـٰفِلِينَ ﴿١٧﴾﴾.

﴿ثم إنكم بعد ذلك﴾ أي بعدما ذكر من الأمور العجيبة ﴿لميتون﴾ لصائرون إلى الموت لا محالة كما تؤذن به صيغة النعت الدالة على الثبوت دون الحدوث الذي يفيده صيغة الفاعل. وبالفارسية: [يعني مآل حال شما بمرك خواهد كشيد وساغر فنا از دست ساقي أجل خواهيد چشيد].

قال بعضهم: من مات من الدنيا خرج إلى حياة الآخرة ومن مات من الآخرة خرج منها إلى الحياة الأصلية وهو البقاء مع الله تعالى.

﴿ثم إنكم يوم القيامة﴾ أي عند النفخة الثانية ﴿تبعثون﴾ تخرجون من قبوركم للحساب والمجازاة بالثواب والعقاب.

وفي الآية إشارة إلى أن الإنسان بعد بلوغه إلى رتبة الإنسانية يكون قابلاً للموت مثل موت القلب وموت النفس وقابلاً لحشرهما وفي موت القلب حياة النفس وحشرها مودع وفي

موت النفس حياة القلب وحشره مودع وحياة النفس بالهوى وظلمته وحياة القلب بالله ونوره كما قال تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا﴾ [الأنعام: ١٢٢] الآية وهذا معنى حقيقة قوله: ﴿ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾ كذا في «التأويلات النجمية».

قال في «الأسئلة المقحمة»: عد سائر أطوار الآدمي من خلقه إلى أن يبعث ولم يذكر فيها شيئاً من سؤال القبر فدل على أنه ليس بشيء فالجواب لأنه تعالى ذكر الحياة الأولى التي هي سبب العمل والحياة الثانية التي هي سبب الجزاء وهما المقصودان من الآية ولا يوجب ذلك نفي ما يذكر انتهى.

اعلم أن الموت يتعلق بصعقة سطوات العزة وظهور أنوار العظمة والحياة تتعلق بكشف الجمال الأزلي هناك تعيش الأرواح والأشباح بحياة وصالية لا يجري بعدها موت الفراق والموت والحياة الصوريان من باب التربية الإلهية لأن في الفناء تربية أخرى في التراب وفي الحياة إظهار زيادة قدرة فينا بإدخال حياة ثانية في أشباحنا وتربية ثانية في أرواحنا فافهم جداً ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾ جمع طريقة كما أن الطرق جمع طريق والمراد طباق السموات السبع كما قال في «المفردات»: طرائق السماء طباقها. يعني [هفت آسمان طبقي بالاي طبقه] سميت بها لأنها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل فإن كل شيء فوق مثله فهو طريقه. ﴿وما كنا عن الخلق﴾ عن ذلك المخلوق الذي هو السموات. ﴿غافلين﴾ مهملين أمرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر أمرها حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة،

وقال الكاشفي: [يا از جميع آفريد كان غافل نيستيم برخير وشر ونفع وضرر وكفر وشرك ايشان مطلعيم].

قال أبو يزيد قدس سره في هذه الآي: إن لم تعرفه فقد عرفك وإن لم تصل إليه فقد وصل إليك وإن غبت أو غفلت عنه فليس عنك بغائب ولا غافل.

قال بعضهم: فوقنا حجب ظاهرة وباطنة ففي ظاهر السموات حجب تحول بيننا وبين المنازل العالية من العرش والكرسي وعلى القلوب أغطية كالمني والشهوات والإرادات الشاغلة والغفلات المتراكمة والله تعالى ليس بغافل عن سكنات الغافلين وحركات المريدين ورغبات الزاهدين ولحظات العارفين.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾﴾.

﴿وأنزلنا من السماء﴾ من ابتدائية متعلقة بأنزلنا ﴿ماء﴾ هو المطر ﴿بقدر﴾ [باندازه كه صلاح بند كان در آن دانستيم].

وفي «بحر العلوم»: بتقدير يسلمون معه من الضرر ويصلون إلى النفع. ﴿فأسكناه في الأرض﴾ أي جعلنا ذلك الماء ثابتاً قاراً فيها. ﴿وإنا على ذهاب به﴾ أي إزالته بالإفساد أو التصعيد أو التغوير بحيث يتعذر استنباطه حتى تهلكوا أنتم ومواشيكم عطشاً. ﴿لقادرون﴾ كما كنا قادرين على إنزاله. وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي عليه السلام: «إن الله تعالى أنزل من الجنة خمسة أنهار جيحون وسيحون ودجلة والفرات والنيل فأنزلها الله تعالى

من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل استودعها الجبال وأجراها في الأرض وجعل فيها منافع للناس»، فذلك قوله: ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض﴾ وإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله جبريل فرفع من الأرض القرآن والعلم كله والحجر الأسود من البيت ومقام إبراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الأنهار الخمسة إلى السماء فذلك قوله: ﴿وإنا على ذهاب به لقادرون﴾ فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض فقد أهلها خيري الدين والدنيا هذا حديث حسن كما في «بحر العلوم».

﴿فأنشأنا لكم﴾ [پس بيافريديم براي شما] ﴿به﴾ بسبب ذلك الماء ﴿جنات﴾ [بستانها] ﴿من نخيل﴾ [زخرما بنان].

قال في «المفردات»: النخل: معروف ويستعمل في الواحد والجمع وجمعه نخيل ﴿وأعناب﴾ [وازتاك بنان].

قال في «المفردات»: العنب يقال لثمرة الكرم والكرم نفسه الواحدة عنبة انتهى.

قال الكاشفي: [تخصيص اين دو درخت جهت اختصاص أهل مدينة بخرما وأهل طائف بانكوراست ونخل وعنب در زمين حجاز ازهمه ديار عرب بيشتر مي باشد] ﴿لكم فيها﴾ أي في تلك الجنات ﴿فواكه كثيرة﴾ تتفكهون بها.

قال في «المفردات»: الفاكهة قيل هي الثمار كلها وقيل: بل هي الثمار ما عدا العنب والرمان وقائل هذا كأنه نظر إلى اختصاصهما بالذكر وعطفهما على الفاكهة انتهى.

قال أبو حنيفة رحمه الله إذا حلف لا يأكل فاكهة فأكل رطباً أو عنباً أو رماناً لم يحنث لأن كلاً منها وإن كان فاكهة لغة وعرفاً إلا أن فيه معنى زائداً على التفكه، أي التلذذ والتنعم وهو الغذائية وقوام البدن فيه فبهذه الزيادة يخص من مطلق الفاكهة وخالفه صاحباه ﴿ومنها﴾ أي من الجنات ثمارها وزروعها ﴿تأكلون﴾ تغذياً أو ترزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان يأكل من حرفته كما قال الكاشفي [وما ما لا بد معيشت ازان حاصل ميكنيد].

وفي الآية إشارة إلى أنه كما أنزل من السماء ماء المطر الذي هو سبب حياة الأرضين كذلك أنزل من سماء العناية ماء الرحمة فيحيي القلوب ويزيل به دون العصاة وآثار زلتهم وينبت في رياض قلوبهم فنون أزهار البسط وصنوف أنوار الروح وإلى أنه كما يحيي الغياض بماء السماء ويثمر الأشجار ويجري به الأنهار فكذلك ماء سماء العناية ينشىء شجرة العرفان ويؤتي أكلها من الكشف والعيان وما تتقاصر العبارات عن شرحه ولا تطمع الإشارات في حصره ثم إن الله تعالى عد نعمه على العباد وأحسن الإرشاد فمن تجاوز من النعم إلى المنعم فقد فاز بالمطلوب الحقيقي.

فإن قلت: لم أمر الله بالزهد في الدنيا مع أنه خلقها له؟.

قلت السكر إذا نثر على رأس الختن فإنه لا يلتقطه لعلو همته ولو التقطه لكان عيباً والأولياء زهدوا فيها ومنعوا أنفسهم عن طيباتها وقنعوا بالقليل رجاء رفع الدرجات، وفي الحديث: «جوعوا أنفسكم لوليمة الفردوس» والضيف إذا كان حكيماً لا يشبع من الطعام رجاء الحلوى حكي: أن واحداً من أهل الرياضة مرّ من تحت شجرة فإذا ثمرها قد أدرك فحملته عليه نفسه للأكل منه فقال لها إن صمت سنة وإلا فلا فصامت حتى إذا كان وقت الثمر من السنة الآتية ذهب ليأكل منه فتناول من الساقط تحتها فقالت النفس إن على الشجرة أعلى الثمر فكل

منه فقال لها: إن شرطي معك أن آكل منه مطلقاً لا من جيده الذي على الشجرة. قال الشيخ سعدي قدس سره:

مـرو در هـرچـه دل خـواهـدت   كه تمكين تن نور جان كاهدت
كـنـد مـردرا نـفـس إمـاره خـوار   اكـر هـوشـمـنـدي عـزيـزش مـدار
اكـر هـرچـه بـاشـد مـرادت خـوري   زدوران بـسـي نـامـرادي بـرى

قال بعضهم الجوز واللوز والفستق والبندق والشاه بلوط الصنوبر والرمان والنارنج والموز والخشخاش والرطب والزيتون والمشمش والخوخ والإجاص والعناب والغبيراء والدراق والزعرور والنبق والتفاح والكمثري والسفرجل والتين والعنب والأترج والخرنوب والقثاء والخيار والبطيخ كلها من فواكه الجنة فالعشرة الأولى لها قشر والثانية لا قشر لها والعشرة الثالثة ليس لها قشر ولا نوى كما لا يخفى.

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وشجرة﴾ بالنصب عطف على جنات وتخصيصها بالذكر من بين سائر الأشجار لاستقلالها بمنافع معروفة قيل: هي أول شجرة نبتت بعد الطوفان وهي شجرة الزيتون.

قال في «إنسان العيون»: شجرة الزيتون تعمر ثلاثة آلاف سنة.

وفي «المفردات»: الشجر من النبت ما له ساق يقال شجرة وشجر نحو ثمرة وثمر.

﴿تخرج من طور سيناء﴾ هو جبل بين مصر وآيلة نودي منه موسى عليه السلام. وبالفارسية: [وديكر بيافريديم براي شما درختي كه بيرون مي آيدازكوه زيباكه جبل موسى است درميان مصر وايله] ويقال له: طور سنين ومعناه الحسن أو المبارك.

قال أهل التفسير: فإما أن يكون الطور اسم الجبل وسيناء اسم البقعة أضيف إليها أو المركب منهما علم له كامرىء القيس وهو بالفتح فعلاء كصحراء فمنع صرفه للتأنيث وبالكسر فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة أو بالقصر وهو النور فمنع صرفه للتعريف والعجمة أو التأنيث على تأويل البقعة لا للألف وتخصيصها بالخروج منه مع خروجها من سائر البقاع أيضاً لتعظيمها ولأنه المنشأ الأعلى لها.

قال في «الجلالين»: أول ما نبت الزيتون نبت هناك. ﴿تنبت بالدهن﴾ [مي رويد باروغن] صفة أخرى لشجرة والباء متعلقة بمحذوف وقع حالاً منها أي تنبت ملتبسة به ومستصحبة له كما قال الراغب معناه تنبت والدهن موجود فيها بالقوة ويجوز كونها صلة معدية لتنبت كما في قولك: ذهبت بزيد أي تنبته بمعنى تتضمنه وتحصله فإن النبات حقيقة صفة للشجرة لا للدهن. ﴿وصبغ﴾ [نان خورش] ﴿للآكلين﴾ أي إدام لهم وذلك من قولهم اصطبغت بالحل وهو معطوف على الدهن جار على إعرابه عطف أحد وصفي الشيء على الآخر أي تنبت الجامع بين كونه دهناً يدهن به ويسرج به وكونه أدماً يصبغ فيه الخبز أي: يغمس للائتدام ويلون به كالدبس والخل مثلاً.

وفي «التأويلات النجمية»: هي شجرة الخفي الذي يخرج من طور سيناء الروح بتأثير تجلي أنوار الصفات تنبت بالدهن وهو حسن الاستعداد لقبول الفيض الإلهي بلا واسطة ومقر هذا الدهن هو الخفي الذي فوق الروح وهو سر بين الله وبين الروح لا تطلع عليه الملائكة المقربون وهو إدام لا آكلي الكونين بقوة الهمة.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿وإن لكم في الأنعام﴾ [درچهار پايان يعني إبل وبقر وغنم] ﴿لعبرة﴾ لآية تعتبرون بحالها وتستدلون على عظيم قدرة خالقها ولطيف حكمته. وبالفارسية: [چيزى كه بدان اعتبار كريد وبرقدرت إلٰهي استدلال نمايند] فكأنه قيل: كيف العبرة؟ فقيل: ﴿نسقيكم﴾ [مي اشامانيم شمارا]. ﴿مما في بطونها﴾ ما عبارة إما عن الألبان فمن تبعيضية والمراد بالبطون الجوف أو عن العلف الذي يتكون منه اللبن فمن ابتدائية والبطون على حقيقتها.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أنه كما يخرج من بطون الأنعام من بين الفرث والدم لبناً خالصاً وفيه عبرة لأولي الأبصار فكذلك يخرج من بين فرث الصفات النفسانية وبين دم الصفات الشيطانية لبناً خالصاً من التوحيد والمحبة يسقي به أرواح الصديقين كما قال بعضهم:

سقاني شربة أحيى فؤادي ... بكأس الحب من بحر الوداد

﴿ولكم فيها منافع كثيرة﴾ غير ما ذكر من أصوافها وأوبارها وأشعارها.

قال الكاشفي: [ومرشماراست درايشان سودهاي بسياركه بعضي راسوار ميشويد وبرخي رابارميكنيد واز بعضي نتاج مسيتانيد وازيشم وموي ايشان بهره ميكيريد] ﴿ومنها تأكلون﴾ فتنتفعون بأعيانها كما تنتفعون بما يحصل منها وفي الحديث: «عليكم بألبان البقر فإنها تؤم من كل الشجر» أي تجمع وفي الحديث: «عليكم بألبان البقر وسمنانها وإياكم ولحومها فإن ألبانها وسمنانها دواء وشفاء ولحومها داء» وقد صح أن النبي عليه السلام ضحى عن نسائه بالبقر.

قال الحليمي: هذا ليبس الحجاز ويبوسة لحم البقر ورطوبة لبنها وسمنها فكأنه يرى اختصاص ذلك به وهذا التأويلات مستحسن وإلا فالنبي عليه السلام لا يتقرب إلى الله تعالى بالداء فهو إنما قال ذلك في البقر لتلك اليبوسة. وجواب آخر أنه عليه السلام ضحى بالبقر لبيان الجواز ولعدم تيسر غيره كذا في «المقاصد الحسنة» للإمام السخاوي.

﴿وعليها﴾ أي على الأنعام فإن الحمل عليها لا يقتضي الحمل على جميع أنواعها بل يتحقق بالحمل على البعض كالإبل ونحوها وقيل: المراد هي الإبل خاصة لأنها المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فإنها سفائن البر ﴿وعلى الفلك﴾ أي السفينة.

قال الراغب: ويستعمل ذلك للواحد والجمع وتقديراهما مختلفان فإن الفلك إذا كان واحداً كان كبناء قفل وإذا كان جمعاً فكبناء حمر ﴿تحملون﴾ يعني [برشتران درخشك وبركشتيها برترى برداشته مي شويد يعني شتر وكشتي شمارا برميدارند وازهر موضعي بموضعي ميبرند] وإنما لم يقل وفي الفلك كقوله: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا﴾ [هود: ٤٠] لأن معنى الإيعاء ومعنى الاستعلاء كلاهما مستقيم لأن الفلك وعاء لمن يكون فيها حمولة له يستعليها فلما صح المعنيان صحت العبارتان وأيضاً هو يطابق قوله عليها ويزاوجه كذا في «بحر العلوم».

ودلت الآية على جواز ركوب البحر للرجال والنساء على ما قاله الجمهور وكره ركوبه للنساء لأن التستر فيه لا يمكنهن غالباً ولا غض البصر من المتصرفين فيه ولا يمكن عدم انكشاف عوراتهن في تصرفهن لا سيما فيما صغر من السفن مع ضرورتهن إلى قضاء الحاجة بحضرة الرجال كما في «أنوار المشارق».

قال في «الذخيرة»: إذا أراد أن يركب السفينة في البحر للتجارة أو لغيرها فإن كان بحال لو غرقت السفينة أمكنه دفع الغرق عن نفسه بكل سبب يدفع الغرق به حل له الركوب في السفينة وإن كان لا يمكنه دفع الغرق لا يحل له الركوب انتهى فالمفهوم من هذه المسألة حرمة الركوب في السفينة لمن لا يقدر على دفع الغرق عن نفسه مطلقاً سواء كان لطلب العلم أو التجارة أو الحج أو زيارة الأقارب أو صلة الرحم أو نحو ذلك وسواء كانت السلامة غالبة أو لا لكن المفهوم من بعض المسائل جوازه عند غلبة السلامة وإلا فلا.

قال في «شرح حزب البحر»: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعمرو بن العاص صف لي البحر فقال: يا أمير المؤمنين مخلوق عظيم يركبه خلق ضعيف دود على عود فقال عمر لا جرم لولا الحج والجهاد لضربت من يركبه بالدرة ثم منع ركوبه ورجع عن ذلك بعد مدة وكذلك وقع لعثمان رضي الله عنه ومعاوية ثم استقر الإجماع على جوازه بشرائطه انتهى.

والسباحة في الماء من سنن النبي، قال في «إنسان العيون»: كانت وفاة أبيه عليه السلام عبد الله بالمدينة ودفن في دار المتابعة بالتاء المثناة فوق وبالباء الموحدة والعين المهملة وهو رجل من بني عدي بن النجار أخوال أبيه عبد المطلب والنجار هذا اسمه تميم وقيل له: النجار لأنه اختتن بقدوم وهو آلة النجار ولما هاجر عليه السلام إلى المدينة ونظر إلى تلك الدار عرفها وقال: ههنا نزلت بي أمي وفي هذه الدار قبر أبي عبد الله وأحسنت القوم السباحة في بئر بني عدي بن النجار ومن هذا ومما جاء عن عكرمة عن ابن عباس أنه عليه السلام كان هو وأصحابه يسبحون في غدير في الجحفة فقال عليه السلام لأصحابه: «ليسبح كل رجل منكم إلى صاحبه» وبقي النبي عليه السلام وأبو بكر فسبح النبي إلى أبي بكر حتى اعتنقه وقال: «أنا وصاحبي أنا وصاحبي» وفي رواية: «أنا إلى صاحبي أنا إلى صاحبي» يعلم رد قول بعضهم: وقد سئل هل عام عليه السلام الظاهر لا لأنه لم يثبت أنه عليه السلام سافر في بحر ولا بالحرمين بحر.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿**ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه**﴾ اللام جواب قسم وتصدير القصة به لإظهار كمال الاعتناء بمضمونها أي وبالله لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه وجاء في قصيدة جمال الدين:

من كثير الذنب نوحوا نوح نوح في الرسل
إنه عمرا طويلا من قليل النطق ناح

وهو أنه عليه السلام مر على كلب به جرب فقال: بئس الكلب هذا ثم ندم فناح من أول عمره إلى آخر ﴿**فقال**﴾ داعياً لهم إلى التوحيد ﴿**يا قوم**﴾ [أي كروه من] وأصله يا قومي ﴿**اعبدوا الله**﴾ وحده كما دل عليه التعليل وهو ﴿**ما لكم من إله غيره**﴾ أي: ما لكم في الوجود أو في العالم غير الله فغير بالرفع صفة لآلة باعتبار محله الذي هو الرفع على أنه فاعل ومن زائدة أو مبتدأ خبره لكم. ﴿**أفلا تتقون**﴾ الهمزة لإنكار الواقع واستقباحه والفاء للعطف على مقدر يستدعيه المقام، أي ألا تعرفون ذلك أي مضمون قوله ما لكم من إلٰه غيره فلا تتقون عذابه بسبب إشراككم به في العبادة ما لا يستحق الوجود لولا إيجاد الله فضلاً عن استحقاق العبادة فالمنكر عدم الاتقاء مع تحقق ما يوجبه.

قال الكاشفي: يعني [ترسيداز عذاب وي وبعبادت غير أو ميل مكنيد].

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً﴾ نوح الروح إلى قومه من القلب والسر والنفس والقالب وجوارحه: ﴿فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ من الهوى والشيطان فعبادة القلب بقطع التعلقات والمحبة وعبادة السر بالتفرد بالتوحيد وعبادة النفس بتبديل الأخلاق وعبادة القالب بالتجريد وعبادة الجوارح بإقامة أركان الشريعة. ﴿أفلا تتقون﴾ بهذه العبادات عن الحرمان والخذلان وعذاب النيران.

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿فقال الملأ﴾ أي: الأشراف والسادة ﴿الذين كفروا من قومه﴾ أي: قالوا لعوامهم مبالغة في وضع الرتبة العالية وحطها عن منصب النبوة.

قال الكاشفي: [چون اكابر قوم اصاغر را بدين ودعوت نوح مائل ديدند ايشانرا تنفير نموده كفتند] ﴿ما هذا﴾ [نيست أين كس كه مي خواند بتوحيد] ﴿إلا بشر مثلكم﴾ أي في الجنس والوصف من غير فرق بينكم وبينه.

قال الكاشفي: [مانند شما درخوردن وآشاميدن وغير آن] ﴿يريد أن يتفضل عليكم﴾ أي يريد أن يطلب الفضل عليكم ويتقدمكم بإدعاء الرسالة مع كونه مثلكم.

قال في «الجلالين»: يتشرف عليكم فيكون أفضل بأن يكون متبوعاً وتكونوا له تبعاً كقوله وتكون لكما الكبرياء في الأرض وصفوه بذلك إغضاباً للمخاطبين عليه وإغراء على معاداته ﴿ولو شاء الله لأنزل ملائكة﴾ أي: لو شاء الله إرسال الرسول لأرسل رسلاً من الملائكة [تامر سل ازمرسل إليهم متميز بودي] وإنما قيل: لأنزل لأن إرسال الملائكة لا يكون إلا بطريق الإنزال فمفعول المشيئة مطلق الإرسال المفهوم من الجواب لا نفس مضمونه كما في قوله ولو شاء لهداكم ونظائره.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير بهذا إلى مقالات بعض البطلة من الطلبة فإن بعضهم يتكاسلون في الطلب فيقولون لو شاء الله سعينا في الطلب لأيدنا بالصفات الملكية والتوفيق الرباني ﴿ما سمعنا بهذا﴾ أي بمثل هذا الكلام الذي هو الأمر بعبادة الله خاصة ﴿في آبائنا الأولين﴾ أي: الماضين قبل بعثته.

وفي «بحر العلوم»: بهذا أي بإرسال البشر وإن جاء ذكر من الله على رجل منهم كما قال الكاشفي: [مانشنوده ايم أين راكه آدمي رسول خدا تواند بود بخلقان] قالوه إما لفرط غلوهم في التكذيب والعناد وإما لكونهم وآبائهم في فترة متطاولة يعني [ميان ادريس وميان ايشان مدتي مديد كذشته بود وشنوده بودندكه ازاولاد آدم پيغمبري بوده].

﴿إن هو﴾ ما هو ﴿إلا رجل به جنة﴾ أي: جنون ولذلك يقول ما يقول [اكر جنون نداشتي كه بشر قابليت رسالت ندارد] والجنون اختلال حائل بين النفس والعقل.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن أحوال أهل الحقيقة عند أرباب الطبيعة جنون كما أن أحوال أرباب الطبيعة عند أهل الحقيقة جنون انتهى والجنون المعتبر هو ترك العقل واختيار العشق: قال الحافظ:

درره منزل ليلى كه خطر هاست درو   شرط أول قدم آنست كه مجنون باشي

وقال الصائب:

روزن عالم غيبست دل أهل جنون من وآن شهركه ديوانه فراوان باشد

﴿فتربصوا به﴾ اصبروا عليه وانتظروا. وبالفارسية [پس انتظار بريد ويرا وچشم داريد].

قال الراغب: التربص الانتظار بالشيء ساعة يقصد بها غلاء أو رخصاً أو أمراً ينتظر زواله أو حصوله ﴿حتى حين﴾ إلى وقت يفيق من الجنون.

قال الكاشفي: [تاهنكامي از زمان يعني صبر كنيدكه اندك وقتي بميرد وازوى بازرهيم يا از جنون باهوش آيد وترك كفتن اين سخنان نموده بي كار خود كيرد].

﴿قال﴾ نوح بعدما أيس من إيمانهم ﴿رب﴾ [أي پروردكار من]. ﴿انصرني﴾ بإهلاكهم بالكلية ﴿بما كذبون﴾ أي بسبب تكذيبهم إياي أو بدل تكذيبهم.

﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿فأوحينا إليه﴾ عند ذلك، أي فأعلمناه في خفاء فإن الإيحاء والوحي إعلام في خفاء ﴿أن اصنع الفلك﴾ أن مفسرة لما في الوحي من معنى القول والصنع إجادة الفعل ﴿بأعيننا﴾ ملتبساً بحفظنا نحفظه من أن تخطىء في صنعته أو يفسده عليك مفسد يقال: فلان بعيني أي أحفظه وأراعيه كقولك: هو مني بمرأى ومسمع.

قال الجنيد قدس سره: من عمل على مشاهدة أورثه الله عليها الرضى قال الله تعالى: ﴿أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا﴾ وأمرنا وتعليمنا لكيفية صنعها روي: أنه أوحي إليه أن يصنعها على مثال الجؤجؤ.

وفي «التأويلات النجمية»: ألهمنا إلى نوح الروح أن اصنع فلك الشريعة باستصواب نظرنا وأمرنا لا بنظر العقل وأمر الهوى كما يعمل الفلاسفة والبراهمة. ﴿فإذا جاء أمرنا﴾ أي: إذا اقترب أمرنا بالعذاب ﴿وفار التنور﴾ [وبجوشد تنور يعني بوقتي كه زن تونان بزد ازميان آتش آب برآيد] كما في «تفسير الفارسي». والفور شدة الغليان ويقال ذلك في النار نفسها إذا هاجت وفي القدر وفي الغضب وفوارة الماء سميت تشبيهاً بغليان القدر ويقال الفور الساعة والتنور تنور الخبز ابتداء منه النبوع على خرق العادة وكان في الكوفة موضع مسجدها كما روي إنه قيل له عليه السلام: إذا فار الماء من التنور اركب أنت ومن معك وكان تنور آدم فصار إلى نوح فلما نبع منه الماء أخبرته امرأته فركبوا. ﴿فاسلك فيها﴾ أي أدخل في الفلك يقال: سلك فيه أي دخل وسلكه فيه أي أدخله ومنه قوله: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾ [المدثر: ٤٢] ﴿من كل﴾ من كل أمة ونوع ﴿زوجين﴾ فردين مزدوجين ﴿اثنين﴾ تأكيد والمراد الذكر والأنثى [ودر تيسير كويد دركشتي نياورد مكر آنهاراكه مي زايندا بابيضه مي نهند]. ﴿وأهلك﴾ منصوب بفعل معطوف على فاسلك أهلك والمراد به امرأته وبنوه وتأخير الأهل لما فيه من ضرب تفصيل بذكر الاستثناء وغيره ﴿إلا من سبق عليه القول منهم﴾ أي القول بإهلاك الكفرة ومنهم ابنه كنعان وأمه واغلة وإنما جيء بعلى لكونه السابق ضاراً كما جيء باللام في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ

﴿سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ [الأنبياء: ١٠١] لكونه نافعاً ﴿ولا تخاطبني في الذين ظلموا﴾ بالدعاء وإنجائهم ﴿إنهم مغرقون﴾ مقضي عليهم بالإغراق لا محالة لظلمهم بالإشراك وسائر المعاصي ومن هذا شأنه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف لا وقد أمر بالحمد على النجاة منهم بإهلاكهم بقوله تعالى:

﴿فإذا استويت أنت ومن معك﴾ أي من أهلك وأشياعك أي اعتدلت في السفينة راكباً.

قال الراغب: استوى يقال على وجهين أحدهما أن يسند إليه فاعلان فصاعداً نحو استوى زيد وعمرو كذا أي تساويا قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٩] والثاني أن يقال لاعتدال الشيء في ذاته نحو فإذا استويت ومتى عدي بعلى اقتضى معنى الاستعلاء نحو ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] ﴿على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين﴾ أفرد بالذكر مع شركة الكل في الاستواء والنجاة لإظهار فضله والإشعار بأن في دعائه وثنائه مندوحة عما عداه ﴿وقل ربي أنزلني﴾ أي: في السفينة أو منها.

قال الكاشفي [قولي آنست كه امر بدين دعا دروقت خروج ازكشتي بوده واشهر آنست كه دروقت دخول وخروج أين دعا فرموده] ﴿منزلاً مباركاً﴾ أي: إنزالاً أو موضع إنزال يستتبع خيراً كثيراً وقرىء منزلاً بفتح الميم أي موضع نزول والنزول في الأصل هو الانحطاط من علو يقال: نزل عن دابته ونزل في مكان كذا حطا رحله فيه وأنزله غيره ﴿وأنت خير المنزلين﴾، وفي «الجلالين»: استجاب الله دعاءه حيث قال: ﴿ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ﴾ [هود: ٤٨] فبارك فيهم بعد إنزالهم من السفينة حتى كان جميع الخلق من نسل نوح ومن كان معه في السفينة.

قال الكاشفي: [سلمى از ابن عطا نقل ميفرمايدكه منزل مبارك آن منزلست كه دراو ازهواجس نفساني ووساوس شيطاني أيمن باشند وآثار قرب ازجمال قدس نازل باشد:

هركجا پرتو أنوار جمال بيشتر بركت آن منزل ازهمه منازل افزونتر

در منزلي كه ياري روزي رسيده باشد باذره هاي خاكش داريم مرحبائي

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ۝٣٠﴾

﴿إن في ذلك﴾ الذي ذكر مما فعل به وبقومه. ﴿لآيات﴾ جليلة يستدل بها أولو الأبصار ويعتبر بها ذوو الاعتبار ﴿وإن كنا لمبتلين﴾ إن مخففة من إن واللام فارقة بينها وبين النافية وضمير الشأن محذوف أي وإن الشأن كنا مصيبي قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد أو مختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويتذكر.

قال الراغب: إذا قيل: ابتلى فلان بكذا وأبلاه فذلك يتضمن أمرين أحدهما: تعرف حاله والوقوف على ما يجهل من أمره والثاني: ظهور جودته ورداءته دون التعرف بحاله والوقوف على ما يجهل من أمره إذا كان الله علام الغيوب انتهى.

واعلم أن البلاء كالملح وإن أكابر الأنبياء والأولياء إنما كانوا من أولي العزم ببلايا ابتلاهم الله بها فصبروا ألا ترى إلى حال نوح عليه السلام كيف ابتلى ألف سنة إلاّ خمسين عاماً فصبر حتى قيل له: ﴿فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٨] قال الحافظ:

كرت چو نوح نبي صبر هست برغم طوفان بلا بكردد وكام هزار ساله برآيد

ثم إن نوحاً عليه السلام دعا بهلاك قومه مأذوناً من الله تعالى فجاء القهر الإلهي إذ لم يؤثر فيهم اللطف الرحماني والمقصود من الدعاء إظهار الضراعة وهو نافع عند الله تعالى.

يحيى بن معاذ رحمه الله: [كفت عبادت قفلست كليدش دعا ودندانة كليد لقمة حلال واز جملة دعاء أو أين بودي بار خدايا اكر آن نكنى كه خواهم صبر برآنچه توخواهي] وفي الآية إشارة إلى أن المؤمن ينبغي له أن يطلب منزلاً مباركاً يبارك له فيه حيث دينه ودنياه:

سعد يا حب وطن كرچه يثست صحيح نتوان مرد بسختي كه من ايجا زادم

ولو تفكرت في أحوال الأنبياء وكمل الأولياء لوجدت أكثرهم مهاجرين إذ لا يمن في الإقامة بين قوم ظالمين.

يقول الفقير: أحمد الله تعالى على نعمه المتوافرة لا سيما على المهاجرة التي وقعت مراراً وعلى المنزل وهي بلدة بروسه حيث جاء الفال بلدة طيبة ورب غفور وعلى الإنجاء من القوم الظالمين حيث أن كل من عاداني ورد موعظتي هلك مع الهالكين فجاءت عاقبة الابتلاء نجاة والقهر لطفاً والجلال جمالاً.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿ثم أنشأنا من بعدهم﴾ أي: أوجدنا وأحدثنا من بعد إهلاك قوم نوح ﴿قرناً آخرين﴾ هم عاد لقوله تعالى حكاية عن هود. ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [الأعراف: ٦٩] والقرن القوم المقترنون من زمن واحد أي أهل زمان واحد.

﴿فأرسلنا فيهم﴾ [پس فرستاديم درميان إيشان] ﴿رسولاً منهم﴾ أي: من جملتهم نسباً وهو هود لا هود وصالح على أن يكون المراد بالقرن عاداً وثمود لأن الرسول بمعنى المرسل لا بد وأن يثنى ويجمع بحسب المقام كقوله: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ [طه: ٤٧] وجعل القرن موضعاً للارسال كما في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ﴾ [الرعد: ٣٠] ونحوه لا غاية له كما في مثل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [العنكبوت: ١٤] للإيذان من أول الأمر بأن من أرسل إليهم لم يأتهم من غير مكانهم بل إنما نشأ فيما بين أظهرهم ﴿أن اعبدوا الله﴾ أن مفسرة لأرسلنا لما في الإرسال من معنى القول أي قلنا لهم على لسان الرسول أن اعبدوا الله تعالى وحده لأنه ﴿ما لكم من إله غيره﴾ مر إعرابه ﴿أفلا تتقون﴾.

قال في «بحر العلوم»: أتشركون بالله فلا تخافون عذابه على الاشراك انتهى فالشرك وعدم الاتقاء كلاهما منكران.

﴿وقال الملأ من قومه الذين كفروا﴾. قال الراغب: الملأ الجماعة يجتمعون على رأي فيملؤون العيون روعاء والنفوس دلالة وبهاء أي أشراف قومه الكافرين وصفوا بالكفر ذماً لهم وذكره بالواو دون الفاء كما في قصة نوح لأن كلامهم لم يتصل بكلام الرسول ومعناه أنه اجتمع في الحصول ذلك القول الحق وهذا القول الباطل وشتان ما بينهما.

قال في «برهان القرآن»: قدم من قومه في هذه الآية وأخر فيما قبلها لأن صلة الذين فيما قبل اقتصرت على فعل وضمير الفاعلين ثم ذكر بعده الجار والمجرور ثم الفاعل ثم المفعول

وهو المقول وليس كذلك هذه فإن صلة الموصول طالت بذكر الفاعل والمفعول والعطف عليه مرة أخرى فقدم الجار والمجرور لأن تأخيره ملبس وتوسطه ركيك فخص بالتقديم. ﴿وكذبوا بلقاء الآخرة﴾ أي: بالمصير إلى الآخرة بالبعث والحشر أو بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب ﴿وأترفناهم﴾ أي: نعمناهم ووسعنا عليهم. وبالفارسية: [ونعمت داده بودم ايشانرا] يقال: ترف فلان أي توسع في النعمة وأترفنه النعمة أطغته. ﴿في الحياة الدنيا﴾ بكثرة الأموال والأولاد أي قالوا لأعقابهم مضلين لهم. ﴿ما هذا﴾ أي: هود ﴿إلا بشر مثلكم﴾ في الصفات والأقوال البشرية ﴿يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون﴾ أي تشربون منه وهو تقرير للمماثلة. يعني [بغداء محتاجست مانندشما اكر نبي بودي بايستي كه متصف بصفات ملائكة بودي نخوردي ونياشاميدي].

﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿ولئن أطعتم بشراً مثلكم﴾ أي فيما ذكر من الأحوال والصفات أي وبالله إن امتثلتم أوامره ﴿إنكم إذاً﴾ أي: على تقدير الإطاعة: وبالفارسية [آنكاه]. ﴿لخاسرون﴾ عقولكم ومغبونون في آرائكم حيث اذللتم أنفسكم.

وقال الكاشفي: [زيان زد كانيدكه خودرا مأمور ومتبوع مثل خود سازيد] انظر كيف جعلوا أتباع الرسول الحق الذي يوصلهم إلى سعادة الدارين خسراناً دون عبادة الأصنام التي لا خسران وراءها قاتلهم الله وإذن وقع بين اسم إن وخبرها لتأكيد مضمون الشرط والجملة جواب لقسم محذوف.

قال بعض الفضلاء: إذن ظرف حذف منه ما أضيف إليه ونون عوضاً. وفي «العيون»: إذن جواب شرط محذوف أي إنكم إن أطعتموه إذن لخاسرون.

﴿أيعدكم﴾ [ايا وعده ميدهد شمارا اين پيغمبر]. ﴿أنكم إذا متم﴾ بكسر الميم من مات يمات وقرىء بضمها من مات يموت ﴿وكنتم﴾ وصرتم. ﴿تراباً وعظاماً﴾ نخرة مجردة عن اللحوم والأعصاب أي كان بعض أجزائكم من اللحم ونظائره تراباً وبعضها عظاماً وتقديم التراب لعراقته في الاستبعاد وانقلابه من الأجزاء البادية أو كان متقدموكم تراباً صرفاً ومتأخروكم عظاماً. يقول الفقير: الظاهر أن مرادهم بيان صيرورتهم عظاماً ثم تراباً لأن الواو لمطلق الجمع. ﴿أنكم﴾ تأكيد للأول لطول الفصل بينه وبين خبره الذي هو قوله: ﴿مخرجون﴾ أي من القبور أحياء كما كنتم.

﴿۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿هيهات هيهات﴾ اسم فعل وهو بعد وتكريره لتأكيد البعد، أي: بعد الوقوع. ﴿لما توعدون﴾ يعني: [آنچه وعده داده ميشويد ازبعث وجزا هركز نباشد] أو بعدما توعدون واللام لبيان المستبعد كأنهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل: لماذا هذا الاستبعاد فقيل لما توعدون.

﴿إن هي﴾ إن بمعنى ما، أي ما الحياة ﴿إلا حياتنا الدنيا﴾ الدانية الفانية ﴿نموت ونحيا﴾

مفسرة للجملة المتقدمة أي يموت بعضنا ويولد بعض إلى انقراض العصر أو يصيبنا الأمران الموت والحياة يعنون الحياة المتقدمة في الدنيا والموت بعدها وليس وراء ذلك حياة. ﴿وما نحن بمبعوثين﴾ بمنشرين بعد الموت كما تزعم يا هود انظر كيف عميت قلوبهم حتى لم يروا أن الإعادة أهون من الابتداء وأن الذي هو قادر على إيجاد شيء من العدم وإعدامه من الوجود يكون قادراً على إعادته ثانياً. ﴿إن هو﴾ أي: ما هود ﴿إلا رجل افترى على الله كذباً﴾ أي: اخترع الكذب على الله فيما يدعيه من الإرسال والبعث.

قال الراغب: الفري قطع الجلد للخرز والإصلاح والإفراء للإفساد والافتراء فيهما وفي الإفساد أكثر ولذلك استعمل في القرآن في الكذب والشرك والظلم ﴿وما نحن له بمؤمنين﴾ بمصدقين فيما يقول.

﴿قال﴾ هود بعد ما يئس من إيمانهم ﴿رب انصرني﴾ عليهم وانتقم لي منهم: وبالفارسية [أي پروردكار من ياري كن مرا بغالبيت وايشانرا مغلوب كردان] ﴿بما كذبون﴾ أي بسبب تكذيبهم إياي وإصرارهم عليه. ﴿قال﴾ تعالى إجابة لدعائه وعدة بالقبول ﴿عما قليل﴾ أي عن زمان قليل وما مزيدة بين الجار والمجرور لتأكيد معنى القلة ﴿ليصبحن﴾ أي ليصيرن أي الكفار المكذبون. ﴿نادمين﴾ على الكفر والتكذيب وذلك عند معاينتهم العذاب. والندامة بالفارسية: [پشيماني].

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿فأخذتهم الصيحة﴾ صيحة جبريل صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم فماتوا والصيحة رفع الصوت.

فإن قلت: هذا يدل على أن المراد بالقرن المذكور في صدر القصة ثمود قوم صالح فإن عاداً أهلكوا بالريح العقيم.

قلت: لعلهم حين أصابتهم الريح العقيم أصيبوا في تضاعفها بصيحة هائلة أيضاً كما كان عذاب قوم لوط بالقلب والصيحة كما مر وقد روي أن شداد بن عاد حين أتم بناء إرم سار إليها بأهله فلما دنا منها بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وقيل: الصيحة نفس العذاب والموت.

وفي «الجلالين»: فأخذتهم صيحة العذاب ﴿بالحق﴾ متعلق بالأخذ أي بالوجه الثابت الذي لا دافع له.

وفي «الجلالين»: بالأمر من الله. ﴿فجعلناهم﴾ فصيرناهم ﴿غثاء﴾ أي كغثاء السيل لا ينتفع به وهو ما يحمله السيل على وجهه من الزبد والورق والعيدان كقولك: سال به الوادي لمن هلك.

قال الكاشفي: [غثاء: چون خاشاك آب آورده يعني هلاك كرديم ونابود ساختيم چون خس وخاشاك كه سيل آنرا بأطراف افكند وسياه كهنه كردد]. ﴿فبعداً للقوم الظالمين﴾ يحتمل الإخبار والدعاء.

قال الكاشفي: [پس دوري باد ازرحمت خداي مركروه ستمكارانرا] وبعداً مصدر بعد إذا

هلك وهو من المصادر التي لا يكاد يستعمل ناصبها، والمعنى بعدوا بعداً أي هلكوا واللام لبيان من قيل له بعداً. وفي الآية إشارة إلى أن أهل الدنيا حين بغوا في الأرض وطغوا على الرسل.

چومنعم كند سفله را روزكار نهد بردل تنك درويش بار
چو بام بلندش بود خود پرست كند بول وخاشاك برบام پست

وقالوا لرسلهم ما قالوا لا يعلمون أن الرسل وأهل الله وإن كانوا يأكلون مما يأكل أهل الدنيا ولكن لا يأكلون كما يأكل هؤلاء فإنهم يأكلون بالإسراف وأهل الله يأكلون ولا يسرفون كما قال النبي عليه السلام: «المؤمن يأكل في معى واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء».

لا جرم كافر خورد درهفت بطن دين ودل باريك ولا غرزفت بطن

بل أهل الله يأكلون ويشربون بأفواه القلوب مما يطعمهم ربهم ويسقيهم حيث يبيتون عند ربهم. قال حضرة الشيخ الشهير بأفتاده أفندي قدس سره: كان عليه السلام يبيت عند ربه فيطعمه ويسقيه من تجلياته المتنوعة وإنما أكله في الظاهر لأجل أمته الضعيفة وإلا فلا احتياج له إلى الأكل والشرب وما روي من أنه كان يشد الحجر فهو ليس من الجوع بل من كمال لطافته لئلا يصعد إلى الملكوت بل يستقر في الملك للإرشاد وقد وصف الله الكفار بشر الصفات وهي الكفر بالخالق وبيوم القيامة والانغماس في حب الدنيا ثم سجل عليهم بالظلم وأشار إلى أن هلاكهم إنما كان بسبب ظلمهم.

نماند ستمكار بدروزكار بماند برو لعنت پايدار

فالظلم من شيم أهل الشقاوة والبعد وأنهم كالغثاء في عدم المبالاة بهم كما قال: «هؤلاء في النار ولا أبالي».

﴿ثم أنشأنا﴾ خلقنا ﴿من بعدهم﴾ أي بعد هلاك القرون المذكورة وهم عاد على الأشهر. ﴿قروناً آخرين﴾ هم قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم عليهم السلام إظهاراً للقدرة وليعلم كل أمة استغناءنا عنهم وأنهم إن قبلوا دعوة الأنبياء وتابعوا الرسل تعود فائدة استسلامهم وانقيادهم وقيامهم بالطاعات إليهم.

﴿ما تسبق من أمة أجلها﴾ من مزيدة للاستغراق أي ما تتقدم أمة من الأمم المهلكة الوقت الذي عين لهلاكهم. ﴿وما يستأخرون﴾ ذلك الأجل بساعة وطرفة عين بل تموت وتهلك عندما حد لها من الزمان.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ (٤٤) ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٤٥) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ (٤٦) فَقَالُوٓا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ (٤٧) فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ (٤٨)﴾

﴿ثم أرسلنا رسلنا﴾ عطف على أنشأنا لكن لا على معنى أن إرسالهم متأخر ومتراخ عن إنشاء القرون المذكورة جميعاً بل على معنى أن إرسال كل رسول متأخر عن إنشاء قرن مخصوص بذلك الرسول كأنه قيل: ثم أنشأنا من بعدهم قروناً آخرين قد أرسلنا إلى كل قرن منهم رسولاً خاصاً به. ﴿تترى﴾ مصدر من المواترة وهي التعاقب في موضع الحال أي

متواترين واحداً بعد واحد. وبالفارسية: [پي درپي يعني يكي درعقب ديكري].

قال في «الإرشاد»: وغيره من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو والألف للتأنيث لأن الرسل جماعة ﴿**كلما جاء أمة رسولها**﴾ المخصوص أي جاء بالبينات وللتبليغ ﴿**كذبوه**﴾ نسبوا إليه الكذب يعني أكثرهم بدليل قوله: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الصافات: ٧١] كما في «بحر العلوم».

قال الكاشفي: [تكذيب كردنداورا وآنچه كفت ازتوحيد ونبوت وبعث وحشر دروغ پنداشتند وبتقليد پدران ولزوم عادات ناپسنديده ازدولت تصديق محروم ماندند] ﴿**فأتبعنا بعضهم**﴾ أي بعض القرون ﴿**بعضاً**﴾ في الإهلاك أي أهلكنا بعضهم في أثر بعض حسبما تبع بعضهم بعضاً في مباشرة الأسباب التي هي الكفر والتكذيب وسائر المعاصي.

قال الكاشفي: [يعني هيچ كدام را مهلت نداديم وآخرين را چون أولين معاقب كردانيم] ﴿**وجعلناهم**﴾ بعد إهلاكهم ﴿**أحاديث**﴾ لمن بعدهم، أي لم يبق عين ولا أثر إلا حكايات يسمر بها ويتعجب منها ويعتبر بها المعتبرون من أهل السعادة وهو اسم جمع للحديث أو جمع أحدوثة وهي ما يتحدث به تلهياً وتعجباً وهو المراد ههنا كأعاجيب جمع أعجوبة وهي ما يتعجب منها.

قال الكاشفي: [وساختيم آنراسخنان يعني عقوبت خلق كردانيديم كه دائم عذاب ايشانرا ياد كنند وبدان مثل زنند خلاصة شخن آنكه ازايشان غير حكايتي باقي نماندكه مردم إفسانه وار ميكويند واكر سخن نيكوى آيشان بماندى به بودي بزركي كفته است].

تفنى وتبقى عنك أحدوثة فاجهد بأن تحسن أحدوثتك

[ودر ترجمة آن فرموده اند].

پس ازتو اين همه افسانها كه مي خوانند دران بكوش كه نيكو بماند افسانه

يقول الفقير: في البيت العربي دلالة على أن الأحدوثة تقال على الخير والشر وهو خلاف، ما قال الأخفش من أنه لا يقال في الخير: جعلتهم أحاديث وأحدوثة وإنما يقال: جعلت فلاناً حديثاً انتهى.

ويمكن أن يقال في البيت الأحدوثة الثانية وقعت بطريق المشاكلة ﴿**فبعداً لقوم لا يؤمنون**﴾ [پس دوري باد از رحمت حق مر كروهي راكه نمى كروند بأنبياء وتصديق ايشان نمى كنند] وفي أكثر التفاسير بعدوا بعداً أي هلكوا واللام لبيان من قيل له: بعداً وخصهم بالنكرة لأن القرون المذكورة منكرة بخلاف ما تقدم من قوله: فبعداً للقوم الظالمين حيث عرف بالألف واللام لأنه في حق قوم معنيين كما سبق.

وفي الآية دلالة على أن عدم الإيمان سبب للهلاك والعذاب في النيران كما أن التصديق مدار للنجاة والتنعم في الجنان.

قال يعقوب عليه السلام للبشير: على أي دين تركت يوسف؟ قال: على الإسلام قال: الآن تمت النعمة على يعقوب وعلى آل يعقوب إذ لا نعمة فوق الإسلام وحيث لا يوجد فجميع النعم عدم وحيث يوجد فجميع النقم عدم.

وسأل رجل علياً رضي الله عنه هل رأيت ربك؟ فقال: أفأعبد ما لا أرى فقال: كيف تراه قال: لا تدركه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلب بحقائق الإيمان.

وعنه: من عرف ربه جل ومن عرف نفسه ذل، يعني: عرفان الرب يعطي جلالة في المعنى وعرفان النفس يعطي ذلة في الصورة فالكفار وسائر أهل الظلم عدوا أنفسهم أعزة فذلوا صورة ومعنى حيث بعدوا من الله تعالى في الباطن وهلكوا مع الهالكين في الظاهر والمؤمنون وسائر العدول عدوا أنفسهم أذلة فعزوا صورة ومعنى حيث تقربوا إلى الله تعالى في الباطن ونجوا من الهلاك في الظاهر فجميع التنزل إنما يأتي من جهة الجهل بالرب والنفس.

رونق كار خسان كاسد شود همچو ميوة تازة زوفاسد شود

فعلى العاقل الانقياد لأهل الحق فإن جمع الفيض إنما يحصل من مشرب الانقياد وبالانقياد يحصل العرفان التام وشهود رب العباد.

كى رسانند آن امانت را بتو تانباشى پيششان راكع دوتو

اللهم اعصمنا من العناد أثبتنا على الانقياد.

﴿**ثم أرسلنا موسى وآخاه هارون بآياتنا**﴾ هي الآيات التسع من اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص الثمرات والطاعون ولا مساغ لعد فلق البحر منها؛ إذ المراد الآيات التي كذبوها. ﴿**وسلطان مبين**﴾ حجة واضحة ملزمة للخصم وهي العصا وخصصها لفضلها على سائر الآيات أو نفس الآيات عبر عنها بذلك على طريق العطف تنبيهاً على جمعها لعنوانين جليلين وتنزيلاً لتغايرها منزلة التغاير الذاتي. ﴿**إلى فرعون وملئه**﴾ أي: أشراف قومه من القبط خصوا بالذكر لأن إرسال بني إسرائيل منوط بآرائهم لا بآراء أعقابهم. ﴿**فاستكبروا**﴾ عن الإيمان والمتابعة وعظم الكبر أن يتهاون العبيد بآيات ربهم وبرسالاته بعد وضوحها وانتفاء الشك عنها ويتعظموا عن امتثالها وتقبلها. ﴿**وكانوا قوماً عالين**﴾ متكبرين مجاوزين للحد في الكبر والطغيان أي كانوا قوماً عادتهم الاستكبار والتمرد ﴿**فقالوا**﴾ عطف على استكبروا وما بينهما اعتراض مقرر للاستكبار أي قالوا فيما بينهم بطريق المناصحة ﴿**أنؤمن**﴾ الهمزة للإنكار بمعنى لا نؤمن وما ينبغي أن يصدر منا الإيمان. ﴿**لبشرين مثلنا**﴾ وصف بالمثل الاثنان لأنه في حكم المصدر العام للإفراد والتثنية والجمع المذكر والمؤنث. ﴿**وقومهما**﴾ يعنون بني إسرائيل ﴿**لنا**﴾ متعلقة بقوله: ﴿**عابدون**﴾ والجملة حال من فاعل نؤمن، أي: خادمون منقادون لنا كالعبيد وكأنهم قصدوا بذلك التعرض لشأنهما وحط رتبتهما العلية عن منصب الرسالة من وجه آخر غير البشر.

قال الكاشفي: [در بعضى تفاسير آورده انده كه بني إسرائيل فرعون رامي پرستيدند نعوذ بالله واوبت مي پرستيد ياكوساله] أي فتكون طاعتهم لهم عبادة على الحقيقة.

﴿**فكذبوهما**﴾ أي فاصروا على تكذيب موسى وهارون حتى يئسا من تصديقهم ﴿**فكانوا**﴾ فصاروا ﴿**من المهلكين**﴾ بالغرق في بحر القلزم.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾.

﴿**ولقد آتينا موسى**﴾ أي: بعد إهلاكهم وإنجاء بني إسرائيل من أيديهم ﴿**الكتاب**﴾ التوراة ﴿**لعلهم**﴾ لعل بني إسرائيل ﴿**يهتدون**﴾ إلى طريق الحق بالعمل بما فيها من الشرائع والأحكام.

﴿وجعلنا ابن مريم﴾ أي: عيسى ﴿وأمه آية﴾ دالة على عظم قدرتنا بولادته منها من غير مسيس بشر فالآية أمر واحد مضاف إليهما أو جعلنا ابن مريم آية بأن تكلم في المهد فظهرت منه معجزات جمة وأمه آية بأنها ولدته من غير مسيس فحذف الأولى لدلالة الثانية عليها.

قال في «العيون»: آية أي عبرة لبني إسرائيل بعد موسى لأن عيسى تكلم في المهد وأحيا الموتى ومريم ولدته من غير مسيس وهما آيتان قطعاً فيكون هذا من قبيل الاكتفاء بذكر إحداهما انتهى.

وتقديمه عليه السلام لأصالته فيما ذكر من كونه آية كما أن تقديم أمه في قوله: ﴿وَجَعَلْنَـٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١] لأصالتها فيما نسب إليها من الإحصان والنفخ ـ وروي ـ أن رسول الله عليه السلام صلى الصبح بمكة فقرأ سورة المؤمنين فلما أتى على ذكر عيسى وأمه أخذته شرقة فركع أي شرق بدمعه فعي بالقراءة ﴿وآويناهما إلى ربوة﴾ [وجاي داديم مادر وپسررا وقتي كه ازيهود فرار كردند وباز آورديم بسوى ربوة از زمين بيت المقدس] أي أنزلناهما إلى مكان مرتفع من الأرض وجعلناه مأواهما ومنزلهما وهي إيليا أرض بيت المقدس فإنها مرتفعة وإنها كبد الأرض وأقربها إلى السماء بثمانية عشر ميلاً على ما يروى عن كعب.

وقال الإمام السهيلي: أوت مريم بعيسى طفلاً إلى قرية من دمشق يقال لها ناصرة وبناصرة تسمى النصارى واشتق اسمهم منها.

قال الكاشفي: [آوردانكه مريم باپسر وپسر عم خود يوسف بن ماتان دوازده سال دران موضع بسر بردند وطعام عيسى ازبهاي ريسمان بودكه كه مادرش مي رشت وميفروخت]. يقول الفقير فيه إشارة إلى أن غزل القطن والكتان ونحوهما لكونه من أعمال خيار النساء، أحب من غزل القز ونحوه على ما أكب عليه أهل بروسة والديار التي يحصل فيها دود القز مع أن القز من زين أهل الدنيا وبه غالباً شهرة أربابها وافتخارهم. ﴿ذات قرار﴾ [خداوند قرار يعني مقري منبسط وسهل كه برو آرام توان كرفت] وقيل: ذات ثمار وزروع فإن ساكنيها يستقرون فيها لأجلها.

قال الراغب قرّ في المكان يقر قراراً إذا ثبت ثبوتاً خامداً وأصله من القر وهو البرد لأجل أن البرد يقتضي السكون والحر يقتضي الحركة ﴿ومعين﴾ وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء إذا جرى وقيل: من العين والميم زائدة ويسمى الماء الجاري معيناً لظهوره وكونه مدركاً بالعيون وصف ماء تلك الربوة بذلك للإيذان بكونه جامعاً لفنون المنافع من الشرب وسقي ما يسقى من الحيوان والنبات بغير كلفة والتنزه بمنظره الحسن المعجب ولولا أن يكون الماء الجاري لكان السرور الأوفر فائتاً وطيب المكان مفقوداً ولأمر ما جاء الله بذكر الجنات مشفوعاً بذكر الماء الجاري من تحتها مسوقين على قران واحد ومن أحاديث «المقاصد الحسنة»: «ثلاث يجلون البصر النظر إلى الخضرة وإلى الماء الجاري وإلى الوجه الحسن» أي مما يحل النظر إليه فإن النظر إلى الأمرد الصبيح ممنوع. قال الشيخ سعدي في حق من يديم النظر إلى النقاش عند نظر إلى النقش.

چراطفل يكروزه هوشش نبرد   كه درصنع ديدن چه بالغ چه خرد
محقق همي بيند اندر إبل   كه در خوب رويان چين وچكل

وهما علمان لبلدتين من بلاد الترك يكثر فيهما المحابيب.

وفي «التأويلات النجمية»: قوله: ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية﴾ يشير به إلى عيسى الروح الذي تولد من أمركن بلا أب من عالم الأسباب وهو أعظم آية من آيات الله المخلوقة التي تدل على ذات الله ومعرفته لأنه خليفة الله وروح منه. ﴿وآويناهما إلى ربوة﴾ أي: ربوة القالب فإنه مأوى الروح ومأوى الأمر بالأوامر والنواهي. ﴿ذات قرار ومعين﴾ هو منزلهما ودار قرارهما يعني ما دام القالب يكون مأوى الروح ومقره، يكون مأوى الأمر ومقره بأن لا تسقط عنه التكاليف وأما المعين فهو عين الحكمة الجارية من القلب على اللسان انتهى.

اللهم يا معين اجعلنا من أهل المعين.

﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات﴾ خطاب لجميع الرسل لا على أنهم خوطبوا بذلك دفعة لأنهم أرسلوا متفرقين في أزمنة مختلفة بل على معنى أن كل رسول منهم خوطب به في زمانه ونودي ووصى ليعلم السامع أن إباحة الطيبات للرسل شرع قديم وأن أمراً نودي له جميع الأنبياء ووصوا به حقيق أن يؤخذ به ويعمل عليه أي وقلنا لكل رسول كل من الطيبات واعمل صالحاً فعبر عن تلك الأوامر المتعدد المتعلقة بالرسل بصيغة الجمع عند الحكاية إجمالاً للإيجاز.

وقال بعضهم إنه خطاب لرسول الله وحده على دأب العرب في مخاطبة الواحد بلفظ الجمع للتعظيم وفيه إبانة لفضله وقيامه مقام الكل في حيازة كمالاتهم.

وقد جمع الرحمٰن فيك لمعاجزا

آنكه خوبان همه دارند توتنها داري

والطيبات ما يستطاب ويستلذ من مباحات المآكل والفواكه. ﴿واعملوا صالحاً﴾ أي عملاً صالحاً فإنه المقصود منكم والنافع عند ربكم وهذا الأمر للوجوب بخلاف الأول وفيه رد وهدم لما قال بعض المبيحين من أن العبد إذا بلغ غاية المحبة وصفا قلبه واختار الإيمان على الكفر من غير نفاق سقط عنه الأعمال الصالحة من العبادات الظاهرة وتكون عبادته التفكر، وهذا كفر وضلال فإن أكمل الناس في المحبة والإيمان هم الرسل خصوصاً حبيب الله مع أن التكاليف بالأعمال الصالحة والعبادات في حقهم أتم وأكمل. ﴿إني بما تعملون﴾ من الأعمال الظاهرة والباطنة ﴿عليم﴾ فأجازيكم عليه.

وفي الآية دلالة على بطلان ما عليه الرهابنة من رفض الطيبات يعني على تقدير اعتقادهم بأن ليس في دينهم أكل الطيبات.

واعلم أن تأخير ذكر العمل الصالح يدل على أن تكون نتيجته أكل الحلال. وفي «المثنوي».

علم وحكمت زايد ازلقمه حلال عشق ورقت آيد ازلقمه حلال

چون زلقمه توحسد بيني ودام جهل وغفلت زايد آنرا دان حرام

هيچ كندم كاري وجو بردهد ديدة اسبي كه كرة خر دهد

لقمه تخمست وبرش انديشها لقمه بحر وكوهرش انديشها

زايد ازلقمة حلال اندر دهان ميل خدمت عزم رفتن آن جهان

قال الراغب: أصل الطيب ما تستلذه الحواس والنفس والطعام الطيب في الشرع ما كان متناولاً من حيث ما يجوز وبقدر ما يجوز من المكان الذي يجوز فإنه متى كان كذلك كان طيباً

عاجلاً وآجلاً لا يستوخم وإلا فإنه وإن كان طيباً عاجلاً لم يطب آجلاً، وفي الحديث: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً»: قال صاحب «روضة الأخبار».

فرموده لقمه كه دراصل نباشد حلال — زونقتد مرد مكر درضلال

قطرة باران توچون صاف نيست — كوهر درياي توشفاف نيست

وكان عيسى عليه السلام يأكل من غزل أمه وكان رزق نبينا عليه السلام من الغنائم وهو أطيب الطيبات روي: عن أخت شداد أنها بعثت إلى رسول الله بقدح من لبن في شدة الحر عند حظره وهو صائم فرده إليها وقال: من أين لك هذا فقالت: من شاة لي ثم رده وقال من أين هذه الشاة فقالت اشتريتها بمالي فأخذه ثم إنها جاءته وقالت يا رسول الله لم رددته فقال: بذلك أمرت الرسل أن لا يأكلوا إلا طيباً ولا يعملوا إلا صالحاً».

قال الإمام الغزالي رحمه الله: إذا كان ظاهر الإنسان الصلاح والستر فلا حرج عليك في قبول صلاته وصدقته ولا يلزمك البحث بأن تقول قد فسد الزمان فإن هذا سوء ظن بذلك الرجل المسلم بل حسن الظن بالمسلمين مأمور به.

قال أبو سليمان الداراني رحمه الله: لأن أصوم النهار وأفطر الليل على لقمة حلال أحب إلى من قيام الليل وصوم النهار وحرام على شمس التوحيد أن تحل قلب عبد في جوفه لقمة حرام ثم إن أكل الطيبات وإن رخص فيه لكنه قد يترك قطعاً للطبيعة عن الشهوات.

قال أبو الفرج بن الجوزي ذكر القلب في المباحات يحدث له ظلمة فكيف تدبير الحرام إذا غير المسك الماء منع الوضوء به فكيف ولوغ الكلب ولذا قال بعض الكبار من اعتاد بالمباحات حرم لذة المناجاة اللهم اجعلنا من أهل التوجه والمناجاة.

﴿وإن هذه﴾ أي: ملة الإسلام والتوحيد وأشير إليها بهذه للتنبيه على كمال ظهور أمرها في الصحة والسداد وانتظامها بسبب ذلك في سلك الأمور المشاهدة **﴿أمتكم﴾** أي: ملتكم وشريعتكم أيها الرسل.

قال القرطبي الأمة هنا الدين ومنه إنا وجدنا آباءنا على أمة أي على دين مجتمع. **﴿أمة واحدة﴾** حال من هذه أي ملة وشريعة متحدة في أصول الشرائع التي لا تتبدل بتبدل الأعصار وأما الاختلاف في الفروع فلا يسمى اختلافاً في الدين فالحائض والطاهر من النساء دينهما واحد وإن افترق تكليفهما.

وقيل: هذه إشارة إلى الأمم المؤمنة للرسل والمعنى أن هذه جماعتكم واحدة متفقة على الإيمان والتوحيد في العبادة ولا يلائمه قوله تعالى: **﴿وأنا ربكم﴾** من غير أن يكون لي شريك في الربوبية **﴿فاتقون﴾** أي: في شق العصا ومخالفة الكلمة والضمير للرسل والأمم جميعاً على أن الأمر في حق الرسل للتهييج والإلهاب وفي حق الأمم للتحذير والإيجاب.

وفي «التفسير الكبير»: فيه تنبيه على أن دين الجميع واحد فيما يتصل بمعرفة الله تعالى واتقاء معاصيه.

﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿فتقطعوا أمرهم بينهم﴾ أي جعلوا أمر دينهم مع اتحاده قطعاً متفرقة وأدياناً مختلفة

﴿زبراً﴾ حال من أمرهم، أي قطعاً جمع زبور بمعنى الفرقة. وبالفارسية: [پارها يعني كروه كروه شدتد واختلاف كردند]. ﴿كل حزب﴾ أي جماعة من أولئك المتحزبين ﴿بما لديهم﴾ من الدين الذي اختاروه ﴿فرحون﴾ معجبون معتقدون أنه الحق.

قال بعض الكبار: كيف يفرح العبد بما لديه وليس يعلم ما سبق له في محتوم العلم ولا ينبغي للعارفين أن يفرحوا بما دون الله من العرش إلى الثرى بل العارف الصادق إذا استغرق في بحار المعرفة فهمومه أكثر من فرحه لما يشاهد من القصور في الإدراك.

قال الشيخ سعدي: [عاكفان كعبة جلالش بتقصير عبادت معتر فندكه ما عبدناك حق عبادتك وواصفان حلية جمالش بتحير منسوب كه ما عرفناك حق معرفتك:

كـركـسـي وصـف اوز مـن پـرسـد بـي دل ازبـي نـشـان چـه كـويـد بـاز
عـاشـقـان كـشـتـكـان مـعـشـوقـنـد بـرنـيـايـد زكـشـتـكـان آواز

﴿فذرهم في غمرتهم﴾ شبه ما هم فيه من الجهالة بالماء الذي يغمر القامة ويسترها لأنهم مغمورون فيها لاعبون بها.

قال الراغب: أصل الغمر إزالة أثر الشيء ومنه قيل للماء الكثير الذي يزيل أثر مسيله غمر وغامر والغمرة معظم الماء الساترة لمقرها وجعل مثلاً للجهالة التي تغمر صاحبها والخطاب لرسول الله ﷺ أي اتركهم يعني الكفار المتفرقة على حالهم ولا تشغل قلبك بهم وبتفرقهم. ﴿حتى حين﴾ هو حين قتلهم أو موتهم على الكفر أو عذابهم فهو وعيد لهم بعذاب الدنيا والآخرة وتسلية لرسول الله ونهى له عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تأخيره. ﴿أيحسبون أنما نمدهم به﴾ الهمزة لإنكار الواقع واستقباحه وما موصولة، أي أيظن الكفرة أن الذي نعطيهم إياه ونجعله مدداً لهم ﴿من مال وبنين﴾ بيان للموصول وتخصيص البنين لشدة افتخارهم بهم. ﴿نسارع﴾ به ﴿لهم في الخيرات﴾ فيما فيه خيرهم وإكرامهم.

قال الكاشفي: [يعني كمان ميبرندكه إمداد ما ايشانرا بمال وفرزند مسارعتست ازما براى، ايشان درنيكوبي وأعمال ايشانرا استحقاق آن هست كه ما پاداش آن با ايشان نيكوبي كنيم] ﴿بل﴾ [نه چنين است كه مي پندارند بلكه] ﴿لا يشعرون﴾ [نميدانندكه اين امداد استدراجست، نه مسارعت در خير] فهو عطف على مقدر أي كلاً لا نفعل ذلك بل هم لا يشعرون بشيء أصلاً كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتأملوا ويعرفوا أن ذلك الإمداد استدراج واستجرار إلى زيادة الإثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات ـ روي ـ في الخبر: إن الله تعالى أوحى إلى نبي من الأنبياء أيفرح عبدي أن أبسط له في الدنيا فهو أبعد له مني أيجزع عبدي المؤمن أن أقبض عنه الدنيا وهو أقرب له مني ثم قال أيحسبون أن ما نمدهم» الخ.

قال بعض الكبار: إن الله تعالى امتحن الممتحنين بزينة الدنيا ولذتها وجاهها ومالها وخيراتها فاستلذوها واحتجبوا بها عن مشاهدة الرحمٰن وظنوا أنهم نالوا جميع الدرجات وأنهم مقبولون حين أعطوا هذه الفانيات ولم يعلموا أنها استدراج لا منهاج.

قال عبد العزيز المكي: من تزين بزينة فانية فتلك الزينة تكون وبالاً عليه إلا من تزين بما يبقى من الطاعات والموافقات والمجاهدات، فإن الأنفس فانية والأموال عواري والأولاد فتنة فمن تسارع في جمعها وحفظها وتعلق قلبه بها قطع عن الخيرات أجمع وما عبد الله بطاعة أفضل من مخالفة النفس والتقلل من الدنيا وقطع القلب عنها لأن المسارعة في الخيرات هو اجتناب

الشرور وأول الشرور حب الدنيا لأنها مزرعة الشيطان فمن طلبها وعمرها فهو حزبه وعبده وشر من الشيطان من يعين الشيطان على عمارة داره. ومن كلمات سلطان ولد:

بكذار جهان راكه جهان آن تونيست وين دم كه همي زنى بفرمان تونيست
كرمال جهان جمع كنى شاد مشو ورتكيه بجان كنى جان آن تونيست

قال الشيخ سعدي قدس سره:

بر مرد هشيار دنيا خسست كه هر مدتي جاي ديكر كسست
برفتند هركس درود آنچه كشت نماند بجزنام نيكو وزشت

﴿إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون﴾ أي من خوف عذابه حذرون والخشية خوف يشوبه تعظيم والإشفاق عناية مختلطة بخوف لأن المشفق يحب المشفق عليه ويخاف ما يلحقه وقد سبق تحقيقه في سورة الأنبياء وعن الحسن أن المؤمن جمع إحساناً وخشية والكافر جمع إساءة وأمنا.

هركه ترسد مرورا أيمن كنند

﴿والذين هم بآيات ربهم﴾ المنصوبة في الآفاق والمنزلة على الإطلاق. ﴿يؤمنون﴾ يصدقون مدلولها ولا يكذبونها بقول وفعل.

﴿والذين هم بربهم لا يشركون﴾ غيره شركاً جلياً ولا خفياً ولذلك عبر عن الإيمان بالآيات.

قال الجنيد قدس سره من فتش سره فرأى فيه شيئاً أعظم من ربه أو أجل منه فقد أشرك به أو جعل له مثلاً.

وفي «التأويلات النجمية»: ومن أعظم الشرك ملاحظة الخلق في الرد والقبول، وهي الاستبشار بمدحهم والانكسار بذمهم وأيضاً ملاحظة الأسباب فلا ينبغي أن يتوهم أن حصول الشفاء من شرب الدواء والشبع من أكل الطعام فإذا جاء اليقين بحيث ارتفع التوهم أي توهم أن الشيء من الحدثان لا من التقدير فحينئذ يتقي أمن الشرك: قال الجامي قدس سره:

جيب خاص است كه كنج كهر اخلاص است
نيست ابن در ثمين در بغل هر دغلي

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَـٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَـٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَـٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَـٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

﴿والذين يؤتون ما آتوا﴾ أي: يعطون ما أعطوه من الزكوات والصدقات وتوسلوا به إلى الله تعالى من الخيرات والمبرات وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار والماضي على التحقق ﴿وقلوبهم وجلة﴾ حال من فاعل يؤتون أي والحال أن قلوبهم خائفة أشد الخوف.

قال الراغب: الوجل استشعار الخوف ﴿أنهم إلى ربهم راجعون﴾ أي: من أن رجوعهم إليه تعالى على أن مناط الوجل أن لا يقبل منهم ذلك وأن لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذوا به حينئذ لا مجرد رجوعهم إليه تعالى والموصولات الأربعة عبارة عن طائفة واحدة متصفة بما ذكر في حيز صلاتها من الأوصاف الأربعة لا عن طوائف كل واحدة منها متصفة بواحد من

الأوصاف المذكورة كأنه قيل: إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون وبآيات ربهم يؤمنون الخ وإنما كرر الموصول إيذاناً باستقلال كل واحدة من تلك الصفات بفضيلة باهرة على حيالها وتنزيلا لاستقلالها منزلة استقلال الموصوف بها.

قال بعض الكبار: وجل العارف من طاعته أكثر من وجله من مخالفته لأن المخالفة تمحى بالتوبة والطاعة تطلب بتصحيحها والإخلاص والصدق فيها فإذا كان فاعل الطاعات خائفاً مضطرباً فكيف لا يخاف غيره قال الشيخ سعدي قدس سره:

دران روزكز فعل پرسند وقول أولو العزم راتن بلرزد زهول
بجايي كه دهشت خورد أنبياء توعذر كنه راچه داري بيا

﴿أولئك﴾ المنعوتون بما فصل من النعوت الجليلة خاصة دون غيرهم. ﴿يسارعون﴾ [مي شتابند]﴿في الخيرات﴾ أي: في نيل الخيرات التي من جملتها الخيرات العاجلة الموعودة على الأعمال الصالحة كما قال تعالى: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [آل عمران: ١٤٨] ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٧] لأنهم إذا سورع بها لهم فقد سارعوا في نيلها وتعجلوها فيكون أثبت لهم ما نفى عن الكفار.

قال في «الإرشاد»: إيثار كلمة في على كلمة إلى للإيذان بأنهم متقلبون في فنون الخيرات لا أنهم خارجون عنها متوجهون إليها بطريق المسارعة كما في قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾ [آل عمران: ١٣٣] الخ﴿وهم لها سابقون﴾ أي: إياها سابقون متقدمون واللام لتقوية عمل اسم الفاعل أي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا.

قال بعض الكبار: بالمسارعات إلى الخيرات تبتغي درجة السابقين ويطلب مكارم الواصلين لا بالدواعي والإهمال وتضييع الأوقات من أراد الوصول إلى المقامات من غير آداب ورياضات ومجاهدات فقد خاب وخسر وحرم الوصول إليها.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿أولئك يسارعون في الخيرات﴾ الخ، أي: هم المتوجهون إلى الله المعرضون عما سواه المسارعون بقدم الصدق والسعي الجميل على حسب ما سبقت لهم من الله الحسنى﴿وهم لها سابقون﴾ على قدر سبق العناية انتهى.

يعني بقدر سبق العناية يسبق العبد على طريق الهداية فلكل سالك حظوة ولذا قال بعض الكبار: جنة النعيم لأصحاب العلوم وجنة الفردوس لأصحاب الفهوم وجنة المأوى لأصحاب التقوى وجنة عدن للقائمين بالوزن وجنة الخلد للمقيمين على الودّ وجنة المقامة لأهل الكرامة وليس في مقدور البشر مراقبة الله تعالى في السر والعلن مع الأنفاس فإن ذلك من خصائص الملأ الأعلى وأما رسول الله ﷺ فكانت له هذه الرتبة لكونه مسرعاً في جميع أحواله فلا يوجد إلا في واجب أو مندوب أو مباح فهذا هو السبق الأعلى والمسارعة العليا حيث لا قدم فوقه نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المسارعين إلى الخيرات ومراقبي الأنفاس مع الله في جميع الحالات كما قال ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ۝٢٣﴾ [المعارج: ٢٣].

﴿ولا نكلف نفساً﴾ من النفوس﴿إلا وسعها﴾ قدر طاقتها فقول لا إله إلا الله والعمل بما يترتب عليه من الأحكام من قبيل ما هو الوسع،

قال مقاتل: من لم يستطع القيام فليصل قاعداً ومن لم يستطع القعود فليومىء إيماء.

قال الحريري: لم يكلف الله العباد معرفته على قدره وإنما كلفهم على أقدارهم ولو

كلفهم على قدره لما عرفوه لأنه لا يعرفه على الحقيقة أحد سواه. قال الجامي:

عمري خرد چوچشمه هاچشمها كشاد تـابـر كـمـال كـنـه إلـه افـكـنـد نـكـاه

ليكن كشيد عاقبتش در دو ديده نيل شكل ألف كه حرف نخست است إزاله

﴿ولدينا﴾ عندنا ﴿كتاب﴾ صحائف أعمال قد أثبت فيها أعمال كل أحد على ما هي عليه ﴿ينطق بالحق﴾ بالصدق لا يوجد فيه ما يخالف الواقع، أي يظهر الحق ويبينه للناظر كما يبينه النطق ويظهر للسامع فينظر هناك أعمالهم ويترتب عليها أجزيتها إن خيراً فخير وإن شراً فشر. وبالفارسية: [ونزد ما هست نامة أعمال هركس كه سخن كويد براستي وكواهي دهد بركردار هركس]. ﴿وهم لا يظلمون﴾ في الجزاء بنقص ثواب أو بزيادة عذاب بل يجزون بقدر أعمالهم التي كلفوها ونطقت بها صحائفها بالحق.

﴿بل قلوبهم في غمرة من هذا﴾ أي بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة أي ساترة لها من هذا الذي بين في القرآن من أن لديه كتاباً ينطق بالحق ويظهر لهم أعمالهم السيئة على رؤوس الأشهاد فيجزون بها. ﴿ولهم أعمال﴾ خبيثة كثيرة ﴿من دون ذلك﴾ الذي ذكر من كون قلوبهم في غفلة عظيمة مما ذكر وهي فنون كفرهم ومعاصيهم التي من جملتها ما سيأتي من طعنهم في القرآن. ﴿هم لها عاملون﴾ معتادون فعلها.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدۡ كَانَتۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿حتى إذا أخذنا مترفيهم﴾ غاية لأعمالهم المذكورة ومبتدأ لما بعدها من مضمون الشرطية أي لا يزالون يعملون أعمالهم إلى حيث إذا أخذنا متنعميهم ورؤساءهم ﴿بالعذاب﴾ الأخروي إذ هو الذي يفاجئون عنده الجؤار فيجابون بالرد والإقناط وأما عذاب يوم بدر فلم يوجد لهم عنده جوار فالضمير في قوله: ﴿إذا هم يجأرون﴾ راجع إلى المترفين أي فاجؤوا الصراخ بالاستغاثة أي يرفعون أصواتهم بها ويتضرعون في طلب النجاة فإن أصل الجؤار دفع الصوت بالتضرع وجأر الرجل إلى الله تضرع بالدعاء.

قال الراغب: جأر إذا أفرط في الدعاء والتضرع تشبيهاً بجؤار الوحشيات كالظباء ونحوها وتخصيص المترفين بأخذ العذاب ومفاجأة الجؤار مع عمومه لغيرهم أيضاً لغاية ظهور انعكاس حالهم وأيضاً إذا كان لقاؤهم هذه الحالة الفظيعة ثابتاً واقعاً فما ظنك بحال الأصاغر والخدم.

وقال بعضهم: المراد بالمترفين المعذبين أبو جهل وأصحابه الذين قتلوا ببدر والذين هم يجأرون أهل مكة فيكون الضمير راجعاً إلى ما رجع إليه ضمير مترفيهم وهم الكفرة مطلقاً.

﴿لا تجأروا اليوم﴾ على إضمار القول أي فيقال لهم وتخصيص اليوم بالذكر وهو يوم القيامة لتهويله والإيذان بتفويتهم وقت الجؤار. ﴿إنكم منا لا تنصرون﴾ أي لا يلحقكم من جهتنا نصرة تنجيكم مما دهمكم.

﴿قد كانت آياتي تتلى عليكم﴾ في الدنيا لتنتفعوا بها ﴿فكنتم على أعقابكم تنكصون﴾ الأعقاب جمع عقب وهو مؤخر الرجل ورجع على عقبه إذا انثنى راجعاً والنكوص الرجوع القهقرى أي معرضون عن سماعها أشد الإعراض فضلاً عن تصديقها والعمل بها.

﴿مستكبرين به﴾ أي حال كونكم مكذبين بكتابي الذي عبر عنه بآياتي على تضمين

الاستكبار معنى التكذيب ﴿سامراً﴾ حال بعد حال وهو اسم جمع كالحاضر.

قال الراغب: قيل: معناه سماراً فوضع الواحد موضع الجمع وقيل بل السامر الليل المظلم والسمر سواد الليل ومنه قيل: للحديث بالليل سمر وسمر فلان إذا تحدث ليلاً وكانوا يجتمعون حول البيت بالليل ويسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحراً وشعراً. ﴿تهجرون﴾ حال أخرى من الهجر بالفتح بمعنى الهذيان أو الترك أي تهذون في شأن القرآن وتتركونه وفيه ذم لمن يسمر في غير طاعة الله تعالى وكان عليه السلام يؤخر العشاء إلى ثلث الليل ويكره النوم قبلها والحديث بعدها.

قال القرطبي: اتفق على كراهية الحديث بعدها لأن الصلوات حد كفرت خطايا الإنسان فينام على سلامة وقد ختم الحفظة صحيفته بالعبادة فإن سمر بعد ذلك فقد لغا وجعل خاتمتها اللغو والباطل.

وكان عمر رضي الله عنه لا يدع سامراً بعد العشاء ويقول: ارجعوا فعل الله يرزقكم صلاة أو تهجداً.

قال الفقيه أبو الليث رحمه الله السمر على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون في مذاكرة العلم فهو أفضل من النوم ويلحق به كل ما فيه خير وصلاح للناس فإنه كان سمر رسول الله ﷺ بعد العشاء في بيت أبي بكر رضي الله عنه ليلاً في الأمر الذي يكون من أمر المسلمين.

والثاني: أن يكون في أساطير الأولين والأحاديث الكذب والسخرية والضحك فهو مكروه.

والثالث: أن يتكلموا للمؤانسة ويجتنبوا الكذب وقول الباطل فلا بأس به والكف عنه أفضل للنهي الوارد فيه وإذا فعلوا ذلك ينبغي أن يكون رجوعهم إلى ذكر الله والتسبيح والاستغفار حتى يكون رجوعهم بالخير وكان عليه السلام إذا أراد القيام عن مجلسه قال سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك ثم يقول علمنيهن جبريل.

قال في «روضة الأخبار»: من قال ذلك قبل أن يقوم من مجلسه كفر الله ما كان في مجلسه ذلك كذا في الحديث انتهى.

وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «لا سمر إلا لمسافر أو لمصل» ومعنى ذلك أن المسافر يحتاج إلى ما يدفع عنه النوم للمشي فأبيح له ذلك وإن لم يكن فيه قربة وطاعة والمصلي إذا سمر ثم صلى يكون نومه على الصلاة وختم سمره بالطاعة.

فعلى العاقل أن يجتنب عن الفضول وعن كل ما يفضي إلى البعد عن حريم القبول وبقي عمره من تضيع الأوقات في اكتساب ما هو من الآفات. قال الحافظ:

ما قصة سكندر ودارا بخوانده ايم   از ما بجز حكايت مهر ووفامپرس

وقال بعضهم:

جزياد دوست هرچه كنم جمله ضايعست   جز سر شوق هرچه بكويم بطالتست

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ

مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾﴾.

﴿أفلم يدبروا القول﴾ الهمزة لإنكار الواقع واستقباحه والفاء للعطف على مقدر أي أفعل الكفار ما فعلوا من النكوص والاستكبار والهجر فلم يتدبروا القرآن ليعرفوا بما فيه من إعجاز النظم وصحة المدلول والإخبار عن الغيب أنه الحق من ربهم فيؤمنوا به فضلاً عما فعلوا في شأنه من القبائح والتدبر إحضار القلب للفهم.

قال الراغب: التدبر التفكر في دبر الأمور **﴿أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين﴾** أم منقطعة مقدرة ببل والهمزة قيل: للإضراب والانتقال عن التوبيخ بما ذكر إلى التوبيخ بآخر والهمزة لإنكار الواقع أي بل أجاءهم من الكتاب ما لم يأت آباءهم الأولين حتى استبعدوه فوقعوا في الكفر والضلال يعني أن مجيء الكتب من جهته تعالى إلى الرسل سنة قديمة له تعالى لا يكاد يتسنى إنكارها وأن مجيء القرآن على طريقته فمن أين ينكرونه؟

﴿أم لم يعرفوا رسولهم﴾ إضراب وانتقال من التوبيخ بما ذكر إلى التوبيخ بوجه آخر والهمزة لإنكار الوقوع أيضاً أي بل ألم يعرفوه عليه السلام بالأمانة والصدق وحسن الأخلاق وكمال العلم مع عدم التعلم من أحد إلى غير ذلك من صفة الأنبياء. **﴿فهم له منكرون﴾** أي: جاهدون بنبوته فحيث انتفى عدم معرفتهم بشأنه عليه السلام ظهر بطلان إنكارهم لأنه مترتب عليه.

﴿أم يقولون به جنة﴾ انتقال إلى توبيخ آخر والهمزة لإنكار الواقع أي بل أيقولون به جنون. وبالفارسية [ياميكويند درو ديوكيست] مع أنه أرجح الناس عقلاً وأثقبهم ذهناً وأتقنهم رأياً وأوفرهم رزانة. **﴿بل جاءهم بالحق﴾** أي ليس الأمر كما زعموا في حق القرآن والرسول بل جاءهم الرسول بالصدق الثابت الذي لا ميل عنه ولا مدخل فيه للباطل بوجه من الوجوه.

قال الكاشفي: [يعني إسلام يا سخن راست كه قرآنست]. **﴿وأكثرهم للحق﴾** من حيث هو حق أي حق كان لا لهذا الحق فقط كما ينبىء عنه الإظهار في موقع الإضمار. **﴿كارهون﴾** لما في جبلتهم من الزيغ والانحراف المناسب للباطل ولذلك كرهوا هذا الحق الأبلج وزاغوا عن الطريق الأنهج وتخصيص أكثرهم بهذا الوصف لا يقتضي إلا عدم كراهة الباقين لكل حق من الحقوق وذلك لا ينافي كراهتهم لهذا الحق المبين.

يقول الفقير: لعل وجه التخصيص أن أكثر القوم وهم الباقون على الكفر كارهون للحق ولذا أصروا وأقلهم وهم المختارون للإيمان غير كارهين ولذا أقروا فإن الحكمة الإلهية جارية على أن قوم كل نبي أكثرهم معاند كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الصافات: ٧١] قال الحافظ:

كوهر پاك ببايدكه شود قابل فيض ورنه هرسنك وكلي لؤلؤ ومرجان نشوذ

فالأقل وهم المستعدون كالجواهر النفيسة والأزهار الطيبة والأكثر وهم غير المستعدين كالأحجار الخسيسة والنباتات اليابسة.

واعلم أن الكفار كرهوا الحق المحبوب المرغوب طبعاً وعقلاً ولو تركوا الطبع والعقل

واتبعوا الشرع وأحبوه لكان خيراً لهم في الدنيا والآخرة.

إن قلت هل يعتد في الآخرة بما يفعل الإنسان في الدنيا من الطاعة كرهاً؟.

قلت: لا فإن الله تعالى ينظر إلى السرائر ولا يرضى إلا الإخلاص ولهذا قال عليه السلام: «إنما الأعمال بالنيات» وقال: «أخلص يكفك القليل من العمل».

عبادت باخلاص نيت نكوست وكرنه چه آيد زبى مغز پوست

اكرجز بحق ميرود جاده ات در آتش فشانند سجاده ات

ومن لطائف المولى الجامي:

تهيست سبحة زاهد زكوهر اخلاص هزار بار من آنرا شمرده ام يك يك

ودلت الآية على أن ما هو مكروه عند الإنسان لا يلزم أن يكون مكروهاً عند الرحمٰن والله تعالى لا يحمل العباد إلا على نعيم الأبد وقد علم الحق تعالى قلة نهوض العباد إلى معاملته التي لا مصلحة لهم في الدارين إلا بها فأوجب عليهم وجود طاعته ورتب عليها وجود ثوابه وعقوبته فساقهم إليها بسلاسل الإيجاب إذ ليس عندهم من المروءة ما يردهم إليه بلا علة هذا حال أكثر الخلق بخلاف أهل المروءة والصفا وذوي المحبة والوفا الذين لم يزدهم التكليف إلا شرفاً في أفعالهم وزيادة في نوالهم ولو لم يكن وجوب لقاموا للحق بحق العبودية ورعوا ما يجب أن يراعى من حرمة الربوبية حتى أن منهم من يطلب لدخول الجنة فيأبى ذلك طلباً للقيام بالخدمة فتوضع في أعناقهم السلاسل من الذهب فيدخلون بها الجنة قيل: ولهذا يشير عليه السلام بقوله: «عجب ربكم من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل» وفي الحديث إشارة أيضاً إلى أن بعض الكراهة قد يؤول إلى المحبة ألا ترى إلى أحوال بعض الأسارى فإنهم يدخلون دار الإسلام كرهاً ثم يهديهم الله تعالى فيؤمنون طوعاً فيساقون إلى الجنة بالسلاسل فالعبرة في كل شيء للخاتمة.

قال بعضهم: من طالع الثواب والعقاب فأسلم رغبة ورهبة فهو إنما أسلم كرهاً ومن طالع المثيب والمعاقب لا الثواب والعقاب فأسلم معرفة ومحبة فهو إنما أسلم طوعاً وهو الذي يعتد به عند أهل الله تعالى.

فعلى العاقل أن يتدبر القرآن فيخلص الإيمان ويصل إلى العرفان والإيقان بل إلى المشاهدة والعيان والله تعالى أرسل رسوله بالحق فماذا بعد الحق إلا الضلال.

﴿ولو اتبع الحق﴾ الذي كرهوه ومن جملته ما جاء به عليه السلام من القرآن ﴿أهواءهم﴾ مشتهيات الكفرة بأن جاء القرآن موافقاً لمراداتهم فجعل موافقته اتباعاً على التوسع والمجاز. ﴿لفسدت السمٰوات والأرض ومن فيهن﴾ من الملائكة والإنس والجن وخرجت عن الصلاح والانتظام بالكلية لأن مناط النظام قوام العالم ليس إلا الحق الذي من جملته الإسلام والتوحيد والعدل ونحو ذلك.

قال بعضهم: لولا أن الله أمر بمخالفة النفوس ومباينتها لاتبع الخلق أهواءهم وشهواتهم ولو فعلوا ذلك لضلوا عن طريق العبودية وتركوا أوامر الله تعالى وأعرضوا عن طاعته ولزموا مخالفته والهوى يهوي بمتابعيه إلى الهاوية. ﴿بل أتيناهم بذكرهم﴾ انتقال من تشنيعهم بكراهة الحق الذي يقوم به العالم إلى تشنيعهم بالأعراض عما جبل عليه كل نفس من الرغبة فيما فيه خيرها والمراد بالذكر القرآن الذي فيه فخرهم وشرفهم في الدنيا والآخرة كما قال تعالى:

﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ﴾ [الزخرف: ٤٤] أي شرف لك ولقومك والمعنى بل آتيناهم بفخرهم وشرفهم الذي يجب عليهم أن يقبلوا عليه أكمل إقبال.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿بل أتيناهم﴾ بما فيه لهم صلاح في الحال وذكر في المال ﴿فهم﴾ بسوء اختيارهم ﴿عن ذكرهم﴾ عن صلاح حالهم وشرف مآلهم.

وفي «الإرشاد»: أي فخرهم وشرفهم خاصة ﴿معرضون﴾ لا عن غير ذلك مما لا يوجب الإقبال عليه والاعتناء به.

﴿أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ خَرۡجٗا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيۡرٞۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿أم تسألهم﴾ انتقال من توبيخهم بما ذكر من قولهم أو يقولون به جنة إلى التوبيخ بوجه آخر كأنه قيل: أم يزعمون أنك تسألهم على أداء الرسالة. ﴿خرجاً﴾ أي: جعلاً وأجر فلأجل ذلك لا يؤمنون بك. ﴿فخراج ربك خير﴾ تعليل لنفي السؤال المستفاد من الإنكار أي لا تسألهم ذلك فإن رزق ربك في الدنيا وثوابه في العقبى خير لك من ذلك لسعته ودوامه ففيه استغناء لك عن عطائهم والخرج بإزاء الدخل يقال لكل ما تخرجه إلى غيرك والخراج غالب في الضريبة على الأرض ففيه إشعار بالكثرة واللزوم فيكون أبلغ ولذلك عبر به عن عطاء الله إياه.

قال في «تفسير المناسبات»: وكأنه سماه خراجاً إشارة إلى أنه أوجب رزق كل أحد على نفسه بوعد لا خلف فيه ﴿وهو خير الرازقين﴾ أي خير من أعطى عوضاً على عمل لأن ما يعطيه لا ينقطع ولا يتكدر وهو تقدير لخيرية خراجه تعالى.

وفي «التأويلات النجمية»: فيه إشارة إلى أن العلماء بالله الراسخين في العلم لا يدنسون وجوه قلوبهم الناضرة بدنس الأطماع الفاسدة والصالحة الدنيوية والأخروية فيما يعاملون الله في دعوة الخلق إلى الله بالله لله.

زيان ميكند مرد تفسير دان   كه علم وهنر ميفر وشد بنان

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر في «الفتوحات المكية»: مذهبنا أن للواعظ أخذ الأجرة على وعظه الناس وهو من أحل ما يأكله وإن كان ترك ذلك أفضل وإيضاح ذلك أن مقام الدعوة إلى الله يقتضي الإجارة فإنه ما من نبي دعا إلى الله إلا قال: إن أجري إلا على الله فأثبت الأجر على الدعاء ولكن اختار أن يأخذه من الله لا من المخلوق انتهى. ﴿وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم﴾ تشهد العقول السلمية باستقامة لا عوج فيه يوجب اتهامهم لك ﴿وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ وصفوا بذلك تشنيعاً لهم بما هم عليه من الانهماك في الدنيا وزعمهم أن لا حياة إلا الحياة الدنيا. ﴿عن الصراط﴾ المستقيم الذي تدعوهم إليه. ﴿لناكبون﴾ مائلون عادلون عنه فإن الإيمان بالآخرة وخوف ما فيها من الدواهي من أقوى الدواعي إلى طلب الحق وسلوك سبيله وليس لهم إيمان وخوف حتى يطلبوا الحق ويسلكوا سبيله ففي الوصف بعدم الإيمان بالآخرة إشعار بعلة الحكم أيضاً كالتشنيع المذكور.

قال أبو بكر الوراق: من لم يهتم لأمر معاده ومنقلبه وما يظهر عليه في الملأ الأعلى والمسند الأعظم فهو ضال عن طريقته غير متبع لرشده وأحسن منه حالاً من لم يهتم لما جرى له في السابقة.

ثم في الآيات إخبار أن الكفار متعنتون محجوجون من كل وجه في ترك الاتباع والاستماع إلى رسول الله عليه السلام. قال الشيخ سعدي قدس سره.

كسى راكه پندار درسر بود مپندار هركز كه حق بشنود
زعلمش ملال آيد ازوعظ ننك شقايق بباران نرويد زسنك

قيل: لما انصرف هارون الرشيد من الحج أقام بالكوفة أياماً فلما خرج وقف بهلول المجنون على طريقة وناداه بأعلى صوته يا هارون ثلاثاً فقال هارون تعجباً: من الذي يناديني فقيل له: بهلول المجنون فوقف هارون وأمر برفع الستر وكان يكلم الناس وراء الستر فقال له: أتعرفني قال: نعم أعرفك فقال: من أنا، قال: أنت الذي لو ظلم أحد في المشرق وأنت في المغرب سألك الله تعالى عن ذلك يوم القيامة فبكى هارون من تأثير كلامه وقال: كيف ترى حالي قال: أعرضه على كتاب الله ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار: ١٣-١٤] قال: أين أعمالنا قال: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] قال: وأين قرابتنا من رسول الله قال: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [المؤمنون: ١٠١] قال: وأين شفاعة رسول الله ﷺ إيانا قال: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه: ١٠٩] قال هارون: هل لك حاجة قال: نعم أن تغفر لي ذنوبي وتدخلني الجنة قال: ليس هذا بيدي ولكن بلغنا أن عليك ديناً فنقضيه عنك قال: الدين لا يقضى بدين أدِّ أموال الناس إليهم قال هارون: أنأمر لك برزق يردّ عليك إلى أن تموت قال: نحن عبد الله تعالى أترى يذكرك وينساني فقبل نصحه ومضى إلى طريقه وأشار بهلول في قوله الأخير إلى مضمون قوله تعالى: ﴿فخراج ربك خير﴾ لأن ما ورد من حيث لا يحتسب خير مما ورد من جهة معينة. قال الحافظ قدس سره:

كنج زر كرنبود كنج قناعت باقيست آنكه آن داد بشاهان بكدايان ابن داد

قال الشيخ سعدي قدس سره:

نيرزد عسل جان من زخم نيش قناعت نكوتر بدوشاب خويش
اكر پادشاهت اكر پينه دوز چو خفتند كردد شب هردو روز

﴿۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

﴿ولو رحمناهم﴾ روي أنه لما أسلم ثمامة بن أثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة عن أهل مكة وأخذهم الله بالسنين حتى أكلوا العلهز وهو شيء يتخذونه من الوبر والدم.

قال الكاشفي: [وأهل مكة بحوردن مرده ومردار مبتلاً شدند] جاء أبو سفيان إلى رسول الله في المدينة فقال: أنشدك الله والرحم أي أسألك بالله وبحرمة الرحم والقرابة ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين؟ فقال بلى: فقال: قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع فادع أن يكشف عنا هذا القحط فدعا فكشف عنهم فأنزل الله هذه الآية ﴿وكشفنا﴾ أزلنا عنهم ﴿ما بهم﴾ [آنچه برايشان واقع است] ﴿من ضر﴾ من سوء الحال يعني القحط والجدب الذي غلب

عليهم وأصابهم ﴿للجوا﴾ اللجاج التمادي في الخصومة والعناد في تعاطي الفعل المزجور عنه وتمادى تناهى من المدى وهو الغاية والمعنى لتمادوا ﴿في طغيانهم﴾ الطغيان مجاوزة الحد في الشيء وكل مجاوز حده في العصيان طاغ أي في إفراطهم في الكفر والاستكبار، وعداوة الرسول والمؤمنين يعني لارتدوا إلى ما كانوا عليه ولذهب عنهم هذا التملق وقد كان ذلك.

ستيزندكى دشمني باخوداست — ستيزندكى كار ديوو ددست

﴿يعمهون﴾ العمه التردد في الأمر من التحير أي عامهين عن الهدى مترددين في الضلالة لا يدرون أين يتوجهون كمن يضل عن الطريق في الفلاة لا رأي له ولا دراية بالطريق.

قال ابن عطاء الرحمة من الله على الأرواح المشاهدة ورحمته على الأسرار المراقبة ورحمته على القلوب المعرفة ورحمته على الأبدان آثار الجذبة عليها على سبيل السنة.

وقال أبو بكر بن طاهر كشف الضر هو الخلاص من أماني النفس وطول الأمل وطلب الرياسة والعلو وحب الدنيا وهذا كله مما يضر بالمؤمن.

وقال الواسطي: للعلم طغيان وهو التفاخر به وللمال طغيان وهو البخل وللعمل والعبادة طغيان وهو الرياء والسمعة وللنفس طغيان وهو اتباع شهواتها.

﴿ولقد أخذناهم بالعذاب﴾ اللام جواب قسم محذوف أي وبالله لقد أخذناهم أي أهل مكة بالعذاب الدنيوي وهو ما أصابهم يوم بدر من القتل والأسر.

وفي «التأويلات النجمية»: أذقناهم مقدمات العذاب دون شدائده تنبيهاً لهم ﴿فما استكانوا لربهم وما يتضرعون﴾ فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرع لربهم ومضوا على العتو والاستكبار والاستكانة الخضوع والذلة والتضرع إظهار الضراعة أي الضعف والذلة ووزن استكان استفعل من الكون لأن الخاضع ينتقل من كون إلى كون كما قيل: استحال إذا انتقل من حال إلى حال أو افتعل من السكون أشبعت فتحة عينه وصيغة المضارع في وما يتضرعون لرعاية الفواصل.

وفي «الإرشاد»: هو اعتراض مقرر لمضمون ما قبله: أي وليس من عادتهم التضرع إليه تعالى: ﴿حتى إذا﴾ [تاچون] ﴿فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد﴾ هو عذاب الآخرة. ﴿إذا هم﴾ [ناكاه ايشان]. ﴿فيه﴾ [دران عذاب] ﴿مبلسون﴾ متحيرون آيسون من كل خير أي محناهم بكل محنة من القتل والأسر والجوع وغير ذلك فما رؤي منهم انقياد للحق وتوجه إلى الإسلام وأما ما أظهره أبو سفيان فليس من الاستكانة له تعالى والتضرع إليه في شيء وإنما هو نوع قنوع إلى أن يتم غرضه فحاله كما قيل: إذا جاع ضغا وإذا شبع طغا وأكثرهم مستمرون على ذلك إلى أن يروا عذاب الآخرة فحينئذٍ يبلسون كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الروم: ١٢] وقوله تعالى: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف: ٧٥].

قال عكرمة: هو باب من أبواب جهنم عليه من الخزنة أربعمائة ألف سود وجوههم كالحة أنيابهم قد قلعت الرحمة من قلوبهم إذا بلغوه فتحه الله عليهم نسأل الله العافية من ذلك.

قال وهب بن منبه: كان يسرج في بيت المقدس ألف قنديل فكان يخرج من طور سيناء زيت مثل عنق البعير صاف يجري حتى ينصب في القناديل من غير أن تمسه الأيدي وكانت تنحدر نار من السماء بيضاء تسرج بها القناديل وكان القربان والسرج من ابني هارون شبر وشبير فأمر أن لا يسرجا بنار الدنيا فاستعجلا يوماً، فأسرجا بنار الدنيا فوقعت النار فأكلت ابني هارون

فصرخ الصارخ إلى موسى عليه السلام فجاء يدعو ويقول: يا رب إن ابني هارون قد عملت مكانهما مني فأوحى الله إليه يا ابن عمران هكذا افعل بأوليائي إذا عصوني فكيف بأعدائي.

وخرج على سهل الصعلوكي من مستوقد حمام يهودي في طمر أسود من دخانه فقال: ألستم ترون الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فقال سهل على البداهة إذا صرت إلى عذاب الله كانت هذه جنتك وإذا صرت إلى نعيم الله كانت هذه سجني فتعجبوا من كلامه فعلم منه أن عذاب الآخرة ليس كعذاب الدنيا ومن عرف حقيقة الحال يقع في خوف المآل قال رسول الله ﷺ لجبريل: «ما لي لم أر ميكائيل ضاحكاً قط» قال: «ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار».

واعلم أن المجاهدات والرياضات عذاب للنفس والطبيعة لإذابة جوهرهما من حيث الهوى والشهوات وإرجاعهما إلى الفطرة الأصلية لكن لا بد مع ذلك من التضرع والبكاء وتعفير الوجوه بالتراب لأنه بالاعتماد على الكسب يصعب طريق الوصول وبالافتقار والذلة ينفتح باب القبول.

جز خضوع وبندكي واضطرار   اندرين حضرت ندارد اعتبار

وعن أبي يزيد البسطامي قدس سره كابدت العبادة ثلاثين سنة فرأيت قائلاً يقول لي: يا أبا يزيد خزائنه مملوءة من العبادة إن أردت الوصول إليه فعليك بالذلة والافتقار فعلم منه أن العذاب لا ينقطع إلا بإفراد العبودية لله تعالى والتواضع على وجه ليس فيه شائبة أنانية أصلاً نسأل الله سبحانه أن يكشف عنا ظلمة النفس وينورنا بنور الإنس والقدس إنه المسؤول في كل أمل والمأمول من كل عمل.

﴿وهو الذي أنشأ﴾ خلق ﴿لكم﴾ لمنافعكم ﴿السمع﴾ وهي قوة في الأذن بها تدرك الأصوات والفعل يقال له السمع أيضاً ويعبر تارة بالسمع عن الأذن وبالفارسية. [كوش]. ﴿والأبصار﴾ جمع بصر يقال للجارحة الناظرة وللقوة فيها. وبالفارسية: [ديده] ﴿والأفئدة﴾ جمع فؤاد: وبالفارسية [دل].

قال الراغب: هو كالقلب لكن يقال: فؤاد إذا اعتبر فيه معنى التفؤد، أي التوقد يقال: فأدت اللحم شويته ولحم فئيد مشوي وخص هذه الثلاثة بالذكر لأن أكثر المنافع الدينية والدنيوية متعلق بها ﴿قليلاً ما تشكرون﴾ ما صلة لتأكيد القلة أي شكراً قليلاً تشكرون هذه النعم الجليلة لأن العمدة في الشكر استعمالها فيما خلقت لأجله وأنتم تخلون بها إخلالاً عظيماً.

وفي «العيون»: لم تشكروه لا قليلاً ولا كثيراً.

يقول الفقير: وهذا لأن القلة ربما تستعمل في العدم وهو موافق لحال الكفار.

ثم في الآية إشارة إلى معاني ثلاثة.

إحداها: إظهار إنعامه العظيم وأفضاله الجسيم بهذه النعم الجليلة من السمع والأبصار والأفئدة.

وثانيها: مطالبة العباد بالشكر على هذه النعم.

وثالثها: الشكاية من العباد إذ الشاكر منهم قليل كما قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣] وشكر هذه النعم استعمالها في طاعة المنعم وعبوديته فشكر السمع حفظه عن استماع المنهيات وأن لا يسمع إلا لله وبالله وعن الله.

كذركاه قرآن وپندست كوش   به بهتان وباطل شنيدن مكوش

وشكر البصر حفظه عن النظر إلى المحرمات وأن ينظر بنظر العبرة لله وبالله وإلى الله.

دوچشم ازپي صنع باري نكوست زعيب برادر فروكيرو دوست

وشكر القلب تصفيته عن رين الأخلاق الذميمة وقطع تعلقه عن الكونين فلا يشهد غير الله ولا يحب إلا الله.

ترابكوهر دل كرده اند اما نتدار زدزدا مانت حق رانكاه دارو ومخسب

﴿وهو الذي ذرأكم في الأرض﴾ خلقكم وبثكم فيها بالتناسل يقال: ذرأ الله الخلق أي أوجد أشخاصهم ﴿وإليه﴾ تعالى لا إلى غيره ﴿تحشرون﴾ تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم فما لكم لا تؤمنون ولا تشكرون.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلۡ قَالُواْ مِثۡلَ مَا قَالَ ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿وهو الذي يحيي ويميت﴾ من غير أن يشاركه في ذلك شيء من الأشياء أي يعطي الحياة النطف والتراب والبيض والموتى يوم القيامة ويأخذ الحياة من الأحياء ولم يقل أحيا وأمات كما قال: أنشأكم وذرأكم ولكن جاء على لفظ المضارع ليدل على أن الإحياء والإماتة عادته. ﴿وله﴾ خاصة ﴿اختلاف الليل والنهار﴾ أي هو المؤثر في تعاقبهما لا الشمس أو في اختلافهما ازدياداً وانتقاصاً ﴿أفلا تعقلون﴾ أي: أتغفلون عن تلك الآيات فلا تعقلون بالنظر والتأمل أن الكل منا وأن قدرتنا تعم الممكنات وأن البعث من جملتها. ﴿بل قالوا﴾ عطف على مضمر يقتضيه المقام، أي لم يعقلوا بل قالوا أي: كفار مكة. ﴿مثل ما قال الأولون﴾ أي: كما قال من قبلهم من الكفار ثم فسر هذا القبول المبهم بقوله:

﴿قالوا أئذا متنا﴾ [اياچون بميريم] ﴿وكنا تراباً﴾ [وباشيم خاك] ﴿وعظاماً﴾ [واستخواني خاكي كهنة] ﴿أئنا لمبعوثون﴾ [أياما برانكيخته شدكان شويم استفهام برسبيل انكاراست يعني چون كرديم حشر وبعث چكونه بماراه يابد] استبعدوا ولم يتأملوا أنهم كانوا قبل ذلك أيضاً تراباً فخلقوا والعامل في إذا ما دل عليه لمبعوثون وهو نبعث لأن ما بعد أن لا يعمل فيما قبلها.

﴿لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا﴾ أي البعث وهو مفعول ثان لوعدنا ﴿من قبل﴾ متعلق بالفعل من حيث اسناده إلى آبائهم لا إليهم أي وعد آباؤنا من قبل محمد فلم يروا له حقيقة. يعني [مارا ويدران مارا بوعدة حشر ونشر تخويف كردهاند وأين وعده راست نشد] ﴿إن هذا﴾ ما هذا ﴿إلا أساطير الأولين﴾ أكاذيبهم التي سطروها من غير أن يكون لها حقيقة جمع أسطورة لأنه يستعمل فيما يتلهى به كالأعاجيب والأضاحيك.

وفيه إشارة إلى أن الناس كلهم أهل تقليد من المتقدمين والمتأخرين إلا من هداه الله بنور الإيمان إلى التصديق بالتحقيق فإن المتأخرين هٰهنا قلدوا آباءهم المتقدمين في تكذيب الأنبياء والجحود وإنكار البعث قال الجامي قدس سره:

خواهي بصوت كعبة تحقيق ره بري بي بربي مقلد كم كرده ره مرو

﴿قل لمن الأرض ومن فيها﴾ من المخلوقات تغليباً للعقلاء على غيرهم ﴿إن كنتم تعلمون﴾ شيئاً ما فأخبروني به فإن ذلك كاف في الجواب وفيه من المبالغة في وضوح الأمر في تجهيلهم ما لا يخفى.

﴿سيقولون لله﴾ لأن بديهة العقل تضطرهم إلى الاعتراف بأنه تعالى خالقها ﴿قل﴾ عند اعترافهم بذلك تبكيتاً لهم. ﴿أفلا تذكرون﴾ أي تقولون ذلك فلا تتذكرون أن من فطر الأرض وما فيها ابتداء قادر على إعادتها ثانياً فإن البدء ليس بأهون من الإعادة بل الأمر بالعكس في قياس العقول.

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾﴾.

﴿قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم﴾ ترقى في الأمر بالسؤال من الأدنى والأصغر إلى الأعلى والأكبر، فإن السموات والعرش أعظم من الأرض ولا يلزم منه أن يكون من في السموات أجل ممن في الأرض حتى تكون الملائكة أفضل من جنس البشر كما لا يخفى ﴿سيقولون لله﴾ باللام نظراً إلى معنى السؤال، فإن قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد يعني إذا قلت من رب هذا فمعناه لمن هذا فالجواب لفلان. ﴿قل﴾ توبيخاً لهم ﴿أفلا تتقون﴾ أي أتعملون ذلك فلا تتقون عذابه بعد العمل بموجب العلم حيث تكفرون به وتنكرون البعث وتثبتون له شريكاً في الربوبية قدم التذكر على التقوى لأنهم بالتذكر يصلون إلى المعرفة وبعد أن عرفوه علموا أنه يجب عليهم اتقاء مخالفته.

﴿قل من بيده﴾ اليد في الأصل اسم موضوع للجارحة من المنكب إلى أطراف الأصابع وهو العضو المركب من لحم وعظم وعصب وكل من هذه الثلاثة جسم مخصوص بصفة مخصوصة والله تعالى متعال عن الأجسام وعن مشابهتها فلما تعذرت وجب الحمل على التجوز عن معنى معقول هو القدرة وبه نفسر قوله عليه السلام: «أن الله خمر طينة آدم بيده» أي: بقدرته الباهرة فإن العضو المركب منها محال على الله ليس كمثله شيء لأنه يلزم تركبه وتحيزه وذلك أمارة الحدوث المنافي للأزلية والقدم وكذلك الأصبعان في قوله عليه السلام: «إن قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمٰن» فإن أهل الحق على أن الأصبعين وكذا اليدان في قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥] مجازان عن القدرة فإنه شائع أي خلقت بقدرة كاملة ولم يرد بقدرتين ﴿ملكوت كل شيء﴾ مما ذكر ومما يذكر أي ملكه التام فإن الملكوت الملك والتاء للمبالغة.

قال الراغب: الملكوت مختص بملك الله تعالى.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن لكل شيء ملكوتاً وهو روحه من عالم الملكوت الذي هو قائم به يسبح الله تعالى به كقوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤] وروح ذلك بيد الله انتهى.

يقول الفقير: وهو الموافق لما قبل الآية فإنه تعالى لما بين أنه يهب كل جسم وجرم بين أن بيده روح ذلك الجسم والجرم. ﴿وهو يجير﴾ أي: يغيث غيره إذا شاء. ﴿ولا يجار عليه﴾

أي: ولا يغاث أحد عليه أي لا يمنع أحد منه بالنصر عليه وتعديته بعلى لتضمين معنى النصرة.

وفي «التأويلات النجمية»: وهو يجير الأشياء من الهلاك بالقيومية ولا يجار عليه أي لا مانع له ممن أراد هلاكه. ﴿إن كنتم تعلمون﴾ ذلك فأجيبوني.

﴿سيقولون لله﴾ أي: لله ملكوت كل شيء وهو الذي يجير ولا يجار عليه ﴿قل فأنى تسحرون﴾ أي: فمن أين تخدعون وتصرفون عن الرشد مع علمكم به ما أنتم عليه من الغي فإن من لا يكون مسحوراً مختلاً عقله لا يكون كذلك والخادع هو الشيطان والهوى.

أي كه پي نفس وهوى ميروى ره اينست خطا ميروى
راه روان زان ره ديگر روند پس توبدين راه چرا ميروى
منزل مقصود ازان جانبست پس توازين سو بكجاميروى

﴿بل أتيناهم بالحق﴾ من التوحيد والوعد بالبعث. ﴿وإنهم لكاذبون﴾ فيما قالوا من الشرك وإنكار البعث بين أنهم أصروا على جحودهم وأقاموا على عتوهم ونبوهم بعد أن أزيحت العلل فلات حين عذر وليس المساهلة موجب بقاء وقد انتقم الله منهم فإنه يمهل ولا يهمل.

قال سقراط: أهل الدنيا كسطور في صحيفة كلما نشر بعضها طوى بعضها.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف سنة فقد مضى ستة آلاف سنة وليأتين عليها مئون من سنين ليس عليها موحدين يعني عند آخر الزمان فكل من السعيد والشقي لا يبقى على وجه الدهر فيموت ثم يبعث فيجازى وفي «المثنوي»:

خاك را ونطفه را ومضغه را پيش چشم ما همي دارد خدا
كز كجا آوردمت أي بدنيت كه ازان آيد همي خفريقيت
تو بدان عاشق بدي در دورآن منكر أين فضل بودي آن زمان
أين كرم چون دفع آن انكارتست كه ميان خاك ميكردي نخست
حجت انكار شد انشار تو از دوا بهتر شد أين بيمار تو
خاك را تصوير اين كار از كجا نطفه را خصمي وإنكار از كجا
چون دران دم بي دل وبي سربدي فكرت وإنكار را منكر بدي
از جمادى چونكه إنكارت برست هم أزين إنكار حشرت شد درست
پس مثال تو چو آن حلقه زنيست كزدرونش خواجه كويد خواجه نيست
حلقه زن زين نيست دريابدكه هست پس زحلقه برندارد هيچ دست
پس هم انكارت مبين ميكند كزجماداو حشر صد فن ميكند
چند صنعت رفت از انكارتا آب وكل إنكار زاد از هل أتى
آب وكل ميكفت خود انكارنيست بانك ميزد بيخبر كاخبار نيست

﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾﴾

﴿ما اتخذ الله من ولد﴾ كما يقول النصارى والقائلون أن الملائكة بنات الله لأنه لم

يجانس أحداً ولم يماثله حتى يكون من جنسه وشبهه صاحبة فيتوالدا. ﴿وما كان معه من إله﴾ يشاركه في الألوهية كما يقول عبدة الأصنام وغيرهم والآية حجة على من يقول: خالق النور غير خالق الظلمة. ﴿إذاً﴾ [آن هنكام] وهو يدخل على جواب وجزاء وهو ﴿لذهب كل إله بما خلق﴾ ولم يتقدمه شرط لكن قوله: ﴿وما كان معه من إله﴾ يدل على شرط محذوف تقديره ولو كان معه آلهة لانفرد كل إله بما خلقه واستبدّ به دون الإله الآخر وامتاز ملكه عن ملك الآخر. وبالفارسية: [ببرد خداي آنراكه آفريده بود ودرآن مستقل ومستبد باشد پس مخلوقات أين خداي از مخلوق ديكر ومشاهده ميرودكه ميان هيچ مخلوقات علامت تميز نيست پس ثابت شدكه بااوهيچ خداي نيست وحده لا شريك له.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن اتخاذ الولد لا يصح كاتخاذ الشريك والأمران جميعاً داخلان في حد الاستحالة لأن الولد والشريك يوجب المساواة في القدر والصمدية تتقدس عن جواز أن يكون له مثل أو جنس ولو تصورنا جوازه إذاً لذهب كل إله بما خلق فكل أمر نيط باثنين فقد انتفى عن النظام وصحة الترتيب.

بروحدتش صحيفة لا ريب حجتست اينك نوشته ازشهد الله بران كواه

﴿ولعلا﴾ لغلب ﴿بعضهم على بعض﴾ كما هو الجاري فيما بين ملوك الدنيا فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء وهو باطل لا يقول به عاقل قط.

قال الكاشفي: [اكر باوخدايي بودي وچنانچه شد مخلوق خودرا خداكردي وملك آواز ملك أين ممتاز شدى هر آيينه طرح نزاع وحرب ميان ايشان بديد آمدي چنانچه ازحال ملوك دنيا معلومست وبإجماع واستقرا معلوم شدكه اين تجارب وتنازع واقع نيست پس اورا شريك نبود].

قال في «الأسئلة المقحمة»: ﴿ولعلا بعضهم على بعض﴾ أي لغلب منهما القوى على الضعيف وهو دليل على أنه لو كان إلهان لوقع التمانع بالعلم والقدرة فإنه إذا أراد أحدهما إحياء زيد والآخر إفناءه استوت قدرتهما بمنع كل واحد منهما فعل صاحبه ومهما ارتفع مراد أحدهما غلب صاحبه بالقدرة ونظيره حبل يتجاذبه اثنان فإذا استويا في القدرة بقيا متجاذبين فإن غلب أحدهما بالجذب لم يبق لفعل الآخر أثر فهو معنى الآية ﴿سبحان الله﴾ نزهوه تنزيهاً.

وقال الكاشفي: [پاكست خداي تعالى].

وفي «بحر العلوم»: تنزيه أو تعجيب ﴿عما يصفون﴾ أي يصفونه ويضيفونه إليه من الأولاد والشركاء.

﴿عالم الغيب والشهادة﴾ بالجر على أنه بدل من الجلالة أي عالم السر والعلانية. وبالفارسية: [پوشيده وآشكار].

وفي «التأويلات النجمية»: عالم الملك والملكوت والأرواح والأجساد انتهى.

ثم إن الغيب بالنسبة إلينا لا بالنسبة إليه تعالى فهو عالم به وبالشهادة على سواء وهو دليل آخر على انتفاء الشريك بناء على توافقهم في تفرده تعالى بذلك ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى: ﴿فتعالى﴾ الله وتنزه ﴿عما يشركون﴾ به مما لا يعلم شيئاً من الغيب ولا يتكامل عليه بالشهادة فإن تفرده بذلك موجب لتعاليه عن أن يكون له شريك.

قال الراغب: شرك الإنسان في الدين ضربان أحدهما الشرك العظيم وهو إثبات شريك لله تعالى يقال: أشرك فلان بالله وذلك أعظم كفر، والثاني الشرك الصغير وهو مراعاة غير الله معه

في بعض الأمور وذلك كالرياء والنفاق، وفي الحديث: «والشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل على الصفا».

مرايي هركسي معبود سازد مرايي را ازان كفتند مشرك

قال الشيخ سعدي قدس سره:

منه آب زرجان من بر پشيز كه صراف دانا نكيرد بچيز

قال يحيى بن معاذ: إن للتوحيد نوراً وللشرك ناراً وإن نور التوحيد أحرق سيئات الموحدين كما أن نار الشرك أحرقت حسنات المشركين روي: أن قائلاً قال: يا رسول الله فبم النجاة غداً قال: «أن لا تخادع الله» قال: وكيف نخادع الله؟ قال: «أن لا تعمل بما أمرك الله وتريد به غير وجه الله».

زعمرو أي پسر چشم أجرت مدار چو درخانة زيد باشي بكار

والعمدة في هذا الباب التوحيد فإنه كما يتخلص من الشرك الأكبر الجلي بالتوحيد كذلك يتخلص من الشرك الأصغر به فينبغي أن يشتغل به ويجتهد قدر الاستطاعة لينال على درجات أهل الإيمان والتوحيد من الصديقين ولكن برعاية الشريعة النبوية والاجتناب عن الصفات الذميمة للنفس حتى يتخلق بأخلاق الله نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من المنقطعين عما سواه والعاملين بالله لله في الله.

﴿قل رب﴾ [أي پروردكار من] **﴿إما﴾** أصله إن ما وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط كالنون في قوله: **﴿تريني﴾** أي: إن كان لا بد من أن تريني وبالفارسية. [اكر نمايي مرا] **﴿ما يوعدون﴾** أي: المشركون من العذاب الدنيوي المستأصل والوعد يكون في الخير والشر يقال: وعدته بنفع وضر.

﴿رب﴾ يا رب **﴿فلا تجعلني في القوم الظالمين﴾** أي قريناً لهم في العذاب وأخرجني من بين أيديهم سالماً والمراد بالظلم الشرك وفيه إيذان بكمال فظاعة ما وعدوه من العذاب وكونه بحيث يجب أن يستعيذ منه من لا يكاد يمكن أن يحيق به ورد لإنكارهم إياه واستعجالهم به على طريقة الاستهزاء وهذا يدل على أن البلاء ربما يعم أهل الولاء وأن للحق أن يفعل ولو عذب البر لم يكن ذلك منه ظلماً ولا قبيحاً **﴿وإنا على أن نريك ما نعدهم﴾** من العذاب. **﴿لقادرون﴾** ولكنا نؤجره لعلمنا بأن بعضهم أو بعض أعقابهم سيؤمنون أو لأنا لانعذبهم وأنت فيهم.

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَـٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾.

﴿ادفع بالتي﴾ بالطريقة التي **﴿هي أحسن﴾** أي أحسن طرق الدفع من الحلم والصفح **﴿السيئة﴾** التي تأتيك منهم من الأذى والمكروه وهو مفعول ادفع والسيئة الفعلة القبيحة وهو ضد الحسنة.

قال بعضهم: استعمل معهم ما جعلناك عليه من الأخلاق والشفقة والرحمة فإنك أعظم

خطراً من أن يؤثر فيك ما يظهرونه من أنواع المخالفات.

وفي «التأويلات النجمية»: يعني مكافأة السيئة جائزة لكن العفو عنها أحسن ويقال ادفع بالوفاء الجفاء ويقال: الأحسن ما أشار إليه القلب بالمعافاة والسيئة ما تدعو إليه النفس للمكافأة.

ويقال: [دفع كن ظلمت خلائق را بنور حقائق يا خظوظ خودرا بحقوق خداطي كن تيه حوادث را بقدم سلوك در طريق معرفت.

چوطي كشت تيه حوادث ازآنجا بملك قدم ران بيك حمله محمل
دران قلزم نور شو غوطة زن فروشوي ازخويشتن ظلمت ظل
بكى خوان يكي دان يكي كويكي جو سوى الله والله زوراست وباطل

﴿نحن أعلم بما يصفون﴾ بما يصفونك به على خلاف ما أنت عليه كالسحر والشعر والجنون والوصف ذكر الشيء بحليته ونعته قد يكون حقاً وقد يكون باطلاً وفيه وعيد لهم بالجزاء والعقوبة وتسلية لرسول الله وإرشاد له إلى تفويض أمره إليه تعالى.

﴿وقل رب﴾ يا رب ﴿أعوذ بك﴾ العوذ الالتجاء إلى الغير والتعلق به. ﴿من همزات الشياطين﴾ أي وساوسهم المغوية على خلاف ما أمرت به من المحاسن التي من حملتها دفع السيئة بالحسنة وأصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض أي معلم الدواب ونحو الهمز الأز في قوله ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾ [مريم: ٨٣].

قال الراغب: الهمز كالعصر يقال: همزت الشيء في كفي ومنه الهمز في الحروف انتهى شبه حثهم للناس على المعاصي بهمز الرائض الدواب على الإسراع أو الوثب والجمع للمرات أو لتنوع الوساوس أو لتعدد المضاف إليه.

﴿وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ أصله يحضرونني فحذفت إحدى النونين ثم حذفت ياء المتكلم اكتفاء بالكسرة، أي من أن يحضروني ويحوموا حولي في حال من الأحوال صلاة أو تلاوة أو عند الموت أو غير ذلك.

قال الحسن: كان عليه السلام يقول عند استفتاح الصلاة: «لا إله إلا الله ثلاثاً الله أكبر ثلاثاً اللهم إني أعوذ بك من همزات الشياطين من همزها ونفثها ونفخها وأعوذ بك رب أن يحضرون» يعني بالهمز الجنون وبالنفث الشعر وبالنفخ الكبر روي: إنه اشتكى بعضهم أرقا فقال عليه السلام: «إذا أردت النوم فقل: أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون» وكلمات الله كتبه المنزلة على أنبيائه أو صفات الله كالعزة والقدرة وصفها بالتمام لعرائها عن النقص والانقصام.

قال بعضهم هذا مقام من بقي له التفات إلى غير الله فأما من توغل في بحر التوحيد بحيث لا يرى في الوجود إلا الله لم يستعذ إلا بالله ولم يلتجىء إلا إلى الله والنبي عليه السلام لما ترقى عن هذا المقام قال: «أعوذ بك منك» وكان عليه السلام إذا دخل الخلاء قال: «اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث» أي: من ذكور الجن وإناثهم مما اتصف بالخباثة وأجمعت الأمة على عصمة النبي عليه السلام فإن قرينه من الجن قد أسلم أو أنه قد نزع منه مغمز الشيطان فالمراد من الاستعاذة تحذير غيره من شر الشيطان ثم إن الشيطان يوسوس في صدور الناس فيغوي كل أحد من الرجال والنساء ويوقع الأشرار في البدع والأهواء، وفي الحديث:

«صنفان من أهل النار لم أرهما» يعني: في عصره عليه السلام لطهارة ذلك العصر بل حدثا بعده «قوم معهم سياط» يعني: أحدهما في أيديهم سياط جمع سوط تسمى تلك السياط في ديار العرب بالمقارع جمع مقرعة وهي جلدة طرفها مشدود عرضها كعرض الأصبع الوسطى يضربون بها السارقين عراة قيل: هم الطوافون على أبواب الظلمة كالكلاب يطردون الناس عنها بالضرب والسباب «كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء» يعني ثانيهما: نساء «كاسيات» يعني: في الحقيقة «عاريات» يعني: في المعنى لأنهن يلبسن ثياباً رقاقاً تصف ما تحتها أو معناه عاريات من لباس التقوى وهن اللاتي يلقين ملاحفهن من ورائهن فتنكشف صدورهن كنساء زماننا أو معناه كاسيات بنعم الله عاريات عن الشكر يعني أن نعيم الدنيا لا ينفع في الآخرة إذا خلا عن العمل الصالح وهذا غير مختص بالنساء «مميلات» أي قلوب الرجال إلى الفساد بهن أو مميلات أكتافهن وأكفالهن كما تفعل الراقصات أو مميلات مقانعهن عن رؤوسهن لتظهر وجوههن «مائلات» إلى الرجال أو معناه متبخترات في مشيهن «رؤوسهن كأسنمة البخت» يعني: يعظمن رؤوسهن بالخمر والقلنسوة حتى تشبه أسنمة البخت أو معناه ينظرن إلى الرجال برفع رؤوسهن «المائلة» لأن أعلى السنام يميل لكثرة شحمه «لا يدخلن ولا يجدن ريحها وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا» أي: من مسيرة أربعين عاماً.

﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت﴾ حتى التي يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الاسمية وهي مع ذلك غاية لما قبلها متعلقة بيصفون أي يستمرون على سوء الذكر حتى إذا جاء أحدهم كافراً، أي أحد كان الموت الذي لا مرد له وظهرت له أحوال الآخرة ﴿قال﴾ تحسراً على ما فرط فيه من الإيمان والعمل. ﴿رب﴾ يا رب ﴿ارجعون﴾ ردني إلى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب لأن العرب تخاطب الواحد الجليل الشأن بلفظ الجماعة وفيه رد على من يقول الجمع للتعظيم في غير المتكلم إنما ورد في كلام المولدين ثم إنه يقول له إلى أي شيء تذهب إلى جمع المال أو غرس الغراس أو بناء البنيان أو شق الأنهار فيقول: ﴿لعلي أعمل صالحاً فيما تركت﴾ أي: في الإيمان الذي تركته أي لعلي أعمل في الإيمان الذي آتي به البتة عملاً صالحاً فلم ينظم الإيمان في سلك الرجاء كسائر الأعمال الصالحة بأن يقول لعلي أو من فأعمل الخ للإشعار بأنه أمر مقرر الوقوع غني عن الإخبار بوقوعه فضلاً عن كونه مرجو الوقوع.

وقال في «الجلالين»: ﴿لعلي أعمل صالحاً﴾ أي أشهد بالتوحيد ﴿فيما تركت﴾ حين كنت في الدنيا انتهى.

قال بعضهم: الخطاب في ارجعون لملك الموت وأعوانه وذكر الرب للقسم كما في «الكبير» واستعان بالله أولاً ثم بهم كما في «الأسئلة المقحمة» وكما قال الكاشفي: [أمام ثعلبي بأجمعي مفسران براننده خطاب با ملك الموت وأعوان أوست أول بكلمة رب استعانة مي نمايند بخداي وبكلمة ارجعون رجوع مي نمايند بملائكة].

ويدل عليه قوله عليه السلام: «إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا: أنرجعك إلى الدنيا فيقول: إلى دار الهموم والأحزان بل قدوماً إلى الله تعالى وأما الكافر فيقول: ارجعون» وقيل: أريد بقوله: فيما تركت فيما قصرت فتدخل فيه العبادات البدنية والمالية والحقوق.

قال في «الكبير»: وهو أقرب كأنهم تمنوا الرجعة ليصلحوا ما أفسدوه.

يقول الفقير فالمراد بالعمل الصالح هو العمل المبني على الإيمان لأنه وإن كان عمل

عملاً في صورة الصالح لكنه كان فاسداً في الحقيقة حيث أحبطه الكفر فلما شاهد بطلانه رجا أن يرجع إلى الدنيا فيؤمن ويعمل عملاً صالحاً صورة وحقيقة.

وقال القرطبي: سؤال الرجعة غير مختص بالكافر أي بل يعم المؤمن المقصر.

قال في «حقائق البقلي»: بين الله سبحانه أن من كان ساقطاً عن مراتب الطاعات لم يصل إلى الدرجات ومن كان محروماً من المراقبات في البدايات كان محجوباً عن المشاهدات والمعاينات في النهايات وأن أهل الدعاوى المزخرفات والترهات تمنوا في وقت النزع أن لم تمض عليهم أوقاتهم بالغفلة عن الطاعات ولم يشتغلوا بالدعاوى المخالفات والمحالات فأقبل على طاعة مولاك واجتنب الدعاوى واطلاق القول في الأحوال فإن ذلك فتنة عظيمة هلك في ذلك طائفة من المريدين وما فزع أحد إلى تصحيح المعاملات إلا أداه بركة ذلك إلى قرب الرب ومقام الأمن ولا ترك أحد هذه الطريقة إلا تعطل وفسد ووقع في الخوف العظيم وتمنى حين لا ينفع التمني. قال الحافظ:

كاري كنيم ورنه خجالت بر آمرد روزي كه رخت جان بجهان دكر كشيم

وقال الخجندي:

علم وتقوى سر بسر دعويست ومعنى ديكرست

مرد معنى ديكر وميدان دعوى ديكرست

﴿كلا﴾ ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها أي لا يرد إلى الدنيا أبداً. ﴿إنها﴾ أي قوله رب ارجعون. ﴿كلمة﴾ الكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضه مع بعض ﴿هو﴾ أي ذلك الأحد ﴿قائلها﴾ عند الموت لا محالة لتسلط الحزن عليه ولا يجاب لها. ﴿ومن ورائهم﴾ فعال ولامه همزة عند سيبويه وأبي علي الفارسي وياء عند العامة وهو من ظروف المكان بمعنى خلف وأمام أي من الأضداد. والمعنى أمام ذلك الأحد والجمع باعتبار المعنى لأنه في حكم كلهم كما أن الأفراد في قال وما يليه باعتبار اللفظ. ﴿برزخ﴾ حائل بينهم وبين الرجعة وهو القبر.

وفي «التأويلات النجمية»: وهو ما بين الموت إلى البعث، أي بين الدنيا والآخرة وهو غير البرزخ الذي بين عالم الأرواح المثالي وبين هذه النشأة العنصرية. ﴿إلى يوم يبعثون﴾ يوم القيامة وهو إقناط كلي من الرجعة إلى الدنيا لما علم أن لا رجعة يوم البعث إلى الدنيا وأما الرجعة حينئذٍ فإلى الحياة الأخروية.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿فإذا نفخ في الصور﴾ لقيام الساعة وهي النفخة الثانية التي عندها البعث والنشور والنفخ نفخ الريح في الشيء والصور مثل قرن ينفخ فيه فيجعل الله ذلك سبباً لعود الأرواح إلى أجسادها. ﴿فلا أنساب بينهم﴾ تنفعهم لزوال التراحم والتعاطف من فرط واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه أو لا أنساب يفتخرون بها والنسب القرابة بين اثنين فصاعداً أي اشتراك من جهة أحد الأبوين وذلك ضربان نسب بالطول كالاشتراك بين

الآباء والأبناء ونسب بالعرض كالنسب بين الإخوة وبني الأعمام ﴿يومئذٍ﴾ كما بينهم اليوم ﴿ولا يتساءلون﴾ أي لا يسأل بعضهم بعضاً فلا يقول له من أنت ومن أي قبيلة ونسب أنت ونحو ذلك لاشتغال كل منهم بنفسه لشدة الهول فلا يتعارفون ولا يتساءلون كما أنه إذا عظم الأمر في الدنيا لم يتعرف الوالد لولده ولا يناقضه قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الصافات: ٥٠] لأن عدم التساؤل عند ابتداء النفخة الثانية قبل المحاسبة والتساؤل بعد ذلك وأيضاً يوم القيامة يوم طويل فيه خمسون موطناً كل موطن ألف سنة ففي موطن يشتد عليهم الهول والفزع بحيث يشغلهم عن التساؤل والتعارف فلا يفطنون لذلك وفي موطن يفيقون إفاقة فيتساءلون ويتعارفون.

وعن الشعبي: قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله أما نتعارف يوم القيامة أسمع الله يقول: ﴿فلا أنساب بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون﴾ فقال عليه السلام: «ثلاثة مواطن تذهل فيها كل نفس حين يرمي إلى كل إنسان كتابه عند الموازين وعلى جسر جهنم» قال ابن مسعود رضي الله عنه: يؤخذ بيد العبد والأمة يوم القيامة فينصب على رؤوس الأولين والآخرين ثم ينادي منادٍ ألا إن هذا فلان ابن فلان فمن كان له عليه حق فليأت إلى حقه فيفرح العبد يومئذٍ أن يثبت له حق على والده وولده أو زوجته وأخيه فلا أنساب بينهم يومئذٍ.

وعن قتادة لا شيء أبغض إلى الإنسان يوم القيامة من أن يرى من يعرفه أن يثبت له عليه شيء ثم تلا ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾﴾ الآية [عبس: ٣٤].

قال محمد بن علي الترمذي قدس سره: الأنساب كلها منقطعة إلا من كانت نسبته صحيحة في عبودية ربه فإن تلك نسبة لا تنقطع أبداً وتلك النسبة المفتخر بها لا نسبة الأجناس من الآباء والأمهات والأولاد.

قال الأصمعي: كنت أطوف بالكعبة في ليلة مقمرة فسمعت صوتاً حزيناً فتبعت الصوت فإذا أنا بشاب حسن ظريف تعلق بأستار الكعبة وهو يقول: نامت العيون وغارت النجوم وأنت الملك الحي القيوم وقد غلقت الملوك أبوابها وأقامت عليها حرسها وحجابها وبابك مفتوح للسائلين فها أنا سائلك ببابك مذنباً فقيراً مسكيناً أسيراً جئت أنتظر رحمتك يا أرحم الراحمين ثم أنشأ يقول:

يا من يجيب دعا المضطر في الظلم ... يا كاشف الضر والبلوى مع القسم
قد نام وفدي حول البيت وانتبهوا ... وأنت يا حي يا قيوم لم تنم
أدعوك ربي ومولاي ومستندي ... فارحم بكائي بحق البيت والحرم
أنت الغفور فجد لي منك مغفرة ... أو اعف عني يا ذا الجود والنعم
إن كان عفوك لا يرجوه ذو جرم ... فمن يجود على العاصين بالكرم

ثم رفع رأسه نحو السماء وهو ينادي: يا إلهي وسيدي مولاي إن أطعتك فلك المنة علي وإن عصيتك فبجهلي فلك الحجة علي اللهم فبإظهار منتك علي وإثبات حجتك لديّ ارحمني وأغفر ذنوبي ولا تحرمني رؤية جدي قرة عيني وحبيبك وصفيك ونبيك محمد ﷺ ثم أنشأ يقول:

ألا أيها المأمول في كل شدة ... إليك شكوت الضر فارحم شكايتي
ألا يا رجائي أنت كاشف كربتي ... فهب لي ذنوبي كلها واقض حاجتي

فـزادي قـلـيـل مـا أراه مـبـلـغـي على الزاد أبكي أم لبعد مسافتي
أتـيـت بـأعـمـال قـبـاح رديـئـة وما في الورى خلق جني كجنايتي

فكان يكرر هذه الأبيات حتى سقط على الأرض مغشياً عليه فدنوت منه فإذا هو زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فوضعت رأسه في حجري وبكيت لبكائه بكاءً شديداً شفقة عليه فقطر من دموعي على وجهه فأفاق من غشيته وفتح عينه وقال: من الذي شغلني عن ذكر مولاي فقلت أنا الأصمعي يا سيدي ما هذا البكاء وما هذا الجزع وأنت من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة أليس الله يقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] قال: فاستوى جالساً وقال يا أصمعي هيهات إن الله تعالى خلق الجنة لمن أطاعه وإن كان عبداً حبشياً وخلق النار لمن عصاه وإن كان ملكاً قرشياً أما سمعت قوله تعالى: **﴿فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون﴾**.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن نفخة العناية الربوبية إذا نفخت في صور القلب قامت القيامة وانقطعت الأسباب فلا يلتفت أحد إلى أحد من أنسابه لا إلى أهل ولا إلى ولد لاشتغاله بطلب الحق تعالى واستغراقه في بحر المحبة فلا يسأل بعضهم بعضاً عما تركوا من أسباب الدنيا ولا عن أحوال أهاليهم وأخدانهم وأوطانهم وإذا فارقوها كان لكل امرىء منهم يومئذٍ شأن في طلب الحق يغنيه عن مطالبة الغير.

﴿فمن ثقلت موازينه﴾ موزونات حسناته من العقائد والأعمال أي فمن كان له عقائد صحيحة وأعمال صالحة يكون لها وزن وقدر عند الله فهو جمع موزون بمعنى العمل الذي لا وزن وخطر عند الله وباقي الكلام في هذا المقام سبق في تفسير سورة الأعراف. **﴿فأولئك هم المفلحون﴾** الفائزون بكل مطلوب الناجون من كل مهروب ولما كان حرف من يصلح للواحد والجمع وحد على اللفظ وجمع على المعنى.

﴿ومن خفت موازينه﴾ أي ومن لم يكن له من العقائد والأعمال ما له وزن وقدر عند الله تعالى وهم الكفار لقوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥] **﴿فأولئك الذين خسروا أنفسهم﴾** ضيعوها بتضييع زمان استكمالها وأبطلوا استعدادها لنيل كمالها. والخسر والخسران انتقاص رأس المال كما في «المفردات».

قال الكاشفي [پس كروه آنندكه زيان كرده اند ازنفسهاي يعني سرماية عمر بباد غفلت برداند واستعدادات حصول كمال را بطلب آرزوهاي نفس ومتابعت شهوات ضايع ساختند] **﴿في جهنم خالدون﴾** بدل من صلة أو خبر ثان لأولئك.

قال في «التأويلات النجمية»: الإنسان كالبيضة المستعدة لقبول تصرف ولاية الدجاجة وخروج الفروخ منها فما لم تتصرف فيها الدجاجة يكون استعدادها باقياً فإذا تصرف الدجاجة فيها فتغيرت عن حالها إلى حال الفروخية ثم انقطع تصرف الدجاجة عنها تفسد البيضة فلا ينفعها التصرف بعد ذلك لفساد الاستعداد ولهذا قالوا مرتد الطريقة شر من مرتد الشريعة وهذا معنى قوله: **﴿في جهنم خالدون﴾** أي في جهنم أنفسهم فلا يخرجون بالفروخية وليس من سنة الله إصلاح الاستعداد بعد إفساده. قال الجامي:

آنراكه زمين كشد درون چون قارون نـي مـوسـيـش آورد بـرون هـارون
فـاسـد شـده راز روز كـار وارون لا يـمـكـن أن يـصـلـحـه الـعـطـارون

﴿تلفح وجوههم النار﴾ تحرقها يقال: لفحته النار بحرها أحرقته كما في «القاموس» واللفح كالنفح إلا أنه أشد تأثيراً كما في «الإرشاد» وغيره وتخصيص الوجوه بذلك لأنها أشرف الأعضاء وأعظم ما يصان منها فبيان حالها أزجر عن المعاصي المؤدية إلى النار وهو السر في تقديمها على الفاعل. ﴿وهم فيها كالحون﴾ من شدة الاحتراق. والكلوح تقلص الشفتين عن الأسنان كما ترى الرؤوس المشوية.

وعن مالك بن دينار كان سبب توبة عتبة الغلام أنه مر في السوق برأس أخرج من التنور فغشي عليه ثلاثة أيام ولياليهن، وفي الحديث: «تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته» انتهى.

فيقال لهم تعنيفاً وتوبيخاً وتذكيراً لما به استحقوا ما ابتلوا به من العذاب.

﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾﴾.

﴿ألم تكن آياتي تتلى عليكم﴾ في الدنيا ﴿فكنتم بها تكذبون﴾ حينئذٍ.

﴿قالوا﴾ يا ﴿ربنا غلبت علينا﴾ أي ملكتنا ﴿شقوتنا﴾ التي اقترفناها بسوء اختيارنا فصارت أحوالنا مؤدية إلى سوء العاقبة.

قال القرطبي: وأحسن ما قيل في معناه غلبت علينا لذاتنا وأهواؤنا فسمى اللذات والأهواء شقوة لأنهما تؤديان إليها.

قال أبو تراب: الشقوة حسن الظن بالنفس وسوء الظن بالخلق. ﴿وكنا﴾ بسبب ذلك ﴿قوماً ضالين﴾ عن الحق ولذلك فعلنا ما فعلنا من التكذيب وسائر المعاصي.

﴿ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون﴾ متجاوزون الحد في الظلم لأنفسنا. ﴿قال﴾ تعالى بطريق القهر: ﴿اخسؤوا فيها﴾ اسكتوا في النار سكوت هوان فإنها ليست مقام سؤال وانزجروا انزجار الكلاب إذا زجرت من خسأت الكلب إذا زجرته مستهيناً به فخسأ، أي انزجر. ﴿ولا تكلمون﴾ أي: باستدعاء الإخراج من النار والرجع إلى الدنيا فإنه لا يكون أبداً.

﴿إنه﴾ تعليل لما قبله من الزجر عن الدعاء أي إن الشأن. ﴿كان فريق من عبادي﴾ وهم المؤمنون. ﴿يقولون﴾ في الدنيا ﴿ربنا آمنا﴾ صدقنا بك وبجميع ما جاء من عندك. ﴿فاغفر لنا﴾ ﴿وارحمنا﴾ وأنعم علينا بنعمك التي من جملتها الفوز بالجنة والنجاة من النار. ﴿وأنت خير الراحمين﴾ لأن رحمتك منبع كل رحمة.

﴿فاتخذتموهم سخرياً﴾ مهزواً بهم أي اسكتوا عن الدعاء بقولكم: ربنا الخ لأنكم كنتم تستهزئون بالداعين بقولهم: ربنا آمنا الخ وتتشاغلون ﴿حتى أنسوكم﴾ أي: الاستهزاء بهم فإن أنفسهم ليست سبب الإنساء. ﴿ذكري﴾ أي ذكركم إياي والخوف مني والعمل بطاعتي من فرط أشتغالكم باستهزائهم. ﴿وكنتم منهم تضحكون﴾ وذلك غاية الاستهزاء.

وقال مقاتل: نزلت في بلال وعمار وسلمان وصهيب وأمثالهم من فقراء الصحابة كان كفار قريش كأبي جهل وعتبة وأبي بن خلف وأضرابهم يستهزئون بهم وبأسلامهم ويؤذونهم.

﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾

﴿إني جزيتهم اليوم بما صبروا﴾ بسبب صبرهم على أذيتهم والصبر حبس النفس عن الشهوات. **﴿أنهم هم الفائزون﴾** ثاني مفعولي الجزاء أي جزيتهم فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به.

وفي «التأويلات النجمية»: وفيه من اللطائف أن أهل السعادة كما ينتفعون بمعاملاتهم الصالحة مع الله من الله ينتفعون بإنكار منكريهم واستخفاف مستهزئيهم وأن أهل الشقاوة كما يخسرون بمعاملاتهم الفاسدة مع أنفسهم يخسرون باستهزائهم وإنكارهم على الناصحين المرشدين **﴿قال﴾** الله تعالى تذكيراً لما لبثوا فيما سألوا الرجوع إليه من الدنيا بعد التنبيه على استحالته بقوله **﴿اخسؤوا فيها ولا تكلمون﴾** .

﴿كم لبثتم في الأرض﴾ التي تدعون أن ترجعوا إليها يقال لبث بالمكان أقام به ملازماً له. **﴿عدد سنين﴾** تمييز لكم **﴿قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم﴾** استقصاراً لمدة لبثهم فيها بالنسبة إلى دخولهم في النار أو لأنها كانت أيام السرور قصار أو لأنها منقضية والمنقضي كالمعدوم.

هردم ازعمر كرامي هست كنج بي بدل ميرود كنجي چنين هر لحظه برباد آه آه

﴿فاسأل العادين﴾ أي الذين يعلمون عد أيامها إن أردت تحقيقها فإنا لما نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكرها وإحصائها.

وفي «التأويلات النجمية»: فاسأل العادين يعني الذين يعدّون أنفاسنا وأيامنا وليالينا من الملائكة الموكلين علينا. **﴿قال﴾** الله تعالى.

﴿إن﴾ ما **﴿لبثتم إلا قليلاً﴾** تصديقاً لهم في تقليلهم لسني لبثهم في الدنيا وقليلاً صفة مصدر محذوف أي لبثاً قليلاً أو زمان محذوف أي زماناً قليلاً **﴿لو أنكم كنتم تعلمون﴾** لعلمتم يومئذٍ قلة لبثكم فيها كما علمتم اليوم.

وفي «بحر العلوم»: أي لو كنتم تعلمون مقدار لبثكم من الطول لما أجبتم بهذه المدة فعلى العاقل أن يتدارك حاله ويصلح أعماله قبل أن تنفد الأنفاس وينهدم الأساس قيل:

ألا إنما الدنيا كظل سحابة أظلتك يوماً ثم عنك اضمحلت
فلا تك فرحاناً بها حين أقبلت ولا تك جزعاناً بها حين ولت

قال أردشير بن بابك بن ساسان وهو أول ملك من آل ساسان: لا تركنن إلى الدنيا فإنها لا تبقى على أحد ولا تتركها فإن الآخرة لا تنال إلا بها.

قال العلامة الزمخشري استغنم تنفس الأجل وإمكان العمل واقطع ذكر المعاذير والعلل فإنك في أجل محدود وعمر غير ممدود قال الشيخ سعدي قدس سره:

كنون وقت تخمست اكر پروري كر اميد وار أي كه خرمن بري
بشهر قيامت مرو تنكدست كه وجهي ندارد بغفلت نشست
غنيمت شمر أين كرامي نفس كه پي مرغ قيمت ندارد قفس
مكن عمر ضايع بافسوس وحيف كه فرصت عزيز بزست والوقت سيف

قال بعض الكبار: لو علمت أن ما فات من عمرك لا عوض له لم يصح منك غفلة ولا

إهمال ولكنت تأخذ بالعزم والحزم بحيث تبادر الأوقات وتراقب الحالات خوف الفوات عاملاً على قول القائل:

السباق السباق قولاً وفعلاً حذر النفس حسرة المسبوق

وما حصل من عمرك إذا علمت أن لا قيمة له كنت تستغرق أوقاتك في شكر الحاصل وتحصيل الواصل فقد قال علي رضي الله عنه بقية عمر المرء ما لها ثمن يدرك به منها ما فات ويحيي ما مات، وفي الحديث: «ما من ساعة تأتي على العبد لا يذكر الله فيها إلا كانت عليه حسرة يوم القيامة».

واعلم أن العباد على قسمين في أعمارهم فرب عمر اتسعت آماده وقلّت أمداده كأعمار بعض بني إسرائيل إذ كان الواحد منهم يعيش الألف ونحوها ولم يحصل على شيء مما يحصل لهذا الأمة مع قصر أعمارها ورب عمر قليلة آماده كثيرة أمداده كعمر من فتح عليه من هذه الأمة فوصل إلى عناية الله بلمحة فمن بورك له في عمره أدرك في يسير من الزمان ما لا يدخل تحت العبارة فالخذلان كل الخذلان أن تتفرع من الشواغل ثم لا تتوجه إليه بصدق النية حتى يفتح عليك بما لا تصل الهمم إليه وأن تقل عوائقك ثم لا ترحل إليه عن عوالم نفسك والاستئناس بيومك وأمسك فقد جاء خصلتان مغبون فيهما كثير من الناس والفراغ ومعناه أن الصحيح ينبغي أن يكون مشغولاً بدين أو دنياً فهو مغبون فيهما.

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾

﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري والفاء للعطف على مقدر. والحسبان بالكسر الظن وعبثاً حال من نون العظمة بمعنى عابثين وهو ما ليس لفاعله غرض صحيح أو ارتكاب أمر غير معلوم الفائدة.

والمعنى أغفلتم وظننتم من فرط غفلتكم أنا خلقناكم بغير حكمة. **﴿وأنكم إلينا لا ترجعون﴾** عطف على أنما خلقناكم أي وحسبتم عدم رجوعكم إلينا يعني أن المصلحة من خلقكم الأمر بالعمل ثم البعث للجزاء ومعنى الرجوع إلى الله الرجوع إلى حيث لا مالك ولا حاكم سواه.

قال الترمذي: إن الله خلق الخلق ليعبدوه فيثيبهم على العبادة ويعاقبهم على تركها فإن عبدوه فإنهم عبيد أحرار كرام من رق الدنيا ملوك في دار السلام وإن رفضوا العبودية فهم اليوم عبيد أباق سقاط لئام وغداً أعداء في السجون بين أطباق النيران.

وفي «التأويلات النجمية»: **﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً﴾** بلا معنى ينفعكم أو يضركم حتى عشتم كما يعيش البهائم فما تقربتم إلينا بالأعمال الصالحات للتقرب وحسبتم **﴿وأنكم إلينا لا ترجعون﴾** باللطف والقهر.

فالرجوع باللطف بأن يموت بالموت الاختياري قبل الموت الاضطراري وهو بأن ترجعوا من أسفل سافلين الطبيعة على قدمي الشريعة والطريقة إلى أعلى عليين عالم الحقيقة.

والرجوع بالقهر بأن ترجعوا بعد الموت الاضطراري فتقادون إلى النار بسلاسل تعلقاتكم بشهوات الدنيا وزينتها وأغلال صفاتكم الذميمة.

وعن بهلول قال: كنت يوماً في بعض شوارع البصرة فإذا بصبيان يلعبون بالجوز واللوز وإذا أنا بصبي ينظر إليهم ويبكي فقلت: هذا صبي يتحسر على ما في أيدي الصبيان ولا شيء

معه فيلعب به فقلت أي بني ما يبكيك أشتري لك من الجوز واللوز ما تلعب به مع الصبيان فرفع بصره إليّ وقال: يا قليل العقل ما للعب خلقنا فقلت: أي بني فلماذا خلقنا فقال: للعلم والعبادة فقلت من أين لك ذلك بارك الله فيك قال: من قول الله تعالى: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ قلت له: بني أراك حكيماً فعظني وأوجز فأنشأ يقول:

أرى الدنيا تجهز بانطلاق ... مشمرة على قدم وساق
فلا الدنيا بباقية لحي ... ولا حي على الدنيا بباق
كأن الموت والحدثان فيها ... إلى نفس الفتى فرسا سباق
فيا مغرور بالدنيا رويداً ... ومنها خذ لنفسك بالوثاق

ثم رمق السماء بعينيه وأشار إليها بكفيه ودموعه تنحدر على خديه وهو يقول:

يا من إليه المبتهل ... يا من عليه المتكل
يا من إذا ما آمل ... يرجوه لم يخط الأمل

قال: فلما أتم كلامه خر مغشياً عليه فرفعت رأسه إلى حجري ونفضت التراب عن وجهه بكمي فلما أفاق قلت: له أي بني ما نزل بك وأنت صبي صغير لم يكتب عليك ذنب قال إليك عني يا بهلول أني رأيت والدتي توقد النار بالحطب الكبار فلا تقد إلا بالصغار وإني أخشى أن أكون من صغار حطب جهنم قال: فسألت عنه فقالوا ذاك من أولاد الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم قلت قد عجبت من أن تكون هذه الثمرة إلا من تلك الشجرة نفعنا الله به وبآبائه.

قال الشيخ أبو بكر الواسطي: [روزي أين آيت مي خواند فرمودكه ني ني خلق بعبث نيا فريد بلكه خواست كه هستيء وى آشكارا شود واز مصنوعات وي بصفات كمالية أوراه برند. وكفته اند شمارا ببازي نيافريده ايم بلكه براي ظهور نور محمد عليه السلام آفريده ايم جودر ازل مقر رشده بودكه آن كوهر تابان از صدق جنس أنس بيرون آيد پس أواصلست وشما همه فرع أوييد:

هفت ونه وچاركه پرداختند ... خاص بي موكب أو ساختند
أوست شه وآدميان جمله خيل ... أصل وي وجملة عالم طفيل

در بحر الحقائق كفته كه شمارا براي آن آفريدم تابر من سود كنيدنه بجهت آنكه من برشما سودكنم كما قال تعالى: «خلقت الخلق ليربحوا علي لا لأربح عليهم» وكويند ملائكة را آفريد تامنظر قدرت باشند وآدميانرا خلق كرد تامخزن جوهر محبت باشنده. در بعضي كتب سماوي هست كه أي فرزند آدم همه اشيا براي شما آفريدم وشمارا براي خودسر «كنت كنزاً مخفياً» اينجا ظهور تمام دارد] كما أشار إليه المولوي قدس الله سره في «المثنوي»:

أي ظهور تو بكلى نور نور ... كنج مخفي ازتو آمد در ظهور
كنج مخفي بود زپر چاك كرد ... خاك را تابان تر از أفلاك كرد
كنج مخفي بدزپري چوش كرد ... خاك را سلطان باطلس پوش كرد
خويش را تشناخت مسكين آدمي ... از فزوني آمد وشد دركمي
خويشتن آدمي ارزان فروخت ... بود اطلس خويش را بردلق دوخت
أي غلامت عقل تدبيرات هوش ... چون چنيني خويش را ارزان فروش

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ

لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾.

﴿فتعالى الله﴾ ارتفع بذاته وتنزه عن مماثلة المخلوقين في ذاته وصفاته وأفعاله وعن خلو أفعاله عن الحكم والمصالح والغايات الجليلة ﴿الملك الحق﴾ الذي يحق له الملك على الإطلاق إيجاداً وإعداماً بدأ وإعادة وإحياء وإماتة وعقاباً وإثابة وكل ما سواه مملوك له مقهور تحت ملكه العظيم.

قال الإمام الغزالي رحمه الله: الملك هو الذي يستغني في ذاته وصفاته وأفعاله عن كل موجود ويحتاج إليه كل موجود. وفي «المفردات»: الحق موجد الشيء بسبب ما يقتضيه الحكمة.

وفي «التأويلات النجمية»: ذاته وصفاته حق وقوله صدق ولا يتوجه لمخلوق عليه حق وما يفعل من إحسانه بعباده فليس شيء منها بمستحق. ﴿لا إله إلا هو﴾ فإن كل ما عداه عبيده ﴿رب العرش الكريم﴾ فكيف بما هو تحته ومحاط به من الموجودات كائناً ما كان وإنما وصف العرش بالكريم لأنه مقسم فيض كرم الحق ورحمته منه تنقسم آثار رحمته وكرمه إلى ذرات المخلوقات ﴿ومن﴾ [هركه] ﴿يدع﴾ يعبد ﴿مع الله إلهاً آخر﴾ إفراداً أو اشتراكاً ﴿لا برهان له به﴾ أي بدعائه معه ذلك. وبالفارسية: [هيچ حجتي نيست برپرستنده رابيرستش آن اله] وهو صفة لازمة لها كقوله ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨] إذ لا يكون في الآلهة ما يجوز أن يقوم عليه برهان إذ الباطل ليس له برهان جيء بها للتأكيد وبناء الحكم عليها تنبيهاً على أن الدين بما لا دليل عليه باطل فكيف بما شهدت بداهة العقول بخلافه ﴿فإنما حسابه عند ربه﴾ فهو مجازي له على قدر ما يستحقه جواب يدع ﴿إنه لا يفلح الكافرون﴾ أي: الشأن لا ينجو من كفر من سوء الحساب والعذاب. ﴿وقل رب اغفر وارحم﴾ أمر رسول الله ﷺ بالاستغفار والاسترحام إيذاناً بأنهما من أهم الأمور الدينية حيث أمر به من غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكيف بمن عداه كما قال في «التأويلات النجمية»: الخطاب مع محمد عليه السلام يشير إلى أنه مع كمال محبوبيته وغاية خصوصيته ورتبة نبوته ورسالته محتاج إلى مغفرته ورحمته فكيف بمن دونه وبمن يدعو مع الله إلهاً آخر أي فلا بد لأمته من الاقتداء به في هذا الدعاء ﴿وأنت خير الراحمين﴾ يشير إلى أنه يحتمل تغير كل راحم بأن يسخط على مرحومه فيعذبه بعد أن يرحمه وإن الله جل ثناؤه إذا رحم عبده لم يسخط عليه إبداً لأن رحمته أزلية لا تحتمل التغير.

وفي «حقائق البقلي»: اغفر تقصيري في معرفتك وارحمني بكشف زيادة المقام في مشاهدتك وأنت خير الراحمين إذ كل الرحمة في الكونين قطرة مستفادة من بحار رحمتك القديمة.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه مرّ بمصاب مبتلى فقرأ في أذنه ﴿أفحسبتم﴾ حتى ختم السورة فبرىء بإذن الله فقال عليه السلام: «ما قرأت في أذنه» فأخبره فقال: «والذي نفسي بيده لو أن رجلاً موقناً قرأها على جبل لزال» روي أن أول هذه السورة وآخرها من كنوز العرش من عمل بثلاث آيات من أولها واتعظ بأربع آيات من آخرها فقد نجا وأفلح.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان عليه السلام إذا نزل عليه الوحي يسمع عنده دوي كدوي النحل فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يده وقال: «اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا وأرضنا» ثم قال: «لقد أنزل عليّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة» ثم قرأ ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ حتى ختم العشر.

٢٤ ـ تفسير سورة النور

وهي مدنية اثنتان أو أربع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال القرطبي: مقصود هذه السورة ذكر أحكام العفاف والستر كتب عمر رضي الله عنه إلى الكوفة علموا نساءكم سورة النور وقالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ لا «تنزلوهن» أي: النساء «في الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن سورة النور والغزل».

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١﴾.

﴿**سورة**﴾ سورة القرآن طائفة منه محيطة بما فيها من الآيات والكلمات والعلوم والمعارف مأخوذة من سورة المدينة وهو حائطها المشتمل عليها وهي خبر مبتدأ محذوف، أي هذه سورة وإنما أشير إليها مع عدم سبق ذكرها لأنها باعتبار كونها في شرف الذكر في حكم الحاضر المشاهد والتنكير مفيد للفخامة من حيث الذات كما أن قوله تعالى: ﴿**أنزلناها**﴾ مفيد لها من حيث الصفة أي أنزلناها من عالم القدس بواسطة جبريل. ﴿**وفرضناها**﴾ أي: أوجبنا ما فيها من الأحكام إيجاباً قطعياً فإن أصل الفرض قطع الشيء الصلب والتأثير فيه كقطع الحديد والفرض كالإيجاب لكن الإيجاب يقال اعتباراً بوقوعه وثباته والفرض بقطع الحكم فيه كما في «المفردات». ﴿**وأنزلنا فيها**﴾ أي: في تضاعيف السورة. ﴿**آيات**﴾ هي الآيات التي نيطت بها الأحكام المفروضة كما هو الظاهر لا مجموع الآيات. ﴿**بينات**﴾ واضحات دلالاتها على أحكامها وتكرير أنزلنا مع استلزام إنزال السورة لإنزالها لإبراز كمال العناية بشأنها. ﴿**لعلكم تذكرون**﴾ [شايدكه شماپند پذيريد واز محارم پرهيزيد] وهو بحذف إحدى التاءين أي تتذكرونها فتعملون بموجبها عند وقوع الحوادث الداعية إلى إجراء أحكامها وفيه إيذان بأن حقها أن تكون على ذكر منهم بحيث متى مست الحاجة إليها استحضروها.

قال بعضهم لو لم يكن من آيات هذه السورة إلا براءة الصديقة بنت الصديق حبيبة الله لكان كثيراً فكيف وقد جمعت من الأحكام والبراهين ما لم يجمعها غيرها.

﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾.

﴿**الزانية والزاني**﴾ شروع في تفصيل ما ذكر من الآيات البينات وبيان أحكامها والزنى وطء المرأة من غير عقد شرعي وقد يقصر وإذا مد يصح أن يكون مصدر المفاعلة والنسبة إليه زنوي كذا في «المفردات» والزانية هي المرأة المطاوعة للزنى الممكنة منه كما ينبىء عنه الصيغة لا المزينة كرهاً وتقديمها على الزاني لما أن زنى النساء من إماء العرب كان فاشياً في ذلك

الزمان أو لأنها الأصل في الفعل لكون الداعية فيها أوفر والشهوة أكثر ولولا تمكينها منه لم يقع ورفعها على الابتداء والخبر قوله: ﴿**فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة**﴾ والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط إذ اللام بمعنى الموصول والتقدير التي زنت والذي زنى. والجلد ضرب الجلد بالكسر وهو قشر البدن يقال: جلده نحو بطنه وظهره إذا ضرب وظهره أو معنى جلده ضربه بالجلد نحو عصاه إذا ضربه بالعصا ومائة نصب على المصدر. والمعنى بالفارسية: [پس بزنيد أي أهل بلد وأحكام هربكي را ازان هردو صد تازيانه] وكان هذا عاماً في المحصن وغيره وقد نسخ في حق المحصن قطعاً ويكفينا في حق الناسخ القطع بأنه عليه السلام قد رجم ماعزاً وغيره فيكون من باب نسخ الكتاب بالسنة المشهورة فحد المحصن هو الرجم وحد غير المحصن هو الجلد.

وشرائط الإحصان في باب الرجم ست عند أبي حنيفة: الإسلام والحرية والعقل والبلوغ والنكاح الصحيح والدخول فلا إحصان عند فقد واحدة منها وفي باب القذف الأربع الأول والعفة فمعنى قولهم رجم محصن أي مسلم حر عاقل بالغ متزوج وذو دخول ومعنى قولهم قذف محصناً أي مسلماً حراً عاقلاً بالغاً عفيفاً وإذا فقدت واحدة منها فلا إحصان. ﴿**ولا تأخذكم بهما رأفة**﴾ رحمة ورقة. وفي «البحر»: الرأفة أرق الرحمة. وبالفارسية: [مهرباني كردن] وتنكيرها للتقليل أي لا يأخذكم بهما شيء من الرأفة قليل من هذه الحقيقة. وبالفارسية: [وفرانكير شمارا باين روزنا كننده مهرباني]. ﴿**في دين الله**﴾ في طاعته وإقامة حده فتعطلوه أو تسامحوا فيه بعدم الإيجاع ضرباً والتكميل حداً وذلك أن المضروب يفعل أثناء الضرب أفعالاً غريبة ويتضرع ويستغيث ويسترحم وربما يغشى عليه فيرأف به الإمام أو الضارب أو بعض الحاضرين لا سيما إذا كان أحب الناس إليه كالولد والأخ مثلاً فلا يستوفي حد الله وحقه ولا يكمل جلد مائة بل ينقصه بترك شيء أو يخفف الضرب فنهاهم الله عن ذلك.

وفيه تنبيه على أن الله تعالى إذا أوجب أمراً قبح استعمال الرحمة فيه وفي الحديث: «يؤتى بوالٍ نقص من حد سوطاً فيقال: لم نقصت فيقول: رحمة لعبادك فيقال له: أنت أرحم مني انطلقوا به إلى النار ويؤتى بمن زاد سوطاً فيقال لم زدت فيقول: لينهوا عن معاصيك فيقال له أنت أحكم مني فيؤمر به إلى النار».

قال في «الأسئلة المقحمة» إن الله نهى عن الرأفة والرحمة وعلى هذا إن وجدنا واحداً بقلبه إشفاق على أخيه المسلم حيث وقع في المعصية يؤاخذ بها، والجواب أنه لم يرد الرأفة الجبلية والرحمة الغريزية فإنها لا تدخل تحت التكليف وإنما أراد بذلك الرأفة التي تمنع عن إقامة حدود الله وتفضي إلى تعطيل أحكام الشرع فهي منهي عنها.

قال في «بحر العلوم»: وفيه دلالة على أن المخاطبين يجب عليهم أن يجتهدوا في حد الزنى ولا يخففوا الضرب بل يوجعوها ضرباً وكذلك حد القذف عند الزهري لا حد الشرب وعن قتادة يخفف في حد الشرب والقذف ويجتهد في حد الزنى. ﴿**إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر**﴾ من باب التهييج والتهاب الغضب لله ولدينه فإن الإيمان بهما يقتضي الجد في طاعته والاجتهاد في إجراء الأحكام.

قال الجنيد رحمه الله: الشفقة على المخالفين كالإعراض عن الموافقين وذكر اليوم الآخر لتذكر ما فيه من العقاب في مقابلة المسامحة والتعطيل وإنما سمي يوم القيامة اليوم الآخر لأنه

لا يكون بعده ليل فيصير كله بمنزلة يوم واحد وقد قيل إنه تجتمع الأنوار كلها وتصير في الجنة يوماً واحداً وتجتمع الظلمات كلها وتصير في النار ليلة واحدة. ﴿**وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين**﴾ الشهود الحضور والعذاب الإيجاع الشديد.

قال بعضهم: التعذيب إكثار الضرب بعذبة السوط أي طرفه وقيل غير ذلك وفي تسميته عذاباً دليل على أنه عقوبة ويجوز أن يسمي عذاباً لأنه ألم مانع من المعاودة كما سمي نكالاً أي عقاباً يردع عن المعاودة والطائفة فرقة يمكن أن تكون حافة حول الشيء وحلقة من الطوف والمراد به جمع يحصل به التشهير والزجر وقوله: من المؤمنين لأن الفاسقين من صلحاء قومه أخجل وظاهر الأمر الوجوب لكن الفقهاء قالوا بالاستحباب، والمعنى لتحضره زيادة في التنكيل فإن التفضيح قد ينكل أكثر مما ينكل التعذيب. وبالفارسية: [وبايد كه حاضر شوندر وقت عذاب آن دوتن يعني درزمان أقامت برايشان كروهي ازمؤمنان تاتشهير ايشان حاصل وآن تفضيح مانع كردد ازمعاودت بأمثال آن عمل] فحد غير المحصن جلد مائة وسطاً بسوط لا ثمرة له ويجلد الرجل قائماً وينزع عنه ثيابه إلا إزاره ويفرق على بدنه إلا رأسه ووجهه وفرجه وتجلد المرأة قاعدة لا ينزع من ثيابها إلا الحشو والفرو وجاز الحفر لها لا له ولا يجمع بين جلد ورجم ولا بين جلد ونفي إلا سياسة ويرجم مريض زنى ولا يجلد حتى يبرأ وحامل زنت ترجم حين وضعت وتجلد بعد النفاس وللعبد نصفها ولا يحده سيده إلا بإذن الإمام خلافاً للشافعي وفي الحديث: «إقامة حد بأرض خير لأهلها من مطر أربعين ليلة».

واعلم أن الزنى حرام وكبيرة روى حذيفة رضي الله عنه، عنه عليه السلام: «يا معشر الناس اتقوا الزنى فإن فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة. أما التي في الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر. وأما التي في الآخرة فسخط الله وسوء الحساب وعذاب النار» ومن الزنى زنى النظر والنظرة سهم مسموم من سهام إبليس: وفي «المثنوي»:

أين نظر ازدور چون تيراست وسم عشقت افزون ميكند صبر توكم

وفي «التأويلات النجمية»: قوله: ﴿**الزانية والزاني**﴾ يشير إلى النفس إذا زنت وزناها بأن استسلمت لتصرفات الشيطان والدنيا فيها بما نهاها الله عنه وإلى الروح إذا زنى وزناه تصرفه في الدنيا وشهواتها مما نهاه الله عنه. ﴿**فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة**﴾ من الجوع وترك الشهوات والمرادات تزكية لهما. وتأديباً ﴿**ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله**﴾ يعني: إذا ادعيتم محبة الله فابغضوا مخالفي أمره ولا ترجموا أنفسكم وأرواحكم على مخالفة الله فإنهم يظلمون أنفسهم بجهلهم بحالهم وأن رحمتكم عليهم في ترك تزكيتهم وتأديبهم كترك الولد علاج ولده المريض شفقة عليه لينهكه المرض فأدبوهما ﴿**إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين**﴾ يشير إلى شهود أهل الصحبة وأن يزكي النفس ويؤدب الروح بمشهد شيخ وأصل كامل ليحفظه من طرفي الإفراط والتفريط ويهديه إلى صراط مستقيم هو صراط يسلكه فيه.

قطع أين مرحله بيْ همر هيء خضر مكن ظلماً تست بترس از خطر كمراهي

﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾

﴿**الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك**﴾ النكاح إنما ورد في القرآن بمعنى العقد أي التزوج لا الوطء.

قال الراغب أصل النكاح للعقد ثم استعير للجماع ومحال أن يكون في الأصل للجماع ثم استعير للعقد لأن أسماء الجماع كلها كنايات لاستقباحهم ذكره كاستقباح تعاطيه ومحال أن يستعير من لا يقصد فحشاً ما يستفظعونه لما يستحسنونه انتهى.

وهذا حكم مؤسس على الغالب المعتاد جيء به لزجر المؤمنين عن نكاح الزواني بعد زجرهم عن الزنى بهن يعني الغالب أن المائل إلى الزنى والتقحب لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء وإنما يرغب في نكاح فاسقة من شكله أو مشركة والمسافحة لا يرغب في نكاحها الصلحاء وينفرون عنها وإنما يرغب فيها فاسق مثلها أو مشرك فإن المشاكلة سبب الائتلاف والاجتماع كما أن المخالفة سبب الوحشة والافتراق.

وقدم الزاني في هذه الآية لأن الرجل أصل في النكاح من حيث أنه هو الطالب ومنه تبدأ الخطبة ولأن الآية نزلت في فقراء المهاجرين الذين رغبوا في نكاح موسرات كانت بالمدينة من بقايا المشركين لينفقن عليهن من أكسابهن على عادة الجاهلية كما قال الكاشفي: [بقايا از يهود بامشر كان مدينة در بيوت نواخير نشسته هريك برد رخانة خود رايتي نصب كردندي ومردم رايخود دعوت نموده أجرت كرفتندي ضعفة مهاجرين كه مسكني وعشرتي نداشتند وازتنك پريشان مي كذرانيدند داعية كردندكه ايشانرا بنكاح درآ ورده كه وكراين نفس ازايشان كرفته برعادت أهل جاهليت معاش كذرانند] فاستأذنوا رسول الله ﷺ في ذلك فنفروا عنه ببيان أنه أفعال من الزناة وخصائص المشركين كأنه قيل: الزاني لا يرغب إلا في نكاح إحداهما والزانية لا يرغب في نكاحها إلا أحدهما فلا تحوموا حوله كيلا تنتظموا في سلكهما أو تتسموا بسمتهما فإيراد الجملة الأولى مع أن مناط التنفير هي الثانية لتأكيد العلاقة بين الجانبين مبالغة في الزجر والتنفير لا مجرد الإشراك وإنما تعرّض لها في الأولى إشباعاً في التنفير عن الزانية بنظمها في سلك المشركة. ﴿وحرم ذلك﴾ أي نكاح الزاني: ﴿على المؤمنين﴾ لما فيه من التشبيه بالفسقة والتعرض للتهمة والتسبب بسوء المقالة والطعن في النسب وغير ذلك من المفاسد لا يكاد يليق بأحد من الأداني والأرازل فضلاً عن المؤمنين ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة في الزجر والحكم إما مخصوص بسبب النزول أو منسوخ بقوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ [النور: ٣٢] فإنه متناول للمسافحات ويؤيده ما روي أنه عليه السلام سئل عن ذلك فقال: «أو له سفاح وآخره نكاح» والحرام لا يحرم الحال.

وفي الآية إشارة إلى الحذر عن أخدان السوء والحث عن مخالطة أهل الصحبة والأخدان في الله تعالى فإن الطبع من الطبع يسرق والمقارنة مؤثرة والأمراض سارية وفي الحديث: «لا تساكنوا المشركين ولا تجامعوهم فمن ساكنهم أو جامعهم فهو منهم وليس منا» أي: لا تسكنوا مع المشركين في المسكن الواحد ولا تجتمعوا معهم في المجلس الواحد حتى لا يسري إليكم أخلاقهم وسيرهم القبيحة بحكم المقارنة وللناس أشكال يطير بشكله.

همه مرغان كند باجنس پرواز كبوتر با كبوتر باز با باز

وكل مساكن مثله كما قال قائلهم:

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه فإن القرين بالمقارن يقتدي

فأما أهل الفساد فالفساد يجمعهم وإن تناءت ديارهم وأما أهل السداد فالسداد يجمعهم وإن تباعد مزارهم.

قال الكاشفي: [جنسيت علت ضمست ومشاكله سبب الفت:

هركس مناسب كهر خود كرفت يار بلبل بباغ رفت وزغن سوى خارزار

وحرم محافظة أخدان السوء على المؤمنين لئلا يؤثر فيهم فساد حالهم وسوء أخلاقهم.

ومن بلاغات الزمخشري: لا ترضى لمجالستك إلا أهل مجانستك أي لا ترض أن تكون جليس أحد من غير جنسك فإنه العذاب الشديد ليس إلا. فقال بعضهم: الممينة موجودة في المؤمنات أيضاً ولكن علة الضم الجنسية فعلى العاقل أن يصون نفسه بقدر الإمكان فإن الله غيور ينبغي أن يخاف منه كل آن.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾﴾.

﴿والذين يرمون المحصنات﴾ الرمي يقال في الأعيان كالسهم والحجر ويقال في المقال كناية عن الشتم كالقذف فإنه في الأصل الرمي بالحجارة ونحوها مطلقاً.

قال في «الإرشاد» في التعبير عن التفوه بما قالوا في حقهن بالرمي المنبىء عن صلابة الآلة وإيلام المرمى وبعده إيذان بشدة تأثيره فيهن والمحصنات العفائف وهو بالفتح يقال إذا تصور حصنها من نفسها وبالكسر يقال إذا تصور حصنها من غيرها والحصن في الأصل معروف ثم تجوز به في كل تحرز ومنه درع حصينة لكونها حصناً للبدن وفرس حصان لكونه حصناً لراكبه وامرأة حصان للعفيفة والمعنى والذين يقذفون العفائف بالزنى بدليل ذكر المحصنات عقيب الزواني وتخصيص المحصنات لشيوع الرمي فيهن وإلا فقذف الذكر والأنثى سواء في الحكم الآتي والمراد المحصنات الأجنبيات لأن رمي الأزواج أي النساء الداخلات تحت نكاح الرامين حكمه سيأتي.

وأجمعوا على أن شروط إحصان القذف خمسة الحرية والبلوغ والعقل والإسلام والعفة من الزنى حتى أن من زنى مرة في أول بلوغه ثم تاب وحسنت حاله فقذفه شخص لا حد عليه والقذف بالزنى أن يقول العاقل لمحصنة: يا زانية يا ابن الزاني يا ابن الزانية يا ولد الزنى أو لست لأبيك يا ابن فلان في غضب والقذف بغيره أن يقول: يا فاسق يا شارب الخمر يا آكل الربا ويا خبيث يا نصراني يا يهودي يا مجوسي فيوجب التعزير كقذف غير المحصن وأكثر التعزير تسعة وثلاثون سوطاً وأقله ثلاثة لأن التعزير ينبغي أن لا يبلغ أقل الحد أربعين وهي حد العبيد في القذف بالزنى والشرب وأما أبو يوسف فاعتبر حد الأحرار وهو ثمانون سوطاً ونقص منها سوطاً في رواية وخمسة في رواية وقال الإمام أن يعزر إلى المائة والفرق بين التعزير والحد أن الحد مقدر والتعزير مفوض إلى رأي الإمام وأن الحد يندرىء بالشبهات دونه وأن الحد لا يجب على الصبي والتعزير شرع والحد يطلق على الذمي إن كان مقدراً والتعزير لا يطلق عليه لأن التعزير شرع للتطهير والكافر ليس من أهل التطهير وإنما سمي في حق أهل الذمة إذا كان غير مقدر عقوبة وأن التقادم يسقط الحد دون التعزير وأن التعزير حق العبد كسائر حقوقه ويجوز فيه الإبراء والعفو والشهادة على الشهادة ويجري فيه اليمين ولا يجوز شيء منها في الحد ﴿ثم لم يأتوا بأربعة شهداء﴾ يشهدون عليهن بما رموهن به ولا يقبل فيه شهادة النساء كما في سائر الحدود وفي كلمة ثم إشعار بجواز تأخيره الإتيان بالشهود وفي كلمة لم إشارة إلى العجز عن

الإتيان بهم ولا بد من اجتماع الشهود عند الأداء عند أبي حنيفة رحمه الله أي الواجب أن يحضروا في مجلس واحد وإن جاؤوا متفرقين كانوا قذفة وفي قوله: بأربعة شهداء دلالة على أنهم إن شهدوا ثلاثة يجب حدهم لعدم النصاب وكذا إن شهدوا عمياناً أو محدودين في قذف أو أحدهم محدود أو عبد لعدم أهلية الشهادة. **﴿فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾** انتصاب ثمانين كانتصاب المصادر ونصب جلدة على التمييز أي اضربوا كل واحد من الرامين ثمانين ضربة إن كان القاذف حراً وأربعين إن كان عبداً لظهور كذبهم وافترائهم بعجزهم عن الإتيان بالشهداء. وبالفارسية: [پس بزنيد ايشانرا هشتاد تازيانه] وإن كان المقذوف زانياً عزر القاذف ولم يحد إلا أن يكون المقذوف مشهوراً بما قذف به فلا حد ولا تعزير حينئذ ويجلد القاذف كما يجلد الزاني إلا أنه لا ينزع عنه من الثياب إلا ما ينزع عن المرأة من الحشو والفرو والقاذفة أيضاً في كيفية الجلد مثل الزانية وضرب التعزير أشد ثم للزنى ثم للشرب ثم للقذف لأن سبب حده محتمل للصدق والكذب وإنما عوقب صيانة للأعراض. وبالفارسية: [حد قذف ازحد زنى وحد شرب اخص است زيراكه حد زنى بقرآن ثابت شده وثبوت حد شرب يقول صحابه أست وسبب حد قذف محتمل است مر صدق رائي] وإن كان نفس الحد ثابتاً بالنص وإنما يحد بطلب المقذوف المحصن لأن فيه حقه من حيث دفع العار عنه ولا بد أن يكون الطلب بالقول حتى لو قذف الأخرس وطلبه بالإشارة لا يجب الحد وكون المقذوف غائباً عن مجلس القاذف حال القذف أو حاضراً سواء فاحفظه ويجوز للمقذوف أن يعفو عن حد القذف قبل أن يشهد ويثبت الحد والإمام أيضاً ويحسن منه أن يحمل المقذوف على كظم الغيظ ويقول له أعرض عن هذا ودعه لوجه الله قبل ثبوت الحد فإذا ثبت لم يكن لواحد منهما أن يعفو لأنه خالص حق الله ولهذا لم يصح أن يصالح عنه بمال وإذا تاب القاذف قبل أن يثبت الحد سقط وإذا قذف الصبي أو المجنون امرأته أو أجنبياً فلا حد عليهما ولا لعان لا في الحال ولا إذا بلغ أو أفاق ولكن يعذران تأديباً ولو قذف شخصاً مراراً فإن أراد زنية واحدة وجب حد واحد وإن أراد زنيات مختلفة كقوله: زنيت بزيد وبعمرو لتعدد اللفظ كما في «الكبير» **﴿ولا تقبلوا لهم شهادة﴾** عطف على اجلدوا داخل في حكمه تتمة له لما فيه من معنى الزجر لأنه مؤلم للقلب كما أن الجلد مؤلم للبدن وقد أذى المقذوف بلسانه فعوقب بإهدار منافعه جزاء وفاقاً واللام في لهم متعلقة بمحذوف هو حال من شهادة قدمت عليها لكونها نكرة وفائدتها تخصيص الرد بشهادتهم الناشئة عن أهليتهم الثابتة لهم عند الرمي وهو السر في قبول شهادة الكافر المحدود في القذف بعد التوبة والإسلام لأنها ليست ناشئة عن أهليته السابقة بل أهليته حدثت له بعد إسلامه فلا يتناول الرد والمعنى لا تقبلوا من القاذفين شهادة من الشهادات حال كونها حاصلة لهم عند القذف. **﴿أبداً﴾** أي مدة حياتهم وإن تابوا وأصلحوا. **﴿وأولئك هم﴾** لا غيرهم **﴿الفاسقون﴾** الكاملون في الفسق والخروج عن الطاعة والتجاوز عن الحدود كأنهم هم المستحقون لإطلاق اسم الفاسق عليهم من الفسقة.

قال في «الكبير»: يفيد أن القذف من الكبائر لأن الفسق لا يقع إلا على صاحبها.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥﴾﴾

﴿إلا الذين تابوا﴾ استثناء من الفاسقين **﴿من بعد ذلك﴾** أي من بعد ما اقترفوا ذلك

الذنب العظيم ﴿وأصلحوا﴾ أعمالهم بالتدارك ومنه الاستسلام للحد والاستحلال من المقذوف. ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ تعليل لما يفيده الاستثناء من العفو عن المؤاخذة بموجب الفسق كأنه قيل: فحينئذٍ لا يؤاخذهم الله بما فرط منهم ولا ينظمهم في سلك الفاسقين لأنه مبالغ في المغفرة والرحمة.

وفي الآية إشارة إلى غاية كرم الله ورحمته على عباده بأن يستر عليهم ما أراد بعضهم إظهاره على بعض ولم يظهر صدق أحدهما أو كذبه ولتأديبهم أوجب عليهم الحد ورد قبول شهادتهم أبداً وسماهم الفاسقين وليتصفوا بصفاته الستارية والكريمية والرحيمية فيما يسترون عيوب إخوانهم المؤمنين ولا يتبعوا عوراتهم وقد شدد النبي على من يتبع عورات المسلمين ويفشي أسرارهم: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن من قلبه لا تتبعوا عورات المسلمين فإنه من يتبع عوراتهم يفضحه الله يوم القيامة على رؤوس الأشهاد» وقال عليه السلام: «من ستر على مسلم ستر الله عليه في الدنيا والآخرة»، قال الشيخ سعدي:

منه عيب خلق فرومايه پيش ... كه چشمت فرودوزدازعيب خويش
كرت زشت خوبي بود درسرشت ... نه پيني زطاوس جزپاي زشت
طريق طلب كزعقوبت رهى ... نه حرفي كه انكشت بروي نهي

وفي الآية إشارة أيضاً إلى كمال عنايته تعالى في حق عباده بأنه يقبل توبتهم بعد ارتكاب الذنوب العظام ولكن بمجرد التوبة لا يكون العبد مقبولاً إلا بشرط إزالة فساد حاله وإصلاح أعماله.

قال بعضهم: علامة تصحيح التوبة وقبولها ما يعقبها من الصلاح والتوبة هي الرجوع عن كل ما يذمه العلم واستصلاح ما تعدى في سالف الأزمنة مداومتها باتباع العلم ومن لم يعقب توبته الصلاح كانت توبة بعيدة عن القبول:

فراشو چوبيني در صلح باز ... كه ناكه درتوبه كردد فراز
مروزير بار كناه أي پشر ... كه حمال عاجز بود درسفر
بهشت اوستاندكه طاعت برد ... كرا نقد بايد بضاعت برد
اكر مرغ دولت زقيدت بجست ... هنوزش سررشته داري بدست

أي فاسع إلى إصلاح عملك قبل حلول أجلك.

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾﴾.

﴿والذين يرمون أزواجهم﴾ بيان لحكم الرامين لزوجاتهم خاصة بعد بيان حكم الرامين لغيرهن أي والذين يقذفون نساءهم بالزنى بأن يقول لها يا زانية أو زنيت أو رأيتك تزني.

قال في «بحر العلوم»: إذا قال يا زانية وهما محصنان فردت بلا بل أنت حدت لأنها قذفت الزوج وقذفه إياها لا يوجب الحد بل اللعان وما لم ترفع القاذف إلى الإمام لم يجب اللعان.

قال ابن عباس رضي الله عنهما لما نزل قوله تعالى: ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم

يأتوا بأربعة شهداء﴾ قال عاصم بن عدي الأنصاري: أن دخل رجل منا بيته فرأى رجلاً على بطن امرأته فإن جاء بأربعة رجال يشهدون بذلك فقد قضى الرجل حاجته وخرج وإن قتله قتل به وإن قال: وجدت فلاناً مع تلك المرأة ضرب وإن سكت سكت على غيظ اللهم افتح وكان لعاصم هذا ابن عم يقال له عويم وكان له امرأة يقال لها خولة بنت قيس فأتى عويم عاصماً فقال: لقد رأيت شريكاً ابن السحماء على بطن امرأتي خولة فاسترجع عاصم وأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ما أسرع ما ابتليت بهذا السؤال في أهل بيتي فقال عليه السلام: «وما ذاك» قال أخبرني عويم ابن عمي أنه رأى شريكاً على بطن امرأته خولة فدعا رسول الله إياهم جميعاً فقال لعويم: «اتق الله في زوجتك وابنة عمك ولا تقذفها» فقال: يا رسول الله تالله لقد رأيت شريكاً على بطنها وإني ما قربتها منذ أربعة أشهر وإنها حبلى من غيري فقال لها رسول الله ﷺ: «اتقي الله ولا تخبري إلا بما صنعت» فقالت: يا رسول الله إن عويماً رجل غيور وإنه رأى شريكاً يطيل النظر إليّ ويحدثني فحملته الغيرة على ما قال: فأنزل الله تعالى قوله: **﴿والذين يرمون أزواجهم﴾** وبين به أن حكم قذف الزوجة اللعان فأمر رسول الله بأن يؤذن الصلاة جامعة فصلى العصر ثم قال لعويم: قم وقل: «أشهد بالله أن خولة لزانية وإني لمن الصادقين» فقال: ثم قال في الثانية: «أشهد أني رأيت شريكاً على بطنها وإني لمن الصادقين» ثم قال في الثالثة: «أشهد بالله أنها لحبلى من غيري وإني لمن الصادقين» ثم قال في الرابعة: «أشهد بالله أنها زانية وإني ما قربتها منذ أربعة أشهر وإني لمن الصادقين» ثم قال في الخامسة: «لعنة الله على عويم» يعني نفسه: «إن كان من الكاذبين» ثم قال له: أقعد وقال لخولة: قومي فقامت وقالت: «أشهد بالله ما أنا بزانية وإن زوجي لمن الكاذبين» وقالت في الثانية: «أشهد بالله ما رأى شريكاً على بطني وإنه لمن الكاذبين» وقالت في الثالثة: «أشهد بالله ما أنا حبلى إلا منه وإنه لمن الكاذبين» وقالت في الرابعة: «أشهد بالله ما رأني على فاحشة قط وإنه لمن الكاذبين» وقالت في الخامسة: «غضب الله على خولة إن كان عويم من الصادقين في قوله» ففرق النبي عليه السلام بينهما وقضى أن الولد لها ولا يدعى لأب وذلك قوله تعالى: **﴿والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء﴾** يشهدون بما رموهن من الزنى **﴿إلا أنفسهم﴾** بدل من شهداء جعلوا من جملة الشهداء إيذاناً من أول الأمر بعدم إلقاء قولهم بالمرة ونظمها في سلك الشهادة في الجملة **﴿فشهادة أحدهم﴾** أي شهادة كل واحد منهم وهو مبتدأ خبره قوله: **﴿أربع شهادات﴾** أي: فشهادتهم المشروعة أربع شهادات **﴿بالله﴾** متعلق بشهادات **﴿إنه لمن الصادقين﴾** أي: فيما رماها به من الزنى وأصله على أنه إلخ فحذف الجار وكسرت إن وعلق العامل عنها للتأكيد.

﴿والخامسة﴾ أي الشهادة الخامسة للأربع المتقدمة أي الجاعلة لها خمساً بانضمامها إليهن وهي مبتدأ خبره قوله: **﴿أن لعنة الله عليه﴾** اللعن طرد وإبعاد على سبيل السخط وذلك من الله في الآخرة عقوبة وفي الدنيا انقطاع من قبول فيضه وتوفيقه ومن الإنسان دعاء على غيره.

قال بعضهم: لعنة الكفار دائمة متصلة إلى يوم القيامة ولعنة المسلمين معناها البعد من الخير والذي يعمل معصية فهو في ذلك الوقت بعيد من الخير فإذا خرج من المعصية إلى الطاعة يكون مشغولاً بالخير. **﴿إن كان من الكاذبين﴾** فيما رماها به من الزنى فإذا لاعن الرجل حبست الزوجة حتى تعترف فترجم أو تلاعن. **﴿ويدرأ عنها العذاب﴾** أي: يدفع عن المرأة

المرمية العذاب الدنيوي وهو الحبس المغيا على أحد الوجهين بالرجم الذي هو أشد العذاب يقال: درأ دفع، وفي الحديث: «ادرأوا الحدود بالشبهات» تنبيهاً على تطلب حيلة يدفع بها الحد ﴿**أن تشهد أربع شهادات بالله إنه**﴾ أي الزوج ﴿**لمن الكاذبين**﴾ فيما رماني به من الزنى.

﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝٩ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ۝١٠﴾

﴿**والخامسة**﴾ بالنصب عطفاً على أربع شهادات. ﴿**أن غضب الله عليها**﴾ الغضب ثوران دم القلب إرادة الانتقام ولذلك قال عليه السلام: «اتقوا الغضب فإنه جمرة توقد في قلب ابن آدم ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه» فإذا وصف الله به فالمراد الانتقام دون غيره ﴿**إن كان**﴾ أي: الزوج ﴿**من الصادقين**﴾ أي: فيما رماني به من الزنى وتخصيص الغضب بجانب المرأة للتغليظ عليها لما أنها مادة الفجور ولأن النساء كثيراً ما يستعمل اللعن فربما يجترىء على التفوه به لسقوط وقعه على قلوبهن بخلاف غضبه تعالى. والفرقة الواقعة باللعان في حكم التطليقة البائنة عند أبي حنيفة ومحمد رحمهما الله ولا يتأبد حكمها حتى إذا كذب الرجل نفسه بعد ذلك فحدّ جاز له أن يتزوّجها وعند أبي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي هي فرقة بغير طلاق توجب تحريماً مؤبداً أليس لهما اجتماع بعد ذلك أبداً وإذا لم يكن الزوج من أهل الشهادة بأن كان عبداً أو كافراً بأن أسلمت امرأته فقذفها قبل أن يعرض عليه الإسلام أو محدوداً في قذف وهي من أهلها حد الزوج ولا لعان لعدم أهلية اللعان وبيان اللعان مشبعاً موضعه الفقه فليطلب هناك وكذا القذف. ﴿**ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم**﴾ جواب لولا محذوف لتهويله والإشعار بضيق العبارة عن حصره كأنه قيل: ولا تفضله عليكم ورحمته أيها الرامون والمرميات وأنه تعالى مبالغ في قبول التوبة حكيم في جميع أفعاله وأحكامه التي من جملتها ما شرع لكم من حكم اللعان لكان ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان ومن جملته أنه تعالى لو لم يشرع لهم ذلك لوجب على الزوج حد القذف مع أن الظاهر صدقه لأنه أعرف بحال زوجته وأنه لا يفترى عليها لاشتراكهما في الفضاحة وبعد ما شرع لهم ذلك لو جعل شهاداته موجبة لحدّ القذف عليه لفات النظر له ولا ريب في خروج الكل عن سنن الحكمة والفضل والرحمة فجعل شهادات كل منهما مع الجزم بكذب أحدهما حتما دارئة لما توجه إليه من الغائلة الدنيوية وقد ابتلى الكاذب منها في تضاعيف شهاداته من العذاب بما هو أتم مما درأه عنه واطم وفي ذلك من أحكام الحكم البالغة وآثار التفضل والرحمة ما لا يخفى أما على الصادق فظاهر وأما على الكاذب فهو أمهال له والستر عليه في الدنيا ودرء الحد عنه وتعريضه للتوبة حسبما ينبىء عنه التعرض لعنوان توابيته سبحانه ما أعظم شأنه وأوسع رحمته وأدق حكمته.

قال الكاشفي: [واكرنه فضل خداي تعالى بودي برشما وبخشايش أو وآنكه خداي قبول كنندة توبة است حكم كننده در حدود أحكام هر آيينه شمارا فضيحت كردى ودروغ كواهي را بعذاب عظيم مبتلاً ساختي وكويند اكرنه فضل خدا بودي بتأخير عقوبت شما هلاك شديد يا اكرنه فضل فرمودي بأقامت زواجر ونهي ازفواحش هر آينه نسل منقطع شدي ومردم يك ديكررا هلاك كردندي يا اكرنه خداي تعالى بخشيدي برشما بقبول توبة درتيه نا اميدي سر كردان

ميشديد پس شما بمدد وتوفيق توبة بسر منزل رجا رسانيد:

كر توبه مددكار كنهكار نبودي اوراكه بسر حد كرم راه نمودي
ورتوبه نبودي كه درفيض كشودي زنك غم از آينة عاصي كه زدودي

قال بعض الكبار: قال الله: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ ولم يقل ولولا فضل عبادتكم وصلاتكم وجهادكم وحسن قيامكم بأمر الله ﴿مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١] لنعلم أن العبادات وإن كثرت فإنها من نتائج الفضل.

چورويي بخدمت نهي برزمين خدارا ثنا كوي وخودرا مبين

اللهم اجعلنا من أهل الفضل والعطاء والمحبة والولاء.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾.

﴿إن الذين جاؤوا بالإفك﴾ أي ما بلغ مما يكون من الكذب والافتراء: وبالفارسية [بدرستي آنانكه آورده اند دروغ بررك درشان عائشة] وأصله الإفك وهو القلب، أي: الصرف لأنه مأفوك عن وجهه وسننه والمراد به ما أفك على عائشة رضي الله عنها وذلك أن عائشة كانت تستحق الثناء بما كانت عليه من الأمانة والعفة والشرف فمن رماها بالسوء قلب الأمر من وجهه. روي: أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فأيهن خرجت قرعتها استصحبها» والقرعة بالضم طينة أو عجينة مدورة مثلاً يدرج فيها رقعة يكتب فيها السفر والحضر ثم تسلم إلى الصبي يعطي كل امرأة واحدة منهن كذا في القهستاني في القسم فلما كان غزوة بني المصطلق في السنة الخامسة من الهجرة وهي غزوة المريسيع كما في «إنسان العيون» خرج سهمها وبنو المصطلق بطن من خزاعة وهم غزوة بنو خزيمة والمصطلق من الصلق وهو رفع الصوت والمريسيع اسم ماء من مياه خزاعة مأخوذ من قولهم وسعت عين الرجل إذا دمعت من فساد وذلك الماء في ناحية قديد.

قال في «القاموس»: المريسيع بئر أو ماء وإليه تضاف غزوة بني المصطلق انتهى فخرجت عائشة معه عليه السلام وكان بعد نزول آية الحجاب وهو قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣] الآية لأنه كان ذلك سنة ثلاث من الهجرة قالت: فحملت في هودج فسرنا فلما دنونا من المدينة قافلين أي راجعين نزلنا منزلاً ثم نزلت من الرحل فقمت ومشيت لقضاء الحاجة حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع ظفار كقطام وهي بلد باليمن قرب صنعاء إليه نسبة الجزع وهو بالفتح وسكون الزاي المعجمة الخرز اليماني فيه سواد وبياض يشبه به الأعين كما في «القاموس» كان يساوي اثني عشر درهماً قد انقطع فرجعت فالتمسته فحبسني ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي بتخفيف الحاء أي يجعلون هودجها على الرحل وهو أبو مويهة مولى رسول الله وكان رجلاً صالحاً مع جماعة معه فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري وهم يحسبون أني فيه بخفتي وكان النساء إذ ذاك خفافاً لقلة أكلهن أي لأن السمن وكثرة اللحم غالباً تنشأ عن كثرة الأكل كما في «إنسان العيون» فلم يستنكروا خفة الهودج حين رفعوه وذهبوا بالبعير فوجدت عقدي فجئت منازلهم وليس فيها أحد وأقمت بمنزلي الذي كنت فيه وظننت

أنهم سيفقدونني فيرجعون في طلبي، فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي خلف الجيش.

قال القرطبي: وكان صاحب ساقة رسول الله ﷺ لشجاعته وكان من خيار الصحابة انتهى كان يسوق الجيش ويلتقط ما يسقط من المتاع كما في الإنسان فأصبح عند منزلي فرأى سواداً أي شخص إنسان فأتاني فعرفني فاستيقظت باسترجاعه أي بقوله إنا لله وإنا إليه راجعون أي لأن تخلف أم المؤمنين عن الرفقة في مضيقة مصيبة أي مصيبة فخمرت وجهي في جلبابي وهو ثوب أقصر من الخمار ويقال له المقنعة تغطي به المرأة رأسها والله ما تكلمت بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه أي لأنه استعمل الصمت أدباً وهوى حتى أناخ راحلته فقمت إليها فركبتها وانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش في بحر الظهيرة أي وسطها وهو بلوغ الشمس منتهاهامن الارتفاع وهم نازلون.

وبهذه الواقعة استدل بعض الفقهاء على أنه يجوز الخلوة بالمرأة الأجنبية إذا وجدها منقطعة ببرية أو نحوها بل يجب استصحابها إذا خاف عليها لو تركها.

وفي «معاني الآثار» للطحاوي: قال أبو حنيفة وكان الناس لعائشة محرماً فمع أيهم سافرت فقد سافرت مع محرم وليس غيرها من النساء كذلك انتهى.

يقول الفقير: لعل مراد الإمام رحمه الله تعالى أن أزواج النبي ﷺ وإن كان كلهن محارم للأمة لأنه تعالى قال: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦] وحرم عليهم نكاحهن كما قال: ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا﴾ [الأحزاب: ٥٣] إلا أن عائشة كانت أفضل نسائه بعد خديجة وأقربهن منه من حيث خلافتها عنه في باب الدين ولذا قال: «خذوا ثلثي دينكم عن عائشة» فتأكدت الحرمة من هذه الجهة إذ لا بد لأخذ الدين من الاستصحاب للسفر والحضر والله أعلم، قالت: فلما نزلنا هلك في من هلك بقول البهتان والأفتراء وكان أول من أشاعه في المعسكر عبد الله بن أبي ابن سلول رئيس المنافقين فإنه كان ينزل مع جماعة المنافقين متبعدين من الناس فمرت عليهم فقال: من هذه؟ قالوا: عائشة وصفوان فقال: فجربها ورب الكعبة فأفشوه وخاض أهل المعسكر فيه فجعل يرويه بعضهم عن بعض ويحدث به بعضهم بعضاً قالت: فقدمنا المدينة فاشتكيت أي مرضت حين قدمت شهراً ووصل الخبر إلى رسول الله وإلى أبويّ ولا أشعر بشيء من ذلك غير أنه يريبني أن لا أعرف من رسول الله العطف الذي كنت أرى منه حين اشتكيت فلما رأيت ذلك قلت: يا رسول الله لو أذنت لي فأنقلب إلى أبويّ يمرضاني والتمريض القيام على المريض في مرضه قال: لا بأس فانقلبت إلى بيت أبويّ وكنت فيه إلى أن برئت من مرضي بعد بضع وعشرين ليلة فخرجت في بعض الليالي ومعي أم مسطح كمنبر وهي بنت خالة أبي بكر رضي الله عنه قبل المناصع وهي مواضع يتخلى فيها لبول أو حاجة ولا يخرج إليها إلا ليلاً وكان عادة أهل المدينة حينئذٍ أنهم كانوا لا يتخذون الكنيف في بيوتهم كالأعاجم بل يذهبون إلى محل متسع قالت فلما فرغنا من شأننا وأقبلنا إلى البيت عثرت أم مسطح في مرطها وهو كساء من صوف أو خز كان يؤتزر به فقالت: تعس مسطح بفتح العين وكسرها أي هلك تعني ولدها والمسطح في الأصل عمود الخيمة واسمه عوف فقلت لها: أتسبين رجلاً قد شهد بدراً فقالت: أو لم تسمعي ما قال قلت: وما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك فازددت مرضاً على مرض أي عاودني المرض وازددت عليه وبكيت تلك الليلة حتى

أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي.

چشمم ذكريه برسر آبست روز شب جانم زناله درتب وتابست روز شب

فاستشار رسول الله في حقي فأشار بعضهم بالفرقة وبعضهم بالصبر وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني بشيء فقام وأقبل حتى دخل عليّ وعندي أبواي ثم جلس فتشهد ثم قال: «أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا فإن كنت بريئة فيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب الله تاب إلى الله عليه» فلما قضى رسول الله كلامه قلص دمعي أي ارتفع حتى ما أحس منه بقطرة فقلت لأبي: أجب عني رسول الله فيما قال، قال: والله لا أدري ما أقول لرسول الله فقلت لأمي أجيبي عني رسول الله قالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله فقلت: لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في نفوسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم إني بريئة لا تصدقوني ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني بريئة منه لتصدقوني والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا ما قال أبو يوسف أي يعقوب: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

صبري كنيم تاكرم أوچه ميكند

قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشي وأنا والله حينئذٍ أعلم أني بريئة والله مبرئي ببراءة ولكني والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحي يتلى ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم في بأمر يتلى ولكني كنت أرجو أن يرى النبي عليه السلام رؤيا يبرئني الله بها قالت: فوالله ما قام رسول الله عن مجلسه ولا خرج من البيت حتى أخذه ما كان يأخذه عند نزول الوحي أي من شدة الكرب فسجي أي غطي بثوب ووضعت له وسادة من أدم تحت رأسه وكان ينحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الثاني من ثقل القول الذي أنزل عليه والجمان حبوب مدحرجة تجعل من الفضة أمثال اللؤلؤ فلما سرى عنه وهو يضحك ويمسح العرق من وجهه الكريم كان أول كلمة تكلم بها «أبشري يا عائشة أما إن الله قد برأك». فقالت أمي: قومي إليه فقلت: والله لا أحمد إلا الله فأنزل الله تعالى: ﴿**إن الذين جاؤوا بالإفك**﴾ الآيات.

قال السهيلي: كان نزول براءة عائشة بعد قدومهم المدينة من الغزوة المذكورة لسبع وثلاثين ليلة في قول المفسرين فمن نسبها إلى الزنى كغلاة الرافضة كان كافراً لأن في ذلك تكذيباً للنصوص القرآنية ومكذبها كافر.

وفي «حياة الحيوان»: عن عائشة رضي الله عنها لما تكلم الناس بالإفك رأيت في منامي فتى فقال لي: ما لك؟ قلت: حزينة مما ذكر الناس فقال: ادعى بكلمات يفرج الله عنك قلت: وما هي؟ قال: قولي: يا سابغ النعم ويا دافع النقم ويا فارج الغم ويا كاشف الظلم ويا اعدل من حكم ويا حسيب من ظلم ويا أول بلا بداية ويا آخر بلا نهاية اجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً قالت: فانتبهت وقلت ذلك وقد أنزل الله فرجي.

قال بعضهم: برأ الله أربعة بأربعة يوسف بشاهد من أهل زليخا وموسى من قول اليهود فيه أن له أدرة بالحجر الذي فر بثوبه ومريم بإنطاق ولدها وعائشة بهذه الآيات وبعد نزولها خرج عليه السلام إلى الناس وخطبهم وتلاها عليهم وأمر بجلد أصحاب الإفك ثمانين جلدة.

وعن عائشة أن عبد الله بن أبي جلد مائة وستين أي حدين قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وهكذا يفعل لكل من قذف زوجة نبيّ أي يجوز أن يفعل به ذلك.

وفي «الخصائص الصغرى»: من قذف أزواجه عليه السلام فلا توبة له البتة كما قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره ويقتل كما نقله القاضي وغيره وقيل: يختص القتل بمن قذف عائشة ويحدّ في غيرها حدّين كذا في «إنسان العيون».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم تبغ امرأة نبي قط وأما قوله تعالى في امرأة نوح وامرأة لوط ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحريم: ١٠] فالمراد آذتاهما قالت امرأة نوح في حقه أنه لمجنون وامرأة لوط دلت على أضيافه وإنما جاز أن تكون امرأة النبي كافرة كامرأة نوح ولوط ولم يجز أن تكون زانية لأن النبي مبعوث إلى الكفار ليدعوهم إلى الدين وإلى قبول ما قاله من الأحكام والثواب والعقاب وهذا المقصود لا يحصل إذا كان في الأنبياء ما ينفر الكفرة عنهم والكفر ليس مما ينفر عندهم بخلاف الفجور فإنه من أعظم المنفرات.

وعن «كتاب الإشارات»: للفخر الرازي رحمه الله أنه عليه السلام في تلك الأيام التي تكلم فيها بالإفك كان أكثر أوقاته في البيت فدخل عليه عمر فاستشاره في تلك الواقعة فقال: يا رسول الله أنا أقطع بكذب المنافقين وأخذت براءة عائشة من أن الذباب لا يقرب بدنك فإذا كان الله صان بدنك أن يخالطه الذباب لمخالطته القاذورات فكيف بأهلك ودخل عليه عثمان فاستشاره فقال: يا رسول الله أخذت براءة عائشة من ظلك لأني رأيت الله صان ظلك أن يقع على الأرض أي لأن ظل شخصه الشريف كان لا يظهر في شمس ولا قمر لئلا يوطأ بالأقدام فإذا صان الله ظلك فكيف بأهلك ودخل عليّ فاستشاره فقال: يا رسول الله أخذت براءة عائشة من شيء هو أنّا صلينا خلفك وأنت تصلي بنعليك ثم أنك خلعت إحدى نعليك فقلنا: ليكون ذلك سنة لنا فقلت: «لا إن جبريل قال: إن في تلك النعل نجاسة» فإذا كان لا تكون النجاسة بنعليك فكيف بأهلك فسرّ عليه السلام بذلك فصدقهم الله فيما قالوا وفضح أصحاب الإفك بقوله: ﴿إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم﴾ خبر إن والعصبة والعصابة جماعة من العشرة إلى الأربعين والمراد هنا عبد الله بن أبي وزيد بن رفاعة ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم واختلفوا في حسان بن ثابت والذي يدل على براءته ما نسب إليه في أبيات مدح بها عائشة رضي الله عنها منها:

مهذبة قد طيب اللَّه خيمها ... وطهرها من كل سوء وباطل
فإن كنت قد قلت الذي قد زعمتمو ... فلا رفعت سوطي إليّ أناملي
وكيف وودّي ما حييت ونصرتي ... لآل رسول الله زين المحافل

كما في «إنسان العيون».

قال الإمام السهيلي في «كتاب التعريف والإعلام»: قد قيل إن حسان لم يكن فيهم أي في الذين جاؤوا بالإفك فمن قال إنه كان فيهم أنشد البيت المروي حين جلدوا الحدّ.

لقد ذاق حسان الذي كان أهله ... وحمنة إذ قالا لهجر ومسطح

ومن برأه الإفك قال إنما الرواية في البيت.

لقد ذاق عبد اللَّه ما كان أهله

انتهى: ومعنى الآية أن الذين آتوا الكتاب في أمر عائشة جماعة كائنة منكم في كونهم موصوفين بالإيمان وعبد الله أيضاً كان من جملة من حكم له بالإيمان ظاهراً وإن كان رئيس المنافقين خفية ﴿لا تحسبوه شراً لكم﴾ الخطاب لرسول الله وأبي بكر وعائشة وصفوان ولمن

ساءه ذلك من المؤمنين تسلية لهم من أول الأمر والضمير للإفك ﴿بل هو خير لكم﴾ لاكتسابكم الثواب العظيم لأنه بلاء مبين ومحنة ظاهرة وظهور كرامتكم على الله بإنزال ثماني عشرة آية في نزاهة ساحتكم وتعظيم شأنكم وتشديد الوعيد فيمن تكلم فيكم والثناء على من ظنّ بكم خيراً ﴿لكل امرىء منهم﴾ أي: من أولئك العصبة والامرؤ الإنسان والرجل كالمرء والألف للوصل. ﴿ما اكتسب من الإثم﴾ بقدر ما خاض فيه لأن بعضهم تكلم بالإفك وبعضهم ضحك وبعضهم سكت ولم ينههم.

قال في «التأويلات»: على حسب سعايتهم وفساد ظنهم وهتك حرمة حرم نبيهم انتهى والإثم الذنب. ﴿والذي تولى كبره﴾ أي: تحمل معظم الإفك.

قال في «المفردات»: فيه تنبيه على أن كل من سنّ سنة قبيحة يصير مقتدى به فذنبه أكبر ﴿منهم﴾ من العصبة وهو ابن أبي فإنه بدأ به وأذاعه بين الناس عداوة لرسول الله كما سبق. ﴿له عذاب عظيم﴾ أي لعبد الله نوع من العذاب العظيم المه لأن معظم الشر كان منه فلما كان مبتدئاً بذلك القول لا جرم حصل له من العقاب مثل ما حصل لكل من قال ذلك لقوله عليه السلام «من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة».

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿له عذاب عظيم﴾ يؤاخذ بجرمه وهو خسارة الدنيا والآخرة ثم أورد الحديث المذكرو.

هركه بنهد سنتي بداي فتى تادر افتد بعد أو خلق ازعمى
جمع كردد بروى آن جمله بزه كو سرى بودست وايشان دم غزه

﴿لَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿لولا﴾ تحضيضية بمعنى هلا. وبالفارسية [چرا] ومعناها إذا دخلت على الماضي التوبيخ واللوم على ترك الفعل إذ لا يتصور الطلب في الماضي وإذا دخلت على المضارع فمعناها الحض على الفعل والطلب له فهي في المضارع بمعنى الأمر. ﴿إذ سمعتموه﴾ أيها الخائضون، أي: الشارعون في القول الباطل ﴿ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً﴾ عدول إلى الغيبة لتأكيد التوبيخ فإن مقتضى الإيمان الظن بالمؤمن خيراً وذب الطاعنين فيه فمن ترك هذا الظن والذب فقد ترك العمل بمقتضى الإيمان والمراد بأنفسهم أبناء جنسهم النازلون منزلة أنفسهم كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١] فإن المراد لا يعيب بعضكم بعضاً فإن المؤمنين كنفس واحدة إذ كان الواجب أن يظن المؤمنون والمؤمنات أول ما سمعوه ممن اخترع بالذات أو بالواسطة من غير تلعثم وتردد بمثلهم من آحاد المؤمنين خيراً. ﴿وقالوا﴾ في ذلك الآن ﴿هذا﴾ [اين سخن] ﴿إفك مبين﴾ أي: ظاهر مكشوف كونه إفكاً فكيف بالصديقة بنت الصديق أم المؤمنين حرم رسول الله. يعني: حق سبحانه [أزواج پيغمبر نكاه ميدارد از مثل اين حالها بتعظيم وتكريم ايشان].

﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾

﴿لولا جاؤوا﴾ [چرا نياوردند]. ﴿عليه﴾ [برين سخن را] ﴿بأربعة شهداء﴾ أي: هلا جاء الخائضون بأربعة شهداء يشهدون على ما قالوا وهو إما من تمام القول أو ابتداء كلام

من الله. ﴿فإذ لم يأتوا بالشهداء﴾ الأربعة ﴿فأولئك﴾ المفسدون ﴿عند الله﴾ في حكمه وشرعه المؤسس على الدلائل الظاهرة المتقنة. ﴿هم الكاذبون﴾ الكاملون في الكذب المشهود عليه بذلك المستحقون لإطلاق الاسم عليه دون غيرهم.

قال الكاشفي: [ايشانند دروغ كويان در ظاهر وباطن چه اكر كواه آوردندى در ظاهر حكم كاذب نبودندي اما در باطن كاذب بودندى زيراكه اين صورت برازدواج انبيا ممتنع است وچون كواه نياوردند در ظاهر اين كار نيز كاذبند].

قال القرطبي وقد يعجز الرجل عن إقامة البينة وهو صادق في قذفه ولكنه في حكم الشرع وظاهر الأمر كاذب لا في علم الله وهو سبحانه إنما رتب الحدود على حكمه الذي شرعه في الدنيا لا على مقتضى علمه الذي تعلق بالإنسان على ما هو عليه وأجمع العلماء على أن أحكام الدنيا على الظاهر وأن السرائر إلى الله. ﴿ولولا﴾ امتناعية، أي لامتناع الشيء لوجود غيره. ﴿فضل الله عليكم ورحمته﴾ خطاب للسامعين والمسلمين جميعاً ﴿في الدنيا﴾ من فنون النعم التي من جملتها الإمهال بالتوبة ﴿والآخرة﴾ من ضروب الآلاء التي من جملتها العفو والمغفرة المقدران لكم ﴿لمسكم﴾ عاجلاً. يعني [هر آينه بر سيدي شمارا] ﴿فيما أفضتم فيه﴾ أي: بسبب ما خضتم فيه من حديث الإفك. ﴿عذاب عظيم﴾ يستحقر دونه التوبيخ والجلد.

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾.

﴿إذ تلقونه﴾ بحذف إحدى التاءين للمس أي لمسكم ذلك العذاب العظيم وقت تلقيكم إياه من المخترعين. ﴿بألسنتكم﴾ يأخذه بعضكم من بعض وذلك أن الرجل منهم يلقى الرجل فيقول له: ما وراءك فيحدثه بحديث الإفك حتى شاع وانتشر فلم يبق بيت ولا دار الإطار فيه يقال تلقى الكلام من فلان وتلقنه وتلقفه ولقفه إذا أخذه من لفظه وفهمه.

وفي «الإرشاد»: التلقي والتلقف والتلقن معان متقاربة خلا أن في الأول معنى الاستقبال وفي الثاني معنى الخطف والأخذ بسرعة وفي الثالث معنى الحذق والمهارة. ﴿وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم﴾ معنى بأفواهكم مع أن القول لا يكون إلا بالفم هو أن الإخبار بالشيء يجب أن تستقر صورته في القلب أولاً ثم يجري على اللسان وهذا الإفك ليس إلا قول لا يجري على الألسنة من غير علم به في القلب وهو حرام لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦] والمعنى وتقولون قولاً مختصاً بالأفواه من غير أن يكون له مصداق ومنشأ في القلوب لأنه ليس بتعبير عن علم به في قلوبكم. ﴿وتحسبونه هيناً﴾ سهلاً لا تبعة له، وهي بالفارسية [عاقبة به].

أو ليس له كثير عقوبة. ﴿وهو عند الله﴾ والحال أنه عنده تعالى ﴿عظيم﴾ في الوزر واستجرار العذاب وعن بعضهم أنه جزع عند الموت فقيل له فقال: أخاف ذنباً لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم وفي كلام بعضهم لا تقولن لشيء من سيئاتك نقير فلعله عند الله نخلة وهو عندك نقير، وقال عبد الله بن المبارك: ما أرى هذه الآية نزلت إلا فيمن اعتاد الدعاوى العظيمة ويجترىء على ربه في الإخبار عن أحوال الأنبياء والأكابر ولا يمنعه عن ذلك هيبة ربه ولا حياؤه.

وقال الترمذي: من تهاون بما يجري عليه من الدعاوى فقد صغر ما عظمه الله إن الله تعالى يقول: ﴿وتحسبونه﴾ الخ.

اكر مردى از مردىء خود مكوى نه هر شهوارى بدر برد كوى

﴿ولولا﴾ [چرا] ﴿إذ سمعتموه﴾ من المخترعين والتابعين لهم ﴿قلتم﴾ تكذيباً لهم وتهويلاً لما ارتكبوه. ﴿ما يكون لنا﴾ ما يمكننا. ﴿أن نتكلم بهذا﴾ القول وما يصدر عنا ذلك بوجه من الوجوه وحاصله نفي وجود التكلم به لا نفي وجوده على وجه الصحة والاستقامة. ﴿سبحانك﴾ تعجب ممن تفوه به وأصله أن يذكر عند معاينة العجب من صنائعه تنزيهاً له سبحانه من أن يعصب عليه أمثاله ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه أو تنزيه له تعالى من أن يكون حرم نبيه فاجرة فإن فجورها تنفير للناس عنه ومخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها كما سبق. وبالفارسية: [پاكست خداى تعالى ازآنكه در حرم محترم پيغمبر قدح تواند كرد] ﴿هذا﴾ الإفك الذي لا يصح لأحد أن يتكلم به. ﴿بهتان عظيم﴾ مصدر بهته، أي قال عليه ما لم يفعل أي كذب عظيم عند الله التقاول به كما في «التأويلات النجمية» أو يبهت ويتحير من عظمته لعظمة المبهوت عليه أي الشخص الذي يبهت عليه أي يقال عليه ما لم يفعل فإن حقارة الذنوب وعظمها كما تكون باعتبار مصادرها كما قال أبو سعيد الخراز قدس سره «حسنات الأبرار سيئات المقربين» كذا تكون باعتبار متعلقاتها.

﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾﴾

﴿يعظكم الله﴾ الوعظ النصح والتذكير بالعواقب أي ينصحكم أيها الخائضون في أمر عائشة. ﴿أن تعودوا لمثله﴾ كراهة أن تعودوا لمثل هذا الخوض والقول. ﴿أبداً﴾ أي مدة حياتكم ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ بالله وبرسوله وباليوم الآخر فإن الإيمان يمنع عنه.

وفيه إشارة إلى أن العود إلى مثل هذا يخرجهم من الإيمان.

قال في «الكبير»: يدخل في هذا من قال ومن سمع ولم ينكر لاستوائهما في فعل ما لا يجوز وإن كان المقدم أعظم ذنباً.

﴿ويبين الله لكم الآيات﴾ الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب دلالة واضحة لتتعظوا وتتأدبوا بها أي ينزلها مبينة ظاهرة الدلالة على معانيها لا أنه يبينها بعد أن لم تكن كذلك. ﴿والله عليم﴾ بأحوال جميع مخلوقاته جلائلها ودقائقها. ﴿حكيم﴾ في جميع تدابيره وأفعاله فأنى يمكن صدق ما قيل في حق حرمة من اصطفاه لرسالته وبعثه إلى كافة الخلق ليرشدهم إلى الحق ويزكيهم ويطهرهم تطهيراً.

وقال الكاشفي: [وخداى تعالى داناست بطهارت ذيل عائشة حكم كننده ببرائت ذمت أو ازعيب وعار].

تاكريبان دامنش پاكست ازلوت خطا وزمذمت عيب جو آلوده ازسر تابپا

وچه زيبا كفته است.

كرا رسد كه كند عيب دامن پاكت كه همچو قطره كه بر برك كل چكدپاكي

وفي «التأويلات النجمية»: إن الله تعالى لا يجري على خواص عباده إلا ما يكون سبباً

لحقيقة اللطف وإن كان في صورة القهر تأديباً وتهذيباً وموجباً لرفعة درجاتهم وزيادة في قرابتهم وأن قصة الإفك وإن كانت في صورة القهر كانت في حق النبي عليه السلام وفي حق عائشة وأبويها وجميع الصحابة ابتلاء وامتحاناً لهم وتربية فإن البلاء للولاء كاللهب للذهب كما قال عليه السلام «إن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل»، وقال عليه السلام: «يبتلى الرجل على قدر دينه» فإن الله غيور على قلوب خواص عباده المحبوبين فإذا حصلت مساكنة بعضهم إلى بعض يجري الله تعالى ما يرد كل واحد منهم عن صاحبه ويرده إلى حضرته وأن النبي عليه السلام لما قيل له: أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة فساكنها» وقال: «يا عائشة حبك في قلبي كالعقدة» وفي بعض الأخبار أن عائشة قالت: يا رسول الله إني أحبك واحب قربك فأجرى الله تعالى حديث الإفك حتى رد رسول الله قلبه عنها إلى الله بانحلال عقدة حبها عن قلبه وردت عائشة قلبها عنه إلى الله حيث قالت لما ظهرت براءة ساحتها: نحمد الله لا نحمدك فكشف الله غيابة تلك المحبة وأزال الشك وأظهر براءة ساحتها حين أدبهم وهذبهم وقربهم وزاد في رفعة درجاتهم وقرباتهم.

قال في «الحكم العطائية وشرحها»: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لعائشة عنها لما نزلت براءتها من الإفك على لسان رسول الله عليه السلام: يا عائشة اشكري رسول الله نصراً منه لوجه الكمال لها فقالت: «لا والله لا أشكر» إلا الله رجوعاً منها إلى أصل التوحيد إذ لم يسع غيره في تلك الحال قلبها دلها أبو بكر في ذلك على المقال الأكمل عند الصحو وهو مقام البقاء بالله المقتضى لإثبات الآثار وعمارة الدارين التزاماً لحق الحكم والحكمة وقد قال تعالى: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ﴾ [لقمان: ١٤] فقرن شكرهما بشكره إذ هما أصل وجودك المجازي كما أن أصل وجودك الحقيقي فضله وكرمه فله حقيقة الشكر كما له حقيقة النعمة ولغيره مجازه كما لغيره مجازها وقال عليه السلام: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس» فجعل شكر الناس شرطاً في صحة شكره تعالى أو جعل ثواب الله على الشكر لا يتوجه إلا لمن شكر عباده وكانت هي يعني عائشة في ذلك الوقت لا في عموم أوقاتها مصطلمة أي مأخوذة عن شاهدها فلم يكن لها شعور بغير ربها غائبة عن الآثار لما استولى عليها من سلطان الفرح لمنة المولى عليها فلم تشهد إلا الواحد القهار من غير اعتبار لغيره وهذا هو أكمل المقامات في حالها وهو مقام أبينا إبراهيم عليه السلام إذ قال: حسبي من سؤالي علمه بحالي والله المسؤول في إتمام النعمة وحفظ الحرمة والثبات لمرادات الحق بالآداب اللائقة بها وهو حسبنا ونعم الوكيل.

ثم قال في «التأويلات النجمية»: الطريق إلى الله طريقان طريق أهل السلامة وطريق أهل الملامة فطريق أهل السلامة ينتهي إلى الجنة ودرجاتها لأنهم محبوسون في حبس وجودهم وطريق أهل الملامة ينتهي إلى الله تعالى لأن الملامة مفتاح باب حبس الوجود وبها يذوب الوجود ذوبان الثلج بالشمس فعلى قدر ذوبان الوجود يكون الوصول إلى الله تعالى فأكرم الله تعالى عائشة بكرامة الملامة ليخرجها بها من حبس الوجود بالسلامة وهذا يدل على ولايتها لأن الله تعالى إذا تولى عبداً يخرجه من ظلمات وجوده المخلوقة إلى نور القدم كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٧] انتهى. قال الحافظ قدس سره:

وفاكنيم وملامت كشيم وخوش باشيم   كه در طريقت ما كافر يست رنجيدن

وقال الجامي قدس سره:

عشق درهر دل كه سازد بهر وردت خانة أول أز سنك ملامت افكند بنياد أو

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿إن الذين﴾ هم ابن أبيّ ومن تبعه في حديث الإفك **﴿يحبون﴾** يريدون **﴿أن تشيع الفاحشة﴾** تنشر وتظهر والفاحشة ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال والمراد هنا الزنى أي خبره **﴿في الذين آمنوا﴾** أخلصوا الإيمان **﴿لهم﴾** بسبب ذلك **﴿عذاب أليم﴾** نوع من العذاب متفاقم ألمه **﴿في الدنيا﴾** كالحد ونحوه **﴿والآخرة﴾** كالنار وما يلحق بها.

قال ابن الشيخ ليس معناه مجرد وصفهم بأنهم يحبون شيوعها في حق الذين آمنوا من غير أن يشيعوا ويظهروا فإن ذلك القدر لا يوجب الحد في الدنيا بل المعنى أن الذين يشيعون الفاحشة والزنى في الذين آمنوا كصفوان وعائشة عن قصد ومحبة لإشاعتها.

وفي «الإرشاد»: يحبون شيوعها ويتصدون مع ذلك لإشاعتها وإنما لم يصرح به اكتفاء بذكر المحبة فإنها مستتبعة له لا محالة وفي الذين آمنوا متعلق بتشيع أي تشيع فيما بين الناس وذكر المؤمنين لأنهم العمدة فيهم أو بمضمر هو حال من الفاحشة فالموصول عبارة عن المؤمنين خاصة أي يحبون أن تشيع الفاحشة كائنة في حق المؤمنين وفي شأنهم **﴿والله يعلم﴾** جميع الأمور وخصوصاً ما في ضمائر من حب الإشاعة. **﴿وأنتم لا تعلمون﴾** فابنوا الأمر في الحد ونحوه على الظواهر والله يتولى السرائر.

﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم﴾ جواب لولا محذوف أي لولا فضله وإنعامه عليكم وأنه بليغ الرأفة والرحمة بكم بالعقاب على ما صدر منكم

وفي الآيتين إشارات:

منها: أن أهل الإفك كما يعاقبون على الإظهار يعاقبون بأسرار محبة الإشاعة فدل على وجوب سلامة القلب للمؤمنين كوجوب كف الجوارح والقول عما يضرهم وفي الحديث: «إني لأعرف قوماً يضربون صدورهم ضرباً يسمعه أهل النار وهم الهمازون الذين يلتمسون عورات المسلمين ويهتكون ستورهم ويشيعون لهم الفواحش»، وفي الحديث: «أيما رجل أشاع على رجل مسلم كلمة وهو منها بريء يرى أن يشينه بها في الدنيا كان حقاً على الله أن يرميه بها في النار» كما في «الكبير» فالصنيع الذي ذكر من أهل الإفك ليس من صنيع أهل الإيمان فإن من صنيع أهل الإيمان ما قال عليه السلام: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» وقال: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كنفس واحدة إذا اشتكى منها عضو تداعى سائر الجسد بالحمى والسهر».

بني آدم اعضاى يكد يكرند كه در آفرينش زيك كوهرند

چو عضوى بدر دآوردر وزكار دكر عضوها را نماند قرار

توكز محنت ديكران بي غمى نشايد كه نامت نهند آدمى

فمن أركان الدين مظاهرة المسلمين وإعانة أهل الدين وإرادة الخير بكافة المؤمنين والذي يود الفتنة وافتضاح الناس فهو شر الخلق كالخناس.

ومنها أن ترك المعاجلة بالعذاب تعريض للتوبة فدل على أن عذاب الآخرة إنما هو على تقدير الإصرار وعليه يحمل قوله عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة حد الله الذين شتموا عائشة ثمانين على رؤوس الخلائق فيستوهب لي المهاجرين منهم وأستأمرك يا عائشة».

قال الراوي فلما سمعت عائشة وكانت في البيت بكت وقالت: «والذي بعثك بالحق نبياً لسرورك أحب إليّ من سروري» فتبسم رسول الله ضاحكاً وقال: «ابنة صديق».

ومنها غاية كرم الله ورحمته وفضله على عباده حيث يتفضل عليهم ويرحمهم ويزكيهم عن أوصافهم الذميمة مع استحقاقهم العذاب الأليم في الدنيا والآخرة فإنه خلق الخلق للرحمة لا للعذاب ولو كان العذاب لكان من جهتهم بسوء اختيارهم عصمنا الله وإياكم من الأوصاف الذميمة الموجبة للعذاب الأليم وشرفنا بالأخلاق الحميدة الباعثة على الدرجات والتنعمات في دار النعيم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾.

﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان**﴾ جمع خطوة بضم الخاء وهي ما بين القدمين أي ما بين رجلي الخاطي وبالفتح المرة الواحدة من الخطو ثم استعمل اتباع الخطوات في الاقتداء وإن لم يكن ثمة خطو يقال: اتبع خطوات فلان ومشى على عقبه إذا استنّ بسنته والمراد ههنا سيرة الشيطان وطريقته.

والمعنى لا تسلكوا الطرق التي يدعوكم إليها الشيطان ويوسوس بها في قلوبكم ويزينها لأعينكم ومن جملتها إشاعة الفاحشة وحبها ﴿**ومن يتبع خطوات الشيطان**﴾ فقد ارتكب الفحشاء والمنكر فقوله: ﴿**فإنه**﴾ أي: الشيطان ﴿**يأمر بالفحشاء والمنكر**﴾ علة للجزاء وضعت موضعه والفحشاء والفاحشة ما عظم قبحه عرفاً وعقلاً سواء كان فعلاً أو قولاً والمنكر ما ينكره الشرع.

وقال أبو الليث: المنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة.

وفي «المفردات»: المنكر كل شيء تحكم العقول الصحيحة بقبحه أو تتوقف في استقباحه العقول وتحكم بقبحه الشريعة واستعير الأمر لتزيينه وبعثه لهم على الشر تحقيراً لشأنهم ﴿**ولولا فضل الله عليكم ورحمته**﴾ بهذه البيانات والتوفيق للتوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ﴿**ما زكى**﴾ ما طهر من دنس الذنوب. ﴿**منكم من أحد**﴾ من الأولى بيانية والثانية زائدة واحد في حيز الرفع على الفاعلية. ﴿**أبداً**﴾ آخر الدهر لا إلى نهاية. ﴿**ولكن الله يزكي**﴾ يطهر ﴿**من يشاء**﴾ من عباده بإفاضة آثار فضله ورحمته عليه وحمله على التوبة ثم قبولها منه كما فعل بكم.

وفيه حجة على القدرية فإنهم زعموا أن طهارة النفوس بالطاعات والعبادات من غير توفيق من الله. ﴿**والله سميع**﴾ مبالغ في سمع الأقوال التي من جملتها ما قالوه من حديث الإفك وما أظهروه من التوبة منه ﴿**عليم**﴾ بجميع المعلومات التي من جملتها نياتهم وفيه حث لهم على الإخلاص في التوبة.

كر نباشد نيت خالص چه حاصل از عمل

وفي الآية أمور:

منها: أن خطوات الشيطان كثيرة وهي جملة ما يطلق عليه الفحشاء والمنكر ومن جملته القذف والشتم والكذب وتفتيش عيوب الناس وفي الحديث: «كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر أو ذكر الله تعالى» وفي الحديث: «كثرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك به مصدق وأنت له كاذب» وفي الحديث: «طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس» وأنفق من مال اكتسبه من غير معصية وخالط أهل الفقه والحكمة وجانب أهل الجهل والمعصية.

وعن بعضهم خطوات الشيطان النذور في معصية الله كما في «تفسير أبي الليث» فيخرج منها النذور في طاعة الله كالصلاة والصوم ونحوهما مما ينهي عن الفحشاء والمنكر فضلاً عن كونه فحشاء أو منكراً.

ومنها: أن أمر التزكية إنما هو إلى الله فإنه بفضله ورحمته وفق العبد للطاعات والأسباب ولكن لا بد للعبد من أستاذ يتعلم منه كيفية التزكية على مراد الله تعالى وأعظم الوسائل هو النبي عليه السلام ثم من أرشده إلى الله تعالى.

قال شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري قدس سره: مشايخي في علم الحديث وعلم الشريعة كثيرة وأما شيخي في الطريقة فالشيخ أبو الحسن الخرقاني فلولا رأيته ما عرفت الحقيقة فأهل الإرشاد هداة طريق الدين ومفاتيح أبواب اليقين فوجود الإنسان الكامل غنيمة ومجالسته نعمة عظيمة.

زمن أي دوست أين يك پند بپذير بروفتراك صاحب دولتي كير
كه قطره تا صدف را درنيابد نكردد كوهر روشن نتابند

ثم إن التزكية الحقيقية تطهر القلب عن تعلقات الأغيار بعد تطهيره عن الميل إلى المعاصي والأوزار وقوله: ﴿**من يشاء**﴾ إنما هو لأن كل أحد ليس بأهل للتزكية كالمنافقين وأهل الرين والرعونة.

ومنها: الإشارة إلى مغفرة من خاض في حديث الإفك من أهل بدر كمسطح ويدل عليها الاعتناء بشأنه في الآية الآتية وقد ثبت أن الله اطلع على أهل بدر يعني نظر إليهم بنظر الرحمة والمغفرة فقال: (اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) والمراد به اظهار العناية بهم واعلاء رتبتهم لا الترخيص لهم في كل فعل كما يقال للمحبوب اصنع ما شئت.

وفي «المقاصد الحسنة»: كأنك من أهل بدر هو كلام يقال لمن يتسامح أو يتساهل والله المسؤول في قبول التوبة عن كل حوبة.

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾

﴿**ولا يأتل**﴾ من الائتلاء وهو القسم. وبالفارسية: [سوكند خوردن] كما في «تاج المصادر» من الألية بمعنى اليمين أي لا يخلف نزل في شأن الصديق رضي الله عنه حين حلف أن يقطع نفقته عن مسطح ابن خالته لخوضه في عائشة رضي الله عنها وكان فقيراً بدرياً مهاجراً ينفق عليه أبو بكر رضي الله عنه. ﴿**أولو الفضل منكم**﴾ ذوو الفضل في الدين والفضل الزيادة.

﴿والسعة﴾ في المال ﴿أن يؤتوا﴾ أي على أن لا يؤتوا شيئاً ولا يحسنوا بإسقاط الخافض وهو كثير شائع. ﴿أولي القربى﴾ ذوي القرابة ﴿والمساكين والمهاجرين في سبيل الله﴾ صفات لموصوف واحد أي ناساً جامعين لها لأن الكلام فيمن كان كذلك لأن مسطحاً قريب ومسكين ومهاجر جيء بها بطريق العطف تنبيهاً على أن كلاً منها علة مستقلة لاستحقاق الإيتاء ﴿وليعفوا﴾ عن ذنبهم ﴿وليصفحوا﴾ أي ليعرضوا عن لومهم.

قال الراغب الصفح ترك التثريب وهو أبلغ من العفو وقد يعفو الإنسان ولا يصفح ﴿ألا تحبون﴾ [آيا دوست نمى داريد] ﴿أن يغفر الله لكم﴾ أي: بمقابلة عفوكم وصفحكم وإحسانكم إلى من أساء إليكم ﴿والله غفور رحيم﴾ مبالغ في المغفرة والرحمة مع كمال قدرته على المؤاخذة وكثرة ذنوب العباد الداعية إليها.

وفيه ترغيب عظيم في العفو ووعد كريم بمقابلته كأنه قيل: ألا تحبون أن يغفر الله لكم فهذا من موجباته. روي: أنه عليه السلام قرأ هذه الآية على أبي بكر رضي الله عنه فقال: بلى أحب أن يغفر الله لي فرد إلى مسطح نفقته وكفر عن يمينه وقال: والله لا أنزعها أبداً.

وفي «معجم الطبراني الكبير» أنه أضعف له النفقة التي كان يعطيه إياها قبل القذف أي أعطاه ضعف ما كان يعطيه قبل ذلك.

وفي الآية دليل على أن من حلف على أمر فرأى الحنث أفضل منه فله أن يحنث ويكفر عن يمينه ويكون له ثلاثة أجور أحدها ائتماره بأمر الله تعالى والثاني أجر بره وذلك في صلة قرابته والثالث أجر التكفير.

ثم في الآية فوائد:

منها: أن العلماء استدلوا بها على فضل الصديق رضي الله عنه وشرفه من حيث نهاه مغايبة ونص على فضله وذكره بلفظ الجمع للتعظيم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم لا يفعلوا كيت وكيت والمنكرون يحملون الفضل على فضل المال لكن لا يخفى أن يستفاد من قوله: ﴿والسعة﴾ فيلزم التكرير فثبت كونه أفضل الخلق بعد رسول الله عليه السلام.

قال في «إنسان العيون»: وصف الله تعالى الصديق بأولي الفضل موافق لوصفه عليه السلام بذلك فقد جاء أن علياً كرم الله وجهه دخل على النبي ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه جالس عن يمين رسول الله فتنحى أبو بكر عن مكانه وأجلس علياً بينه وبين النبي عليه السلام فتهلل وجه النبي فرحاً وسروراً وقال: «لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أولو الفضل»: قال الحكيم سنابي:

بود چندان كرامت وفضلش　　كه أولو الفضل خواند ذو الفضلش
صورت وسيرتش همه جان بود　　زان زچشم عوان پنهان بود
روزوشب سال وماه درهمه كار　　ثاني اثنين اذ هما في الغار

ومنها: أنها كفت داعيه إلى المجاملة والإعراض عن مكافاة المسيء وترك الاشتغال بها وعن أنس رضي الله عنه: بينما رسول الله ﷺ جالس إذ ضحك حتى بدت نواجذه فقال عمر رضي الله عنه: بأبي أنت وأمي ما الذي أضحكك؟ قال: «رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة فقال أحدهما: خذ لي مظلمتي من هذا فقال الله تعالى: رد على أخيك مظلمته فقال: يا رب لم يبق من حسناتي شيء فقال: يا رب فليحمل عني من أوزاري» ثم فاضت عينا رسول الله

بالبكاء فقال: «إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس إلى أن يحمل عنهم أوزارهم» فقال: «فيقول الله تعالى للمتكلم: ارفع بصرك فانظر في الجنان فقال يا رب أرى مدائن من فضة وقصوراً من ذهب مكللة باللؤلؤ لأي نبي هذا أو لأي صديق أو لأي شهيد قال الله تعالى: لمن أعطى الثمن قال يا رب ومن يملك ذلك قال الله تعالى: أنت تملكه قال: بماذا يا رب؟ قال الله تعالى: بعفوك عن أخيك قال: يا رب قد عفوت عنه قال الله تعالى: خذ بيد أخيك فأدخله الجنة».

من كان يرجو عفو من فوقه فليعف عن ذنب الذي دونه

در عفو لذتيست كه در انتقام نيست

ومنها: بيان تأديب الله للشيوخ والأكابر أن لا يهجروا صاحب الزلات وأهل العثرات من المريدين ويتخلقوا بخلق الله حيث يغفر الذنوب ولا يبالي وأعلمهم أن لا يكفوا إعطاءهم عنهم ويخبروهم ما وقع لهم من أحكام الغيب فإن من له استعداد لا يحتجب بالعوارض البشرية عن أحكام الطريقة أبداً والله المعين على كل حال وبيده العفو عن سيئات الأعمال.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾

﴿إن الذين يرمون﴾ قد سبق معنى الرمي في أوائل السورة. **﴿المحصنات﴾** العفائف مما رمين من الفاحشة والزنى **﴿الغافلات﴾** [بيخبران] عنها على الإطلاق بحيث لم يخطر ببالهن شيء منها ولا من مقدماتها أصلاً ففيها من الدلالة على كمال النزاهة ما ليس في المحصنات.

قال في «التعريفات»: الغفلة عن الشيء هي أن لا يخطر ذلك بباله **﴿المؤمنات﴾** أي: المتصفات بالإيمان بكل ما يجب أن يؤمن به من الواجبات والمحظورات وغيرها إيماناً حقيقياً تفصيلياً كما ينبىء عنه تأخير المؤمنات عما قبلها مع أصالة وصف الإيمان والمراد بها عائشة الصديقة رضي الله عنها والجمع باعتبار أن رميها رمي لسائر أمهات المؤمنين لاشتراك الكل في العصمة والنزاهة والانتساب إلى رسول الله عليه السلام كما في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الشعراء: ١٠٥] ونظائره **﴿لعنوا﴾** بما قالوا في حقهن وهتكوا حرمتهن **﴿في الدنيا والآخرة﴾** حيث يلعنهم اللاعنون من المؤمنين والملائكة أبداً. وبالفارسية [دور كرده شدند در دنيا از نام نيكو در آخرت از رحمت يعني درين عالم مردود وملعونند ودران سراى مبغوض ومطرود] وأصل اللعنة الطرد والإبعاد على سبيل السخط وذلك من الله تعالى في الآخرة عقوبة وفي الدنيا انقطاع عن قبول فيضه وتوفيقه ومن الإنسان دعاء على غيره. **﴿ولهم﴾** مع ما ذكر من اللعن الأبدي **﴿عذاب عظيم﴾** لعظم ذنوبهم.

قال مقاتل: هذا خاص في عبد الله بن أبيّ المنافق وإليه الإشارة بقول حضرة الشيخ نجم الدين في «تأويلاته» **﴿إن الذين﴾** الخ أي إن الذين لم يكونوا من أهل بدر من أصحاب الإفك اهـ. ليخرج مسطح ونحوه كما سبقت الإشارة إلى مغفرته.

وقال بعضهم: الصحيح أنه حكم كل قاذف ما لم يتب لقوله عليه السلام: «اجتنبوا الموبقات السبع الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المؤمنات الغافلات» وعن ابن عباس رضي الله عنهما: من قذف أزواج النبي عليه السلام فلا توبة له ومن قذف مؤمنة سواهن قد جعل الله له توبة ثم قرأ: **﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء﴾** إلى قوله: **﴿إلا الذين تابوا وأصلحوا﴾** الآية.

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿يوم﴾ ظرف لما في الجار والمجرور والمتقدم من معنى الاستقرار ﴿تشهد﴾ الشهادة قول صادر عن علم حصل بمشاهدة بصر أو بصيرة. ﴿عليهم﴾ تقديمه على الفاعل للمسارعة إلى بيان كون الشهادة ضارة لهم. ﴿ألسنتهم﴾ بغير اختيار منهم وهذا قبل أن يختم على أفواههم فلا تعارض بينه وبين قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ [يس: ٦٥] ﴿وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ فتخبر كل جارحة بما صدر من أفاعيل صاحبها لا أن كلا منها تخبر بجناياتها المعهودة فقط فالموصول عبارة عن جميع أعمالهم السيئة.

﴿يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق﴾ التوفية بذل الشيء وافياً والوافي الذي بلغ التمام والدين الجزاء والحق منصوب على أن يكون صفة للدين أي يوم إذ تشهد جوارحهم بأعمالهم القبيحة يعطيهم الله جزاءهم الثابت الواجب الذي هم أهله وافياً كاملاً ﴿ويعلمون﴾ عند معاينتهم الأهوال والخطوب ﴿أن الله هو الحق المبين﴾ أي الظاهر حقيته لما أنه أبان لهم حقية ما كان يعدهم به في الدنيا من الجزاء. ويقال: إن ما قال الله هو الحق.

وفي الآية أمور:

منها بيان جواز اللعنة على من كان من أهلها.

قال الإمام الغزالي رحمه الله: الصفات المقتضية للعن ثلاث الكفر والبدعة والفسق وله في كل واحدة ثلاث مراتب الأولى اللعن بالوصف الأعم كقولك لعنة الله على الكافرين أو المبتدعة أو الفسقة والثانية اللعن بأوصاف أخص منه كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى أو على القدرية والخوارج والروافض أو على الزناة والظلمة وأكلي الربا وكل ذلك جائز ولكن في لعن بعض أصناف المبتدعة خطر لأن معرفة البدعة غامضة فما لم يرد فيه لفظ مأثور ينبغي أن يمنع منه العوام لأن ذلك يستدعي المعارضة بمثله ويثير نزاعاً وفساداً بين الناس والثالثة اللعن على الشخص فينظر فيه أن كان ممن ثبت كفره شرعاً فيجوز لعنه إن لم يكن فيه أذى على مسلم كقولك لعنة الله على النمرود وفرعون وأبي جهل لأنه ثبت أن هؤلاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعاً وأن كان ممن لم يثبت حال خاتمته بعد كقولك زيد لعنه الله وهو يهودي أو فاسق فهذا فيه خطر لأنه ربما يسلم أو يتوب فيموت مقرباً عند الله تعالى فكيف يحكم بكونه ملعوناً.

ومنها شهادة الأعضاء وذلك بانطاق الله تعالى فكما تشهد على المذنبين تشهد للمطيعين بطاعتهم فاللسان يشهد على الإقرار وقراءة القرآن واليد تشهد بأخذ المصحف والرجل تشهد بالمشي إلى المسجد والعين تشهد بالبكاء والأذن تشهد باستماع كلام الله. ويقال شهادة الأعضاء في القيامة مؤجلة وشهادتها في المحبة اليوم معجلة من صفرة الوجه وتغير اللون ونحافة الجسم وانسكاب الدموع وخفقان القلب وغير ذلك: قال الحافظ:

باضعف وناتواني همچون نسيم خوش باش پيمارى اندرين ره بهتر زتن درستي

﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾

ومنها أن المجازاة بقدر الاستحقاق فللفاسقين بالقطيعة والنيران وللصالحين بالدرجات وللعارفين بالوصلة والقربة ورؤية الرحمٰن ﴿الخبيثات﴾ من النساء أي الزواني: وبالفارسية [زنان ناپاك] ﴿للخبيثين﴾ من الرجال أي الزناة كابن أبيّ المنافق تكون له امرأة زانية أي مختصات بهم لا يكدن يتجاوزنهم إلى غيرهم لأن لله ملكاً يسوق الأهل إلى الأهل ويجمع الأشكال بعضاً إلى بعض على أن اللام للاختصاص ﴿والخبيثون﴾ أيضاً: وبالفارسية [مردان ناپاك] ﴿للخبيثات﴾ لأن المجانسة من دواعي الانضمام ﴿والطيبات﴾ منهن أي العفائف ﴿للطيبين﴾ منهم أي العفيفين ﴿والطيبون﴾ أيضاً ﴿للطيبات﴾ منهن بحيث لا يكادون يجاوزونهن إلى من عداهن وحيث كان رسول الله عليه السلام اطيب الاطيبين وخيرة الأولين والآخرين تبين كون الصديقة من أطيب الطيبات بالضرورة واتضح بطلان ما قيل في حقها من الخرافات حسبما نطق به قوله تعالى: ﴿أولئك﴾ الموصوفون بعلو الشان يعني أهل البيت.

وقال في «الأسئلة المقحمة»: آية الإفك نزلت في عائشة وصفوان فكيف ذكرها بلفظ الجمع والجواب: لأن الشين وعار الزنى والمعرة بسببه تتعدى إلى الرسول لأنه زوجها وإلى أبي بكر الصديق لأنه أبوها وإلى عامة المسلمين لأنها أمهم فذكر الكل بلفظ الجمع ﴿مبرؤون﴾ [بيزار كرده شد كان يعني منزه ومعرا اند]. ﴿مما يقولون﴾ أي مما يقوله أهل الإفك في حقهم من الأكاذيب الباطلة في جميع الأعصار والأطوار إلى يوم القيامة ﴿لهم مغفرة﴾ عظيمة لما يخلو عنه البشر من الذنب ﴿ورزق كريم﴾ في الجنة أي كثير ويقال حسن.

قال الكاشفي: [يعني ريح وبسيار وپايدار مراد نعيم بهشت است].

قال الراغب: كل شيء يشرف في بابه فإنه يوصف بالكرم وقال بعضهم: الرزق الكريم هو الكفاف الذي لا منة فيه لأحد في الدنيا ولا تبعة له في الآخرة.

يقول الفقير: الظاهر من سوق الآيات ولا سيما من قوله: ﴿مما يقولون﴾ أن المعنى أن الخبيثات من القول: يعني [سخنان ناشا يسته ونا پاك] للخبيثين من الرجال والنساء أي مختصة ولائقة بهم لا ينبغي أن تقاتل في حق غيرهم وكذا الخبيثون من الفريقين أحقاء بأن يقال في حقهم خبائث القول والطيبات من الكلم للطيبين من الفريقين أي مختصة وحقيقة بهم وكذا الطيبون من الفريقين احقاء بأن يقال في شأنهم طيبات الكلم أولئك الطيبون مبرؤون مما يقول الخبيثون في حقهم فمآله تنزيه الصديقة أيضاً.

وقال بعضهم: خبيثات القول مختصة بالخبيثين من فريقي الرجال والنساء لا تصدر عن غيرهم والخبيثون من الفريقين مختصون بخبائث القول متعرضون لها كابن أبي المنافق ومن تابعه في حديث الإفك من المنافقين إذ كل إناء يترشح بما فيه والطيبات من الكلام للطيبين من الفريقين أي مختصة بهم لا تصدر عن غيرهم والطيبون من الفريقين مختصون بطيبات الكلام لا يصدر عنهم غيرها أولئك الطيبون مبرؤون مما يقول الخبيثون من الخبائث أي لا يصدر عنهم مثل ذلك فمآله تنزيه القائلين سبحانك هذا بهتان عظيم.

وقد وقع أن الحسن بن زياد بن يزيد الساعي من أهل طبرستان وكان من العظماء وكان يلبس الصوف ويأمر بالمعروف وكان يرسل في كل سنة إلى بغداد عشرين ألف دينار تفرق على أولاد الصحابة فحصل عنده رجل من أشياع العلويين فذكر عائشة رضي الله عنها بالقبيح فقال الحسن لغلامه: يا غلام اضرب عنق هذا فنهض إليه العلويون وقالوا هذا رجل من شيعتنا

فقال: معاذ الله هذا طعن على رسول الله فإن كانت عائشة خبيثة كان زوجها أيضاً كذلك وحاشاه ﷺ من ذلك بل هو الطيب الطاهر وهي الطيبة الطاهرة المبرأة من السماء يا غلام اضرب عنق هذا الكافر فضرب عنقه. وفي «المثنوي»:

ذرة كاندر همه أرض وسماست جنس خودرا همچو كاه وكهر باست
ناريان مر ناريانرا جازبند نوريان مر نوريانرا طالبند
أهل باطل باطلا نرا مى كشند أهل حق ازاهل حق هم سر خوشتند
طيبات آمد زبهر طيبين الخبيثات للخبيثين است بين

وقال الراغب: الخبيث ما يكره رداءة وخساسة محسوساً كان أو معقولاً وذلك يتناول الباطل في الاعتقاد والكذب في المقال والقبيح في الفعل وقوله: ﴿**الخبيثات للخبيثين**﴾ أي الأعمال الرديئة والاختيارات النبهرجة لأمثالها وأصل الطيب ما يستلذه الحواس وقوله: ﴿**والطيبات للطيبين**﴾ تنبيه على أن الأعمال الطيبة تكون من الطيبين كما روي: «المؤمن اطيب من عمله والكافر اخبث من عمله».

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى خباثة الدنيا وشهواتها أنها للخبيثين من أرباب النفوس المتمردة والخبيثون من أهل الدنيا المطمئنين بها للخبيثات من مستلذات النفس ومشتهيات هواها معناه أنها لا تصلح إلا لهم وأنهم لا يصلحون إلا لها.

وأيضاً الخبيثات من الأخلاق الذميمة والأوصاف الرديئة للخبيثين من الموصوفين بها والطيبات من الأعمال الصالحة والأخلاق الكريمة للطيبين من الصالحين وأرباب القلوب يعني خلقت الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات كقوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٩] وقال عليه السلام: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» وقال عليه الصلاة والسلام: «خلقت الجنة وخلق لها أهل وخلقت النار وخلق لها أهل» وفي «حقائق البقلي» خبيثات هواجس النفس ووساوس الشيطان للباطلين من المرائين والمغالطين وهم لها وطيبات الهام الله بوساطة الملائكة لأصحاب القلوب والأرواح والعقول من العارفين.

وأيضاً الترهات والطامات للمرتابين والحقائق والدقائق من المعارف وشرح الكواشف للعارفين والمحبين انتهى.

وكان مسروق إذا روى عن عائشة رضي الله عنها يقول: حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله المبرأة من السماء، وجاء أن ابن عباس رضي الله عنهما دخل على عائشة في موتها فوجدها وجلة من القدوم على الله فقال لها: لا تخافي فإنك لا تقدمين إلا على مغفرة ورزق كريم فغشي عليها من الفرح بذلك لأنها كانت تقول متحدثة بنعمة الله عليها لقد أعطيت خصالاً ما أعطيتهن امرأة لقد نزل جبريل بصورتي في راحته حتى أمر رسول الله أن يتزوجني ولقد تزوجني بكراً وما تزوج بكراً غيري ولقد توفي وأن رأسه لفي حجري ولقد قبر في بيتي وأن الوحي ينزل عليه في أهله فيتفرقون منه وأنه كان لينزل عليه وأنا معه في لحاف واحد وأبي رضي الله عنه خليفته وصديقه ولقد نزلت براءتي من السماء ولقد خلقت طيبة عند طيب لقد وعدت مغفرة ورزقاً كريماً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ روي: عن عدي بن ثابت عن رجل من الأنصار قال: جاءت امرأة إلى رسول الله عليه السلام فقالت: يا رسول الله إني أكون في بيتي على الحالة التي لا أحب أن يراني عليها أحد فيأتي الآتي فيدخل فكيف أصنع؟ قال: «ارجعي» فنزلت هذه الآية ﴿لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم﴾ [يعني بهيچ خانة بيكانه درميابيد] وصف البيوت بمغايرة بيوتهم خارج مخرج العادة التي هي سكنى كل أحد في ملكه وإلا فالآجر والمعير أيضاً منهيان عن الدخول بغير إذن يقال آجره أكراه والأجرة الكراء وأعاره دفعه عارية. ﴿حتى تستأنسوا﴾ أي تستأذنوا ممن يملك الإذن من أصحابها. وبالفارسية [تا وقتي كه خبر كيريد ودستوري طلبيد].

من الاستئناس بمعنى الاستعلام من آنس الشيء إذا ابصره مكشوفاً فعلم به فإن المستأذن مستعلم للحال مستكشف أنه هل يؤذن له أو لا ومن الاستئناس الذي هو خلاف الاستيحاش لما أن المستأذن مستوحش خائف أن لا يؤذن له فإذا أذن له استأنس ولهذا يقال في جواب القادم المستأذن مرحباً أهلاً وسهلاً أي وجدت مكاناً واسعاً وأتيت أهلاً لا أجانب ونزلت مكاناً سهلاً لا حزناً ليزول به استيحاشه وتطيب نفسه فيؤول المعنى إلى أن يؤذن لكم وهو من باب الكناية حيث ذكر الاستئناس اللازم وأريد الإذن الملزوم.

وعن النبي عليه السلام في معنى الاستئناس حين سئل عنه فقال: «هو أن يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة ويتنحنح يؤذن أهل البيت».

قال في «نصاب الاحتساب»: امرأة دخلت في بيت غير بغير إذن صاحبه هل يحتسب عليها؟ فالجواب: إذا كانت المرأة ذات محرم منه حل لامرأته الدخول في منازل محارم زوجها بغير إذنهم وهذا غريب يجتهد في حفظه ذكره في سرقة «المحيط» ولهذا لو سرقت من بيت محارم زوجها لا قطع عليها عند أبي حنيفة رحمه الله وما في غير ذلك يحتسب عليها كما يحتسب على الرجل لقوله تعالى: ﴿لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا﴾ أي تستأذنوا انتهى.

فالدخول بالإذن من الآداب الجميلة والأفعال المرضية المستتبعة لسعادة الدارين ﴿وتسلموا على أهلها﴾ عند الاستئذان بأن يقول: السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فإن أذن له دخل وسلم ثانياً وإلا رجع. ﴿ذلكم﴾ الاستئذان مع التسليم ﴿خير لكم﴾ من أن تدخلوا بغتة ولو على الأم فإنها تحتمل أن تكون عريانة.

وفيه إرشاد إلى ترك تحية أهل الجاهلية حين الدخول فإن الرجل منهم كان إذا دخل بيتاً غريباً صباحاً. قال: «حييتم صباحاً» وإذا دخل مساء. قال: «حييتم مساء» قال الكاشفي: [وكفته اند كسي كه برعيال خود درمي آيد بايدكه بكلمة يا بآ وازيا بتنحنحى اعلام كند تا أهل آن خانه بستر عورات ودفع مكروهات اقدام نمايند] ﴿لعلكم تذكرون﴾ متعلق بمضمر أي أمرتم به كي تذكروا وتتعظوا وتعلموا بموجبه.

اعلم أن السلام من سنة المسلمين وهو تحية أهل الجنة ومجلبة للمودة وناف للحقد والضغينة روي عنه عليه السلام قال: «لما خلق الله تعالى آدم ونفخ فيه الروح عطس فقال: الحمد لله فقال الله تعالى يرحمك ربك يا آدم اذهب إلى هؤلاء الملائكة وملأ منهم جلوس فقل: السلام عليكم فلما فعل ذلك رجع إلى ربّه قال: هذه تحيتك وتحية ذريتك» وروي عنه عليه السلام قال: «حق المسلم على المسلم ست يسلم عليه إذا لقيه ويجيبه إذا دعاه وينصح له

بالغيب ويشمته إذا عطس ويعوده إذا مرض ويشهد جنازته إذا مات» ثم إنه إذا عرض أمر في دار من حريق أو هجوم سارق أو قتل نفس بغير حق أو ظهور منكر يجب إزالته فحينئذ لا يجب الاستئذان والتسليم فإن كل ذلك مستثنى بالدليل وهو ما قاله الفقهاء من أن مواقع الضرورات مستثناة من قواعد الشرع لأن الضرورات تبيح المحظورات.

قال صاحب «الكشاف»: وكم من باب من أبواب الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل بها وباب الاستئذان من ذلك انتهى.

وفي الآية الكريمة إشارة إلى ترك الدخول والسكون في البيوت المجازية الفانية من الأجساد وترك الاطمئنان بها بل لا بد من سلام الوداع للخلاص فإذا ترك العبد الركون إلى الدنيا الفانية وشهواتها وأعرض عن البيوت التي ليست بدار قرار فقد رجع إلى الوطن الحقيقي الذي حبه من الإيمان.

اكـر خـواهـي وطـن بـيـرون قـدوم نـه

﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

﴿فإن لم تجدوا فيها﴾ أي في تلك البيوت **﴿أحداً﴾** أي ممن يملك الإذن على أن من لا يملكه من النساء والولدان وجدانه كفقدانه أو لم تجدوا أحداً أصلاً **﴿فلا تدخلوها﴾** فاصبروا **﴿حتى يؤذن لكم﴾** أي من جهة من يملك الإذن عند إتيانه فإن في دخول بيت فيه النساء والولدان اطلاعاً على العورات وفي دخول البيوت الخالية اطلاعاً على ما يعتاد الناس إخفاءه مع أن التصرف في ملك الغير محظور مطلقاً. يعني [دخول درخانة خالي بي إذن كسى محل تهمت سرقه است].

يقول الفقير: قد ابتليت بهذا مرة غفلة عن حكم الآية الكريمة فأطال عليّ وعلى رفقائي بعض من خارج البيت لكوننا مجهولين عندهم فوجدت الأمر حقاً **﴿وإن قيل لكم ارجعوا﴾** انصرفوا. **﴿فارجعوا﴾** ولا تقفوا على أبواب الناس، أي أمرتم من جهة أهل البيت بالرجوع سواء كان الأمر ممن يملك الإذن أم لا فارجعوا ولا تلحوا بتكرير الاستئذان كما في الوجه الأول أو لا تلحوا بالإصرار على الانتظار على الأبواب إلى أن يأتي الإذن كما في الثاني فإن ذلك مما يجلب الكراهة في قلوب الناس ويقدح في المروءة أي قدح. **﴿هو﴾** أي: الرجوع **﴿أزكى لكم﴾** أي: أطهر مما لا يخلو عنه اللج والعناد والوقوف على الأبواب من دنس الدناءة والرزالة. **﴿والله بما تعملون عليم﴾** فيعلم ما تأتون وما تذرون مما كلفتموه فيجازيكم عليه.

وفي «التأويلات النجمية»: **﴿فإن لم تجدوا فيها أحداً﴾** يشير إلى فناء صاحب البيت وهو وجود الإنسانية **﴿فلا تدخلوها﴾** بتصرف الطبيعة الموجبة للوجود **﴿حتى يؤذن لكم﴾** بأمر من الله بالتصرف فيها للاستقامة كما أمر. **﴿وإن قيل لكم ارجعوا﴾** أي إلى ربكم **﴿فارجعوا﴾** ولا تتصرفوا فيها تصرف المطمئنين بها. **﴿هو أزكى لكم﴾** لئلا تقعوا في فتنة من الفتن الإنسانية وتكونوا مع الله بالله بلا أنتم. **﴿والله بما تعملون﴾** من الرجوع إلى الله وترك تعلقات البيوت الجسدانية **﴿عليم﴾** خير لكم.

﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿ليس عليكم جناح﴾.

قال في «المفردات» جنحت السفينة أي مالت إلى أحد جانبيها سمي الإثم المائل بالإنسان عن الحق جناحاً ثم سمي كل إثم جناحاً. ﴿أن تدخلوا﴾ أي: بغير استئذان ﴿بيوتاً غير مسكونة﴾ أي غير موضوعة لسكنى طائفة مخصوصة فقط بل لينتفع بها من يضطر إليها كائناً من كان من غير أن يتخذها سكناً كالربط والخانات والحوانيت والحمامات ونحوها فإنها معدة لمصالح الناس كافة كما ينبىء عنه قوله تعالى: ﴿فيها متاع لكم﴾ فإنه صفة للبيوت أي حق تمتع لكم وانتفاع كالاستكنان من الحر والبرد وإيواء الأمتعة والرحال والشراء والبيع والاغتسال وغير ذلك مما يليق بحال البيوت وداخلها فلا بأس بدخولها بغير استئذان من قوام الرباطات والخانات وأصحاب الحوانيت ومتصرفي الحمامات ونحوهم. ﴿والله يعلم ما تبدون﴾ تظهرون ﴿وما تكتمون﴾ تستترون وعيد لمن يدخل مدخلاً من هذه المداخل لفساد أو اطلاع على عورات.

قال في «نصاب الاحتساب»: رجل له شجرة فرصاد قد باع أغصانها فإذا ارتقاها المشتري يطلع على عورات الجار قال: يرفع الجار إلى القاضي حتى يمنعه من ذلك.

قال الصدر الشهيد في «واقعات المختار» أن المشتري يخبرهم وقت الارتقاء مرة أو مرتين حتى يستروا أنفسهم لأن هذا جمع بين الحقين وإن لم يفعل إلى أن يرفع الجار إلى القاضي فإن رأى القاضي المنع كان له ذلك. ولو فتح كوّة في جداره حتى وقع نظره فيها إلى نساء جاره يمنع من ذلك.

وفي «البستان»: لا يجوز لأحد أن ينظر في بيت غيره بغير إذنه فإن فعل فقد أساء وأثم في فعله فإن نظر ففقأ صاحب البيت عينه اختلفوا فيه قيل: لا شيء عليه وقيل: عليه الضمان وبه نأخذ.

وكان عمر رضي الله عنه يعس ليلة مع ابن مسعود رضي الله عنه فاطلع من خلل باب فإذا شيخ بين يديه شراب وقينة تغنيه فتسورا فقال عمر رضي الله عنه: ما صح لشيخ مثلك أن يكون على مثل هذه الحالة فقام إليه الرجل فقال: يا أمير المؤمنين أنشدك بالله إلا ما أنصفتني حتى أتكلم قال: قل قال: إن كنت عصيت الله في واحدة فقد عصيت أنت في ثلاث قال: ما هن؟ قال: تجسست وقد نهاك الله فقال: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢] وتسورت وقد قال الله: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ إلى ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩] ودخلت بغير إذن وقد قال الله: ﴿لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها﴾ فقال عمر: صدقت فهل أنت غافر لي فقال: غفر الله لك فخرج عمر يبكي ويقول: ويل لعمر إن لم يغفر الله له.

فإن قلت: دل هذا على أن المحتسب لا يدخل بيتاً بلا إذن وقد صح أنه يجوز له الدخول في بيت من يظهر البدع بلا إذن.

قلت: هذا فيما أظهر وذلك فيما أخفى.

وفي «التأويلات النجمية»: في الآية إشارة إلى جواز تصرف السالك الواصل في بيت الجسد الذي هو غير مسكون لصاحبه وهو الإنسانية لفنائها عن وجودها بإفناء الحق تعالى فيها متاع لكم أي الآلات والأدوات التي تحتاجون إليها عند السير في عالم الله ولتحصيلها بعثت

الأرواح إلى أسفل سافلين الأجساد والله يعلم ما تبدون من تصرفاتكم بالآلات الإنسانية وما تكتمون من نياتكم أنها لطلب رضى الله تعالى أو لهوى نفوسكم انتهى. قال الجامي قدس سره:

جيت خاص أست كه كنج كهر اخلاص است

نيست اين درثمين دربغل هردغلي

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿**قل**﴾ يا محمد ﴿**للمؤمنين**﴾ حذف مفعول الأمر تعويلاً على دلالة جوابه عليه أي قل لهم: غضوا ﴿**يغضوا من أبصارهم**﴾ عما يحرم. وبالفارسية [بپوشند ديدهاى خودرا ازديدن نا محرم كه نظر سبب فتنه است].

والغض إطباق الجفن بحيث يمنع الرؤية ولما كان ما حرم النظر إليه بعضاً من جملة المبصرات تبعض البصر باعتبار تبعض متعلقه فجعل ما تعلق بالمحرم بعضاً من البصر وأمر بغضه ﴿**ويحفظوا فروجهم**﴾ عمن لا يحل أو يستروها حتى لا تظهر والفرج الشق بين الشيئين كفرجة الحائط والفرج ما بين الرجلين وكني به عن السوءة وكثر حتى صار كالصريح فيه أتى بمن التبعيضية في جانب الأبصار دون الفروج مع أن المأمور به حفظ كل واحد منهما عن بعض ما تعلقا به فإن المستثنى من البصر كثير فإن الرجل يحل له النظر إلى جميع أعضاء أزواجه وأعضاء ما ملكت يمينه وكذا لا بأس عليه في النظر إلى شعور محارمه وصدورهن وثديهن وأعضائهن وسوقهن وأرجلهن وكذا من أمة الغير حال عرضها للبيع ومن الحرة الأجنبية إلى وجهها وكفيها وقدميها في رواية في القدم بخلاف المستثنى من الفرج فإنه شيء نادر قليل وهو فرج زوجته وأمته فلذلك أطلق لفظ الفرج ولم يقيد بما استثنى منه لقلته وقيد غض البصر بحرف التبعض ﴿**ذلك**﴾ أي ما ذكر من الغض والحفظ. ﴿**أزكى لهم**﴾ أي أطهر لهم من دنس الريبة ﴿**إن الله خبير بما يصنعون**﴾ لا يخفى عليه شيء فليكونوا على حذر منه في كل حركة وسكون روي: عن عيسى ابن مريم عليهما السلام أنه قال: إياكم والنظرة فإنها تزرع في القلب شهوة.

قال الكاشفي [در ذخيرة الملوك آورده كه تيزرو ترين پيكى شيطانرا درو جود إنسان چشم است زيرا حواس ديكر درمسما كن خود اند وتا چيري بديشان نميررسد باستدراج آن مشغول نميتوانند شد اماديده حاسه ايست كه ازدور ونزديك ابتلا وانام راصيد ميكند]:

اين همه آفت كه بتن ميرسد   از نظر توبه شكن ميرسد

ديده فروپوش چودر در صدف   تانشوى تير بلارا هدف

وفي «النصاب»: النظرة الأولى عفو والذي يليها عمد وفي الأثر: «يا ابن آدم لك النظرة الأولى فما بال الثانية» وفي الحديث: «اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم وأوفوا إذا وعدتم وأدوا ما ائتمنتم واحفظوا فروجكم وغضّوا أبصاركم وكفوا أيديكم»، وفي الحديث: «بينما رجل يصلي إذ مرت به امرأة فنظر إليها واتبعها بصره فذهبت عيناه».

قال الشيخ نجم الدين في «تأويلاته»: يشير إلى غض أبصار الظواهر من المحرمات وأبصار النفوس عن شهوات الدنيا ومألوفات الطبع ومستحسنات الهوى وأبصار القلوب عن رؤية الأعمال ونعيم الآخرة وأبصار الأسرار عن الدرجات والقربات وأبصار الأرواح عن الالتفات لما سوى الله وأبصار الهمم عن العلل بأن لا يروا أنفسهم أهلاً للشهود من الحق سبحانه غيرة عليه تعظيماً وإجلالاً ويشير أيضاً إلى حفظ فروج الظواهر عن المحرمات وفروج البواطن عن التصرفات في الكونين لعله دنيوية أو أخروية. ﴿ذلك أزكى لهم﴾ صيانة عن تلوث الحدوث ورعاية للحقوق عن شوب الحظوظ. ﴿إن الله خبير بما يصنعون﴾ يعملون للحقوق والحظوظ اللهم اجعلنا من الذين يراعون الحقوق في كل عمل.

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾.

﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن﴾ فلا ينظرن إلى ما لا يحل لهن النظر إليه من الرجل وهي العورة عند أبي حنيفة وأحمد. وعند مالك ما عدا الوجه والأطراف والأصح من مذهب الشافعي أنها لا تنظر إليه كما لا ينظر هو إليها ﴿ويحفظن فروجهن﴾ بالتصون عن الزنى أو بالتستر ولا خلاف بين الأئمة في وجوب ستر العورة عن اعين الناس.

واختلفوا في العورة ما هي فقال أبو حنيفة عورة الرجل ما تحت سرته إلى تحت ركبته والركبة عورة.

وفي «نصاب الاحتساب»: من لم يستر الركبة ينكر عليه برفق لأن في كونها عورة اختلافاً مشهوراً ومن لم يستر الفخذ يعنف عليه ولا يضرب لأن في كونها عورة خلاف بعض أهل الحديث. ومن لم يستر السوءة يؤدب إذ لا خلاف في كونها عورة عن كراهية الهداية انتهى. ومثل الرجل الأمة وبالأولى بطنها وظهرها لأنه موضع مشتهى والمكاتبة وأم الولد والمدبرة كالأمة وجميع الحرة عورة إلا وجهها وكفيها والصحيح عنده أن قدميها عورة خارج الصلاة لا في الصلاة وقال مالك عورة الرجل فرجاه وفخذاه والأمة مثله وكذا المدبرة والمعتقة إلى أجل والحرة كلها عورة إلا وجهها ويديها ويستحب عنده لأم الولد أن تستر من جسدها ما يجب على الحرة ستره والمكاتبة مثلها وقال الشافعي وأحمد: عورة الرجل ما بين السرة والركبة وليست الركبة من العورة وكذا الأمة والمكاتبة وأم الولد والمدبرة والمعتق بعضها والحرة كلها عورة سوى الوجه والكفين عند الشافعي وعند أحمد سوى الوجه فقط على الصحيح وأما سرة الرجل فليست من العورة بالاتفاق كذا في «فتح الرحمٰن» وتقديم الغض لأن النظر يريد الزنى ورائد الفساد يعني أن الله تعالى قرن النهي عن النظر إلى المحارم بذكر حفظ الفرج تنبيهاً على عظم خطر النظر فإنه يدعو إلى الإقدام على الفعل وفي الحديث: «النظر سهم من سهام إبليس» قيل: من أرسل طرفه اقتنص حتفه: وفي «المثنوي»:

كـرزنـاى چـشـم حـظـى مـي بـرى نى كـبـاب ازپـهـلوى خـود مي خـورى
ايـن نـظـر ازدور چـون تـيـرست وسـم عـشـقـت افـزون مـي شـود صـبـرتـوكـم

﴿ولا يبدين زينتهن﴾ فضلاً عن إبداء مواقعها يقال بدا الشيء بدواً وبدوّاً أي ظهر ظهوراً بيناً وأبدى أظهر. ﴿إلا ما ظهر منها﴾ [مكر آنچه ظاهر شود ازان زينت بوقت ساختن كارها چون خاتم وأطراف ثياب وكحل درعين وخضاب دركف] فإن في سترها حرجاً بيناً.

قال ابن الشيخ: الزينة ما تزينت به المرأة من حلي أو كحل أو ثوب أو صبغ فما كان منها ظاهراً كالخاتم والفتخة وهي ما لا فص فيه من الخاتم والكحل والصبغ فلا بأس بابدائه للأجانب بشرط الأمن من الشهوة وما خفي منها كالسوار والدملج وهي خلقة تحملها المرأة على عضدها والوشاح والقرط فلا يحل لها إبداؤها إلا للمذكورات فيما بعد بقوله: ﴿إلا لبعولتهن﴾.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى كتمان ما زين الله به سرائرهم من صفاء الأحوال وزكاء الأعمال فإنه بالإظهار ينقلب الزين شيناً إلا ما ظهر منها وارد حق أو يظهر على أحد منهم نوع كرامة بلا تعمله وتكلفه فذلك مستثنى لأنه غير مؤاخذ بما لم يكن بتصرفه وتكلفه انتهى.

قال في «حقائق البقلي»: فيه استشهاد على أنه لا يجوز للعارفين أن يبدوا زينة حقائق معرفتهم وما يكشف الله لهم من عالم الملكوت وأنوار الذات والصفات ولا المواجيد إلا ما ظهر منها بالغلبات من الشهقات والزعقات والاصفرار والاحمرار وما يجري على ألسنتهم بغير اختيارهم من كلمات السطح والإشارات المشاكلة وهذه الأحوال أشرف زينة للعارفين.

قال بعضهم: أزين ما تزين به العبد الطاعة فإذا أظهرها فقد ذهبت زينتها.

وقال بعضهم: الحكمة في هذه الآية لأهل المعرفة أنه من أظهر شيئاً من أفعاله إلا ما ظهر عليه من غير قصد له فيه سقط به عن رؤية الحق لأن من وقع عليه رؤية الخلق ساقط عن رؤية الحق. قال الشيخ سعدي قدس سره:

هـمـان بـه كـر آبـسـتـن كـوهـرى كه همـچـون صدف سر بـخـود دربرى

وفي «المثنوي»:

دانـد وبـوشـد بـأمـر ذي الـجـلال كـه نـبـاشـد كـشـف را ازحـق حـلال
سـر غـيـب آنـرا سـنـرد آمـوخـتـن كـه زكـفـتـن لـب تـوانـد دوخـتـن

﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ ضمن الضرب معنى الإلقاء ولذا عدي بعلى. والخمر جمع خمار وهو ما تغطي به المرأة رأسها وتسترها وما ليس بهذه الصفة فليس بخمار.

قال في «المفردات»: أصل الخمر ستر الشيء ويقال لما يستر به خمار لكن الخمار صار في التعارف اسماً لما تغطي به المرأة رأسها. والجيوب جمع جيب وهو ما جيب من القميص أي قطع لإدخال الرأس. والمعنى وليلقين مقانعهن على جيوبهن ليسترن بذلك شعورهن وقروطهن وأعناقهن عن الأجانب. وبالفارسية: [وبايدكه فرو كذا رند مقنعهاى خودرا بر كريبا نهاي خويش يعني كردن خودرا بمقنعه بپوشند تاشوى وبنا كوش وكردن وسينة ايشان پوشيده ماند].

وفيه دليل على أن صدر المرأة ونحرها عورة لا يجوز للأجنبي النظر إليها ﴿ولا يبدين

زينتهن﴾ أي: الزينة الخفية كالسوار والدملج والوشاح والقرط ونحوها فضلاً عن إبداء مواقعها كرره لبيان من يحل له الإبداء ومن لا يحل له.

وقال أبو الليث: لا يظهر مواضع زينتهن وهو الصدر والساق والساعد والرأس لأن الصدر موضع الوشاح والساق موضع الخلخال والساعد موضع السوار والرأس موضع الإكليل فقد ذكر الزينة وأراد بها موضع الزينة انتهى. ﴿إلا لبعولتهن﴾.

قال في «المفردات»: البعل هو الذكر من الزوجين وجمعه بعولة كفحل وفحولة انتهى أي إلا لأزواجهن فإنهم المقصودون بالزينة ولهم أن ينظروا إلى جميع بدنهن حتى الموضع المعهود خصوصاً إذا كان النظر لتقوية الشهوة إلا أنه يكره له النظر إلى الفرج بالاتفاق حتى إلى فرج نفسه لأنه يروي أنه يورث الطمس والعمى وفي كلام عائشة رضي الله عنها ما رأى مني ولا رأيت منه أي عورة.

قال في «النصاب»: أي الزينة الباطنة يجوز إبداؤها لزوجها وذلك لاستدعائه إليها ورغبة فيها ولذلك لعن رسول الله عليه السلام السلقاء والمرهاء فالسلقاء التي لا تختضب والمرهاء التي لا تكتحل. ﴿أو آبائهن﴾ والجد في حكم الأب. ﴿أو آباء بعولتهن﴾ [ياپدران شوهران خويش كه ايشان حكم آباء دارند] ﴿أو أبنائهن﴾ [ياپسران خويش وپسرپسر هرچندباشد درين داخلست] ﴿أو أبناء بعولتهن﴾ [يا پسران شوهران خودچه ايشان در حكم پسر انند مر زنرا] ﴿أو إخوانهن﴾ [ياپسران برادران خودكه حكم برادران دارند]. ﴿أو بني إخوانهن﴾ [يا پسران برادران خود] ﴿أو بني أخواتهن﴾ [ياپسران خواهران خود واينها جماعتى اندكه نكاح زن با ايشان روا نيست كه] والعلة كثرة المخالطة الضرورية بينهم وبينهن وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في طباع الفريقين من النفرة عن مماسة القرائب ولهم أن ينظروا منهن إلى ما يبدو عند الخدمة.

قال في «فتح الرحمٰن»: فيجوز لجميع المذكورين عند الشافعي النظر إلى الزينة الباطنة سوى ما بين السرة والركبة إلا الزوج فيباح له ما بينهما.

وعند مالك ينظرون إلى الوجه والأطراف.

وعند أبي حنيفة: ينظرون إلى الوجه والرأس والصدر والساقين والعضدين ولا ينظرون إلى ظهرها وبطنها وفخذها.

وعند أحمد: ينظرون إلى ما يظهر غالباً كوجه ورقبة ويد وقدم ورأس وساق.

قال أبو الليث: النظر إلى النساء على أربع مراتب في وجه يجوز النظر إلى جميع أعضائهن وهو النظر إلى زوجته وأمته، وفي وجه يجوز النظر إلى الوجه والكفين وهو النظر إلى المرأة التي لا تكون محرماً له ويأمن كل واحد منهما على نفسه فلا بأس بالنظر عند الحاجة، وفي وجه يجوز النظر إلى الصدر والرأس والساق والساعد وهو النظر إلى امرأة ذي رحم أو ذات رحم محرم مثل الأم والأخت والعمة والخالة وامرأة الأب وامرأة الابن وأم المرأة سواء كان من قبل الرضاع أو من قبل النسب وفي وجه لا يجوز النظر إلى شيء وهو أن يخاف أن يقع في الإثم إذا نظر انتهى وعدم ذكر الأعمام والأخوال لما أن الأحوط أن يتسترن عنهم حذراً من أن يصفوهن لأبنائهم فإن تصور الأبناء لها بالوصف كنظرهم إليها. ﴿أو نسائهن﴾ المختصات بهن بالصحبة والخدمة من حرائر المؤمنات فإن الكوافر لا يتأثمن عن وصفهن

للرجال فيكون تصور الأجانب إياها بمنزلة نظرهم إليها فإن وصف مواقع زين المؤمنات للرجال الأجانب معدود من جملة الآثام عند المؤمنات فالمراد بنسائهن نساء أهل دينهن وهذا قول أكثر السلف.

قال الإمام: قول السلف محمول على الاستحباب والمذهب أن المراد بقوله: ﴿**أو نسائهن**﴾ جميع النساء».

يقول الفقير: أكثر التفاسير المعتبرة مشحون بقول السلف فإنهم جعلوا المرأة اليهودية والنصرانية والمجوسية والوثنية في حكم الرجل الأجنبي فمنعوا المسلمة من كشف بدنها عندهن إلا أن تكون أمة لها كما منعوها من التجرد عند الأجانب والظاهر أن العلة في المنع شيئان عدم المجانسة ديناً فإن الإيمان والكفر فرق بينهما وعدم الأمن من الوصف المذكور فلزم اجتناب العفائف عن الفواسق وصحبتها والتجرد عندها. ولذا منع المناكحة بين أهل السنة وبين أهل الاعتزال كما في «مجمع الفتاوى»: وذلك لأن اختلاف العقائد والأوصاف كالتباين في الدين والذات وأصلح الله نساء الزمان فإن غالب أخلاقهن كأخلاق الكوافر فكيف تجتمع بهن وبالكوافر في الحمام ونحوه من كانت بصدد العفة والتقوى. وكتب عمر رضي الله عنه إلى أبي عبيدة أن يمنع الكتابيات من دخول الحمامات مع المسلمات: ﴿**أو ما ملكت أيمانهن**﴾ أي: من الإماء فإن عبد المرأة بمنزلة الأجنبي منها خصياً كان أو فحلاً وهو قول أبي حنيفة رحمه الله وعليه عامة العلماء فلا يجوز لها الحج ولا السفر معه وإن جاز رؤيته إياها إذا وجد الأمن من الشهوة.

وقال ابن الشيخ: فإن قيل: ما الفائدة في تخصيص الإماء بالذكر بعد قوله ﴿**أو نسائهن**﴾ فالجواب والله أعلم أنه تعالى لما قال: أو نسائهن دل ذلك على أن المرأة لا يحل لها أن تبدي زينتها للكافرات سواء كن حرائر أو إماء لغيرها أو لنفسها فلما قال: ﴿**أو ما ملكت أيمانهن**﴾ مطلقاً أي مؤمنات كنّ أو مشركات علم أنه يحل للأمة أن تنظر إلى زينة سيدتها مسلمة كانت الأمة أو كافرة لما في كشف مواضع الزينة الباطنة لأمتها الكافرة في أحوال استخدامها إياها من الضرورة التي لا تخفى ففارقت الحرة الكافرة بذلك. ﴿**أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال**﴾ الإربة الحاجة، أي الرجال الذين هم أتباع أهل البيت لا حاجة لهم في النساء وهم الشيوخ الاهمام والممسوخون بالخاء المعجمة وهم الذين حولت قوتهم وأعضاؤهم عن سلامتها الأصلية إلى الحالة المنافية لها المانعة من أن تكون لهم حاجة في النساء وأن يكون لهن حاجة فيهم ويقال للممسوخ المخنث وهو الذي في أعضائه لين وفي لسانه تكسر بأصل الخلقة فلا يشتهي النساء وفي المجبوب والخصي خلاف والمجبوب من قطع ذكره وخصيتاه معاً من الجب وهو القطع والخصى من قطع خصيتاه والمختار أن الخصى والمجبوب والعنين في حرمة النظر كغيرهم من الفحولة لأنهم يشتهون ويشتهون وإن لم تساعد لهم الآلة. يعني [ايشانرا آرزوى مباشرت هست غايتش آنكه أنابي بران نيست].

قال بعضهم: قوله تعالى: ﴿**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم**﴾ محكم وقوله ﴿**والتابعين**﴾ مجمل والعمل بالمحكم أولى فلا رخصة للمذكورين من الخصي ونحوه في النظر إلى محاسن النساء وإن لم يكن هناك احتمال الفتنة.

وفي «الكشاف»: لا يحل إمساك الخصيان واستخدامهم وبيعهم وشراؤهم ولم ينقل عن

أحد من السلف إمساكهم انتهى.

وفي «النصاب»: قرأت في بعض الكتب أن معاوية دخل على النساء ومعه خصي مجبوب فنفرت منه امرأة فقال معاوية: إنما هو بمنزلة امرأة فقالت: أترى أن المثلة به قد أحلت ما حرم الله من النظر فتعجب من فطنتها وفقهها انتهى.

وفي «البستان»: أنه لا يجوز خصاء بني آدم لأنه لا منفعة فيه لأنه لا يجوز للخصي أن ينظر إلى النساء كما لا يجوز للفحل بخلاف خصاء سائر الحيوانات ألا ترى أن خصي الغنم أطيب لحماً وأكثر شحماً وقس عليه غيره. ﴿أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء﴾ لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع أو لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والقدرة. وبالفارسية [تمييز ندارند وازحال مباشرت بي خبرند با آنكه قادر نيستند براتيان زنان يعني بالغ نشده وبحد شهوت نرسيده] والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف كالعدو في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ﴾ [الشعراء: ٧٧].

قال في «المفردات»: الطفل الولد ما دام ناعماً والطفيلي رجل معروف بحضور الدعوات.

وفي «تفسير الفاتحة»: للمولى الفناري حد الطفل من أول ما يولد إلى أن يستهل صارخاً إلى انقضاء ستة أعوام انتهى. والعورة سوءة الإنسان وذلك كناية وأصلها من العار وذلك لما يلحق في ظهورها من العار أي المذمة ولذلك سمى النساء عورة ومن ذلك العوراء أي الكلمة القبيحة كما في «المفردات».

قال في «فتح القريب»: العورة كل ما يستحيي منه إذا ظهر وفي الحديث: «المرأة عورة جعلها نفسها عورة لأنها إذا ظهرت يستحيي منها كما يستحيي من العورة إذا ظهرت».

قال أهل اللغة: سميت العورة عورة لقبح ظهورها ولغض الأبصار عنها مأخوذة من العور وهو النقص والعيب والقبح ومنه عور العين.

يقول الفقير: يفهم من عبارة الطفل أن التقوى منع الصبيان حضرة النساء بعد سبع سنين فإن ابن السبع وإن لم يكن في حد الشهوة لكنه في حد التمييز مع أن بعض من لم يبلغ حد الحلم مشتهى فلا خير في مخالطة النساء.

وفي «ملتقط الناصري»: الغلام إذا بلغ مبلغ الرجال ولم يكن صبيحاً فحكمه حكم الرجال وإن كان صبيحاً فحكمه حكم النساء وهو عورة من قرنه إلى قدمه يعني لا يحل النظر إليه عن شهوة. فأما السلام والنظر لا عن شهوة فلا بأس به ولهذا لم يؤمر بالنقاب حكي: أن واحداً من العلماء مات فرؤي في المنام وقد اسود وجهه فسئل عن ذلك فقال رأيت غلاماً في موضع كذا فنظرت إليه فاحترق وجهي في النار.

قال القاضي: سمعت الإمام يقول: إن مع كل امرأة شيطانين ومع كل غلام ثمانية عشر شيطاناً. ويكره مجالسة الأحداث والصبيان والسفهاء لأنه يذهب بالمهابة كما في «البستان».

قال في «أنوار المشارق»: يحرم على الرجل النظر إلى وجه الأمرد إذا كان حسن الصورة سواء نظر بشهوة أم لا وسواء أمن من الفتنة أم خافها ويجب على من في الحمام أن يصون نظره ويده وغيرهما عن عورة غيره وأن يصون عورته عن نظر غيره ويجب الإنكار على كاشف العورة ﴿ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين﴾ أي: يخفينه من الرؤية ﴿من زينتهن﴾ أي لا

يضربن بأرجلهن الأرض ليتقعقع خلخالهن فيعلم أنهن ذوات خلخال فإن ذلك مما يورث الرجال ميلاً إليهن ويوهم أن لهن ميلاً إليهم وإذا كان إسماع صوت خلخالها للأجانب حراماً كان رفع صوتها بحيث يسمع الأجانب كلامها حراماً بطريق الأولى لأن صوت نفسها أقرب إلى الفتنة من صوت خلخالها ولذلك كرهوا أذان النساء لأنه يحتاج فيه إلى رفع الصوت.

يقول الفقير: وبهذا القياس الخفي ينجلي أمر النساء في باب الذكر الجهري في بعض البلاد فإن الجمعية والجهر في حقهن مما يمنع عنه جداً وهن مرتكبات للإثم العظيم بذلك إذ لو استحب الجمعية والجهر في حقهن لاستحب في حق الصلاة والأذان والتلبية.

قال في «نصاب الاحتساب»: ومما يحتسب على النساء اتخاذ الجلاجل في أرجلهن لأن اتخاذ الجلاجل في رجل الصغير مكروه ففي المرأة البالغة أشد كراهة لأنه مبنى حالهن على التستر ﴿**وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون**﴾ إذ لا يكاد يخلو أحدكم من تفريط في أمره ونهيه سيما في الكف عن الشهوات. وجميعاً حال من فاعل توبوا أي حال كونكم مجتمعين. وبالفارسية [همه شما] وأيها المؤمنون تأكيد للإيجاب وإيذان بأن وصف الإيمان موجب للامتثال حتماً.

وفي هذه الآية دليل على أن الذنب لا يخرج العبد من الإيمان لأنه قال: ﴿**أيها المؤمنون**﴾ بعدما أمر بالتوبة التي تتعلق بالذنب ﴿**لعلكم تفلحون**﴾ تفوزون بسعادة الدارين وصى الله تعالى جميع المؤمنين بالتوبة والاستغفار لأن العبد الضعيف لا ينفك عن تقصير يقع منه وإن اجتهد في رعاية تكاليف الله تعالى.

إمام قشيري رحمه الله تعالى: [فرموده كه محتاجتر بتوبه آنكس است كه خودرا محتاج توبه نداند].

در كشف الأسرار آورده كه همه را از مطيع وعاصي بتوبه أمر فرمود تا عاصي خجل زده نشود چه اكر فرمودى كه أي كنهكاران شما توبه كنيد موجب رسوايى ايشان شدى چون دردنيا ايشانرا رسوا نمى خواهند اميدهست درعقبى هم رسوا نكند].

چو رسوا نكردى بچندين خطا　　درين عالم پيش شاه وكدا
دران عالم هم برخاص وعام　　بيامرز ورسوا مكن والسلام

قال في «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن التوبة كما هي واجبة على المبتدىء من ذنوب مثله كذلك لازمة للمتوسط والمنتهي فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين وكان رسول الله ﷺ يقول: «توبوا إلى الله جميعاً فإني أتوب إليه في كل يوم مائة مرة» فتوبة المبتدىء من المحرمات وتوبة المتوسط من زوائد المحللات وتوبة المنتهي بالإعراض عما سوى الله بكليته والإقبال على الله بكليته ﴿**لعلكم تفلحون**﴾ ففلاح المبتدىء من النار إلى الجنة والمتوسط من أرض الجنة إلى أعلى عليين مقامات القرب ودرجاتها والمنتهي من حبس الوجود المجازي إلى الوجود الحقيقي ومن ظلمة الخلقية إلى نور الربوبية: وفي «المثنوي»:

چون تجلى كرد أوصاف قديم　　پس بسوزد وصف حادث را كليم
قرب نى بالأويستي رفتن است　　قرب حق ازحبس هستي رستن است

قال بعض الكبار: إن الله تعالى طالب المؤمنين جميعاً بالتوبة ومن آمن بالله وترك الشرك فقد تاب وصحت توبته ورجوعه إلى الله وإن خطر عليه خاطر أو جرى عليه معصية في حين

التوبة فإن المؤمن إذا جرى عليه معصية ضاق صدره واهتم قلبه وندم روحه ورجع سره هذا للعموم والإشارة في الخصوص أن الجميع محجوبون بأصل النكرة وما وجدوا منه من القربة وسكنوا بمقاماتهم ومشاهداتهم ومعرفتهم وتوحيدهم أي أنتم في حجب هذا المقام توبوا منها إليّ فإن رؤيتها أعظم الشرك في المعرفة لأن من ظن أنه واصل فليس له حاصل من معرفة وجوده وكنه جلال عزته فمن هذا أوجب التوبة عليهم في جميع الأنفاس لذلك هجم حبيب الله في بحر الفناء وقال: «إنه ليغان على قلبي وأني لاستغفر الله في كل يوم مائة مرة» ففهم أن عقيب كل توبة توبة حتى تتوب من التوبة وتقع في بحر الفناء من غلبة رؤية القدم والبقاء اللهم اجعلنا فانين باقين.

﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وأنكحوا الأيامى منكم﴾ مقلوب أيايم جمع أيم كيتامى مقلوب يتايم جميع يتيم فقلب قلب مكان ثم أبدلت الكسرة فتحة والياء ألفاً فصار أيامى ويتامى والأيم من لا زوج له من الرجال والنساء بكراً كان أو ثيباً.

تال في «المفردات»: الأيم المرأة التي لا بعل لها وقد قيل للرجل الذي لا زوج له وذلك على طريق التشبيه بالمرأة لا على التحقيق. والمعنى زوجوا أيها الأولياء والسادات من لا زوج له من أحرار قومكم وحرائر عشيرتكم فإن النكاح سبب لبقاء النوع وحافظ من السفاح. **﴿والصالحين من عبادكم وإمائكم﴾**.

قال في «الكواشي»: أي الخيرين أو المؤمنين. وقال في «الوسيط»: معنى الصلاح ههنا الإيمان. وفي «المفردات»: الصلاح ضد الفساد وهما مختصان في أكثر الاستعمال بالأفعال وتخصيص الصالحين فإن من لا صلاح له من الأرقاء بمعزل من أن يكون خليقاً بأن يعتني مولاه بشأنه ويشفق عليه ويتكلف في نظم مصالحه بما لا بد منه شرعاً وعادة من بذل المال والمنافع بل حقه أن لا يستبقيه عنده وأما عدم اعتبار الصلاح في الأحرار والحرائر فلأن الغالب فيهم الصلاح.

يقول الفقير: قد أطلق في هذه الآية الكريمة العبد والأمة على الغلام والجارية وقد قال عليه السلام: «لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم إماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي» والجواب أن ذلك إنما يكره إذا قاله على طريق التطاول على الرقيق والتحقير لشأنه والتعظيم لنفسه فسقط التعارض والحمد لله تعالى: **﴿إن يكونوا﴾** [اكرباشند ايامى وصلحاً ازعباد وأما] **﴿فقراء﴾** [درويشان وتنكدستان] **﴿يغنهم الله من فضله﴾** أي لا يمنعن فقر الخاطب والمخطوبة من المناكحة فإن في فضل الله غنية عن المال فإنه غاد ورائح [كه كاه آيدوكه رود مال وجاه] والله يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب.

قال بعضهم: من صح افتقاره إلى الله صح استغناؤه بالله ﴿والله واسع﴾ غني ذو سعة لا تنفد نعمته إذ لا تنتهي قدرته ﴿عليم﴾ يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر على ما تقتضيه حكمته.

اتفق الأئمة على أن النكاح سنة لقوله عليه السلام: «من أحب فطرتي فليستنّ بسنتي ومن سنتي النكاح» وقوله عليه السلام: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» فإن كان تائقاً، أي: شديد الاشتياق إلى الوطء يخاف العنت وهو الزنى وجب عليه عند أبي حنيفة وأحمد وقال مالك والشافعي هو مستحب لمحتاج إليه يجد أهبة ومن لم يجد التوقان فقال أبو حنيفة: النكاح له أفضل من نفل العبادة وقال مالك والشافعي بعكسه وعند الشافعي إن لم يتعبد فالنكاح أفضل.

واختلفوا في تزويج المرأة نفسها فأجازه أبو حنيفة لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٢] نهى الرجال عن منع النساء عن النكاح فدل على أنهن يملكن النكاح ومنعه الثلاثة وقالوا: إنما يزوجها وليها بدليل هذه الآية لأن الله تعالى خاطب الأولياء به كما أن تزويج العبيد والإماء إلى السادات واختلفوا هل يجبر السيد على تزويج رقيقه إذا طلب ذلك فقال أحمد: يلزمه ذلك إلا أمة يستمتع بها فإن امتنع من الواجب عليه فطلب العبد البيع لزمه بيعه وخالفه الثلاثة.

قال في «الكواشي»: وهذا أمر ندب أي ما وقع في الآية. قال في «ترجمة الفتوحات»: [واكرم عزم نكاح كنى جهد كن كه ازقريشيات بدست كنى واكر ازاهل بيت باشد بهتر ونيكوتر رسول الله ﷺ فرموده كه بهترين زنانى كه برشتر سوار شدند زنان قريش اند] قال الزجاج: حث الله على النكاح وأعلم أنه سبب لنفي الفقر ولكن الغنى على وجهين: غنى بالمال وهو أضعف الحالين وغنى بالقناعة وهو أقوى الحالين وإنما كان النكاح سبب الغنى لأن العقد الديني يجلب العقد الدنيوي إما من حيث لا يحتسبه الفقر أو من حيث أن النكاح سبب للجد في الكسب والكسب ينفي الفقر.

رزق اكر چند بيكمان برسد شرط عقلست جستن ازدرها

واختلف الأئمة في الزوج إذا أعسر بالصداق والنفقة والكسوة والمسكن هل تملك المرأة فسخ نكاحها فقال أبو حنيفة رحمه الله: لا تملك الفسخ بشيء من ذلك وتؤمر بالاستدانة للنفقة لتحيل عليه فإذا فرضها القاضي وأمرها بالاستدانة صارت ديناً عليه فتتمكن من الإحالة عليه والرجوع في تركته لو مات. روي عن جعفر بن محمد أن رجلاً شكا إليه الفقر فأمره أن يتزوج فتزوج الرجل ثم جاء فشكا إليه الفقر فأمره أن يطلقها فسئل عن ذلك فقال: قلت لعله من أهل هذه الآية ﴿إن يكونوا فقراء﴾ الخ فلما لم يكن من أهلها قلت لعله من أهل آية أخرى ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٠].

قال بعضهم: ربما كان النكاح واجب الترك إذا أدى إلى معصية أو مفسدة وفي الحديث: «يأتي على الناس زمان لا ينال فيه المعيشة إلا بالمعصية فإذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة» وفي الحديث: «إذا أتى على أمتي مائة وثمانون سنة فقد حلت لهم العزوبة والترهب على رؤوس الجبال» كما في «تفسير الكواشي».

قال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه: إذا نفد عدد حروف بسم الله الرحمٰن الرحيم فإنه يكون أوان خروج المهدي من بطن أمه، وقد نظم حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر هذا المعنى في بيتين بقوله:

إذا نفد الزمان على حروف ببسم الله فالمهدي قاما
ودورات الخروج عقيب صوم ألا بلغه من عندي سلاما

ولولا الحسد لظهر سر العدد انتهى.

يقول الفقير: إن اعتبر كل راء مكرراً لأن من صفتها التكرار يبلغ حساب الحروف إلى ألف ومائة وستة وثمانين فالظاهر من حديث الكواشي أن المراد مائة وثمانون بعد الألف وعليه قوله عليه السلام: «خيركم بعد المائتين خفيف الحاذ» قالوا: ما خفيف الحاذ يا رسول الله قال: «الذي لا أهل له ولا ولد».

وفي «التأويلات النجمية» ﴿**وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم**﴾ يشير إلى المريدين الطالبين وهم محرومون من خدمة شيخ يتصرف فيهم ليودع في أرحام قلوبهم النطفة من صلب الولاية فندبهم إلى طلب شيخ من الرجال البالغين الواصلين الذين بهم تحصل الولادة الثانية في عالم الغيب بالمعنى وهو طفل الولاية كما أن ولادتهم أولى حصلت في عالم الشهادة بالصورة ليكون ولوجهم في الملكوت كما أن عيسى عليه السلام قال لم يلج ملكوت السموات والأرض من لم يولد مرتين والنشأة الأخرى عبارة عن الولادة الثانية والعبد في هذا المقام أمن من رجوعه إلى الكفر والموت أما أمنه من الكفر فبقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾ [البقرة: ٢٨] يعني: إذ كنتم نطفة. ﴿فَأَحْيَٰكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] بالولادة الأولى ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] بموت الإرادة ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] بالولادة الثانية ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨] بجذبة ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾ [الفجر: ٢٨] وأما أمنة من الموت فبقوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا﴾ [الأنعام: ١٢٢] يعني: بالإرادة من الصفات النفسانية الحيوانية ﴿فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] بنور الربوبية. ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢] أي بنور الله فهو حي بحياة الله لا يموت أبداً بل ينقل من دار إلى دار ﴿**إن يكونوا فقراء**﴾ معدومي استعداد قبول الفيض الإلهي ﴿**يغنهم الله من فضله**﴾ بأن يجعلهم مستعدي قبول الفيض فإن الطريق من العبد إلى الله مسدود وإنما الطريق من الله إلى العبد مفتوح بأنه تعالى هو الفتاح وبيده المفتاح ﴿**والله واسع**﴾ الأرحام القلوب لتستعد لقبول فيضه ﴿**عليم**﴾ بإيصاله الفيض إليها انتهى. ﴿**وليستعفف**﴾ إرشاد للعاجزين عن مبادي النكاح وأسبابه إلى ما هو أولى لهم وأحرى بهم بعد بيان جواز مناكحة الفقراء والعفة حصول حالة للنفس تمتنع بها عن غلبة الشهوة والمتعفف المتعاطي لذلك بضرب من الممارسة والقهر والاستعفاف طلب العفة. والمعنى ليجتهد في العفة وقمع الشهوة. ﴿**الذين لا يجدون نكاحاً**﴾ أي: أسباب نكاح من مهر ونفقة فإنه لا معنى لوجدان نفس العقد والتزوج وذلك بالصوم كما قال عليه السلام: «ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» معناه أن الصوم يضعف شهوته ويقهرها عن طلب الجماع فيحصل بذلك صيانة الفرج وعفته فالأمر في ﴿**وليستعفف**﴾ محمول على الوجوب في صورة التوقان ﴿**حتى يغنيهم الله من فضله**﴾ فيجدوا ما يتزوجون به.

قال في «ترجمة الفتوحات»: [بعض از صالحاً نرا چيزى نبود وزن خواست فرزند آمد وما يحتاج آن نداشت پس فرزندرا كرفت وبيرون آمدن وندا كردكه اين جزاى آنكس است كه فرمان حق نبرد كفتند زنا كردة كفت في ولكن حق تعالى فرمود ﴿**وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله**﴾ من فرمان نبردم وتزوج كردم وفضيحت شد مردمان بروى

شفقت كردند وباخير تمام بمنزل خود بازكشت] أي فكان التزوج سبباً للغنى كما في الآية الأولى.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً﴾ أي: ليحفظ الذين لا يجدون شيخاً في الحال أرحام قلوبهم عن تصرفات الدنيا والهوى والشيطان. ﴿حتى يغنيهم الله من فضله﴾ بأن يدلهم على شيخ كامل كما دل موسى على الخضر عليهما السلام، أو يقيض لهم شيخاً كما كان يبعث إلى كل قوم نبياً أو يختص بجذبة عناية من يشاء من عباده كما قال تعالى: ﴿يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى: ١٣] فلا يخلو حال المستعفف عن هذه الوجوه. ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [النور: ٣٣] الابتغاء الاجتهاد في الطلب والكتاب مصدر كاتب كالمكاتبة. أي الذين يطلبون المكاتبة ﴿مما ملكت أيمانكم﴾ عبداً كان أو أمة وهي أن يقول المولى لمملوكه: كاتبتك على كذا كذا درهماً تؤديه إليّ وتعتق ويقول المملوك قبلته أو نحو ذلك فإن أداه إليه عتق يقال كاتب عبده كتاباً إذا عاقده على مال منجم يؤديه على نجوم معلومة، فيعتق إذا أدى الجميع فإن المكاتب عبد ما بقي عليه درهم ومعنى المفاعلة في هذا العقد أن المولى يكتب أي يفرض ويوجب على نفسه أن يعتق المكاتب إذا أدى البدل ويكتب العبد على نفسه أن يؤدي البدل من غير إخلال وأيضاً بدل هذا العقد مؤجل منجم على المكاتب والمال المؤجل يكتب فيه كتاب على من عليه المال غالباً.

وفي «المفردات»: كتابة العبد ابتياع نفسه من سيده بما يؤديه من كسبه واشتقاقها يصح أن يكون من الكتابة التي هي الإيجاب وأن يكون من الكتب الذي هو النظم باللفظ والإنسان يفعل ذلك روي: أن صبيحاً مولى حويطب بن عبد العزى سأل مولاه أن يكاتبه فأبى عليه فنزلت الآية كما في التكملة ﴿فكاتبوهم﴾ خبر الموصول والفاء لتضمنه معنى الشرط أي فاعطوهم ما يطلبون من الكتابة والأمر فيه للندب لأن الكتابة عقد يتضمن الإرفاق فلا تجب كغيرها ويجوز حالاً ومنجماً وغير منجم عند أبي حنيفة رضي الله عنه. ﴿إن علمتم فيهم خيراً﴾ أي: أمانة ورشداً وقدرة على أداء البدل لتحصيله من وجه الحلال وصلاحاً بحيث لا يؤذي الناس بعد العتق وإطلاق العنان.

قال الجنيد: إن علمتم فيهم علماً بالحق وعملاً به وهو شرط الأمر أي الاستحباب للعقد المستفاد من قوله فكاتبوهم فاللازم من انتفائه انتفاء الاستحباب لا انتفاء الجواز ﴿وآتوهم من مال اللّه الذي آتاكم﴾ أمر للموالي أمر ندب بأن يدفعوا إلى المكاتبين شيئاً مما أخذوا منهم وفي معناه حط شيء من مال الكتابة وقد قال عليه السلام: «كفى بالمرء من الشح أن يقول آخذ حقي لا اترك منه شيئاً» وفي حديث الأصمعي: «أتى أعرابي قوماً فقال لهم هذا في الحق أو فيما هو خير منه قالوا وما خير من الحق قال التفضل والتفضل أفضل من أخذ الحق كله» كذا في «المقاصد الحسنة» للسخاوي.

قال الكاشفي: [حويطب صبيح را بصد دينار مكاتب ساخته بود بعد از استماع اين آيت بيست دينار بدو بخشيد] يعني: وهب له منها عشرين ديناراً فأداها وقتل يوم حنين في الحرب وإضافة المال إليه تعالى ووصفه بإتيانه إياهم للحث على الامتثال بالأمر بتحقيق المأمور به فإن ملاحظة وصول المال إليهم من جهته تعالى مع كونه هو المالك الحقيقي له من أقوى الدواعي إلى صرفه إلى الجهة المأمور بها.

قال بعضهم هو أمر لعامة المسلمين بإعانة المكاتبين بالتصدق عليهم. يعني [خطاب ﴿وآتوهم﴾ راجع بعامه مسلماً نانست كه اعانت كنند أورا زكات بدهند تامال كتابت ادا كند وكردن خودرا از طوق بندكى مخلوق بپرون آرد وبدين سبب أين خير رافك رقبه مي كويند واز عقبة عقوبت بدان ميتوان كذشت].

بشنو از من نكتة أي زنده دل وز پس مركم به نيكى يا دكن
كه بلطف آزاده را بنده ساز كه بإحسان بندة آزاد كن

وفي الحديث: «ثلاثة حق على الله عونهم المكاتب الذي يريد الأداء، والناكح يريد العفاف والمجاهد في سبيل الله» واختلفوا فيما إذا مات المكاتب قبل أداء النجوم فقال أبو حنيفة رحمه الله ومالك: إن ترك وفاء بما بقي عليه من الكتابة كان حراً وإن كان فيه فضل فالزيادة لأولاده الأحرار وقال الشافعي وأحمد: يموت رقيقاً وترتفع الكتابة سواء ترك مالاً أو لم يترك كما لو تلف المبيع قبل القبض يرتفع البيع. ﴿ولا تكرهوا فتياتكم﴾ أي: إماءكم فإن كلاً من الفتى والفتاة كناية مشهورة عن العبد والأمة وباعتبار المفهوم الأصلي وهو أن الفتى الطري من الشباب ظهر مزيد مناسبة الفتيات لقوله تعالى: ﴿على البغاء﴾ وهو الزنى من حيث صدوره عن الشواب لأنهن اللاتي يتوقع منهن ذلك غالباً دون من عداهن من العجائز والصغائر يقال: بغت المرأة بغاء إذا فجرت وذلك لتجاوزها إلى ما ليس لها ثم الإكراه إنما يحصل متى حصل التخويف بما يقتضي تلف النفس أو تلف العضو وأما باليسير من التخويف فلا تصير مكرهة. ﴿إن أردن تحصناً﴾ تعففاً أي جعلن أنفسهن في عفة كالحصن وهذا ليس لتخصيص النهي بصورة إرادتهن التعفف عن الزنى وإخراج ما عداها من حكمه بل للمحافظة على عادتهم المستمرة حيث كانوا يكرهونهن على البغاء وهن يردن التعفف عنه وكان لعبد الله بن أُبَي ست جوار جميلة يكرههن على الزنى وضرب عليهن ضرائب جمع ضريبة وهي الغلة المضروبة على العبد والجزية فشكت اثنتان إلى رسول الله وهما معاذة ومسيكة فنزلت وفيه من زيادة تقبيح حالهم وتشنيعهم على ما كانوا يفعلونه من القبائح ما لا يخفى فإن من له أدنى مروءة لا يكاد يرضى بفجور من يحويه من إمائه فضلاً عن أمرهن أو إكراههن عليه لا سيما عند ارادتهن التعفف وإيثار كلمة إن على إذا مع تحقق الإرادة في مورد النص حتماً للإيذان بوجوب الانتهاء عن الإكراه عند كون إرادة التحصن في حيز التردد والشك فكيف إذا كانت محققة الوقوع كما هو الواقع. ﴿لتبتغوا عرض الحياة الدنيا﴾ قيد للإكراه والعرض ما لا يكون له ثبوت ومنه استعار المتكلمون العرض لما لا ثبات له قائماً بالجوهر كاللون والطعم وقيل الدنيا عرض حاضر تنبيهاً على أن لا ثبات لها والمعنى لا تفعلوا ما أنتم عليه من إكراههن على البغاء لطلب المتاع السريع الزوال من كسبهن وبيع أولادهن.

قال الكاشفي: [در تبيان آورده كه زانى بودى كه صد شتر ازبراى فرزندى كه ازمزنى بها داشت بدادي]. ﴿ومن﴾ [هركه] ﴿يكرههن﴾ على ما ذكر من البغاء ﴿فإن الله من بعد إكراههن﴾ أي كونهن مكرهات على أن الإكراه مصدر من المبني للمفعول. ﴿غفور رحيم﴾ أي: لهن وتوسيط الإكراه بين اسم أن وخبرها للإيذان بأن ذلك هو السبب للمغفرة والرحمة.

وفيه دلالة على أن المكرهين محرومون منهما بالكلية وحاجتهن إلى المغفرة المنبئة عن سابقة الإثم باعتبار أنهن وإن كن مكرهات لا يخلون في تضاعيف الزنى عن شائبة مطاوعة بحكم الجبلة البشرية.

وفي «الكواشي»: المغفرة ههنا عدم الإثم لأنها لا إثم عليها إذا أكرهت على الزنى بقتل أو ضرب مفض إلى التلف أو تلف العضو، وأما الرجل فلا يحل له الزنى وإن أكره عليه لأن الفعل من جهته ولا يتأتى إلا بعزيمة منه فيه فكان كالقتل بغير حق لا يبيحه الإكراه بحال انتهى.

وفي الآيتين الكريمتين إشارتان:

الأولى: أن بعض الصلحاء الذين لم يبلغوا مراتب ذوي الهمم العالية في طلب الله ولكن ملكت إيمانهم نفوسهم الأمارة بالسوء فيريدون كتابتها من عذاب الله وعتقها من النار بالتوبة والأعمال الصالحة فكاتبوهم أي توّبوهم إن تفرستم فيهم آثار الصدق وصحة الوفاء على ما عاهدوا الله عليه فإنه لا يلزم التلقين لكل من يطلبه وإنما يلزم لأهل الوفاء وهم إنما يعرفون بالفراسة القوية التي أعطاها الله لأهل اليقين وآتوهم من قوة الولاية والنصح في الدين الذي أعطاكم الله فإن لكل شيء زكاة وزكاة الولاية العلم والمعرفة والنصيحة للمستنصحين والإرشاد للطالبين والتعاون على البر والتقوى والرفق بالمتقين وكما أن المال ينتقض بل يزول ويفنى بمنع الزكاة فكذا الحال يغيب عن صاحبه بمنع الفقراء المسترشدين عن الباب ألا ترى أن السلطنة الظاهرة إنما هي لإقامة المصالح وإعانة المسلمين فكذا السلطنة الباطنة:

ولـلأرض مـن كـأس الـكـرام نـصـيـب

والثانية: أن النفوس المتمردة إذا أردن المتحصن بالتوبة بتوفيق الله وكرمه فلا ينبغي إكراهها على الفساد طلباً للشهوات النفسانية.

واعلم أن من لم يتصل نسبه المعنوي بواحد من أهل النفس الرحماني وادعى لنفسه الكمال والتكميل فهو زان في الحقيقة ومن هو تحت تربيته هالك لأنه ولد الزنى وربما رأيت من يكره بعض أهل الطلب على التردد لباب أهل الدعوى ويصرفه عن باب أهل الحق عناداً وغرضاً ومرضاً واتباعاً لهواه فهو إنما يكرهه على الزنى لأنه بملازمة باب أهل الباطل يصير المرء هالكاً كولد الزنى إذ يفسد استعداده فساد البيضة نسأل الله تعالى أن يحفظنا من كيد الكافرين ومكر الماكرين. **﴿ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات﴾** أي: وبالله لقد أنزلنا إليكم في هذه السورة الكريمة آيات مبينات لكل ما بكم حاجة إلى بيانه من الحدود وسائر الأحكام والآداب والتبيين في الحقيقة لله تعالى وإسناده إلى الآيات مجازي. **﴿ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم﴾** أي: وأنزلنا مثلاً كائناً من قبيل أمثال الذين مضوا من قبلكم من القصص العجيبة والأمثال المضروبة لهم في الكتب السابقة والكلمات الجارية على ألسنة الأنبياء فتنتظم قصة عائشة الحاكية لقصة يوسف وقصة مريم في الغرابة وسائر الأمثال الواردة انتظاماً واضحاً فإن في قصتهما ذكر تهمة من هو بريء مما اتهم به فيوسف اتهمته زليخا ومريم اتهمها اليهود مع براءتهما **﴿وموعظة﴾** تتعظون بها وتنزجرون عما لا ينبغي من المحرمات والمكروهات وسائر ما يخل بمحاسن الآداب ومدار العطف هو التغاير العنواني المنزل منزلة التغاير الذاتي **﴿للمتقين﴾** وتخصيصهم مع شمول الموعظة للكل حسب شمول الإنزال لأنهم المنتفعون بها.

وفي «التأويلات النجمية»: أي ليتعظ من يريد الاتقاء عما أصاب المتقدمين فإن السعيد من وعظ بغيره. قال الشيخ سعدي قدس سره:

نـرود مـرغ سـوى دانـه فـراز چـون دكـر مـرغ بـيـنـد انـدر بـنـد
پـنـدكـيـر از مـصـائـب دكـران تـا نـكـيـرنـد ديـكـران ز تـو پـنـد

روي: عن الشعبي أنه قال: خرج أسد وذئب وثعلب يتصيدون فاصطادوا حمار وحش وغزالاً وأرنباً فقال الأسد للذئب: اقسم فقال: الحمار الوحشي للملك والغزال لي والأرنب للثعلب قال: فرفع الأسد يده وضرب رأس الذئب ضربة فإذا هو متجندل بين يدي الأسد ثم قال للثعلب: اقسم هذه بيننا فقال الحمار يتغدى به الملك والغزال يتعشى به والأرنب بين ذلك فقال الأسد: ويحك ما أقضاك من علمك هذا القضاء فقال القضاء الذي نزل برأس الذئب ويقال الموعظة هي التي تلين القلوب وتسيل العيون اليابسة وهي من صفات القرآن عند من يلقي السمع وهو شهيد وفي الحديث: «أن هذه القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد» قيل: وما جلاؤها قال: «تلاوة القرآن وذكر الله تعالى» فعلى العاقل أن يستمع إلى القرآن ويتعظ بمواعظه ويقبل إلى قبول ما فيه من الأوامر وإلى العمل بما يحويه من البواطن والظواهر.

مهتري در قبول فرمانست ترك فرمان دليل حرمانست

﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٣٥﴾ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿٣٦﴾﴾.

﴿الله نور السماوات والأرض﴾. قال الإمام الغزالي قدس سره في شرح الاسم: النور هو الظاهر الذي به كل ظهور فإن الظاهر في نفسه المظهر لغيره يسمى نوراً ومهما قوبل الوجود بالعدم كان الظهور لا محالة للوجود ولا ظلام أظلم من العدم فالبريء من ظلمة العدم إلى ظهور الوجود جدير بأن يسمى نوراً والوجود نور فائض على الأشياء كلها من نور ذاته فهو نور السموات والأرض فكما أنه لا ذرة من نور الشمس إلا وهي دالة على وجود الشمس النيرة فلا ذرة من وجود السموات والأرض وما بينهما إلا وهي بجواز وجودها دالة على وجوب وجود موجدها انتهى ويوافقه النجم في «التأويلات» حيث قال: ﴿الله نور السموات والأرض﴾ أي: مظهرهما من العدم إلى الوجود فإن معنى النور في اللغة الضياء وهو الذي يبين الأشياء ويظهرها للأبصار انتهى، فقوله تعالى: ﴿الله نور السموات والأرض﴾ من باب التشبيه البليغ أي كالنور بالنسبة إليهما من حيث كونه مظهراً لهما أي موجداً فإن أصل الظهور هي الظهور من العدم إلى الوجود فإن الأعيان الثابتة في علم الله تعالى خفية في ظلم العدم وإنما تظهر بتأثير قدرة الله تعالى كما في «حواشي ابن الشيخ».

يقول الفقير: لا حاجة إلى اعتبار التشبيه البليغ فإن النور من الأسماء الحسنى وإطلاقه على الله حقيقي لا مجازي فهو بمعنى المنور ههنا فإنه تعالى نور الماهيات المعدومة بأنوار الوجود وأظهرها من كتم العدم بفيض الجود كما قال عليه السلام: «إن الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره» فخلق ههنا بمعنى التقدير فإن التقدير سابق على الإيجاد ورش النور كناية عن إفاضة الوجود على الممكنات والممكن يوصف بالظلمة فإنه يتنور بالوجود فتنويره إظهاره.

واعلم أن النور على أربعة أوجه: **أولها**: نور يظهر الأشياء للأبصار وهو لا يراها كنور الشمس وأمثالها فهو يظهر الأشياء المخفية في الظلمة ولا يراها. **وثانيها**: نور البصر وهو يظهر

الأشياء للأبصار ولكنه يراها وهذا النور أشرف من الأول. **وثالثها**: نور العقل وهو يظهر الأشياء المعقولة المخفية في ظلمة الجهر للبصائر وهو يدركها ويراها. **ورابعها**: نور الحق تعالى وهو يظهر الأشياء المعدومة المخفية في العدم للأبصار والبصائر من الملك والملكوت وهو يراها في الوجود كما كان يراها في العدم لأنها كانت موجودة في علم الله وإن كانت معدومة في ذواتها فما تغير علم الله ورؤيته بإظهارها في الوجود بل كان التغير راجعاً إلى ذوات الأشياء وصفاتها عند الإيجاد والتكوين فتحقيق قوله تعالى: ﴿**الله نور السموات والأرض**﴾ مظهرهما ومبديهما وموجدهما من العدم بكمال القدرة الأزلية.

در ظلمت عدم همه بوديم بي خبر   نور وجود سر شهود از تو يافتيم

قال بعض الكبار [در زمان ظلمت هيچكس ساكن ازمتحرك نشناسد وعلو از سفل تميز نكنند وقبيح را ازصبيح باز نداند وچون رايت نور ظهور نمود خيل ظلام روى بانهزام آرند ووجودات وكيفيات ظاهر كردد وصفو از كدر وعرض از جوهر متميز شود مدركة انسانية داندكه استفادة اين دانش وتميز بنور كرده أما در أدراك نور متحير باشدچه داندكه عالم ازنور مملواست واو مخفي ظاهر بدلالات وباطن بالذات پس حق سبحانه وتعالى ما بدو دولت ادراك يافته ايم وبمرتبة تميز أشيا رسيده سزاوار آن باشد كه آنرا نور كويند

همه عالم بنور أوست پيدا   كجا أو كرد از عالم هويدا
زهى نادانكه أو خورشيد تابان   بنور شمع جويد در بيابان

در تبيان آورده كه مدلول السموات والأرض چه هر دليلى از دلائل قدرت وبدائع حكمت كه دردوا نر سپهر برين ومراكز زمين واقعست دلالتي واضح دارد بروجود قدرت وبدائع حكمت او].

ففي كل شيء له آية   تدل على أنه واحد
وجود جملة اشيا دليل قدرت او

وقال سلطان المفسرين ابن عباس رضي الله عنهما: أي هادي أهل السموات والأرض فهم بنوره تعالى يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة ينجون. يعني [بهدايت أو بهستيء خود راه بردند وبارشاد أو مصالح دين ودنيا بشناسند] ولما وصلوا إلى نور الهداية بتوفيقه تعالى سمى نفسه باسم النور جرياً على مذهب العرب فإن العرب قد تسمي الشيء الذي من الشيء باسمه كما يسمى المطر سحاباً لأنه يخرج منه ويحصل به فلما حصل نور الإيمان والهداية بتوفيقه سماه بذلك الاسم ويجوز أن يعبر عن النور بالهداية وعن الهداية بالنور لما يحصل أحدهما من الآخر قال الله تعالى: ﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦] لما اهتدوا بنور النجم جعل النجم كالهادي لهم وجعلهم من المهتدين بنوره وعلى هذا سمي القرآن نوراً والتوراة نوراً بمعنى الاهتداء بهما كما في «الأسئلة المقحمة» فعلى هذا شبهت الهداية بالنور في كونها سبباً للوصول إلى المطلوب فأطلق اسم النور عليها على سبيل الاستعارة ثم أطلق النور بمعنى الهداية عليه تعالى على طريق رجل عدل.

وقال حضرة الشيخ الشهير بأفتاده قدس سره: خطر ببالي على وجه الكشف أن النور في قوله تعالى: ﴿**الله نور السموات والأرض**﴾ بمعنى العلم وهو بمعنى العالم من باب رجل عدل ووجه المناسبة بينهما أنه تنكشف بالنور المحسوسات وبالعلم تنكشف المعقولات بل جميع

الأمور كذا في «الواقعات المحمودية» ويقال: إنه منور السموات بالشمس والقمر والكواكب والأرض بالأنبياء والعلماء والعباد.

وقال في «عرائس البيان»: أراد بالسموات والأرض صورة المؤمن رأسه السموات وبدنه الأرض وهو تعالى بجلالة قدره نور هذه السموات والأرض إذ زين الرأس بنور السمع والبصر والشم والذوق والبيان في اللسان فنور العين كنور الشمس والقمر، ونور الأذن كنور الزهرة والمشتري، ونور الأنف كنور المريخ وزخل ونور اللسان كنور عطارد وهذه السيارات النيرات تسرى في بروج الرأس، ونور أرض البدن الجوارح والأعضاء والعضلات واللحم والدم والشعرات وعظامها الجبال. [إمام زاهد فرموده كه خدايرا نورتوان كفت ولي روشنى نتوان كفت چه روشنى ضد تاريكست وخداي تعالى آفريد كار هر دو ضداست] فالنور الذي بمقابلة الظلمة حادث لأن ما كان بمقابلة الحادث حادث فمعنى كونه تعالى نوراً هو أنه مبدأ هذا النور المقابل بالظلمة ثم إن إضافة النور إلى السموات والأرض مع أن كونه تعالى نوراً ليس بالإضافة إليها فقط للدلالة على سعة إشراقه فإنهما مثلان في السعة قال تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣] ويجوز أن يقال: قد يراد بالسموات والأرض العالم بأسره كما يراد بالمهاجرين والأنصار جميع الصحابة كما في «حواشي سعدي» المفتي ونظيره قوله تعالى في الحديث القدسي خطابا للنبي عليه السلام: «لولاك لما خلقت الأفلاك» أي: العوالم بأسرها لكنه خصص الأفلاك بالذكر لعظمها وكونها بحيث يراها كل من هو من أهل النظر وهو اللائح بالبال والله الهادي إلى حقيقة الحال. **﴿مثل نوره﴾** أي: نوره الفائض منه تعالى على الأشياء المستنيرة وهو القرآن المبين كما في «الإرشاد» فهو تمثيل له في جلاء مدلوله وظهور ما تضمنه من الهدى بالمشكاة المنعوتة والمراد بالمثل الصفة العجيبة أي صفة نوره العجيب وإضافته إلى ضميره تعالى دليل على أن إطلاقه عليه لم يكن على ظاهره كما في «أنوار التنزيل» **﴿كمشكاة﴾** أي صفة كوة غير نافذة في الجدار في الانارة وهي بلغة الحبشة. وبالفارسية [ما نندروزنه ايست درديوارى كه أو بخارج راه ندارد چون طاقى] **﴿فيها مصباح﴾** سراج ضخم ثابت. وبالفارسية [چراغ فروخته ونيك روشن] **﴿المصباح في زجاجة﴾** أي: قنديل من الزجاج الصافي الأزهر وفائدة جعل المصباح في زجاجة والزجاجة في كوة غير نافذة شدة الإضاءة لأن المكان كلما تضائق كان أجمع للضوء بخلاف الواسع فالضوء ينتشر فيه وخص الزجاج لأنه أحكى الجواهر لما فيه. **﴿الزجاجة كأنها كوكب دري﴾** متلألىء وقاد شبيه بالدر في صفائه وزهرته كالمشتري والزهرة والمريخ ودراري الكواكب عظامها المشهورة ومحل الجملة الأولى الرفع على أنها صفة لزجاجة أو للام مغنية عن الرابض كأنه قيل: فيها مصباح هو في زجاجة هي كأنها كوكب دريّ وفي إعادة المصباح والزجاجة معرفين أثر سبقهما منكرين والإخبار عنهما بما بعدهما مع انتظام الكلام بأن يقال كمشكاة فيها مصباح في زجاجة كأنها كوكب دريّ من تفخيم شأنها بالتفسير بعد الإبهام ما لا يخفى. **﴿يوقد من شجرة﴾** أي يبتدأ إيقاد المصباح من زيت شجرة. **﴿مباركة﴾** أي كثيرة المنافع لأن الزيت يسرج به وهو إدام ودهان ودباغ ويوقد بحطب الزيتون وبثقله ورماده يغسل به الإبريسم ولا يحتاج في استخراج دهنه إلى عصار وفيه زيادة الإشراق وقلة الدخان وهو مصحة من الباسور. **﴿زيتونة﴾** بدل من شجرة: وبالفارسية [كه آن زيتونست كه هفتاد پيغمبر بدو دعا كرده ببركت وازجملة إبراهيم خليل عليه السلام] وخصها من بين سائر الأشجار لأن دهنها أضوء وأصفى.

قال في «إنسان العيون»: شجرة الزيتون تعمر ثلاثة آلاف سنة. ﴿لا شرقية ولا غربية﴾ أي: لا شرقية تطلع عليها الشمس في وقت شروقها فقط ولا غربية تقع عليها حين غروبها فقط بل بحيث تقع عليها طول النهار فلا يسترها عن الشمس في وقت من النهار شيء كالتي على قلة أو صحراء فتكون ثمرتها أنضج وزيتها أصفى أو لا في مضحى تشرق الشمس عليها دائماً فتحرقها ولا في مفيأة تغيب عنها دائماً فتتركها نيئاً أو لا نابتة في شرق المعمورة نحو كنكدز وديار الصين وخطا ولا في غربها نحو طنجة وطرابلس وديار قيروان بل في وسطها وهو الشام فإن زيتونه أجود الزيتون أو في خط الاستواء بين المشرق والمغرب وهي قبة الأرض فلا توصف بأحد منهما فلا يصل إليها حر وبرد مضرين وقبة الأرض وسط الأرض عامرها وخرابها وهو مكان تعتدل فيه الأزمان في الحر والبرد ويستوي الليل والنهار فيه أبداً لا يزيد أحدهما على الآخر أي يكون كل منهما اثنتي عشرة ساعة [حسن بصري رحمة الله فرموده كه أصل أين شجره ازبهشت بدنيا آورده اند پس از أشجار اين عالم نيست كه وصف شرقي وغربي برو تواند كرد] ﴿يكاد زيتها يضيء﴾ [روشنى دهد] ﴿ولو لم تمسسه نار﴾ [واكرچه نرسيده باشد بوى آتشى يعني درخشندكي بمثابة ايست بي آتش روشنايي بخشد] أي هو في الصفاء والإنارة بحيث يكاد يضيء المكان بنفسه من غير مساس نار أصلاً وتقدير الآية يكاد زيتها يضيء لو مسته نار ولو لم تمسسه نار أي يضيء كائناً على كل حال من وجود الشرط وعدمه فالجملة حالية جيء بها لاستقصاء الأحوال حتى في هذه الحال. ﴿نور﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي ذلك النور الذي عبر به عن القرآن ومثلت صفته العجيبة الشأن بما فصل من صفة المشكاة نور كائن. ﴿على نور﴾ كذلك، أي: نور متضاعف فإن نور المصباح زاد في إنارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكاة لأشعته فليس عبارة عن مجموع نورين اثنين فقط بل المراد به التكثير كما يقال: فلان يضع درهماً على درهم لا يراد به درهمان. ﴿يهدي الله لنوره﴾ أي: يهدي هداية خاصة موصلة إلى المطلوب حتماً لذلك النور المتضاعف العظيم الشأن. ﴿من يشاء﴾ هدايته من عباده بأن يوفقهم لفهم ما فيه من دلائل حقيته وكونه من عند الله من الإعجاز والإخبار عن الغيب وغير ذلك من موجبات الإيمان وهذا من قبيل الهداية الخاصة ولذا قال: من يشاء ففيه إيذان بأن مناط هذه الهداية وملاكها ليس إلا مشيئته وأن تظاهر الأسباب بدونها بمعزل من الإفضاء إلى المطالب.

قرب تو باسباب وعلل نتوان يافت بي سابقة فضل ازل نتوان يافت

﴿ويضرب الله الأمثال للناس﴾ أي: يبينها تقريباً إلى الإفهام وتسهيلاً لسبل الإدراك. يعني [معقولات را در صورت محسوسات بيان ميكند براى مردم تازود در يابند ومقصود سخن برايشان كردد] وهذا من قبيل الهداية العامة ولذا قال للناس: ﴿والله بكل شيء عليم﴾ من ضرب الأمثال وغيره من دقائق المعقولات والمحسوسات وحقائق الجليات والخفيات.

قالوا: إذا كان مثلاً للقرآن فالمصباح القرآن والزجاجة قلب المؤمن والمشكاة فمه ولسانه والشجرة المباركة شجرة الوحي وهي لا مخلوقة ولا مختلقة [نزد يكست كه هنوز قرآن نا خوانده دلائل وحجج او برهمكنان واضح شود پس چودبر آن قراءت كند﴿نور على نور﴾ باشد].

فإن قيل لم شبهه بذلك وقد علمنا أن ضوء الشمس أبلغ من ذلك بكثير؟.

أجيب بأنه سبحانه أراد أن يصف الضوء الكامل الذي يلوح في وسط الظلمة لأن الغالب

على أوهام الخلق وخيالاتهم إنما هي الشبهات التي هي كالظلمات وهداية الله تعالى فيما بينهما كالضوء الكامل الذي يظهر فيما بين الظلمات وهذا المقصود لا يحصل من تشبيهه بضوء الشمس لأن ضوءها إذا ظهر امتلأ العالم من النور الخالص وإذا غاب امتلأ العالم من الظلمة الخالصة فلا جرم كان ذلك المثل ههنا أليق.

وقال بعضهم: [مراد نور إيمانست حق سبحانه وتعالى تشبيه كرد سينة مؤمن را بمشكاة ودل را درسينه بقنديل زجاجه در مشكاة وايمانرا بچراغى افروخته در قنديل وقنديل بكوكبي درخشنده وكلمة اخلاص بشجرة مباركة ازتاب آفتاب خوف وخلال نوال رجا بهرة دارد ونزديكست كه فيض كلمه بي آنكه بزبان مؤمن كذرد عالم را منود كند چون اقرار بآن برزبان جارى شده وتصديق جنان بآن ياركشته، ﴿نور على نور﴾ بظهور رسيد] وشبه بالزجاج دون سائر الجواهر لاختصاص الزجاج بالصفاء يتعدى النور من ظاهره إلى باطنه وبالعكس وكذلك نور الإيمان يتعدى من قلب المؤمن إلى سائر الجوارح والأعضاء وأيضاً إن الزجاج سريع الانكسار بأدنى آفة تصيبه فكذا القلب سريع الفساد بأدنى آفة تدخل فيه [وكفته اند آن نور معرقت اسرار الهيست يعني چراغ معرفت دو زجاجة دل عارف ومشكاة سيئة أو افروخته است از بركت زيت تلقين شجرة مبارك حضرت محمدي عليه السلام نه شرقيست ونه غربي بلكه مكيست ومكة سرة عالم وازفرا كرفتن عارف آن اسرار را از تعليم آن سيد ابرار ﴿نور على نور﴾ معلوم توان كرد] وإنما شبه المعرفة بالمصباح وهو سريع الانطفاء وقلب المؤمن بالزجاج وهو سريع الانكسار ولم يشبهها بالشمس التي لا تطفأ ولا قلب المؤمن بالأشياء الصلبة التي لا تنكسر تنبيهاً على أنه على خطر وجدير بحذر كما في «التيسير» [در روح الأرواح آورده كه آن نور حضرت محمد يست عليه السلام مكشاة آدم باشد وزجاجه نوح وزيتون إبراهيم كه نه يهوديه مائل است چون يهود غرب را قبله ساختند ونه نصرانيه چون نصارى روى بشرق آورده اند ومصباح حضرت رسالتست عليه السلام يا مشكاة إبراهيم است وزجاجه دل صافي مطهر او ومصباح علم كامل أو شجرة خلق شامل او كه نه در جانب خلود افراط است ونه در طرف تقصير وتفريط بلكه طريق اعتدال كه «خير الأمور أوسطها» واقع شده وصراط سوى عبارت از آنست. ودر عين المعاني فرموده كه نور محبت حبيب بانور خلت خليل نور على نوراست].

پدر نور پسر نوريست مشهور ازينجافهم كن نور على نور

قال القشيري: ﴿نور على نور﴾ نور اكتسبوه بجهدهم ونظرهم واستدلالهم ونور وجدوه بفضل الله بأفعالهم وأقوالهم قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وفي «التأويلات النجمية»: هذا مثل ضربه الله تعالى للخلق تعريفاً لذاته وصفاته فلكل طائفة من عوام الخلق وخواصهم اختصاص بالمعرفة من فهم الخطاب على حسب مقاماتهم وحسن استعدادهم فأما العوام فاختصاصهم بالمعرفة في رؤية شواهد الحق وآياته بإراءته إياهم في الآفاق وأما الخواص فاختصاصهم بالمعرفة في مشاهدة أنوار صفات الله تعالى وذاته تبارك وتعالى باراءته في أنفسهم عند التجلي لهم بذاته وصفاته كما قال تعالى في الطائفتين ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ﴾ [فصلت: ٥٣] أي لعوامهم ﴿وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ [فصلت: ٥٣] أي لخواصهم ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ﴾ [فصلت: ٥٣] فكل طائفة بحسب مقامهم تحظى من المعرفة فأما حظ العوام من رؤية شواهد الحق وآياته في الآفاق بإراءة الحق فبأن يرزقهم فهماً ونظراً في معنى الخطاب ليتفكروا

في خلق السموات والأرض أن صورتها وهي عالم الأجسام هي المشكاة والزجاجة فيها هي العرش والمصباح الذي هو عمود القنديل الذي يجعل فيه الفتيلة فهي بمثابة الكرسي من العرش وزجاجة العرش. ﴿كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة﴾ وهي شجرة الملكوت وهو باطن السموات والأرض ومعناهما. ﴿لا شرقية﴾ أي ليست من شرق الأزل والقدم كذات الله وصفاته. ﴿ولا غربية﴾ أي: ليست من غرب الفناء والعدم كعالم الأجسام وصورة العالم بل هي مخلوقة أبدية لا يعتريها الفناء. ﴿يكاد زيتها﴾ وهو عالم الأرواح ﴿يضيء﴾ أي يظهر من العدم في عالم الصور المتولدات بازدواج الغيب والشهادة طبعاً وخاصية كما توهمه الدهرية والطبائعية عليهم لعنات الله تترى. ﴿ولو لم تمسسه نار﴾ نار القدرة الإلهية ﴿نور على نور﴾ أي نور الصفة الرحمانية على نور أي باستوائه على نور العرش فينقسم نور الصفة الرحمانية من العرش إلى السموات والأرض فيتولد منه متولدات ما في السموات والأرض بالقدرة الإلهية على وفق الحكمة والإرادة القديمة فلهذا قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم: ٩٣] فافهم جداً.

وأما حظ الخواص في مشاهدة أنوار صفات الله تعالى وذاته بإراءة الحق في أنفسهم فإنما يتعلق بالسير فيها لأن الله تعالى خلق نفس الإنسان مرآة قابلة لشهود ذاته وجميع صفاته إذا كانت صافية عن صدأ الصفات الذميمة والأخلاق الرديئة مصقولة بمصقلة كلمة لا إلٰه إلا الله لينتفي بنفي لا إلٰه تعلقها عما سوى الله ويثبت بإثبات إلا الله فيها نور جمال الله وجلاله فيرى بنور الله الجسد كالمشكاة والقلب كالزجاجة والسر كالمصباح. ﴿والزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة﴾ وهي شجرة الروحانية. ﴿لا شرقية﴾ أي: لا قديمة أزلية ﴿ولا غربية﴾ أي: لا فانية تغرب في سماء الوجود في عين العدم ﴿يكاد زيتها﴾ وهو الروح الإنسانية ﴿يضيء﴾ بنور العقل الذي هو ضوء الروح وصفاؤه أي يكاد زيت الروح أن يعرف الله تعالى بنور العقل ﴿ولو لم تمسسه نار﴾ أي: نار نور الإلٰهية فأبت عظمة جلال الله وعزة كبريائه أن تدرك بالعقول الموسومة بوصمة الحدوث إلا أن يتجلى نور القدم لنور العقل الخارج من العدم كما قال تعالى: ﴿نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء﴾ أي: ينور مصباح سر من يشاء بنور القدم فتتنور زجاجة القلب ومشكاة الجسد ويخرج أشعتها من روزنة الحواس فاستضاءت أرض البشرية ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩] وتحقق حينئذ مقام «كنت له سمعاً وبصراً» الحديث.

وفيه إشارة أن إلى نور العقل مخصوص بالإنسان مطلقاً ولا سبيل له بالوصول إلى نور الله فهو مخصوص بهداية الله إليه فضلاً وكرماً لا يتطرق إليه كسب العباد وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. ﴿ويضرب الله الأمثال للناس﴾ أي: للناسين عهود أيام الوصال بلاهم في أزل الآزال. ﴿والله بكل شيء عليم﴾ في حالات وجود الأشياء وعدمها بغير التغير في ذاته وصفاته انتهى كلام «التأويلات».

قال حضرة الشيخ صدر الدين القنوي قدس سره:

اعلم أن النور الحقيقي يدرك به وهو لا يدرك لأنه عين ذات الحق من حيث تجردها عن النسب والإضافات ولهذا سئل النبي عليه السلام هل رأيت ربك قال: «نور أنىٰ أراه» أي النور المجرد لا يمكن رؤيته وكذا أشار الحق في كتابه لما ذكر ظهور نوره في مراتب المظاهر قال:

﴿الله نور السموات والأرض﴾ فلما فرغ من ذكر مراتب التمثيل قال: ﴿نور على نور﴾ فأحد النورين هو الضياء والآخر هو النور المطلق الأصلي ولهذا تمم فقال: ﴿يهدي الله لنوره من يشاء﴾ أي: يهدي الله بنوره المتعين في المظاهر والساري فيها إلى نوره المطلق الأحدي انتهى كلامه في «الفكوك».

قال في «تفسير الفاتحة»: فالعالم بمجموع صوره المحسوسة وحقائقه الغيبية المعقولة أشعة نور الحق وقد أخبر الحق أنه نور السموات والأرض ثم ذكر الأمثلة والتفاصيل المتعينة بالمظاهر على نحو ما تقتضيه مرآتها ثم قال في آخر الآية: ﴿نور على نور يهدي اللّه لنوره من يشاء﴾ فأضاف النور إلى نفسه مع أنه عين النور وجعل نوره المضاف إلى العالم الأعلى والأسفل هادياً إلى معرفة نوره المطلق ودالاً عليه كما جعل المصباح والمشكاة والشجرة وغيرها من الأمثال هادياً إلى نوره المقيد وتجلياته المتعينة في مراتب مظاهره وعرّف أيضاً على لسان نبيه عليه السلام أنه النور وأن حجابه النور انتهى بإجمال.

قال حضرة شيخي وسندي روح الله روحه قوله: ﴿نور على نور﴾ النور الأول هو النور الإضافي المنبسط على سمٰوات الأسماء وأرض الأشياء والنور الثاني هو النور الحقيقي المستغني عن سمٰوات الأسماء وأرض الأشياء والنور الإضافي دليل دال على النور الحقيقي والدليل ظاهر. النور المطلق والمدلول باطنه وفي التحقيق الأتم هو دليل على نفسه لا يعرف الله إلا الله سبحانه ﴿في بيوت﴾ متعلق بالفعل المذكور بعده وهو يسبح.

قال في «المفردات»: أصل البيت مأوى الإنسان بالليل ثم قد يقال من غير اعتبار الليل فيه وجمعه أبيات وبيوت لكن البيوت بالمسكن أخص والأبيات بالشعر ويقع ذلك على المتخذ من حجر ومدر ومن صوف ووبر وبه شبه بيت الشعر وعبر عن مكان الشيء بأنه بيته والمراد بالبيوت المساجد كلها لقول ابن عباس رضي الله عنهما المساجد بيوت الله في الأرض تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم في الأرض ﴿أذن الله﴾ الإذن في الشيء إعلام بإجازته والرخصة فيه ﴿أن ترفع﴾ بالبناء أو التعظيم ورفع القدر. يعني [آنرا رفيع قدر وبزرك مرتبه دانند].

قال الإمام الراغب: الرفع يقال تارة في الأجسام الموضوعة إذا أعليتها عن مقرها نحو قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ [البقرة: ٦٣] وتارة في البناء إذا طولته نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ [البقرة: ١٢٧] وتارة في الذكر إذا نوهته نحو قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [الشرح: ٤] وتارة في المنزلة إذا شرفتها نحو قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [الأنعام: ١٦٥] ﴿ويذكر فيها اسمه﴾ اسم الله تعالى ما يصح أن يطلق عليه بالنظر إلى ذاته أو باعتبار صفة من صفاته السلبية كالقدوس أو الثبوتية كالعليم أو باعتبار فعل من أفعاله كالخالق لكنها توقيفية عند بعض العلماء وهو عام في كل ذكر توحيداً كان أو تلاوة قرآن أو مذاكرة علوم شرعية أو أذاناً أو إقامة أو نحوها. يعني [در آنجا بذكر ونماز اشتغال بايد نمود وازسخن دنيا وكلام ما لا يعنى براحتراز بايد بود] وفي الأثر: «الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش» ﴿يسبح له فيها﴾ فيها تكرير لقوله في بيوت للتأكيد والتذكير لما بينهما من الفاصلة وللإيذان بأن التقديم للاهتمام لا لقصر التسبيح على الوقوع في البيوت فقط والتسبيح تنزيه الله وأصله المرّ السريع في عبادة الله فإن السبح المرّ السريع في الماء

أو في الهواء يستعمل باللام وبدونها أيضاً وجعل عاماً في العبادات قولاً كان أو فعلاً أو نية أريد به ههنا الصلوات المفروضة كما ينبىء عنه تعيين الأوقات بقوله تعالى: ﴿**بالغدو والآصال**﴾ أي: بالغدوات والعشيات فالمراد بالغدو وقت صلاة الفجر المؤداة بالغداة وبالآصال ما عداه من أوقات صلوات الظهر والعصر والعشاءين لأن الأصيل يجمعها ويشملها كما في «الكواشي» وغيره. والغدو مصدر يقال: غدا يغدو غدواً أي دخل في وقت الغدوة وهي ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس والمصدر لا يقع فيه الفعل فأطلق على الوقت حسبما يشعر اقترانه بالآصال جمع أصيل وهو العشي أي من زوال الشمس إلى طلوع الفجر.

﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾.

﴿**رجال**﴾ فاعل يسبح ﴿**لا تلهيهم**﴾ لا تشغلهم من غاية الاستغراق في مقام الشهود يقال: ألهاه عن كذا إذا شغله عما هو أهم. ﴿**تجارة**﴾ التجارة صفة التاجر من بيع وشراء والتاجر الذي يبيع ويشتري.

قال في «المفردات»: التجارة التصرف في رأس المال طالباً للربح وليس في كلامهم تاء بعدها جيم غير هذه اللفظة وتخصيص التجارة لكونها أقوى الصوارف عندهم وأشهرها أي لا يشغلهم نوع من أنواع التجارة. ﴿**ولا بيع**﴾ البيع إعطاء المثمن وأخذ الثمن والشراء إعطاء الثمن وأخذ المثمن أي ولا فرد من أفراد البياعات وإن كان في غاية الربح وإفراده بالذكر مع اندراجه تحت التجارة لكونه أهم من قسمي التجارة فإن الربح يتحقق بالبيع ويتوقع بالشراء أي ربح الشراء، متوقع في ثاني الحال عند البيع فلم يكن ناجزاً كربح البيع فإذا لم يلههم المقطوع فالمظنون أولى ﴿**عن ذكر الله**﴾ بالتسبيح والتمجيد. ﴿**وإقام الصلاة**﴾ أي إقامتها بمواقيتها من غير تأخير وقد سقطت التاء المعوضة عن العين الساقطة بالإعلال وعوض عنها الإضافة.

قال ابن الشيخ: إقامة الصلاة اتمامها برعاية جميع ما اعتبره الشرع من الأركان والشرائط والسنن والآداب فمن تساهل في شيء منها لا يكون مقيماً لها. ﴿**وإيتاء الزكاة**﴾ أي: المال الذي فرض إخراجه للمستحقين وإيراده ههنا وإن لم يكن مما يفعل في البيوت لكونه قرين إقامة الصلاة لا يفارقها في عامة المواضع. ﴿**يخافون**﴾ صفة ثانية للرجال والخوف توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة كما أن الرجاء والطمع توقع محبوب عن إمارة مظنونة أو معلومة ويضاد الخوف الأمن. والمعنى بالفارسية [مي ترسند اين مردمان باوجود چنين توجه واستغراق] ﴿**يوماً**﴾ مفعول ليخافون لا ظرف والمراد يوم القيامة، أي من اليوم الذي ﴿**تتقلب فيه القلوب والأبصار**﴾ صفة ليوماً والتقلب التصرف والتغير من حال إلى حال وقلب الإنسان سمي به لكثرة تقلبه من وجه إلى وجه والبصر يقال للجارحة الناظرة وللقوة التي فيها. والمعنى: تضطرب وتتغير في أنفسها وتنتقل عن إماكنها من الهول والفزع فتنقلب القلوب في الجوف وترتفع إلى الحنجرة ولا تنزل ولا تخرج كما قال تعالى: ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: ١٠] وتقلب الأبصار شخوصها كما قال تعالى: ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢] وإذ زاغت الأبصار أو تتقلب القلوب بين توقع النجاة وخوف الهلاك والأبصار من أي ناحية يؤخذ بهم ومن أي جهة يأتي كتابهم.

﴿ليجزيهم الله﴾ متعلق بمحذوف يدل عليه ما حكي من أعمالهم المرضية أي يفعلون ما يفعلون من المداومة على التسبيح والذكر وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والخوف من غير صارف لهم عن ذلك ليجزيهم الله تعالى والجزاء ما فيه الكفاية من المقابلة إن خيراً فخير وإن شراً فشر والأجر خاص بالمثوبة الحسنى كما في «المفردات». ﴿أحسن ما عملوا﴾ أي: أحسن جزاء أعمالهم حسبما وعد لهم بمقابلة حسنة واحدة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف. ﴿ويزيدهم من فضله﴾ أشياء لم يعدهم بها على أعمالهم ولم تخطر ببالهم وهو العطاء الخاص لا لعمل. ﴿والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ تقرير للزيادة وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشيئة وسعة الإحسان. والرزق العطاء الجاري والحساب استعمال العدد، أي يفيض ويعطي من يشاء ثواباً لا يدخل تحت حساب الخلق.

قال كثير من الصحابة رضي الله عنهم: نزلت هذه الآية في أهل الأسواق الذين إذا سمعوا النداء بالصلاة تركوا كل شغل وبادروا إليها أي لا في أصحاب الصفة وأمثالهم الذين تركوا التجارة ولزموا المسجد فإنه تعالى قال: ﴿وإيتاء الزكاة﴾ وأصحاب الصفة وأمثالهم لم يكن عليهم الزكاة قال الإمام الراغب: قوله تعالى: ﴿لا تلهيهم﴾ الآية ليس ذلك نهياً عن التجارة وكراهية لها بل نهي عن التهافت والاشتغال عن الصلوات والعبادة بها انتهى. [آورده اندكه ملك حسين كه وإلى هرات بود از حضرت قطب الأقطاب خواجه بهاء الحق والدين محمد نقشبند قدس سره پرسيدكه در طريقة شما ذكر جهر وخلوت وسماع مي باشد فرمودندكه باشد پس كفت بناى طريقت شما برچيست فرمودندكه «خلوت دارانجمي بظاهر باخلق وبباطن باحق»].

ازدرون شوآشنا واز برون بيكانه وش اينچين زيبا روش كم مي بود اندر جهان

آنچه حق سبحانه وتعالى فرما يدكه. ﴿رجال لا تلهيهم تجارة﴾ الآية اشارت بدين مقامست.

سر رشتة دولت أي برادر بكف آرا وين عمر كرامي بخسارت مكذار
دائم همه جا باهمه كس درهمه كار ميدار نهفت چشم دل جانب يار

قال في «الأسئلة المقحمة»: كيف خص الرجال بالمدح والثناء دون النساء؟ فالجواب لأنه لا جمعة على النساء ولا جماعة في المساجد.

قال بعضهم: من أسقط عن سره ذكر ما لم يكن فكان يسمى رجلاً حقيقة ومن شغله عن ربه من ذلك شيء فليس من الرجال المتحققين.

وفي «التأويلات النجمية»: وإنما سماهم رجالاً لأنه لا تتصرف فيهم تجارة وهي كناية عن النجاة من دركات النيران كما قال تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾﴾ [الصف: ١٠] ولا بيع كناية عن الفوز بدرجات الجنان كما قال تعالى: ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ﴾ [التوبة: ١١١] وهو قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١] ولو تصرف فيهم شيء من الدارين بالتفاتهم إليه وتعلقهم به حتى شغلهم عن ذكر الله أي عن طلبه والشوق إلى لقائه لكانوا بمثابة النساء فإنهن محال التصرف فيهن وما استحقوا اسم الرجال وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام فقال: «يا داود فرغ لي بيتاً أسكن فيه قال يا رب أنت منزه عن البيوت قال: فرغ لي قلبك» وتفريغها أي القلوب التي أشارت إليها البيوت تصفيتها عن نقوش المكونات وتصقيلها عن صدأ تعلقات الكونين وإنما هو بذكر الله

والمداومة عليه كما قال عليه السلام: «إن لكل شيء صقالة وإن صقالة القلوب بذكر الله» فإذا صقلت تحلى الله فيها بنور الجمال وهو الزيادة في قوله تعالى: ﴿**للذين أحسنوا الحسنى وزيادة**﴾ والرزق بغير حساب في أرزاق الأرواح والمواهب الإلهية فأما أرزاق الأشباح فمحصورة معدودة.

فعلى العاقل الاجتهاد بأعمال الشريعة وآداب الطريقة فإنه سبب الوصول إلى أنوار الحقيقة ومن تنور باطنه في الدنيا تنور ظاهره وباطنه في العقبى وكل جزاء فإنما هو من جنس العمل. روي: أنه إذا كان يوم القيامة يحشر قوم وجوههم كالكوكب الدري فتقول لهم الملائكة: ما أعمالكم فيقولون: كنا إذا سمعنا الأذان قمنا إلى الطهارة لا يشغلنا غيرها ثم يحشر طائفة وجوههم كالأقمار فيقولون بعد السؤال: كنا نتوضأ قبل الوقت، ثم يحشر طائفة وجوههم كالشموس فيقولون: كنا نسمع الأذان في المسجد» وفي الحديث: «إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول» أي: ثواب من يأتي في الوقت الأول والثاني، «فإذا جلس الإمام» يعني صعد المنير «طووا الصحف وجاؤا يسمعون الذكر» أي: الخطبة فلا يكتبون ثواب من يأتي في ذلك الوقت والمراد منه أجر مجرد مجيئه قيل لا يكتبون أصلاً وقيل يكتبونه بعد الاستماع والمراد بالملائكة كتبة ثواب من يحضر الجمعة وهم غير الحفظة اللهم اجعلنا من المسارعين المسابقين واحشرنا في زمرة أهل الصدق والحق واليقين.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾

﴿**والذين كفروا أعمالهم**﴾ أي: أعمالهم التي هي من أبواب البرّ كصلة الأرحام وعتق الرقاب وعمارة البيت وسقاية الحاج وإغاثة الملهوفين وقرى الأضياف وإراقة الدماء ونحو ذلك مما لو قارنه الإيمان لاستتبع الثواب. ﴿**كسراب**﴾ هو ما يرى في المفازة من لمعان الشمس عليها نصف النهار فيظن أنه ماء يسرب أي يذهب ويجري وكان السراب فيما لا حقيقة له كالشراب فيما له حقيقة. ﴿**بقيعة**﴾ متعلق بمحذوف هو صفة السراب، أي كائن في قاع وهي الأرض المنبسطة المستوية قد انفرجت عنها الجبال.

قال في «المختار»: القيعة مثل القاع، وبعضهم يقول هو جمع. ﴿**يحسبه الظمآن ماء**﴾ صفة أخرى لسراب، أي يظنه الشديد العطش ماء حقيقة من ظمىء بالكسر يظمأ والظمىء بالكسر ما بين الشربتين والوردين والظمأ العطش الذي يحدث من ذلك وتخصيص الحسبان بالظمآن مع شموله لكل من يراه كائناً من كان من العطشان والريان لتكميل التشبيه بتحقيق شركة طرفيه في وجه الشبه وهو الابتداء المطمع والانتهاء الموئس. ﴿**حتى إذا**﴾ [تاچون] ﴿**جاءه**﴾ أي: جاء ما توهمه ماء وعلق به رجاءه ليشرب منه. ﴿**لم يجده**﴾ أي ما حسبه ماء ﴿**شيئاً**﴾ أصلاً لا متحققاً ولا متوهماً كما كان يراه من قبل فضلاً عن وجدان ماء فيزداد عطشاً. ﴿**ووجد الله**﴾ أي: حكمه وقضاءه ﴿**عنده**﴾ عند المجيء كما قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر: ١٤] يعني: مصير الخلق إليه ﴿**فوفاه حسابه**﴾ أي أعطاه وافياً كاملاً حساب عمله يعني ظهر له بعد ذلك من سوء الحال ما لا قدر عنده للخيبة والقنوط أصلاً كمن يجيء إلى باب السلطان للصلة

فيضرب ضرباً وجيعاً. ﴿والله سريع الحساب﴾ لا يشغله حساب عن حساب.

قال الكاشفي: [زود حسابست حساب يكى اورا از حساب ديكرى بازندارد تمثيل كرد اعمال كافر را بسراب واورا بتشنة سوخته پس همچنانكه تشنة ازسراب نا اميد شده باشد شدتش زياده مي شود كافر انرا ازاميد به پاداش اعمال خود چود نيايند حسرت افزون ميكردد].

وفي الآية إشارة إلى أهل كفران النعمة وهم الذين يصرفون نعمة الله في معاصيه ومخالفته ثم يعاملون على الغفلة بالرسم والعادة التي وجدوا عليها آباءهم صورة بلا معنى بل رياء وسمعة وهم يحسبون بجهلهم أنهم يحسنون صنعاً زين لهم الشيطان أعمالهم فمثل أعمالهم كسراب لا طائل تحته وصاحب الأعمال يحسب من غفلته وجهالته أن أعماله المشوبة هي ما يطفىء به نار غضب الله حتى إذا جاءه عند الموت لم يجده شيئاً مما توهمه ووجد الله عند أعماله للوزن والجزاء والحساب وهو غضبان عليه لسوء معاملته معه فجازاه حق جزائه والله سريع الحساب يشير إلى أن من سرعة حسابه أن يظهر على ذاته وصفاته آثار معاملته السيئة بالأخلاق الذميمة والأحوال الرديئة في حال حياته.

﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾

﴿أو كظلمات﴾ عطف على كسراب وأو للتنويع فإن أعمالهم إن كانت حسنة فكالسراب وإن كانت قبيحة فكالظلمات ﴿في بحر لجي﴾ أي: عميق كثير الماء منسوب إلى اللج وهو معظم ماء البحر.

قال الكاشفي: [دردرياي عميق كه دم بدم]. ﴿يغشاه موج﴾ صفة أخرى للبحر أي يستره ويغطيه بالكلية. ﴿من فوقه موج﴾ مبتدأ وخبر والجملة صفة لموج، أي يغشاه أمواج متراكمة بعضها على بعض. ﴿من فوقه سحاب﴾ صفة لموج الثاني وأصل السحب الجر وسمي السحاب إما لجر الريح أو لجره الماء أي من فوق الموج الثاني الأعلى سحاب غطى النجوم وحجب أنوارها.

وفيه إيماء إلى غاية تراكم الأمواج وتضاعفها حتى كأنها بلغت السحاب. ﴿ظلمات﴾ أي: هذه ظلمات. ﴿بعضها فوق بعض﴾ أي متكاثفة متراكمة حتى ﴿إذا أخرج﴾ أي من ابتلي بهذه الظلمات وإضماره من غير ذكره لدلالة المعنى عليه دلالة واضحة. ﴿يده﴾ وهي أقرب اعضائه المرئية إليه وجعلها بمرأى منه قريبة من عينه لينظر إليها ﴿لم يكد يراها﴾ لم يقرب أن يراها لشدة الظلمة فضلاً عن أن يراها ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً﴾ أي: ومن لم يشأ الله أن يهديه لنور القرآن ولم يوفقه للإيمان به. ﴿فما له من نور﴾ أي: فما له هداية ما من أحد أصلاً.

قال الكاشفي: [اين تمثيل ديكراست مر عملهاي كفاررا ظلمات اعمال تيرة اوست وبحر لجي دل أو وموج آنچه دل اورا مي پوشد از جهل وشرك وسحاب مهر خذلان برآن پس كردار وكفتارش ظلمت ومدخل ومخرجش ظلمت ورجوع اودر روز قيامت هم بظلمت عكس مؤمن كه اورانوراست واين را ﴿ظلمات بعضها فوق بعض﴾].

مؤمنان ازتير كي دور آمدند لا جرم نور على نور آمدند
كافر تاريك دل را فكرتست حال كارش ظلمت اندر ظلمتست

والإشارة بالظلمات إلى صورة الأعمال التي وقعت على الغفلة بلا حضور القلب وخلوص النية فهي. ﴿**كظلمات في بحر لجي**﴾ وهو حب الدنيا ﴿**يغشاه موج**﴾ من الرياء ﴿**من فوقه موج**﴾ من حب الجاه وطلب الرياسة. ﴿**من فوقه سحاب**﴾ من الشرك الخفي ﴿**ظلمات بعضها فوق بعض**﴾ يعني ظلمة غفلة الطبيعة وظلمة حب الدنيا وظلمة حب الجاه وظلمة الشرك ﴿**إذا أخرج يده**﴾ يعني العبد يد قصده واجتهاده وسعيه ليرى صلاح حاله ومآله في تخلصه من هذه الظلمات لم ير بنظر عقله طريق خلاصه من هذه الظلمات لأن من لم يصبه رشاس النور الإلٰهي عند قسمة الأنوار فما له من نور يخرجه من هذه الظلمات فإن نور العقل ليس له هذه القوة لأنها من خصوصية نور الله كقوله تعالى: ﴿**ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ**﴾ [البقرة: ٢٥٧] والنكتة في قوله تعالى: ﴿**يخرجهم**﴾ الخ كأنه يقول أخرجت الماء من العين والمطر من السحاب والنار من الحجر والحديد من الجبال والدخان من النار والنبات من الأرض والثمار من الأشجار كما لا يقدر أحد أن يرد هذه الأشياء إلى مكانها كذلك لا يقدر إبليس وسائر الطواغيت أن يردك إلى ظلمة الكفر والشك والنفاق بعدما أخرجتك إلى نور الإيمان واليقين والإخلاص والله الهادي.

﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾**﴾.

﴿**ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض**﴾ الهمزة للتقرير والمراد من الرؤية رؤية القلب فإن التسبيح الآتي لا يتعلق به نظر البصر، أي قد علمت يا محمد علماً يشبه المشاهدة في القوة واليقين بالوحي أو الاستدلال أن الله تعالى ينزهه على الدوام في ذاته وصفاته وأفعاله عن كل ما لا يليق بشأنه من نقص وآفة أهل السموات والأرض من العقلاء وغيرهم ومن لتغليب العقلاء. ﴿**والطير**﴾ بالرفع عطف على من جمع طائر كركب وراكب والطائر كل ذي جناح يسبح في الهواء وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في جملة ما في الأرض لعدم استقرارها قرار ما فيها لأنها تكون بين السماء والأرض غالباً ﴿**صافات**﴾ أصل الصف البسط ولهذا سمي اللحم القديد صفيفاً لأنه يبسط أي تسبحه تعالى حال كونها صافات أي باسطات أجنحتها في الهواء تصفقن ﴿**كل**﴾ من أهل السموات و الأرض. ﴿**قد علم**﴾ بإلهام الله تعالى ويوضحه ما قرىء علم مشدداً أي: عرف ﴿**صلاته**﴾ أي دعاء نفسه ﴿**وتسبيحه**﴾ تنزيهه ﴿**والله عليم بما يفعلون**﴾ أي يفعلونه من الطاعة والصلاة والتسبيح فيجازيهم على ذلك وفيه وعيد لكفرة الثقلين حيث لا تسبيح لهم طوعاً واختياراً.

﴿**ولله**﴾ لا لغيره ﴿**ملك السموات والأرض**﴾ لأنه الخالق لما فيها من الذوات والصفات وهو المتصرف في جميعها إيجاداً وإعداماً إبداء وإعادة. ﴿**وإلى الله**﴾ خاصة ﴿**المصير**﴾ أي رجوع الكل بالفناء والبعث فعلى العاقل أن يعبد هذا المالك القوي ويسبحه باللسان الصوري والمعنوي وهذا التسبيح محمول عند البعض على ما كان بلسان المقال فإنه يجوز أن يكون لغير العقلاء أيضاً تسبيح حقيقة لا يعلمه إلا الله ومن شاء من عباده كما في «الكواشي» وقد سبق

تفصيل بديع عند قوله تعالى في سورة الإسراء ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] فارجع تغنم.

وعن أبي ثابت قال: كنت جالساً عند أبي جعفر الباقر فقال لي أتدري ما تقول هذه العصافير عند طلوع الشمس وبعد طلوعها؟ قلت: لا قال فإنهن يقدسن ربهن ويسألن قوت يومهن [آورده اندكه أبو الجناب نجم الكبرى قدس سره در رسالة فواتح الجمال ميفر ما يندكه ذكرى كه جارى بر نفوس حيوانات انفاس ضرورية ايشانست زيرا كه در برآمدن وفرو رفتن نفس حرف هاكه اشارت بغيب هويت حكق است كفته ميشودا كر خواهند واكر نخواهند ورن حرف هاست كه دراسم مبارك الله است وألف ولام از براى تعريفست وتشديد لام از براى مبالغه درآن تعريف پس مى بايدكه طالب هو شمندر در وقت تلفظ باين حرف شريف هويت حق سبحانه وتعالى ملحوظ وى باشد ودر خروج ودخول نفس واقف بودكه در نسبت حضور مع الله فتورى واقع نشود] ويقال لهذا عند النقشبندية [هوش دردم].

هاغيب هويت آمد أي حرف شناس انفاس ترابود بآن حرف اساس
باش آكه ازان حرف دراميد وهراس حرفي كفتم شكرف اكردارى پاس

يقول الفقير أيقظه القدير: رأيت في بعض المبشرات حضرة شيخي وسندي قدس سره وهو يخاطبني ويقول: هل تعرف سر قولهم: الله بالرفع دون الله بالنصب والجر فقلت: لا فقال: إنه في الأصل الله هو فبضم الشفتين في تحصل الإشارة إلى نور الذات الأحدية في الممكنات وسر الكمال الساري في المظاهر ولا تحصل هذه الإشارة في النصب والجر الحمد لله تعالى.

وقال بعض العلماء: تسبيح الحيوان والجماد محمول على ما كان بلسان الحال فإن كل شيء يدل بوجوده وأحواله على وجود صانع واجب الوجود متصف بصفات الكمال مقدس عن كل ما لا يليق بشأنه.

وقال في «التأويلات»: اعلم أن التسبيح على ثلاثة أوجه تسبيح العقلاء وتسبيح الحيوانات وتسبيح الجمادات. فتسبيح العقلاء بالنطق والمعاملات. وتسبيح الحيوانات بلسان الحاجات وصورة الدلالات على صانعها. وتسبيح الجمادات بالخلق وهو عام في جميعها فإنها مظهر الآيات فأما تسبيح العقلاء فمخصوص بالملك والإنسان فتسبيح الملك غذاؤه يعيش به ولو قطع عنه لهلك وليس موجباً لترقيه لأنه مسبح بالطبع وتسبيح الإنسان تنزيه الحق بالأمر لا بالطبع فموجب لترقيه بأن يفنى فيه أوصاف إنسانيته ويبقيه بوصف سبوحيته فإنه به ينطق عند فناء وجوده. ﴿**كل قد علم صلاته وتسبيحه**﴾ يشير إلى أن لكل شيء علماً وشعوراً مناسباً له على صلاته وهي القيام بالعبودية وعلى تسبيحه وهو ثناء الربوبية وذلك؛ لأن لكل شيء ملكوتاً هو قائم به وقيام الملكوت بيده تعالى كما قال: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [يس: ٨٣] وعالم الملكوت هو الحياة المحض والعلم كما قال: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤] والملكوت هو عالم الأرواح فلكل شيء روح منه بحسب استعداده لقابلية الروح فخلق الإنسان في أحسن تقويم لقابلية الروح الأعظم فلهذا صار كاملهم أفضل المخلوقات وأكرمها فهو يعلم خصوصية صلاته وتسبيحه على قدر حظه من عالم الملكوت بل على قدر حظه من عالم الربوبية وهو متفرد به عما دونه والملك يعلم صلاته وتسبيحه على قدر

حظه من عالم الملكوت والحيوانات والجمادات تعلم صلاتها وتسبيحها بملكوتها بلا شعور منها بالصورة. ﴿والله عليم بما يفعلون﴾ أي: بحقيقته بالكمال وهم يعلمون بحسب استعدادهم انتهى ما في «التأويلات» وهذا لا ينفي نطق الجمادات عند إنطاق الله تعالى وكذا نطق الحيوانات العجم بطريق خرق العادة أو بطريق لا يسمعه ولا يفهمه إلا أهل الكشف والعيان كما سبق أمثلته في سورة الإسراء نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا ممن لا يمضي نفسه إلا بذكر شريف ولا يمر وقته إلا بحال لطيف أنه الفياض الوهاب الجواد.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿ألم تر أن الله يزجي سحاباً﴾ الإزجاء سوق الشيء برفق وسهولة لينساق غلب في سوق شيء يسير أو غير معتد به ومنه البضاعة المزجاة فإنها يزجيها كل أحد ويدفعها لقلة الاعتداد بها. ففيه إيماء إلى أن السحاب بالنسبة إلى قدرته تعالى مما لايعتد به ويسمى السحاب سحاباً لانسحابه في الهواء أي انجراره وهو اسم جنس يصح إطلاقه على سحابة واحدة وما فوقها والمراد ههنا قطع السحاب بقرينة إضافة بين إلى ضميره فإنه لا يضاف إلا إلى متعدد. والمعنى قد رأيت رؤية بصرية أن الله يسوق غيماً إلى حيث يريد. ﴿ثم يؤلف بينه﴾ أي: بين أجزائه بضم بعضها إلى بعض فيجعله شيئاً واحداً بعد أن كان قطعاً. ﴿ثم يجعله ركاماً﴾ أي: متراكماً بعضه فوق بعض فإنه إذا اجتمع شيء فوق شيء فهو ركوم مجتمع.

قال في «المفردات» يقال: سحاب مركوم أي متراكم والركام ما يلقي بعضه على بعض ﴿فترى الودق﴾ أي المطر أثر تكاثفه وتراكمه.

قال أبو الليث: الودق المطر كله شديده وهينه.

وفي «المفردات»: الودق قيل ما يكون خلال المطر كأنه غبار وقد يعبر به عن المطر ﴿يخرج من خلاله﴾ حال من الودق لأن الرؤية بصرية والخلال جمع خلل كجبال وجبل وهو فرجة بين الشيئين والمراد ههنا مخارج القطر. والمعنى حال كون ذلك الودق يخرج من أثناء ذلك السحاب وفتوقه التي حدثت بالتراكم وانعصار بعضه من بعض.

قال كعب: السحاب غربال المطر ولولاه لأفسد المطر ما يقع عليه ﴿وينزل من السماء﴾ أي من الغمام فإن كل ما علاك سماء وسماء كل شيء أعلاه. ﴿من جبال﴾ أي: من قطع عظام تشبه الجبال في العظم كائنة. ﴿فيها﴾ أي: في السماء فإن السماء من المؤنثات السماعية. ﴿من برد﴾ مفعول ينزل على أن من تبعيضية والأوليان لابتداء الغاية على أن الثانية بدل اشتمال من الأولى بإعادة الجار والبرد محركة الماء المنعقد، أي ما يبرد من المطر في الهواء فيصلب كما في «المفردات». والمعنى ينزل الله مبتدئاً من السماء من جبال فيها بعض برد. قال بعضهم: إن الله تعالى خلق جبالاً كثيرة في السماء من البرد والثلج ووكل بها ملكاً من الملائكة فإذا أراد أن يرسل البرد والثلج على قطر من أقطار الأرض يأمره بذلك فثلج هناك ما شاء الله بوزن ومقدار في صحبة كل حبة منها ملك يضعها حيث أمر بوضعها.

قال ابن عباس رضي الله عنهما لا عين تجري على الأرض إلا وأصلها من البرد والثلج

ويقال: إن الله تعالى خلق ملائكة نصف أبدانهم من الثلج ونصفها من النار فلا الثلج يطفىء النار ولا النار تذيب الثلج فإذا أراد الله إرسال الثلج في ناحية أمرهم حتى يترفرفوا بأجنحتهم من الثلج فما تساقط عن الترفرف فهو الثلج الذي يقع هناك يقال: رفرف الطائر إذا حرك جناحيه حول الشيء يريد أن يقع عليه وقيل: المراد من الماء أي في الآية المظلة أي الفلك وفيها جبال من برد كما أن في الأرض جبالاً من حجر وليس في العقل ما ينفيه والمشهور أن الابخرة إذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوى البرد اجتمعت هناك وصارت سحاباً فإن لم يشتد البرد تقاطرت مطراً وإن اشتد فإن وصل إلى الأجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل برداً وقد يبرد الهواء برداً مفرطاً فينقبض وينعقد سحاباً وينزل منه المطر أو الثلج وكل ذلك مستند إلى إرادة الله تعالى ومشيئته المبنية على الحكم والمصالح.

وفي «إخوان الصفاء»: الأجزاء المائية والترابية إذا كثرت في الهواء وتراكمت فالغيم منها هو الرقيق والسحاب هو المتراكم والمطر هو تلك الأجزاء المائية إذا التأم بعضها مع بعض وبردت وثقلت رجعت نحو الأرض والبرد قطر تجمد في الهواء بعد خروجه من سمك السحاب والثلوج قطر صغار تجمد في خلال الغيم ثم تنزل برفق من السحاب انتهى والأجزاء اللطيفة الأرضية تسمى دخاناً والمائية بخاراً.

قال ابن التمجيد: إذا أشرقت الشمس على أرض يابسة تحللت منها أجزاء نارية ويخالطها أجزاء أرضية يسمى المركب منهما دخاناً.

وفي «شرح القانون»: الفرق بين الدخان والبخار هو أن تركيب الدخان من الأجزاء الأرضية والنارية وتركيب البخار من المائية والهوائية فيكون البخار ألطف من الدخان.

﴿**فيصيب به**﴾ أي: بما ينزل من البرد والباء للتعدية. وبالفارسية [پس ميرساند آن تكرك را]. ﴿**من يشاء**﴾ فيناله ما يناله من ضرر في نفسه وماله نحو الزرع والضرع والثمرة. ﴿**ويصرفه عن من يشاء**﴾ فيأمن غائلته ﴿**يكاد سنا برقه**﴾ أي: يقرب ضوء برق السحاب فإن السنا مقصوراً بمعنى الضوء الساطع وممدوداً بمعنى الرفعة والعلو والبرق لمعان السحاب.

وفي «القاموس»: البرق واحد بروق السحاب أو ضرب ملك السحاب وتحريكه إياه لينساق فترى النيران.

وفي «إخوان الصفاء»: البرق نار تنقدح من احتكاك تلك الأجزاء الدخانية في جوف السحاب ﴿**يذهب بالأبصار**﴾ أي: يخطفها من فرط الإضاءة وسرعة ورودها.

قال الكاشفي: [واين دليل است بر كمال قدرت كه شعلة آتش ازميان ابر آبدار بيرون مي آرد] فسبحان من يظهر الضد من الضد.

﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾﴾.

﴿**يقلب الله الليل والنهار**﴾ بالمعاقبة بينهما أو بنقص أحدهما وزيادة الآخر أو بتغيير أحوالهما بالحر والبرد والظلمة والنور وغيرها مما يقع فيهما من الأمور التي من جملتها ما ذكر من إزجاء السحاب وما ترتب عليه وفي الحديث قال الله تعالى: «يؤذيني ابن آدم يَسب الدهر

وأنا الدهر بيدي الأمر اقلب الليل والنهار» كذا في «المعالم» «والوسيط». ﴿إن في ذلك﴾ الذي فصل من الازجاء إلى التقليب. ﴿لعبرة﴾ لدلالة واضحة على وجود الصانع القديم ووحدته وكمال قدرته وإحاطة علمه بجميع الأشياء ونفاذ مشيئته وتنزهه عما لا يليق بشأنه العلي وأصل العبر تجاوز من حال إلى حال والعبرة الحالة التي يتوصل بها من معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهد. ﴿لأولي الأبصار﴾ لكل من يبصر ويقال لقوة القلب المدركة: بصيرة وبصر ولا يكاد يقال للجارحة بصيرة كما في «المفردات». يعني أن من له بصيرة يعبر من المذكور إلى معرفة المدبر ذلك من القدرة التامة والعلم الشامل الدال قطعاً على الوحدانية.

وسئل سعيد بن المسيب أي: العبادة أفضل؟ قال: التفكر في خلقه والتفقه في دينه.

ويقال: العبر بأوقار والمعتبر بمثقال فعلى العاقل الاعتبار آناء الليل وأطراف النهار.

قالت رابعة القيسية رحمها الله: ما سمعت الأذان إلا ذكرت منادي يوم القيامة وما رأيت الثلوج إلا ذكرت تطاير الكتب وما رأيت الجراد إلا ذكرت الحشر.

والإشارة في الآية الكريمة أن الله تعالى يسوق السحب المتفرقة التي تنشأ من المعاصي والأخلاق الذميمة ثم يؤلف بينها ثم يجعلها متراكماً بعضها على بعض فترى مطر التوبة يخرج من خلاله كما خرج من سحاب وعصى آدم ربه فغوى مطر ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فالإنسان من النسيان والشر جزء من البشر فإذا أذنب الإنسان فلتكن همته طلب العفو والرحمة من الله تعالى ولا يمتنع منه مستعظماً لذنبه ظاناً أن الله تعالى وصف ذاته الأزلية بالغفارية والتوابية حين لم يكن بشر ولا ذنب ولا حادث من الحوادث فاقتضى ذلك وجود الذنب من الإنسان البتة لأن المغفرة إنما هي بالنسبة إلى الذنب. ولذا قال الحافظ:

سهو وخطاى بنده كرش نيست اعتبار معنى عفو ورحمت آمر زكار چيست

وينزل الله من سماء القلب من قساوة فيها جموده من قهر الحق وخذلانه فيصيب من برد القهر من يشاء من أهل الشقاوة ويصرفه عمن يشاء من أهل السعادة يكاد سنا برق القهر يذهب البصائر يقلب الله ليل معصية من يشاء نهار الطاعة كما قلب في حق آدم عليه السلام ويقلب نهار طاعة من يشاء ليل المعصية كما قلب في حق إبليس إن في ذلك التقليب لعبرة لأرباب البصائر بأن يشاهدوا آثار لطفه وقهره في مرآة التقليب كذا في «التأويلات النجمية».

﴿والله خلق كل دابة﴾ الدب والدبيب مشي خفيف ويستعمل ذلك في الحيوان وفي الحشرات أكثر كما في «المفردات» والدابة هنا ليست عبارة عن مطلق ما يمشي ويتحرك بل هي اسم للحيوان الذي يدب على الأرض ومسكنه هنالك فيخرج منها الملائكة والجن فإن الملائكة خلقوا من نور والجن من نار.

وقال في «فتح الرحمٰن»: خلق كل حيوان يشاهد في الدنيا ولا يدخل فيه الملائكة والجن لأنا لا نشاهدهم انتهى. والمعنى خلق كل حيوان يدب على الأرض. ﴿من ماء﴾ هو جزء مادته أي أحد العناصر الأربعة على أن يكون التنوين للوحدة الجنسية فدخل فيه آدم المخلوق من تراب وعيسى المخلوق من روح أو من ماء مخصوص هو النطفة، أي ماء الذكر والأنثى على أن يكون التنوين للوحدة النوعية فيكون تنزيلاً للغالب منزلة الكل إذ من الحيوان ما يتولد لا عن نطفة [در تبيان از ابن عباس رضي الله عنهما نقل ميكند كه حق سبحانه جوهري آفريد ونظر هيبت برو افكند بكداخت وآب شد بعضى آنرا تغليب نمود باتش وازان جن بيافريد پس

بعض را تغليب كرد بباد وازان ملائكة فريد پس تغليب نمود مقداري را بخاك وازان آدمى وسائر حيوانات خلق كرد واصل آن همه آبست].

قال في «الكواشي»: تنكير ماء مؤذن أن كل دابة مخلوقة من ماء مختص بها وهو النطفة فجميع الحيوان سوى الملائكة والجن مخلوق من نطفة وتعريف الماء في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠] نظر إلى الجنس الذي خلق منه جميع الحيوان لأن أصل جميع الخلق من الماء.

قالوا: خلق الله ماء فجعل بعضه ريحاً فخلق منها الملائكة وجعل بعضه ناراً فخلق منها الجن وبعضه طيناً فخلق منه آدم انتهى.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن كل ذي روح خلق من نور محمد عليه السلام لأن روحه أول شيء تعلقت به القدرة كما قال: «أول ما خلق الله روحي» ولما كان هو درة صدف الموجودات عبر عن روحه بدرة وجوهرة فقال: «لما أراد الله أن يخلق العالم خلق درة» وفي رواية جوهرة «ثم نظر إليها بنظر الهيبة فصارت ماء» الحديث فخلقت الأرواح من ذلك الماء اهـ.

فإن قيل: ما الحكمة في خلق كل شيء من الماء قيل لأن الخلق من الماء أعجب لأنه ليس شيء من الأشياء أشد طوعاً من الماء لأن الإنسان لو أراد أن يمسكه بيده أو أراد أن يبنى عليه أو يتخذ منه شيئاً لا يمكنه والناس يتخذون من سائر الأشياء أنواع الأشياء.

قيل: فالله تعالى أخبر أنه يخلق من الماء ألواناً من الخلق وهو قادر على كل شيء كذا في «تفسير أبي الليث» عليه الرحمة. ﴿**فمنهم من يمشي على بطنه**﴾ كالحية والحوت ونحوهما وإنما قال: يمشي على وجه المجاز وإن كان حقيقة المشي بالرجل لأنه جمعه مع الذي يمشي على وجه التبع. يعني أن تسمية حركة الحية مثلاً ومرورها مشياً مع كونها زحفاً للمشاكلة فإن المشي حقيقة هو قطع المسافة والمرور عليها مع قيد كون ذلك المرور على الأرجل. ﴿**ومنهم من يمشي على رجلين**﴾ كالإنس والجن والطير كما في «الجلالين» ﴿**ومنهم من يمشي على أربع**﴾ كالنعم والوحش وعدم التعرض لما يمشي على أكثر من أربع كالعناكب ونحوها من الحشرات لعدم الاعتداد بها كما في «الإرشاد».

وقال في «فتح الرحمٰن»: لأنها في الصورة كالتي تمشي على أربع وإنما تمشي على أربع منها كما في «الكواشي» وتذكير الضمير في منهم لتغليب العقلاء والتعبير عن الأصناف بمن ليوافق التفصيل الإجمال وهو هم في فمنهم والترتيب حيث قدم الزاحف على الماشي على رجلين وهو على الماشي على أربع لأن المشي بلا آلة أدخل في القدرة من المشي على الرجلين وهو أثبت لها بالنسبة إلى من مشى على أربع. ﴿**يخلق الله ما يشاء**﴾ مما ذكر ومما لم يذكر بسيطاً كان أو مركباً على ما يشاء من الصور والأعضاء والهيئات والحركات والطبائع والقوى والأفاعل مع اتحاد العنصر [صاحب حديقه فرموده

أوست قادر بهرچه خواهد وخواست كارها جمله نزد أو پيداست

وقال بعضهم:

نقشبند برون كلها أوست نقش دان درون دلها اوست

﴿**إن الله على كل شيء قدير**﴾ فيفعل الله ما يشاء كما يشاء. ﴿**لقد أنزلنا آيات مبينات**﴾

أي لكل ما يليق بيانه من الأحكام الدينية والأسرار التكوينية. ﴿**والله يهدي من يشاء**﴾ بالتوفيق للنظر الصحيح فيها والإرشاد إلى التأمل في معانيها. ﴿**إلى صراط مستقيم**﴾ يعني الإسلام الذي هو دين الله وطريقه إلى رضاه وجنته.

وفي «التأويلات النجمية»: أخبر عن سيرة هذه الدواب التي خلقت من الماء فقال: ﴿**فمنهم من يمشي على بطنه**﴾ يعني سيرته في مشيه أن يضيع عمره في تحصيل شهوات بطنه. ﴿**ومنهم من يمشي على رجلين**﴾ أي: يضيع عمره في تحصيل شهوات فرجه فإن كل حيوان إذا قصد قضاء شهوته يمشي على رجلين عند المباشرة وإن كان له أربع قوائم. ﴿**ومنهم من يمشي على أربع**﴾ أي: يضيع عمره في طلب الجاه لأن أكثر طالبي الجاه يمشي راكباً على مركوب له أربع قوائم كالخيل والبغال والحمير كما قال تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [النحل: ٨] من أنواع المخلوقات على مقتضى حكمته ومشيئته الأزلية لما يشاء كما يشاء إظهاراً للقدرة ليعلم أن الله على خلق كل نوع من أنواع المخلوقات والمقدورات قادر ـ ومن أخبار الرشيد ـ أنه خرج يوماً للصيد فأرسل بازياً أشهب فلم يزل يعلو حتى غاب في الهواء ثم رجع بعد اليأس منه ومعه سمكة فأحضر الرشيد العلماء وسألهم عن ذلك فقال مقاتل: يا أمير المؤمنين روينا عن جدك ابن عباس رضي الله عنهما أن الهواء معمور بأمم مختلفة الخلق سكان فيه وفيه دواب تبيض وتفرخ فيه شيئاً على هيئة السمك لها أجنحة ليست بذات ريش فأجاز مقاتلاً على ذلك وأكرمه. ﴿**لقد أنزلنا آيات مبينات**﴾ أي: أنزلنا القرآن مبينات آياته ما خلقنا من كل نوع من أنواع الإنسان المذكورة أوصافهم ولكنهم لو وكلوا إلى ما جبلوا عليه لما كانوا يهتدون إلا إلى هذه الأوصاف التي جبلوا عليها ولا يهتدون إلى صراط مستقيم هو صراط الله بإرادتهم ومشيئتهم. ﴿**والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم**﴾ يصل به إلى الحضرة بمشيئة الله وإرادته الأزلية نسأل الله الهداية إلى سواء الطريق والتوفيق لجادة التحقيق.

﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿**ويقولون آمنا بالله وبالرسول**﴾ نزلت في بشر المنافق خاصم يهودياً في أرض فدعاه إلى كعب بن الأشرف من أحبار اليهود ودعاه اليهود إلى النبي عليه الصلاة والسلام فصبغة الجمع للإيذان بأن للقائل طائفة يساعدونه ويتابعونه في تلك المقالة كما يقال: بنو فلان قتلوا فلاناً والقاتل منهم واحد. ﴿**وأطعنا**﴾ أي: أطعناهما في الأمر والنهي والإطاعة فعل يعمل بالأمر لا غير لأنها الانقياد وهو لا يتصور إلا بعد الأمر بخلاف العباد وغيرها. ﴿**ثم يتولى**﴾ يعرض عن قبول حكمه.

قال الإمام الراغب تولى إذا عدي بنفسه اقتضى معنى الولاية وحصوله في أقرب المواضع وإذا عدى بعن لفظاً أو تقديراً اقتضى معنى الإعراض وترك القرب فإن الولي القرب والتولي قد يكون بالجسم وقد يكون بترك الإصغاء والائتمار وثم يجوز أن يكون للتراخي الزماني وأن

يكون لاستبعاد أمر التولي عن قولهم آمنا وأطعنا. ﴿**فريق منهم**﴾ أي من القائلين.

قال في «المفردات»: الفرق القطعة المنفصلة ومنه الفرقة للجماعة المنفردة من الناس والفريق الجماعة المنفردة عن آخرين. ﴿**من بعد ذلك**﴾ القول المذكور. ﴿**وما أولئك**﴾ إشارة إلى القائلين فإن نفي الإيمان عنهم مقتض لنفيه عن الفريق المتولي بخلاف العكس أي وما أولئك الذين يدعون الإيمان والإطاعة ثم يتولى بعضهم الذين يشاركونهم في الاعتقاد والعمل. ﴿**بالمؤمنين**﴾ حقيقة كما يعرب عنه اللام أي ليسوا بالمؤمنين المعهودين بالإخلاص في الإيمان والثبات عليه ﴿**وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم**﴾ أي: الرسول ﴿**بينهم**﴾ لأنه المباشر للحكم حقيقة وإن كان الحكم حكم الله حقيقة وذكر الله لتفخيمه عليه السلام والإيذان بجلالة محله عنده تعالى والحكم بالشيء أن تقضى بأنه كذا وليس بكذا سواء ألزمت بذلك غيرك أو لم تلزمه. ﴿**إذا فريق منهم معرضون**﴾ أي: فاجأ فريق منهم الإعراض عن المحاكمة إليه عليه السلام لكون الحق عليهم وعلمهم بأنه عليه السلام يحكم بالحق عليهم ولا يقبل الرشوة وهو شرح للتولي ومبالغة فيه وأعرض أظهر عرضه، أي: ناحيته.

﴿**وإن يكن لهم الحق**﴾ أي: الحكم لا عليهم ﴿**يأتوا إليه**﴾ إلى صلة يأتوا فإن الإتيان والمجيء يعديان بإلى. ﴿**مذعنين**﴾ منقادين لجزمهم بأنه عليه السلام يحكم لهم.

﴿**أفي قلوبهم مرض**﴾ إنكار واستقباح لإعراضهم المذكور وبيان لمنشأه أي أذلك الإعراض لأنهم مرضى القلوب لكفرهم ونفاقهم. ﴿**أم**﴾ لأنهم ﴿**ارتابوا**﴾ أي: شكوا في أمر نبوته عليه السلام مع ظهور حقيقتها. ﴿**أم**﴾ لأنهم ﴿**يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله**﴾ في الحكومة. والحيف الجور والظلم الميل في الحكم إلى أحد الجانبين يقال حاف في قضيته أي جار فيما حكم ثم اضرب عن الكل وأبطل منشئيته وحكم بأن المنشأ شيء آخر من شنائعهم حيث قيل: ﴿**بل أولئك هم الظالمون**﴾ أي: ليس ذلك لشيء مما ذكر أما الأولان فلأنه لو كان لشيء منهما لاعرضوا عنه عليه السلام عند كون الحق لهم ولما اتوا إليه مذعنين لحكمه لتحقق نفاقهم وارتيابهم حينئذ أيضاً وأما الثالث فلانتفائه رأساً حيث كانوا لا يخافون الحيف أصلاً لمعرفتهم أمانته عليه السلام وثباته على الحق بل لأنهم هم الظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده فيأبون المحاكمة إليه عليه السلام لعلهم بأنه يقضى عليهم بالحق فمناط النفي المستفاد من الإضراب في الأولين هو وصف منشئيتهما في الإعراض فقط مع تحققهما في نفسهما وفي الثالث هو الوصف مع عدم تحققه في نفسه وفي الرابع هو الأصل والوصف جميعاً.

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

﴿**إنما كان قول المؤمنين**﴾ بالنصب على أنه خبر كان وإن مع ما في حيزها اسمها. ﴿**إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم**﴾ أي: الرسول ﴿**بينهم**﴾ وبين خصومهم سواء كانوا منهم أو من غيرهم. ﴿**أن يقولوا سمعنا**﴾ الدعاء ﴿**وأطعنا**﴾ بالإجابة والقبول والطاعة موافقة الأمر طوعاً وهي تجوز لله ولغيره كما في «فتح الرحمٰن» [بهرچه كنى درميان حكمى]. ﴿**وأولئك**﴾ المنعوتون بما ذكر من النعت الجميل ﴿**هم المفلحون**﴾ الفائزون بكل مطلب والناجون من كل محذور.

قال في «المفردات»: الفلاح الظفر وإدراك البغية. ﴿ومن﴾ [وهركه] ﴿يطع الله ورسوله﴾ أي: من يطعمها كائناً من كان فيما أمرا به من الأحكام الشرعية اللازمة والمتعدية. ﴿ويخش الله﴾ على ما مضى من ذنوبه أن يكون مأخوذاً بها. ﴿ويتقه﴾ فيما بقي من عمره وأصله يتقيه فحذف الياء للجزم فصار يتقه بكسر القاف والهاء ثم سكن القاف تخفيفاً على خلاف القياس لأن ما هو على صيغة فعل إنما يسكن عينه إذا كانت كلمة واحدة نحو كتف في كتف ثم أجري ما أشبه ذلك من المنفصل مجرى المتصل فإن تقه في قولنا: يتقه بمنزلة كتف فسكن وسطه كما سكن وسط كتف ﴿فأولئك﴾ الموصوفون بالطاعة والخشية والاتقاء. ﴿هم الفائزون﴾ بالنعيم المقيم لا من عداهم. والفوز الظفر مع حصول السلامة كما في «المفردات» [در كشاف آورده كه ملكى از علما التماس آيتى كردكه بدان عمل كافى باشد ومحتاج بآيات ديكر نباشد علماى عصراو برين آيت اتفاق كردند چه حصول فوز وفلاح جز بفرمان بردارى وخشيت وتقوى ميسر نيست].

اينك ره اكر مقصد اقصى طلبي وينك عمل ار رضاى مولى طلبي

فلا بد من الإطاعة لله ولرسوله في أداء الفرائض واجتناب المحارم فقد دعا الله تعالى فلا بد من الإجابة.

قال ابن عطاء رحمه الله: الدعوة إلى الله بالحقيقة والدعوة إلى الرسول بالنصيحة فمن لم يجب داعي الله كفر ومن لم يجب داعي الرسول ضلّ وسبب عدم الإجابة المرض.

قال الإمام الراغب: المرض الخروج عن الاعتدال الخاص بالإنسان وذلك ضربان: جسمي وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١] والثاني: عبارة عن الرذائل كالجهل والجبن والبخل والنفاق ونحوها من الرذائل الخلقية نحو قوله تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠] ويشبه النفاق والكفر وغيرهما من الرذائل بالمرض إما لكونها مانعة عن إدراك الفضائل كالمرض المانع للبدن عن التصرف الكامل وإما لكونها مانعة عن تحصيل الحياة الأخروية المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤] وأما لميل النفس بها إلى الاعتقادات الرديئة ميل البدن المريض إلى الأشياء المضرة انتهى، وفي الحديث: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به» معناه لا يبلغ العبد كمال الإيمان ولا يستكمل درجاته حتى يكون ميل نفسه منقاداً لما جاء به النبي عليه السلام من الهدى والأحكام ثم إن حقيقة الإطاعة والإجابة إنما هي بترك ما سوى الله والإعراض عما دونه فمن أقبل على غيره فهو لآفات عرضت له وهي انحراف مزاج قلبه عن فطرة الله التي فطر الناس عليها من حب الله وحب الآخرة والشك في الدين بمقالات أهل الأهواء والبدع من المتفلسفين والطبائعيين والدهريين وغيرهم من الضلال وخوف الحيف بأن يأمره الله ورسوله بترك الدنيا ونهى النفس عن الهوى وأنواع المجاهدات والرياضات المؤدية إلى تزكية النفس وتصفية القلب لتحلية الروح بحلية أخلاق الحق والوصول إلى الحضرة ثم لا يوفيان بما وعدا بقوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] ويظلمان عليه بعدم أداء حقوقه أما علم أن الله لا يظلم مثقال ذرة.

﴿۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿وأقسموا بالله﴾ أي حلف المنافقون بالله وأصله من القسامة وهي إيمان تقسم على المتهمين في الدم ثم صار اسماً لكل حلف. ﴿جهد أيمانهم﴾ الجهد بالفتح الطاقة واليمين في اللغة القوة وفي الشرع تقوي أحد طرفي الخبر بذكر الله.

قال الإمام الراغب: اليمين في الحلف مستعار من اليد اعتباراً بما يفعله المجاهد والمعاهد عنده.

قال في «الإرشاد»: جهد نصب على أنه مصدر مؤكد لفعله الذي هو في حيز النصب على أنه حال من فاعل اقسموا أي أقسموا به تعالى يجهدون أيمانهم جهداً ومعنى جهد اليمين بلوغ غايتها بطريق الاستعارة من قولهم جهد نفسه إذا بلغ أقصى وسعها وطاقتها أي جاهدين بالغين أقصى مراتب اليمين في الشدة والوكادة فمن قال: أقسم بالله فقد جهد يمينه ومعنى الاستعارة أنه لما لم يكن لليمين وسع وطاقة حتى يبلغ المنافقون أقصى وسع اليمين وطاقتها كان أصله يجهدون إيمانهم جهداً ثم حذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافاً إلى المفعول نحو فضرب الرقاب وبالفارسية: [وسوكند كردند منافقان بخداى تعالى سخترين سوكنداان خود] ﴿لئن أمرتهم﴾ أي: بالخروج إلى الغزو فإنهم كانوا يقولون لرسول الله أينما كنت نكن معك ولئن خرجت خرجنا معك وإن أقمت أقمنا وإن أمرتنا بالجهاد جاهدنا. ﴿ليخرجن﴾ جواب لأقسموا لأن اللام الموطئة للقسم في قوله لئن أمرتهم جعلت ما يأتي بعد الشرط المذكور جواباً للقسم لاجزاء للشرط وكان جزاء الشرط مضمراً مدلولاً عليه بجواب القسم وجواب القسم وجزاء الشرط لما كانا متماثلين اقتصر على جواب القسم وحيث كانت مقالتهم هذه كاذبة ويمينهم فاجرة أمر عليه السلام بردها حيث قيل ﴿قل لا تقسموا﴾ لا تحلفوا بالله على ما تدعون من الطاعة ﴿طاعة معروفة﴾ خبر مبتدأ محذوف والجملة تعليل للنهي أي لأن طاعتكم طاعة نفاقية واقعة باللسان فقط من غير مواطأة من القلب وإنما عبر عنها بمعروفة للإيذان بأن كونها كذلك مشهور معروف لكل أحد كذا في «الإرشاد».

وقال بعضهم: طاعة معروفة بالإخلاص وصدق النية خير لكم وأمثل من قسمكم باللسان فالمطلوب منكم هي لا اليمين الكاذبة المنكرة.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿قل لا تقسموا﴾ بالكذب قولاً بل أطيعوا فعلاً فإنه ﴿طاعة معروفة﴾ بالأفعال غير دعوى القيل والقال. ﴿إن الله خبير بما تعملون﴾ بالحال صدقاً وبالقال كذباً أو بطاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل فيجازيكم على ذلك.

﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ في الفرائض والسنن على رجاء الرحمة والقبول. ﴿فإن تولوا﴾ بحذف إحدى التاءين، أي تتولوا وتعرضوا عن هذه الطاعة أثر ما أمرتم بها. ﴿فإنما عليه﴾ أي فاعلموا إنما عليه ﷺ. ﴿ما حمل﴾ أي ما كلف وأمر به من تبليغ الرسالة.

﴿وعليكم ما حملتم﴾ ما أمرتم به من الإجابة والطاعة ولعل التعبير عنه بالتحمل للإشعار بثقله وكونه مؤونة باقية في عهدتهم بعد كأنه قيل وحيث توليتم عن ذلك فقد بقيتم تحت ذلك الحمل الثقيل. ﴿وإن تطيعوه﴾ أي فيما أمركم به من الطاعة ﴿تهتدوا﴾ إلى الحق الذي هو المقصد الأقصى الموصل إلى كل خير والمنجي من كل شر وتأخيره عن بيان حكم التولي لما في تقديم الترهيب من تأكيد الترغيب. ﴿وما على الرسول﴾ محمد ويبعد أن يحمل على الجنس لأنه أعيد معرفاً. ﴿إلا البلاغ المبين﴾ التبليغ الموضح لكل ما يحتاج إلى الإيضاح وقد فعل وإنما بقي ما حملتم فإن أديتم فلكم وإن توليتم فعليكم.

قال أبو عثمان رحمه الله: من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه نطق بالبدعة لأن الله تعالى قال: ﴿وإن تطيعوه تهتدوا﴾.

يقال: ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث لا تقبل واحدة منها بغير قرينتها: أولاها قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣] فمن صلى ولم يؤد الزكاة لم تقبل منه الصلاة. والثانية قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩] فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه. والثالثة قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤] فمن شكر الله في نعمائه ولم يشكر الوالدين لا يقبل منه ذلك فاطاعة الرسول مفتاح باب القبول ويرشدك على شرف الإطاعة أن كلب أصحاب الكهف لما تبعهم في طاعة الله وعدله دخول الجنة فإذا كان من تبع المطيعين كذلك فما ظنك بالمطيعين.

قال حاتم الأصم رحمه الله: من ادعى ثلاثاً بغير ثلاث فهو كذاب: من ادعى حبّ الجنة من غير إنفاق ماله فهو كذاب، ومن ادعى محبة الله من غير ترك محارم الله فهو كذاب، ومن ادعى محبة النبي عليه السلام من غير محبة الفقراء فهو كذاب.

محب درويشان كليد جنت است

واعلم أن أحمد بن حنبل رحمه الله لما راعى الشريعة بين جماعة كشفوا العورة في الحمام قيل له في المنام: إن الله تعالى جعلك إماماً للناس برعايتك الشريعة. وفي «المثنوي»:

رهرو راه طريقت اين بود كاو باحكام شريعت ميرود

نسأل الله التوفيق.

﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات﴾ الخطاب لعامة الكفرة ومن تبعيضية أوله عليه السلام ولمن معه من المؤمنين ومن بيانية وتوسيط الظرف بين المعطوفين لإظهار أصالة الإيمان. ﴿ليستخلفنهم في الأرض﴾ جواب للقسم إما بإضمار على معنى وعدهم الله وأقسم ليستخلفنهم أو بتنزيل وعده تعالى منزلة القسم لتحقق إنجازه لا محالة أي ليجعلنهم خلفاء متصرفين في الأرض تصرف الملوك في ممالكهم.

قال الكاشفي: [في الأرض: درزمين كفار ازعرب وعجم] لقوله عليه السلام: «ليدخلن هذا الدين على ما دخل عليه الليل».

قال الراغب الخلافة النيابة عن الغير إما لغيبة المنوب عنه وإما لموته وإما لعجزه وإما لتشريف المستخلف وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله أولياءه في الأرض. ﴿كما استخلف الذين من قبلهم﴾ أي: استخلافاً كائناً كاستخلاف الذين من قبلهم وهم بنو إسرائيل استخلفهم الله في مصر والشام بعد إهلاك فرعون والجبابرة. ﴿وليمكنن لهم دينهم﴾ التمكين جعل الشيء

مكاناً لآخر يقال: مكن له في الأرض أي جعلها مقراً له.

قال في «تاج المصادر»: التمكين [دست دادن وجاى دادن] يقال مكنتك ومكنت لك مثل نصحتك ونصحت لك.

وقال أبو علي: يجوز أن يكون على حد ردف لكم انتهى. والمعنى ليجعلن دينهم مقرراً ثابتاً بحيث يستمرون على العمل بأحكامه من غير منازع ﴿الذي ارتضى لهم﴾ الارتضاء [پسنديدن] كما في «التاج».

قال في «التأويلات النجمية»: يعني يمكن كل صنف من الخلفاء حمل أمانته التي ارتضى لهم من أنواع مراتب دينهم فإنهم أئمة أركان الإسلام ودعائم الملة الناصحون لعباده الهادون من يسترشد في الله حفاظ الدين وهم أصناف. قوم هم حفاظ أخبار الرسول عليه السلام وحفاظ القرآن وهم بمنزلة الخزنة. وقوم هم علماء الأصول من الرادين على أهل العناد وأصحاب البدع بواضح الأدلة غير مخلطين الأصول بعلوم الفلاسفة وشبههم، فإنها مهلكة عظيمة لا يسلم منها إلا العلماء الراسخون والأولياء القائمون بالحق وهم بطارقة الإسلام وشجعانه، وقوم هم الفقهاء الذين إليهم الرجوع في علوم الشريعة من العبادات وكيفية المعاملات وهم في الدين بمنزلة الوكلاء والمتصرفين في الملك، وآخرون هم أهل المعرفة وأصحاب الحقائق وأرباب السلوك الكاملون المكملون وهم خلفاء الله على التحقيق وأقطاب العالم وعمد السماء وأوتاد الأرض بهم تقوم السموات والأرض وهم في الدين كخواص الملك وأعيان مجلس السلطان فالدين معمور بهؤلاء على اختلاف طبقاتهم إلى يوم القيامة. ﴿وليبدلنهم﴾ التبديل جعل الشيء مكان آخر وهو أعم من العوض فإن العوض هو أن يصير لك الثاني بإعطاء الأول والتبديل يقال للتغيير وإن لم تأت ببدله. والمعنى بالفارسية [وبدل دهد ايشانرا]. ﴿من بعد خوفهم﴾ من الأعداء ﴿أمناً﴾ منهم وأصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف وكان أصحاب النبي عليه السلام قبل الهجرة أكثر من عشر سنين خائفين ثم هاجروا إلى المدينة وكانوا يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى نجز الله وعده فأظهرهم على العرب كلهم وفتح لهم بلاد الشرق والغرب.

دمبدم صيت كمال دولت خدام أو عرصة روى زمين راسر بسر خواهد كرفت
شاهباز همتش چون بر كشايد بال قدر از ثريا تا ثرى در زير پراخواهد كرفت

﴿يعبدونني﴾ حال من الذين آمنوا لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد. ﴿لا يشركون بي شيئاً﴾ حال من الواو أي يعبدونني غير مشركين بي في العباد شيئاً. ﴿ومن كفر﴾ ومن ارتد ﴿بعد ذلك﴾ الوعد أو اتصف بالكفر بأن ثبت واستمر عليه ولم يتأثر بما مرّ من الترغيب والترهيب فإن الإصرار عليه بعد مشاهدة دلائل التوحيد كفر مستأنف زائد على الأصل أو كفر هذه النعمة العظيمة. ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ الكاملون في الفسق والخروج عن حدود الكفر والطغيان.

قال المفسرون: أول من كفر بهذه النعمة وجحد حقها الذين قتلوا عثمان رضي الله عنه فلما قتلوه غير الله ما بهم من الأمن وأدخل عليهم الخوف الذي رفع عنهم حتى صاروا يقتلون بعد أن كانوا إخواناً متحابين والله تعالى لا يغير نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وفي الحديث: «إذا وضع السيف في أمتي لا يرفع عنها إلى يوم القيامة»: وفي «المثنوي»:

هرچه باتوا آيد از ظلمات غم آن زبى شرمى وكستاخيست هم

قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: مشيت في زرع إنسان فناداني صاحبه: يا بقر فقلت: غير اسمي بزلة فلو كثرت لغير الله معرفتي.

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾﴾.

﴿**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**﴾ عطف على مقدر يستدعيه المقام أي فآمنوا واعملوا صالحاً وأقيموا الخ. ﴿**وأطيعوا الرسول**﴾ في سائر ما أمركم به فهو من باب التكميل. ﴿**لعلكم ترحمون**﴾ أي افعلوا ما ذكر من الإقامة والإيتاء والإطاعة راجين أن ترحموا فهو متعلق بالأوامر الثلاثة.

﴿**لا تحسبن**﴾ يا محمد أو يا من يصلح للخطاب كائناً من كان ﴿**الذين كفروا**﴾ مفعول أول للحسبان. ﴿**معجزين في الأرض**﴾ العجز ضد القدرة وأعجزت فلاناً جعلته عاجزاً أي معجزين لله عن إدراكهم وإهلاكهم في قطر من الأقطار بما رحبت وإن هربوا منها كل مهرب. ﴿**ومأواهم النار**﴾ عطف على جملة النهي بتأويلها بجملة خبرية، أي لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض فإنهم مدركون ومأواهم النار. ﴿**ولبئس المصير**﴾ جواب لقسم مقدر والمخصوص بالمدح محذوف أي وبالله لبئس المصير والمرجع هي أي النار يقال صار إلى كذا أي انتهى إليه ومنه صير الباب لمصيره الذي ينتهي إليه في تنقله وتحركه.

وفي الآية إشارة إلى كفران النعمة فإن الذين أنفقوا النعمة في المعاصي وغيروا ما بهم من الطاعات مأواهم نار القطيعة.

قال علي رضي الله عنه: أقل ما يلزمكم لله أن تستعينوا بنعمه على معاصيه.

قال الحسن رحمه الله: إذا استوى يوماك فأنت ناقص قيل: كيف ذاك قال إن الله زادك في يومك هذا نعماً فعليك أن تزداد فيه شكراً وكل ما أوجد لفعل ما فشرفه لتمام وجود ذلك الفعل منه كالفرس للعدو في الكرّ والفرّ والسيف للعمل والأعضاء خصوصاً اللسان للشكر ومتى لم يوجد فيه المعنى الذي لأجله أوجد كان ناقصاً فالإنسان القاصر في عباداته كالإنسان الناقص في أعضائه وآلاته.

واعلم أن رسول الله ﷺ قد دعا جميع الناس إلى الله تعالى وإلى توحيده وطاعته فأجاب من أجاب وهم أهل السعادة وأولهم الصحابة رضي الله عنهم وأعرض من أعرض وهم أهل الشقاوة وأقدمهم الكفرة والمنافقون المعاصرون له عليه السلام ولما هربوا من باب الله تعالى بترك إطاعة رسوله وأصروا عليه عاقبهم الله تعالى عاجلاً أيضاً حيث قتلوا في الوقائع وأصيبوا بما لا يخطر ببالهم فانظر كيف أدركهم الله تعالى فلم يعجزوه كما أدرك الأمم السالفة العاصية نسأل الله تعالى أن يجعلنا في حصين عصمته ويتغمدنا برحمته ويحرسنا بعين عنايته.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾

﴿**يا أيها لذين آمنوا**﴾ روي: أن غلاماً لأسماء بنت أبي مرثد دخل عليها في وقت كراهته

فنزلت والخطاب للرجال المؤمنين والنساء المؤمنات جميعاً بطريق التغليب. ﴿ليستأذنكم﴾ هذه اللام لام الأمر والاستئذان طلب الإذن في الشيء إعلام بإجازته والرخصة فيه. والمعنى بالفارسية [بايدكه دستورى طلبند از شما]. ﴿الذين ملكت أيمانكم﴾ من العبيد والجواري. ﴿والذين لم يبلغوا الحلم﴾ أي: الصبيان القاصرون عن درجة البلوغ المعهود والتعبير عن البلوغ بالاحتلام لكونه أظهر دلائله وبلوغ الغلام صيرورته بحال لو جامع أنزل.

قال في «القاموس»: الحلم بالضم والاحتلام الجماع في النوم والاسم الحلم كعنق انتهى.

وفي «المفردات»: ليس الحلم في الحقيقة هو العقل لكن فسروه بذلك لكونه من مسببات العقل وتسمى البلوغ بالحلم لكونه جديراً صاحبه بالحلم. ﴿منكم﴾ أي: من الأحرار ﴿ثلاث مرات﴾ ظرف زمان ليستأذن أي ليستأذنوا في ثلاثة أوقات في اليوم والليلة لأنها ساعات غرة وغفلة ثم فسر تلك الأوقات بقوله: ﴿من قبل صلاة الفجر﴾ لظهور أنه وقت القيام عن المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب على أنه بدل من ثلاث مرات. ﴿وحين تضعون ثيابكم﴾ أي ثيابكم التي تلبسونها في النهار وتخلعونها لأجل القيلولة وهي النوم نصف النهار ﴿من الظهيرة﴾ بيان للحين وهي شدة الحر عند انتصاف النهار.

قال في «القاموس»: الظهيرة حد انتصاف النهار وإنما ذلك في القيظ والتصريح بمدار الأمر أعني وضع الثياب في هذا الحين دون الأول والآخر لما أن التجرد عن الثياب فيه لأجل القيلولة لقلة زمانها ووقوعها في النهار الذي هو مظنة لكثرة الورود والصدور ليس من التحقق والاطراد بمنزلة ما في الوقتين فإن تحقق التجرد واطراده فيهما أمر معروف لا يحتاج إلى التصريح به. ﴿ومن بعد صلاة العشاء﴾ الآخرة ضرورة أنه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف وهو كل ثوب تغطيت به ﴿ثلاث عورات﴾ خبر مبتدأ محذوف أي هن ثلاثة أوقات كائنة ﴿لكم﴾ يختل فيها التستر عادة والعورة الخلل الذي يرى منه ما يراد ستره وسميت الأوقات المذكورة عورات مع أنها ليست نفس العورات بل هذه أوقات العورات على طريق تسمية الشيء باسم ما يقع فيه مبالغة في كونه محلاً له. ﴿ليس عليكم ولا عليهم﴾ أي: على المماليك والصبيان ﴿جناح﴾ إثم في الدخول بغير استئذان لعدم ما يوجبه من مخالفة الأمر والإطلاع على العورات ﴿بعدهن﴾ أي: بعد كل واحدة من تلك العورات الثلاث وهي الأوقات المتخللة بين كل وقتين منهن فالاستئذان لهؤلاء مشروع فيها لا بعدها ولغيرهم في جميع الأوقات. ﴿طوافون﴾ أي: هم يعني المماليك والأطفال طوافون. ﴿عليكم﴾ للخدمة طوافاً كثيراً والطواف الدوران حول الشيء ومنه الطائف لمن يدور حول البيت حافاً ومنه استعير الطائف من الجن والخيال والحادثة وغيرها. ﴿بعضكم﴾ طائف ﴿على بعض﴾ أي: هم يطوفون عليكم للخدمة وأنتم تطوفون للاستخدام ولو كلفهم الاستئذان في كل طوفة أي في هذه الأوقات الثلاثة وغيرها لضاق الأمر عليهم فلذا رخص لكم في ترك الاستئذان فيما وراء هذه الأوقات. ﴿كذلك﴾ إشارة إلى مصدر الفعل الذي بعده والكاف مقحمة أي مثل ذلك التبيين. ﴿يبين الله لكم الآيات﴾ الدالة على الأحكام أي ينزلها مبينة واضحة الدلالات عليها لا أنه تعالى بينها بعد أن لم تكن كذلك ﴿والله عليم﴾ مبالغ في العلم بجميع المعلومات فيعلم أحوالكم. ﴿حكيم﴾ في جميع أفاعيله فيشرع لكم ما فيه صلاح أمركم معاشاً ومعاداً روي: عن

عكرمة أن رجلين من أهل العراق سألا ابن عباس رضي الله عنهما عن هذه الآية فقال: إن الله ستير يحب الستر وكان الناس لم يكن لهم ستور على أبوابهم ولا حجال في بيوتهم فربما فاجأ الرجل ولده أو خادمه أو يتيم في حجره ويرى منه ما لا يحبه فأمرهم الله تعالى أن يستأذنوا الثلاث ساعات التي سماها ثم جاء باليسر وبسط الرزق عليهم فاتخذوا الستور والحجال فرأى الناس أن ذلك قد كفاهم عن الاستئذان الذي أمروا به.

ففيه دليل على أن الحكم إذا ثبت لمعنى فإذا زال المعنى زال الحكم فالتبسط في اللباس والمعاش والسكنى ونحوها مرخص فيه إذا لم يؤد إلى كبر واغترار.

قال عمر رضي الله عنه: إذا وسع الله عليكم فوسعوا على أنفسكم. ويقال: اليسار مفسدة للنساء لاستيلاء شهوتهن على عقولهن، وفي الحديث: «أن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده» يعني إذا آتى الله عبده نعمة من نعم الدنيا فليظهرها من نفسه وليلبس لباساً نظيفاً يليق بحاله ولتكن نيته في لبسه إظهار نعمة الله عليه ليقصده المحتاجون لطلب الزكاة والصدقات وليس لبس الخلق مع اليسار من التواضع.

وفي الآية رخصة اتخاذ العبيد والإماء للخدمة لمن قام بحقهم وبيان أن حق الموالي عليهم الخدمة، وفي الحديث: «حسنة الحر بعشر وحسنة المملوك بعشرين» يضاعف له الحسنة وهذا لمن أحسن عبادة الله ونصح لسيده أي أراد له خيراً وأقام بمصالحه على وجه الخلوص كذا في «شرح المشارق».

قال في «نصاب الاحتساب»: وينبغي أن يتخذ الرجل جارية لخدمة داخل البيت دون العبد البالغ لأن خوف الفتنة في العبد أكثر من الأحرار الأجانب لأن الملك يقلل الحشمة والمحرمية منتفية والشهوة داعية فلا يأمن الفتنة. وقيل: من اتخذ عبداً لخدمة داخل البيت فهو كسحان بالسين المهملة أي أعرج أو مقعد. وابتاع بعض المشايخ غلاماً فقيل: بورك لك فيه فقال: البركة مع من قدر على خدمة نفسه واستغنى عن استخدام غيره فخفت مؤونته وهانت تكاليفه وكفى سياسة العبد والمرء في بيته بمنزلة القلب وقلما تنتفع خدمة الجوارح إلا بخدمة القلب.

ودلت الآية على أن من لم يبلغ وقد عقل يؤمر بفعل الشرائع وينهى عن ارتكاب القبائح فإنه تعالى أمرهم بالاستئذان في الأوقات المذكورة، وفي الحديث: «مروهم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم على تركها وهم أبناء عشر» وإنما يؤمر بذلك ليعتاده ويسهل عليه بعد البلوغ ولذا كره إلباسه ذهباً أو حريراً لئلا يعتاده والإثم على الملبس كما في «القهستاني»: قال الشيخ سعدي قدس سره:

بخردى درش زجر وتعليم كن   به نيك وبدش وعده وبيم كن

قال ابن مسعود رضي الله عنه إذا بلغ الصبي عشر سنين كتبت له حسناته ولم تكتب سيئاته حتى يحتلم.

قال في «الأشباه»: وتصح عبادة الصبي وإن لم تجب عليه واختلفوا في ثوابها والمعتمد أنه له وللمعلم ثواب التعليم وكذا جميع حسناته وليس كالبالغ في النظر إلى الأجنبية والخلوة بها فيجوز له الدخول على النساء إلى خمس عشرة سنة كما في «الملتقط». وفي الشيخ سعدي:

پسر چون زده بر كذشته سنين — زنا محرمان كوفراتر نشين
بر پنبه آتش نشايد فروخت — كه تا چشم برهن زنى خانه سوخت

﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٥٩﴾.

﴿وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم﴾ أي: الأطفال الأحرار الأجانب فيخرج العبد البالغ فإنه لا يستأذن في الدخول على سيدته في غير الأوقات الثلاثة المذكورة كما قال في «التتمة» يدخل العبد على سيدته بلا إذنها بالإجماع. **﴿فليستأذنوا﴾** أي: إن أرادوا الدخول عليكم. **﴿كما استأذن الذين﴾** بلغوا الحلم. **﴿من قبلهم﴾** أو ذكروا من قبلهم كما قال تعالى فيما تقدم: **﴿لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا﴾** الآية فالمعنى فليستأذنوا استئذاناً كائناً مثل استئذان المذكورين قبلهم بأن يستأذنوا في جميع الأوقات ويرجعوا إن قيل لهم: ارجعوا. **﴿كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم﴾** كرره للتأكيد والمبالغة في الأمر بالاستئذان.

اعلم أن بلوغ الصغير بالإحبال والإنزال والاحتلام وبلوغ الصغيرة بهما وبالحبل والحيض فإن لم يوجد فيهما شيء من الأصل وهو الإنزال والعلامة وهو الباقي فيبلغان حين يتم لهما خمس عشرة سنة كما هو المشهور وبه يفتي لقصر أعمار أهل زماننا.

قال بعض الصحابة: كان الرجل فيمن قبلكم لا يحتلم حتى يأتي عليه ثمانون سنة.

قال وهب: إن أصغر من مات من ولد ابن آدم ولد مائتي سنة وأدنى مدة البلوغ للغلام اثنتا عشرة سنة ولذا تطرح هذه المدة من سن الميت الذكر ثم يحسب ما بقي من عمره فتعطى فدية صلاته على ذلك وأدنى مدته للجارية تسع سنين على المختار ولذا تطرح هذه المدة من الميت الأنثى فلا تحتاج إلى إسقاط صلاتها بالفدية ثم هذا بلوغ الظاهر وأما بلوغ الباطن فبالوصول إلى سر الحقيقة وكماليته في أربعين من أول كشف الحجاب وربما يحصل للبعض علامة ذلك في صباه.

قال أيوب عليه السلام: إن الله يزرع الحكمة في قلب الصغير والكبير فإذا جعل الله العبد حكيماً في الصبي لم تضع منزلته عند الحكماء حداثة سنه وهم يرون عليه من الله نور كرامته.

ودخل الحسين بن فضل على بعض الخلفاء وعنده كثير من أهل العلم فأحب أن يتكلم فمنعه فقال أصبي يتكلم في هذا المقام؟ فقال: إن كنت صبياً فلست بأصغر من هدهد سليمان ولا أنت أكبر من سليمان حين قال **﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾** [النمل: ٢٢] [حكما كفته اند توانكرى بهنرست نه بمال وبزركى بعقلست نه بسال] فالاعتبار لفضل النفس لا للصغر والكبر وغيرهما.

قال هشام بن عبد الملك لزيد بن علي: بلغني أنك تطلب الخلافة ولست لها بأهل قال: لم؟ قال: لأنك ابن أمة فقال: فقد كان إسماعيل ابن أمة وإسحاق ابن حرة وقد اخرج الله من صلب إسماعيل خير ولد آدم صلوات الله عليه وعليهم أجمعين. قال المولى الجامي قدس سره:

چه غم زمنقصت صورت أهل معنى را — چوجان زروم بود كوتن از حبش مى باش

قال السعدي قدس سره.

چو كنعانرا طبيعت بي هنر بود پيمبر زاد كى قدرش نيفزود
هنر بنماى أكر دارى نه كوهر كل ازخارست وإبراهيم از آزر

﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾

﴿والقواعد﴾ مبتدأ جمع قاعد بلا هاء لاختصاصها بالمرأة وإذا أردت القعود بمعنى الجلوس قلت: قاعدة كحامل من حمل البطن وحاملة من حمل الظهر.

قال في «القاموس»: القاعد التي قعدت عن الولد وعن الحيض وعن الزوج. **﴿من النساء﴾** حال من المستكن في القواعد أي العجائز اللاتيُ قعدن عن الحيض والحمل. وبالفارسية [ونشستكان درخانها وباز ما ندكان]. **﴿اللاتي لا يرجون نكاحاً﴾** صفة للقواعد لا للنساء، أي لا يطمعن في النكاح لكبرهن فاعتبر فيهن القعود عن الحيض والحمل والكبر أيضاً لأنه ربما ينقطع الحيض والرغبة فيهن باقية. وبالفارسية: [آنانكه اميد ندارند نكاح خودرا يعني طمع نمى كنندكه كسى ايشانرا نكاح كند بجهت پيرى وعجز] **﴿فليس عليهن جناح﴾** الجملة خبر مبتدأ أي إثم ووبال في. **﴿أن يضعن﴾** عند الرجال **﴿ثيابهن﴾** أي الثياب الظاهرة كالجلباب والإزار فوق الثياب والقناع فوق الخمار **﴿غير متبرجات بزينة﴾** حال من فاعل يضعن. وأصل التبرج التكلف في إظهار ما يخفى خص بكشف عورة زينتها ومحاسنها للرجال. والمعنى حال كونهن غير مظهرات لزينة خفية كالسوار والخلخال والقلادة لكن لطلب التخفيف جاز الوضع لهن **﴿وأن يستعففن﴾** بترك الوضع أي يطلبن العفة وهي حصول حالة للنفس تمتنع بها عن غلبة الشهوة وهو مبتدأ خبرُه قوله: **﴿خير لهن﴾** من الوضع لبعده من التهمة. **﴿والله سميع﴾** مبالغ في جميع ما يسمع فيسمع ما يجرى بينهن وبين الرجال من المقاولة. **﴿عليم﴾** فيعلم مقاصدهن وفيه من الترهيب ما لا يخفى.

اعلم أن العجوز إذا كانت بحيث لا تشتهى جاز النظر إليها لأمن الشهوة. وفيه إشارة إلى أن الأمور إذا خرجت عن معرض الفتنة وسكنت نائرة الآفات سهل الأمر وارتفعت الصعوبة وأبيحت الرخص ولكن التقوى فوق أمر الفتوى كما أشار إليه قوله تعالى: **﴿وأن يستعففن خير لهن﴾** وفي الحديث: «لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس».

قال ابن سيرين ما غشيت امرأة قط لا في يقظة ولا في نوم غير أم عبد الله وأني لأرى المرأة في المنام فأعلم أنها لا تحل لي فأصرف بصري.

قال بعضهم: ليت عقلي في اليقظة كعقل ابن سيرين في المنام.

وفي «الفتوحات المكية»: يجب على الورع أن يجتنب في خياله كما يجتنب في ظاهره لأن الخيال تابع للحس ولهذا كان المريد إذا وقع له احتلام فلشيخه معاقبته على ذلك لأن الاحتلام برؤيا في النوم أو بالتصور في اليقظة لا يكون إلا من بقية الشهوة في خياله فإذا احتلم صاحب كمال فإنما ذلك لضعف أعضائه الباطنة لمرض طرأ في مزاجه لا عن احتلام لا في حلال ولا في حرام انتهى. ثم إن العجوز في حكم الرجل في ترك الحجاب لا في مرتبته كما قال حكيم: إن خير نصفي الرجل آخره يذهب جهله ويتقرب حلمه ويجتمع رأيه وشر نصفي

المرأة آخرها يسوء خلقها ويحد لسانها ويعقم رحمها.

وعدم رجاء النكاح إنما هو من طرف الرجل لا من طرف العجوز غالباً فإنه حكي أن عجوزاً مرضت فأتى ابنها بطبيب فرآها متزينة بأثواب مصبوغة فعرف حالها فقال ما أحوجها إلى الزوج فقال الابن: ما للعجائز والأزواج فقالت: ويحك أنت أعلم من الطبيب وحكي: لما مات زوج رابعة العدوية استأذن عليها الحسن البصري وأصحابه فأذنت لهم بالدخول عليها وأرخت ستراً وجلست وراء الستر فقال لها الحسن وأصحابه: إنه قد مات بعلك ولا بد لك منه قالت نعم وكرامة لكن من أعلمكم حتى أزوجه نفسي؟ فقالوا: الحسن البصري فقالت: إن أجبتني في أربع مسائل فأنا لك فقال: سلي إن وفقني الله أجبتك قالت: ما تقول لو مت أنا وخرجت من الدنيا مت على الإيمان أم لا؟ قال: هذا غيب لا يعلمه إلا الله ثم قالت: ما تقول لو وضعت في القبر وسألني منكر ونكير أأقدر على جوابهما أم لا؟ قال: هذا غيب أيضاً قالت: إذا حشر الناس يوم القيامة وتطايرت الكتب أأعطى كتابي بيميني أم بشمالي؟ قال: هذا غيب أيضاً ثم قالت: إذا نودي في الخلق فريق في الجنة وفريق في السعير كنت أنا من أي الفريقين؟ قال: هذا غيب أيضاً قالت: من كان له علم هذه الأربعة كيف يشتغل بالتزوج ثم قالت: يا حسن أخبرني كم خلق الله العقل؟ قال: عشرة أجزاء تسعة للرجال وواحد للنساء ثم قالت: يا حسن كم خلق الله الشهوة؟ قال: عشرة أجزاء تسعة للنساء وواحد للرجال قالت يا حسن أنا أقدر على حفظ تسعة أجزاء من الشهوة بجزء من العقل وأنت لا تقدر على حفظ جزء من الشهوة بتسعة أجزاء من العقل فبكى الحسن وخرج من عندها.

وعن سليمان عليه السلام: الغالب على شهواته أشد من الذي يفتح المدينة وحده: قال الشيخ سعدي قدس سره:

مبر طاعت نفس شهوت پرست   كه هر ساعتش قبلة ديكرست

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾.

﴿ليس على الأعمى﴾ مفتقد البصر. وبالفارسية [نا بينا] **﴿حرج﴾** إثم ووبال **﴿ولا على الأعرج حرج﴾** العروج ذهاب في صعود وعرج مشى مشي العارج أي الذاهب في صعود فعرج كدخل إذا أصابه شيء في رجله فمشى مشية العرجان وعرج كطرب إذا صار ذلك خلقة له والأعرج بالفارسية [لنك] **﴿ولا على المريض حرج﴾** المريض بالفارسية [بيمار] والمرض الخروج عن الاعتدال الخاص بالإنسان كانت هذه الطوائف يتحرجون من مواكلة الأصحاء حذراً من استقذارهم إياهم وخوفاً من تأذيهم بأفعالهم وأوضاعهم فإن الأعمى ربما سبقت إليه عين مواكله ولا يشعر به والأعرج يتفسح في مجلسه فيأخذ أكثر من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو عن حالة تؤذي قرينه أي برائحة كريهة أو جرح يبدو أو أنف يسيل أو نحو

ذلك فقال تعالى لا بأس لهم بأن يأكلوا مع الناس ولا مأثم عليهم. ﴿ولا على أنفسكم﴾ أي: عليكم وعلى من يماثلكم في الأحوال من المؤمنين حرج. ﴿أن تأكلوا﴾ الأكل تناول المطعم، أي أن تأكلوا أنتم ومن معكم ﴿من بيوتكم﴾ أصل البيت مأوى الإنسان بالليل ثم قد يقال من غير اعتبار الليل فيه لكن البيوت بالمسكن أخص والأبيات بالشعر وليس المعنى أن تأكلوا من البيوت التي تسكنون فيها بأنفسهم وفيها طعامكم وسائر أموالكم لأن الناس لا يتحرجون من أكل طعامهم في بيوت أنفسهم، فينبغي أن يكون المعنى من بيوت الذين كانوا في حكم أنفسكم لشدة الاتصال بينهم وبينكم كالأزواج والأولاد والمماليك ونحوهم فإن بيت المرأة كبيت الزوج وكذا بيت الأولاد فلذلك يضيف الزوج بيت زوجته إلى نفسه وكذا الأب يضيف بيت ولده إلى نفسه، وفي الحديث: «إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه» وفي حديث آخر: «أنت ومالك لأبيك» فإذا كان هذا حال الأب مع الولد فقس عليه حال المملوك مع المولى. ﴿أو بيوت آبائكم﴾ الأب الوالد أي حيوان يتولد من نطفته حيوان آخر. ﴿أو بيوت أمهاتكم﴾ جمع أم زيدت الهاء فيه كما زيدت في إهراق من أراق والأم بإزاء الأب أي الوالدة. ﴿أو بيوت إخوانكم﴾ الأخ المشارك لآخر في الولادة من الطرفين أو من أحدهما، أو من الرضاع ويستعار في كل مشارك لغيره في القبيلة أو في الدين أو في صنعة، أو في معاملة أو في مودة أو في غير ذلك من المناسبات. ﴿أو بيوت أخواتكم﴾ الأخت تأنيث الأخ وجعل التاء فيها كالعوض عن المحذوف منه. ﴿أو بيوت أعمامكم﴾ العم أخ الأب والعمة أخته وأصل ذلك من العموم وهو الشمول ومنه العامة لكثرتهم وعمومهم في البلد والعمامة لشمولها. ﴿أو بيوت عماتكم﴾ [خواهران پدران خود] ﴿أو بيوت أخوالكم﴾ الخال أخ الأم والخالة أختها: وبالفارسية [برادران ما دران خود]. ﴿أو بيوت خالاتكم﴾ [خوهران مادران خود] ﴿أو ما ملكتم مفاتحه﴾ جمع مفتح والمفاتيح جمع مفتاح كلاهما آلة الفتح والفتح إزالة الإغلاق والأشكال. والمعنى: ﴿أو ما ملكتم مفاتحه﴾ أي: أو من البيوت التي تملكون التصرف فيها بإذن أربابها كما إذا خرج الصحيح إلى الغزو وخلف الضعيف في بيته ودفع إليه مفتاحه وأذن له أن يأكل مما فيه من غير مخافة أن يكون أذنهن لا عن طيب نفس منه.

وقال بعضهم: هو ما يكون تحت أيديهم وتصرفهم من ضيعة أو ماشية وكالة أو حفظاً فملك المفاتح حينئذ كناية عن كون المال في يد الرجل وحفظه. فالمعنى ليس عليكم جناح أن تأكلوا من أموال لكم يد عليها لكن لا من أعيانها بل من أتباعها وغلاتها كثمر البستان ولبن الماشية. ﴿أو صديقكم﴾ الصداقة صدق الاعتقاد في المودة وذلك مختص بالإنسان دون غيره فالصديق هو من صدقك في مودته. وبالفارسية [دوست حقيقي].

قال أبو عثمان رحمه الله الصديق من لا يخالف باطنه باطنك كما لا يخالف ظاهره ظاهرك إذ ذاك يكون الانبساط إليه مباحاً في كل شيء من أمور الدين والدنيا. ونعم ما قيل: صديقك من صدقك لا من صدّقك. والمعنى أو بيوت صديقك وإن لم يكن بينكم وبينهم قرابة نسبية فإنهم أرضى بالتبسط وأسر به من كثير من الأقرباء روي: عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الصديق أكبر من الوالدين وروي: أن الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والأمهات وإنما قالوا: فما لنا من شافعين ولا صديق حميم.

وعن الحسن أنه دخل يوماً بيته فرأى جماعة من أصدقائه قد أخذوا طعاماً من تحت

سريره وهم يأكلون فتهلل وجهه سروراً وقال هكذا وجدناهم يعني من لقي من البدريين.

قال الكاشفي: [فتح موصلي رحمه الله در خانة دوستي آمد واو حاضر نبودكيسة أورا زجاريه طلبيد زو درم برداشت وباقي بكنيزك بازداد وچون خواجه بخانه رسيد وصورت واقعة زجاريه بشنيد شكرانة آن انبساط كنيزك را آزاد كرد وبنوا خت: درنكارستان آورده]

شبى كفتم نهان فر سودة را كه بود آسوده در كنج رباطى
زلذ تهاچه خوشتر در جهان كفت ميان دوستداران انبساطى

[ودر عوارف المعارف فرموده كه چون كسى يا رخودرا كويد «اعطني من مالك» ودر جواب كويد كمترست دوستي را نمى شايد يعني بايدكه هرچه درميان دارد ميدهد واز استفسار چند وچون بكذردكه دوست جاني بهترست از مال فأني ودرين باب كفته اند أي دوست برو بهرچه داري ياري بخر بهيچ مفروش]: ولله در من قال:

يا ران بجان مضايقه باهم نميكنند آخر كسى بحال جدايى چراكنند
بسيار جد وجهد ببايدكه تاكسى خودرا بآدمى صفتي آشنا كنند

قال المفسرون هذا كله إذا علم رضى صاحب البيت بصريح الإذن أو بقرينة دالة كالقرابة والصداقة ونحو ذلك ولذلك خص هؤلاء بالذكر لاعتيادهم التبسط فيما بينهم يعني ليس عليكم جناح أن تأكلوا من منازل هؤلاء إذا دخلتموها وإن لم يحضروا ويعلموا من غير أن تتزودوا وتحملوا.

قال الإمام الواحدي في «الوسيط»: وهذه الرخصة في أكل مال القرابات وهم لا يعلمون ذلك كرخصته لمن دخل حائطاً وهو جائع أن يصيب من ثمره أو مرّ في سفر بغنم وهو عطشان أن يشرب من رسلها توسعة منه تعالى ولطفاً بعباده ورغبة بهم عن دناءة الأخلاق وضيق النظر.

واحتج أبو حنيفة بهذه الآية على من سرق من ذي محرم لا تقطع يده أي إذا كان ماله غير محرز كما في «فتح الرحمٰن»: لأنه تعالى أباح لهم الأكل من بيوتهم ودخولها بغير إذنهم فلا يكون ماله محرزا منهم أي إذا لم يكن مقفلاً ومخزوناً ومحفوظاً بوجه من الوجوه المعتادة ولا يلزم منه أن لا تقطع يده إذا سرق من صديقه لأن من أراد سرقة المال من صديقه لا يكون صديقاً له بل خائناً عدواً له في ماله بل في نفسه فإن من تجاسر على السرقة تجاسر على الإهلاك فرب سرقة مؤدية إلى ما فوقها من الذنوب فعلى العاقل أن لا يغفل عن الله وينظر إلى أحوال الأصحاب رضي الله عنهم كيف كانوا إخواناً في الله فوصلوا بسبب ذلك إلى ما وصلوا من الدرجات والقربات وامتازوا بالصدق الأتم والإخلاص الأكمل والنصح الأشمل عمن عداهم فرحمهم الله تعالى ورضي عنهم وألحقنا بهم في نياتهم وأعمالهم. ﴿ليس عليكم جناح﴾ في ﴿أن تأكلوا﴾ حال كونكم ﴿جميعاً﴾ أي: مجتمعين ﴿أو أشتاتاً﴾ جمع شت بمعنى متفرق على أنه صفة كالحق أو بمعنى تفرق على أنه مصدر وصف به مبالغة. وأما شتى فجمع شتيت كمرضى ومريض.

نزلت في بني ليث بن عمرو وهم حي من كنانة كانوا يتحرجون أن يأكلوا طعامهم منفردين وكان الرجل منهم لا يأكل ويمكث يومه حتى يجد ضيفاً يأكل معه فإن لم يجد من يواكله لم يأكل شيئاً وربما قعد الرجل والطعام بين يديه لا يتناوله من الصباح إلى الرواح وربما كان معه الإبل الحفل أي المملوءة الضرع لبناً فلا يشرب من ألبانها حتى يجد من يشاربه فإذا

أمسى ولم يجد أحداً أكل فرخص في هذه الآية الأكل وحده لأن الإنسان لا يمكنه أن يطلب في كل مرة أحداً يأكل معه وأما إذا وجد أحداً فلم يشاركه فيما أكله فقد جاء الوعيد في حقه كما قال عليه السلام: «من أكل وذو عينين ينظر إليه ولم يواسه ابتلى بداء لا دواء له».

قال الإمام النسفي رحمه الله: دل قوله تعالى: ﴿جميعاً﴾ على جواز التناهد في الأسفار وهو إخراج كل واحد من الرفقة نفقة على قدر نفقة صاحبه أي على السوية.

وقال بعضهم في خلط المال ثم أكل الكل منه الأولى أن يستحل كل منهم غذاء كل أو يتبرعون لأمين ثم يتبرع لهم الأمين. ﴿فإذا دخلتم بيوتاً﴾ أي: من البيوت المذكورة بقرينة المقام، أي للأكل وغيره وهذا شروع في بيان أدب الدخول بعد الترخيص فيه. ﴿فسلموا على أنفسكم﴾ أي: فابدؤوا بالتسليم على أهلها الذين بمنزلة أنفسكم لما بينكم وبينهم من القرابة الدينية والنسبية الموجبة لذلك ﴿تحية﴾ ثابتة ﴿من عند الله﴾ أي: بأمره مشروعة من لدنه ويجوز أن يكون صلة للتحية فإنها طلب الحياة التي من عنده تعالى. والتسليم طلب السلامة من الله للمسلم عليه وانتصابها على المصدرية لأنها بمعنى التسليم أي فسلموا تسليماً. ﴿مباركة﴾ مستتبعة لزيادة الخير والثواب ودوامها ﴿طيبة﴾تطيب بها نفس المستمع ﴿كذلك﴾ إشارة إلى مصدر الفعل الذي بعده أي: مثل ذلك التبيين. ﴿يبين الله لكم الآيات﴾ الدالة على الأحكام أي ينزلها مبينة واضحة الدلالات عليها. ﴿لعلكم تعقلون﴾ أي لكي تفقهوا ما في تضاعيفها من الشرائع والأحكام والآداب وتعلمون بموجبها وتفوزون بذلك بسعادة الدارين.

وعن أنس رضي الله عنه قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء كسرته لم كسرته وكنت قائماً أصب الماء على يديه فرفع رأسه فقال: «ألا اعلمك ثلاث خصال تنتفع بها؟ فقلت: بلى بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال: متى لقيت أحداً من أمتي فسلم عليه يطل عمرك وإذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خيرك وصل صلاة الضحى فإنها صلاة الأبرار الأوابين».

يقول الفقير: لاحظ عليه السلام في التسليم الخارجي المعنى اللغوي للتحية فرتب عليه طول العمر لأنه ربما يستجيب الله تعالى دعاء المسلم عليه فيطول عمر المسلم بمعنى وجدان البركة فيه ولاحظ في التسليم الداخلي معنى البركة فرتب عليه كثرة الخير لأنها المطلوبة غالباً بالنسبة إلى البيت ولما كان الوقت وقت الوضوء لصلاة الضحى والله أعلم ألحقها بالتسليم وأوردها بعد الداخلي منه إشارة إلى أن الأفضل إخفاء النوافل بأدائها في البيت ونحوه.

قالوا: إن لم يكن في البيت أحد يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فقد روي أن الملائكة ترد عليه وكذا حال المسجد، وفي الحديث: «إذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها وإذا طعم أحدكم طعاماً فليذكر اسم الله عليه فإن الشيطان إذا سلم أحدكم لم يدخل بيته معه، وإذا ذكر الله على طعامه قال لا مبيت لكم ولا عشاء وإن لم يسلم حين يدخل بيته ولم يذكر اسم الله على طعامه قال أدركتم العشاء والمبيت» والتسليم على الصبيان العقلاء أفضل من تركه كما في «البستان». ولا يسلم على جماعة النساء الشواب كيلا يحصل بينهما معرفة وانبساط فيحدث من تلك المعرفة فتنة. ولا يبتدىء اليهود والنصارى بالسلام فإنه حرام لأنه إعزاز الكافر وذا لا يجوز. وكذا السلام على أهل البدعة ولو سلم على من لا يعرفه فظهر ذمياً أو مبتدعاً يقول استرجعت سلامي تحقيراً له ولو احتاج إلى سلام أهل الكتاب يقول السلام على من اتبع

الهدى ولو رد يقول وعليكم فقط وقد مر ما يتعلق بالسلام مشبعاً في الجلد الأول عند قوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ﴾ [النساء: ٨٦] الآية فارجع.

قال في «حقائق البقلي» قدس سره: إذا دخلتم بيوت أولياء الله بالحرمة والاعتقاد الصحيح فأنتم من أهل كرامة الله فسلموا على أنفسكم بتحية الله فإنها محل كرامة الله في تلك الساعة.

يقول الفقير: وكذا الحال في دخول المزارات والمشاهد المتبركة وإن كان العامة لا يعرفون ذلك ولا يعتقدون. قال الكمال الخجندي.

صوفيم ومعتقد صوفيان كيست چو من صوفىء نيك اعتقاد

قال الحافظ:

برسر تربت ما چون كذرى همت خواه كه زيارتكه رندان جهان خواهند بود

وقال الجامي:

نسيم الصبح زرعني ربي نجد وقبلها كه بوى دوست مى آيدازان پا كيزه منزلها

اللهم اجعلنا من الذين يجدون النفس الرحماني من قبل اليمن في كل حين وزمن.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾.

﴿إنما المؤمنون﴾ نزلت حين جمع النبي عليه السلام المسلمين يوم الجمعة ليستشيرهم في أمر الغزو وكان يثقل المقام عنده على البعض فيخرج بغير إذنه أو في حفر الخندق، وكان المنافقون ينصرفون بغير أمر رسول الله وكان الحفر من أهم الأمور حتى حفر رسول الله بنفسه وشغل عن أربع صلوات حتى دخلت في حد القضاء فقال تعالى: ﴿إنما المؤمنون﴾ أي: الكاملون في الإيمان وهو مبتدأ خبره قوله: ﴿الذين آمنوا بالله ورسوله﴾ عن صميم قلوبهم وأطاعوهما في جميع الأحكام في السر والعلانية. ﴿وإذا كانوا معه﴾ مع النبي عليه السلام ﴿على أمر جامع﴾ إلى آخره معطوف على آمنوا داخل معه في حيز الصلة أي على أمر مهم يجب اجتماعهم في شأنه كالجمعة والأعياد والحروب والمشاورة في الأمور وصلاة الاستسقاء وغيرها من الأمور الداعية إلى الاجتماع ووصف الأمر بالجمع للمبالغة في كونه سبباً لاجتماع الناس فإن الأمر لكونه مهماً عظيم الشأن صار كأنه قد جمع الناس فهو من قبيل إسناد الفعل إلى السبب. ﴿لم يذهبوا﴾ من المجمع ولم يفترقوا عنه عليه السلام ﴿حتى يستأذنوه﴾ عليه السلام في الذهاب فيأذن لهم واعتبر في كمال الإيمان عدم الذهاب قبل الاستئذان لأنه المميز للمخلص من المنافق ثم قال لمزيد التأكيد. ﴿إن الذين يستأذنونك﴾ يطلبون الإذن منك ﴿أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله﴾ لا غير المستأذنين.

قال الكاشفي: [تعريض جمع منافقا نست كه در غزوة تبوك بتخلف از جهاد دستورى جستند ودر بارة ايشان نازل شدكه]. ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٤٥] الآية أي فبعض المستأذنين وكل غير المستأذنين دخلوا في الترهيب وذلك بحسب الأغراض الفاسدة ولأنه فرق بين الاستئذان في التخلف وبين الاستئذان في الانصراف ألا ترى إلى عمر رضي الله

عنه استأذنه عليه السلام في غزوة تبوك في الرجوع إلى أهله فأذن له فقال: «انطلق فوالله ما أنت بمنافق» هكذا لاح بالبال. ﴿فإذا استأذنوك﴾ أي: وبعد ما تحقق أن الكاملين في الإيمان هم المستأذنون فإذا استاذنوك في الانصراف ﴿لبعض شأنهم﴾ الشأن الحال والأمر ولا يقال إلا فيما يعظم من الأحوال والأمور كما في «المفردات» لبعض أمرهم المهم أو خطبهم الملم لم يقل لشؤونهم بل قيد بالبعض تغليظاً عليهم في أمر الذهاب عن مجلس رسول الله مع العذر المبسوط ومساس الحاجة ﴿فائذن لمن شئت منهم﴾ لما علمت في ذلك من حكمة ومصلحة فلا اعتراض عليك في ذلك ﴿واستغفر لهم الله﴾ بعد الإذن فإن الاستئذان وإن كان لعذر قوي لا يخلو عن شائبة تفضيل أمر الدنيا على الآخرة.

ففيه إشارة إلى أن الأفضل أن لا يحدث المرء نفسه بالذهاب فضلاً عن الذهاب. ﴿إن الله غفور﴾ مبالغ في مغفرة فرطات العباد ﴿رحيم﴾ مبالغ في إفاضة أثر الرحمة عليهم.

وفي الآية بيان حفظ الأدب بأن الإمام إذا جمع الناس لتدبير أمر من أمور المسلمين ينبغي أن لا يرجعوا إلا بإذنه ولا يخالفوا أمير السرية ويرجعوا بالإذن إذا خرجوا للغزو ونحوه وللإمام أن يأذن وله أن لا يأذن إلا على ما يرى فمن تفرق بغير إذن صار من أهل الهوى والبدع وكان عليه السلام إذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد رجل الخروج وقف حيث يراه فيأذن له إن شاء ولذا قال عظماء الطريقة قدس الله أسرارهم: إن المريد إذا أراد أن يخرج لحاجة ضرورية ولم يجد الشيخ مكانه فإنه يحضر الباب ويتوجه بقلبه فيستأذن من روحانية الشيخ حتى لا يستقل في خروجه بل يقع ذلك من طريق المتابعة فإن للمتابعة تأثيراً عظيماً.

قال في «التأويلات النجمية»: فيه إشارة إلى أن المريد الصادق من يكون مستسلماً لتصرفات شيخه وأن لا يتنفس إلا بإذن شيخه ومن خالف شيخه في نفسه سراً أو جهراً لا يشم رائحة الصدق وسيره غير سريع وإن بدر منه شيء من ذلك فعليه بسرعة الاعتذار والإفصاح عما حصل منه من المخالفة والخيانة ليهديه شيخه إلى ما فيه كفارة جرمه ويلتزم في الغرامة بما يحكم به عليه وإذا رجع المريد إلى الله وإلى شيخه بالصدق وجب على شيخه جبران تقصيره بهمته فإن المريدين عيال على الشيوخ فرض عليهم أن ينفقوا عليهم من قوت أموالهم بما يكون جبراناً لتقصيرهم انتهى.

فعلى المريدين أن يوافقوا مشايخهم في جميع الأحوال وأن لا يستبدوا بآرائهم في أمور الشريعة والطريقة وأن لا يخالفوهم بالاستبعاد بالخروج من عندهم إلى السفر والحضر والمجاهدة والرياضة.

قال عبد الله الرازي: قال قوم من أصحاب أبي عثمان لأبي عثمان قدس سره: أوصنا قال: عليكم بالاجتماع على الدين وإياكم ومخالفة الأكابر والدخول في شيء من الطاعات إلا بإذنهم ومشورتهم وواسوا المحتاجين بما أمكنكم فأرجو أن لا يضيع الله لكم سعياً انتهى فمن وقع منه تقصير فلا يقنط فإن الله تعالى قبولاً ثم قبولاً. قال المولى الجامي:

بلى نبود درين ره نا اميدى ... سياهى را بود رو در سفيدى
ز صد در كر اميدت بر نيايد ... بنو ميدى جكر خوردن نشايد
در ديكر ببايد زد كه ناكاه ... ازان در سوى مقصود آورى راه

والله تعالى يقبل التوبة والاستغفار.

واعلم أن هذه الأبيات تشير إلى أبواب الشفاعة وكثرتها وإلا فمن رده باب من الأبواب الحقة فلا تقبله سائر الأبواب ألا ترى أن من رده الله تعالى لا يقبله النبي عليه السلام، ومن رده النبي عليه السلام لا يقبله الخلفاء الأربعة ولا غيرهم من أمته، فمن ترك الاستئذان من رسول الله لا يأذن له أحد ولو أذن لا يفيد وكذا حال من ترك الاستئذان من وارث رسول الله يعني أنه لا يفيد إذن غير الوارث وأما إذن وارث آخر فلا يتصور؛ لأن الوارثين كالحلقة المفرغة فإذا لم ينطبع في مرآة واحد منهم صورة صلاح أحد لم ينطبع في مرآة الآخر نسأل الله القبول بحرمة الرسول.

﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾

﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم﴾ المصدر مضاف إلى الفاعل أي لا تجعلوا دعوته وأمره إياكم في الاعتقاد والعمل بها. ﴿كدعاء بعضكم بعضاً﴾ أي: لا تقيسوا دعوته إياكم إلى شيء من الأمور على دعوة بعضكم بعضاً في جواز الأعراض والمساهلة في الإجابة والرجوع بغير إذن فإن المبادرة إلى إجابته واجبة والمراجعة بغير إذنه محرمة.

وقال بعضهم: المصدر مضاف إلى المفعول والمعنى لا تجعلوا نداءكم إياه وتسميتكم له كنداء بعضكم بعضاً باسمه مثل يا محمد ويا ابن عبد الله ورفع الصوت به والنداء وراء الحجرة ولكن بلقبه المعظم مثل يا نبي الله ويا رسول الله كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الأنفال: ٦٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المائدة: ٤١] قال الكاشفي: [حضرت عزت همه انبيارا بنداى علامت خطاب كرده وحبيب خودرا بنداى كرامت].

يا آدمست با پدرانبيا خطاب   يا أيها النبي خطاب محمد است

قال أبو الليث في «تفسيره»: وفي الآية بيان توقير معلم الخير لأن رسول الله ﷺ كان معلم الخير فأمر الله بتوقيره وتعظيمه وفيه معرفة حق الأستاذ وفيه معرفة أهل الفضل.

قال في «حقائق البقلي»: احترام الرسول من احترام الله ومعرفته من معرفة الله والأدب في متابعته من الأدب مع الله.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى تعظيم المشايخ فإن الشيخ في قومه كالنبي في أمته أي عظموا حرمة الشيوخ في الخطاب واحفظوا في خدمتهم الأدب وعلقوا طاعتهم على مراعاة الهيبة والتوقير ﴿قد يعلم الله الذين يتسللون منكم﴾ قد للتحقيق بطريق الاستعارة لاقتضاء الوعيد إياه كما أن رب يجيء للتكثير. وفي «الكواشي»: قد هنا مؤذنة بقلة المتسللين لأنهم كانوا أقل من غيرهم.

والتسلل الخروج من البين على التدريج والخفية يقال: تسلل الرجل أي انسرق من الناس وفارقهم بحيث لا يعلمون والمعنى يعلم الله الذين يخرجون من الجماعة قليلاً قليلاً على خفية ﴿لواذاً﴾ هو أن يستتر بشيء مخافة من يراه كما في «الوسيط».

قال في «القاموس»: اللوذ بالشيء الاستتار والاحتصان به كاللواذ مثلثة انتهى. والمعنى ملاوذة بأن يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج أو بأن يلوذ بمن يخرج بالإذن، إراءة أنه من أتباعه وانتصابه على الحالية من ضمير يتسللون أي ملاوذين أو على أنه مصدر مؤكد بفعل مضمر هو

الحالة في الحقيقة أي يلاوذون لواذاً وهو عام للتسلل من صف القتال ومن المسجد يوم الجمعة وغيرهما من المجامع الحقة.

وقال بعضهم: كان يثقل على المنافقين خطبة النبي يوم الجمعة فيلوذون ببعض أصحابه أو بعضهم ببعض فيخرجون من المسجد في استتار من غير استئذان فأوعدهم الله تعالى بهذه الآية ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾ يخالفون أمره بترك مقتضاه ويذهبون سمتاً بخلاف سمته وعن لتضمينه معنى الإعراض والميل والضمير لله لأنه الآمر حقيقة أو للرسول لأنه المقصود بالذكر. ﴿أن﴾ أي: من أن ﴿تصيبهم﴾ [برسدپريشان] ﴿فتنة﴾ محنة في الدنيا في البدن أو في المال أو في الولد كالمرض والقتل والهلاك وتسلط السلطان.

قال الكاشفي: [يا مهر غفلت بردل يا روى توبه. جنيد قدس سره فرموده كه فتنه سختىء دلست ومتأثر ناشدن أو ازمعرفت إلهي] ﴿أو يصيبهم عذاب أليم﴾ أي: في الآخرة.

وفي «الجلالين» ﴿أن تصيبهم فتنة﴾ بلية تظهر نفاقهم ﴿أو يصيبهم عذاب أليم﴾ عاجل في الدنيا انتهى وكلمة أو لمنع الخلو دون الجمع وإعادة الفعل صريحاً للاعتناء بالتحذير وفي ترتيب العذابين على المخالفة دلالة على أن الأمر للوجوب.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾ أي: عن أمر شيخهم ﴿أن تصيبهم فتنة﴾ من موجبات الفترة بكثرة المال أو قبول الخلق أو التزويج بلا وقته أو السفر بلا أمر الشيخ أو مخالفة الأحداث والنسوان والافتتان بهم أو صحبة الأغنياء أو التردد على أبواب الملوك أو طلب المناصب أو كثرة العيال فإن الاشتغال بما سوى الله فتنة. ﴿أو يصيبهم عذاب أليم﴾ بالانقطاع عن الله انتهى.

وفي «حقائق البقلي»: الفتنة ههنا والله أعلم فتنة صحبة الأضداد والمخالفين والمنكرين وذلك أن من صاحبهم يسوء ظنه بأولياء الله لأنهم أعداء الله وأعداء أوليائه يقعون كل وقت في الحق ويقبحون أحوالهم عند العامة لصرف وجوه الناس إليهم وهذه الفتنة أعظم الفتن.

قال أبو سعيد الحراز رحمه الله الفتنة هي إسباغ النعم مع الاستدراج من حيث لا يعلم العبد.

وقال رويم: الفتنة للعوام والبلاء للخواص.

وقال أبو بكر بن طاهر: الفتنة مأخوذ بها والبلاء معفو عنه ومثاب عليه.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾.

﴿ألا﴾ [بدانيدو آكاه باشيد] ﴿إن لله ما في السموات والأرض﴾ من الموجودات بأسرها خلقاً وملكاً وتصريفاً إيجاداً وإعداماً بدأ وإعادة ﴿قد﴾ كما قبله. ﴿يعلم ما أنتم عليه﴾ أيها المكلفون من الأحوال والأوضاع التي من جملتها الموافقة والمخالفة والإخلاص والنفاق.

﴿ويوم يرجعون إليه﴾ عطف على ما أنتم عليه ويوم مفعول به لا ظرف أي يعلم تحقيقاً يوم يرد المنافقون المخالفون للأمر إليه تعالى للجزاء والعقاب فيرجعون من الرجع المتعدي لا من الرجوع اللازم والعلم بوقت وقوع الشيء مستلزم للعلم بوقوعه على أبلغ وجه ﴿فينبئهم بما عملوا﴾ من الأعمال السيئة أي يظهر لهم على رؤوس الاشهاد ويعلمهم أي شيء شنيع عملوا

في الدنيا ويرتب عليه ما يليق به من الجزاء وعبر عن اظهاره بالتنبئة لما بينهما من الملابسة في أنهما سببان للعلم تنبيهاً على أنهم كانوا جاهلين بحال ما ارتكبوه غافلين عن سوء عاقبته لغلبة أحكام الكثرة الخلقية الإمكانية وآثار الأمزجة الطبيعية الحيوانية في نشأتهم. ﴿والله بكل شيء عليم﴾ لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وإن كان المنافقون يجتهدون في ستر أعمالهم عن العيون وأخفائها.

آنكس كه بيا فريد پيدا ونهان | چون نشناسد نهان وپيدابجهان

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ألا إن لله ما في السموات والأرض﴾ من نعيم الدنيا والآخرة فمن تعلق بشيء منه يبعده الله عن الحضرة ويؤاخذه بقدر تعلقه بغيره. ﴿ويوم يرجعون إليه﴾ بسلاسل المتعلقات ﴿فينبئهم بما عملوا﴾ عند مطالبتهم بمكافأة الخير خيراً ومجازاة الشر شراً ﴿والله بكل شيء عليم﴾ أي بكل شيء من مكافأة الخير ومجازاة الشر عليم بالنقير والقطمير مما عملوا من الصغير والكبير انتهى.

واعلم أن التعلق بكل من نعيم الدنيا ونعيم الآخرة حرام على أهل الله تعالى نعم إن أهل الله يحبون الآخرة بمعنى أن الآخرة في الحقيقة هو الآخر بالكسر وهو الله تعالى.

قال بعض أهل الحقيقة: ما ألهاك عن مولاك فهو دنياك. فعلى العاقل أن يقطع حبل العلاقات ويتصل بسر تجرد الذات والصفات ويتفكر في أمره ويحاسب نفسه قبل أن يجيء يوم الجزاء والمكافآت فإن عقب هذه الحياة ممات وهذا البقاء ليس على الدوام والثبات وفي الحديث: «ما قال الناس لقوم طوبى لكم إلا وقد خبأ لهم الدهر يوم سوء» قال الشاعر:

إن الليالي لم تحسن إلى أحد | ألا اساءت إليه بعد إحسان

وقال آخر:

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت | ولم تخف شر ما يأتي به القدر

وقال آخر:

لا صحة المرء في الدنيا تؤخره | ولا يقدم يوماً موته الوجع

﴿والله بكل شيء عليم﴾ من يوم الموت والرجوع اختياراً واضطراراً وغير ذلك من الأمور سراً وجهراً فطوبى لمن شاهد ولاحظ هذا الأمر وختم بالخوف والمراقبة الوقت والعمر.

تمت سورة النور يوم السبت الثالث من شهر الله رجب من سنة ثمان ومائة وألف.

٢٥ ـ تفسير سورة الفرقان

مكية آيها سبع وسبعون في قول الجمهور

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾.

﴿تبارك الذي نزل الفرقان﴾ أي تكاثر خير الذي الخ فالمضاف محذوف من البركة وهي كثرة الخير وترتيبه على تنزيل الفرقان لما فيه من كثرة الخير دينياً ودنيوياً أو معناه تزايد على كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله فإن البركة تتضمن معنى الزيادة فترتيبه عليه لدلالته على تعاليه.

قال المولى الفناري في «تفسير الفاتحة»: يروى أن الصاحب بن عباد كان يتردد في معنى الرقيم وتبارك والمتاع ويدور على قبائل العرب فسمع امرأة تسأل أين المتاع؟ ويجيب ابنها الصغير بقوله جاء الرقيم وأخذ المتاع وتبارك الجبل فاستفسر عنهم وعرف أن الرقيم الكلب وأن المتاع هو ما يبل بالماء فيمسح به القصاع وأن تبارك بمعنى صعد.

وقال بعضهم: البركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء وسمي محبس الماء بركة لدوام الماء فيها وثبوته. فمعنى تبارك دام دواماً ثابتاً لا انتقال له ولهذا لا يقال له يتبارك مضارعاً لأنه للانتقال.

قال في «برهان القرآن»: هذه لفظة لا تستعمل إلا لله ولا تستعمل إلا بلفظ الماضي وخص هذا الموضع بالذكر لأن ما بعده أمر عظيم وهو القرآن المشتمل على معاني جميع كتب الله. والفرقان مصدر فرق بين الشيئين أي فصل وسمي به القرآن لغاية فرقه بين الحق والباطل والمؤمن والكافر ﴿على عبده﴾ الأخلص ونبيه الأخص وحبيبه الأعلى وصفيه الأولى محمد المصطفى ﷺ وفيه تشريف له بالعبدية المطلقة وتفضيل بها على جميع الأنبياء فإنه تعالى لم يسم أحداً منهم بالعبد مطلقاً كقوله تعالى: ﴿عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ [مريم: ٢] وتنبيه على أن الرسول لا يكون إلا عبداً للمرسل رداً على النصارى ولذا قدم في التشهد عبده على رسوله. ﴿ليكون للعالمين نذيراً﴾ غاية للتنزيل أي ليكون العبد منذراً بالقرآن للإنس والجنّ فمن عاصره أو جاء بعده ومخوفاً من عذاب الله وموجبات سخطه. فالنذير بمعنى المنذر والإنذار إخبار فيه تخويف كما أن التبشير إخبار فيه سرور.

قال الإمام الراغب: العالم اسم للفلك وما يحويه من الجواهر والأعراض وهو في الأصل اسم لما يعلم به كالطابع والخاتم لما يطبع ويختم به وجعل بناؤه على هذه الصيغة لكونه كالآلة فالعالم آلة في الدلالة على صانعه وأما جمعه فلأن كل نوع قد يسمى عالماً فيقال:

عالم الإنسان وعالم الماء وعالم النار وأما جمعه السلامة السلامة فلكون الناس في جملتهم والإنسان إذا شارك غيره في اللفظ غلب حكمه انتهى.

قال ابن الشيخ: جمع بالواو والنون لأن المقصود استغراق أفراد العقلاء من جنس الجن والإنس فإن جنس الملائكة وإن كان من جملة أجناس العالم إلا أن النبي عليه السلام لم يكن رسولاً إلى الملائكة فلم يبق من العالمين المكلفين إلا الجن والإنس فهو رسول إليهما جميعاً انتهى أي فتكون الآية، وقوله عليه السلام: «أرسلت للخلق كافة» من العام المخصوص ولم يبعث نبي غيره عليه السلام إلا إلى قوم معين وأما نوح عليه السلام فإنه وإن كان له عموم بعثة لكن رسالته ليست بعامة لمن بعده وأما سليمان عليه السلام فإنه كان مبعوثاً إلى الجن فإنه من التسخير العام لا يلزم عموم الدعوة.

والآية حجة لأبي حنيفة رضي الله عنه في قوله: ليس للجن ثواب إذا أطاعوه سوى النجاة من العذاب ولهم عقاب إذا عصوا حيث اكتفى بقوله: ﴿ليكون للعالمين نذيراً﴾ ولم يذكر البشارة.

قال في «الإرشاد»: عدم التعرض للتبشير لانسياق الكلام على أحوال الكفرة.

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾

﴿الذي﴾ أي هو الذي ﴿له﴾ خاصة دون غيره استقلالاً أو اشتراكاً ﴿ملك السموات والأرض﴾ الملك هو التصرف بالأمر والنهي في الجمهور.

قال الكاشفي: [پادشاهىء آسما نهارا وزمينها چه وى منفر داست بآ فريد آنها پس اورا رسد تصرف دران] ثم قال رداً على اليهود والنصارى: ﴿ولم يتخذ ولداً﴾ ليرث ملكه لأنه حي لا يموت وهو عطف على ما قبله من الجملة الظرفية.

قال في «المفردات»: تخذ بمعنى أخذ واتخذ افتعل منه والولد المولود ويقال للواحد والجمع والصغير والكبير والذكر والأنثى ثم قال رداً على قريش: ﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾ أي: في ملك السموات والأرض لينازعه أو ليعاونه في الإيجاد. وفي «المثنوي»:

واحـد انـدر مـلـك اورا يـارنـى بـنـدكـانـش را جـز اوسـالارنـى
نـيـسـت خـلـقـش رادكـركـس مـالـكـي شـركـتـش دعـوت كـنـد جـزهـالـكـي

﴿وخلق كل شيء﴾ أحدث كل موجود من الموجودات من مواد مخصوصة على صور معينة ورتب فيه قوى وخواص مختلفة الأحكام والآثار. ﴿فقدره تقديراً﴾ أي: فهيأه لما أراده منه من الخصائص والأفعال اللائقة به كهيئة الإنسان للإدراك والفهم والنظر والتدبر في أمور المعاش والمعاد واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الأعمال المختلفة وهكذا أحوال سائر الأنواع.

﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾

﴿واتخذوا﴾ أي: المشركون لأنفسهم ﴿من دونه﴾ أي حال كونهم متجاوزين عبادة الذي خلق هذه الأشياء. ﴿آلهة﴾ من الأصنام ﴿لا يخلقون شيئاً﴾ أي: لا تقدر تلك الآلهة على خلق شيء من الأشياء أصلاً لا على ذهاب ولا على غيره وإنما ذكر الأصنام بلفظ العقلاء لأن الكفار

يجعلونهم بمنزلة العقلاء فخاطبهم بلغتهم كما في «تفسير أبي الليث». ﴿وهم يخلقون﴾ كسائر المخلوقات ﴿ولا يملكون لأنفسهم﴾ أي: لا يستطيعون ﴿ضراً﴾ أي دفع ضر قدم لكونه أهم من النفع ﴿ولا نفعاً﴾ ولا جلب نفع فكيف يملكون شيئاً منهما لغيرهم فهم أعجز من الحيوان فإنه ربما يملك دفع الضر وجلب النفع لنفسه في الجملة. ﴿ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً﴾ أي: لا يقدرون على إماتة الأحياء وإحيائهم أولاً وبعثهم ثانياً ومن كان كذلك فبمعزل عن الألوهية لعرائه عن لوازمها واتصافه بما ينافيها.

وفيه تنبيه على أن الإله يجب أن يكون قادراً على البعث والجزاء يعني أن الضار والنافع والمميت والمحيي والباعث هو الله تعالى فهو المعبود الحقيقي وما سواه فليس بمعبود بل عابد لله تعالى كما قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم: ٩٣].

وفي الآية إشارة إلى الأصنام المعنوية وهم المشايخ المدّعون والدجاجلة المضلون فإنهم ليسوا بقادرين على إحياء القلوب وإماتة النفوس فالتابعون لهم في حكم عابدي الأصنام فليحذر العاقل من اتخاذ أهل الهوى متبوعاً فإن الموت الأكبر الذي هو الجهل إنما يزول بالحياة الأشرف الذي هو العلم فإن كان للعبد مدخل في إفادة الخلق العلم النافع ودعائهم إلى الله على بصيرة فهو الذي رقى غيره من الجهل إلى المعرفة وأنشأه نشأة أخرى وأحياه حياة طيبة بإذن الله تعالى وهي رتبة الأنبياء ومن يرثهم من العلماء العاملين وأما من سقط عن هذه الرتبة فليس الاستماع إلى كلامه إلا كاستماع بني إسرائيل إلى صوت العجل. قال المولى الجامي قدس سره.

بلاف نا خلفان زمانه غره مشو مروچو سامرى ازره ببانك كوساله

وقد قال تعالى: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] أي: كونوا في جملة الصادقين ومصاحبين لهم وبعضهم ولذا قالوا يلزم للمرء أن يختار من البقاء أحسنها ديناً حتى يتعاون بالإخوان الصادقين.

قيل لعيسى عليه السلام يا روح الله من نجالس؟ فقال: من يزيدكم في علمه منطقه ويذكركم الله رؤيته ويرغبكم في الآخرة عمله. قال الصائب قدسٰ سره.

نورى ازپيشانىء صاحب دلان دريوزه كن شمع خودرا مى برى دل مرده زين محفل چرا
أي كه روى عالمي را جانب خود كردة رونمى آرى بروى صائب بيدل چرا

اللهم بحق الفرقان اجعلنا مع الصادقين من الإخوان.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٥﴾﴾

﴿وقال الذين كفروا﴾ كنضر بن الحارث وعبد الله بن أمية ونوفل بن خويلد ومن تابعهم. ﴿إن هذا﴾ أي: ما هذا القرآن ﴿إلا إفك﴾ كذب مصروف عن وجهه لأن الإفك كل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه ومنه قيل للرياح العادلة عن المهاب المؤتفكات ورجل مأفوك مصروف عن الحق إلى الباطل. ﴿افتراه﴾ اختلقه محمد من عند نفسه. والفرق بين الافتراء والكذب أن الافتراء هو افتعال الكذب من قول نفسه والكذب قد يكون على وجه التقليد للغير فيه كما في «الأسئلة المقحمة» ﴿وأعانه عليه﴾ أي: على اختلاقه ﴿قوم آخرون﴾

أي اليهود فإنهم يلقون إليه أخبار الأمم وهو يعبر عنها بعبارته ﴿فقد جاؤوا﴾ فعلوا بما قالوا فإن جاء وأتى يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته. ﴿ظلماً﴾ عظيماً بجعل الكلام المعجز إفكاً مختلقاً مفتعلاً من اليهود يعني وضعوا الإفك في غير موضعه ﴿وزوراً﴾ أي كذبا كبيراً حيث نسبوا إليه عليه السلام ما هو بريء منه.

قال الإمام الراغب: قيل للكذب زور لكونه مائلاً عن جهته لأن الزور ميل في الزور أي وسط الصدر والأزور المائل الزور.

﴿وقالوا﴾ في حق القرآن هذا ﴿أساطير الأولين﴾ ما سطره المتقدمون من الخرافات والأباطيل مثل حديث رستم واسفنديار. وبالفارسية [افسانهاى أو ليانست كه در كتابها نوشته اند] وهو جمع اسطار جمع سطر أو أسطورة كأحدوثة وأحاديث.

قال في «القاموس» السطر الصف من الشيء الكتاب والشجر وغيره والخط والكتابة والقطع بالسيف ومنه الساطر للقصاب وأسطره كتبه والأساطير الأحاديث التي لا نظام لها. ﴿اكتتبها﴾ أمر أن تكتب له لأنه عليه السلام لا يكتب وهو كاحتجم وافتصد إذا أمر بذلك.

قال في «المفردات» الاكتتاب متعارف في الاختلاق. ﴿فهي﴾ أي: الأساطير ﴿تملى عليه﴾ تلقى على محمد وتقرأ عليه بعد اكتتابها وانتساخها ليحفظها من أفواه من يمليها عليه لكونه أمياً لا يقدر على أن يتلقاها منه بالقراءة والإملاء في الأصل عبارة عن إلقاء الكلام على الغير ليكتبه ﴿بكرة وأصيلا﴾ أول النهار وآخره أي دائماً أو خفية قبل انتشار الناس وحين يأوون إلى مساكنهم.

وفي «ضرام السقط»: أول اليوم الفجر ثم الصباح ثم الغداة ثم البكرة ثم الضحى ثم الهجيرة ثم الظهر ثم الرواح ثم المساء ثم العصر ثم الأصيل ثم العشاء الأولى ثم العشاء الأخيرة عند مغيب الشفق.

﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾﴾.

﴿قل﴾ يا محمد رداً عليهم وتحقيقاً للحق ﴿أنزله الذي يعلم السر﴾ الغيب ﴿في السموات والأرض﴾ لأنه أعجزكم لفصاحته عن آخركم وتضمن إخباراً عن مغيبات مستقبلة أو أشياء مكنونة لا يعلمها إلا عالم الأسرار فكيف تجعلونه أساطير الأولين. ﴿إنه كان غفوراً رحيماً﴾ أي إنه تعالى أزلاً وأبداً مستمر على المغفرة والرحمة فلذلك لا يعجل على عقوبتكم على ما تقولون مع كمال قدرته عليها واستحقاقكم أن يصب عليكم العذاب صباً.

وفيه إشارة إلى أن أهل الضلالة من الذين نسبوا القرآن إلى الإفك لو رجعوا عن قولهم وتابوا إلى الله يكون غفوراً لهم رحيماً بهم كما قال تعالى: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ [طه: ٨٢].

در توبه بازست وحق دستگير

اعلم أن الله تعالى أنزل القرآن على وفق الحكمة الأزلية في رعاية مصالح الخلق ليهتدي به أهل السعادة إلى الحضرة وليضل به أهل الشقاوة عن الحضرة وينسبوه إلى الإفك كما قال

تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف: ١١] والقرآن لا يدرك إلا بنور الإيمان والكفر ظلمة وبالظلمة لا يرى إلا الظلمة فبظلمة الكفر رأى الكفار القرآن النوراني القديم كلاماً مخلوقاً ظلمانياً من جنس كلام الإنس فكذلك أهل البدعة لما رأوا القرآن بظلمة البدعة رأوا كلاماً مخلوقاً ظلمانياً بظلمة الحدوث وظلموا أنفسهم بوضع القرآن في غير موضعه من كلام الإنس وفي الحديث: «القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق فمن قال بكونه مخلوقاً فقد كفر بالذي أنزله» نسأل الله العصمة والحفظ من الإلحاد وسوء الاعتقاد.

ثم اعلم أن من الأمور اللازمة تعليم الجهلاء ورد الملاحدة والمبتدعة فإنه كوضع الدواء على جراحة المجروح أو كقتل الباغي المضر وردهم بالأجوبة القاطعة مما لا يخالف الشريعة والطريقة ألا ترى أن الله تعالى أمر حبيبه عليه السلام بالجواب للطاعنين في القرآن وقد أجاب السلف عمن أطال على القرآن وذهب على حدوثه ومخلوقيته وكتبوا رسائل وكذا علماء كل عصر جاهدوا المخالفين بما أمكن من المعارضة حتى ألقموهم الحجر وأفخموهم وخصلوا الناس من شبهاتهم وشكوكهم وفي الحديث: «من انتهر» أي: منع «بكلام غليظ صاحب بدعة سيئة مما هو عليه من سوء الاعتقاد والفحش من القول والعمل ملأ الله تعالى قلبه أمناً وإيماناً ومن أهان صاحب بدعة آمنه الله تعالى يوم القيامة من الفزع الأكبر» أي: النفخة الأخيرة التي تفزع الخلائق عندها أو الانصراف إلى النار أو حين يطبق على النار أو يذبح الموت وأطلق الأمن في صورة الانتهار والمراد الأمن في الدنيا مما يخاف خصوصاً من مكر من انتهره ويدل عليه ما بعده وهو الإيمان فإنه من مكاسب الدنيا نسأل الله الأمن والأمان وكمال الإيمان والقيام بأوامره والاتعاظ بمواعظه وزواجره.

﴿وقالوا﴾ أي المشركون من أشراف قريش كأبي جهل وعتبة وأمية وعاص وأمثالهم وذلك حين اجتماعهم عند ظهر الكعبة ﴿ما﴾ استفهامية بمعنى إنكار الوقوع ونفيه مرفوعة على الابتداء خبرها قوله ﴿ل هذا الرسول﴾ وجدت اللام مفصولة عن الهاء في المصحف واتباعه سنة وفي هذا تصغير لشأنه عليه السلام وتسميته رسولاً بطريق الاستهزاء أي أي سبب حصل لهذا الذي يدعي الرسالة حال كونه. ﴿يأكل الطعام﴾ كما نأكل والطعام ما يتناول من الغذاء. ﴿ويمشي في الأسواق﴾ لطلب المعاش كما نمشي جمع سوق وهو الموضع الذي يجلب إليه المتاع للبيع ويساق أنكروا أن يكون الرسول بصفة البشر يعني إن صح دعواه فما باله لم يخالف حاله حالنا.

قال بعضهم: ليس بملك ولا ملك وذلك لأن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون والملوك لا يتسوقون ولا يبتذلون فعجبوا أن يكون مثلهم في الحال ولا يمتاز من بينهم بعلو المحل والجلال لعدم بصيرتهم وقصور نظرهم على المحسوسات فإن تمييز الرسل عمن عداهم ليس بأمور جسمانية وإنما هو بأحوال نفسانية فالبشرية مركب الصورة والصورة مركب القلب والقلب مركب العقل والعقل مركب الروح والروح مركب المعرفة والمعرفة قوة قدسية صدرت عن كشف عين الحق.

قال الكاشفي: [ند انستندكه نبوت منا في بشريت نيست بلكه مقتضى آنست تاتناسب وتجانس كه سبب افاده واستفاده است بحصول پيوندد].

جـنـس بـايـد تـادر آمـيـزد بـهـم

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن الكفار صم بكم عمي فهم لا يعقلون لأنهم نظروا إلى الرسول بنظر الحواس الحيوانية وهم بمعزل من الحواس الروحانية والربانية فما رأوا منه إلا ما يرى من الحيوان وما رأوه بنظر يرى به النبوة والرسالة ليعرفوه أنه ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين فلهذا قال تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨] وذلك لأنه لهم قلوب لا يفقهون بها النبوة والرسالة ولهم أعين لا يبصرون بها الرسول والنبي ولهم آذان لا يسمعون بها القرآن ليعلموا أنه معجزة الرسول فيؤمنوا به. ﴿لولا﴾ حرف تحضيض بمعنى: هلا وبالفارسية [چرا]. ﴿أنزل إليه ملك﴾ أي على هيئته وصورته المباينة لصورة البشر والجن ﴿فيكون﴾ نصب لأنه جواب لولا ﴿معه﴾ مع الرسول ﴿نذيراً﴾ معيناً له في الإنذار معلوماً صدقه بتصديقه.

﴿أو يلقى إليه كنز﴾ من السماء يستظهر به ويستغنى عن تحصيل المعاش. والكنز المال المكنوز أي المجموع المحفوظ. وبالفارسية [كنج] ﴿أو تكون له جنة يأكل منها﴾ أي إن لم يلق إليه كنز فلا أقل من أن يكون له بستان يتعيش بفائدة كما لأهل الغنى والقرى ﴿وقال الظالمون﴾ وهم القائلون الأولون لكن وضع المظهر موضع ضميرهم تسجيلاً عليهم بالظلم وتجاوز الحد فيما قالوا لكونه اضلالاً خارجاً عن حد الضلال أي قالوا للمؤمنين: ﴿إن تتبعون﴾ أي ما تتبعون ﴿إلا رجلاً مسحوراً﴾ قد سحر فغلب على عقله.

قال بعض أهل الحقائق: كانوا يرون قبح حالهم في مرآة النبوة وهم يحسبون أنه حال النبي عليه السلام. والسحر مشتق من السحر الذي هو اختلاط الضوء والظلمة من غير تخلص لأحد الجانبين والسحر له وجه إلى الحق ووجه إلى الباطل فإنه يخيل إلى المسحور أنه فعل ولم يفعل.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَـٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾﴾.

﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال﴾ أي: كيف قالوا في حقك تلك الأقاويل العجيبة الخارجة عن العقول الجارية لغرابتها مجرى الأمثال واخترعوا لك تلك الأحوال الشاذة البعيدة من الوقوع وذلك من جهلهم بحالك وغفلتهم عن جمالك.

قال بعضهم: مثلوك بالمسحور والفقير الذي لا يصلح أن يكون رسولاً والناقص عن القيام بالأمور إذ طلبوا أن يكون معك مثلك. ﴿فضلوا﴾ عن الحق ضلالاً مبيناً ﴿فلا يستطيعون سبيلاً﴾ إلى الهدى ومخرجاً من ضلالتهم.

قال بعض الأكابر: وقد أبطلوا الاستعداد بالاعتراض والإنكار على النبوة فحرموا من الوصول إلى الله تعالى.

﴿تبارك الذي﴾ أي: تكاثر وتزايد خير الذي ﴿إن شاء جعل لك﴾ في الدنيا لأنه قد شاء أن يعطيه ذلك في الآخرة ﴿خيراً من ذلك﴾ مما قالوا من إلقاء الكنز وجعل الجنة ولكن آخره إلى الآخرة لأنه خير وأبقى وخص هذا الموضع بذكر تبارك لأن ما بعده من العظائم حيث ذكر النبي عليه السلام والله تعالى خاطبه بقوله: «لولاك يا محمد ما خلقت الكائنات» كذا في «برهان

القرآن». ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ بدل من خيراً ومحقق لخيريته مما قالوا لأن ذلك كان مطلقاً عن قيد التعدد وجريان الأنهار ﴿ويجعل لك قصوراً﴾ بيوتاً مشيدة في الدنيا كقصور الجنة. وبالفارسية [كوشكهاى عالي ومسكنهاى رفيع].

قال الراغب: يقال قصرت كذا ضممت بعضه إلى بعض ومنه سمي القصر انتهى والجملة عطف على محل الجزاء الذي هو جعل، وفي الحديث: «أن ربي عرض على أن يجعل لي بطحاء مكة ذهباً قلت: لا يا ربّ ولكن أجوع يوماً وأشبع يوماً فأما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع إليه وأدعوك وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك».

قال الكاشفي: [دراسباب نزول مذكور راست كه چون ما لداران قريش حضرت رسالت را بفقر وفاقه سرزنش كردند رضوان كه آرايندة روضات جنانست با أين آيت نازل شد ودرجى از نور بيش حضرت نهاد وفر مودكه پروردكار تو ميفر ما يدكه مفاتح خزائن دنيا دراينجاست آنرا بدست تصرف توميد هيم بي آنكه از كرامت ونعمتي كه نامزد توكرده أيم در آخرت مقدار برپشه كم نكردد حضرت فرمود كه أي رضوان مرا بدينها حاجت نيست فقررا دوستر ميدارم وميخواهم كه بندة شكور وصبور باشم رضوان كفت «أصبت أصاب الله» يك نشانة علو همت آن حضرت همينست كه باوجود تنكدستي واحتياج كوشة چشم التفات بر خزائن روى زمين نيفكند آنرا ملاحظه بايد نمودكه درشب معراج مطلقاً نظر بما سوى الله نكشوده وبهيچ چيز از بدائع ملكوت وغرائب عرصة جبروت التفاوت نفرمود تا عبارات ازان اين آمدكه ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧﴾ [النجم: ١٧]].

زرنـك آمـيـزىء ريـحـان آن بـاغ نـهـاده چـشـم خـودرا مـهـر مـا زاغ
نـظر چـون بـركـوفـت ازنـقـش كـونـيـن قـدم زد در حـريـم قـاب قـوسـيـن

وعن عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله ألا تستطعم الله فيطعمك قالت وبكيت لما رأيت به من الجوع وشد الحجر على بطنه من السغب فقال: «يا عائشة والذي نفسي بيده لو سألت ربي أن يجري معي جبال الدنيا ذهباً لأجراها حيث شئت من الأرض ولكن اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقرها على غناها وحزن الدنيا على فرحها. يا عائشة إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد».

يقول الفقير عصمه الله القدير: كان عليه السلام من أهل الإكسير الأعظم والحجر المكرم فإن شأنه على من شأن سائر الأنبياء من كل وجه وقد أوتوا ذلك العلم الشريف وعمل به بعضهم كإدريس وموسى ونحوهما على ما في كتب الصناعة الحجرية لكنه عليه السلام لم يلتفت إليه ولم يعمل به ولو عمل به لجعل مثل الجبال ذهباً ولملك مثل ملك كسرى وقيصر لأنه ليس بمناف للحكمة بالكلية فإن بعض الأنبياء قد أوتوا في الدنيا مع النبوة ملكاً عظيماً.

وإنما اختار الفقر لنفسه لوجوه. أحدها أنه لو كان غنياً لقصده قوم طمعاً في الدنيا فاختار الله له الفقر حتى أن كل من قصده علم الخلائق أنه قصده طلباً للعقبى. والثاني ما قيل إن الله اختار الفقر له نظراً لقلوب الفقراء حتى يتسلى الفقير بفقره كما يتسلى الغني بماله. والثالث ما قيل إن فقره دليل على هوان الدنيا على الله تعالى كما قال عليه السلام: «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء» فالله تعالى قادر على أن يعطيه ذلك الذي عيروه بفقده وما هو خير من ذلك بكثير ولكنه يعطي عباده على حسب المصالح وعلى وفق

المشيئة ولا اعتراض لأحد عليه في شيء من أفعاله فيفتح على واحد أبواب المعارف والعلوم ويستدّ عليه أبواب الدنيا وفي حق الآخر بالعكس من ذلك في القصيدة البردية:

وراودته الجبال الشم من ذهب عن نفسه فأراها أيما شمم

الشم جمع الأشم والشمم الارتفاع أي أراها ترفعاً أي ترفع لا يكتنه كنهه.

وأكدت زهده فيها ضرورته أن الضرورة لا تعدو على العصم

جمع عصمة يعني أن شدة حاجته لم تعد ولم تغلب على العصمة الأزلية بل أكدت ضرورته زهده في الدنيا الدنية فما زاغ بصر همته في الدنيا وما طغى عين نهمته في العقبى.

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

يقال دعاه إليه أي طلبه إليه وحمله عليه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أوحى الله تعالى إلى عيسى أن صدق محمداً وائمر أمتك من أدركه منهم أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولولاه ما خلقت الجنة والنار ولقد خلقت العرش فاضطرب فكتبت عليه لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله فسكن» فمن كانت الدنيا رشحة من فيض نعمه فكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة فاقته كذا في «شرح القصيدة» لابن الشيخ: وفي «المثنوي»:

راهزن هركز كدايي را نزد كرك كرك مرده را هركز كزد

خضر كشتى را براى آن شكست تا تواند كشتى از فجار رست

چون شكسته مى رهدا شكسته شو امن در فقرست اندر فقر رو

آنكهى كوداشت از كان نقد چند كشت پاره پاره از زخم كلند

تيغ بهراوست كورا كردنيست سايه فاكندست بروى رحم نيست

يعني فليلازم العبد التواضع والفقر.

﴿بل كذبوا بالساعة﴾ أي القيامة والحشر والنشر. والساعة جزء من أجزاء الزمان ويعبر بها عن القيامة تشبيهاً بذلك لسرعة حسابه كما قال: ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢] أو لما نبه عليه قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً﴾ [الأحقاف: ٣٥] كما في «المفردات» وهو إضراب عن توبيخهم بحكاية جنايتهم السابقة وانتقال منه إلى توبيخهم بحكاية جنايتهم الأخرى للتخلص إلى بيان مالهم في الأخرة بسببها من فنون العذاب ﴿وأعتدنا﴾ هيأنا وأصله أعددنا ﴿لمن كذب بالساعة﴾ وضع الساعة موضع ضميرها للمبالغة في التشنيع ﴿سعيراً﴾ ناراً عظيمة شديدة الاشتعال.

قال بعض أهل الحقائق سعير الآخرة إنما سعرت من سعير الدنيا وهي حرص العبد على الدنيا وملاذها.

﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾﴾

﴿إذا رأتهم﴾ صفة للسعير أي إذا كانت تلك السعير بمرأى منهم وقابلتهم بحيث صاروا

بإزائها كقولهم: داري تنظر دارك أي تقابلها فأطلق الملزوم وهو الرؤية وأريد اللازم وهو كون الشيء بحيث يرى والانتقال من الملزوم إلى اللازم مجاز. ﴿من مكان بعيد﴾ هو أقصى ما يمكن أن يرى منه قيل: من المشرق إلى المغرب وهي خمسمائة عام.

وفيه إشارة بأن بعد ما بينها وبينهم من المسافة حين رأتهم خارج عن حدود البعد المعتاد في المسافات المعهودة. ﴿سمعوا لها تغيظاً﴾ أي: صوت تغيظ على تشبيه صوت غليانها بصوت المغتاظ أي الغضبان إذا غلى صدره من الغيظ فعند ذلك يهمهم والهمهمة ترديد الصوت في الصدر.

قال ابن الشيخ: يقال: أما رأيت غضب الملك إذا رأى ما يدل عليه فكذا هٰهنا ليس المسموع التغيظ الذي هو أشد الغضب بل ما يدل عليه من الصوت.

وفي «المفردات»: التغيظ إظهار الغيظ وهو أشد الغضب وقد يكون ذلك مع صوت مسموع والغضب هو الحرارة التي يجدها الإنسان من ثوران دم قلبه. ﴿وزفيراً﴾ وهو صوت يسمع من جوفه وأصله ترديد النفس حتى ينتفخ الضلوع منه.

وقال عبيد بن عمير: إن جهنم لتزفر زفرة لا يبقى نبي مرسل ولا ملك مقرب إلا خرّ لوجهه ترعد فرائصهم حتى إن إبراهيم عليه السلام ليجثو على ركبتيه ويقول: يا رب لا أسألك إلا نفسي.

قال أهل السنة: البنية ليست شرطاً في الحياة فالنار على ما هي عليه يجوز أن يخلق الله فيها الحياة والعقل والرؤية والنطق.

يقول الفقير: وهو الحق كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُۚ﴾ [العنكبوت: ٦٤] فلا احتياج إلى تأويل أمثال هذا المقام. ﴿وإذا ألقوا منها مكاناً﴾ أي في مكان ومنها بيان تقدم فصار حالاً منه والضمير عائد إلى السعير. ﴿ضيقاً﴾ صفة لمكاناً مفيدة لزيادة شدة حال الكرب مع الضيق كما أن الروح مع السعة وهو السر في وصف الجنة بأن عرضها السموات والأرض.

واعلم أنه تضيق حهنم عليهم كما تضيق حديدة الرمح على الرمح أو تكون لهم كحال الوتد في الحائط فيضم العذاب وهو الضيق الشديد إلى العذاب وذلك لتضيق قلوبهم في الدنيا حتى لم تسع فيها الإيمان. ﴿مقرنين﴾ أي حال كونهم قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم مشدودة إليها بسلسلة أو يقرنون مع شياطينهم سلسلة في سلسلة: يعني [هريك را بقرين أو ازجن بسببة آتشين بهم بازبسته] يقال: قرنت البعير جمعت بينهما وقرنته بالتشديد على التكثير. ﴿دعوا﴾ [بخوانند برخود] ﴿هنالك﴾ أي في ذلك المكان الهائل والحالة الفظيعة. ﴿ثبوراً﴾ هو الويل والهلاك [واين كلمه كسي كويدكه آرزومند هلاك باشد] أي يتمنون هلاكاً وينادون فيقولون: يا ثبوراء يا ويلاه يا هلاكاه تعال فهذا أوانك وفي الحديث: «أول من يكسى يوم القيامة إبليس حلة من النار بعضها على حاجبيه فيسحبها من خلفه وذريته خلفه وهو يقول واثبوراه وهم ينادون يا ثبورهم حتى يقفوا على النار فينادي ياثبوراه وينادون يا ثبورهم» فيقول الله تعالى أو فيقال لهم على ألسنة الملائكة تنبيهاً على خلود عذابهم.

﴿لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً﴾ أي لا تقتصروا على دعاء ثبور واحد ﴿وادعوا ثبوراً كثيراً﴾ أي بحسب كثرة الدعاء المتعلق به لا بحسب كثرته في نفسه فإن ما يدعون ثبوراً واحداً

في حد ذاته وتحقيقه لا تدعوه دعاء واحداً وادعوا أدعية كثيرة فإن ما أنتم فيه من العذاب لغاية شدته وطول مدته مستوجب لتكرير الدعاء في كل آنٍ.

﴿قل أذلك﴾ العذاب ﴿خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون﴾ أي: وعدها المتقون أي المتصفون بمطلق التقوى لا بالمرتبة الثانية أو الثالثة منها فقط فالمؤمن متق وإن كان عاصياً وجنة الخلد هي الدار التي لا ينقطع نعيمها ولا ينقل عنها أهلها فإن الخلود هو تبري الشيء من اعتراض الفساد وبقاؤه على الحالة التي هو عليها وإضافة الجنة إلى الخلد للمدح وإلا فالجنة اسم للدار المخلدة ويجوز أن تكون الجنة اسماً لا يدل على البستان الجامع لوجوه البهجة ولا يدخل الخلود في مفهومها فاضيفت إليه للدلالة على خلودها.

فإن قيل: كيف يتصور الشك في أنه أيهما خير حتى يحسن الاستفهام والترديد وهل يجوز للعاقل أن يقول: السكر أحلى أم الصبر وهو دواء مرّ يقال ذلك في معرض التقريع والتهكم والتحسير على ما فات.

وفي «الوسيط» هذا التنبيه على تفاوت ما بين المنزلتين لا على أن في السعير خيراً.

وقال بعضهم: هذا على المجاز وإن لم يكن في النار خير والعرب تقول العافية خير من البلاء وإنما خاطبهم بما يتعارفون في كلامهم. ﴿كانت﴾ تلك الجنة ﴿لهم﴾ في علم الله تعالى ﴿جزاء﴾ على أعمالهم بمقتضى الكرم لا بالاستحقاق والجزاء الغنى والكفاية فالجزاء ما فيه الكفاية من المقابلة إن خيراً فخير وإن شراً فشر. والجزية ما يؤخذ من أهل الذمة وتسميتها بذلك للاجتزاء بها في حقن دمهم. ﴿ومصيراً﴾ مرجعاً يرجعون إليه وينقلبون. والفرق بين المصير والمرجع أن المصير يجب أن يخالف الحالة الأولى ولا كذلك المرجع.

﴿لهم فيها ما يشاؤون﴾ أي ما يشاؤونه من أنواع النعيم واللذات مما يليق بمرتبتهم فإنهم بحسب نشأتهم لا يريدون درجات من فوقهم فلا يلزم تساوي مراتب أهل الجنان في كل شيء. ومن هذا يعلم فساد ما قيل في «شرح الأشباه» بجواز اللواطة في الجنة لجواز أن يريدها أهل الجنة ويشتهيها وذلك لأن اللواطة من الخبائث التي ما تعلقت الحكمة بتحليلها في عصر من الأعصار كالزنى فكيف يكون ما يخالف الحكمة مراداً ومشتهى في الجنة فالقول بجوازها ليس إلا من الخباثة. والحاصل أن عموم الآية إنما هو بالنسبة إلى المتعارف ولذا قال بعضهم: في الآية دليل على أن كل المرادات لا تحصل إلا في الجنة ولما لم تكن اللواطة مرادة في الدنيا للطيبين فكذا في الآخرة ﴿خالدين﴾ فيها حال من الضمير المستكن في الجار والمجرور لاعتماده على المبتدأ ﴿كان﴾ المذكور من الدخول والخلود وما يشاؤون. ﴿على ربك وعداً مسؤولاً﴾ أي موعوداً حقيقاً بأن يسأل ويطلب وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده.

واعلم أن أهم الأمور الفوز بالجنة والنجاة من النار كما قال النبي عليه السلام للأعرابي الذي قال له: إني أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار: «إني لا أعرف دندنتك ولا دندنة معاذ» قوله: «دندن» معناه إني لا أعرف ما تقول أنت ومعاذ يعني من الأذكار والدعوات المطولة ولكني اختصر على هذا المقدار فأسأل الله الجنة وأعوذ به من النار فقال له النبي عليه السلام حولها ندندن أي حول الجنة والنار أو حول مسألتهما والمسألة الأولى سؤال طلب والثانية سؤال استعاذة كما في «أبكار الأفكار» ومعنى الحديث أن المقصود بهذا الذكر الطويل الفوز بهذا الوافر الجزيل كما في «عقد الدرر واللآلى».

قال في «رياض الصالحين»: العبد في حق دينه إما سالم وهو المقتصر على أداء الفرائض وترك المعاصي أو رابح وهو المتبرع بالقربات والنوافل أو خاسر وهو المقصر في اللوازم فإن لم تقدر أن تكون رابحاً فاجتهد أن تكون سالماً وإياك أن تكون خاسراً وفي الحديث: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان في يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك» رواه البخاري وغيره.

قال بعض المشايخ: في هذا الحديث دليل على تفضيل الصوفية ويؤخذ ذلك من جعل هذا الأجر العظيم لمن هذا القول مائة مرة فكيف من يومه كله هكذا فإن طريقتهم مبنية على دوام الذكر والحضور وكان عليه السلام طويل الصمت كثير الذكر.

هرآن كو غافل ازحق يكز مانست   دران دم كافرست أما نهانست

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾﴾.

﴿ويوم يحشرهم﴾ أي: واذكر يا محمد لقومك يوم يحشر الله الذين اتخذا من دونه آلهة ويجمعهم. ﴿وما يعبدون من دون الله﴾ ما عام يعم العقلاء وغيرهم لكن المراد هنا بقرينة الجواب الآتي العقلاء من الملائكة وعيسى وعزير. ﴿فيقول﴾ أي الله تعالى للمعبودين ﴿أأنتم أضللتم﴾ [كمراه كرديد]. ﴿عبادي هؤلاء﴾ بأن دعوتموهم إلى عبادتكم وأمرتموهم بها ﴿أم هم ضلوا السبيل﴾ عن السبيل بأنفسهم لإخلالهم بالنظر الصحيح وإعراضهم عن المرشد النصيح فحذف الجار وأوصل الفعل إلى المفعول كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤] والأصل إلى السبيل أو للسبيل.

يقول الفقير: والظاهر أنه محمول على نظيره الذي هو أخطؤوا الطريق وهو شائع.

فإن قلت: إنه تعالى كان عالماً في الأزل بحال المسؤول عنه فما فائدة هذا السؤال.

قلت: فائدته تقريع العبدة وإلزامهم كما قيل لعيسى عليه السلام: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦] لأنهم إذا سئلوا بذلك وأجابوا بما هو الحق الواقع تزداد حسرة العبيد وحيرتهم ويبكتون بتكذيب المعبودين إياهم وتبريهم منهم ومن أمرهم بالشرك وعبادة غير الله.

﴿قالوا﴾ استئناف كأنه قيل: فماذا قالوا في الجواب؟ فقيل: قالوا: ﴿سبحانك﴾ هو تعجب مما قيل لهم أو تنزيه لله تعالى عن الأنداد ويجوز أن يحمل ما يعبدون على الأصنام وهي وإن كانت جمادات لا تقدر على شيء لكن الله تعالى يخلق فيها الحياة ويجعلها صالحة للخطاب والسؤال والجواب ﴿ما كان ينبغي لنا﴾ أي ما صح وما استقام لنا. ﴿أن نتخذ من دونك﴾ أي متجاوزين إياك ﴿من أولياء﴾ من مزيدة لتأكيد النفي وأولياء مفعول نتخذ وهو من الذي يتعدى إلى مفعول واحد كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ [الأنعام: ١٤] والمعنى معبودين نعبدهم لما بنا من الحالة المنافية له وهي العصمة أو عدم القدرة فأنى يتصور أن تحمل

غيرنا على أن يتخذ ولياً غيرك فضلاً عن أن يتخذنا ولياً.

قال ابن الشيخ: جعل قولهم: ما كان ينبغي الخ كناية عن استبعاد أن يدعوا أحداً إلى اتخاذ ولي دونه لأن نفس قولهم بصريحه لا يفيد المقصود وهو نفي ما نسب إليهم من إضلال العباد وحملهم على اتخاذ الأولياء من دون الله.

وفي «التأويلات النجمية»: نزهوا الله عن أن يكون له شريك ونزهوا أنفسهم عن أن يتخذوا ولياً غير الله ويرضوا بأن يعبدوا من دون الله من الإنسان فلهذا قال تعالى فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦] ﴿ولكن متعتهم وآباءهم﴾ التمتع [برخورداري دادن] أي ما أضللناهم ولكن جعلتهم وآباءهم بالعمر الطويل وأنواع النعم ليعرفوا حقها ويشكروها فاستغرقوا في الشهوات وانهمكوا فيها ﴿حتى نسوا الذكر﴾ أي: غفلوا عن ذكرك وتركوا ما وعظوا به أو عن التذكر لآلائك والتدبر في آياتك فجعلوا أسباب الهداية بسوء اختيارهم ذريعة إلى الغواية وهو نسبة الضلال إليهم من حيث أنه يكسبهم وإسناد له إلى ما فعل الله بهم فحملهم عليه كأنه قيل: إنا لا نضلهم ولم نحملهم على الضلال ولكن أضللت أنت بأن فعلت لهم ما يؤثرون به الضلال فخلقت فيهم ذلك وهو مذهب أهل السنة وفيه نظر التوحيد وإظهار أن الله هو السبب للأسباب.

درين چمن مكنم سرزنش بخود رويي چنانكه پرورشم ميدهند ميرويم

﴿وكانوا﴾ في قضائك الأزلي ﴿قوماً بوراً﴾ هالكين جمع بائر كما في «المفردات» أو مصدر وصف به الفاعل مبالغة ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع يقال: رجل بائر وقوم بور وهو الفاسد الذي لا خير فيه.

قال الراغب: البوار فرط الكساد ولما كان فرط الكساد يؤدي إلى الفساد كما قيل: كسد حتى فسد عبر بالبوار عن الهلاك.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾.

﴿فقد كذبوكم﴾ أي: فيقول الله تعالى للعبد فقد كذبكم المعبودون أيها الكفرة. ﴿بما تقولون﴾ أي: في قولكم أنهم آلهة والباء بمعنى في ﴿فما تستطيعون﴾ أي ما تملكون أيها المتخذون الشركاء. ﴿صرفاً﴾ دفعاً للعذاب عنكم بوجه من الوجوه لا بالذات ولا بالواسطة. ﴿ولا نصراً﴾ أي: أفراداً من أفراد النصر لا من جهة أنفسكم ولا من جهة غيركم مما عبدتم وقد كنتم زعمتم أنهم يدفعون عنكم العذاب وينصرونكم. ﴿ومن﴾ [وهركه] ﴿يظلم منكم﴾ أيها المكلفون أي يشرك كما دل عليه قوله: ﴿نذقه﴾ [بچشانيم أورا در آخرت] ﴿عذاباً كبيراً﴾ هي النار والخلود فيها فإن ما ترتب عليه العذاب الكبير ليس إلا الظلم العظيم الذي هو الشرك وفيه وعيد أيضاً لفساق المؤمنين ثم أجاب عن قولهم: ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق بقوله.

﴿وما أرسلنا قبلك﴾ أحداً ﴿من المرسلين إلا﴾ رسلاً ﴿إنهم﴾ كسرت الهمزة لوقوعها في صدر جملة وقعت صفة لموصوف محذوف أو إلا قيل: إنهم وإن تكسر بعد القول كما في

«الأسئلة المقحمة». ﴿ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق﴾ فلم يكن ذلك منافياً لرسالتهم فأنت لا تكون بدعاً منهم. ﴿وجعلنا بعضكم﴾ أيها الناس ﴿لبعض فتنة﴾ ابتلاء ومحنة الفقراء بالأغنياء والمرسلين بالمرسل إليهم ومناصبتهم لهم العداوة وأذاهم لهم والسقماء بالأصحاء والأسافل بالأعالي والرعايا بالسلاطين والموالي بذوي الأنساب والعميان بالبصراء والضعفاء بالأقوياء.

قال الواسطي رحمه الله ما وجد موجود إلا لفتنة وما فقد مفقود إلا لفتنة ﴿أتصبرون﴾ غاية للجعل أي لنعلم أنكم تصبرون وحث على الصبر على ما افتتنوا به.

قال أبو الليث اللفظ لفظ الاستفهام والمراد الأمر يعني اصبروا كقوله: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٧٤] أي: توبوا.

وفي «التأويلات النجمية»: وجعلنا بعضكم يا معشر الأنبياء لبعض فتنة من الأمم بأن يقول بعضهم لبعض الأنبياء: ائتنا بمعجزة النبي الفلاني أتصبرون يا معشر الأنبياء على ما يقولون ويا معشر الأمم عما تقولون انتهى وفيه تسلية لرسول الله ﷺ على ما قالوه كأنه قيل: لا تتأذ بقولهم فإنا جعلنا بعض الناس سبباً لامتحان البعض والذهب إنما يظهر خلوصه بالنار ومن النار الابتلاء. ﴿وكان ربك بصيراً﴾ بمن يصبر وبمن يجزع.

قال الإمام الغزالي: البصير هو الذي يشاهد ويرى حتى لا يعزب عنه ما تحت الثرى وأبصاره أيضاً منزه عن أن يكون بحدقة وأجفان ومقدس أن يرجع إلى انطباع الصور والألوان في ذاته كما تنطبع في حدقة الإنسان فإن ذلك من التغير والتأثر المقتضي للحدوث وإذا نزه عن ذلك كان البصير في حقه عبارة عن الوصف الذي به ينكشف كمال نعوت المبصرات وذلك أوضح وأجلى مما يفهم من إدراك البصر من ظواهر المرئيات وحظ العبد من حيث الحس من وصف البصر ظاهر ولكنه ضعيف قاصر إذ لا يمتد إلى ما بعد ولا يتغلغل إلى باطن ما قرب بل يتناول الظواهر ويقصر عن البواطن والسرائر.

وإنما حظه الديني منه أمران أحدهما أن يعلم أنه خلق البصر لينظر إلى الآيات وعجائب الملكوت والسمٰوات فلا يكون نظره إلا عبرة.

قيل لعيسى عليه السلام: هل أحد من الخلق مثلك؟ فقال: من كان نظره عبرة وصمته فكرة وكلامه ذكراً فهو مثلي. والثاني أن يعلم أنه بمرأى من الله تعالى ومسمع فلا يستهين بنظره إليه واطلاعه عليه ومن أخفى عن غير الله ما لا يخفيه عن الله فقد استهان بنظر الله والمراقبة إحدى ثمرات الإيمان بهذه الصفة فمن قارب معصية فهو يعلم أن الله يراه فما أجسره فأخسره ومن ظن أنه لا يراه فما أكفره انتهى كلام الغزالي رحمه الله في «شرح الأسماء الحسنى».

ثم إن العبد لا بد له من السكون إلى قضاء الله تعالى في حال فقره وغناه ومن الصبر على كل أمر يرد عليه من مولاه فإنه تعالى بصير بحاله مطلع عليه في كل فعاله وربما يشدد المحنة عليه بحكمته ويمنع مراده عنه مع كمال قدرته. قال حضرة الشيخ العطار قدس سره:

مكر ديوانة شوريده ميخاست ... برهنه بد زحق كرباس ميخواست
كه إلهي پيرهن در تن ندارم ... وكر تو صبر داري من ندارم
خطابي آمد آن بي خويشتن را ... كه كرباست دهم أما كفن را
زبان بكشاد آن مجنون مضطر ... كه من دانم ترا أي بسده پرور

كه تا أول نميرد مرد عاجز تونده هيچ كرباسيش هركز
بباید مرد أول مفلس وعور كه تا كر باس پايد ازتو دركور

وفي الحكاية إشارة إلى الفناء عن المرادات وأن النفس ما دامت مغضوبة باقية بعض أوصافها الذميمة وأخلاقها القبيحة فإن فيض رحمة الله وإن كان يجري عليها لكن لا كما يجري عليها إذا كانت مرحومة مطهرة عن الرذائل هذا حال أهل السلوك وأما من كان من أهل النفس الأمارة وقد جرى عليه مراده بالكلية فهو في يد الاستدراج ولله تعالى حكمة عظيمة في إغنائه وتنعيمه وإغراقه في بحر نعيمه فمثل هذا هو الفتنة الكبيرة لطلاب الحق الباعثة لهم على الصبر المطلق والله المعين وعليه التكلان.

﴿۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾

﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا﴾ أصل الرجاء ظن يقتضي حصول ما فيه مسرة واللقاء يقال في الإدراك بالحس بالبصر وبالبصيرة وملاقاة الله عبارة عن القيامة وعن المصير إليه أي الرجوع إلى حيث لا حاكم ولا مالك سواه. والمعنى وقال الذين لا يتوقعون الرجوع إلينا أي ينكرون البعث والحشر والحساب والجزاء وهم كفار أهل مكة.

وفي «تاج المصادر»: الرجاء [اميد داشتن وترسيدن] انتهى فالمعنى على الثاني بالفارسية [نمى ترسند ازديدن عذاب ما]. ﴿لولا﴾ حرف تحضيض بمعنى هلا ومعناها بالفارسية [چرا] ﴿أنزل علينا الملائكة﴾ [فروفر ستاده نمى شو دبر ما فرشتكان] أي بطريق الرسالة لكون البشرية منافية للرسالة بزعمهم. ﴿أو نرى ربنا﴾ جهرة وعياناً فيأمرنا بتصديق محمد واتباعه لأن هذا الطريق أحسن وأقوى في الإفضاء إلى الإيمان وتصديقه ولما لم يفعل ذلك علمنا أنه ما أراد تصديقه.

ومن لطائف الشيخ نجم الدين في تأويله أنه قال: يشير إلى أن الذين لا يؤمنون بالآخرة والحشر من الكفرة يتمنون رؤية ربهم بقولهم: ﴿أو نرى ربنا﴾ فالمؤمنون الذين يدعون أنهم يؤمنون بالآخرة والحشر كيف ينكرون رؤية ربهم وقد ورد بها النصوص فلمنكري الحشر عليهم فضيلة بأنهم طلبوا رؤية ربهم وجوزوها كما جوزوا إنزال الملائكة ولمنكري الرؤية ممن يدعي الإيمان شركة مع منكري الحشر في جحد ما ورد به الخبر والنقل لأن النقل كما ورد بكون الحشر ورد بكون الرؤية لأهل الإيمان. ﴿لقد استكبروا﴾ اللام جواب قسم محذوف أي والله استكبروا. والاستكبار أن يشبع فيظهر من نفسه ما ليس له أي أظهروا الكبر باطلاً. ﴿في أنفسهم﴾ أي في شأنها يعني وضعوا لأنفسهم قدراً ومنزلة حيث أرادوا لأنفسهم الرسل من الملائكة ورؤية الرب تعالى.

وقال الكاشفي: [بخداي كه بزركي كردند در نفسهاي خود يعني تعاظم ورزيدن وجراءت نمودن درين تحكم] ﴿وعتو﴾ أي تجاوزا الحد في الظلم والطغيان والعتو الغلو والنبو عن الطاعة. ﴿عتواً كبيراً﴾ بالغاً إلى أقصى غاياته من حيث عاينوا المعجزات القاهرة واعرضوا عنها واقترحوا لأنفسهم الخبيثة معاينة الملائكة الطيبة ورؤية الله تعالى التي لم ينلها أحد في الدنيا من

أفراد الأمم وآحاد الأنبياء غير نبينا عليه السلام وهو إنما رآه تعالى بعد العبور عن حد الدنيا وهو الأفلاك السبعة التي هي من عالم الكون والفساد.

وفي «الوسيط»: إنما وصفوا بالعتو عند طلب الرؤية لأنهم لبوها في الدنيا عناداً للحق وإباء على الله ورسوله في طاعتهما فغلوا في القول والكفر غلواً شديداً.

وفي «الأسئلة المقحمة»: فإذا كان رؤية الله جائزة فكيف وبخهم على سؤالهم لها؟ قلنا: التوبيخ بسبب أنهم طلبوا ما لم يكن لهم طلبه لأنهم بعد أن عاينوا الدليل قد طلبوا دليلاً آخر ومن طلب الدليل بعد الدليل فقد عتا عتواً ظاهراً ولأنهم كلفوا الإيمان بالغيب فطلبوا رؤية الله وذلك خروج عن موجب الأمر وعن مقتضاه فإن الإيمان عند المعاينة لا يكون إيماناً بالغيب فلهذا وصفهم بالعتو.

﴿يوم يرون الملائكة﴾أي ملائكة العذاب فيكون المراد يوم القيامة ولم يقل يوم تنزل الملائكة إيذاناً من أول الأمر بأن رؤيتهم ليست على طريق الإجابة إلى ما اقترحوه بل على وجه آخر غير معهود ويوم منصوب على الظرفية بما يدل عليه قوله تعالى: ﴿لا بشرى يومئذٍ للمجرمين﴾ لأنه في معنى لا يبشر يومئذٍ المجرمون لا بنفس بشرى لأنه مصدر والمصدر لا يعمل فيما قبله وكذا لا يجوز أن يعمل ما بعد لا فيما قبلها وأصل الجرم قطع الثمرة من الشجر واستعير ذلك لكل اكتساب مكروه ووضع المجرمون موضع الضمير تسجيلاً عليهم بالإجرام مع ما هم عليه من الكفر ويومئذٍ تكرير للتأكيد بين الله تعالى أن الذي طلبوه سيوجد ولكن يلقون منه ما يكرهون حيث لا بشرى لهم بل إنذار وتخويف وتعذيب بخلاف المؤمنين فإن الملائكة تنزيل عليهم ويبشرونهم ويقولون لا تخافوا ولا تحزنوا. ومعنى الآية بالفارسية [هيچ مرده نيست آنروز مر كافران أهل مكة را]. ﴿ويقولون﴾ أي: الكفرة المجرمون عند مشاهدة الملائكة وهو معطوف على ما ذكر من الفعل المنفي. ﴿حجراً محجوراً﴾ الحجر مصدر حجره إذا منعه والمحجور الممنوع وهو صفة حجراً إرادة للتأكيد كيوم أيوم وليل أليل كانوا يقولون هذه الكلمة عند لقاء عدو وهجوم مكروه. والمعنى أنهم يطلبون نزول الملائكة عليهم ويقترحونه وهم إذا رأوهم يوم الحشر يكرهون لقاءهم أشد كراهة ويقولون هذه الكلمة وهي ما كانوا يقولون عند نزول بأس استعاذة وطلباً من الله أن يمنع لقاءهم منعاً ويحجر المكروه عنهم حجراً فلا يلحقهم [درزاد آورده كه چون كفار درشهر حرام كسي را ديدندي كه ازوتر سيدندي ميكفتندكه] حجراً محجوراً يريدون أن يذكروه أنه في الشهر الحرام [تا از شراو ايمن ميشدند اينجانيز خيال بستندكه مكر بدين كلمه ازشدت هول قيامت خلاص خواهندیافت] ويقال: إن قريشاً كانوا إذا استقبلهم أحد يقولون: حاجوراً حاجوراً حتى يعرف أنهم من الحرم فيكف عنهم فأخبر تعالى أنهم يقولون ذلك يوم القيامة فلا ينفعهم.

﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً﴾ القدوم عبارة عن مجيء المسافر بعد مدة والهباء الغبار الذي يرى في شعاع الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهو الغبار ومنثوراً صفته بمعنى مفرقاً مثل تعالى حالهم وحال أعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا من صلة رحم وإغاثة ملهوف وقري ضيف وفك أسير وإكرام يتيم ونحو ذلك من المحاسن التي لو عملوها مع الإيمان لنالوا ثوابها بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقصد إلى ما تحت أيديهم من الدار والعقار ونحوهما فمزقها وأبطلها بالكلية ولم يبق لها أثراً أي قصدنا إليها

وأظهرنا بطلانها بالكلية لعدم شرط قبولها وهو الإيمان فليس هناك قدوم على شيء ولا نحوه وهذا هو تشبيه الهيئة وفي مثله تكون المفردات مستعملة في معانيها الأصلية وشبه أعمالهم المحبطة بالغبار في الحقارة وعدم الجدوى ثم بالمنثور منه في الانتثار بحيث لا يمكن نظمه وفيه إشارة إلى أن أعمال أهل البدعة التي عملوها بالهوى ممزوجة بالرياء فلا يوجد لها أثر ولا يسمع منها خبر: قال الشيخ سعدي قدس سره:

شنيدم كه نابالغي روزه داشت — بصد محنت آورد روزي بچاشت
بكفتا پس آن روز سائق نبرد — بزرك آمدش طاعت ازطفل خرد
پدر ديده پوسيد ومادر سرش — فشاندند بادام وزر بر سرش
چوبروى كذر كرد يك نيمه روز — فتاداند رو آتش معده سوز
بدل كفت اكر لقمه چندي خورم — چه داند پدر عيب يا مادرم
چوروى پسر در پدر بود وقوم — نهان خورد وپيدا بسر برد صوم
كه داند چودر بند حق نيستي — اكر بي وضو در نماز ايستي
پس اين پيرازان طفل نادان ترست — كه از بهر مردم بطاعت درست
كليد در دوز خست آن نماز — كه درچشم مردم كزاري دراز
اكر جز بحق ميرود جاده ات — در آتش نشانند سجاده ات

﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا ٢٤﴾.

﴿أصحاب الجنة﴾ أي: المؤمنون ﴿يومئذٍ﴾ أي: يوم إذ يكون ما ذكر من عدم التبشير وقولهم: حجراً محجوراً وجعل أعمالهم هباء منثوراً. ﴿خير مستقراً﴾ المستقر المكان الذي يستقر فيه في أكثر الأوقات للتجالس والتحادث. والمعنى خير مستقراً من هؤلاء المشركين المتنعمين في الدنيا. وبالفارسية: [بهترند ازروى قراركاه يعني مساكن إيشان در آخرت به ازمنازل كافر انست كه دردنيا داشتند] ويجوز أن يكون التفضيل بالنسبة إلى ما للكفرة في الآخرة.

فإن قلت: كيف يكون أصحاب الجنة خير مستقراً من أهل النار ولا خير في النار ولا يقال العسل أحلى من الخل.

قلت: إنه من قبيل التقريع والتهكم كما في قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَذَٰلِكَ خَيۡرٌ أَمۡ جَنَّةُ ٱلۡخُلۡدِ﴾ [الفرقان: ١٥] كما سبق ويجوز أن يكون التفضيل لإرادة الزيادة المطلقة أي هم في أقصى ما يكون من خير وعلى هذا القياس قوله تعالى: ﴿وأحسن مقيلاً﴾ أي من الكفرة في دار الدنيا. وبالفارسية: [ونيكوترست اجهت مكان قيلولة] أو في الآخرة بطريق التهكم أو هم في أقصى ما يكون من حسن المقيل وهو موضع القيلولة والقيلولة الاستراحة نصف النهار في الحر يقال: قلت قيلولة نمت نصف النهار والمراد بالمقيل هٰهنا المكان الذي ينزل فيه للاستراحة بالأزواج والتمتع بمغازلتهن أي محادثتهن ومراودتهن وإلا فليس في الجنة حر ولا نوم بل استراحة مطلقة من غير غفلة ولا ذهاب حس من الحواس وكذا ليس في النار مكان استراحة ونوم للكفار بل عذاب دائم وألم باق.

وإنما سمي بالمقيل لما روي أن أهل الجنة لا يمر بهم يوم القيامة إلا قدر النهار من أوله

إلى وقت القائلة حتى يسكنون مساكنهم في الجنة وأهل النار في النار وأما المحبوسون من العصاة فتطول عليهم المدة مقدار خمسين ألف سنة من سني الدنيا والعياذ بالله تعالى.

ثم في أحسن رمز إلى أن مقيل أهل الجنة مزين بفنون الزين والزخارف كبيت العروس في الدنيا.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿أصحاب الجنة﴾ يعني المؤمنين بالحشر والموقنين بالرؤية ﴿يومئذٍ خير مستقراً﴾ لأن مستقر عوامهم الجنة ودرجاتها ومُستقر خواصهم حضرة الربوبية وقرباتها لقوله تعالى إلى ربك يومئذٍ المستقر ﴿وأحسن مقيلاً﴾ لأن النار مقيل منكري الحشر والجنة مقيل المؤمنين والحضرة مقيل الراجعين المجذوبين انتهى.

فعلى العاقل تحصيل المستقر الأخروي والمقيل العلوي.

وصار الشيخ الحجازي ليلة يردد قوله تعالى ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣] ويبكي فقيل له: لقد أبكتك آية ما يبكي عند مثلها أي لأنها بيان لسعة عرض الجنة فقال: وما ينفعني عرضها إذا لم يكن لي فيها موضع قدم وفي الحديث «من سعادة المرء المسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهنيء».

وسئل بعضهم عن الغني فقال: سعة البيوت ودوام القوت ثم إن سعادات الدنيا كلها مذكرة لسعادات الآخرة فالعاقل من لا تغرّه الدنيا الدنية. وفي «المثنوي»:

افتخار ازرنك وبوو ازمكان هست شادي وفريب كودكان
هر كجا باشدشه مارا بساط هست صحرا كربود سم الخياط
هركجا يوسف رحى باشد چوماه جنت است آن چه كه باشد قعرجاه

فجنة العارف هي القلب المطهر ومعرفة الله فيه كما قال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى في الدنيا جنة من دخلها لم يشتق إلى الجنة قيل: وما هي قال: معرفة الله.

چودادت صورت خوب وصفت هم بيا تابدهدت اين معرفت هم
چو خوني مشك كردد ازدم پاك بود ممكن كه تن جاني شود پاك

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾

﴿ويوم تشقق السماء﴾ أي: واذكر يوم تنفتح. وبالفارسية: [بشكافد] كما قال في «تاج المصادر»: التشقق: [شكافته شدن] وأصله تتشقق فحذف إحدى التاءين كما في تلظى. ﴿بالغمام﴾ هو السحاب يسمى به لكونه ساتراً لضوء الشمس والغم ستر الشيء أي بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام الذي ذكر في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠] قيل: هو غمام أبيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن إلا لبني إسرائيل. يعني [ظلة بني إسرائيل بود درتيه].

وقال أبو الليث: الغمام شيء مثل السحاب الأبيض فوق سبع سمٰوات كما روي في الخبر: «دعوة المظلوم ترفع فوق الغمام».

قال الإمام النسفي رحمه الله: الغمام فوق السمٰوات السبع وهو سحاب أبيض غليظ كغلظ السمٰوات السبع ويمسكه الله اليوم بقدرته وثقله أثقل من ثقل السمٰوات فإذا أراد الله أن

يشقق السمٰوات ألقى ثقله عليها فانشقت فذلك قوله تعالى: ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام﴾ أي: بثقل الغمام فيظهر الغمام ويخرج منها وفيه الملائكة كما قال تعالى: ﴿ونزل الملائكة تنزيلاً﴾ أي تنزيلاً عجيباً غير معهود قيل: تشقق سماء سماء وتنزل الملائكة خلال ذلك الغمام بصحائف أعمال العباد ـ وروي ـ في الخبر أنه تنشق السماء الدنيا فتنزل الملائكة الدنيا بمثل من في الأرض من الجن والأنس فيقول لهم الخلق: أفيكم ربنا يعنون هل جاء أمر ربنا بالحساب فيقولون لا وسوف يأتي ثم ينزل ملائكة السماء الثانية بمثلي من في الأرض من الملائكة والإنس والجن ثم ينزل ملائكة كل سماء على هذا التضعيف حتى ينزل ملائكة سبع سمٰوات فيظهر الغمام وهو كالسحاب الأبيض فوق سبع سمٰوات ثم ينزل الأمر بالحساب فذلك قوله تعالى: ﴿ويوم تشقق﴾ الآية إلا أنه قد ثبت أن الأرض بالقياس إلى سماء الدنيا كحلقة في فلاة فكيف بالقياس إلى سماء الدنيا فملائكة هذه المواضع بأسرها كيف تسعها الأرض كذا في «حواشي ابن الشيخ».

يقول الفقير: يمد الله الأرض يوم القيامة مد الأديم فتسع مع أن السمٰوات مقبية فكلما زالت واحدة منها ونزلت تتسع الأرض بقدرها فيكفي لملائكتها أطرافها وقد ثبت أن الملائكة أجسام لطيفة رقيقة فلا تتصور بينهم المزاحمة كمزاحمة الناس.

﴿الملك يومئذ الحق للرحمٰن﴾ الملك مبتدأ والحق صفته وللرحمٰن خبره ويومئذٍ ظرف لثبوت الخبر للمبتدأ. والمعنى أن السلطنة القاهرة والاستيلاء الكلي العام صورة ومعنى بحيث لا زوال له أصلاً ثابت للرحمٰن يومئذٍ وفائدة التقييد أن ثبوت الملك المذكور له تعالى خاصة يوم القيامة.

چو مدعيان زبان دعوى از ما لكيت در بسته باشند

وأما ما عداه من أيام الدنيا فيكون غيره أيضاً له تصرف صوري في الجملة ﴿وكان﴾ ذلك اليوم. ﴿يوماً على الكافرين عسيراً﴾ أي عسيراً عليهم شديداً لهم. وبالفارسية: [دشوار ازشدت أهوال] وهو نقيض اليسير وأما على المؤمنين فيكون يسيراً بفضل الله تعالى وقد جاء في الحديث: «إنه يهون يوم القيامة على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا» والحاصل أن الكافرين يرون ذلك اليوم عسيراً عظيماً من دخول النار وحسرة فوات الجنان بعدما كانوا في اليسير من نعيم الدنيا وأهل الإيمان والطلب والجد والاجتهاد يرون فيه اليسر من نعيم الجنان ولقاء الرحمٰن بعد أن كانوا في الدنيا راضين بالعسر تاركين لليسر موقنين أن مع العسر يسراً.

وخرج على سهل الصعلوكي من سجن حمام يهودي في طمر أسود من دخانه فقال: ألستم ترون الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فقال سهل على البداهة: إذا صرت إلى عذاب الله كانت هذه جنتك وإذا صرت إلى نعيم الله كانت هذه سجني فتعجبوا من كلامه.

وقيل للشبلي رحمه الله: في الدنيا أشغال وفي الآخرة أهوال فمتى النجاة؟ قال: دع أشغالها تأمن من أهوالها فللّه در قوم فرغوا عن طلب الدنيا وشهواتها ولم يغتروا بها ولم يلتفتوا إليها لأنه قيل:

اين جهان جيفه است ومردار ورخيص برچنين مردار چوان باشم حريص

وقيل: [نوشبته اند بر ايوان جنة المأوى كه هركه عشوة دنيا خريد واي بوي].

بل وقلعوا من قلوبهم أصل حب ما سوى الله تعالى ونصبوا نفوسهم لمقاساة شدائد الجهاد إلى أن يصلوا إلى اليسر الذي هو المراد.

وفي الآية إشارة إلى أن أهل الإنكار يلقون يوم القيامة عسراً لأنهم وقعوا في أعراض الأولياء في الدنيا تنفيراً للناس عنهم وصرفاً لوجوه العامة إليهم إرادة اليسر من المال والمعاش والإعانة ونحو ذلك فيجدون في ذلك اليوم كل ملك لله فلا يملكون لأنفسهم صرفاً ولا نصراً فلا بد من الإقرار وتجديد الإيمان كما ورد «جددوا أيمانكم بقول لا إله إلا الله».

فإن قلت: يفهم منه أن الإيمان يخلق.

قلت: معنى خلاقة الإيمان أن لا يبقى للمؤمن شوق وانجذاب إلى المؤمن به فتكرار الكلمة الطيبة يورث تجديد الميل والانجذاب والمحبة الإلهية فعلى الطالب الصادق أن يكررها في جميع الأحوال حتى لا ينقطع عن الله الملك المتعال.

جدايي مبادا مرا از خدا دكر هرچه پيش آيدم شايدم

نسأل الله الوقوف عند الأمر إلى حلول الأجل وانتهاء العمر.

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾.

﴿**ويوم يعض الظالم على يديه**﴾ يوم منصوب باذكر المقدر. والعض بالأسنان. وبالفارسية: [كزيدن بدندان] وعض اليدين عبارة عن الندم لما جرى به عادة الناس أن يفعلوه عند ذلك وكذا عض الأنامل وأكل البنان وحرق الأسنان ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة لأنها من روادفها.

قال في «الكواشي»: ويجوز أن تكون على زائدة فيكون المراد بالعض حقيقة العض والأكل كما روي أنه يأكل يديه حتى يبلغ مرفقيه ثم تنبتان ثم يأكلهما هكذا كلما نبتتا أكلهما تحسراً وندامة على التفريط والتقصير. والمعنى على الأول بالفارسية: [ويادكن روزي راكه ازفرط حسرت مي خايد ظالم بردستهاي خود يعني بدندان مي كزد دسترا چنانچه متحيران ميكنند] والمراد بالظالم الجنس فيدخل فيه عقبة بن أبي معيط وذلك أن عقبة كان لا يقدم من سفر إلا صنع طعاماً وكان يدعو إلى الطعام من أهل مكة من أراد وكان يكثر مجالسة النبي ﷺ ويعجبه حديثه فقدم ذات يوم من سفره وصنع طعاماً ودعا رسول الله ﷺ إلى طعامه.

قال الكاشفي: [وبسبب جوار سيد الأبرار را طلبيده بود] فأتاه رسول الله فلما قدم الطعام إليه أبى أن يأكل فقال: «ما أنا بالذي آكل من طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني سول الله» وكان عندهم من العار أن يخرج من عندهم أحد قبل أن يأكل شيئاً فألح عليه بأن يأكل فلم يأكل فشهد بذلك عقبة فأكل رسول الله من طعامه وكان أبي بن خلف الجمحي غائباً وكان خليل عقبة وصديقه فلما قدم أخبر بما جرى بين عقبة وبين رسول الله ﷺ فأتاه فقال: صبوت يا عقبة أي ملت عن دين آبائك إلى دين حادث فقال: لا والله ما صبوت ولكن دخل علي رجل فأبى أن يأكل من طعامي إلا أن أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتي قبل أن يطعم فشهدت فقال: ما أنا بالذي أرضى منك أبداً حتى تأتيه فتبزق في وجهه وتشتمه وتكذبه نعوذ

بالله تعالى فأتاه فوجده ساجداً في دار الندوة ففعل ذلك: يعني [آب دهن حواله روى دلاراي رسول الله كرد] والعياذ بالله تعالى: [در ترجمة أسباب نزول آورده كه آب دهن أو شعلة آتش جانسوز كشت وبران حضرت نرسيد وبروى باز كشت وهردو كرانة روى وي بسوخت تازنده بود آن داغها مي نمود]: وفي «المثنوي»:

هـركـه بـرشـمـع خـدا آرد پـفـو شـمـع كـي مـيـرد بـسـوزد پـوز او
كـي شـود دريـا زپـوز سـنـك نـجـس كـي شـود خـور شـيـدازپـف مـنـطـمـس

فقال رسول الله ﷺ لعقبة: «لا ألقاك خارجاً من مكة إلا علوت رأسك بالسيف» فأسر يوم بدر فأمر عليه السلام علياً رضي الله عنه أو عاصم بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه فقتله وطعن عليه السلام بيده الطاهرة الكاسرة أبياً اللعين يوم أحد في المبارزة فرجع إلى مكة فمات في الطريق بسرف بفتح السين المهملة وكسر الراء وهو مناسب لوصفه لأنه مسرف وفي الحديث: «شر الناس رجل قتل نبياً أو قتله نبي» أما الأول فلأن الأنبياء لهم العلو التام فلا يقابلهم إلا من هو في إنزال الدرجات ولذا يعادي السافل العالي وإذا كملت المضادة وقع القتل لأن الضد يطلب إزالة ضده. وأما الثاني: فلأن الأنبياء مجبولون على الشفقة على الخلق فلا يقدمون على قتل أحد إلا بعد اليأس من فلاحه والتيقن بأن خيانته سبب لمزيد شقائه وتعدي ضرره فقتلهم من قتلوا من أحكام الرحمة. وفي «المثنوي».

چـونـكـه دنـدان تـو كـرمـش درفـتـاد نـيـسـت دنـدان بـركـنـش أي أوسـتـاد
تـاكـه بـاقـي تـن نـكـردد زار ازو كـرچـه بـود آن تـو شـو بـيـزار ازو

قال في «إنسان العيون»: ولم يقتل عليه السلام بيده الشريفة قط أحداً إلا أبي بن خلف لا قبل ولا بعد ﴿يقول﴾ الخ حال من فاعل يعض. ﴿يا﴾ هؤلاء ﴿ليتني﴾ [كاشكي من] فالمنادى محذوف ويجوز أن يكون يا لمجرد التنبيه من غير قصد إلى تعيين المنبه. ﴿اتخذت﴾ في الدنيا ﴿مع الرسول﴾ محمد ﷺ ﴿سبيلاً﴾ طريقاً إلى النجاة من هذه الورطات يعني اتبعته وكنت معه على الإسلام.

﴿يا ويلتا﴾ أي [واي برمن] والويل والويلة الهلكة ويا ويلتا كلمة جزع وتحسر وأصله يا ويلتي بكسر التاء فأبدلت الكسرة فتحة وياء المتكلم ألفاً فراراً من اجتماع الكسر مع الياء أي يا هلكتي تعالي واحضري فهذا أوان حضورك والنداء وإن كان أصله لمن يتأتى منه الإقبال وهم العقلاء إلا أن العرب تتجوز وتنادي ما لا يعقل إظهاراً للتحسر. ﴿ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً﴾ الخليل الصديق من الخلة وهي المودة لأنها تتخلل النفس أي تتوسطها والمراد من أضله في الدنيا كائناً من كان من شياطين الجن والإنس فيدخل فيه أبيّ المذكور.

قال في «القاموس»: فلان وفلانة مضمومتين كناية عن أسمائهما أي فلان كناية عن علم ذكور من يعقل وفلانة عن علم إناثهم و بال أي باللام يعني الفلان والفلانة كناية عن غيرنا أي عن غير العاقل واختلف في أن لام فلان واو أو ياء. ﴿لقد﴾ والله لقد﴿أضلني﴾ [كمراه كردم أو بازداشت]. ﴿عن الذكر﴾ أي: عن القرآن المذكر لكل مرغوب ومرهوب﴿بعد إذ جاءني﴾ وتمكنت من العمل به وعمرت ما يتذكر فيه من تذكر. ﴿وكان الشيطان﴾ أي: إبليس الحامل على مخالة المضلين ومخالفة الرسول وهجر القرآن. ﴿للإنسان﴾ المطيع له﴿خذولاً﴾ كثير الخذلان ومبالغاً في حبه يواليه حتى يؤديه إلى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه وكذا حال من حمله

على صداقته. والخذلان ترك النصرة ممن يظن به أن ينصر وفي وصفه بالخذلان إشعار بأنه كان يعده في الدنيا ويمنيه بأنه ينفعه في الآخرة وهذا اعتراض مقرر لمضمون ما قبله إما من جهته تعالى وإما من تمام كلام الظالم.

وهذه الآية عامة في كل متحابين اجتمعا على معصية الله تعالى والخلة الحقيقية هي أن لا تكون لطمع ولا لخوف بل في الدين ولذا ورد: «كونوا في الله إخواناً» أي: في طريق الرحمٰن لا في طريق الشيطان وفي الحديث: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» وفي الحديث: «لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي».

قال مالك بن دينار: إنك إن تنقل الحجارة مع الأبرار خير من أن تأكل الخبيص مع الفجار.

قال بعضهم: المراد بالشيطان قرين السوء سماه شيطاناً لأنه الضال المضل فمن لم يكن فيه طلب الله فهو الشيطان كالأنعام بل هو أضل لأن الأنعام ليست بمضلة والشيطان ضال مضل وأنشد أبو بكر محمد بن عبد الله الحامدي رحمه الله.

اصحب خيار الناس حين لقيتهم ... خير الصحابة من يكون عفيفا
والناس مثل دراهم ميزتها ... فوجدت فيهم فضة وزيوفا

وفي الحديث: «مثل الجليس الصالح مثل العطار إن لم ينلك من عطره يعبق بك من ريحه ومثل الجليس السوء مثل الكير إن لم يحرقك بناره يعبق بك ريحه» قدم ناس إلى مكة وقالوا: قدمنا إلى بلدكم فعرفنا خياركم من شراركم في يومين قيل: كيف؟ قالوا: ألحق خيارنا بخياركم وشرارنا بشراركم فألف كل شكله. وأخذ جماعة من اللصوص فقال أحدهم: أنا كنت مغنياً لهم وما كنت منهم فقيل له: غنّ فغنى بقول عدي:

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدي

فقيل: صدقت وأمر بقتله. وفي «المثنوي»:

حق ذات پاك الله الصمد ... كه بودٌ به مار بد از يار بد
مار بد جاني ستاند از سليم ... يار بد آرد سوى نار جحيم
ازقرين بي قول وكفت وكوى أو ... خو بدزدد دل نهان ازخوى أو
أي خنك آن مرده كز خود رسته شد ... در وجود زندة پيوسته شد
واي آن زنده كه بامرده نشست ... مرده كشت وزندكي ازوي بجست
چون تو درقر آن حق بكريختي ... باروان انبيا آو يختي
هست قرآن حالهاي انبيا ... ماهيان بحر پاك كبريا
وربخواني ونة قرآن پذير ... انبيا وأوليارا ديده كير
وريذيرايي چو برخواني قصص ... مرغ جانت تنك آيد درقفص
مرغ كو اندر قفص زندانيست ... مي نجويد رستن از زندانيست
روحهايي كز قفصها رسته اند ... انبياو رهبر شايسته اند
از برون آواز شان آيد زدين ... كه ره رستن ترا اين است اين
ما بدين رستيم زين تنكين قفص ... جزكه اين ره نيست چاره اين قفص

نسأل الله الخلاص والالتحاق بأرباب الاختصاص والعمل بالقرآن في كل زمان وعلى كل حال.

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾.

﴿وقال الرسول﴾ عطف على قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ [يونس: ٧] وما بينهما اعتراض أي قالوا: كيت وكيت وقال الرسول محمد ﷺ أثر ما شاهد منهم غاية العتو ونهاية الطغيان بطريق البث إلى ربه: ﴿يا رب﴾ [أي پرورد كارمن] ﴿إن قومي﴾ قريشاً ﴿اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾ أي متروكاً بالكلية ولم يؤمنوا به وصدوا عنه.

وفيه تلويح بأن حق المؤمن أن يكون كثير التعاهد للقرآن أي التحفظ والقراءة كل يوم وليلة كيلا يندرج تحت ظاهر النظم الكريم وفي الحديث: «من تعلم القرآن وعلق مصحفاً لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقاً به يقول: يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجوراً اقض بيني وبينه» ومن أعظم الذنوب أن يتعلم الرجل آية من القرآن أو سورة ثم ينساها والنسيان لا يمكنه القراءة من المصحف كما في «القنية» وفي الحديث: «أن هذه القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد» قيل: وما جلاؤها قال «تلاوة القرآن وذكر الله».

دل پــر دردرا دوا قـــرآن جـان مـجـروح را شـفـا قـرآن
هـرچـه جـويـي زنـص قـرآن جـوي كـه بـود كـنـج عـلـمـهـا قـرآن

وفي «المثنوي»:

شـاهـنـامـه يـا كـلـيـلـه پـيـش تـو هـمـچـنـان بـاشـدكـه قـرآن از عـتـو
فـرق آنـكـه بـاشـد از حـق ومـجـاز كـه كـنـد كـحـل عـنـايـت چـشـم بـاز
ورنـه پـشـك ومـشـك پـيـش اخـشـمـي هـرد ويـكـسـانـسـت چـون نـبـود شـمـي
خـويـشـتـن مـشـغـول كـردن ازمـلال بـاشـدش قـصـد كـلام ذو الـجـلال
كـاتـش وسـواس را وغـصـه را زان سـخـن بـنـشـانـد وسـازد دوا

﴿وكذلك﴾ أي كما جعلنا لك أعداء من مجرمي قومك كأبي جهل ونحوه ﴿جعلنا لكل نبي﴾ من الأنبياء المتقدمين ﴿عدواً﴾ أي أعداء فإنه يحتمل الواحد والجمع ﴿من المجرمين﴾ أي مجرمي قومهم كنمرود لإبراهيم وفرعون لموسى واليهود لعيسى فاصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا.

وفيه تسلية لرسول الله وحمل له على الاقتداء بمن قبله من الأنبياء الذين هم أصحاب الشريعة والدعوة إليها ﴿وكفى بربك﴾ أي ربك والباء صلة للتأكيد ﴿هادياً﴾ تمييز أي من جهة هدايته لك إلى كافة مطالبك ومنها انتشار شريعتك وكثرة الآخذين بها ﴿ونصيراً﴾ ومن جهة نصرته لك على جميع أعدائك فلا تبال بمن يعاديك وسيبلغ حكمك إلى أقطار الأرض وأكناف الدنيا.

دلت الآية بالعبارة والإشارة على أن لكل نبي وولي عدواً يمتحنه الله به ويظهر شرف اصطفائه.

قال أبو بكر بن طاهر رحمه الله: رفعت درجات الأنبياء والأولياء بامتحانهم بالمخالفين والأعداء.

دست موسى را بسوى طشت آزر مي برد از براي حكمتي روح القدس از طشت زر

قال في «التأويلات النجمية»: يشير إلى أنه تعالى يقيض لكل صديق صادق في الطلب عدواً معانداً من مطرودي الحضرة ليؤذيه وهو يصبر على أذاه في الله ويختبر به حلمه ويرضى بقضاء الله ويستسلم بالصبر على بلائه ويشكره على نعمة التوفيق للتسليم وتفويض الأمر إلى الله والتوكل عليه ليسير بهذه الأقدام إلى الله بل يطير بهذه الأجنحة في الله بالله كما هو سنة الله في تربية أنبيائه وأوليائه ولن تجد لسنة الله تبديلاً، وفي الخبر: «لو أن مؤمناً ارتقى على ذروة جبل لقيض الله إليه منافقاً يؤذيه فيؤجر عليه» ثم لم يغادر الله المجرم المعاند العدو لوليه حتى أذاقه وبال ما استوجبه على معاداته كما قال في حديث رباني: «من عادى لي ولياً فقد بارزني بالحرب» وقال: «وأنا أنتقم لأوليائي كما ينتقم الليث الجريء لجروه» [دانشمندي بود درفن منطق منفرد ودرسائر علوم رياضي متبحر مولانا ميرجمال كه دركسوت قلندري مي زيست وكپنك مي پوشيد ونماز نمى كذاريد ودر ارتكاب محرمات بغايت دلير وبي حيابود ومنكر طريق مشايخ وطائفة أولياء ودائم الأوقات غيبت ومذمت حضرات ايشان ميكرد وسخنان بي إدبانه ميكفت روزي باسه طالب علم كه ايشان نيز درمقام هزل وظرافت وتعرض وسفاهت بودند بمجلس ملانا ناصر الدين اترارى در آمدند وپيش ازانكه بسخن آغاز كند مقداري بنك ازآستين كپنك بيرون آورد ودردهان نهاد وخواست كه فرو برد در كلوي وي محكم شد وراه نفس بروي بسته كشت آخر حضرت شيخ فرمودند تامشتي محكم بركلوي وي زدندو آن بنك أزكلوي وي درميان مجلس افتاد وهمه حاضران بروخنديدندواو باخجالت تام از مجلس بيرون آمد ورسوا شد فرار نمود وديكر كسي ازو نشان نداد]: وفي «المثنوي»:

چون خدا خواهدكه پردة كس درد ... ميلش اندر طعنة پاكان پرد
آنكه مي دريد جامه خلق چست ... شد دريده آن أو ايشان درست
آن دهان كژ كزو تسخير بخواند ... مر محمدرا دهانش كژ بماند
باز آمد كاي محمد عفو كن ... أي ترا الطاف وعلم من لدن
من ترا افسوس ميكردم ز جهل ... من بدم افسوس را منسوب أهل

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾

﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن﴾ [وكفتند مشركان عرب چرا فرو فرستاده نشده بر محمد قرآن] فلولا تحضيضية بمعنى هلا والتنزيل ههنا مجرد عن معنى التدريج بمعنى أنزل كخبر بمعنى أخبر لئلا يناقض قوله: ﴿جملة واحدة﴾ دفعة واحدة كالكتب الثلاثة أي التوراة والإنجيل والزبور حال من القرآن إذ هي في معنى مجتمعاً وهذا اعتراض حيرة وبهت لا طائل تحته لأن الإعجاز لا يختلف بنزوله جملة أو مفرقاً وقد تحدّوا بسورة واحدة فعجزوا عن ذلك حتى أخلدوا إلى بذل المهج والأموال دون الإتيان بها مع أن للتفريق فوائد منها ما أشار إليه بقوله: ﴿كذلك لنثبت به فؤادك﴾ محل الكاف النصب على أنها صفة لمصدر مؤكد معلل بما بعده وذلك إشارة إلى ما يفهم من كلامهم أي مثل ذلك التنزيل المفرق الذي قدحوا فيه نزلناه لا تنزيلاً مغايراً له لنقوي بذلك التنزيل المفرق فؤادك أي قلبك فإن فيه تيسيراً لحفظ النظم وفهم المعنى وضبط الأحكام والعمل بها ألا ترى أن التوراة أنزلت دفعة فشق العمل على بني

إسرائيل ولأنه كلما نزل عليه وحي جديد في كل أمر وحادثة ازداد هو قوة قلب وبصيرة وبالجملة إنزال القرآن منجماً فضيلة خص بها نبينا عليه السلام من بين سائر النبيين فإن المقصود من إنزاله أن يتخلق قلبه المنير بخلق القرآن ويتقوى بنوره ويتغذى بحقائقه وعلومه وهذه الفوائد إنما تكمل بإنزاله مفرقاً ألا يرى أن الماء لو نزل من السماء جملة واحدة لما كانت تربية الزروع به مثلها إذا نزل مفرقاً إلى أن يستوي الزرع. ﴿ورتلناه ترتيلاً﴾ عطف على ذلك المضمر. والترتيل التفريق ومجيء الكلمة بعد الأخرى بسكوت يسير دون قطع النفس وأصله في الأسنان وهو تفريجها.

والمعنى كذلك نزلناه وقرأناه عليك شيئاً بعد شيء على تؤدة وتمهل في عشرين سنة أو ثلاث وعشرين.

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَـٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَـٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَدَمَّرْنَـٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾﴾.

﴿ولا يأتونك بمثل﴾ أي بسؤال عجيب وكلام غريب كأنه مثل في البطلان يريدون به القدح في حقك وحق القرآن. والمعنى بالفارسية: [ونمى آرند مشركان عرب براي تو يا محمد مثلي يعني دربيان قدح نبوت وطعن كتاب توسخن نمى كويند] ﴿إلا جئناك﴾ في مقابلته: وبالفارسية [مكر آنكه ما مي آريم براي تو] فالباء في قوله: ﴿بالحق﴾ للتعدية أيضاً أي بالجواب الحق الثابت المبطل لما جاؤوا به القاطع لمادة القيل والقال. ﴿وأحسن تفسيراً﴾ عطف على الحق.

والتفسير تفعيل من الفسر وهو كشف ما غطي.

والمعنى: وبما هو أحسن بياناً وتفصيلاً لما هو الحق والصواب ومقتضى الحكمة بمعنى أنه في غاية ما يكون من الحسن في حد ذاته لا أن ما يأتون به له حسن في الجملة وهذا أحسن منه لأن سؤالهم مثل في البطلان فكيف يصح له حسن اللهم إلا أن يكون بزعمهم يعني لما كان السؤال حسناً بزعمهم قيل: الجواب أحسن من السؤال والاستثناء مفرغ محله النصب على الحالية أي لا يأتونك بمثل في حال من الأحوال إلا حال إتياننا إياك الحق الذي لا محيد عنه.

وهذا بعبارته ناطق ببطلان جميع الأسئلة وبصحة جميع الأجوبة وبإشارته منبىء عن بطلان السؤال الأخير وصحة جوابه إذ لولا أن التنزيل على التدريج لما أمكن إبطال تلك الاقتراحات الشنيعة أو يقال: كل نبي إذا قال له قومه قولاً كان النبي هو الذي يرد عليهم وأما النبي عليه السلام إذا قالوا له شيئاً فالله يرد عليهم. ﴿الذين﴾ أي: هم الذين ﴿يحشرون على وجوههم إلى جهنم﴾ أي يحشرون كائنين على وجوههم يسحبون عليه ويجرون إلى جهنم. يعني: [روى برزمين نهاده ميروند بسوي دوزخ] وفي الحديث: «يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف صنف على الدواب، وصنف على الأقدام، وصنف على الوجوه» فقيل: يا نبي الله كيف يحشرون على وجوههم؟ فقال: «إن الذي أمشاهم على أقدامهم فهو قادر على أن يمشيهم على وجوههم» ﴿أولئك﴾ [آن كروه] ﴿شر مكاناً﴾ [برتر ازوري مان يعني مكان ايشان برترست از منازل مؤمنان كه دردنيا داشتند وايشان طعنه مي زد ندكه] ﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا

وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم: ٧٣] وقال تعالى: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ [مريم: ٧٥] أي: من الفريقين بأن يشاهدوا الأمر على عكس ما كانوا يقدرونه فيعلمون أنهم شر مكاناً لا خير مقاماً ﴿وأضل سبيلاً﴾ وأخطأ طريقاً من كل أحد. وبالفارسية [وكج تر وناصوا بترند از جهت راه چه ايشان مفضى بآتش دوزخست] والأظهر أن التفضيل للزيادة المطلقة.

والمعنى أكثر ضلالاً عن الطريق المستقيم وجعل مكانهم شراً ليكون أبلغ من شرارتهم وكذا وصف السبيل بالإضلال من باب الإسناد المجازي للمبالغة.

واعلم أنهم كانوا يضللون المؤمنين ولذا قال تعالى حكاية: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤] فإذا أفضى طريق المؤمنين إلى الجنة وطريقهم إلى النار يتبين للكل حال الفريقين. قال الصائب:

واقف نميشوند كه كم كرده اند راه تارهروان براهنمايي نمي رسند

والمميز يوم القيامة هو الله تعالى فإنه يقول: ﴿وَامْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [يس: ٥٩] ولما استكبر الكفار واستعلوا حتى لم يخروا لسجدة الله تعالى حشرهم الله تعالى على وجوههم ولما تواضع المؤمنون رفعهم الله على النجائب فمن هرب عن المخالفة وأقبل إلى الموافقة نجا ومن عكس هلك وأين يهرب العاصي والله تعالى مدركه.

قال أحمد بن أبي الجواري: كنت يوماً جالساً على غرفة فإذا جارية صغيرة تقرع الباب فقلت: من بالباب؟ فقالت: جارية تسترشد الطريق فقلت: طريق النجاة أم طريق الهرب فقالت: يا بطال اسكت فهل للهرب طريق وأينما يهرب العبد فهو في قبضة مولاه فعلى العاقل أن يهرب في الدنيا إلى خير مكان حتى يتخلص في الآخرة من شر مكان وخير مكان في الدنيا هو المساجد ومجالس العلوم النافعة فإن فيها النفحات الإلهية. قال المولى الجامي قدس سره:

مانداريم مشامي كه توانيم شنيد ورنه هردم رسداز كلشن وصلت نفحات

نسأل الله نفحات روضات التوحيد وروائح حدائق التفريد.

﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ اللام جواب لقسم محذوف أي وبالله لقد آتينا موسى التوراة أي أنزلناه عليه بعد إغراق فرعون وقومه. وفي «الإرشاد»: والتعرض في مطلع القصة لإيتاء الكتاب مع أنه كان بعد مهلك القوم ولم يكن له مدخل في هلاكهم كسائر الآيات للإيذان من أول الأمر ببلوغه عليه السلام غاية الكمال ونيله نهاية الآمال التي هي إنجاء بني إسرائيل من ملك فرعون وإرشادهم إلى طريق الحق بما في التوراة من الأحكام ﴿وجعلنا معه﴾ الظرف متعلق بجعلنا. ﴿أخاه﴾ مفعول أول له ﴿هارون﴾ بدل من أخاه اسم أعجمي ولم يرد في شيء من كلام العرب. ﴿وزيراً﴾ مفعول ثان أي معيناً يوازره ويعاونه في الدعوة وإعلاء الكلمة فإن الموازرة المعاونة. وفي «القاموس»: الوزر بالكسر الثقل والحمل الثقيل والوزير حبأ الملك الذي يحمل ثقله ويعينه برأيه وحاله الوزارة بالكسر ويفتح والجمع وزراء والحبأ محركة جليس الملك وخاصته.

وقال بعضهم: الوزير الذي يرجع إليه ويتحصن برأيه من الوزر بالتحريك وهو ما يلتجأ إليه ويعتصم به من الجبل ومنه قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾﴾ [القيامة: ١١] أي: لا ملجأ يوم القيامة والوزر بالكسر الثقل تشبيهاً بوزر الجبل ويعبر بذلك عن الإثم كما يعبر عنه بالثقل لقوله: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ﴾ [النحل: ٢٥] وقوله: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣] والوزير بالفارسية [يار ومدد كار وكار ساز].

فإن قلت: كون هارون وزيراً كالمنافي لكونه شريكاً في النبوة لأنه إذا صار شريكاً له خرج عن كونه وزيراً.

قلت: لا ينافي ذلك مشاركته في النبوة لأن المتشاركين في الأمر متوازران عليه.

﴿فقلنا﴾ لهما حينئذٍ ﴿اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ هم فرعون وقومه أي القبط والآيات هي المعجزات التسع المفصلات الظاهرة على يد موسى عليه السلام ولم يوصف القوم عند إرسالهما إليهم بهذا الوصف ضرورة تأخر تكذيب الآيات عن إظهارها المتأخر عن الأمر به بل إنما وصفوا بذلك عند الحكاية لرسول الله ﷺ بياناً لعلة استحقاقهم لما يحكى بعده من التدمير ويقال: بآياتنا التكوينية أي بالعلامات التي خلق الله في الدنيا ويقال بالرسل وبكتب الأنبياء الذين قبل موسى كما في قوله: ﴿وقوم نوح لما كذبوا الرسل﴾ فالباء على كل تقدير متعلقة بكذبوا لا باذهبا وإن كان الذهاب إليهم بالآيات كما في قوله في الشعراء: ﴿فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ [الشعراء: ١٥] وأما التكذيب فتارة يتعلق بالآيات كما في قوله في الأعراف: ﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٠٣] أي بالآيات وقوله في طه ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾ [طه: ٥٦] وتارة بموسى وهارون كما في قوله في المؤمنين ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾ [المؤمنون: ٤٨] ﴿فدمرناهم تدميراً﴾ التدمير إدخال الهلاك على الشيء والدمار الاستئصال بالهلاك والدمور الدخول بالمكروه وتقدير الكلام فذهبا إليهم فأرياهم آياتنا كلها فكذبوهما تكذيباً مستمراً فأهلكناهم أثر ذلك التكذيب المستمر إهلاكاً عجيباً هائلاً لا يدرك كنهه. وبالفارسية: [پس هلاك كرديم ايشانرا هلاك كردنى باغراق درياى قلزم] فاقتصر على حاشيتي القصة أي أولها وآخرها اكتفاء بما هو المقصود منها وهو إلزام الحجة ببعثة الرسل والتدمير بالتكذيب والفاء للتعقيب باعتبار نهاية التكذيب أي باعتبار استمراره وإلا فالتدمير متأخر عن التكذيب بأزمنة متطاولة.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾﴾.

﴿وقوم نوح﴾ منصوب بمضمر يدل عليه فدمرناهم، أي ودمرنا قوم نوح. ﴿لما كذبوا الرسل﴾ أي نوحاً ومن قبله من الرسل كشيث وإدريس أو نوحاً وحده لأن تكذيبه تكذيب للكل لاتفاقهم على التوحيد والإسلام ويقال: إن نوحاً كان يدعو قومه إلى الإيمان به وبالرسل الذين بعده فلما كذبوه فقد كذبوا جميع الرسل كما ثبت أن كل نبي أخذ العهد من قومه أن يؤمنوا بخاتم النبيين إن أدركوا زمانه. ﴿أغرقناهم﴾ بالطوفان. والإغراق [غرقه كردن] والغرق الرسوب في الماء أي السفول وهو استئناف مبين لكيفية تدميرهم ﴿وجعلناهم﴾ أي: إغراقهم وقصتهم. ﴿للناس آية﴾ عظيمة يعتبر بها كل من شاهدها أو سمعها. وبالفارسية [نشاني وداستاني] وهو مفعول ثان لجعلنا وللناس ظرف لغوله. ﴿وأعتدنا﴾ [وآماده كرديم] أي في الآخرة ﴿للظالمين﴾ أي: لهم أي للمغرقين والإظهار في موقع الإضمار للتسجيل بظلمهم والإيذان بتجاوزهم الحد في الكفر والتكذيب ﴿عذاباً أليماً﴾ سوى ما حلّ بهم من عذاب الدنيا ومعنى أليماً وجيعاً. وبالفارسية: [دردناك].

﴿وعاداً﴾ عطف على قوم نوح. يعني: [هلاك كرديم قوم عادرا بتكذيب هود] ﴿وثمودا﴾ [وكروه ثمودرا بتكذيب صالح] ﴿وأصحاب الرس﴾ الرس البئر وكل ركية لم تطو بالحجارة

والآجر فهو رس كما قال في «الكشاف»: الرس البئر الغير المطوية أي المبنية انتهى.

وفي «القاموس»: كالصحاح المطوية بإسقاط غير.

وأصحاب الرس قوم يعبدون الأصنام بعث الله إليهم شعيباً عليه السلام فكذبوه فبينما هم حول الرس أي بئرهم الغير المبنية التي يشربون منها ويسقون مواشيهم إذ انهارت فخسف بهم وبديارهم ومواشيهم وأموالهم فهلكوا جميعاً.

وفي «القاموس»: الرس بئر كانت لبقية من ثمود كذبوا نبيهم ورسوه في بئر انتهى أي دسوه وأخفوه فيها فنسبوا إلى فعلهم بنبيهم فالرس مصدر ونبيهم هو حنظلة بن صفوان كان قبل موسى على ما ذكر ابن كثير وحين دسوه فيها غار ماؤها وعطشوا بعد ريهم ويبست أشجارهم وانقطعت ثمارهم بعد أن كان ماؤها يرويهم ويكفي أرضهم جميعاً وتبدلوا بعد الأنس الوحشة وبعد الاجتماع الفرقة لأنهم كانوا ممن يعبد الأصنام وقد كان ابتلاهم الله تعالى بطير عظيم ذي عنق طويل كان فيه من كل لون فكان ينقض على صبيانهم يخطفهم إذا أعوزه الصيد وكان إذا خطف أحداً منهم أغرب به إلى جهة الغرب فقيل له لطول عنقه ولذهابه إلى جهة المغرب: عنقاء مغرب [فروبرنده ونابديد كننده] فيوماً خطف ابنة مراهقة فشكوا ذلك إلى حنظلة النبي عليه السلام وشرطوا إن كفوا شره أن يؤمنوا به فدعا على تلك العنقاء فأرسل الله عليها صاعقة فأحرقتها ولم تعقب أو ذهب الله بها إلى بعض جزائر البحر المحيط تحت خط الاستواء وهي جريرة لا يصل إليها الناس وفيها حيوان كثير كالفيل والكركدن والسباع وجوارح الطير.

قال الكاشفي: [پيغمبر دعا فرمودكه خدايا اين مرغ را بكير ونسل بريده كردان دعاي پيغمبر بفراجابت رسيده وآن مرغ غائب شد وديكر ازوخبري واثري پيدا نشد وجزنام ازو نشان نماند ودرچيزهاينا يافت بدو مثل زنند كما قيل:

منسوخ شدمروت ومعدوم شد وفا ... وزهر دو نام ماند چو عنقا وكيميا

[وصاحب لمعات از بي نشانيء عشق برين وجه نشان ميدهد].

عشقم كه دردو كون مكانم بديدنيست ... عنقاي مغربم كه نشانم بديدنيست

فالعنقاء المغرب بالضم وعنقاء مغرب ومغربة ومغرب بالإضافة طائر معروف الاسم لا الجسم أو طائر عظيم يبعد في طيرانه أو من الألفاظ الدالة على غير معنى كما في «القاموس».

ثم كان جزاؤه منهم أن قتلوه وفعلوا به ما تقدم من الرس.

يقال: وجد حنظلة في بئر بعد دهر طويل يده على شجته فرفعت يده فسال دمه فتركت يده فعادت على الشجة.

وقيل: أصحاب الرس قوم نساؤهم مساحقات ذكر أن الدلهاث ابنة إبليس أتتهن فشهت إلى النساء ذلك وعلمتهن فسلط الله عليهم صاعقة من أول الليل وخسفاً في آخره وصيحة مع الشمس فلم يبق منهم أحد وفي الخبر: «أن من أشراط الساعة أن تستكفي الرجال بالرجال والنساء بالنساء وذلك السحق» وفي الحديث المرفوع: «سحاق النساء زنى بينهن» وقيل: قوم كذبوا نبياً آتاهم فحبسوه في بئر ضيقة القعر ووضعوا على رأس البئر صخرة عظيمة لا يقدر على حملها إلا جماعة من الناس وقد كان آمن به من الجميع عبد أسود وكان العبد يأتي الجبل فيحتطب ويحمل على ظهره ويبيع الحزمة ويشتري بثمنها طعاماً ثم يأتي البئر فيلقي إليه الطعام من خروق الصخرة وكان على ذلك سنين ثم أن الله تعالى أهلك القوم وأرسل ملكاً فرفع

الحجر وأخرج النبي من البئر وقيل: بل الأسود عالج الصخرة فقواه الله لرفعها وألقى حبلاً إليه واستخرجه من البئر.

فأوحى الله إلى ذلك النبي أنه رفيقه في الجنة وفي الحديث: «إن أول الناس دخولاً الجنة لعبد أسود» يريد هذا العبد علي بن الحسين بن علي زين العابدين رضي الله عنهم.

[روايت كند از پدر خويش كفتا مردى آمد از بني تميم پيش أمير المؤمنين علي رضي الله عنه كفت يا أمير المؤمنين خبر ده ماراً از أصحاب رس ازكدام قوم بودند ودركدام عصر وديار ومسكن ازايشان كجا بود پادشاه ايشان كه بود رب العزة پيغمبر بايشان فرستاد يا نفرستاد وايشانرا پچه هلاك كرد ما در قرآن ذكر ايشان ميخوانيم كه أصحاب الرس نه قصة بيان كرده نه أحوال ايشان كفته أمير المؤمنين على كفت يا أخا تميم سؤالي كردي كه پيش ازتو هيچ كس اين سؤال ازمن نكرد وبعد ازمن قصة ايشان ازهيچ كس نشود ايشان قومي بودند در عصر بني إسرائيل پيش از سليمان بن داود بدرخت صنوبر مي پرستيدند آن درخت كه يافث بن نوح كشته بود برشفير چشمة معروف وبيرون ازان چشمه نهري بود روان وايشانرا دوازده پاره شهر بود برشط آن نهر ونام آن نهررس بود ودر بلاد مشرق ودرروزكار هيچ نهر عظيم تر وبزركتر ازان نهر نبود ونه هيچ شهر آبادان تر ازان شهرهاي ايشان ومهينه از شهرهاي مدينة بود نام آن اسفند آباد وپادشاه ايشان از نژاد نمرود بن كنعان بود ودر آن مدينة مسكن داشت وآن درخت صنوبر درآن مدينة بود وايشان تخم آن درخت بردند بآن دوازده پاره شهرتادرشهري درختي صنوبر برآمد وبباليد وأهل آن شهر آنراً معبود خود ساختند وآن چشمه كه در زير صنوبر اصل بود هيچ كس را دستوري نبودكه ازآن آب بخورد يا بركرفتي كه ميكفتندكه «هي حياة آلهتنا فلا ينبغي لأحد أن ينقص من حياتها» پس مردمان كه آب ميخوردند ازنهر رس ميخوردند ورسم وآيين ايشان بود درهر ما هي أهل آن شهرها كردآن درخت صنوبر خويش براً مدن وآنرا بزيور وجامهاي الوان بياراستن وقربانها كردن وآتشي عظيم افروختن وآن قربانها برآن آتش نهادن تادخان وقتاران بالا كرفتي چندانكه در آن تاركي دود ديدهاي ايشان ازآسمان محجوب كشتي ايشان آن ساعت بسجود درافتادندي وتضرع وزاري فرادرخت مردندي تا ازميان آن درخت شيطان آواز دادي كه «إني قد رضيت عنكم فطيبوا نفساً وقروا عيناً» چون آواز شيطان بكوش ايشان رسيدي سر برداشتندي شادان وتازان ويك شبانروز درنشاط وطرب وخمر خوردن بسرآوردندي يعني كه معبودماً ازما راضي است بدين صفت روز كار درآن بسرآوردند تاكفر وشرك ايشان بغايت رسيد وتمرد وطغيان ايشان بالا كرفت رب العالمين بايشان پيغمبري فرستاد از بني إسرائيل از نژاد يهودا بن يعقوب روزكاري دراز ايشانرا دعوت كرد ايشان نكرديدند وشرك وكفراً بيفزودندتا پيغمبر در الله زاريد ودرايشان دعاي بدكرد كفت «يا رب إن عبادك أبوا إلا تكذيبي والكفر بك يعبدون شجرة لا تضر ولا تنفع فأرهم قدرتك وسلطانك» چون پيغمبر اين دعا كرد درختهاي ايشان همه خشك كشت كفتند ابن همه ازشومي ابن مرداست كه دعوي پيغبري ميكند وعيب خدايان ما ميجويد واورا بكرفتند ودرچاهي عظيم كردند آورده اند در قصه كه انبوبها ساختند فراخ وآنرا بعقر آب فرو بردند وآب ازان أنبوبها برميكشيدند تابخشك رسيدآنكه ازآنجا درچاهي دور فرو بردند واورا در آن چاه كردند وسنكي عظيم برسر آن چاه استوار نهادند وأنبوبها ازقعر آب برداشتند كفتند اكنون دانيم كه خدايان ما ازما خشنود

شوند كه عيب جوى ايشانرا هلاك كرديم پيغمبر درآن وحشتكاه بالله ناليد وكفت «سيدي ومولاي قد ترى ضيق وشدة كربي فارحم ضعف ركني وقلة حيلتي وعجل قبض روحي ولا تؤخر إجابة دعوتي حتى مات عليه السلام فقال الله لجبريل: إن عبادي هؤلاء غرهم حلمي وأمنوا مكري وعبدوا غيري وقتلوا رسولي فأنا المنتقم ممن عصاني ولم يخش عقابي وإني حلفت لأجعلنهم عبرة ونكالاً للعالمين» پس رب العالمين باد عاصف كرم بايشان فرو كشاد تاهمه بيكديكر شدند وفراهم پيوستندآنكه زمين درزير ايشان چون سنك كبريت كشت واز بالا ابري سياه برآمد وآتش فرو باريد وايشان چنانكه از زير در آتش فرو كد ازد فرو كدا ختند] نعوذ بالله من غضبه ودرك نقمته. كذا في «كشف الأسرار» للعالم الرباني الرشيد اليزدي ﴿وقروناً﴾ أي: ودمرنا أيضاً أهل أعصار جمع قرن وهم القوم المقترنون في زمن واحد.

وفي «القاموس»: الأصح أنه مائة سنة لقوله عليه السلام لغلام: «عش قرناً فعاش مائة سنة» ﴿بين ذلك﴾ المذكور من الطوائف والأمم. وبالفارسية: [ميان قوم نوح وعاد وميان عاد وثمود تا بأصحاب الرس] ﴿كثيراً﴾ لا يعلم مقدارها إلا الله كقول: ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [إبراهيم: ٩] ولذلك قالوا كذب النسابون أي الذين ادعوا العلم بالأنساب وهو صفة لقوله قروناً والإفراد باعتبار معنى الجمع أو العدد كما في قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١].

﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾﴾

﴿وكلا﴾ منصوب بمضمر يدل عليه ما بعده أي ذكرنا وأنذرنا كل واحد من الأمم المذكورين المهلكين ﴿ضربنا له الأمثال﴾ بينا له القصص العجيبة الزاجرة عما هم عليه من الكفر والمعاصي بواسطة الرسل ﴿وكلا﴾ أي كل واحد منهم بعد التكذيب والإصرار. ﴿تبرنا تتبيراً﴾ أهلكنا إهلاكاً عجيباً هائلاً فإن التبر بالفتح والكسر الإهلاك والتبير التكسير والتقطيع.

قال الزجاج: كل شيء كسرته وفتته فقد تبرته ومنه التبر لمكسر الزجاج وفتات الذهب والفضة قبل أن يصاغا فإذا صيغا فهما ذهب وفضة.

﴿ولقد أتوا﴾ أي وبالله لقد أتى قريش في متاجرهم إلى الشام، ومروا ﴿على القرية التي أمطرت مطر السوء﴾ يعني: سدوم بالدال المهملة وقيل: بالذال المعجمة أعظم قرى لوط أمطرت عليها الحجارة وأهلكت فإن أهلها كانوا يعملون العمل الخبيث وكان كل حجر منها قدر إنسان.

واعلم أن قرى قوم لوط خمس ما نجا منها إلا واحدة لأن أهلها كانوا لا يعملون العمل الخبيث وسدوم من التي أهلكت وتخصيصها هنا لكونها في ممر تجار قريش وكانوا حين مرورهم بها يرونها مؤتفكة ولا يعتبرون. وانتصاب مطر على أنه مصدر مؤكد بحذف الزوائد كما قيل في أنبته الله نباتاً حسناً أي أمطار السوء ومطر مجهولاً في الخير وأمطر في الشر وقيل: هما لغتان والسوء بفتح السين وضمها كل ما يسوء الإنسان ويغمه من البلاء والآفة. والمعنى بالفارسية: [وبركذشتند برآن شهركه باران بد باريد يعني بروسنك بارانيده شد] وفي الخبر أن رسول الله ﷺ: «رأى ليلة المعراج في السماء حجارة موضوعة فسأل عن ذلك جبريل فقال: هذه الحجارة فضلت من حجارة قوم لوط خبئت للظالمين من أمتك» أي: خفيت وأعدت

وذلك أن من أشراط الساعة أن يمطر السماء بعض الحبوب كالقمح والذرة ونحوهما وقد شاهدناه في عصرنا وسيأتي زمان تمطر الحجارة ونحوها على الظالمين نعوذ بالله تعالى: **﴿أفلم يكونوا يرونها﴾** [آيا نمى ديدند آنرا سرنكون] أي في مرار مرورهم فيخافوا ويعتبروا ويؤمنوا **﴿بل كانوا لا يرجون نشوراً﴾** حقيقة الرجاء انتظار الخير وظن حصول ما فيه مسرة وليس النشور أي إحياء الميت خيراً مؤدياً إلى المسرة في حق الكافر فهو مجاز عن التوقع والتوقع يستعمل في الخير والشر فأمكن أن يتصور النسبة بين الكافر وتوقع النشور. والمعنى بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشوراً، أي ينكرون النشور المستتبع للجزاء الأخروي ولا يرون لنفس من النفوس نشوراً أصلاً مع تحققه حتماً وشموله للناس عموماً واطراده وقوعاً فكيف يعترفون بالجزاء الدنيوي في حق طائفة خاصة مع عدم الاطراد والملازمة بينه وبين المعاصي حتى يتذكروا ويتعظوا بما شاهدوه من آثار الهلاك وإنما يحملونه على الاتفاقات.

واعلم أن النشور لا ينكره إلا الكفور وقد جعل الله الربيع في الدنيا شاهداً له ومشيراً لوقوعه وفي الخبر: «إذا رأيتم الربيع فاذكروا النشور» والربيع مثل يوم النشور لأن الربيع وقت إلقاء البذر ويكون الزارع قلبه معلقاً إلى ذلك الوقت أيخرج أم لا فكذلك المؤمن يجتهد في طاعته وقلبه يكون معلقاً بين الخوف والرجاء إلى يوم القيامة أيقبل الله تعالى منه أم لا ثم إذا خرج الزرع وأدرك يحصد ويداس ويذرى ثم يطحن ويعجن ويخبز وإذا خرج من التنور بلا احتراق يصلح للخوان ولو احترق ضاع عمله وبطل سعيه وكذلك العبد يصلي ويصوم ويزكي ويحج فإذا جاء ملك الموت وحصد روحه بمنجل الموت وجعلوه في القبر يكون فيه إلى يوم القيامة وإذا جاء يوم القيامة وخرج من قبره ووقع الحشر والنشور وأمر به إلى الصراط فإذا جاوز الصراط سالماً فقد صلح للرؤية وإلا فقد هلك فعلى العاقل أن يتفكر في المنشور ويتذكر عاقبة الأمور: وفي «المثنوي»:

فضل مردان برزن أي حالي پرست	زان بودكه مرد پايان بين ترست
مردكاندر عاقبت بيني خمست	أو زاهل عاقبت اززن كمست
ازجهان دو بانك مي آيد بضد	تاكدامين را تو باشي مستعد
آن يكي بانكش نشور اتقيا	وين دكر بانكش فريب اشقيا

آن يكي بانك اين كه اينك حاضرم	بانك ديكر بنكر اندر آخرم
من شكوفه خارم أي فخر كبار	كل بريزم من نمايم شاخ خار
بانك اشكوفه اش كه اينك كل فروش	بانك خارش أوكه سوى ما مكوش
أي خنك آن كو زاول آن شنيد	كش عقول ومستمع مردان شنيد

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾.

﴿وإذا رأوك﴾ أي: أبصروك يا محمد يعني قريشاً. **﴿إن يتخدونك إلا هزواً﴾** إن نافية أي ما يتخذونك إلا موضع هزو أي يستهزئون بك قائلين بطريق الاستحقار والتهكم. **﴿أهذا الذي بعث الله رسولاً﴾** أي: بعث الله إلينا رسولاً ليثبت الحجة علينا. وبالفارسية [ايا اين كس آنست كه اورا برانكيخت خدا وفرستاد پيغمبر] يعني لم يقتصروا على ترك الإيمان وإيراد الشبهات

الباطلة بل زادوا عليه الاستخفاف والاستهزاء إذا رأوه وهو قول أبي جهل لأبي سفيان وهذا نبي بني عبد مناف.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن أهل الحس لا يرون النبوة والرسالة بالحس الظاهر لأنها تدرك بنظر البصيرة بنور الله وهم عميان بهذا البصر فلما سمعوا منه ما لم يهتدوا به من كلام النبوة والرسالة ما اتخذوه إلا هزؤاً وقالوا مستهزئين: أهذا الذي بعث الله رسولاً وهو بشر مثلنا محتاج إلى الطعام والشراب وفي «المثنوي»:

كارپا كان را قياس ازخود مكير	كرچه ماند درنبشتن شير شير
جمله عالم زين سبب كمراه شد	كم كسى زابدال حق آكاه شد
همسري با انبيا بر داشتند	أوليا را همچو خود پنداشتند
كفته اينك ما بشر ايشان بشر	ما وايشان بستة خوابيم وخور
اين ندانستند ايشان ازعمي	هست فرق درميان بي منتهي
هردوكون زنبور خوردند ازمحل	ليك شدزين نيش وزان ديكر عسل
هردوكون آهوكيا خوردندو آب	زين يكي سركين شدوزان مشك ناب
هردوني خوردند ازيك آبخور	اين يكي خالي وأن پراز شكر

﴿إن كاد﴾ إن مخففة من الثقيلة واللام. ﴿ليضلنا﴾ هي الفارقة بينهما وضمير الشأن محذوف أي إنه كاد أي قارب محمد ليضلنا. ﴿عن آلهتنا﴾ أي ليصرفنا عن عبادتها صرفاً كلياً بحيث يبعدنا عنها. وبالفارسية: [بدرستي نزديك بودكه أو بسخن دلفريب وبسياري جهد در دعوت واظهار دلائل برمد عاي خود كمراه كند وبازدارد مارا از پرستش خدايان ما ﴿لولا أن صبرنا عليها﴾ ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها قال الله تعالى في جوابهم: ﴿وسوف يعلمون﴾ البتة وإن تراخى ﴿حين يرون العذاب﴾ الذي يستوجبه كفرهم أي يرون في الآخرة عياناً ومن العذاب عذاب بدر أيضاً ﴿من أضل سبيلاً﴾ نسبوه عليه السلام إلى الضلال في ضمن الإضلال فإن أحداً لا يضل غيره إلا إذا كان ضالاً في نفسه فردهم الله.

واعلم أنه لا يهملهم وإن أمهلهم وصف السبيل بالضلال مجازاً والمراد سالكوها ومن أضل سبيلاً جملة استفهامية معلقة ليعلمون فهي سادة مسد مفعوليه.

﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾

﴿أرأيت﴾ [آياديدي] ﴿من اتخذ إلهه هواه﴾ كلمة أرأيت تستعمل تارة للإعلام وتارة للسؤال وههنا للتعجيب من جهل من هذا وصفه وإلهه مفعولة ثان قدم على الأول للاعتناء به لأنه الذي يدور عليه أمر التعجب والهوى مصدر هويه إذا أحبه واشتهاه ثم سمي به المهوى المشتهى محموداً كان أو مذموماً ثم غلب على غير المحمود فقيل: فلان اتبع هواه إذا أريد ذمه فالهوى ما يميل إليه الطبع وتهواه النفس بمجرد الاشتهاء من غير سند منقول ودليل معقول. والمعنى أرأيت يا محمد من جعل هواه إلهاً لنفسه بأن أطاعه وبنى عليه أمر دينه معرضاً عن استماع الحجة والبرهان بالكلية كأنه قيل: ألا تعجب ممن جعل هواه بمنزلة الإله في الالتزام طاعته وعدم مخالفته فانظر إليه وتعجب منه وهذا الاستفهام للتقرير والتعجيب [وكفته أند قومي بودند ازعرب كه سنك مي پرستيدند هركاه كه ايشانرا سنكي نيكو بجشم آمدي ودل ايشان آن

خواستي آنراً سجود بردندي وآنچه داشتندي بيفكندندي حارث بن قيس ازايشان بود دركارواني ميرفتند وآن داشتند ازشتر بيفتاد آواز در قافلة افتادكه سنك معبود ازشتر بيفتاد توقف كنيد تابجوييم ساعتي جستند ونيافتند كوينده ازايشان آواز دادكه] وجدت حجراً أحسن منه فسيروا وفي الحديث: «ما عبد إله أبغض على الله من الهوى» فكل من يعيش على ما يكون له فيه شرب نفساني ولو كان استعمال الشريعة بهذه الطبيعة ومطلبه فيه الحظوظ النفسانية لا الحقوق الربانية فهو عابد هواه كما في «التأويلات النجمية».

قال الكاشفي صاحب تأويلات فرموده كه هركه بغير خداي چيزي دوست دارد وبروبازماند واورا پرسته درحقيقت هواي خودرا مي پرستد زيرا كه هواي اورا برمحبت غير خدا ميدارد سيد حسني رحمه الله در طرب المجالس أورده كه چون آدم صفي عليه السلام باحوا عقد بستند إبليس ودنيا بيكديكر پيوستند وهمچنانكه ازامتزاج آنان بايكديكر آدمي وجود كرفت ازوصلت اينان باهمه هوا مدد مي يابند رسوم وعادات مردوده ومذاهب واديان مختلفة همه ازتأثير او ظهور مي يابد:

غـبـاري كـه خـيـزد مـيـان ره اوسـت چه كـويـم كـه هـريـوسـفي راچـه اوسـت

قوت غلبة أوتاحديست كه «الهوى أول إله عبد في الأرض» درشان أو واردشده وزبان قرآن درحق اوچنين فرموده كه **﴿أرأيت من اتخذ إلٰهه هواه﴾** كويي كه أصل هواست وآلهة باطلة همه فرع اويند وازينجا كه مخالفت هوى سبب وصول بحقيقت ايمانست].

سـر زهـوى نـافـتـن ازسـروريـسـت تـرك هـوى قـوت پـيـغـمـبـريـسـت

قال أبو سليمان رحمه الله: من أتبع نفسه هواها فقد سعى في قتلها لأن حياتها بالذكر وموتها وقتلها بالغفلة فإذا غفل اتبع الشهوات وإذا اتبع الشهوات صار في حكم الأموات. وفي «المثنوي»:

ايـن جـهـان شـهـوتـي بـتـخـانـة ايـسـت انـبـيـا وكـافـرانـرا لأنـه ايـسـت
لـيـك شـهـوت بـنـدة پـا كـان بـود زرنـسـوزد زانـكـه نـقـد كـان بـود
كـافـران قـلـبـنـد وپـاكـان هـمـچـوزر انـدريـن يـوتـه درنـد ايـن دونـفـر
قـلـب چـون آمـد سـيـه شـد درزمـان زردر آمـد شـد زري أوعـيـان

[يكي را ازا كابر سمرقند كفتندكه اكرس درخواب بيندكه حق سبحانه وتعالى مرده است تعبير آن چيست وي كفت كه أكابر كفته اندكه اكركسي درخواب بيندكه پيغمبر ﷺ مرده است تعبيرش آنست كه درشريعت اين صاحب واقعة قصوري وفتوري واقع شده است وآن مردن صورت شريعت است ابن نيز مثل آن زنكي دارده وبعضي كبار مي فرمودندكه ميتوان بودكه كسي حضور مع الله بوده باشد ناكاه آن حضور نماند تعبير آن مردن آن باشد. ومولانا نور الدين عبد الرحمٰن جامي رحمه الله اين سخن را تأويل ديكر كرده بودند فرموده كه ميتواند بودكه بحكم آيت كريمة **﴿أرأيت من اتخذ إلٰهه هواه﴾** يكي ازهواها كه صاحب واقعة آنرا خداي خودكرفته بوده است. ازدل وي رخت بنندد ونابود شود آن مردن خداي عبارت ازنابودن اين هوابود پس اين خواب دليل باشد برآنكه حضور اوزياده شود كذا في رشحات على الصفي بن الحسين الكاشفي] **﴿أفأنت تكون﴾** [آيامي باشي تو] **﴿عليه﴾** [برآنكس كه هواي خودرا خدا ساخته] **﴿وكيلا﴾** حفيظاً تمنعه عن الشرك والمعاصي وحاله هذا أي الاتخاذ

أي لست موكلاً على حفظه بل أنت منذر فهذا الاستفهام للإنكار وليس هذا نهياً عن دعائه إياهم بل الإعلام بأنه قد قضى ما عليه من الإنذار والأعذار.

وقال بعض المفسرين: هذه منسوخة بآية السيف.

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾.

﴿أم تحسب﴾ بل أتظن. وبالفارسية: [بلكه كمان ميبري] ﴿أن أكثرهم يسمعون﴾ ما يتلى عليهم من الآيات حق سماع. ﴿أو يعقلون﴾ ما في تضاعيفها من المواعظ الزاجرة عن القبائح الداعية إلى المحاسن فتهتم بشأنهم وتطمع في إيمانهم وتخصيص الأكثر لأنه كان منهم من آمن ومنهم من عقل الحق وكابر استدباراً وخوفاً على الرياسة.

قال ابن عطاء رحمه الله: لا تظن أنك تسمع نداءك إنما تسمعهم إن سمعوا نداء الأزل وإلا فإن نداءك لهم ودعوتك لا تغني عنهم شيئاً وإجابتهم دعوتك هو بركة جواب نداء الأزل ودعوته فمن غفل وأعرض فإنما هو لبعده عن محل الجواب في الأزل. ﴿إن هم﴾ ما هم في عدم انتفاعهم بما يقرع آذانهم من قوارع الآيات وانتفاء التدبر فيما يشاهدونه من الدلائل والمعجزات ﴿إلا كالأنعام﴾ إلا كالبهائم التي هي مثل في الغفلة وعلم في الضلالة.

وفي «التأويلات النجمية»: ليس لهم نهمة إلا في الأكل والشرب واستجلاب حظوظ النفس كالبهائم التي نهمتها الأكل والشرب. ﴿بل هم أضل سبيلاً﴾ من الأنعام لأنها تنقاد لمن يقودها وتميز من يحسن إليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون إحسانه من إساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار ولأنها لم تعتقد حقاً ولم تكتسب خيراً ولا شراً بخلاف هؤلاء ولأن جهالتها لا تضر بأحد وجهالة هؤلاء تؤدي إلى هيج الفتن وصد الناس عن الحق ولأنها غير متمكنة من طلب الكمال فلا تقصير منها ولاذم وهؤلاء مقصرون مستحقون أعظم العقاب على تقصيرهم.

واعلم أن الله تعالى خلق الملائكة وعلى العقل جبلهم وخلق البهائم وركب فيها الشهوة وخلق الإنسان وركب فيه الأمرين أي العقل والشهوة فمن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم ولذا قال تعالى: ﴿بل هم أضل سبيلاً﴾ لأن الإنسان بقدمي العقل المغلوب والهوى الغالب ينقل إلى أسفل دركة لا تبلغ البهائم إليها بقدم الشهوة فقط ومن غلب عقله هواه أي شهوته فهو بمنزلة الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ومن كان غالباً على أمره فهو خير من الملائكة كما قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧] كما قال في «المثنوي».

در حديث آمد كه يزدان مجيد	خلق عالم را سه كونه آفريد
يك كروه را جمله عقل وعلم وجود	آن فرشته است أو نداند جزسجود
نيست اندر عنصرش حرص وهوا	نور مطلق زنده از عشق خدا
يك كروه ديكر از دانش تهي	همچو حيوان ازعلف در فربهي
أو نبيند جزكه اصطبل وعلف	از شقاوت غافلست واز شرف
اين سوم هست آدمي زاد وبشر	از فرشته نميي ونميي ز خر

نيم خر خود مائل سفلي بود نيم ديكر مائل علوي شود
آن دو وقسم آسوده ازجنك وخراب وين بشر باد ومخالف در عذاب
واين بشرهم زامتحان قسمت شدند آدمي شكلند وسه امت شدند
يك كروه مستغرق مطلق شدست همچو عيسى باملك ملحق شدست
نقش آدم ليك معنى جبرائيل رسته ازخشم وهوا وقال وقيل
قسم ديكر باخران ملحق شدند خشم محض وشهوت مطلق شدند
وصف جبريلي درايشان بود رفت تنك بود آن خانه وآن وصف رفت
نام «كالأنعام» كردآن قوم را زانكه نسبت كو بيقظه نوم را
روح حيواني ندارد غير نوم حسهاي منعكس دارند قوم
ماند يك قسمي دكر اندر جهاد نيم حيوان نيم حي بارشاد
روزوشب درجنك واندر كشمكش كرده جاليش آخرش با أولش

فعلى العاقل الاحتراز عن الأفعال الحيوانية فإنها سبب لزوال الجاه الصوري والمعنوي.

سئل بعض البرامكة عن سبب زوال دولتهم قال: نوم الغدوات وشرب العشيات.

وقيل لي وأنا مراقب بعد صلاة الفجر: من لم يترك النوم أي من لم يترك الراحة الظاهرة مطلقاً ومال كالحيوان إلى الدعة والحضور لم يتخلص من الغفلة فمدار الخلاص هو ترك الراحة والعمل بسبيل مخالفة النفس والطبيعة.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾

﴿**ألم تر إلى ربك**﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ والهمزة للتقرير والرؤية رؤية العين.

والمعنى: ألم تنظر إلى بديع صنعة تعالى فإن المنظور يجب أن يكون مما يصح أن يتعلق به رؤية العين ﴿**كيف**﴾ منصوبة بقوله: ﴿**مد الظل**﴾ أصل المد الجزء من المدة للوقت الممتد والظل ما يحصل بالذات كالشمس أو بالغير كالقمر.

قال في «المفردات»: الظل ضد الضح وهو بالكسر الشمس وضوءها كما في «القاموس» وهو أعم من الفيء فإنه يقال: ظل الليل وظل الجنة ويقال لكل موضع لا تصل إليه الشمس ظل ولا يقال الفيء إلا لما زال عنه الشمس يعني أن الشمس تنسخ وتزيله شيئاً فشيئاً إلى الزوال ثم ينسخ الظل ضوء الشمس ويزيله من وقت الزوال إلى الغروب فالظل الآخذ في التزايد الناسخ لضوء الشمس يسمى فيئاً لأنه فاء من جانب المشرق إلى جانب المغرب فهو من الزوال إلى الغروب والظل إلى الزوال.

والمعنى كيف أنشأ الظل أي ظل كان من جبل أو بناء أو شجر عند ابتداء طلوع الشمس ممتداً وهو بيان لكمال قدرته وحكمته بنسبة جميع الأمور الحادثة إليه بالذات وإسقاط الأسباب العادية عن رتبة السببية والتأثير بالكلية وقصرها على مجردة الدلالة على وجود المسببات.

﴿**ولو شاء**﴾ ربك سكون ذلك الظل. ﴿**لجعله ساكناً**﴾ أي ثابتاً على حاله من الطول والامتداد ومقيماً: وبالفارسية [ثابت وآرام يا فته بريك منوال] يقال: فلان يسكن بلد كذا إذا أقام به واستوطن والجملة اعتراضية بين المعطوفين للتنبيه من أول الأمر على أنه لا مدخل فيما ذكر من

المد للأسباب العادية وإنما المؤثر فيه المشيئة والقدرة. ﴿ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً﴾ عطف على مدّ داخل في حكمه ولم يقل دالة المراد ضوء الشمس والمعنى جعلناها علامة يستدل بأحوالها المتغيرة على أحواله من غير أن يكون بينهما سببية وتأثير قطعاً حسبما نطقت به الشرطية المعترضة والالتفات إلى نون العظمة لما في جعل المذكور العاري عن التأثير مع ما يشاهد بين الشمس والظل من الدوران المطرد المنبىء عن السببية من مزيدة دلالة على عظم القدرة ودقة الحكمة وهو السر في إيراد كلمة التراخي. ﴿ثم قبضناه﴾ عطف على مدّ داخل في حكمه وثم للتراخي الزماني أي أزلناه بعدما أنشأناه ممتداً ومحوناه بمحض قدرتنا ومشيئتنا عند إيقاع شعاع الشمس موقعه من غير أن يكون له تأثير في ذلك أصلاً وإنما عبر عنه بالقبض المنبىء عن جميع المنبسط وطيه لما أنه قد عبر عن إحداثه بالمد الذي هو البسط طولاً ﴿إلينا﴾ تنصيص على كون مرجعه إلى الله تعالى كما أن حدوثه عنه عز وجل. ﴿قبضاً يسيراً﴾ أي على مهل قليلاً حسب ارتفاع دليله أي الشمس. يعني أنه كلما ازداد ارتفاع الشمس ازداد نقصان الظل في جانب المغرب فلو قبضه الله تعالى دفعة لتعطلت منافع الظل والشمس قبضه يسيراً يسيراً لتبقى منافعهما والمصالح المتعلقة بهما هذا ما ارتضاه المولى أبو السعود في «تفسيره».

وقال غيره: ﴿كيف مد الظل﴾ أي: بسطه فيما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس لأنه لا شمس معه وهو أطيب الأزمنة لأن الظلمة الخالصة سبب لنفرة الطبع وانقباض نور البصر وشعاع الشمس مسخن للجو ومفرق لنور الباصرة وليس فيما بين طلوعيهما شيء من هذين ولذلك قال تعالى في وصف الجنة: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾ [الواقعة: ٣٠] ويقال تلك الساعة تشبه ساعات الجنة إلا أن الجنة أنور فالظل هو الأمر المتوسط بين الضوء الخالص والظلمة الخالصة ﴿ولو شاء لجعله ساكناً﴾ دائماً لا شمس معه أبداً من السكنى وهو الاستقرار ولا تنسخه الشمس بأن لا يتحرك حركة انقباض ولا انبساط بأن جعل الشمس مقيمة على موضع واحد فهو من السكون الذي هو عدم الحركة. ﴿ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً﴾ لأنه لولا الشمس لما عرف الظل كما أنه لولا النور لما عرف الظلمة والأشياء بأضدادها وهذا المعنى يؤيده تعميم الظل كما سبق من «المفردات» لكن لم يرض به أبو السعود رحمه الله لأن ما ذكر من معنى الظل في هذا الوجه وإن كان في الحقيقة ظلاً للأفق الشرقي لكنه غير معهود والمتعارف أنه حالة مخصوصة يشاهدونها في موضع يحول بينه وبين الشمس جسم كثيف [درعين المعاني آورده كه مد ظل أشارت بزمان فترتست كه مردم درحيرت بودند وشمس بنور اسلام كه طلوع سيدانام عليه الصلاة والسلام ازافق اكرام طالع كشت واكر آن سايه دائم بودي خلق درتاريكيء غفلت مانده بروشني آكاهي نرسيدي.

كرنه خورشيد جمال ياركشتي رهمنون ازشب تاريك غفلت كس نبردي ره برون

[صاحب كشف الأسرار كويد اين آيت ازروي ظاهر معجزة مصطفى عليه السلام وبفهم أهل حقيقت اشارتست بقرب وكرامت وي أما بيان معجزة آنست كه حضرت رسالت عليه السلام درسفرى بوقت قيلوله درزير درختي فرودآمد ياران بسيار بودند وساية درخت اندك حق سبحانه وتعالى بقدرت كامله ساية آن درخت ممدود كردانيد چنانچه همه لشكر اسلام درآن ساية بياسودند واين آيت نازل شد ونشان خصوصيت قربت آنكه فرمود ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل﴾ موسى عليه السلام را بوقت طلب ﴿أَرِنِيٓ﴾ [الأعراف: ١٤٣] داغ ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] بردل نهاد واين

حضرت رابي طلب فرمودكه نه مرا بيني ودر من مي نكري ديكرچه خواهي]:

فرقست ميان آنكه يارش در بر ... با آنكه دوچشم انتظارش بر در

وفي «المثنوي»:

مرغ بربالا پران وسايه اش ... مي دود برخاك وپران مرغ وش
ابلهي صياد آن سايه شود ... مي دود چند آنكه بي مايه شود
بي خبر كان عكس آن مرغ هواست ... بي خبر كه أصل آن سايه كجاست
تير اندازد بسوى سايه أو ... تركشش خالي شود ازجست وجو
تركش عمرش تهي شد عمررفت ... از دويدن درشكار ساية تفت
ساية يزدان چو باشد دايه اش ... وارهاند از خيال وساية اش
ساية بيزدان بود بنده خدا ... نرده اين عالم وزنده خدا
دامن أو كير زو تر بي كمان ... تا رهى در دامن آخر زمان
«كيف مد الظل» نقش أولياست ... كاو دليل نور خورشيد خداست
اندراين وادي مرو بي اين دليل ... «لا أحب الآفلين» كوچون خليل
رو زساية آفتابي را بياب ... دامن شه شمس تبريزي بتاب

قال في «المصطلحات»: الظل هو الوجود الإضافي الظاهر بتعينات الأعيان الممكنة وأحكامها التي هي معدومات ظهرت باسمه النور الذي هو الوجود الخارجي المنسوب إليها فيستر ظلمة عدميتها النور الظاهر بصورها صار ظلاً لظهور الظل بالنور وعدميته في نفسه قال الله تعالى: ﴿**ألم تر إلى ربك كيف مد الظل**﴾ أي: بسط الوجود الإضافي على الممكنات فالظمة بإزاء هذا النور هو العدم وكل ظلمة فهي عبارة عن عدم النور عما من شأنه أن يتنور به قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ الآية [البقرة: ٢٥٧] والكامل المتحقق بالحضرة الواحدية والسلطان ظل الله أي ظل الحقيقة الإلهية الجامعة وهي سر الإنسان الكامل الذي صورته السلطان أعظم الظاهر أي في الجامعية والإحاطة.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾﴾.

﴿**وهو**﴾ أي الله تعالى وحده ﴿**الذي جعل لكم الليل لباساً**﴾ كاللباس يستركم بظلامه كما يستر اللباس فشبه ظلامه باللباس في الستر وأصل اللبس ستر الشيء وجعل اللباس وهو ما يلبس اسماً لكل ما يغطي الإنسان من قبيح وجعل الزوج لزوجها لباساً في قوله: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧] من حيث أنه يمنعها عن تعاطي قبيح وجعل التقوى لباساً في قوله: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الأعراف: ٢٦] على طريق التمثيل والتشبيه.

فإن قلت: إذا كان ظلمة الليل لباساً فلا حاجة إلى ستر العورة في صلاة الليل.

قلت: لا اعتبار لستر الظلمة فإن ستر العورة باللباس ونحوه لحق الصلاة وهو باق في الظلمة والضوء. ﴿**والنوم سباتاً**﴾ النوم استرخاء أعصاب الدماغ برطوبات البخار الصاعد والسبت قطع العمل ويوم سبتهم يوم قطعهم للعمل وسمي يوم السبت لذلك، أو لانقطاع الأيام

عنده لأن الله تعالى ابتدأ بخلق السمٰوات والأرض يوم الأحد، فخلقها في ستة أيام فقطع عمله يوم السبت كما في «المفردات».

والمعنى وجعل النوم الذي يقع في الليل غالباً راحة للأبدان بقطع المشاغل والأعمال المختصة بحال اليقظة أو جعله موتاً فعبر عن القطع بالسبات الذي هو الموت لما بينهما من المشابهة التامة في انقطاع الحياة وعليه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ﴾ [الأنعام: ٦٠] فالموت والنوم من جنس واحد خلا أن الموت هو الانقطاع الكلي أي انقطاع ضوء الروح عن ظاهر البدن وباطنه والنوم هو الانقطاع الناقص أي انقطاع ضوء الروح عن ظاهره دون باطنه والمسبوت الميت لانقطاع الحياة عنه والمريض المغشى عليه لزوال عقله وتمييزه وعليه قولهم: مثل المبطون والمفلوج والمسبوت ينبغي أن لا يبادر إلى دفنهم حتى يمضي يوم وليلة ليتحقق موتهم. ﴿**وجعل النهار نشوراً**﴾ النهار الوقت الذي ينتشر فيه الضوء وهو في الشرع ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس وفي الأصل ما بين طلوع الشمس إلى غروبها والنشور إما من الانتشار أي وجعل النهار ذا نشور أي انتشار ينتشر فيه الناس لطلب المعاش وابتغاء الرزق كما قال: ﴿لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [القصص: ٧٣] أو من نشر الميت إذا عاد حياً أي وجعل النهار زمام بعث من ذلك السبات والنوم كبعث الموتى على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه أي نفس البعث على الطريق المبالغة.

وفيه إشارة إلى أن النوم واليقظة انموذج للموت والنشور.

وعن لقمان عليه السلام: يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر وفي «المثنوي».

نوم ما چون شد اخ الموت أي فلان ... زين برادر آن برادررا بدان

وفي الآية رخصة للمنام بقدر دفع الضرورة وهو فتور البدن.

قال بعض الكبار: النوم راحة للبدن والمجاهدات إتعاب البدن فيتضادان وحقيقة النوم سد حواس الظاهر لفتح حواس القلب والحكمة في النوم أن الروح القدسي أو اللطيفة الربانية أو النفس الناطقة غريبة جداً في هذا الجسم السفلي مشغولة بإصلاحه وجلب منافعه ودفع مضاره محبوسة فيه ما دام المرء يقظان فإذا نام ذهب إلى مكانه الأصلي ومعدنه الذاتي فيستريح بواسطة لقاء الأوراح ومعرفة المعاني والغيوب مما يتلقى في حين دهابه إلى عالم الملكوت من المعاني التي يراها بالأمثلة في عالم الشهادة وهو السر في تعبير الرؤيا فإذا هجر المجاهد النوم والاستراحة ذابت عليه أجزاء الأركان الأربعة من الترابية والمائية والنارية والهوائية فيعرى القلب حينئذٍ عن الحجب فينظر إلى عالم الملكوت بعين قلبه فيشتاق إلى ربه وربما يرى المقصود في نومه كما حكي عن شاه شجاع أنه لم ينم ثلاثين سنة فاتفق أنه نام ليلة فرأى الحق سبحانه في منامه ثم بعد ذلك كان يأخذ الوسادة معه ويضطجع حيث كان فسئل عن ذلك فأنشأ يقول:

رأيت سرور قلبي في منامي ... فأحببت التنعس والمناما

فهذا حال أهل النهاية فإنهم حيث كانت بصيرتهم يقظانة كان منامهم في حكم اليقظة ولذا قال بعضهم:

مشو بمرك زامداد أهل دل نوميد ... كه خواب مردم آكاه عين بيداريست

وأما حال غيرهم فكما قيل:

سر آنكه ببالين نهد هو شمند ... كه خوابش بقهر آورد در كمند

وعن ذي النون المصري رحمه الله: ثلاثة من أعلام العبادة حب الليل للسهر في الطاعة والخلوة بالصلاة وكراهة النهار لرؤية الناس والغفلة لرؤية الناس والغفلة عن الصلاة والمبادرة بالأعمال مخافة الفتنة.

قال بعضهم: جعل الليل وقتاً لسكون قوم ووقتاً لانزعاج آخرين فأرباب الغفلة يسكنون في ليلهم والمحبون يسهرون فإن كانوا في روح الوصال فلا يأخذهم النوم لكمال أنسهم وإن كانوا في ألم الفراق فلا يأخذهم النوم لكمال قلقهم فالسهر للأحباب صفة إما لكمال السرور أو لهجوم الغموم ثم الأدب عند الانتباه أن يذهب بباطنه إلى الله تعالى ويصرف فكره إلى أمر الله قبل أن يجول الفكر في شيء سوى الله ويشغل اللسان بالذكر فالصادق كالطفل الكلف بالشيء إذا نام ينام على محبة الشيء وإذا انتبه يطلب ذلك الذي كان كلفاً به وعلى هذا الكلف والشغل يكون الموت والقيام إلى الحشر فلينظر وليعتبر عند انتباهه من النوم ما همه فإنه يكون هكذا عند القيام من القبر إن كان همه الله وإلا فهمه غير الله.

وفي الخبر: «إذا نام العبد عقد الشيطان على رأسه ثلاث عقد فإن قعد وذكر الله تعالى انحلت عقدة فإن توضأ انحلت أخرى وإن صلى ركعتين انحلت كلها فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلا أصبح كسلان خبيث النفس» وفي خبر آخر: «إن نام حتى يصبح بال الشيطان في أذنه» والعياذ بالله من شر النفس والشيطان.

﴿وهو﴾ تعالى وحده ﴿الذي أرسل الرياح﴾ [كشاد بادها درهوا قال في «كشف الأسرار» إرسال اينجا بمعنى كشادن است جنانكه كويي] أرسلت الطائر وأرسلت الكلب المعلم انتهى.

وفي «المفردات»: قد يكون الإرسال للتسخير كإرسال الريح والريح معروفة وهي فيما قيل الهواء المتحرك وقيل في الرحمة: رياح بلفظ الجمع لأنها تجمع الجنوب والشمال والصبا وقيل في العذاب: ريح لأنها واحدة وهي الدبور وهو عقيم لا يلقح ولذا ورد في الحديث: «اللهم اجعلها لنا رياحاً ولا تجعلها ريحاً» ﴿بشراً﴾ حال من الرياح تخفيف بشر بضمتين جمع بشوراً وبشير بمعنى مبشر لأن الرياح تبشر بالمطر كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ [الروم: ٤٦] بالفارسية [بشارت دهندكان] ﴿بين يدي رحمته﴾ أي: قدام المطر على سبيل الاستعارة وذلك لأنه ريح ثم سحاب ثم مطر.

وبالفارسية [پيش ازنزول رحمت كه اوبارانست يعني وزيدن ايشان غالباً دلالت ميكند بروقوع مطر داراوان آن باران آسمانرا رحمن نام كرد ازانكه برحمت ميفرستد] ﴿وأنزلنا﴾ بعظمتنا والالتفات إلى نون العظمة لإبراز كمال العناية بالإنزال لأنه نتيجة إرسال الرياح ﴿من السماء﴾ من جهة الفوق وقد سبق تحقيقه مراراً ﴿ماء طهوراً﴾ بليغاً في الطهارة وهو الذي يكون طاهراً في نفسه ومطهراً لغيره من الحدث والنجاسة. وبالفارسية [آبي پاك وپاك كننده].

والطهور يجيء صفة كما في ماء طهوراً واسماً كما في قوله عليه السلام: «التراب طهور المؤمن» وبمعنى الطهارة كما في تطهرت طهوراً حسناً أي وضوءاً حسناً ومنه قوله عليه السلام: «لا صلاة إلا بالطهور».

قال في «فتح الرحمٰن»: الطهور هو الباقي على أصل خلقته من ماء المطر والبحر والعيون والآبار على أي صفة كان من عذوبة وملوحة وحرارة وبرودة وغيرها وما تغير بمكثه أو بطاهر لا يمكن صونه عنه كالتراب والطحلب وورق الشجر ونحوها فهو طاهر في نفسه مطهر

لغيره يرفع الأحداث ويزيل الأنجاس بالاتفاق قال: تغير عن أصل خلقته بطاهر يغلب على أجزائه ما يستغني عنه الماء غالباً لم يجز التطهير به عند الثلاثة وجوز أبو حنيفة رحمه الله الوضوء بالماء المتغير بالزعفران ونحوه من الطاهرات ما لم تزل رقته.

وقال أيضاً: يجوز إزالة النجاسة بالمائعات الطاهرة كالخل وماء الورد ونحوهما وخالفه الثلاثة ومحمد بن الحسن وزفر كما فصل في الفقه ثم في توصيف الماء بالطهور مع أن وصف الطهارة لا دخل له في ترتيب الأحياء والسقي على إنزال الماء إشعار بالنعمة فيه لأن وصف الطهارة نعمة زائدة على إنزال ذات الماء وتتميم للمنة المستفادة من قوله لنحيي به ونسقيه فإن الماء الطهور أهنأ وأنفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيه على أن ظواهرهم لما كانت مما ينبغي أن يطهروها كانت بواطنهم بذلك أولى لأن باطن الشيء أولى بالحفظ عن التلوث من ظاهره وذلك لأن منظر الحق هو باطن الإنسان لا ظاهره والتطهير مطلقاً سبب لتوسع الرزق كما قال عليه السلام: «دم الطهارة يوسع عليك الرزق» والماء الذي هو سبب الرزق الصوري طاهر مطهر فينبغي لطالبه أن يكون دائماً على الطهارة الظاهرة فإنها الجالبة له وأما الطهارة الباطنة فجالبة للرزق المعنوي وهو ما يكون غذاء للروح من العلو والفيوض.

﴿لنحيي به﴾ أي: بما أنزلنا من السماء من الماء الطهور وهو تعليل للإنزال ﴿بلدة ميتاً﴾ لا أشجار فيها ولا أثمار ولا مرعى وإحياؤها بإنبات النبات والمراد القطعة من الأرض عامرة كانت أو غيرها. وبالفارسية [شهرى مرده يعني موضعي كه درخشك سال بوده يا مكاني راكه در زمستان خشك وافسرده كشت].

والتذكير حيث لم يقل بلدة ميتة لأنه بمعنى البلد أو الموضع والمكان ولأنه غير جار على الفعل بأن يكون على صيغة اسم الفاعل أو المفعول فأجري مجرى الجامد. ﴿ونسقيه﴾ أي ذلك الماء الطهور عند جريانه في الأودية أي اجتماعه في الحياض أو المنابع والآبار. وبالفارسية: [وبياشامانيم أن اب] وسقى وأسقى لغتان بمعنى يقال: سقاه الله الغيث وأسقى والاسم السقيا.

قال الإمام الراغب: السقي والسقيا أن تعطيه ماء ليشربه والإسقاء أن تجعل له ذلك حتى يتناوله كيف يشاء والإسقاء أبلغ من السقي لأن الإسقاء هو أن تجعل له ماء يستقي منه ويشرب كقوله: أسقيته نهراً.

فالمعنى مكناهم من أن يشربوه ويسقوا منه أنعامهم ﴿مما خلقنا أنعاماً وأناسي كثيراً﴾ متعلق بقوله: نسقيه أي نسقي ذلك الماء بعض خلقنا من الأنعام والأناسي وانتصابها على البدل من محل الجار والمجرور في قوله مما خلقنا.

ويجوز أن يكون أنعاماً وأناسي مفعول نسقيه. ومما خلقنا متعلق بمحذوف على أنه حال من أنعاماً والأنعام جمع نعم وهي المال الراعية وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل.

وقال في «المغرب»: الأنعام الأزواج الثمانية في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ﴾ [الأنعام: ١٤٤]، ﴿مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ﴾ [الأنعام: ١٤٣] وأناسي جمع إنسان عند سيبويه على أن أصله أناسين فأبدلت النون ياء وأدغم فيها الياء التي قبلها.

وقال الفراء والمبرد والزجاج: إنه جمع أنسي وفيه نظر لأن فعالى إنما يكون جمعاً لما فيه ياء مشددة لا تدل على نسب نحو كراسي في جمع كرسي فلو أريد بكرسي النسب لم يجز

جمعه على كراسيّ ويبعد أن يقال أن الياء في أنسي ليست للنسب وكان حقه أن يجمع على أناسية نحو مهالية في جمع المهلى كذا في «حواشي ابن الشيخ».

وقال الراغب: الإنسي منسوب إلى الإنس يقال ذلك لمن كثر أنسه ولكل ما يؤنس به وجمع الأنسيّ أناسي وقال في الكرسي أنه في الأصل منسوب إلى الكرس أي التلبد ومنه الكراسة للمتلبد من الأوراق انتهى.

قوله كثيراً صفة أناسي لأنه بمعنى بشر والمراد بهم أهل البوادي الذين يعيشون بالمطر ولذا نكر الأنعام والأناسي. يعني أن التنكير للأفراد النوعي وتخصيصهم بالذكر لأن أهل المدن والقرى يقيمون بقرب الأنهار والمنابع فلا يحتاجون إلى سقيا السماء وسائر الحيوانات من الوحوش والطيور تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالباً يقال: أعوزه الشيء إذا احتاج إليه فلم يقدر عليه وخص الأنعام بالذكر لأنها قنية للإنسان أي يقتنيها ويتخذها لنفسه لا للتجارة وعامة منافعهم ومعايشهم منوطة بها فلذا قدم سقيها على سقيهم كما قدم على الأنعام إحياء الأرض فإنه سبب لحياتها وتعيشها فانظر كيف رتب ذكر ما هو رزق الإنسان ورزق رزقه فإن الأنعام رزق الإنسان والنبات رزق الأنعام والمطر رزق النبات فقدم ذكر المطر ورتب عليه ذكر حياة الأرض بالنبات ورتب عليه ذكر الأنعام.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾

﴿ولقد صرفناه﴾ أي: وبالله لقد كررنا هذا القول الذي هو ذكر إنشاء السحاب وإنزال القطر لما مر من الغايات الجليلة في القرآن وغيره من الكتب السماوية **﴿بينهم﴾** أي: بين الناس من المتقدمين والمتأخرين. **﴿ليذكروا﴾** أي: ليتفكروا ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة في ذلك ويقوموا بشكره حق القيام وأصله يتذكروا والتذكر التفكر **﴿فأبى﴾** الإباء شدة الامتناع ورجل أبي ممتنع من تحمل الضيم وهو متأول بالنفي ولذا صح الاستثناء، أي لم يفعل أو لم يرد أو لم يرض. **﴿أكثر الناس﴾** ممن سلف وخلف **﴿إلا كفوراً﴾** إلا كفران النعمة وقلة المبالاة بشأنها فإن حقها أن يتفكر فيها ويستدل بها على وجود الصانع وقدرته وإحسانه وكفر النعمة وكفرانها سترها بترك أداء شكرها وأعظم الكفر جحود الوحدانية أو النبوة أو الشريعة والكفران في جحود النعمة أكثر استعمالاً والكفر في الدين أكثر والكفور فيهما جميعاً كما في «المفردات» وأكثر أهل التفسير على أن ضمير صرفناه راجع إلى نفس الماء الطهور الذي هو المطر. فالمعنى **﴿ولقد صرفناه﴾** أي فرقنا المطر بينهم بإنزاله في بعض البلاد والأمكنة دون غيرها أو في بعض الأوقات دون بعض أو على صفة دون أخرى بجعله تارة وابلاً وهو المطر الشديد وأخرى طلاً وهو المطر الضعيف ومرة ديمة وهو المطر الذي يدوم أياماً فأبى أكثر الناس إلا جحوداً للنعمة وكفراً بالله تعالى بأن يقولوا: مطرنا بنوء كذا أي بسقوط كوكب كذا كما يقول المنجمون فجعلهم الله بذلك كافرين حيث لم يذكروا صنع الله تعالى ورحمته بل أسندوا مثل هذه النعمة إلى الأفلاك والكواكب فمن لا يرى الأمطار إلا من الأنواء فهو كافر بالله بخلاف من يرى أن الكل بخلق الله تعالى والأنواء أمارات بجعل الله تعالى والأنواء النجوم التي يسقط واحد منها في جانب المغرب وقت طلوع الفجر ويطلع رقيبه في جانب المشرق من

ساعته والعرب كانت تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها وقيل إلى الطالع منها لأنه في سلطانه يقال: ناء به الحمل أثقله وأماله فالنوء نجم مال للغروب ويقال لمن طلب حاجة فلم ينجح أخطأ نوءك وفي الحديث: «ثلاث من أمر الجاهلية الطعن في الأنساب والنياحة والأنواء» وعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: صلى النبي ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: «قال أصبح عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب وأما من قال: مطرنا بنوء كذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكواكب» كذا في «كشف الأسرار». فعلى المؤمن أن يحترز من سوء الاعتقاد ويرى التأثير في كل شيء من رب العباد فالمطر بأمره نازل وفي إنزاله إلى بلد دون بلد وفي وقت دون وقت وعلى صفة دون صفة حكمة ومصلحة وغاية جليلة. روي: أن الملائكة يعرفون عدد القطر ومقداره في كل عام لأنه لا يختلف ولكن تختلف فيه البلاد. روي: مرفوعاً: «ما من ساعة من ليل ولا نهار إلا السماء المطر فيها يصرفه الله حيث يشاء» وفي الحديث: «ما من سنة بأمطر من أخرى ولكن إذا عمل قوم بالمعاصي حوّل الله ذلك إلى غيرهم فإذا عصوا جميعاً صرف الله ذلك إلى الفيافي والبحار» وفي «المثنوي».

تو بزن يا ربنا آب طهور ... تا شود اين نار عالم جمله نور
آب دريا جمله در فرمان تست ... آب وآتش أي خداوندان تست
كرتوخواهى آتش آب خوش شود ... ورنخواهى آب آتش هم شود
اين طلب ازما هم ازايجادتست ... رستن از بيداد يا رب دادتست
بي طلب تو اين طلب مان دادة ... كنج احسان برهمه بكشادة

﴿ولو شئنا﴾ أردنا ﴿لبعثنا﴾ [برانكيختيم وفرستاديم].

قال الراغب: البعث إثارة الشيء وتوجيهه ﴿في كل قرية﴾ مصر ومدينة وبالفارسية: [درهر ديهى ومجتمعي] فإن القرية اسم للموضع الذي يجتمع فيه الناس ﴿نذيراً﴾ بمعنى المنذر والإنذار إخبار فيه تخويف أي نبياً ينذر أهلها فيخفف عليك أعباء النبوة ولكن بعثناك إلى القرى كلها رسولاً وقصرنا الأمر عليك إجلالاً لشأنك وإعظاماً لأجرك وتفضيلاً لك على سائر الرسل. وبالفارسية: [أما بجهت تعظيم وعلو مكان تو نبوت را برتو ختم كرديم وترا بر كافة مردمان تا بروز قيامت مبعوث ياختيم].

قال في «التأويلات النجمية»: يشير إلى كمال القدرة والحكمة وعزة النبي عليه السلام وتأديب الخواص. أما القدرة فأظهر أنه قادر على ما يشاء وليس الأمر كما زعم الفلاسفة والطبايعية أن ظهور أرباب النبوة يتعلق بالقرانات والاتصالات فحسب بل يتعلق بالقدرة كيف يشاء وما يشاء. والذي يدل على بطلان أقاويلهم وصحة ما قلنا ما روي أن موسى عليه السلام تبرّم وقتاً بكثرة ما كان يسأل فأوحى الله في ليلة واحدة إلى ألف نبي من بني إسرائيل فأصبحوا رسلاً وتفرق الناس عن موسى عليه السلام فضاق قلب موسى وقال: يا رب إني لم أطق ذلك فقبض الله أرواحهم في ذلك اليوم. وأما الحكمة فقد اقتضت قلة الأنبياء في زمان واحد إظهاراً لعزتهم فإن في الكثرة نوعاً من الإزراء وأيضاً فيها احتمال غيرة البعض على البعض كما غار موسى على تلك الأنبياء فأماتهم الله تعالى عزة لموسى عليه السلام. وأما عزة النبي عليه السلام

فبانفراده في النبوة في زمانه واختصاصه بالفضيلة على الكافة وإرساله إلى الجملة ونسخ الشرائع بشريعته وختم النبوة به وحفظ كتابه عن النسخ والتغيير والتحريف وإقامة ملته إلى قيام الساعة.
وأما تأديب الخواص فبقوله: ﴿ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً﴾ إذ نوع تأديب للنبي عليه السلام بأدق إشارة كما قال: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٨٦] فالقصد أن يتأدب به خواص عباده وأن يكونوا معصومين من رؤية الأعمال والعجب بها انتهى. يعني [مقصود آنست كه رب العزة ميخواهد تادوستان وخواص بندكان خود پيوسته معصوم دارد از آنكه ايشانرا باخود التفاتي بود يا باروش خويش نظري كنند].

﴿فلا تطع الكافرين﴾ فيما ندبوك إليه من عبادة الآلهة واتباع دين الآباء وأغلظ عليهم ولا تداهنهم وأثبت على الدعوة وإظهار الحق ﴿وجاهدهم﴾ [وجهاد كن با ايشان وباز كوش] والجهاد والمجاهدة استغراق الوسع في مدافعة العدو ﴿به﴾ أي بالقرآن بتلاوة ما في تضاعيفه من المواعظ وتذكير أحوال الأمم المكذبة ﴿جهاداً كبيراً﴾ عظيماً تاماً شديداً لا يخالطه فتور فإن مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الأعداء بالسيف وإنما لم يحمل المجاهدة على القتال بالسيف لأنه إنما ورد الإذن بعد الهجرة بزمان والسورة مكية.

قال الإمام الراغب: المجاهدة تكون باللسان واليد وفي الحديث: «جاهدوا الكفار بأيديكم وألسنتكم» وفي حديث آخر: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم» قوله: وألسنتكم أي أسمعوهم ما يكرهونه ويشق عليهم سماعه من هجو وكلام غليظ ونحو ذلك كما في «مشارع الأشواق».

يقول الفقير: ويجوز أن يكون الجهاد بالألسنة بترك المداهنة في حقهم وإغراء الناس على دفع فسادهم كما أن الجهاد بالأموال بالدفع إلى من يحاربهم ويستأصلهم.

ثم الإشارة بلفظ المشركين إلى أهل الرياء والبدع فإشارة الخطاب في جاهدوا أيضاً إلى أصحاب الإخلاص والسنة فإنه لا بد لأهل الحق من جهاد أهل البطلان في كل زمان خصوصاً عند غلبة الخوف فإنه أفضل الجهاد كما قال عليه السلام: «أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر» وإنما كان أفضل الجهاد لأن من جاهد العدو كان متردداً بين رجاء وخوف ولا يدري هل يغلب أو يغلب وصاحب السلطان مقهور في يده فهو إذا قال الحق وأمره بالمعروف فقد تعرض للتلف فصار ذلك أفضل أنواع الجهاد من أجل غلبة الخوف كذا في «أبكار الأفكار» للسمرقندي.

ثم الإشارة في الآية إلى النفس وصفاتها فلا تطعهم وجاهدهم بسيف الصدق على قانون القرآن في مخالفة الهوى وترك الشهوات وقطع التعلقات جهاداً كبيراً لا تواسيهم بالرخص وتعاندهم بالعزائم قائماً بحق الله من غير جنوح إلى غيره أو مبالاة بما سواه. وفي «المثنوي»:

أي شهان كشتيم ما خصم برون ... ماند خصمي زان بتر درانـدرون
كشتن اين كار عقل وهوش نيست ... شير باطن سخرة خركوش نيست
دوزخست اين نفس ودوزخ ازدهاست ... كوبدرياها نكردد كم وكاست
هفت دريارا درآشامد هنوز ... كم نكردد سوزش آن خلق سوز
قوت ازحق خواهم وتوفيق ولاف ... تابسوزن بركنم اين كوه قاف
سهل شيري دانكه صفها بشكند ... شير آنست آنكه خودرا بشكند

اللهم سلمنا من آفات العدو مطلقاً.

﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾﴾.

﴿وهو الذي مرج البحرين﴾ من مرج الدابة خلاها وأرسلها ترعى ومرج أمرهم اختلط والبحر الماء الكثير عذباً كان أو ملحاً عند الأكثر وأصله المكان الواسع الجامع للماء الكثير كما في «المفردات». والمعنى خلاهما وأرسلهما في مجاريهما كما يرسل الخيل في المرج متلاصقين بحيث لا يتمازجان ولا يلتبس أحدهما بالآخر ويدل على بعد كل منهما عن الآخر مع شدة التقارب بينهما الإشارة إلى كل منهما بأداة القرب كما يجيء ويجوز أن يكون محمولاً على المقيد وهو قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾﴾ [الرحمٰن: ١٩] ﴿هذا عذب﴾ حال بتقدير القول أي مقولاً في حقهما هذا عذب أي طيب. وبالفارسية [اين يك اب شيرين] ﴿فرات﴾ قاطع للعطش لغاية عذوبته صفة عذب والتاء أصلية.

قال الطيبي: سمي بالفرات لأنه يرفت العطش أي يكسره على القلب يعني يكفي في اعتبار معنى الكسر اشتقاق الفرات منه بالاشتقاق الكبير كجبذ من الجذب ومنه سمي الفرات نهر الكوفة وهو نهر عظيم عذب طيب مخرجه من أرمينية وفي الملكوت أصله في قرية من قرى جابلقا ينحدر إلى الكوفة وآخر مصبه بعضاً في دجلة وبعضاً في بحر فارس ﴿وهذا ملح﴾ [وان ديكرشور].

قال الراغب: الملح الماء الذي تغير طعمه التغير المعروف وتجمد ويقال له ملح إذا تغير طعمه وإن لم يتجمد فيقال ماء ملح وقلما تقول العرب ماء مالح ﴿أجاج﴾ بليغ الملوحة صفة الملح قالوا: إن الله تعالى خلق ماء البحر مرّاً زعاقاً أي مرجاً غليظاً بحيث لا يطاق شربه أنزل من السماء ماء عذباً فكل ماء عذب من بئر أو نهر أو عين فمن ذلك المنزل من السماء وإذا اقتربت الساعة بعث الله ملكاً معه طست لا يعلم عظمه إلا الله فجمع تلك المياه فردها إلى الجنة. واختلفوا في ملوحة ماء البحر فزعم قوم أنه لما طال مكثه وأحرقته الشمس صار مراً ملحاً واجتذب الهواء ما لطف من أجزائه فهو بقية صفته الأرض من الرطوبة فغلظ لذلك. وزعم آخرون أن في البحر عروقاً تغير ماء البحر ولذلك صار مراً زعاقاً. ﴿وجعل بينهما﴾ أي بين البحرين. وبالفارسية [وبساخت ميان اين دودريا]. ﴿برزخاً﴾ حداً وحاجزاً من قدرته غير مرئي ﴿وحجراً محجوراً﴾ الحجر بمعنى المنع والمحجور الممنوع وهو صفة الحجر على التأكيد كليل أليل ويوم أيوم وهذه كلمة استعاذة كما سبق في هذه السورة. والمعنى ههنا على التشبيه أي تنافراً بليغاً كأن كلاً منهما يتعوذ من الآخر بتلك المقالة ويقول حراماً محرماً عليك أن تغلب علي وتزيل صفتي وكيفيتي.

اعلم أن أكثر أهل التفسير حمل البحرين على بحري فارس والروم فإنهما يلتقيان في البحر المحيط وموضع التقائهما هو مجمع البحرين المذكور في الكهف ولكن يلزم على هذا أن يكون البحر الأول عذباً والثاني ملحاً مع أنهم قالوا: لا وجود للبحر العذب وذلك لأنهما في الأصل خليجان من المحيط وهو مرّ وإن كان أصله عذباً كما قال في «فتح القريب» عند قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧] أي العذب فحين خلق الله الأرض من زبده جزر المحيط عن الأرض فأحاط بالعالم إحاطة العين لسوادها فالوجه أن يحمل العذب على واحد

من الأنهار فإن كل نهر عظيم بحر كما في «مختار الصحاح» كدجلة نهر بغداد تنصب إلى بحر فارس وتدخل فيه وتشقه وتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها كما أن الماء الذي يجرى في نهر طبرية نصفه بارد ونصفه حار فلا يختلط أحدهما بالآخر و الأوجه أن يمثل بالنيل المبارك والبحر الأخضر وهو بحر فارس الذي هو شعبة من البحر الهندي الذي يتصل بالبحر المحيط وبحر فارس مرّ فإنه صرح في «خريدة العجائب» أنه يتكون فيه اللؤلؤ وإنما يتكون في الملح وذلك أن بحر النيل يدخل في البحر الأخضر قبل أن يصل إلى بحيرة الزنج ويختلط به وهو معنى المرج ولولا اختلاطه بملوحته لما قدر أحد على شربه لشدة حلاوته كما في «إنسان العيون».

وذكر بعضهم أن سيحون وجيحون والنيل والفرات تخرج من قبة من زبرجدة خضراء من جبل عال وتسلك على البحر المظلم وهي أحلى من العسل وأذكى رائحة من المسك ولكنها تتغير المجارى فالبحر الملح على هذا هو بحر الظلمة وهو البحر المحيط الغربي ويسمى المظلم لكثرة أهواله وارتفاع أمواجه وصعوبته ولا يعلم ما خلفه إلا الله تعالى وما قيل أن الماء العذب والماء الملح يجتمعان في البحر فيكون العذب أسفل والملح أعلى لا يغلب أحدهما على الآخر وهو معنى قوله وحجراً محجوراً يخالف ما قال بعضهم أن كل الأنهار تبتدىء من الجبال وتنصب في البحار وفي ضمن ممرها بطائح وبحيرات فإذا صبت في البحر المالح وأشرقت الشمس على البحر تصعد إلى الجو بخاراً وتنعقد غيوماً أي ولذا لا يزيد ماء البحار بانصباب الأنهار فيها فهو يقتضي أن يكون الماء العذب أعلى لا أسفل إذ العذب خفيف والملح ثقيل وميل الخفيف إلى الأعلى.

وقال وهب: إن الحوت والثور يبتلعان ما ينصب من مياه الأرض في البحار فلذا لا يزيد ماء البحار فإذا امتلأت أجوافهما من المياه قامت القيامة ولا نهاية لقدرة الله تعالى فقد ذكروا أن بحيرة تنيس تصير عذبة ستة أشهر وتصير ملحاً أجاجاً ستة أشهر كذا دأبها أبداً.

قال الكاشفي: [محققان بر آنندكه بحرين خوف ورجاست كه دردل مؤمن هيچ يك برديكرى غلبه نكندكه «لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا» وبرزخ حمايت الهي وعنايت نا متناهي] وفي «كشف الأسرار»: البحر الملح لا عذوبة فيه والعذب لا ملوحة فيه وهما في الجوهرية واحدة ولكنه سبحانه بقدرته غاير بينهما في الصفة كذلك خلق القلوب بعضها معدن اليقين والعرفان وبعضها محل الشك والكفران.

وقال بعضهم: البحران بحر المعرفة وبحر النكرة فالأول بحر الصفات يفيض لطائفة على الأرواح والقلوب والعقول ويستعد به والعارفون والثاني بحر الذات فإنه ملح أجاج لا تتناوله العقول والقلوب والأرواح إذ لا تسير السيارات في بحار القدم فهي نكرة وبينهما برزخ المشيئة لا يدخل أهل بحر الصفات بحر الذات ولا يرجع أهل بحر الذات إلى بحر الصفات. وأيضاً قلوب أهل المعرفة منورة بأنوار الموافقات وقلوب أهل النكرة مظلمة بظلمة المخالفات وبينهما قلوب العامة ليس لها علم ما يرد عليها وما يصدر منها فليس معها خطاب ولا لها جواب. وفي «المثنوي»:

ما هيانرا بحر نكذارد برون خا كيانرا بحر نكذارد درون
أصل ما هي زاب وحيوان ازكلست حيله وتدبير اينجا باطلست

قفل زفتست وكشاينده خدا دست درتسليم زن اندر رضا
قطره باقلزم چه استيزه كند ابلهست اوريش خود برمى كند

نسأل الله الفياض الوهاب أن يدخلنا في بحر فيضه الكثير وعطائه الوفير وهو على ذلك قدير.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾﴾

﴿**وهو الذي خلق**﴾ أوجد ﴿**من الماء**﴾ هو الماء الذي خمر به طينة آدم عليه السلام أو هو النطفة ﴿**بشراً**﴾ آدمياً والبشرة ظاهر الجلد كما أن الأدمة محركة باطنه الذي يلي اللحم وعبر عن الإنسان بالبشر اعتباراً بظهور جلدة من الشعر بخلاف الحيوانات التي عليها الصوف أو الشعر أو الوبر كالضأن والمعز والإبل رخص في القرآن كل موضع اعتبر من الإنسان جثته وظاهره بلفظ البشر واستوى فيه الواحد والجمع ﴿**فجعله**﴾ أي البشر أو الماء ﴿**نسباً وصهراً**﴾ أي قسمه قسمين ذوي نسب أي ذكوراً ينسب إليهم فيقال فلان ابن فلان وفلانة بنت فلان.

فإنما أمهات الناس أوعية مستودعات وللآباء ابنا

وذوات صهر أي إناثاً يصاهر بهن ويخالط كقوله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [القيامة: ٣٩].

قال الإمام الراغب: النسب اشتراك من جهة الأبوين وذلك ضربان نسب بالطول كالاشتراك بين الآباء والأبناء ونسب بالعرض كالنسبة بين الإخوة وبني العم وقيل: فلان نسيب فلان أي قريبه انتهى. والصهر زوج بنت الرجل وزوج أخته كالختن على ما في «القاموس»: وقيل غير ذلك.

وفي «تاج المصادر»: [المصاهرة: با كسى بنكاح وصلت كردن] ﴿**وكان ربك قديراً**﴾ مبالغاً في القدرة حيث قدر أن يخلق من مادة واحدة بشراً ذا أعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من مادة واحدة توأمين ذكراً وأنثى.

قال في «كشف الأسرار»: [ابن سيرين كفت اين آيت در مصطفى عليه السلام وعلي كرم الله وجهه فرو آمدكه مصطفى دختر خويش را بزنى بعلي داد على پسر عمش بود وشوهر دخترش هم نسب بودهم صهر وقصة تزويج فاطمة رضي الله عنها آنست كه مصطفى عليه السلام روزي در مسجد آمد شاخي ريحان بدست كرفته سلمان را رضي الله عنه كفت يا سلمان رو على را خوان سلمان رفت وكفت يا علي أجب رسول الله على كفت يا سلمان رسول خدايرا اين زمان چون ديدى وچكونه اوراكذ شتى كفت يا علي سخت شادان وخندان چون ماه تابان وشمع رخشان على آمد بنزديك مصطفى عليه السلام ومصطفى آن شاخ ريحان فرادست على داد عظيم خوش بوى بود كفت يا رسول الله اين چه بوبست بدين خوشى كفت يا علي ازان نثارهاست كه حور بهشت كرده اند تزويج دخترم فاطمه كفت باكه يا رسول الله كفت باتوا يا علي من در مسجد نشسته بودم كه فرشته در آمد برصفتي كه هرمز چنان نديده بودم كفت نام من محمود ست ومقام من در آسمان دنيا در مقام معلوم خود بودم ثلثي زشب ندايى شنيدم از طبقات آسمان كه أي فرشتكان مقربان وروحانيان وكروبيان همه جمع شويد درآسمان چهارم

همه جمع شدند وهمچنين مكان مقعد صدق وأهل فراديس أعلى ودرجات عدن حاضر كشتند فرمان آمدكه أي مقربان دركاه وأي خاصكيان پادشاه سورة هل أتى على الإنسان برخوانيد ايشان همه بآواز دلربايى بالحان طرب افزايى سورة هل أتى خواندن كرفتند آنكه درخت طوبى را فرمان آمدتو نثاركن بربهشتها بر تزويج فاطمة زهرا باعلي مرتضى ودرخت طوبى دربهشت هيچ قصر وغرفه ودريچه نيست كه از درخت طوبى در آنجا شاخى نيست پس طوبى برخود بلر زيد ودر بهشت كوهر ومرو اريد وحلها باريدن كرفت پس فرمان آمد تامنبري ازيك دانه مرو اريد سپيد در زير درخت طوبى بنهادند فرشتة كه نام أورا حيل است ودر هفت طبقة آسمان فرشتة از وفصيحتر وكويا ترنيست بآن منبر بر آمد وخدايرا جل جلاله ثنا كفت وبر پيغمبران درود داد آنكه جبار كائنات خداوند ذو الجلال قادر بركمال بي واسطه ندا كرد كه أي جبرائيل وأي ميكائيل شما هر دوكواه معرفت فاطمة باشيد ومن كه خداوندم ولي فاطمة أم وأي كروبيان وأي روحانيان آسمان شما كواه باشيدكه من فاطمة زهرا بزنى بعلي مرتضى دادم آن ساعت كه رب العزة اين ندا كرد برى بر آمد زير جنات عدن ابرى روشن وخوش كه دررن تيركى وكرفتكى نه وبوى خوش وجواهر نثار كرد ورضوان وولدان وحور بهشت برين عقد نثار كردند پس رب العزة مرابدين بشارت بتوفير ستاد يا محمد كفت حبيب مرا بشارت ده وباوى بكوكه ما اين عقد در آسمان بستيم تونيز در زمين ببنديد پس مصطفى عليه السلام مهاجر وانصار را حاضر كرد آنكه روى باعلي كرد كفت يا علي حنين حكمي در آسمان رفت اكنون من فاطمة دخترم را بچهار صد درم كابين بزنى بتودادم على كفت يا رسول الله من پذيرفتم نكاه وى رسول كفت بارك الله فيكما].

قال في «إنسان العيون»: كان في السنة الثانية من الهجرة تزويج فاطمة لعلي رضي الله عنهما عقد عليها في رمضان وكان عمرها خمس عشرة سنة وكان سن علي يومئذ إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر وأولم عليها بكبش من عند سعد وآصع من ذرة من عند جماعة من الأنصار رضي الله عنهم ولما خطبها علي قال عليه السلام: «أن علياً يخطبك فسكتت» وفي رواية قال لها: «أي بنية إن ابن عمك قد خطبك فماذا تقولين» فبكت ثم قالت: كأنك يا أبت إنما ادّخرتني لفقير قريش فقال عليه السلام: «والذي بعثني بالحق ما تكلمت في هذا حتى أذن الله فيه من السماء» فقالت فاطمة: رضيت بما رضي الله ورسوله وقد كان خطبها أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فقال عليه السلام: «لكل أنتظر بها القضاء» فجاء أبو بكر وعمر رضي الله عنهما إلى علي رضي الله عنه يأمرانه أن يخطبها قال علي: فنبهاني أي لأمر كنت عنه غافلاً فجئته عليه السلام فقلت: تزوجني فاطمة قال: «وعندك شيء» قال: فرسى وبدني أي درعي قال: «أما فرسك فلا بد لك منها وأما بدنك فبعها» فبعتها بأربعمائة وثمانين درهماً فجئته عليه السلام فوضعتها في حجره فقبض منها قبضة فقال: «أي بلال ابتع بها طيباً» ولما أراد أن يعقد خطب خطبة منها: «الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بوحدته الذي خلق الخلق بقدرته وميزهم بحكمته ثم إن الله تعالى جعل المصاهرة نسباً وصهراً وكان ربك قديراً ثم إن الله أمرني أن أزوج فاطمة من علي على أربعمائة مثقال فضة أرضيت يا علي» قال: رضيت بعد أن خطب علي أيضاً خطبة منها: «الحمد لله شكراً لأنعمه وأياديه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تبلغه وترضيه» ولما تم العقد دعا عليه السلام بطبق بسر فوضعه بين يديه ثم قال

للحاضرين انتهبوا وليلة بنى بها قال عليه السلام لعلي: «لا تحدث شيئاً حتى تلقاني» فجاءت بها أم أيمن حتى قعدت في جانب البيت وعلي في جانب آخر وجاء رسول الله فقال لفاطمة: «ائتني بماء» فقامت تعثر في ثوبها من الحياء فأتته بقعب فيه ماء فاخذه رسول الله ومج فيه ثم قال لها: «تقدمي» وتقدمت فنضح بين ثدييها وعلى رأسها وقال: اللهم إني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم» ثم قال: «ائتوني بماء» فقال علي رضي الله عنه: فعلمت الذي يريد فقمت وملأت القعب فأتيت به فأخذه فمج فيه وصنع بي كما صنع بفاطمة ودعا لي بما دعا لها به ثم قال: «اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما في شملهما» أي الجماع وتلا قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] والمعوذتين ثم قال: «ادخل بأهلك باسم الله والبركة» وكان فراشها إهاب كبش أي جلده وكان لهما قطيفة إذا جعلاها بالطول انكشفت ظهورهما وإذا جعلاها بالعرض انكشفت رؤوسهما وقالت له في بعض الأيام: يا رسول الله ما لنا فراش إلا جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف عليه ناضحنا بالنهار فقال لها عليه السلام: «يا بنية اصبري فإن موسى بن عمران عليه السلام أقام مع امرأته عشر سنين ليس لهما فراش إلا عباءة قطوانية» وهي نسبة إلى قطوان موضع بالكوفة.

وفاطمة ولدتها خديجة رضي الله عنها قبل النبوة بخمس سنين ماتت بالمدينة بعد موت النبي عليه السلام بستة أشهر ولها ثمان وعشرون سنة ومناقبها كثيرة معروفة رضي الله عنها وعن أولادها واستشهد علي رضي الله عنه بالكوفة وهو ابن ثلاث وستين سنة وصلى عليه الحسن ودفن ليلاً وغيب قبره بوصية منه وكان مخفياً في زمن بني أمية وصدراً من خلافة بني العباس حتى دل عليه الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه قال عليه السلام لعلي رضي الله عنه: «يهلك فيك رجلان محب مطر وكذاب مفتر» كما في «إنسان العيون».

وفي «التأويلات النجمية»: الإشارة في الآية إلى أن الإنسان خلق مركباً من جنسين مختلفين صورته من عالم الخلق وروحه من عالم الأمر فجعل له نسباً وصهراً فنسبه إلى روحه وانتساب الروح إلى الله وإلى رسوله وانتسابه إلى الله بقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [ص: ٧٢] وإلى رسوله بقوله عليه السلام: «أنا من الله والمؤمنون مني» فجعل الله خواص عباده من أهل هذا النسب وصهره بشريته التي خلقت من الماء كما قال تعالى: ﴿إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [ص: ٧١ـ٧٢] جمع بين الأمرين فجعل الله عوام خلقه من أهل هذا الصهر فالغالب عليهم خواص البشر وهي الحرص والشهوة والهوى والغضب فيها يرد إلى الوركات السفلية والغالب على أهل النسب خواص الروحانية وهي الشوق والمحبة والطلب والحلم والكرم وبها يجذب إلى الدرجات العلية وكان ربك قديراً على جعل الفريقين من أهل الطريقين انتهى. قال المولى الجامي قدس سره:

قرب تو باسباب وعلل نتوان يافت به سابقة فضل أزل نتوان يافت

والله المرجو في كل مسؤول.

﴿ويعبدون﴾ أي المشركون حال كونهم **﴿من دون الله﴾** متجاوزين عبادة الله تعالى **﴿ما لا ينفعهم﴾** إن عبدوه مفعول يعبدون. والنفع ما يستعان به في الوصول إلى الخيرات وما يتوصل به إلى الخير فهو خير والنفع الخير وضده الضر **﴿ولا يضرهم﴾** إن لم يعبدوه وما ليس من شأنه النفع والضر أصلاً وهو الأصنام وما في حكمها من المخلوقات إذ ما من مخلوق يستقل بالنفع

والضر فلا فائدة في عبادته والاعتماد عليه واتباعه ﴿وكان الكافر﴾ بشركه وعداوته للحق ﴿على ربه﴾ الذي رباه بنعمته متعلق بقوله ﴿ظهيراً﴾ عوناً للشيطان فالظهير بمعنى المظاهر أي المعين و المراد بالكافر الجنس أو أبو جهل فإنه أعان الشيطان على الرحمٰن في إظهار المعاصي والإصرار على عداوة الرسول وتشجيع الناس على محاربته ونحوها.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾﴾.

﴿وما أرسلناك﴾ في حال من الأحوال ﴿إلا﴾ حال كونك ﴿مبشراً﴾ للمؤمنين بالجنة والرحمة. والتبشير إخبار فيه سرور ﴿ونذيراً﴾ منذراً للكافرين بالنار والغضب. والإنذار إخبار فيه تخويف.

﴿قل﴾ لهم ﴿ما أسألكم عليه﴾ أي على تبليغ الرسالة التي ينبىء عنها الإرسال ﴿من أجر﴾ من جهتكم فتقولوا أنه يطلب أموالنا بما يدعونا إليه فلا نتبعه. والأجر ما يعود من ثواب العمل دنيوياً كان أو أخروياً ﴿إلا من شاء﴾ إلا من فعل من يريد. ﴿أن يتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ أن يتقرب إليه ويطلب الزلفى عنده بالإيمان والطاعة حسبما أدعوكم إليه يعني إن أعطيتم إياي أجراً فأعطوني ذلك الفعل فإني لا أسأل غيره. وبالفارسية: [مزد من إيمان وطاعت مؤمناً نست زيراً كه مرا من عند الله أجرى مقر راست وثابت شده كه هرپيغمبرى را برا بر عباد وصلحاى امت أو ثواب خواهد بود] والظاهر أن الاستثناء منقطع. والمعنى لا أطلب من أموالكم جعلاً لنفسي لكن من شاء إنفاقه لوجه الله فليفعل فإني لا امنعه عنه.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿إلا من شاء أن يتخذ﴾ بما يتوسل به إلى من خدمة أو إنفاق أو تعظيم ﴿إلى ربه﴾ قربة منزلة ولهذا قال المشايخ يصل المريد بالطاعة إلى الجنة وبالتعظيم وإجلال الشيوخ إلى الله تعالى.

وفي «الفتوحات المكية»: مذهبنا أن للواعظ أخذ الأجرة على وعظ الناس وهو من أحل ما يأكل وإن كان ترك ذلك أفضل وإيضاح ذلك أن مقام الدعوة إلى الله يقتضي الإجارة فإن ما من نبي دعا إلى الله إلا قال: إن أجري إلا على الله فأثبت الأجر على الدعاء ولكن اختار أن يأخذه من الله لا من المخلوق انتهى.

وأفتى المتأخرون بصحة الأجرة للأذان والإقامة والتذكير والتدريس والحج والغزو وتعليم القرآن والفقه وقراءتهما لفتور الرغبات اليوم ولو كانت الأجرة على أمر واجب كما إذا كان المعلم والإمام والمفتي واحداً فإنها لم تصح إجماعاً كما في «الكرماني» وغيره وكذا إذا كان الغسال في القرية واحداً فإنه يتعين له غسل الميت ولا يجوز له طلب الأجرة.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾

﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت﴾ في الاستكفاء عن شرورهم والإغناء عن أجورهم فإنه الحقيق بأن يتوكل عليه دون الأحياء الذين شأنهم الموت فإنهم إذا ماتوا ضاع من توكل عليهم وأصل التوكل أن يعلم العبد بأن الحادثات كلها صادرة من الله ولا يقدر أحد على الإيجاد غيره فيفوض أمره إلى الله فيما يحتاج إليه وهذا القدر فرض وهو من شرط الإيمان قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] وما زاد على هذا القدر من سكون

القلب وزوال الانزعاج والاضطراب فهي أحوال تلحق بالتوكل على وجه الكمال كذا في «التأويلات النجمية».

قال الواسطي: من توكل على الله لعلة غير الله فلم يتوكل على الله بل توكل على غير الله.

وسئل ابن سالم: أنحن مستنون بالكسب أو التوكل؟ فقال ابن سالم: التوكل حال رسول الله ﷺ وإنما استن الكسب لضعف حالهم حين أسقطوا عن درجة التوكل الذي هو حاله فلما سقطوا عنه لم يسقطهم عن درجة طلب المعاش بالمكاسب التي هي سنة ولولا ذلك لهلكوا.

يقال: عوام المتوكلين إذا أعطوا شكروا وإذا منعوا صبروا. وخواصهم إذا أعطوا آثروا وإذا منعوا شكروا.

ويقال: الحق يجود على الأولياء إذا توكلوا بتيسير السبب من حيث يحتسبون ولا يحتسبون. ويجود على الأصفياء بسقوط الأرب وإذا لم يكن أرب فمتى يكون طلب.

ويقال: التوكل أن يكون مثل الطفل لا يعرف شيئاً يأوي إليه إلا ثدي أمه كذلك المتوكل يجب أن لا يرى لنفسه مأوى إلا الله تعالى. وفي «المثنوي»:

نيست كسبي از توكل خوبتر ... چيست از تسليم خود محبوبتر
طفل تاكيرا وتاپوديانبود ... مر كبش جز كردن بابا نبود
چون فضولي كشت ودست وپانمود ... درعنا افتاد ودر كور وكبود
ما عيال حضريتم وشير خواه ... كفت «الخلق عيال للآله»
آنكه أو از آسمان باران دهد ... هم تواند كو زرحمت نان دهد

﴿وسبح بحمده﴾ أي نزه تعالى عن صفات النقصان وعن كل ما يرد على الوهم والخيال حال كونك مثنياً عليه بنعوت الكمال طالباً لمزيد الإنعام بالشكر على سوابقه وفي الحديث: «من قال كل يوم: سبحان الله وبحمده مائة مرة غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر» كما «فتح الرحمٰن» ﴿وكفى به﴾ الباء زائدة للتأكيد أي حسبك الحي الذي لا يموت وقوله ﴿بذنوب عباده﴾ ما ظهر منها وما بطن متعلق بقوله: ﴿خبيراً﴾ مطلقاً فيجزيهم جزاء وافياً فلا يحتاج معه إلى غيره.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾﴾.

﴿الذي خلق السموات والأرض﴾ محل الموصول الجر على أنه صفة أخرى للحي ﴿وما بينهما﴾ من الأركان والمواليد ﴿في ستة أيام﴾ في مدتها من أيام الدنيا لأنه لم يكن ثمة شمس ولا قمر وذلك مع قدرته على خلقها في أسرع لمحة ليعلم العباد أن التأني مستحب في الأمور ﴿ثم استوى على العرش﴾ أصل الاستواء الاستقرار والتساوي واعتدال الشيء في ذاته ومتى عدي بعلى اقتضى معنى الاستيلاء والغلبة كما في «المفردات» وهو المراد هنا ومعنى الاستيلاء عليه كناية عن الملك والسلطان. والمراد بيان نفاذ تصرفه فيه وفيما دونه لكنه خص العرش بالذكر لكونه أعظم الأجسام. ﴿الرحمٰن﴾ خبر مبتدأ محذوف أي الذي خلق الأجرام العلوية والسفلية وما بينهما هو الرحمٰن وهو تمهيد لما يأتي من قوله: ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمٰن﴾ وبيان أن المراد من الاستواء المذكور في الحقيقة تعيين مرتبة الرحمانية ﴿فاسأل

به﴾ متعلق بما بعده وهو ﴿خبيراً﴾ كما في قوله: ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧] ونظائره أي فاسأل خبيراً بما ذكر من الخلق والاستواء يعني الذي خلق واستوى لأنه هو الخبير بأفعاله وصفاته كما قال: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤] وقال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] ومن جعل قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧] عطفاً على إلا الله يكون الخبير المسؤول منه هو الراسخون في العلم وقد مر تحقيق الآية في سورة الأعراف وسورة يونس وسورة طه فارجع.

وفي «الفتوحات المكية»: لما كان الحق تعالى هو السلطان الأعظم ولا بد للسلطان من مكان يكون فيه حتى يقصد بالحاجات مع أنه تعالى لا يقبل المكان اقتضت المرتبة أن يخلق عرشاً ثم ذكر أنه استوى عليه حتى يقصد بالدعاء وطلب الحوائج منه كل ذلك رحمة للعباد وتنزلاً لعقولهم ولولا ذلك لبقي العبد حائراً لا يدري أين يتوجه بقلبه وقد خلق الله تعالى القلب ذا جهة فلا يقبل إلا ما كان له جهة وقد نسب الحق تعالى لنفسه الفوقية من سماء وعرش وإحاطة بالجهات كلها بقوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] وبقوله: ينزل ربنا إلى سماء الدنيا وبقوله عليه السلام: «إن الله في قبلة أحدكم» وحاصله أن الله تعالى خلق الأمور كلها للمراتب لا للأعيان انتهى ﴿وإذا قيل لهم﴾ أي لهؤلاء المشركين ﴿اسجدوا﴾ صلوا وعبر عن الصلاة بالسجدة لأنها من أعظم أركانها ﴿للرحمٰن﴾ الذي برحمته أوجد الموجودات ﴿قالوا وما الرحمٰن﴾ أي أي شيء هو أو من هو لأن وضع ما أعم وهو سؤال عن المسمى بهذا الاسم لأنهم ما كانوا يطلقونه على الله ولا يعرفون كونه تعالى مسمى بهذا الاسم وإن كان مذكوراً في الكتب الأولى أنه من أسماء الله تعالى أو لأنهم كانوا يعرفون كونه تعالى مسمى بهذا الاسم إلا أنهم يزعمون أنه قد يراد به غيره وهو مسيلمة الكذاب باليمامة فإنه يقال رحمن اليمامة وكان المشركون يكذبونه ولذلك غالطوا بذلك وقالوا: إن محمداً يأمرنا بعبادة رحمن اليمامة ونظيره أن المنافقين صدرت منهم كلمات وحركات في حق النبي عليه السلام بالاستهزاء والاستسخار فقال تعالى ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: ٦٥] فغالطوا في الجواب عن ذلك بهاتين اللفظتين الموهمتين صدق ما كانوا فيه حتى كذبهم الله تعالى بقوله: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة: ٦٥] والمغالطة هو أن المنشىء أو المتكلم يدل على معنى له مثل أو نقيض في شيء ويكون المثل أو النقيض أحسن موقعاً لإرادته الإبهام به كذا في «العقد الفريد» للعلامة ابن طلحة ﴿أنسجد لما تأمرنا﴾ بسجوده من غير أن نعرف أن المسجود له ماذا وهو استفهام إنكار أي لا نسجد للرحمن الذي تأمرنا بسجودنا له ﴿وزادهم﴾ أي الأمر بالسجود للرحمٰن. ﴿نفوراً﴾ عن الإيمان. والنفور الانزعاج عن الشيء والتباعد وهو نظير قوله: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦﴾ [نوح: ٦] فمن جهل وجود الرحمن أو علم وجوده وفعل فعلاً أو قال قولاً لا يصدر إلا من كافر فكافر بالاتفاق كما في «فتح الرحمٰن» وذلك كما إذا سجد للصنم أو ألقى المصحف في المزابل أو تكلم بالكفر يكفر بلا خلاف لكونه علامة التكذيب.

وكان سفيان الثوري رحمه الله إذا قرأ هذه الآية رفع رأسه إلى السماء وقال: إلهي زادني خضوعاً ما زاد أعداءك نفوراً وقال رجل لرسول الله ﷺ: ادع الله أن يرزقني مرافقتك في الجنة قال: «أعني بكثرة السجود».

قال في «فتح الرحمٰن»: وهذا محل سجود بالاتفاق.

قال الكاشفي: [اين سجدة هفتم است بقول إمام اعظم وبقول إمام شافعي سجدة هشتم واين را در فتوحات سجدة نفور وانكار ميكو يدو ميفر ما يدكه چون مؤمن در تلاوت اين سجده كند ممتاز كردد ازاهل انكار پس اين سجده را امتيازنيز توان كفت] وتكبير سجود تلاوة سنة كما في «النهاية» أو ندب كما في «الكافي» أو الثاني ركن كما في «الزاهدي» ولم يوجد أن كليهما ركن وإذا أخر عن وقت القراءة يكون قضاء كما قال أبو يوسف فهو على الفور عنده لكنه ليس على الفور عندنا فجميع العمر وقته سوى المكروه كما في كتب الأصول والفروع والتأخير ليس بمكروه. وذكر الطحاوي أنه مكروه وهو الأصح كما في «التجنيس» ذكره القهستاني في «شرحه» ثم إن قوله تعالى: ﴿اسجدوا للرحمن﴾ يدل على أن لا سجدة لغير الرحمٰن ولو كانت لأمرت المرأة بسجدة زوجها.

قال شمس الأئمة السرخسي: السجود لغير الله تعالى على وجه التعظيم كفر وما يفعلونه من تقبيل الأرض بين يدي العلماء فحرام. وذكر الصدر الشهيد: لا يكفر بهذا السجود لأنه يريد به التحية انتهى لكنه يلزم عليه أن لا يفعل لأنه شريعة منسوخة وهي شريعة يعقوب عليه السلام فإن السجود في ذلك الزمان كان يجري مجرى التحية كالتكرمة بالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها من عادات الناس الناشئة في التعظيم والتوقير ويدل عليه قوله تعالى في حق إخوة يوسف وأبيه ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًاۖ﴾ [يوسف: ١٠٠]. وأما الانحناء للسلطان أو لغيره فمكروه لأنه يشبه فعل اليهود كما أن تقبيل يد نفسه بعد المصافحة فعل المجوس. واختلفوا في سجود الشكر عند تجدد النعم واندفاع النقم فقال أبو حنيفة ومالك يكره فيقتصر على الحمد والشكر باللسان وخالف أبو يوسف ومحمد أبا حنيفة فقالا هي قربة يثاب عليها وقال الشافعي وأحمد يسن وحكمه عندهما كسجود التلاوة لكنه لا يفعل في الصلاة كذا في «فتح الرحمٰن».

وذكر الزاهدي في «شرح القدوري» أن السجدات خمس صلواتية وهي فرض وسجدة سهو وسجدة تلاوة وهما واجبتان وسجدة نذر وهي واجبة بأن قال: لله عليّ سجدة تلاوة وإن لم يقيدها بالتلاوة لا تجب عند أبي حنيفة خلافاً لأبي يوسف وسجدة شكر ذكر الطحاوي عن أبي حنيفة أنه قال: لا أراه شيئاً.

قال أبو بكر الرازي: معناه ليس بواجب ولا مسنون بل مباح لا بدعة وعن محمد أنه كرهها قال: ولكنا نستحبها إذا أتاه ما يسره من حصول نعمة أو دفع نقمة.

قال الشافعي: فيكبر مستقبل القبلة ويسجد فيحمد الله تعالى ويشكره ويسبح ثم يكبر فيرفع رأسه أما بغير سبب فليس بقربة ولا مكروه وأما ما يفعل عقيب الصلاة فمكروه لأن الجهال يعتقدونها سنة أو واجبة وكل مباح يؤدي إليه فمكروه انتهى والفتوى على أن سجدة الشكر جائزة بل مستحبة لا واجبة ولا مكروهة كما في «شرح المنية»:

بشكر عشق بنه جبهه دائماً برخاك   كه نعمتست نخوردست ساكن افلاك

اللهم اجعلنا من المتواضعين لك في اللمع والحلك.

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾.

﴿تبارك الذي﴾ أي تكاثر خير الفياض الذي وقد ذكر في أول هذه السورة فارجع.

قال في «برهان القرآن» خص هذا الموضع بذكر تبارك لأن ما بعده من عظائم الأمور حيث ذكر البروج والسيارات والشمس والقمر والليل والنهار ولولاها ما وجد في الأرض حيوان ولا نبات ولا مثلهما ﴿جعل﴾ بقدرته الكاملة ﴿في السماء﴾ [درآسمان] ﴿بروجاً﴾ هي البروج الاثنا عشر كل برج منزلان وثلث منزل للقمر وهي منازل الكواكب السبعة السيارة وهي ثلاثون درجة للشمس وأسماء البروج الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت فالحمل والعقرب بيتا المريخ والثور والميزان بيتا الزهرة والجوزاء والسنبلة بيتا عطارد والسرطان بيت القمر والأسد بيت الشمس والقوس والحوت بيتا المشتري والجدي والدلو بيتا زحل وهذه البروج مقسومة على الطبائع الأربع فيكون لكل واحدة منها ثلاثة بروج مثلثات الحمل والأسد والقوس مثلثة نارية والثور والسنبلة والجدي مثلثة أرضية والجوزاء والميزان والدلو مثلثة هوائية والسرطان والعقرب والحوت مثلثة مائية وسميت المنازل بالبروج وهي القصور العالية لأنها للكواكب السيارة كالمنازل الرفيعة لسكانها واشتقاقها من التبرج لظهورها.

وقال الحسن ومجاهد وقتادة: البروج هي النجوم الكبار مثال الزهرة وسهيل والمشتري والسماك والعيوق وأشباهها سميت بروجاً لاستنارتها وحسنها وضوئها والأبرج الواسع ما بين الحاجبين ثم إن منازل القمر بأساميها ذكرت في أوائل سورة يونس فارجع. ﴿وجعل فيها﴾ أي في البروج لا في السماء لأن البروج أقرب فعود الضمير إليها أولى وإن جاز عوده إلى السماء أيضاً ﴿سراجاً﴾ [چراغى راكه آفتابست].

قال الراغب: السراج الزاهر بفتيلة ويعبر به عن كل شيء مضيء والمراد به ههنا الشمس لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٦] شبهت الشمس والكواكب الكبار بالسراج والمصابيح كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [الملك: ٥] في الإنارة والإشراق ﴿وقمراً﴾ بالفارسية [ماه] والهلال بعد ثلاث قمر سمي قمراً لبياضه كما في «المختار» أو لابيضاض الأرض به والأقمر الأبيض كما في «كشف الأسرار» ﴿منيراً﴾ مضيئاً بالليل.

قال في «كشف الأسرار»: [كفته اند مراد ازين آسمان آسمان قر آنست كه جملة أهل إيمان در ظل بيان وي اند هر سورتي ازان چون برجى آنجا در عالم صور سبع مباني است وانيجا در عالم سور سبع مثاني چنانكه درشب هركه چشم برستاره داردراه زمين وى كم نشود هركه اندرشب فتنه ازبيم شك وشبهه چشم دل برستارة آيت قرآن دارد راه دينش كم نشود].

قال في «نفائس المجالس»: في الآية دلالة على كمال قدرته فإن هذه الأجرام العظام والنيرات من آثار قدرته.

واعلم أن الله تعالى جعل في سماء نفسك بروج حواسك وجعل فيها سراج روحك وقمر قلبك منيراً بأنوار الروحانية فعليك بالاجتهاد في تنوير وجودك وتخليص قلبك من الظلمات النفسانية لتستعد لأنوار التجليات وتتخلص من ظلمة السوي فتصل إلى المطلب الأعلى فيحصل لك البقاء بعد الفناء فتجد بعد الفقر كمال الغنى فتشاهد كمال قدرة الملك القادر هنا.

وفي «عرائس القرآن» بروج السماء مجرى الشمس والقمر وهي الحمل والنور الخ. وفي القلب بروج وهي برج الإيمان وبرج المعرفة وبرج العقل وبرج اليقين وبرج الإسلام وبرج

الإحسان وبرج التوكل وبرج الخوف وبرج الرجاء وبرج المحبة وبرج الشوق وبرج الوله فهذه اثنا عشر برجاً بها دوام صلاح القلب كما أن الاثني عشر برجاً من الحمل الخ بها صلاح الدار الفانية وأهلها وفي السماء سراج الشمس ونور القمر وفي القلب سراج الإيمان والإقرار وقمر المعرفة يتلألأ نور إيمانه ومعرفته على لسانه بالذكر وعلى عينيه بالعبرة وعلى جوارحه بالطاعة والخدمة.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى سماء القلوب وبروج المنازل والمقامات وهي اثنا عشر منزلاً التوبة والزهد والخوف والرجاء والتوكل والصبر والشكر واليقين والإخلاص والتسليم والتفويض والرضى وهي منازل سيارات الأحوال فيها شمس التجلي وقمر المشاهدة وزهرة الشوق ومشتري المحبة وعطارد الكشوف ومريخ الفناء وزحل البقاء انتهى.

هركه خواهد بجان سير بروج   آسمانرا كند چو عيسى عروج
آسما نرا طريق معراجست   دل بمعراج فلك محتاجست
چون كذر ميكند زبرج فنا   يا بد آخر تجليات بقا
اين تجلى زسوى عرشي نه   اين تسلي زسمت فرشي نه
اين تجلىء خالق الأبراج   بسراجش نديده چشم سراج

﴿وهو الذي جعل﴾ بحكمته التامة﴿الليل والنهار خلفة﴾ الخلفة مصدر للنوع فلا يصلح أن يكون مفعولاً ثانياً لجعل ولا حالاً من مفعوله فلا بد من تقدير المضاف ويستعمل بمعنى كان خليفته أو بمعنى جاه بعده فالمعنى على الأول جعلهما ذوي خلفة يخلف كل واحد منهما الآخر بأن يقوم مقامه فيما ينبغي أن يعمل فيه فمن فرط في عمل أحدهما قضاه في الآخر فيكون توسعة على العباد في نوافل العبادات والطاعات ويؤيده ما قال عليه السلام لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد فاتته قراءة القرآن بالليل: «يا ابن الخطاب لقد انزل الله تعالى فيك آية وهو الذي الخ ما فاتك من النوافل بالليل فاقضه في نهارك وما فاتك في النهار فاقضه في الليل» وعلى الثاني جعلهما ذوي اعتقاب يجيء الليل ويذهب النهار ويجيء النهار ويذهب الليل ولم يجعل نهاراً لا ليل له وليلاً لا نهار له ليعلم الناس عدد السنين والحساب وليكون للانتشار في المعاش وقت معلوم وللاستقرار والاستراحة وقت معلوم. ففي الآية تذكير لنعمته وتنبيه على كمال حكمته وقدرته. ﴿لمن أراد أن يذكر﴾ أن يتذكر آلاء الله ويتفكر في صنعه فيعلم أن لا بد له من صانع حكيم واجب بالذات رحيم على العباد فالمراد بمن هو الكافر ثم أشار إلى المؤمن بقوله: ﴿أو أراد شكوراً﴾ بضم الشين مصدر بمعنى الشكر أي أن يشكر الله بطاعته على ما فيها من النعم فتكون أو على حالها ويجوز أن تكون بمعنى الواو فالمعنى جعلناهما خلفة ليكونا وقتين للذاكرين والشاكرين من فاته ورده في أحدهما تداركه في الآخر ووجه التعبير بأو التنبيه على استقلال كل واحد منهما بكونه مطلوباً من الجعل المذكور ولو عطف بالواو لتوهم أن المطلوب مجموع الأمرين.

قال الإمام الراغب: الشكر تصور النعمة وإظهارها قيل: هو مقلوب عن الكشر أي الكشف ويضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها وقيل: أصله من عين شكرى أي ممتلئة والشكر على هذا هو الامتلاء من ذكر المنعم عليه والشكر على ثلاثة أضرب شكر بالقلب وهو تصور النعمة وشكر باللسان وهو الثناء على النعمة وشكر بسائر الجوارح وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقها.

عـطـايـسـت هـرمـوى ازوبـرتـنـم   چـه كـونـه بـهـر مـوى شـكـرى كـنـم

اعلم أن الآية الكريمة إشارة إلى أن ورد النفل لا يقضى إذا فات لكن على طريق الاستحباب لا على طريق الوجوب وذلك أن دوام الورد سبب لدوام الوارد ودوام الوارد سبب للوصلة ألا ترى أن النهر إنما يصل إلى البحر بسبب إمداد الأمطار والثلوج التي في الجبال فلو انقطع المدد فقد المرام كما قال الصائب:

از زاهدان خشك رسايي طمع مدار   سيل ضعيف واصل دريا نميشود

ولذا أكب العباد والسلاك على الأوراد في الليل والنهار وجعلوها على أنفسهم بمنزلة الواجبات ولذا لو فات عنهم ورد الليل قضوه في النهار ولو فات عنهم ورد النهار قضوه في الليل يعني أتوا ببدله مما كان مثلاً له حتى لا ينقطعوا دون السبيل فمن عرف الطريق إلى الله لا يرجع أبداً ولو رجع عذب في الدارين بما لم يعذب به أحد من العالمين فعليك بالورد صباحاً ومساء فإنه من ديدن السلف الصالحين وإياك والغفلة عنه فإنها من دأب من بال على أذنه الشيطان من الفاسقين.

وعن الشيخ أبي بكر الضرير رضي الله عنه قال: كان في جواري شاب حسن الوجه يصوم بالنهار ولا يفطر ويقوم الليل ولا ينام فجاءني يوماً وقال: يا أستاذ إني نمت عن وردي الليل فرأيت كأن محرابي قد انشق وكأني بجوار قد خرجن من المحراب لم أر أحسن وجهاً منهن وإذا واحدة فيهن شوهاء أي قبيحة لم أر أقبح منها منظراً فقلت: لمن أنتن ولمن هذه؟ فقلن: نحن لياليك التي مضين وهذه ليلة نومك فلو مت في ليلتك هذه لكانت هذه حظك ثم أنشأت الشوهاء تقول:

اسأل لمولاك واردني إلى حالي   فأنت قبحتني من بين أشكالي

لا ترقدّن الليالي ما حييت فإن   نمت الليالي فهن الدهر أمثالي

فأجابتها جارية من الحسان:

نحن الليالي اللواتي كنت تسهرها   تتلو القرآن بترجيع ورنات

نحن الحسان اللواتي كنت تخطبنا   جوف الظلام بأنات وزفرات

قال: ثم شهق شهقة خر ميتاً ذكره الإمام اليافعي في «روض الرياحين». وروي: أن إبليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلام فرأى عليه معاليق من كل شيء فقال يحيى: يا إبليس ما هذه المعاليق التي أرى عليك قال هذه الشهوات التي أصيب بهن ابن آدم قال: فهل لي فيها من شيء قال: ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة والذكر قال يحيى: هل غير ذلك قال: لا والله قال: الله عليّ أن لا املأ بطني من طعام أبداً قال إبليس: ولله على أن لا أنصح مسلماً أبداً كذا في «آكام المرجان».

واحتضر عابد فقال: ما تأسفي علي دار أحزان والخطايا والذنوب وإنما تأسفي على ليلة نمتها ويوم أفطرته وساعة غفلت فيها عن ذكر الله فمن وجد الفرصة فليسارع وبقية العمر ليس لها ثمن.

أي كه پنجاه رفت ودر خوابى   مكر اين پنج روز دريابى

خواب نوشين بامداد رحيل   باز دارد پياده را زسبيل

[كفته اند ايزد تعالى فلك را آفريد ومدت دوروى دو قسم كردانيد يك قسم ازان شب

ديجور نهادكه اندران وقت روى زمين بسان قيرشود وقسم ديكر روز بانور نهادكه روى زمين بسان كافور شود ازروى اشارب ميكويد أي كساني اندر روشنايى روز دولت آرام داريد ايمن مباشيد كه شب محنت بر اثرست واى كساني كه اندر تاريكي شب محنت بي آرام بوده آيد نوميد مباشيدكه روشنايى روز دولت براثرست].

أي دل صبور باش ومخور غم كه عاقبت　　اين شام صبح كرددواين شب سحر شود

نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من أهل اليقظة والشهود الواصلين إلى مطالعة الجمال في كل مشهود ونعوذ به من البقاء في ظلمة الوجود والحرمان من فيض الجود إنه رحيم ودود.

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾

﴿وعباد الرحمٰن﴾ دون عباد الدنيا والشيطان والنفس والهوى فإنهم وإن كانوا عباداً بالإيجاد لكنهم ليسوا بأهل لإضافة التشريف والتفضيل من حيث عدم اتصافهم بالصفات الآتية التي هي آثار رحمته تعالى الخاصة المفاضة على خواص العباد. والمعنى عباده المقبولون وهو مبتدأ خبره قوله: ﴿الذين يمشون﴾ المشي الانتقال من مكان إلى مكان بإرادة ﴿على الأرض﴾ التي هي غاية في الطمأنينة والسكون والتحمل حال كونهم ﴿هوناً﴾ هو السكينة والوقار كما في «القاموس» وتذلل الإنسان في نفسه بما لا يلحق به غضاضة كما في «المفردات» وهين لين وقد يخففان ساكن متئد ملائم رقيق أي هينين لينى الجانب من غير فظاظة أو يمشون مشياً هيناً مصدر وصف به. والمعنى أنهم يمشون بسكينة وتواضع لا بفخر وفرح ورياء وتجبر وذلك لما طالعوا من عظمة الحق وهيبته وشاهدوا من كبريائه وجلاله فخشعت لذلك ارواحهم وخضعت نفوسهم وأبدانهم وفي الحديث: «المؤمنون هينون لينون كالجمل الأنف إن قيد انقاد وإن أنيخ على صخرة استناخ» وفي «الصحاح» أنف البعير اشتكى أنفه من البرة فهو أنف ككتف، وفي الحديث: «المؤمن كالجمل إن قيد انقاد وإن استنيخ على صخرة استناخ» وذلك للوجع الذي به فهو ذلول منقاد. قوله قيد مجهول قاد والقود نقيض السوق فهو من إمام وذلك من خلف. والانقياد [كشيده شدن وكردن نهادن] يقال: أنخت الجمل فاستناخ أي أبركته فبرك.

قال الشيخ سعدي:

فروتن بود هو شمند كزين　　نهد شاخ پرميوه سر بر زمين
چوسيل اندر آمد بهول ونهيب　　فتاد ازبلندى بسر درنشيب
چوشبنم بيفتاد مسكين وخرد　　بمهر آسمانش بعيوق برد

﴿وإذا خاطبهم الجاهلون﴾ الجهل خلو النفس من العلم واعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه وفعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل سواء اعتقد فيه اعتقاداً صحيحاً أو فاسداً كما يترك الصلاة عمداً وعلى ذلك قوله: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧] فجعل فعل الهزؤ جهلاً. والمعنى وإذا كلمهم السفهاء مواجهة بالكلام القبيح. ﴿قالوا سلاماً﴾ أي نطلب منكم السلامة فيكون منصوباً باضمار فعل كما في «المفردات» أو إنا سلمنا من إثمكم وأنتم سلمتم من شرنا كما في «إحياء العلوم».

وقال بعضهم: سلاماً مصدر فعل محذوف أقيم مقام التسلم أي قالوا: نتسلم منكم تسلماً

أي لا نجاهلكم. والمجاهلة [باكسى سفاهت كردن] ولا تخالط بشيء من أموركم وهو الجهل وما يبتنى على خفة العقل فلا خير بيننا وبينكم ولا شر بل متاركة. بالفارسية [جفاى يكديكر بكذاشتن] وأكثر المفسرين على أن السلام ليس عين عبارتهم بل صفة المصدر محذوف. والمعنى قالوا قولاً سلاماً أي سداداً يسلمون فيه من الأذى والإثم [مراد ترك تعرض سفهاست واعراض ازمكالمه ومجادلة ايشان] كما قال المحقق الرومي:

اكـر كـويـنـد زراقـى وسـالـوس بـكـوهـسـتـم دوصـد چـنـدان ومـيـرو
وكـر ازخـشـم دشـنـامـى دهـنـدت دعـا كـن خـوش دل وخـنـدان ومـيـرو

قال الشيخ سعدي قدس سره:

يـكـى بـربـطـى دربـغـل داشـت مـسـت بـشـب درسـر پـارسـايـى شـكـسـت
چـو روز آمـد آن نـيـك مـرد سـلـيـم بـر سـنـك دل بـر يـك مـشـت سـيـم
كـه دوشـيـنـه مـعـذور بـودى ومـسـت تـرا ومـرا بـربـط وسـر شـكـسـت
مـرا بـه شـد آن زخـم وبـرخـاسـت بـم تـرا بـه نـخـواهـد شـد الإبـسـيـم
اذان دوسـتـان خـدا بـر سـرنـد كـه از خـلـق بـسـيـار بـر خـرخـورنـد

ثم إن قوله: (وإذا) بيان لحالهم في المعاملة مع غيرهم أثر بيان حالهم في أنفسهم.

وهذه الآية محكمة عند أكثرهم لأن الحلم عن السفيه مندوب إليه والإغضاء عن الجاهل أمر مستحسن في الأدب والمروءة والشريعة وأسلم للعرض وأوفق للورع وفي الحديث: «إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة نادى منادٍ أين أهل الفضل؟ فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعاً إلى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون: إنا نراكم سراعاً إلى الجنة فيقولون: نحن أهل الفضل فيقولون: ما كان فضلكم؟ فيقولون: كنا إذا ظلمنا صبرنا وإذا أسيء إلينا غفرنا وإذا جهل علينا حملنا فيقال لهم: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين» وفي الحديث: «رأيت قوماً من أمتي ما خلقوا بعد وسيكونون فيما بعد اليوم أحبهم ويحبونني يتناصحون ويتباذلون ويمشون بنور الله في الناس رويداً في خفية وتقية يسلمون من الناس ويسلم الناس منهم بصبرهم وحلمهم قلوبهم بذكر الله تطمئن ومساجدهم بصلاتهم يعمرون يرحمون صغيرهم ويجلون كبيرهم ويتواسون بينهم يعود غنيهم على فقيرهم يعودون مرضاهم ويتبعون جنائزهم» فقال رجل من القوم: في ذلك يرفقون فالتفت إليه رسول الله ﷺ فقال: «كلا إنه لا رفيق لهم هم خدام أنفسهم هم أكرم على الله من أن يوسع عليهم لهوان الدنيا عند ربهم ثم تلا عليه السلام وعباد الرحمٰن» الآية.

وقال بعضهم في صفة عباد الرحمٰن: العبادة حليتهم والفقر كرامتهم وطاعة الله حلاوتهم وحب الله لذتهم وإلى الله حاجتهم والتقوى زادهم والهدى مركبهم والقرآن حديثهم والذكر زينتهم والقناعة مالهم والعبادة كسبهم والشيطان عدوهم والحق حارسهم والنهار عبرتهم والليل فكرتهم والحياة مرحلتهم والموت منزلهم والقبر حصنهم والفردوس مسكنهم والنظر إلى رب العالمين منيتهم.

اعلم أن عباد الله كثير فمنهم عبد الرحمٰن ومنهم عبد الرزاق ومنهم عبد الوهاب إلى غير ذلك ولكن لا يكون المرء بمجرد الاسم عبداً حقيقة لا عبد الله ولا نحوه وذلك لأن عبد الله هو الذي تجلى بجميع أسمائه تعالى فلا يكون في عباده أرفع مقاماً وأعلى شأناً منه لتحققه بالاسم الأعظم واتصافه بجميع صفاته ولذا خص نبينا عليه السلام بهذا الاسم في قوله: ﴿وَأَنَّهُ

﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩] فلم يكن هذا الاسم بالحقيقة إلا له وللأقطاب من ورثته بتبعيته. وعبد الرحمٰن هو مظهر الاسم الرحمٰن فهو رحمة العالمين جميعها بحيث لا يخرج أحد من رحمته بحسب قابليته واستعداده. وعبد الرحيم هو مظهر الاسم الرحيم وهو يختص رحمته بمن اتقى وأصلح ورضي الله عنه وينتقم ممن غضب الله عليه. وعبد الرزاق هو الذي وسع الله له رزقه فيؤثر به على العباد. وعبد الوهاب هو الذي تجلى له الحق باسم الجود فيهب ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي بلا عوض ولا غرض ويمد أهل عنايته تعالى بالإمداد جعلنا الله وإياكم من المتحققين بأسمائه الحسنى إنه المطلب الأعلى والمقصد الأسنى.

﴿والذين يبيتون﴾ عطف على الموصوف الأول والبيتوتة خلاف الظلول وهي أن يدركك الليل نمت أو لم تنم ولذلك يقال: بات فلان قلقاً أي مضطرباً. والمعنى [بالفارسية عباد الرحمٰن آنا نندكه شب بروزمى آرند]. ﴿لربهم﴾ لالحظ أنفسهم وهو متعلق بما بعده والتقديم للتخصيص مع مراعاة الفاصلة. ﴿سجداً﴾جمع ساجد أي حال كونهم ساجدين على وجوههم. ﴿وقياماً﴾ جمع قائم مثل نيام ونائم أو مصدر أجري مجراه أي قائمين على أقدامهم وتقديم السجود على القيام لرعاية الفواصل وليعلم أن القيام في الصلاة مقدم مع أن السجدة أحق بالتقديم لما ورد: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد» والكفرة عنها يستكبرون حتى قال بعضهم منهم لا أفعلها لأني لا أحب أن تعلو رأسي استي. والمعنى يكونون ساجدين لربهم وقائمين أي يحبون الليل كلاً أو بعضاً بالصلاة كما قال تعالى في حق المتقين ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ۝١٧﴾ [الذاريات: ١٧] وتخصيص البيتوتة لأن العبادة بالليل أشق وأبعد من الرياء وهو بيان لحالهم في معاملتهم مع ربهم ووصف ليلهم بعد وصف نهارهم.

وقد اشتهر بقيام الليل كله وصلاة الغداة بوضوء العشاء الأخيرة سعيد بن المسيب وفضيل بن عياض وأبو سليمان الداراني وحبيب العجمي ومالك بن دينار ورابعة العدوية وغيرهم.

قال في «التأويلات النجمية»: يبيتون لربهم ساجدين ويصبحون واجدين فوجود صباحهم ثمرات سجود رواحهم كما في الخبر: «من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار» أي: عظم ماء وجهه عند الله وأحسن الأشياء ظاهر بالسجود محسن وباطن بالوجود مزين.

وكانت حفصة بنت سيرين أخت محمد بن سيرين تقرأ كل ليلة نصف القرآن تقوم به في الصلاة وكانت تقوم في مصلاها بالليل فربما طفىء المصباح فيضيء لها البيت حتى تصبح وكانت من عابدات أهل البصرة وكان أخوها ابن سيرين إذا أشكل عليه شيء من القرآن قال: اذهبوا فسلوا حفصة كيف تقرأ وكانت تقول يا معشر الشباب خذوا من أنفسكم وأنتم شباب، فإني ما رأيت العمل إلا في الشباب.

وكانت رابعة العدوية تصلي الليل كله فإذا قرب الفجر نامت نومة خفيفة ثم تقوم وتقول: يا نفس كم تنامين وكم تقومين يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا صبيحة يوم النشور فكان هذا دأبها حتى ماتت، وفي الخبر: «قم من الليل ولو قدر حلب شاة» ومن حرم قيام الليل كسلاً وفتوراً في العزيمة أو تهاوناً بقلة الاعتداد بذلك أو اغتراراً بحاله فليبك عليه فقد قطع عليه طريق كثير من الخير. والذي يخل بقيام الليل كثرة الاهتمام بأمور الدنيا وكثرة أشغال الدنيا وإتعاب الجوارح والامتلاء من الطعام وكثرة الحديث واللهو واللغط وإهمال القيلولة

والموفق من يغتنم وقته ويعرف داءه ودواءه ولا يهمل فيهمل.

يقول الفقير قواه الله القدير على فعل الخير الكثير.

إن قلت: ما تقول في قوله عليه السلام: «من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف ليلة ومن صلى الفجر في جماعة كان كقيام ليلة» الخ فإنه يرفع مؤونة قيام الليل.

قلت: هذا ترغيب في الجماعة وبيان للرخصة وتأثير النية فإن من نوى وقت العشاء أن يقيم الفجر بجماعة كان كمن انتظرها في المسجد فرب همة عالية تسبق الأقدام ولكن العمل مع النية أفضل من النية المجردة والعزيمة فوق الرخصة.

قال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله: يحتاج العبد إلى السنن الرواتب لتكميل الفرائض ويحتاج إلى النوافل لتكميل السنن ويحتاج إلى الآداب لتكميل النوافل ومن الأدب ترك الدنيا.

وقد اختلفوا في أن طول القيام أفضل أو كثرة السجود والركوع.

قال في «الدرر»: طول القيام أولى من كثرة السجود لقوله عليه السلام: «أفضل الصلوات طول القنوت» أي القيام ولأن القراءة تكثر بطول القيام وبكثرة الركوع والسجود يكثر التسبيح والقراءة أفضل منه انتهى.

وقال بعضهم بأفضلية الثاني [ابن عمر يكى را ديدكه در نماز قيام دراز داشت كفت اكر من اورا شنا ختمى بكثرة روع وسجود فرمودمى كه از رسول خدا شنيدم عليه السلام كه كفت] «أن العبد إذا قام يصلي أتى بذنوبه فجعلت على رأسه وعاتقيه كلما ركع أو سجد تساقطت عنه».

وقال معدان بن طلحة: لقيت ثوبان مولى رسول الله ﷺ فقلت: أخبرني بعمل يدخلني الله به الجنة فقال: سألت عن ذلك رسول الله فقال: «عليك بكثرة السجود لله فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها حطيئة».

واعلم أن الأصل في كل عمل هو تحقيق النية وتصحيح الإخلاص.

مشايخ همه شب دعا خوانده اند سحركه مصلى برافشانده اند
كسى كوبتابد زمحراب روى بكفرش كواهى دهند أهل كوى
توهم پشت بر قبلة در نماز كرت در خدانيست روى نياز

وجهنا الله وإياكم إلى وجهه.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾.

﴿والذين يقولون﴾ أي في أعقاب صلواتهم أو في عامة أوقاتهم ﴿ربنا﴾ [أي پروردكار ما] ﴿اصرف عنا﴾ صرفه رده ﴿عذاب جهنم﴾ العذاب الإيجاع الشديد. ﴿إن عذابها كان غراماً﴾ أي: شراً دائماً وهلاكاً لازماً غير مفارق لمن عذب به من الكفار.

قال الراغب: مأخوذ من قولهم: هو مغرم بالنساء أي يلازمهن ملازمة الغريم أي ملازمة من له الدين لغريمه أي من عليه الدين فكلاهما غريم.

قال محمد بن كعب: إن الله تعالى سأل الكفار ثمن نعمته فلم يؤدوها إليه فأغرقهم

فأدخلهم النار. ﴿إنها ساءت مستقراً ومقاماً﴾ تعليل لاستدعائهم المذكور بسوء حالها في أنفسها أثر تعليله بسوء حال عذابها فهو من تمام كلامهم والضمير في ساءت لا يعود إلى اسم إن وهو جهنم ولا إلى شيء آخر بعينه بل هو ضمير مبهم يفسره ما بعده من التمييز وهو مستقراً ومقاماً وذلك لأن فاعل أفعال الذم يجب أن يكون معرفاً باللام أو مضافاً إلى المعرف به أو مضمراً مميزاً بنكرة منصوبة. والمعنى بئست موضع قرار وإقامة هي أي جهنم. وبالفارسية [بتحقيق دوزخ بد آرامكاهست وبد جاى بودنى].

وفي الآية إيذان بأنهم مع حسن مخالقتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق خائفون من العذاب متضرعون إلى الله في صرفه عنهم. يعني يجتهدون غاية الجهد ويستفرغون نهاية الوسع ثم عند السؤال ينزلون منزلة العصاة ويقفون موقف أهل الاعتذار ويخاطبون بلسان التذلل كما قيل:

وما رمت الدخول عليه حتى حللت محلة العبد الذليل

وذلك لعدم اعتدادهم بأعمالهم ووثوقهم على استمرار أحوالهم كقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]: قال الشيخ سعدي قدس سره.

طريقت همينست كاهل يقين نكوكار بودند وتقصير بين

وقال:

بنده همان به كه ز تقصير خويش عذر بدركاه خداى آورد

ورنه سزاوار خدا وندیش كس نتواند كه بجاى آورد

قال ابن نجيد: لا يصف لأحد قدم في العبودية حتى يكون أفعاله عنده كلها رياء وأحواله كلها دعاوى.

وقال النهرجوري: من علامة من تولاه الله في أعماله أن يشهد التقصير في إخلاصه والغفلة في أذكاره والنقصان في صدقه والفتور في مجاهدته وقلة المراعاة في فقره فيكون جميع أحواله عنده غير مرضية ويزداد فقراً إلى الله تعالى في فقره وسيره حتى يفنى عن كل ما دونه.

ودلت الآية على الدعاء مطلقاً خصوصاً في أعقاب الصلوات وهو مخ العبادة فليدع المصلي مفرداً وفي الجماعة إماماً كان أو مأموماً وليقل: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي وأقل عثراتي اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتد ونعيماً لا ينفد وقرة عين الأبد ومرافقة نبيك محمد اللهم ألبس وجوهنا منك الحياء واملأ قلوبنا بك فرحاً وأسكن في نفوسنا عظمتك وذلك جوارض لخدمتك واجعلك أحبّ إلينا مما سواك، اللهم افعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله اللهم اغفر لي ولوالدي وارحمهما كما ربياني صغيراً واغفر لأعمامنا وعماتنا وأخوالنا وخالاتنا وأزواجنا وذرياتنا ولجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات يا أرحم الراحمين ويا خير الغافرين» وغير ذلك مما هو مذكور في «عوارف المعارف» نقلاً عن «قوت القلوب» للإمام المكي.

﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾

﴿والذين إذا أنفقوا﴾ نفق الشيء إذا مضى ونفد إما بالبيع نحو نفق المبيع نفاقاً وإما

بالموت نحو نفقت الدابة نفوقاً وإما بالفناء نحو نفقت الدراهم وأنفقتها. ﴿لم يسرفوا﴾ لم يجاوزوا حد الكرم ﴿ولم يقتروا﴾ ولم يضيّقوا تضييق الشحيح فإن القتر والإقتار والتقتير هو التضييق الذي هو ضد الإسراف والإسراف مجاوزة الحد في النفقة. ﴿وكان﴾ الإنفاق المدلول عليه بقوله أنفقوا ﴿بين ذلك﴾ أي بين ما ذكر من الإسراف والتقتير وهو خبر كان، وقوله: ﴿قواماً﴾ خبر بعد خبر أو هو الخبر وبين ذلك ظرف لغو لكان على رأي من يرى أعمالها في الظرف. والمعنى وسطاً عدلاً سمي به لاستقامة الطرفين واعتدالهما بحيث لا ترجح لأحدهما على الآخر بالنسبة إليه لكونه وسطاً بينهما كمركز الدائرة فإنه يكون نسبة جميع الدائرة إليه على السواء ونظير القوام السواء فإنه سمي به لاستواء الطرفين فالآية نظير قوله تعالى في سورة الإسراء ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء: ٢٩].

وسط را مكن هركز از كف رها | كه خير الأمور ست أوساطها

وتحقيق المقام الإنفاق ضرّبان محمود ومذموم.

فالمحمود منه ما يكسب صاحبه العدالة وهو بذل ما أوجبت الشريعة بذله كالصدقة المفروضة والإنفاق على العيال ولذا قال الحسن: ما أنفق الرجل على أهله في غير إسراف ولا فساد ولا إقتار فهو في سبيل الله ومنه ما يكسب صاحبه أجراً وهو الإنفاق على من ألزمت الشريعة إنفاقه عليه ومنه ما يكسب له الحرية وهو بذل ما ندبت الشريعة إلى بذله فهذا يكتسب من الناس شكراً ومن ولي النعمة أجراً.

والمذموم ضربان إفراط وهو التبذير والإسراف وتفريط وهو الإمساك والتقتير وكلاهما يراعى فيه الكمية والكيفية فالتبذير من جهة الكمية أن يعطي أكثر ما يحتمله حاله ومن حيث الكيفية أن يضعه في غير موضعه والاعتبار فيه بالكيفية أكثر من الكمية فرب منفق درهماً من ألوف وهو في إنفاقه مسرف وببذله ظالم مفسد كمن أعطى فاجرة درهماً أو اشترى خمراً ورب منفق ألوفاً لا يملك غيرها هو فيه مقتصد وبذله محمود كما روي في شأن أبي بكر الصديق رضي الله عنه حيث أنفق جميع ماله في غزوة تبوك ولما قال له رسول الله ﷺ: «ماذا أبقيت لأهلك يا أبا بكر» قال: الله ورسوله.

وقد قيل لحكيم: متى يكون بذلك القليل إسرافاً والكثير اقتصاداً؟ قال: إذا كان بذل القليل في باطل وبذل الكثير في حق ومن هذا الباب ما قال مجاهد في الآية: لو كان لرجل مثل أبي قبيس ذهباً فأنفقه في طاعة الله لم يكن مسرفاً ولو أنفق درهماً في معصية الله كان مسرفاً والتقتير من جهة الكمية أن ينفق دون ما يحتمله حاله ومن جهة الكيفية أن يمنع من حيث يجب وينفق حيث لا يجب والتبذير عند الناس أحمد لأنه جود لكنه أكثر مما يجب والتقتير بخل والجود على كل حال أحمد من البخل لأن رجوع المبذر إلى السخاء سهل وارتقاء البخيل إليه صعب وأن المبذر قد ينفع غيره وإن أضر بنفسه والمقتر لا ينفع نفسه ولا غيره على أن التبذير في الحقيقة هو من وجه اقبح إذ لا إسراف إلا وفي جنبه حق يضيع ولأن التبذير يؤدي صاحبه إلى أن يظلم غيره ولذا قيل: الشحيح أعذر من الظالم ولأنه جهل بقدر المال الذي هو سبب استبقاء النفس والجهل رأس كل شر والمتلاف ظالم من وجهين لأخذه من غير موضعه ووضعه في غير موضعه.

قال يزيد بن حبيب في هذه الآية أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا لا يأكلون طعاماً للتنعم واللذة ولا يلبسون ثياباً للجمال ولكن كانوا يريدون من الطعام ما يسدّ عنهم الجوع ويقويهم على عبادة ربهم ومن الثياب ما يستر عوراتهم ويكنهم عن الحر والقرّ وفي الحديث: «ليس لابن آدم حق فيما سوى هذه الخصال بيت يسكنه وثوب يواري عورته وجلف الخبز والماء» يعني: كسر الخبز واحدتها جرفة بالكسر.

وقال عمر رضي الله عنه: كفى سرفاً أن لا يشتهي الرجل شيئاً إلا اشتراه فأكله.

اكرچه باشد مرادف خورى زدوران بسى نامرادى برى
دريغ آدمي زادة پر محل كه باشد چو انعام بل هم أضل

قال الحافظ:

خواب وخورت زمرتبة خويش دور كرد
آنكه رسى بخويش كه بي خواب وخورشوى

ثم إن الإسراف ليس متعلقاً بالمال بل بكل شيء وضع في غير موضعه اللائق به ألا ترى أن الله تعالى وصف قوم لوط بالإسراف لوضعهم البذر في غير المحرث فقال: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾ [الأعراف: ٨١] ووصف فرعون بقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الدخان: ٣١] فالتكبر لغير المتكبر اسراف مذموم وللمتكبر اقتصاد محمود وعلى هذا فقس.

وفي الآية إشارة إلى أهل الله الباذلين عليه الوجود. ﴿إذا أنفقوا﴾ وجودهم في ذات الله وصفاته ﴿لم يسرفوا﴾ أي لم يبالغوا في المجاهدة والرياضة حتى يهلكوا أنفسهم بالكلية كما قال: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] ﴿ولم يقتروا﴾ في بذل الوجود بأن لا يجاهدوا أنفسهم في ترك هواها وشهواتها كما أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام فقال: «أنذر قومك من أكل الشهوات فإن القلوب المتعلقة بالشهوات محجوبة عني» ﴿وكان بين ذلك قواماً﴾ بحيث لا يهلك نفسه بفرط المجاهدة ولا يفسد قلبه بتركها وتتبع الشهوات كما في «التأويلات النجمية».

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾.

﴿والذين لا يدعون﴾ لا يعبدون ﴿مع الله إلٰهاً آخر﴾ كالصنم أي لا يجعلونه شريكاً له تعالى.

يقال: الشرك ثلاثة: أولها أن يعبد غيره تعالى، والثاني: أن يطيع مخلوقاً بما يأمره من المعصية، والثالث: أن يعمل لغير وجه الله فالأول كفر والآخران معصية.

وفي «التأويلات النجمية»: يعني لا يرفعون حوائجهم إلى الأغيار ولا يتوهمون منهم المسار والمضار وأيضاً لا يشربون أعمالهم بالرياء والسمعة ولا يطلبون مع الله مطلوباً ولا يحبون معه محبوباً بل يطلبون الله من الله ويحبونه به. قال الصائب.

غير حق را مى دهى ره در حريم دل چرا ميكشى بر صفحة هستى خط باطل چرا

﴿ولا يقتلون النفس التي حرم الله﴾ أي حرمها بمعنى حرم قتلها فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه مبالغة في التحريم والمراد نفس المؤمن والمعاهد ﴿إلا بالحق﴾ المبيح لقتلها أي لا يقتلونها بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق المزيل لحرمتها وعصمتها كما إذا قتل أحداً فيقتص به أو زنى وهو محصن فيرجم أو ارتد أو سعى في الأرض بالفساد فيقتل ﴿ولا يزنون﴾ الزنى وطء المرأة من غير عقد شرعي.

واعلم أن الله تعالى نفى عن خواص العباد أمهات المعاصي من عبادة الغير وقتل النفس المحرمة والزنى بعدما أثبت لهم أصول الطاعات من التواضع ومقابلة القبيح بالجميل وإحياء الليل والدعاء والإنفاق العدل وذلك إظهار لكمال إيمانهم فإنه إنما يكمل بالتحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل وإشعاراً بأن الأجر المذكور فيما بعد موعود للجامع بين ذلك وتعريضاً للكفرة بأضداده أي وعباد الرحمن الذين لا يفعلون شيئاً من هذه الكبائر التي جمعتهن الكفرة حيث كانوا مع إشراكهم به سبحانه مداومين على قتل النفوس المحرمة التي من جملتها الموؤدة مكبين على الزنى إذ كان عندهم مباحاً.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك» قال: قلت: ثم أي قال: «أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك» قال: ثم أي «قال أن تزني بحليلة جارك».

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ولا يزنون﴾ أي لا يتصرفون في عجوز الدنيا بشهوة نفسانية حيوانية بل يكون تصرفهم فيها لله وفي الله وبالله أي بخلاف حال العامة ﴿ومن﴾ [هركه] ﴿يفعل ذلك﴾ شيئاً مما ذكر من الأفعال كما هو دأب الكفرة ﴿يلق أثاماً﴾ هو جزاء الإثم والعقوبة كالوبال والنكال وزناً ومعنى. وبالفارسية [به بيند جزاى بزه كارىء خود] تقول أثم الرجل بالكسر أذنب وأثمه جازاه.

قال في «القاموس»: هو كسحاب واد في جهنم والعقوبة وفي الحديث: «الغي والأثام بئران يسيل فيهما صديد أهل النار».

﴿يضاعف له العذاب يوم القيامة﴾ [المضاعفة: افزون كردن يعني يك دو كردن] كما قال الراغب: الضعف تركب قدرين متساويين يقال: أضعفت الشيء وضعفته وضاعفته ضممت إليه مثله فصاعداً والجملة بدل من يلق لاتحادهما في المعنى أي يتزايد عذابه وقتاً بعد وقت وذلك لانضمام المعاصي إلى الكفر.

وفي «التأويلات النجمية»: أي يكون معذباً بعذابين عذاب دركات النيران وعذاب فرجات درجات الجنان وقربات الرحمن ﴿ويخلد﴾ [وجاويد ماند] ﴿فيه﴾ أي: في ذلك العذاب حال كونه ﴿مهاناً﴾ ذليلاً محتقراً جامعاً للعذاب الجسماني والروحاني لا يغاث. وبالفارسية [خوار وبى اعتبار] قرأ ابن كثير وحفص فيهي مهاناً بإشباع كسرة الهاء وجعلها بالياء في الوصل وذلك للتنبيه على العذاب المضاعف ليحصل التيقظ والامتناع عن سببه.

﴿إلا من تاب﴾ من الشرك والقتل والزنى ﴿وآمن﴾ وصدق بوحدانية الله تعالى. ﴿وعمل عملاً صالحاً﴾ [وبكند كردارشايسته براى تكميل إيمان] ذكر الموصوف مع جريان الصالح والصالحات مجرى الاسم للاعتناء به والتنصيص على مغايرته للأعمال السابقة والاستثناء لأنه من الجنس لأن المقصود الإخبار بأن من فعل ذلك فإنه يحل به ما ذكر إلا أن يتوب. وأما

إصابة أصل العذاب وعدمها فلا تعرض لها في الآية. ﴿فأولئك﴾ الموصوفون بالتوبة والإيمان والعمل الصالح. وبالفارسية [پس آن كروه] ﴿يبدل الله سيئاتهم﴾ التي عملوها في الدنيا في الإسلام ﴿حسنات﴾ يوم القيامة وذلك بأن يثبت له بدل كل سيئة حسنة وبدل كل عقاب ثواباً.

قال الراغب: التبديل جعل الشيء مكان آخر وهو أعم من العوض فإن العوض هو أن يصير لك الثاني بإعطاء الأول والتبديل يقال للتغيير وإن لم تأت ببدله.

عن أبي ذر رضي الله عنه قال عليه السلام: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه ويخبأ عنه كبارها فيقال: عملت يوم كذا كذا وهو مقر لا ينكر وهو مشفق من الكبائر فيقال: أعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة فيقول: إن لي ذنوباً ما أراها ههنا، قال: فلقد رأيت رسول الله ﷺ يضحك حتى بدت نواجذه» ثم تلا ﴿فأولئك﴾ الخ.

قال الزجاج: ليس أن السيئة بعينها تصير حسنة ولكن التأويل أن السيئة تمحى بالتوبة وتكتب الحسنة مع التوبة انتهى.

قال المولى الجامي ﴿فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ يعني في الحكم فإن الأعيان نفسها لا تتبدل ولكن تنقلب أحكامها انتهى كلامه في «شرح الفصوص».

وقال حضرة الشيخ صدر الدين القنوي قدس سره في «شرح الأربعين حديثاً» «الطاعات كلها مطهرات» فتارة بطريق المحو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤] وبقوله عليه السلام: «أتبع الحسنة تمحها» وتارة بطريق التبديل المشار إليه بقوله: ﴿إلا من تاب وآمن﴾ الخ فالمحو المذكور عبارة عن حقيقة العفو والتبديل من مقام المغفرة وإن تنبهت لما أشرت إليه عرفت الفرق بين العفو والمغفرة انتهى كلامه.

وفي «التأويلات النجمية» ﴿إلا من تاب﴾ عن عبادة الدنيا وهوى النفس ﴿وآمن﴾ بكرامات وكمالات اعدها الله لعباده الصالحين مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿وعمل عملاً صالحاً﴾ لتبليغه إلى تلك الكمالات وهو الإعراض عما سوى الله بجملته والإقبال على الله بكليته رجاء عواطف إحسانه كما قيل لبعضهم: كلي بكلك مشغول فقال: كلي لكلك مبذول ولعمري هذا هو الإكسير الأعظم الذي إن طرح ذرة منه على قدر الأرض من نحاس السيئات تبدلها إبريز الحسنات الخالصة كما قال تعالى إخباراً عن أهل هذا الإكسير. ﴿فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ كما يبدل الإكسير النحاس ذهباً انتهى.

يقول الفقير: لا شك عند أهل الله تعالى في انقلاب الأعيان واستحالتها ألا ترى إلى انحلال مزاج المادة الأصلية إلى غيرها في العالم الصناعي فإذا انحل المزاج واستحالت المادة إلى الصورة الهيولانية صلحت لأن يولد الحكيم منها إنسان الفلاسفة.

قال الإمام الجلدكي: الأرض تستحيل ماء والماء يستحيل هواء والهواء يستحيل ناراً وبالعكس النار تستحيل هواء والهواء ماء والماء يستحيل أرضاً والعناصر يستحيل بعضها إلى بعض مع أن كل عنصر من العناصر ممتزج من طبيعتين فاعلة ومنفعلة فهذا برهان واضح على انحلال المزاج إلى غيره في الأصول.

وأما في «الفصول» فإن الأرض تستحيل نباتاً والنبات يستحيل حيواناً فوقف الفاضل ابن سينا وقال: إن الحيوان لا يستحيل اللهم إلا أن يفسد إلى عناصره ويرجع إلى طبائعه فنقول: إن الأرض والماء إذا لم يفسدا في الصورة عن كيانهما لما استحالا نباتاً والنبات إذا لم يفسد

عن كيانه لما استحال حيواناً فكيف خفي عليه أن النبات والحيوان يفسدان بالطبخ ويصيران للإنسان غذاء وينحل مزاجهما إلى الكيموس الغذائي ويصيران في جوف الإنسان دماً ويستحيل الدم بالحركة الشوقية بين الذكر والأنثى فيصير منياً ثم جنيناً ثم إنساناً وكذلك جسد الإنسان بعد فساده يمكن أن يصير نباتاً ويستحيل إلى حيوانات شتى مثل الديدان وغيرها ويستحيل الجميع حتى العظام الرفات إلى أن تقبل التكوين إذا شربت ماء الحياة وإنما الأجزاء الجسدانية للإنسان محفوظة معلومة عند الله وإن استحالت من صفة إلى صفة وتبدلت من حالة إلى حالة وانحل مزاج كل منها إلى غيره إلا أن روحه وعقله ونفسه وذاته الباطنة باقية في برزخها. قال الحافظ:

دست ازمس وجود چرمردان ره بشوى تا كيمياى عشق بيابى وزر شوى

﴿وكان الله غفوراً﴾ ولذلك بدل السيئات حسنات ﴿رحيماً﴾ ولذلك أثاب على الحسنات.

﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾.

﴿ومن تاب﴾ أي رجع عن المعاصي مطلقاً بتركها بالكلية والندم عليها ﴿وعمل صالحاً﴾ يتدارك به ما فرط منه أو خرج عن المعاصي ودخل في الطاعات ﴿فإنه﴾ بما فعل ﴿يتوب إلى الله﴾ يرجع إليه تعالى بعد الموت.

قال الراغب: ذكر إلى يقتضى الإنابة. ﴿متاباً﴾ أي: متاباً عظيم الشأن مرضياً عنده ماحياً للعقاب محصلاً للثواب فلا يتحد الشرط والجزاء لأن في الجزاء معنى زائداً علىٰ ما في الشرط فإن الشرط هو التوبة بمعنى الرجوع عن المعاصي والجزاء هو الرجوع إلى الله رجوعاً مرضياً.

قال الراغب: متاباً أي التوبة التامة وهو الجمع بين ترك القبيح وتحري الجميل اهـ وهذا تعميم بعد التخصيص لأن متعلق التوبة في الآية الأولى الشرك والقتل والزنى فقط وههنا مطلق المعاصي.

والتوبة في الشرع ترك الذنب لقبحه والندم على ما فرط منه والعزيمة على ترك المعاودة وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الإعادة فمتى اجتمع هذه الأربع فقد كمل شرائط التوبة. قال المولى الجامي:

باخلق لاف توبه ودل بركنه مصر كس پى نمى بردكه بدين كونه كمرهم

قال ابن عطاء: التوبة الرجوع من كل خلق مذموم والدخول في كل خلق محمود أي وهي توبة الخواص.

وقال بعضهم: التوبة أن يتوب من كل شيء سوى الله تعالى أي وهي توبة الأخص فعليك بالتوبة والاستغفار فإنها صابون الأوزار وفي الحديث القدسي: «أنين المذنبين أحب إليّ من زجل المسبحين» أي: من أصواتهم بالتسبيح والإصرار يؤدي إلى الشرك والموت على غير الملة الإسلامية.

قال أبو إسحاق: رأيت رجلاً نصف وجهه مغطى فسألته فقال: كنت نباشاً فنبشت ليلة قبر امرأة فلطمتني وعلى وجهه أثر الأصابع فكتبت ذلك إلى الأوزاعي فكتب إليّ أن أسأله كيف وجد أهل القبور فسألته فقال: وجدت أكثرهم متحولاً عن القبلة فقال الأوزاعي: هو الذي مات

على غير الملة الإسلامية أي بسب الإصرار المؤدي إلى الكفر والعياذ بالله تعالى. وذكر في أصول الفقه أن ارتكاب المنهي أشد ذنباً من ترك المأمور ومع ذلك صار إبليس مردوداً. وفي «المثنوي»:

توبه را از جانب مغرب درى بازباشد تاقيامت بردرى
تا ز مغرب برزند سر آفتاب باز باشد آن درازوى رومتاب
هشت جنت را زرحمت هشت در كه در توبه است زان هشت أي پسر
آن همه كه باز باشد كه فراز وإن درتوبه نباشد جزكه باز
هين غنيمت دار دربازست زود رخت آنجا كش بكورىء حسود

نسأل الله تعالى توبة نصوحاً ومن آثار رحمته فيضاً ونوالاً وفتوحاً.

﴿والذين لا يشهدون الزور﴾ من الشهادة وهي الإخبار بصحة الشيء عن مشاهدة وعيان. والزور الكذب وأصله تمويه الباطل بما يوهم أنه حق.

وقال الراغب: الأزور المائل الزور أي الصدر وقيل للكذب زوْر لكونه مائلاً عن جهته وانتصابه على المصدرية والأصل لا يشهدون شهادة الزور بإضافة العام إلى الخاص فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. والمعنى لا يقيمون الشهادة الكاذبة. وبالفارسية [كواهى دروغ ندهند].

واختلف الأئمة في عقوبة شاهد الزور.

فقال أبو حنيفة رحمه الله: لا يعزر بل يوقف في قومه ويقال لهم: إنه شاهد زور.

وقال الثلاثة: يعزر ويوقف في قومه ويعرفون أنه شاهد زور.

وقال مالك: يشهر في الجوامع والأسواق والمجامع.

وقال أحمد: يطاف به في المواضع التي يشتهر فيها فيقال: إنا وجدنا هذا شاهد زور فاجتنبوه.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجلد شاهد الزور أربعين جلدة ويسخم وجهه ويطوف في الأسواق كما في «كشف الأسرار».

قال ابن عطاء رحمه الله: هي شهادة اللسان من غير مشاهدة القلب ويجوز أن يكون يشهدون من الشهود وهو الحضور وانتصاب الزور على المفعول به والأصل لا يشهدون مجالس الزور فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. والمعنى لا يحضرون محاضر الكذب ومجالس الفحش فإن مشاهدة الباطل مشاركة فيه من حيث أنها دليل الرضى به كما إذا جالس شارب الخمر بغير ضرورة فإنه شريك في الإثم.

وأما الملامية وهم الذين لا يظهرون خيراً ولا يضمرون شراً لانفراد قلوبهم مع الله يمشون في الأسواق ويتكلمون مع الناس بكلام العامة ويحضرون بعض مواضع الشرور لمشاهدة القضاء والقدر حتى يوافقوا الناس في الشر فهم في الحقيقة عباد الرحمن وهم المرادون بقوله عليه السلام: «أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري»: قال الحافظ:

مكن بنامه سياهى ملامت من مست كه آكهست كه تقدير برسرش چه نوشت

وقال الخجندي:

برخيز كمال از سرنا موس كه رندان كردند اقامت بسر كوى ملامت

وقال بعضهم: المراد بالزور أعياد المشركين واليهود والنصارى [يا بازيكاه ايشان] كما في «تفسير الكاشفي».

قال في «ترجمة الفتوحات»: [نبايد كه أهل ذمت ترابشرك خود فريب دهندكه نزد حق تعالى هلاك تو در آنست شيخ أكبر قدس سره الاطهر ميفر ما يدكه در دمشق اين معنى مشاهده كردم كه زنان ومردان بانصارى مسامحت ميكنند وصغار واطفال خودرا بكنايس مى برند وازآب معموديه برسبيل تبرك برايشان مى افشا نند واينها قرين كفراست يا خود نفس كفراست وآنرا هيج مسلماني نپسندد] وفي «قاضي خان»: رجل اشترى يوم النيروز شيئاً لم يشتره في غير ذلك اليوم إن أراد به تعظيم ذلك اليوم كما عظمه الكفرة يكون كفراً وإن فعل ذلك لأجل الشرب والتنعم يوم النيروز لا يكون كفراً انتهى والمراد نيروز النصارى لا نيروز العجم كما هو الظاهر من كلامه.

وقال بعضهم: يدخل في مجلس الزور اللعب واللهو والكذب والنوح والغناء بالباطل.

روي: عن محمد بن المنكدر قال: بلغني أن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين الذين كانوا ينزهون أنفسهم وأسماعهم عن اللهو ومزامير الشيطان؟ أدخلوهم رياض المسك ثم يقول للملائكة: أسمعوا عبادي تحميدي وثنائي وتمجيدي وأخبروهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون كذا في «كشف الأسرار».

ومن سنن الصوم أن يصوم الصائم لسانه عن الكذب والغيبة وفضول الكلام والسب والنميمة والمزاح والمدح والغناء والشعر والمراد بالغناء التغني بالباطل وهو الذي يحرك من القلب ما هو مراد الشيطان من الشهوة ومحبة المخلوقين وأما ما يحرك الشوق إلى الله فمن التغني بالحق كما في «الإحياء».

واختلف في القراءة بالألحان فكرهها مالك والجمهور لخروجها عما جاء القرآن له من الخشوع والتفهم ولذا قال في «قاضي خان»: لا ينبغي أن يقدم في التروايح «الخوشخوان» بل يقدم «الدرستخوان» فإن الإمام إذا كان حسن الصوت يشغل عن الخشوع والتدبير والتفكر انتهى.

وأباحها أبو حنيفة وجماعة من السلف للأحاديث لأن ذلك سبب للرقة وإثارة الخشية كما في «فتح القريب».

قال في «أصول الحديث»: إذا جلس الشيخ من أهل الحديث مجلس التحديث يفتتح بعد قراءة قارىء حسن الصوت شيئاً من القرآن انتهى وإنما استحب تحسين الصوت بالقراءة وتزيينها ما لم يخرج عن حد القراءة بالتمطيط فإن أفرط زاد حرفاً أو أخفى حرفاً فهو حرام كما في «أبكار الأفكار». قال الشيخ سعدي.

به ازروى زيباست أواز خوش   كه اين حظ نفست وآن قوت روح

ورأى عليه السلام ليلة المعراج ملكاً لم ير قبله مثله وكان إذا سبح اهتز العرش لحسن صوته وكان بين يديه صندوقان عظيمان من نور فيهما براءة الصائمين من عذاب النار وتفصيله في «مجالس النفائس» لحضرة الهدائي قدس سره.

وقال سهل قدس سره: المراد بالزور مجالس المبتدعين.

قال أبو عثمان قدس سره: مجالس المدعين وكذا كل مشهد ليس لك فيه زيادة في دينك

بل تنزل وفساد ﴿وإذا مروا﴾ على طريق الاتفاق ﴿باللغو﴾ أي ما يجب أن يلغى ويطرح مما لا خير فيه. وبالفارسية [بچيزى ناپسنديده] وقال في «فتح الرحمن»: يشمل المعاصي كلها وكل سقط من فعل أو قول.

وقال الراغب: اللغو من الكلام ما لا يعتد به هو يعد ذلاقة روية وفكر فيجري مجرى اللغا وهو صوت العصافير ونحوها من الطيور. ﴿مروا﴾ حال كونهم ﴿كراماً﴾ جمع كريم يقال: تكرم فلان عما يشينه إذا تنزه وأكرم نفسه عنه.

قال الراغب: الكرم إذا وصف الله به فهو اسم لإحسانه وإنعامه المتظاهر وإذا وصف به الإنسان فهو اسم للأخلاق والأفعال المحمودة التي تظهر منه ولا يقال: هو كريم حتى يظهر ذلك منه.

والمعنى معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الإغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن الصريح به.

قال في «كشف الأسرار»: قيل: إذا أرادوا ذكر النكاح وذكر الفروج كنوا عنه فالكرم ههنا هو الكناية والتعريض وقوله عز وجل: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ﴾ [المائدة: ٧٥] كناية عن البول والخلاء وقد كنى الله عز وجل في القرآن عن الجماع بلفظ الغشيان والنكاح والسر والإتيان والإفضاء واللمس والمس والدخول والمباشرة والمقاربة في قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٢] والطمث في قوله: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ [الرحمن: ٥٦] وهذا باب واسع في العربية.

قال الإمام الغزالي: أما حد الفحش وحقيقته فهو التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة وأكثر ذلك يجري في ألفاظ الوقاع وما يتعلق به وأهل الصلاح يتحاشون من التعرض لها بل يكنون عنها ويدلون عليها بالرموز وبذكر ما يقاربها ويتعلق بها مثلاً يكنون عن الجماع بالمس والدخول والصحبة وعن التبول بقضاء الحاجة وأيضاً لا يقولون: قالت زوجتك كذا بل يقال: قيل في الحجرة أو قيل من وراء السترة أو قالت أم الأولاد كذا وأيضاً يقال لمن به عيب يستحيي منة كالبرحة والقرع والبواسير العارض الذي يشكوه وما يجري مجراه وبالجملة كل ما يخفى ويستحى منه فلا ينبغي أن يذكر ألفاظه الصريحة فإنه فحش والفاحش يحشر يوم القيامة في صورة الكلب.

قال الشيخ سعدي: [ريشي اندرون جامة داشتم حضرت شيح قدس سره هرروز پرسيدي كه ريشت چونست ونپرسيدي كه كجاست دانستم كه أزان احتراز ميكند كه ذكر هر عضوى روانباشد وخرد مندان كفته اند هركه سخن نسنجد ازجوابش برنجد].

تانيك نداني كه سخن عين صوابست بايدكه بكفتن دهن ازهم نكشايي

كرارست سخن كوبي ودربند بماني به زانكه دروغت دهد ازبند رهابي

والمراد أن الصدق أولى وإن لزم الضرر على نفس القائل وأما جواز الكذب فإنما هو لتخليص الغير ودفع الفتنة بين الناس وهو المراد من قوله: [دروغ مصلحت آميزبه ازراست فتنه انكيز] نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الصادقين المخلصين بل من الصديقين المخلصين ويحشرنا مع الكرماء الحلماء والعلماء الأدباء إنه الموفق للأقوال الحسنة والأفعال المستحسنة.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾

﴿**والذين إذا ذكروا**﴾ وعصوا. وبالفارسية [پندداده شوند] ﴿**بآيات ربهم**﴾ المشتملة على المواعظ والأحكام ﴿**لم يخروا عليها**﴾ خرّ سقط سقوطاً يسمع منه خرير والخرير يقال لصوت الماء والريح وغير ذلك مما يسقط من علو ﴿**صماً**﴾ جمع أصم وهو فاقد حاسة السمع وبه يشبه من لا يصغي إلى الحق ولا يقبله. ﴿**وعمياناً**﴾ جمع أعمى وهو فاقد حاسة البصر.

والمعنى لم يقفوا على الآيات حال كونهم صماً لم يسمعوا لها وعمياً لم يبصروها بل أكبوا عليها سامعين بآذان واعية مبصرين بعيون راعية وانتفعوا بها.

قال الكاشفي: [بكوش هوش شنيدند وبديدة بصريت جلوات جمال آنرا ديدند حاصلي آنكه از آيات إلهي تغافل نورزيدند] انتهى وإنما عبر عن المعنى المذكور بنفي الضد تعريضاً لما يفعله الكفرة والمنافقون فالمراد من النفي نفي الصمم والعمى دون الخرور وإن دخلت الأداة عليه ﴿**والذين يقولون ربنا**﴾ [أي پرورود كارما] ﴿**هب لنا**﴾ [ببخش مارا] وهو أمر من وهب يهب وهباً وهبة. والهبة أن تجعل ملكك لغيرك بغير عوض ويوصف الله بالواهب والوهاب بمعنى أنه يعطي كلاً على قدر استحقاقه. ﴿**من أزواجنا**﴾ [از زنان ما] وهو جمع زوج يقال لكل ما يقترن بآخر مماثلاً له أو مضاداً زوج وأما زوجة فلغة رديئة كما في «المفردات». ﴿**وذرياتنا**﴾ [وفرزندان ما] وهو جمع ذرية أصلها صغار الأولاد ثم صار عرفاً في الكبار أيضاً.

قال في «القاموس»: ذرأ الشيء كثره ومنه الذرية مثلثة لنسل الثقلين. ﴿**قرة أعين**﴾ [كسى كه روشنىء ديدها بود] أي بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فإن المؤمن إذا ساعده أهله في طاعة الله يسر بهم قلبه وتقربهم عينه لما يرى من مساعدتهم له في الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة حسبما وعد بقوله: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١] فالمراد بالقرور المسؤول تفضيلهم بالفضائل الدينية لا بالمال والجاه والجمال ونحوها. وقرة منصوب على أنه مفعول هب وهي إما من القرار ومعناه أن يصادف قلبه من يرضاه فتقر عينه عن النظر إلى غيره ولا تطمح إلى ما فوقه وإما من القر بالضم وهو البرد والعرب تتأذى من الحر وتستريح إلى البرد فقرور العين على هذا يكون كناية عن الفرح والسرور فإن دمع العين عند السرور بارد وعند الحزن حار. ومن إما ابتدائية على معنى هب لنا من جهتهم ما تقرّ به عيوننا من طاعة وصلاح، أو بيانية على أنها حال كأنه قيل: هب لنا قرة أعين ثم فسرت القرة وبينت بقوله: ﴿**من أزواجنا وذرياتنا**﴾ ومعناه أن يجعلهم الله لهم قرة أعين وهو من قولهم رأيت منك أسداً أي أنت أسد قال بعضهم:

نعم الإله على العباد كثيرة وأجلهن نجابة الأولاد

قال الشيخ سعدي قدس سره:

زن خوب فرمان بر پارسا كند مرد درويش را پادشا
جومستور باشد زن خوب روى بديدا روى دربهشت است شوى

﴿**واجعلنا للمتقين إماماً**﴾ الإمام المؤتم به إنساناً كان يقتدى بقوله وفعله أو كتاباً أو غير ذلك محقاً كان أو مبطلاً كما في «المفردات» أي: اجعلنا بحيث يقتدي بنا أهل التقوى في إقامة مراسم الدين بإفاضة العلم والتوفيق للعمل.

وفي «الإرشاد»: والظاهر صدوره عنهم بطريق الانفراد وإن عبارة كل واحد منهم عند الدعاء واجعلني للمتقين إماماً ما خلا أنه حكيت عبارات الكل بصيغة المتكلم مع الغير للقصد إلى الإيجاز على طريقة قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [المؤمنون: ٥١] وأبقى إماماً على حاله ولم يقل أئمة وإعادة الموصول في المواضع السبعة مع كفاية ذكر الصلاة بطريق العطف على صلة الموصول الأول للإيذان بأن كل واحد مما ذكر في حيز صلة الموصولات المذكورة وصف جليل على حدته له شأن خطير حقيق بأن يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل شيء من ذلك تتمة لذلك وتوسط العاطف بين الصفة والموصوف لتنزيل الاختلاف العنواني منزلة الاختلاف الذاتي.

قال القفال وجماعة من المفسرين: هذه الآية دليل على أن طلب الرياسة في الدين واجب.

وعن عروة: أنه كان يدعو بأن يجعله الله ممن يحمل عنه العلم فاستجيب دعاؤه.

وأما الرياسة في الدنيا: فالسنة أن لا يتقلد الرجل شيئاً من القضاء والإمارة والفتوى والعرافة بانقياد قلب وارتضائه إلا أن يكره عليه بالوعيد الشديد وقد كان لم يقبلها الأوائل فكيف الأواخر.

بو حنيفة قضا نكرد وبمرد تو بميري اكر قضا نكني

يقول الفقير: إن قلت: قول الشيخ أبي مدين قدس سره آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الجاه قد يفسر فيه الخروج بالظهور فما معناه؟ قلت: إن الصديقين لما استكملوا مرتبة الاسم الباطن أحبوا أن يظهروا بمرتبة الاسم الظاهر ليكون لهم حصة من كمالات الأسماء الإلهية كلها وهذا المعنى لا يقتضي التقلد المعروف كأبناء الدنيا بل يكفي أن تنتظم بهم مصالح الدنيا بأي وجه كان، ولقد شاهدت من هذا أن شيخي الأجل الأكمل قدس سره رأى في بعض مكاشفاته أنه سيصير سلطاناً فلم يمض إلا قليل حتى استولى البغاة على القسطنطينية وحاصروا السلطان ومن يليه فلم تندفع الفتنة العامة إلا بتدبير حضرة الشيخ حيث دبر تدبيراً بليغاً كوشف عنه فاستأصل الله البغاة وأعتق السلطان والمؤمنين جميعاً فمثل هذا هو الظهور بالاسم الظاهر وتمامه في كتابنا المسمى بتام الفيض هذا.

قال في «كشف الأسرار»: [جابر بن عبد الله كفت پيش أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حاضر بودم كه مردى بنزودوى آمد وپرسيدكه يا أمير المؤمنين. ﴿**وعباد الرحمن**﴾ الخ نزول اين آيت درشان كيست وإيشان چه قوم اندكه رب العالمين ايشانرا نامزد كرد جابر كفت علي رضي الله عنه آن ساعت روى بامن كرد وكفت يا جابر تدري من هؤلاء هيج داني كه إيشان كه اند واين آيت كجافر وآمد كفتم يا أمير المؤمنين نزلت بالمدينة بمدينة فرو آمد اين آيت كفت نه يا جابركه أين آيت بمكه فرو آمد يا جابر. ﴿**الذين يمشون على الأرض هوناً**﴾ أبو بكر بن أبي قحافة أست اورا حليم قريش مكيفتند بدوكاركه رب العزة أورا بعز إسلام كرامي كرد أورا ديدم در مسجد مكه ازهوش برفته ازپس كه كفار بني مخزوم وبني أمية أورا زده بودند وبنو تيم أزبهر أو خصومت كردند بابني مخزوم أورا بخانه بردند همجنان ازهوش برفته چون باهوش آمد مادر خودرا ديد بربالين وي نشسته كفت يا أمه أين محمد محمد كجاست وكاروي بچه رسيد پدرش بوقحافة كفت] وما سؤالك عنه ولقد أصابك من

أجله ما لا يصيب أحداً لأجل أحد [أي پسرچه جاي آنست كه توزحال محمد پرسي ودل بوي چنين مشغول داري نمى بيني كه برتوچه ميرود ازبهروي أي پسر نمى بيني بنو تيم كه بتعصب توبر خاستند وميكويند اكر توازدين محمد باز كردي وبدين پدران خويش بازآيي ماثارتواز بني مخزوم طلب داريم وايشانرا بپيچانيم ودمار آريم تاتشفىء توبديد كنيم أبو بكر سخت حليم بودروبر دبار ومتواضع سربر داشت وكفت «اللهم اهد بني مخزوم فإنهم لا يعلمون يأمرونني بالرجوع عن الحق إلى الباطل» رب العزة أورا بستود در آن حلم ووقار وسخنان آزاد واوردر حق وي كفت ﴿الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾ يا جابر ﴿والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً﴾ سالم أست مولى أبو حذيفة كه همه شب درقيام بودي متعبد ومتهجد ﴿والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم﴾ أبو ذر غفاريست كه پيوسته بابكاو حزن بودي أزبيم دوزخ واز آتش قطيعت تا رسول خدا أورا كفت «يا أبا ذر هذا جبريل يخبرني أن الله تعالى أجارك من النار» ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا﴾ الخ أبو عبيدة است أنفق ماله على نفسه وعلى أقربائه فرضي الله فعله ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر﴾ الخ علي بن أبي طالب است كه هر كزبت نپرستيد وهركز زنانكرد وقتل بي حق نكرد ﴿والذين لا يشهدون الزور﴾ سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل درعى بفروخت پس پشيمان شد سعيدرا كفت تو دعوى كن كه آن درع جد مرابود عمرو بن نفيل وخطاب را دران حقي نه تاترا رشوتي دهم سعيد كفت مرا برشوت تو حاجتي نيست ودروغ كفتن كار من نيست فرضى الله فعله ﴿والذين إذا ذكروا﴾ الخ سعيد بن أبي وقاص است. ﴿والذين يقولون ربنا﴾ الخ عمر بن الخطاب است إيشانرا جملة بدين صفات ستوده وأخلاق پسنديده كه نتايج أخلاق مصطفا ست يا دكرد آنكه فت].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٧٦﴾﴾.

﴿أولئك﴾ المتصفون بما فصل في حيز صلة الموصولات الثمانية من حيث اتصافهم به والمستجمون لهذه الخصال وهو مبتدأ خبره قوله تعالى: ﴿يجزون الغرفة﴾ الجزاء الغناء والكفاية والجزاء ما فيه الكفاية من المقابلة إن خيراً فخير وإن شراً فشر. والغرف رفع الشيء أو تناوله يقال غرفت الماء والمرق والغرفة الدرجة العالية من المنازل لكل بناء مرتفع عال أي يثابون أعلى منازل الجنة وهي اسم جنس أريد به الجمع كقوله تعالى: ﴿وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبا: ٣٧] ودر فصول عبد الوهاب [كوشكهاست برپجهار قائمة نهاده از سيم وزر ولؤلؤ ومرجان] ﴿بما صبروا﴾ ما مصدرية ولم يقيد الصبر بالمتعلق بل أطلق ليشيع في كل مصبور عليه. والمعنى بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات ومن ذلك الوصم قال عليه السلام: «الصوم نصف الصبر والصبر نصف الإيمان» أي: فيكون الصوم ربع الإيمان وهو أي الصوم قهر لعدو الله فإن وسيلة الشيطان الشهوات وإنما تقوى الشهوات بالأكل والشرب ولذلك قال عليه السلام: «إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع».

جوع باشد غداي أهل صفا ... محنت وابتلاي أهل هوا
جوع تنوير خانهٔ دل تست ... أكل تعمير خانهٔ كل تست
خانهٔ دل كذا شتى بي نور ... خانهٔ كل چه ميكنى معمور

وفي الحديث: «إن في الجنة لغرفاً مبنية في الهواء لا علاقة من فوقها ولا عماد لها من تحتها لا يأتيها أهلها إلا شبه الطير لا ينالها إلا أهل البلاء» أي: الصابرون منهم.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿أولئك يجزون الغرفة﴾ من مقام العندية في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴿بما صبروا﴾.

في البداية على أداء الأوامر وترك النواهي وفي الوسط على تبديل الأخلاق الذميمة بالأخلاق الحميدة وفي النهاية على إفناء الوجود الإنساني في الوجود الرباني انتهى.

والصبر ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله لا إلى الله.

قال بعض الكبار: من أدب العارف بالله تعالى إذا أصابه ألم أن يرجع إلى الله تعالى بالشكوى رجوع أيوب عليه السلام أدباً مع الله وإظهاراً للعجز حتى لا يقاوم القهر الإلهي كما يفعله أهل الجهل بالله ويظنون أنهم أهل تسليم وتفويض وعدم اعتراف فجمعوا بين جهالتين ﴿ويلقون فيها﴾ أي في الغرفة من جهة الملائكة ﴿تحية﴾ [التلقية: چيزى پيش كسى را آوردن] يعدى إلى المفعول الثاني بالباء وبنفسه كما في «تاج المصادر» يقال: لقيته كذا وبكذا إذا استقبلته به كما في «المفردات». والمعنى يستقبلون فيها بالتحية ﴿وسلاماً﴾ أي: وبالسلام تحييهم الملائكة ويدعون لهم بطول الحياة والسلامة من الآفات فإن التحية هي الدعاء بالتعمير والسلام هو الدعاء بالسلامة.

قال في «المفردات»: التحية أن يقال: حياك الله أي جعل لك حياة وذلك إخبار ثم يجعل دعاء ويقال حيّا فلان فلاناً تحية إذا قال له ذلك وأصل التحية من الحياة ثم جعل كل دعاء تحية لكون جميعه غير خارج عن حصول حياة أو سبب حياة إما لدنيا وإما لآخرة ومنه التحيات لله والسلام والسلامة التعري عن الآفات الظاهرة والباطنة وليست السلامة الحقيقية إلا في الجنة لأن فيها بقاء بلا فناء وغنى بلا فقر وعزا بلا ذل وصحة بلا سقم.

قال بعضهم: الفرق أن السلام سلامة العارفين في الوصال عن الفرقة والتحية روح تجلي حياة الحق الأزلي على أرواحهم وأشباحهم فيحيون حياة أبدية.

وقال بعضهم: ويلقون فيها تحية يحيون بها بحياة الله وسلاماً يسلمون به من الاستهلاك الكلي كما استحفظ إبراهيم عليه السلام من آفة البرد بالسلام بقوله تعالى: ﴿كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

سلامت من دلخسته درسلام توباشد زهى سعادت أكردولت سلام تويابم

﴿خالدين فيها﴾ حال من فاعل يجزون أي حال كونهم لا يموتون ولا يخرجون من الغرفة. ﴿حسنت﴾ الغرفة ﴿مستقراً ومقاماً﴾ من جهة كونها موضع قرار وإقامة وهو مقابل ساءت مستقراً معنى ومثله إعراباً.

فعلى العاقل أن يتهيأ لمثل هذه الغرفة العالية الحسنة بما سبق من الأعمال الفاضلة المستحسنة ولا يقع في مجرد الأماني والآمال فإن الأمنية كالموت بلا أشكال.

وبقدر الكدّ والتعب تكتسب المعالي ومن طلب العلى جد في الأيام والليالي

قال بعض الكبار: من أراد أن يعرف بعض محبة الحق أو محبته له فلينظر إلى حاله الذي هو عليه من اتباع رسول الله ﷺ وأصحابه والأئمة المجتهدين بعده فإن وجد نفسه على هداهم وأخلاقهم من الزهد والورع وقيام الليل على الدوام وفعل جميع المأمورات الشرعية وترك

جميع المنهيات حتى صار يفرح بالبلايا والمحن وضيق العيش وينشرح لتحويل الدنيا ومناصبها وشهواتها عنه فليعلم أن الله يحبه وإلا فليحكم بأن الله يبغضه والإنسان على نفسه بصيرة. وفي الإكثار من النوافل توطئة لمحبة الله تعالى قال عليه السلام حاكياً عن الله تعالى: «ما تقرب المتقربون إليّ بمثل أداء ما فرضت عليهم ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه» ومن آثار محبته تعالى لعبده المطيع له إعطاء الغرفة العالية له في الجنة لعلو قدره ومنزلته عنده وإذا وقع التجلي الإلهي يكونون جلوساً على مراتبهم فالأنبياء على المنابر والأولياء على الأسرة والعلماء بالله على الكراسي والمؤمنون المقلدون في توحيدهم على مراتب وذلك الجلوس كله يكون في جنة عدن عند الكثيب الأبيض وأما من كان موحداً من طريق النظر في الأدلة فيكون جالساً على الأرض وإنما نزل هذا عن الرتبة التي للمقلد في التوحيد لأنه تطرقه الشبه من تعارض الأدلة والمقالات في الله وصفاته فمن كان تقليده للشارع جزماً فهو أوثق إيماناً ممن يأخذ توحيده من النظر في الأدلة ويؤولها.

واعلم أن الله تعالى إنما ذكر الغرفة في الحقيقة لأجل الطامعين الراغبين فيها وأما خواص عباده فليس لهم طمع في شيء سوى الله تعالى فلهم فوق الغرفة ونعيمها نعيم آخر تشير إليه التحية والسلام على تقدير أن يكونا من الله تعالى إذ لا يلتذ العاشق بشيء فوق ما يلتذ بمطالعة جمال معشوقه وسماع كلامه وخطابه ـ حكي أنه كان لبعضهم جار نصراني فقال له: أسلم على أن أضمن لك الجنة فقال النصراني: الجنة مخلوقة لا خطر لها ثم ذكر له الحور والقصور فقال: أريد أفضل من هذا.

صحبت حور نخواهم كه بود عين قصور

فقال: أسلم على أن أضمن لك رؤية الله تعالى فقال: الآن وجدت ليس شيء أفضل من رؤية الله فأسلم ثم مات فرآه في المنام على مركب في الجنة فقال له: أنت فلان قال: نعم قال: ما فعل الله بك قال: لما خرج روحي ذهب به إلى العرش فقال الله تعالى: آمنت بي شوقاً إلى لقائي فلك الرضى والبقاء.

﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴿٧٧﴾﴾

﴿**قل**﴾ يا محمد للناس كافة ﴿**ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم**﴾ هذا بيان لحال المؤمنين منهم وما استفهامية محلها النصب على المصدر أو نافية وما يعبأ ما يبالي ولا يعتد كما في «القاموس» ما أعبأ بفلان ما أبالي وجواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه ودعاؤكم مبتدأ خبره موجود أو واقع وهو مصدر مضاف إلى الفاعل بمعنى العبادة كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨] ونظائره والمعنى على الاستفهامية أي عبء واعتبار يعتبركم ربي ويبالي ويعتني بشأنكم لولا عبادتكم وطاعتكم له تعالى فإن شرف الإنسان وكرامته بالمعرفة والطاعة وإلا فهو وسائر الحيوانات سواء.

وقال الزجاج: أي وزن ومقدار يكون لكم عند الله تعالى لولا عبادتكم له تعالى وذلك أن أصل العبء بالكسر والفتح بمعنى الثقل والحمل من أي شيء كان فمعنى ما أعبأ به في الحقيقة ما أرى له وزناً وقدراً وإليه جنح الإمام الراغب في الآية هذا وفي الآية معانٍ أخر والأظهر عند المحققين ما ذكرناه. ﴿**فقد كذبتم**﴾ بيان لحال الكفرة من الناس أي فقد كذبتم أيها الكفرة بما

أخبرتكم به حيث خالفتموه وخرجتم عن أن يكون لكم عن الله اعتناء بشأنكم واعتبار أو وزن ومقدار ﴿فسوف يكون لزاماً﴾ مصدر كالقتال أقيم مقام الفاعل كما يقام العدل في مقام العادل أي يكون جزاء التكذيب أو أثره وهو الأفعال المتفرعة عليه لازماً يحيق بكم لا محالة حتى يكبكم في النار أي يصرعكم على وجوهكم كما يعرب عنه الفاء الدالة على لزوم ما بعدها لما قبلها وإنما أضمر من غير ذكر للإيذان بغاية ظهوره وتهويل أمره للتنبيه على أنه مما لا يكتنهه الوصف والبيان.

وعن بعضهم أن المراد بالجزاء جزاء الدنيا وهو ما وقع يوم بدر قتل منهم وأسر سبعون ثم اتصل به عذاب الآخرة لازماً لهم. قال الشيخ سعدي قدس سره.

رطب ناورد چوب خر زهره بار   چه تخم افكنى برهمان چشم دار

واعلم أن الكفار أبطلوا الاستعداد الفطري وأفسدوا القوى بالإهمال فكان حالهم كحال النوى فإنه محال أن ينبت منه الإنسان تفاحاً فأصل الخلق والقوة لا يتغير ألبتة ولكن كما أن في النوى إمكان أن يخرج ما في قوته إلى الوجود وهو النخل بالتفقد والتربية وأن يفسد بالإهمال والترك، فكذا في الإنسان إمكان إصلاح القوة وإفسادها ولولا ذلك لبطل فائدة المواعظ والوصايا والوعد والوعيد والأمر والنهي ولا يجوز العقل أن يقال للعبد لم فعلت ولم تركت وكيف يكون هذا في الإنسان ممتنعاً وقد وجدناه في بعض البهائم ممكناً فالوحشي قد ينتقل بالعادة إلى التأنس والجامح إلى السلاسة فالتوحيد والتصديق والطاعة أمر ممكن من الإنسان بإزالة الشرك والتكذيب والعصيان وقد خلق لأجلها كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في الآية: قل ما يعبأ بخلقكم ربي لولا عبادتكم وطاعتكم إياه. يعني أنه خلقكم لعبادته كما قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝﴾ [الذاريات: ٥٦] فالحكمة الإلهية والمصلحة الربانية من الخلق هي الطاعة وأفعال الله تعالى وإن لم تكن معللة بالأغراض عند الأشاعرة لكنها مستتبعة لغايات جليلة.

قال الإمام الراغب: الإنسان في هذه الدار الدنيا كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: الناس سفر والدار دار ممرّ لا دار مقر وبطن أمه مبدأ سفره والآخرة مقصده وزمان حياته مقدار مسافته وسنوه منازله وشهوره فراسخه وأيامه أمياله وأنفاسه خطاه ويسار به سير السفينة براكبها كما قال الشاعر.

رأيت أخا الدنيا وإن كان ثاوياً   أخا سفر يسري به وهو لا يدري

وقد دعى إلى دار السلام لكن لما كان الطريق إليها مشكلة مظلمة جعل الله لنا من العقل الذي ركبه فينا وكتبه التي أنزلها علينا نوراً هادياً ومن عبادته التي كتبها علينا وأمرنا بها حصناً واقياً فمن قال هذه الطاعات جعلها الله عذاباً علينا من غير تأويل كفر فإن أوّل مراده بالتعب لا يكفر ولو قال: لو لم يفرض الله تعالى كان خيراً لنا بلا تأويل كفر لأن الخير فيما اختاره الله إلا أن يؤول ويريد بالخير الأهون والأسهل نسأل الله أن يسهلها علينا في الباطن والظاهر والأول والآخر.

تمت سورة الفرقان في سادس شهر رمضان المبارك

يوم السبت من سنة ثمان ومائة وألف

٢٦ ـ تفسير سورة الشعراء

مكية وهي مائتان وسبع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾﴾.

﴿طسم﴾ الحروف المقطعة في أوائل السور يجمعها قولك: (سرّ حصين قطع كلامه) وأولى ما قال أهل التفسير في حق هذه الحروف الله أعلم بمراده لأنها من الأسرار الغامضة كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «إن لكل كتاب سراً وسر القرآن في المقطعات» كما في «رياض الأذكار» والمعاني المتعلقة بالأسرار والحقائق لا يعلمها إلا الله ومن أطلعه الله عليها من الراسخين في العلم وهم العلماء بالله فلا معنى للبحث عن مرتبة ليس للسان حظ منها ولا للقلم نصيب وأما اللوازم التي تشير إلى الحقائق فلبيانها مساغ فإنها دون الحقائق وفي مرتبة الفهم وإلى الأول يشير قول ابن عباس رضي الله عنهما في ﴿طسم﴾ عجزت العلماء عن تفسيرها كما في «فتح الرحمن» وإلى الثاني يشير ما في «كشف الأسرار» حيث قال بالفارسية: [روايت كنند از علي رضي الله عنه كه كفته آنكه كه. ﴿طسم﴾ از آسمان فرود آمد رسول خدا عليه السلام كفت «طاء» طور سيناست و«سين» سكندريه «وميم» مكة معنى آنست والله أعلم كه رب العزة سوكند يا دكرد باين بقاع شريف چنانكه] لا أقسم بهذا البلد. أما جبل طور سينا الذي بين الشام ومدين فهو محل مناجاة موسى عليه السلام وكلامه مع الله تعالى ومقام التجلي كما قال: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣] وهذا الجبل إذا كسرت حجارته يخرج من وسطها صورة شجر العوسج على الدوام وتعظيم اليهود لشجرة العوسج لهذا المعنى ويقال لشجرة العوسج شجرة اليهود. وأما الإسكندرية فهي آخر مدن المغرب ليس في معمور الأرض مثلها ولا في أقاصي الدنيا كشكلها وعدت مساجدها فكانت عشرين ألف مسجد نقل أن المدينة كانت سبع قصبات متوالية وإنما أكلها البحر ولم يبق منها إلا قصبة واحدة وهي المدينة الآن وصار منار المرآة الإسكندرية في البحر لغلبة الماء على قصبة المنار.

وقصة المرآة أنه كان في أعلى المنار الذي ارتفاعه ثلاثمائة ذراع إلى القبة مرآة غريبة قد عملها الحكماء للإسكندر يرى فيها المراكب من مسيرة شهر وكان بالمرآة أعمال وحركات تحرق المراكب في البحر إذا كان فيها عدو بقوة شعاعها فأرسل صاحب الروم يخدع صاحب مصر ويقول: إن الإسكندر قد كنز على المنار كنزاً عظيماً من الجواهر النفيسة فإن صدقت فبادر إلى إخراجها ولك أيضاً من الكنز ما تشاء فانخدع لذلك وظنه حقاً فهدم القبة فلم يجد

شيئاً وفسد طلسم المرآة. وأما مكة المشرفة المكرمة فهي مدينة قديمة غنية عن البيان وفيها كعبة الإسلام وقبلة المؤمنين والحج إليها أحد أركان الدين.

ويقال: الطاء طوله أي قدرته. والسين سناؤه أي رفعته. والميم ملكه ومجده فأقسم الله بهذه.

ويقال: يشير إلى طاء طيران الطائرين بالله وإلى سين السائرين إلى الله. وإلى ميم مشي الماشين لله فالأول مرتبة أهل النهاية والثاني مرتبة أهل التوسط والثالث مرتبة أهل البداية ولكل سالك خطوة ولكل طائر جناح.

ويقال: الطاء إشارة إلى طهارة أسرار أهل التوحيد. والسين إشارة إلى سلامة قلوبهم عن مساكنة كل مخلوق. والميم إشارة إلى منة الخالق عليهم بذلك.

وقال سيد الطائفة الجنيد قدس سره: الطاء طرق التائبين في ميدان الرحمن. والسين سرور العارفين في ميدان الوصلة. والميم مقام المحبين في ميدان القربة.

وقال نجم الدين قدس سره: يشير إلى طاء طهارة قلب نبيه عن تعلقات الكونين. وإلى سين سيادته على الأنبياء والمرسلين. وإلى ميم مشاهدة جمال رب العالمين.

وقال الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه: أقسم الله بشجرة طوبى وسدرة المنتهى ومحمد المصطفى بالقرآن بقوله: ﴿طسم﴾ فالطاء شجرة طوبى والسين سدرة المنتهى والميم محمد المصطفى عليه الصلاة والسلام. أما سر اصطفاء طوبى فإن الله تعالى خلق جنة عدن بيده من غير واسطة وجعلها له كالقلعة للملك وجعل فيها الكثيب مقام تجلي الحق سبحانه وفيه مقام الوسيلة لخير البرية وغرس شجرة طوبى بيده في جنة عدن وأطالها حتى علت فروعها سور جنة عدن ونزلت مظلة على سائر الجنان كلها وليس في أكمامها ثمر إلا الحلي والحلل لباس أهل الجنة وزينتهم ولها اختصاص فضل لكونها خلقها الله بيده ولذلك كانت أجمع الحقائق الجنانية نعمة وأعمها بركة فإنها لجميع أشجار الجنة كآدم عليه السلام لما ظهر من البنين وما في الجنة نهر إلا وهو يجري من أصل تلك الشجرة وهي محمدية المقام. وأما سر اجتباء سدرة المنتهى فهي شجرة بين الكرسي والسماء السابعة لأفنانها حنين بأنواع التسبيحات والتحميدات والترجيعات عجيبة الألحان تطرب بها الأرواح والقلوب وتزيد في الأحوال وهي الحد البرزخي بين الدارين سماها المنتهى لأن الأرواح إليها تنتهي وتصعد أعمال أهل الأرض من السعداء وإليها تنزل الأحكام الشرعية وأم فيها رسول الله ﷺ ملائكة السموات في الوتر فكان إمام الأنبياء في بيت المقدس وإمام الملائكة عند سدرة المنتهى فظهر بذلك فضله على أهل الأرض والسماء كما في تفسير «التيسير» وهي مقام جبريل يسكن في ذروتها كما أن مقر العقل وسط الدماغ وذلك لأن جبريل سدرة العقل ومقامه إشارة إلى مقام العقل وهو الدماغ ولذلك من رأى جبريل فإنما رأى صورة عقله لأن جبريل لا يرى من مقام تعينه لغير الأنبياء عليهم السلام. وآخر الميم المشاربه إلى محمد المصطفى ﷺ لسر الختمية وكما أن ختم الأنبياء بسيد المرسلين كذلك ختم حروف الهجاء بالياء المشتمل عليها لفظ الميم فقد جمع الله في القسم بقوله: ﴿طسم﴾ ثلاث حقائق وهي أصول الحقائق كلها. الأولى حقيقة جنانية نعمية جامعة وهي شجرة طوبى ولذا أودعها الله في المقام المحمدي لكونها جامعة للنعم الجنانية ومقسماً لها كما أن النبي عليه السلام مقسم العلوم والمعارف وأنواع الكمالات. والثانية حقيقة برزخية

جامعة لحقائق الدارين وهي شجرة سدرة المنتهى فأغصانها نعيم لأهل الجنة وأصولها زقوم لأهل النار لأنها في مقعر فلك البروج وهو الفلك الأعظم ويسمى فلك الأفلاك لأنه يجمع الأفلاك وأيضاً الفلك الأطلس لأنه غير مكوكب كالثوب الأطلس الخالي عن النقش ومقعر سطحيه أي الفلك الأعظم يماس محدب الفلك الواثب ومحدبه لا يماس شيئاً إذ ليس وراءه شيء لإخلاء ولإملاء بل عنده ينقطع امتدادات العالم كلها.

وقيل: في ورائه أفلاك من أنوار غير متناهية ولا قائل بالخلاء فيما تحت الفلك الأعظم بل هو الملأ كذا في كتب الهيئة وعند الصوفية المقام الذي يقال له لإخلاء ولإملاء فوق عالم الأرواح لا فوق العرش.

قال في «شرح التقويم» ولما كان المذكور في الكتب الإلهية السمٰوات السبع زعم قوم من حكماء الملة أن الثامن هو الكرسي والتاسع هو العرش وهذا يناسب قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] والثالثة حقيقة الحقائق الكلية وهي الحقيقة المحمدية لقد أقسم الله في ﴿طسم﴾ بأجمع الحقائق كلها لفضلها على جميع الحقائق لأن الحقيقة المحمدية حقيقة الحقائق وروحها دنياً وبرزخاً وآخرة ولهذا ختم به الحقائق.

هر دو عالم بستهٔ فتراك أو عرش وكرسي كرده قبله خاك أو
بيشواي اين جهان وآن جهان مقتداي آشكارا ونهان

وقال بعض كبار المكاشفين: لا يعرف حقائق الحروف المقطعة في أوائل السور إلا أهل الكشف والوجود فإنها ملائكة وأسماؤهم أسماء الحروف وهم أربعة عشر ملكاً لأن مجموع المقطعات من غير تكرار أربعة عشر آخرهم. ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾ [القلم: ١] وقد ظهروا في منازل القرآن على وجوه مختلفة فمنازل ظهر فيها ملك واحد مثل «ن وص» ومنازل ظهر فيها اثنان مثل ﴿**طس ويس وحم**﴾ ومنازل ظهر فيها ثلاثة مثل ﴿**الم وطسم**﴾ ومنازل ظهر فيها أربعة مثل ﴿**المص والمر**﴾ منازل ظهر فيها خمسة مثل ﴿**كهيعص وحمعسق**﴾ وصورها مع التكرار تسعة وسبعون ملكاً بيد كل ملك شعبة من الإيمان فإن الإيمان بضع وسبعون شعبة والبضع من واحد إلى تسعة فقد استعمل في غاية البضع.

فإذا نطق القارىء بهذه الحروف كان منادياً لهم فيجيبونه يقول القارىء: ﴿**الم**﴾ فيقول هؤلاء الثلاثة من الملائكة ما تقول؟ فيقول القارىء: ما بعد هذه الحروف فيقال بهذا الباب الذي فتحت ترى عجائب وتكون هذه الأرواح الملكية التي هي الحروف أجسامها تحت تسخيره وبما بيدها من شعب الإيمان تمده وتحفظ عليه إيمانه.

قال في ترجمة وصايا «الفتوحات» [ازجمله شعب إيمان شهادتست بتوحيد ونماز كزاريدن وزكاة دادن وروزه داشتن وحج كزاريدن ووضوء ساختن واز جنابت غسل كردن وغسل روز جمعه وصبر وشكر وورع وحيا وأمان ونصيحت وطاعت أولو الأمر وذكر حق كرفتن ورنج خود از خلق برداشتن وأمانت إدا كردن ومظلوم را ياري دادن وترك ظلمة كردن وكسى را خوار ناداشتن وترك غيبت وترك نميمت وترك بخس كردن وجون درخانهٔ كسى خواهي در آمدن دستوري خواستن وخشم را خوابانيدن واعتبار كرفتن وقول نيكورا سماع كردن وبر آنجه نيكوترست دفع كردن وقول بدرا بجهر ناكفتن وبكلمهٔ طيب اتيان كردن وحفظ فرج وحفظ زبان وتوبه وتوكل وخشوع وترك لغو يعني سخن بيهوده وترك ما لا يعني وحفظ عهد

وميثاق ووفا نمودن وبرتقوى ياري دادن وبراثم وعدوان ياري نادادن وتقوى را ملازم بودن ونيكويي كردن وصدق ورزيدن وأمر معروف كردن ونهى منكر وميان دومسلمان إصلاح كردن وازبهر خلق دعا كردن ورحمت خواستن وبزرك را مكرم داشتن وبحدود الله قيام نمودن وترك دعوىء جاهليت كردن واز پس يكديكر بدنا كفتن وباهم ديكر دشمني ناكردن وكواهي دروغ وقول دروغ ناكفتن وترك همز ولمز وغمز يعني درپيش وپس بدنا كفتن وبچشم نازدن وغمازي ناكردن وبجماعات حاضر شدن وسلام راخاص كردن وبيكديكر هديه فرستادن وحسن خلق وحسن خلق وحسن عهدي وسر نكاه داشتن ونكاح دادن وبنكاح كرفتن وحب أهل بيت وحب زنان وبوي خوش دوست داشتن وحب أنصار وتعظيم شعائر وترك عيش وبر مؤمن سلاح نداشتن وتجهيز مرده كردن وبرجنازه نماز كزاردن وبيمار پرسيدن وآنچه درراه مسلمانان زحمت باشد دور كردن وهرچه براي نفس خود دوست ميداري براي هريك از مؤمنان دوست داشتن وحق تعالى ورسول أورا ازهمه دوستر داشتن وبكفر بازنا كشتن وبملائكة وكتب ورسل وهرچه إيشان ازحف آورده اند إيما داشتن] وغير ذلك مما اشتمل عليه الكتاب والسنة وهي كثيرة جداً وفي الحديث: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول: لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان» انتهى وهي خصال أهل الإيمان ولم يرد تعديدها بأعيانها في حديث واحد وأهل العلم عدوا ذلك على وجوه وأقصى ما يتناوله لفظ هذا الحديث تسعة وسبعون.

قال الإمام النسفي في تفسير «التيسير» وأنا أعدها على ترتيب أختاره وعلى الاجتهاد فأقول: بدأ فيه بالتهليل والذي يليه التكبير والتسبيح والتحميد والتمجيد والتجريد والتفريد والتوبة والإنابة والنظافة والطهارة والصلاة والزكاة والصيام والقيام والاعتكاف والحج والعمرة والقربان والصدقة والغزو والعتق وقراءة القرآن وملازمة الإحسان ومجانبة العصيان وترك الطغيان وهجر العدوان وتقوى الجنان وحفظ اللسان والثناء والدعاء والخوف والرجاء والحياء والصدق والصفاء والنصح والوفاء والندم والبكاء والإخلاص والذكاء والحلم والسخاء والشكر في العطية والصبر في البلية والرضى بالقضية والاستعداد للمنية واتباع السنة وموافقة الصحابة وتعظيم أهل الشيبة والعطف على صغار البرية والاقتداء بعلماء الأمة والشفقة على العامة واحترام الخاصة وتعظيم أهل السنة وأداء الأمانة وإظهار الصيانة والإطعام والإنعام وبر الأيتام وصلة الأرحام وإفشاء السلام وصدق الاستسلام وتحقيق الاستعصام والزهد في الدنيا والرغبة في العقبى والموافقة للمولى ومخالفة الهوى والحذر من لظى وطلب جنة المأوى وبث الكرم وحفظ الحرم والإحسان إلى الخدم وطلب التوفيق وحفظ التحقيق ومراعاة الجار والرفيق وحسن الملكة في الرقيق وأدناها إماطة الأذى عن الطريق فمن استكمل الوفاء بشعب الإيمان نال بوعد الله كمال الأمان وهو الذي قال الله تعالى فيه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢] ﴿**تلك آيات الكتاب المبين**﴾ تلك مبتدأ خبره ما بعده أي هذه السورة آيات القرآن الظاهر إعجازه وصحة أنه كلام الله ولو لم يكن كذلك لقدروا على الإتيان بمثله ولما عجزوا عن المعارضة فهو من أبان بمعنى بان أو ظهر أو المبين للأحكام الشرعية وما يتعلق بها.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن هذه الحروف المقطعة ههنا وفي أوائل السور

ليست من قبيل الحروف المخلوقة بل من قبيل آيات الكتاب المبين القديمة إذ كل حرف منها دال على معان كثيرة كالآيات ﴿لعلك باخع نفسك﴾ لعل للإشفاق أي الخوف والله تعالى منزه عنه فهو بالنسبة إلى النبي عليه السلام يقال: بخع نفسه قتلها غماً وفي الحديث: «أتاهم أهل اليمن هم أرق قلوباً وأبخع طاعة» فكأنهم في قهرهم نفوسهم بالطاعة كالباخعين إياها وأصل البخع أن يبلغ بالذبح البخاع وذلك أقصى حد الذبح وهو بالكسر عرق في الصلب غير النخاع بالنون مثلثة فإنه الخيط الذي في جوف الفقار ينحدر من الدماغ ويتشعب منه شعب في الجسم والمعنى أشفق على نفسك وخف أن تقتلها بالحزن بلا فائدة وهو حث على ترك التأسف وتصبير وتسل له عليه السلام.

قال الكاشفي: [چو قريش قرآنرا إيمان نياوردند وحضرت رسالت عليه السلام برايمان ايشان بغايت حريص بود اين صورت بر خاطر مبارك أو شاق آمد حق سبحانه وتعالى بجهت تسلى دل مقدس وي فرمودكه مكرتو يا محمد هلاك كننده وكشنده‌ء نفس خودرا] ﴿ألا يكونوا مؤمنين﴾ مفعول له بحذف المضاف أي خيفة أن لا يؤمن قريش بذلك الكتاب المبين فإن الخوف والحزن لا ينفع في إيمان من سبق حكم الله بعدم إيمانه كما أن الكتاب المبين لم ينفع في إيمانه فلا تهتم فقد بلغت.

قال في «كشف الأسرار»: [أي سيد اين مشتي بيكانكان كه مقهور سطوت وسياست ما اند ومطرودد ركاه عزت ما تودل خويش بايشان چرا مشغول داري وازنكار ايشان برخود چرا رنج نهى ايشانرا بحكم ما تسليم كن وباشغل من آرام كير].

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى تأديب النبي عليه السلام لئلا يكون مفرطاً في الرحمة والشفقة على الأمة فإنه يؤدي إلى الركون إليهم وأن التفريط في ذلك يؤدي إلى الفظاعة وغلظ القلب بل يكون مع الله مع المقبل والمدبر.

ترا مهر حق بس زجمله جهان ... برو ازنقوش سوى ساده باش
بهار وخزانرا همه در كذر ... چوسرو سهى دائم آزاده باش

ثم بين أن إيمانهم ليس مما تعلقت به مشيئة الله تعالى فقال:

﴿إن نشأ﴾ [اكرما خواهيم] ﴿ننزل عليهم من السماء آية﴾ دالة ملجئة إلى الإيمان كإنزال الملائكة أو بلية قاسرة عليه كآية من آيات القيامة ﴿فظلت﴾ فصارت ومالت أي فتظن ﴿أعناقهم﴾ أي: رقابهم. وبالفارسية [پس كردد كردنهاي ايشان]. ﴿لها﴾ أي: لتلك الآية ﴿خاضعين﴾ منقادين فلا يكون أحد منهم يميل عنقه إلى معصية الله ولكن لم نفعل لأنه لا عبرة بالإيمان المبني على القسر والإلجاء كالإيمان يوم القيامة وأصله فظلوا لها خاضعين فإن الخضوع صفة أصحاب الأعناق حقيقة فأقحمت الأعناق لزيادة التقرير ببيان موضع الخضوع وترك الخبر على حاله.

وفيه بيان أن الإيمان والمعرفة موهبة خاصة خارجة عن اكتساب الخلق في الحقيقة فإذا حصلت الموهبة نفع الإنذار والتبشير وإلا فلا فليبك على نفسه من جبل على الشقاوة. قال الحافظ:

چون حسن عاقبت نه برندي وزاهديست ... آن به كه كار خود بعنايت رها كنند

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾﴾

﴿وما يأتيهم من ذكر﴾ من موعظة من المواعظ القرآنية أو من طائفة نازلة من القرآن تذكرهم كل تذكير وتنبههم أتم تنبيه كأنها نفس الذكر. ﴿من الرحمن﴾ بوحيه إلى نبيه دل هذا الاسم الجليل على أن إتيان الذكر من آثار رحمة الله تعالى على عباده. ﴿محدث﴾ مجدد إنزاله لتكرير التذكير وتنويع التقرير فلا يلزم حدوث القرآن. ﴿إلا كانوا عنه معرضين﴾ إلا جددوا إعراضاً عن ذلك الذكر وعن الإيمان به وإصراراً على ما كانوا عليه والاستثناء مفرغ من أعم الأحوال محله النصب على الحالية من مفعول يأتيهم بإضمار قد وبدونه على الخلاف المشهور أي ما يأتيهم من ذكر في حال من الأحوال إلا حال كونهم معرضين عنه.

﴿فقد كذبوا﴾ بالذكر عقيب الإعراض فالفاء للتعقيب أي جعلوه تارة سحراً وأخرى شعراً ومرة أساطير. ﴿فسيأتيهم﴾ البتة من غير تخلف أصلاً والفاء للسببية، أي لسبب إعراضهم المؤدي إلى التكذيب المؤدي إلى الاستهزاء. ﴿أنباء ما كانوا به يستهزئون﴾ أي: أخبار الذكر الذي كانوا يستهزؤون به من العقوبات العاجلة والآجلة التي بمشاهدتها يقفون على حقيقة حال القرآن بأنه كان حقاً أو باطلاً وكان حقيقاً بأن يصدق ويعظم قدره أو يكذب فيستخف أمره كما يقفون على الأحوال الخافية عنهم باستماع الأنباء وفيه تهويل له لأن النبأ لا يطلق إلا على خبر خطير له وقع عظيم.

قال الكاشفي: [وبعد از ظهور نتايج تكذيب پشيماني نفع ندهد امروز بدان مصلحت خويش كه فردا داني وپشيمان شوى وسودندارد].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾.

﴿أولم يروا﴾ الهمزة للإنكار التوبيخي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أفعل المكذبون من قريش ما فعلوا من الإعراض عن الآيات والتكذيب والاستهزاء بها ولم ينظروا. ﴿إلى الأرض﴾ أي إلى عجائبها الزاجرة عما فعلوا الداعية إلى الإقبال إلى ما أعرضوا. ﴿كم أنبتنا فيها﴾ [چند برويانيديم در زمين بعد ازمردكى وافسردكى] ﴿من كل زوج كريم﴾ كريك [ازهر صنفي كپاه نيكو وبسنديده چون رياحين وكل نسرين وبنفشه وياسمين وشكوفهاى رنكارنك وبركهاي كوناكون] وسائر نباتات نافعة مما يأكل الناس والأنعام.

قال أهل التفسير: كم خبرية منصوبة بما بعدها على المفعولية والجمع بينها وبين كل لأن كل للإحاطة بجميع أزواج النبات وكم لكثرة المحاط به من الأزواج ومن كل زوج أي صنف تمييز والكريم من كل شيء مرضيه ومحموده يقال وجه كريم أي مرضي في حسنه وجماله وكتاب كريم مرضي في معانيه وفوائده وفارس كريم مرضي في شجاعته وبأسه. والمعنى كثير من كل صنف مرضي كثير المنافع أنبتنا فيها وتخصيص النبات النافع بالذكر دون ما عداه من أصناف الضار وإن كان كل نبت متضمناً لفائدة وحكمة لاختصاصه بالدلالة على القدرة والنعمة معاً.

واعلم أنه سبحانه كما أنبت من أرض الظاهر كل صنف ونوع من النبات الحسن الكريم

كذلك أنبت في أرض قلوب العارفين كل نبت من الإيمان والتوكل واليقين والإخلاص والأخلاق الكريمة كما قال عليه السلام: «لا إله إلا الله ينبت الإيمان كما ينبت البقل».

قال أبو بكر بن طاهر: أكرم زوج من نبات الأرض آدم وحواء فإنهما كانا سبباً في إظهار الرسل والأنبياء والأولياء والعارفين.

قال الشعبي: الناس من نبات الأرض فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لئيم ﴿إن في ذلك﴾ أي: في الإنبات المذكور أو في كل واحد من تلك الأصناف. ﴿لآية﴾ عظيمة دالة على كمال قدرة منبتها وغاية وفور علمه ونهاية سعة رحمته موجبة للإيمان زاجرة عن الكفر. ﴿وما كان أكثرهم﴾ أي أكثر قومه عليه السلام. ﴿مؤمنين﴾ مع ذلك لغاية تماديهم في الكفر والضلالة وانهماكهم في الغي والجهالة وكان صلة عند سيبويه لأنه لو حمل على معنى ما كان أكثرهم في علم الله وقضائه لتوهم كونهم معذورين في الكفر بحسب الظاهر وبيان موجبات الإيمان من جهته تعالى يخالف ذلك.

يقول الفقير: قوله تعالى: ﴿إن نشأ ننزل﴾ الآية ونظائره يدل على المعنى الثاني ولا يلزم من ذلك المعذورية لأنهم صرفوا اختياراً إلى جانب الكفر والمعصية وكانوا في العلم الأزلي غير مؤمنين بحسب اختيارهم ونسبة عدم الإيمان إلى أكثرهم لأن منهم من سيؤمن.

﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ الغالب القادر على الانتقام من الكفرة. ﴿الرحيم﴾ المبالغ في الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يأخذهم بغتة.

وقال في «كشف الأسرار»: يرحم المؤمن الذين هم الأقل بعد الأكثر.

وفي «التأويلات النجمية»: بعزته قهر الأعداء العتاة وبرحمته ولطفه أدرك أولياء بجذبات العناية. وعن السري السقطي قدس سره قال: كنت يوماً أتكلم بجامع المدينة فوقف عليّ شاب حسن الشباب فاخر الثياب ومعه أصحابه فسمعني أقول في وعظي: عجباً لضعيف يعصي قوياً فتغير لونه فانصرف فلما كان الغد جلست في مجلسي وإذا به قد أقبل فسلم وصلى ركعتين وقال: يا سري سمعتك بالأمس تقول: عجباً لضعيف كيف يعصي قوياً فما معناه؟ فقلت: لا أقوى من الله ولا أضعف من العبد وهو يعصيه فنهض فخرج ثم أقبل من الغد وعليه ثوبان أبيضان وليس معه أحد فقال: يا سري كيف الطريق إلى الله تعالى؟ فقلت: إن أردت العبادة فعليك بصيام النهار وقيام الليل وإن أردت الله فاترك كل شيء سواه تصل إليه وليس إلا المساجد والمحراب والمقابر فقام وهو يقول: والله لا سلكت إلا أصعب الطرق وولى خارجاً فلما كان بعد أيام أقبل إليّ غلمان كثير فقالوا: ما فعل أحمد بن يزيد الكاتب فقلت: لا أعرف إلا رجلاً جاءني من صفته كذا وكذا وجرى لي معه كذا وكذا ولا أعلم حاله فقالوا: بالله عليك متى عرفت حاله فعرفنا ودلنا على داره فبقيت سنة لا أعرف له خبراً فبينا أنا ذات ليلة بعد العشاء الآخرة جالس في بيتي إذ بطارق يطرق الباب فأذنت له في الدخول فإذا بالفتى عليه قطعة من كساء في وسطه وأخرى على عاتقه ومعه زنبيل فيه نوى فقبل بين عيني وقال: يا سري أعتقك الله من النار كما أعتقتني من رق الدنيا فأومأت إلى صاحبي أن امض إلى أهله فأخبرهم فمضى فإذا زوجته قد جاءت ومعها ولده وغلمانه فدخلت وألقت الولد في حجره وعليه حلي وحلل وقالت: يا سيدي أرملتني وأنت حيّ وأيتمت ولدك وأنت حيّ قال السري: فنظر إليّ وقال: يا سري ما هذا وفاء ثم أقبل عليها وقال: والله إنك لثمرة فؤادي وحبيبة قلبي وإن هذا

ولدي لأعز الخلق عليّ غير أن هذا السري أخبرني أن من أراد الله قطع كل ما سواه ثم نزع ما على الصبي وقال: ضعي هذا في الأكباد الجائعة والأجساد العارية وقطع قطعة من كسائه فلف فيها الصبي فقالت المرأة: لا أرى ولدي في هذه الحالة وانتزعته منه فحين رآها قد اشتغلت به نهض وقال: ضيعتم عليّ ليلتي بيني وبينكم الله وولى خارجاً وضجت المرأة بالبكاء فقالت: إن عدت يا سري سمعت له خبراً فأعملني فقلت: إن شاء الله فلما كان بعد أيام أتتني عجوز فقال: يا سري بالشونيزية غلام يسألك الحضور فمضيت فإذا به مطروح تحت رأسه لبنة فسلمت عليه ففتح عينيه وقال: ترى يغفر تلك الجنايات؟ فقلت: نعم قال: يغفر لمثلي قلت: نعم قال: أنا غريق قلت: هو منجي الغرقى فقال: علي مظالم فقلت: في الخبر أن يؤتى بالتائب يوم القيامة ومعه خصومه فيقال لهم: خلوا عنه فإن الله تعالى يعوضكم فقال: يا سري معي دراهم من لقط النوى إذا أنا مت فاشتر ما أحتاج إليه وكفني ولا تعلم أهلي لئلا يغيروا كفني بحرام فجلست عنده قليلاً ففتح عليه وقال لمثل هذا فليعمل العاملون ثم مات فأخذت الدراهم فاشتريت ما يحتاج إليه ثم سرت نحوه فإذا الناس يهرعون إليه فقلت ما الخبر فقيل: مات وليّ من أولياء الله نريد أن نصلي عليه فجئت فغسلته ودفناه فلما كان بعد مدة وفد أهله يستعلمون خبره فأخبرتهم بموته فأقبلت امرأته باكية فأخبرتها بحاله فسألتني أن أريها قبره فقلت: أخاف أن تغيروا أكفانه قالت: لا والله فأريتها القبر فبكت وأمرت بإحضار شاهدين فأحضرا فاعتقت جواريها ووقفت عقارها وتصدقت بمالها ولزمت قبره حتى ماتت رحمة الله تعالى عليهما.

چون كند كحل عنايت ديده باز   انيچين باشد بدنيا أهل راز

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَـٰرُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿وإذ نادى ربك موسى﴾ إذ منصوب باذكر المقدر والمناداة والنداء رفع الصوت وأصله من الندى وهو الرطوبة واستعارته للصوت من حيث أن من تكثر رطوبة فمه حسن كلامه ولهذا يوصف الفصيح بكثرة الريق. والمعنى اذكر يا محمد لقومك وقت نداءه تعالى وكلامه موسى أي ليلة رأى الشجرة والنار حين رجع من مدين وذكرهم بما جرى على قوم فرعون بسبب تكذيبهم إياه وحذرهم أن يصيبهم مثل ما أصابهم. **﴿أن ائت﴾** تفسير نادى فإن مفسرة بمعنى أي والإتيان مجيء بسهولة. والمعنى قال له: يا موسى ائت. **﴿القوم الظالمين﴾** أنفسهم بالكفر والمعاصي واستعباد بني إسرائيل وذبح أبنائهم.

﴿قوم فرعون﴾ بدل من القوم والاقتصار على القوم للإيذان بشهرة أن فرعون أول داخل في الحكم. **﴿ألا يتقون﴾** استئناف لا محل له من الإعراب وألا تحضيض على الفعل أتبعه إرساله إليهم لإنذار وتعجيباً من غلوهم في الظلم وإفراطهم في العدوان أي ألا يخافون الله يصرون عن أنفسهم عقابه بالإيمان والطاعة. وبالفارسية [آيا نمي ترسند يعني بايدكه بترسند از عذاب حضرت إلهي ودست از كفر بدارند وبني إسرائيل را بكذا رند].

﴿قال﴾ استئناف كأنه قيل: فماذا قال موسى؟ فقيل: قال متضرعاً إلى الله تعالى: **﴿رب﴾** [أي پروردكار من]. **﴿إني أخاف﴾** الخوف توقع مكروه عن إمارة مظنونة أو معلومة كما أن

الرجاء والطمع توقع محبوب عن أمارة مظنونة أو معلومة. ﴿أن يكذبون﴾ ينكروا نبوتي وما أقول من أول الأمر.

قال بعض الكبار: خوفه كان شفقة عليهم وأصله يكذبوني فحذفت الياء استغناء بالكسر. ﴿ويضيق صدري﴾ [وتنك شود دل من ازا انفعال تكذيب] وكان في موسى حدة وهو معطوف على أخاف وكذا قوله: ﴿ولا ينطلق لساني﴾ [ونكشايد زبان من وعقده كه دارد زيادة كردد] فإن الانطلاق بالفارسية [كشاده شدن وبشدن] والمراد هنا هو الأول واللسان الجارحة وقوتها قال الله تعالى: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧﴾ [طه: ٢٧] يعني من قوة لساني فإن العقدة لم تكن في الجارحة وإنما كانت في قوتها التي هي النطق بها كما في «المفردات» ﴿فأرسل﴾ جبريل عليه السلام ﴿إلى هارون﴾ ليكون معيناً لي في التبليغ فإنه أفصح لساناً وهو أخوه الكبير. وبالفارسية [أورا شريك من كردان برسالت تا با عانت أو نزد فرعونيان روم].

واعلم أن التكذيب سبب لضيق القلب وضيق القلب سبب لتعسر الكلام على من يكون في لسانه حبسة لأنه عند ضيق القلب ينقبض الروح والحرارة الغريزية إلى باطن القلب وإذا انقبضا إلى الداخل ازدادت الحبسة في اللسان فلهذا بدأ عليه السلام بخوف التكذيب ثم ثنى يضيق الصدر ثم ثلث بعدم انطلاق اللسان وسأل تشريك أخيه هارون فإنه لو لم يشرك به في الأمر لاختلفت المصلحة المطلوبة من بعثة موسى وسبب عقدة لسانه عليه السلام احتراقه من الجمرة عند امتحان فرعون كما قال العطار:

همچو موسى اين زمان درطشت آتش ما نداه ايم

طل فرعونيم ما كان ودهان پراخكرست

ولم تحترق أصابعه حين قبض على الجمرة لتكون فصاحته بعد رجوعه إلى فرعون بالدعوة معجزة ولذا قال بعضهم: من قال كان أثر ذلك الاحتراق على لسانه بعد الدعوة فقد أخطأ.

قال بعض الكبار: ينبغي للواعظ أن يراقب الله في وعظه ويجتنب عن تكلم ما يشين بجمال الأنبياء ويهتك حرماتهم ويطلق ألسنة العامة في حقهم ويسيء الظن بهم وإلا مقته الله وملائكته.

﴿وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ١٤ قَالَ كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ١٥ فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦ أَنۡ أَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٧﴾.

﴿ولهم﴾ أي لقوم فرعون ﴿عليّ﴾ أي بذمتي ﴿ذنب﴾ أي جزاء ذنب وموجبه فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه والمراد به قتل القبطي دفعاً عن السبطي وإنما سماه ذنباً على زعمهم.

وقال الكاشفي: [وايشانرا برمن دعوى كناهست مراد قتل قبطيست وبزعم ايشان كناه ميكويد]. ﴿فأخاف﴾ إن أتيتهم وحدي. ﴿أن يقتلون﴾ بمقابلته قبل أداء الرسالة كما ينبغي. وأما هارون فليس له هذا الذنب.

قال بعض الكبار: ليس بعجب طريان خوف الطبيعة وصفات البشرية على الأنبياء فالقلب ثابت على المعرفة.

واعلم أن هذا وما قبله ليس تعللاً وتوقفاً من جانب موسى وتركاً للمسارعة إلى الامتثال بل هو استدفاع للبلية المتوقعة قبل وقوعها واستظهار في أمر الدعوة وحقيقته أن موسى عليه السلام أظهر التلوين من نفسه ليجد التمكين من ربه وقد آمنه الله وأزال عنه كل كلفة حيث.

﴿قال﴾ تعالى ﴿كلا﴾ أي: ارتدع عما تظن فإنهم لا يقدرون على قتلك به لأني لا أسلطهم عليك بل أسلطك عليهم ﴿فاذهبا﴾ أي أنت والذي طلبت وهو هارون فالخطاب إليهما على تغليب الحاضر ﴿بآياتنا﴾ أي حال كونكما ملتبسين بآياتنا التسع التي هي دلائل القدرة وحجة النبوة وهو رمز إلى دفع ما يخافه. ﴿إنا معكم﴾ تعليل للردع عن الخوف ومزيد تسلية لهما بضمان كمال الحفظ والنصرة والمراد موسى وهارون وفرعون فمع موسى وهارون بالعون والنصر ومع فرعون بالقهر والكسر وهو مبتدأ وخبر وقوله: ﴿مستمعون﴾ خبر ثان أو الخبر وحده ومعكم ظرف لغو وحقيقة الاستماع طلب السمع بالإصغاء وهو بالفارسية [كوش فراداشتن] والله تعالى منزه عن ذلك فاستعير للسمع الذي هو مطلق إدراك الحروف والأصوات من غير إصغاء. والمعنى سامعون لما يجري بينكما وبينه فأظهر كما عليه مثل حاله تعالى بحال ذي شوكة قد حضر مجادلة قوم يسمع ما يجري بينهم ليمد الأولياء منهم ويظهرهم على الأعداء مبالغة في الوعد بالإعانة وجعل الكلام استعارة تمثيلية لكون وجه الشبه هيئة منتزعة من عدة أمور.

﴿فائتيا فرعون﴾ [پس بياييد فرعون] وهو الوليد بن مصعب وكنيته أبو العباس وقيل: اسمه مغيب وكنيته أبو مرة وعاش أربعمائة وستين سنة ﴿فقولا إنا﴾ أي: كل معنا ﴿رسول رب العالمين﴾ [فرستادهء پرورد كار عالميا نيم] وقال بعضهم: لم يقل رسولاً لأن موسى كان الرسول المستقل بنفسه وهارون كان ردأ يصدقه تبعاً له في الرسالة ﴿أن أرسل معنا بني إسرائيل﴾ أن مفسرة لتضمن الإرسال المفهوم من الرسول معنى القول والإرسال ههنا التخلية والإطلاق كما تقول: أرسلت الكلب إلى الصيد أي خلهم وشأنهم ليذهبوا إلى أرض الشأم وكانت مسكن آبائهم: وبالفارسية [وسخن اينست كله إيشان بوده].

وكان فرعون استعبدهم أربعمائة سنة وكانوا في ذلك الوقت ستمائة ألف وثلاثين ألفاً فانطلق موسى إلى مصر وهارون كان بها فلما تلاقيا ذهبا إلى باب فرعون ليلاً ودق موسى الباب بعصاه ففزع البوابون وقالوا: من بالباب؟ فقال موسى: أنا رسول رب العالمين فذهب البواب إلى فرعون فقال: إن مجنوناً بالباب يزعم أنه رسول رب العالمين فأذن له في الدخول من ساعته كما قاله السدي أو ترك حتى أصبح ثم دعاهما فدخلا عليه وأديا رسالة الله فعرف فرعون موسى لأنه نشأ في بيته فشتمه.

﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿قال﴾ فرعون لموسى.

وقال قتادة: إنهما انطلقا إلى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب: ههنا إنسان يزعم أنه رسول رب العالمين فقال: ائذن له حتى نضحك منه فأديا إليه الرسالة فعرف موسى فقال عند ذلك على سبيل الامتنان: ﴿ألم نربك فيناً وليداً﴾ في حجرنا ومنازلنا.

وقال الكاشفي: [نه ترا پرورديم درميان خويش ﴿وليداً﴾ در حالتي كه طفل بودي نزديك بولادت] عبر عن الطفل بذلك لقرب عهده من الولادة.

﴿ولبثت فينا من عمرك سنين﴾ [ودرنك كردي در منزلهاي ما سالها از عمر خود] قوله: من عمرك حال من سنين. والعمر بضمتين مصدر عمر أي عاش وحيي.

قال الراغب: العمر اسم لمدة عمارة البدن بالحياة قليلة أو كثيرة.

قيل: لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج إلى مدين وأقام بها عشر سنين ثم عاد إليهم يدعوهم إلى الله تعالى ثلاثين سنة ثم بقي بعد الغرق خمسين فيكون عمر موسى مائة وعشرين سنة ﴿وفعلت فعلتك التي فعلت﴾ الفعلة بالفتح المرة الواحدة يعني قتل القبطي الذي كان خباز فرعون واسمه فاتون وبعد ما عدد نعمته من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال نبهه بما جرى عليه من قتل خبازه وعظمه.

قال ابن الشيخ: تعظيم تلك الفعلة يستفاد من عدم التصريح باسمها الخاص فإن تنكير الشيء وإبهامه قد يقصد به التعظيم ﴿وأنت من الكافرين﴾ حال من إحدى التاءين أي من المنكرين لنعمتي والجاحدين لحق تربيتي حيث عمدت إلى رجل من خواصي.

﴿قال﴾ موسى ﴿فعلتها﴾ أي تلك الفعلة. ﴿إذاً﴾ أي حين فعلت أي قتلت النفس وهو حرف جواب فقط لأن ملاحظة المجازاة ههنا بعيدة. ﴿وأنا من الضالين﴾ يقال: ضل فلان الطريق أخطأه أي ضللت طريق الصواب وأخطأته من غير تعمد كمن رمى سهماً إلى طائر وأصاب آدمياً وذلك لأن مراد موسى كان تأديبه لا قتله. وبالفارسية [آكاه نبودم كه بمشت زدن من آنكس كشته شود].

﴿ففررت منكم﴾ ذهبت من بينكم إلى مدين حذراً على نفسي. ﴿لما خفتكم﴾ أن تصيبوني بمضرة وتؤاخذوني بما لا أستحقه بجنايتي من العقاب. ﴿فوهب لي ربي﴾ حين رجعت من مدين. ﴿حكماً﴾ أي علماً وحكمة ﴿وجعلني من المرسلين﴾ إليكم.

وفي «فتح الرحمن»: حكماً أي نبوة وجعلني من المرسلين درجة ثانية للنبوة فرب نبي ليس برسول.

قال بعض الكبار: إن الله تعالى إذا أراد أن يبلغ أحداً من خلقه إلى مقام من المقامات العالية يلقي عليه رعباً حتى يفر إليه من خلقه فيكشف له خصائص أسراره كما فعل بموسى عليه السلام ومعاصي الخواص ليست كمعاصي غيرهم فإنهم لا يقعون فيها بحكم الشهوة الطبيعية بل بحسب الخطا وذلك مرفوع.

﴿وتلك﴾ أي التربية المدلول عليها بقوله: ﴿ألم نربك﴾ ﴿نعمة تمنها عليّ﴾ أي تمن بها عليّ ظاهراً وهي في الحقيقة. ﴿أن عبدت بني إسرائيل﴾ أي تعبيدك بني إسرائيل وقصدك إياهم بذبح أبنائهم فإن السبب في وقوعي عندك وحصولي في تربيتك يعني لو لم يفعل فرعون ذلك أي قهر بني إسرائيل وذبح أبنائهم لتكفلت أم موسى بتربيته ولما قذفته في اليم حتى يصل إلى فرعون ويربي بتربيته فكيف يمتن عليه بما كان بلاؤه سبباً له.

قوله تلك مبتدأ ونعمة خبرها وتمنها عليّ صفة وإن عبدت خبر مبتدأ محذوف أي وهي في الحقيقة تعبيد قومي. والتعبيد: بالفارسية [دام كردن وببند كي كرفتن] يقال عبدته إذا أخذته عبداً وقهرته وذللته.

رد موسى عليه السلام أولاً ما وبخه فرعون قدحاً في نبوته ثم رجع إلى ما عده عليه من النعمة ولم يصرح برده حيث كان صدقاً غير قادح في دعواه بل نبه على أن ذلك كان في الحقيقة نعمة لكونه مسبباً عنها.

قال بعضهم: بدأ فرعون بكلام السفلة ومنّ على نبي الله بما أطعمه والمنة النعمة الثقيلة.

ويقال ذلك على وجهين:

أحدهما: أن يكون ذلك بالفعل فيقال: منّ فلان على فلان إذا أثقله بالنعمة وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٤] وذلك في الحقيقة لا يكون إلا لله تعالى.

والثاني: أن يكون ذلك بالقول وذلك مستقبح فيما بين الناس إلا عند كفران النعمة ولقبح ذلك قيل: المنة تهدم الصنيعة ولحسن ذكرها عند الكفران قيل: إذا كفرت النعمة حسنت المنة أي عد النعمة.

قال محمد بن علي الترمذي قدس سره: ليس من الفتوة تذكار الصنائع وتعدادها على من اصطنعت إليه ألا ترى إلى فرعون لما لم يكن له فتوة كيف ذكر صنيعه وامتن به على موسى:

از نا كسان دهر ثبوت طمع مدار از طبع دير خاصيت آدمي مجوى

اعلم أن الله تعالى جعل موسى عليه السلام مظهر صفة لطفه بأن جعله نبياً مرسلاً وله في هذا المعنى كمالية لا يبلغها إلا بالتربية ومقاساة شدائد الرسالة مع فرعون وجعل فرعون مظهر صفة قهره بأن جعله مكذباً لموسى ومعانداً له وكان لفرعون كمالية في التمرد والإباء والاستكبار لم يبلغها إبليس، ليعلم أن للإنسان استعداداً في إظهار صفة اللطف لم يكن للملك ولذلك صار الإنسان مسجوداً للملك والملك ساجده، ولو لم يكن موسى عليه السلام داعياً لفرعون إلى الله تعالى وهو مكذبه لم يبلغ فرعون إلى كماليته في التمرد ليكون مظهر الصفة القهر بالتربية في التمرد كذا في «التأويلات النجمية» وقس عليهما كل موسى وكل فرعون في كل عصر إلى قيام الساعة فإن الأشياء تتبين بالأضداد وتبلغ إلى كمالها.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿**قال فرعون وما رب العالمين**﴾ ما استفهامية معناها أي شيء والرب المربي والمتكفل لمصلحة الموجودات والعالم اسم لما سوى الله تعالى من الجواهر والأعراض، والمعنى أي شيء رب العالمين الذي ادعيت أنك رسوله وما حقيقته الخاصة ومن أي جنس هو منكراً لأن يكون للعالمين رب سواه.

قال الكاشفي: [چون فرعون شنيده بودكه موسى كفت أنا رسول رب العالمين أسلوب سخن بكر دانيد وازروي امتحان كفت چيست پروردكار عالميان وچه چيزاست سؤال از ماهيت كرد] ولما لم يمكن تعريفه تعالى إلا بلوازمه الخارجية لاستحالة التركيب في ذاته من جنس وفصل ﴿**قال**﴾ موسى مجيباً له بما يصح في وصفه تعالى. ﴿**رب السمٰوات والأرض وما بينهما**﴾ عين ما أراده بالعالمين لئلا يحمله اللعين على ما تحت مملكته ﴿**إن كنتم موقنين**﴾ بالأشياء المحققين لها بالنظر الصحيح الذي يؤدي إلى الإتيان وهو بالفارسية: [بي كمان شدن]

علمتم أن العالم عبارة عن كل ما يعلم به الصانع من السمٰوات والأرض وما بينهما وأن ربها هو الذي خلقها ورزق من فيها ودبر أمورها فهذا تعريفه وجواب سؤالكم لا غير والخطاب في كنتم لفرعون وأشراف قومه الحاضرين.

قال الكاشفي: [هيج كس را از حقيقة حق آكاهي ممكن نيست هرچه در عقل وفهم ووهم وحواس وقياس كنجد ذات خدا وند تعالى ازان منزه ومقدس است چه آن همه محدثاً تند ومحدث جزا إدراك محدث نتوان كد].

آنكه او از حدث بر آرد دم چه شناسد كه چيست سرقدم

علم راسوي حضر تش ره نيست عقل نيزاز كمالش آكه نيست

فمعنى العلم بالله العلم به من حيث الارتباط بينه وبين الخلق وانتشار العالم منه بقدر الطاقة البشرية إذ منه ما لا توفيه الطاقة البشرية وهو ما وقع فيه الكمل في ورط الحيرة وأقروا بالعجز عن حق المعرفة.

﴿**قال**﴾ فرعون عند سماع جوابه خوفاً من تأثيره في قلوب قومه وانقيادهم له. ﴿**لمن حوله**﴾ من أشراف قومه وهم القبط [وايشان بانصد تن بود زيورها بسته وبركر سيهاي زرين نشسته] وحول الشيء جانبه الذي يمكنه أن يحول إليه وينقلب. ﴿**ألا تستمعون**﴾ ما يقول فاستمعوه وتعجبوا منه في مقاله وفيه يريد ربوبية نفسه.

﴿**قال**﴾ موسى زيادة في البيان وحطاً له عن مرتبة الربوبية إلى مرتبة المربوبية.

قال الكاشفي: [عدول كرد از ظهر آيات باقرب آيات بناظر وواضح آن بر متأمل] ﴿**ربكم ورب آبائكم الأولين**﴾ وقيل: إن فرعون كان يدعي الربوبية على أهل عصره وزمانه فلم يدع ذلك على من كان قبله فبين بهذه الآية أن المستحق للربوبية هو رب كل عصر وزمان.

﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿**قال**﴾ فرعون من سفاهته وصرفاً لقومه عن قبول الحق. ﴿**إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون**﴾ لا يصدر ما قاله عن العقلاء وسماه رسولاً على السخرية وإضافة إلى مخاطبيه ترفعاً من أن يكون مرسلاً إلى نفسه. والجنون حائل بين النفس والعقل كما في «المفردات».

﴿**قال**﴾ موسى زيادة في تعريف الحق ولم يشتغل بمجاوبته في السفاهة. ﴿**رب المشرق والمغرب وما بينهما**﴾ بيان ربوبيته للسمٰوات والأرض وما بينهما وإن كان متضمناً لبيان الخافقين وما بينهما لكن أراد التصريح بذكر الشروق والغروب للتغيرات الحادثة في العالم من النور مرة والظلمة أخرى المفتقرة إلى محدث عليم حكيم.

قال ابن عطاء: منور قلوب أوليائه بالإيمان ومشرق ظواهرهم ومظلم قلوب أعدائه بالكفر ومظهر آثار الظلمة على هياكلهم. ﴿**إن كنتم تعقلون**﴾ شيئاً من الأشياء أو من جملة من له عقل وتمييز علمتم أن الأمر كما قلته واستدللتم بالأثر على المؤثر.

وفيه تلويح بأنهم بمعزل من دائرة العقل متصفون بما رموه عليه السلام به من الجنون فمن كمال ضدية موسى وفرعون وكذا القلب والنفس يعد كل منهما ما يصدر من الآخر من الجنون وقس عليهما العاشق والزاهد فإن جنون العشق من واد وجنون الزهد من واد آخر.

زدشيخ نارسيده بعشق توطعنه أم ديوانه را زسرزنش كودكان چه باك

﴿قال﴾ فرعون من غاية تمرده وميلاً إلى العقوبة كما يفعله الجبابرة وعدولاً إلى التهديد من المحاجة بعدالانقطاع وهكذا ديدن المعاند المحجوب وغيظاً على نسبة الربوبية إلى غيره ولعله كان دهرياً اعتقد أن من ملك قطراً وتولى أمره بقوة طالعة استحق العبادة من أهله.

وقال بعضهم: كان الملعون مشبهاً ولذلك قال وما رب العالمين أي أي شيء هو فنوقعه في الخيال. ﴿لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين﴾ اللام للعهد أي لأجعلنك من الذين عرفت أحوالهم في سجوني فإنه كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك لم يقل لأسجنك.

قال الكشافي: [هر آينه كردانيدم ترا از زندانيان آورده اندكه سجن فرعون از قتل بدتربود زايراكه زندانيانرا در حفرة عميق مي اندا ختندكه در آنجاهيچ نمي ديدند ونمى شنيدند وبيرون نمي آوردند إلا مردة].

وفيه إشارة إلى سجن حب الدنيا فإن القلب إذا كان متوجهاً إلى الله وطلبه معرضاً عن النفس وشهواتها فلا استيلاء للنفس عليه إلا بشبكة حب الجاه والرياسة فإنه آخر ما يخرج عن رؤوس الصديقين.

باشد أهل آخرت را حب جاه همچو يوسف را دران شهراه جاه

﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿قال﴾ موسى: ﴿أولو جئتك﴾ [اكربيايم ترا] ﴿بشيء مبين﴾ يعني أتفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء موضح لصدق دعواي يعني المعجزة فإنها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته والدلالة على صدق مدعي نبوته فالواو للحال دخلت عليها همزة الاستفهام للإنكار بعد حذف الفعل أي جائياً بشيء مبين وجعلها بعضهم للعطف أي أتفعل بي ذلك لو لم أجيء بشيء مبين ولو جئتك به أي على كل حال من عدم المجيء والمجيء.

﴿قال﴾ فرعون ﴿فائت به﴾ [پس بيار آن چيزرا]. ﴿إن كنت من الصادقين﴾ في أن لك بينة موضحة لصدق دعواك وكان في يد موسى عصا من شجر الآس من الجنة وكان آدم جاء بها من الجنة فلما مات قبضها جبريل ودفعها إلى موسى وقت رسالته فقال موسى لفرعون: ما هذه التي بيدي قال فرعون: هذه عصا.

﴿فألقى﴾ من يده ﴿عصاه﴾ والإلقاء طرح الشيء حيث تلقاه وتراه ثم صار في التعارف اسماً لكل طرح. ﴿فإذا هي﴾ [پس آنجا عصا پس ازافكندن]﴿ثعبان مبين﴾ أي ظاهر الثعبانية وإنها شيء يشبه الثعبان صورة بالسحرة أو بغيره والثعبان أعظم الحيات بالفارسية [اژدها] واشتقاقه من ثعبت الماء فانثعب أي فجرته فانفجر.

قال الكاشفي: [وفرعون از مشاهدهء او بترسيد ومردمان كه حاضر بودند هزيمت كردند چنانچه دروقت فراربيست وپنج هزاركس كشته شد].

قال فرعون من شدة الرعب: يا موسى أسألك بالذي أرسلك أن تأخذها فأخذها فعادت

عصا ولا تناقض بينه وبين قوله ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ [القصص: ٣١] وهو الصغير من الحيات لأن خلقها خلق الثعبان العظيم وحركتها وخفتها كالجان كما في «كشف الأسرار».

وفيه إشارة إلى إلقاء القلب عصا الذكر وهو كلمة لا إله إلا الله فإذا هي ثعبان مبين يلتقم بفم النفي ما سوى الله.

﴿ونزع يده﴾ من جيبه. وبالفارسية [ودست راست خويش ازز ير بازوي چب خويش بيرون كشيد] ﴿فإذا هي﴾ [پس آنجا دست أو ﴿بيضاء﴾ ذات نور وبياض من غير برص. وبالفارسية [سپيد در خشنده بود بعد ازانكه كندم كونه بود] ﴿للناظرين﴾ [مر نظر كنند كانرا كفته اند شعاع دست مبارك موسى بمثابه نور آفتاب ديده را خيره ساختي] ـ روي ـ أن فرعون لما رأى الآية الأولى قال: فهل غيرها؟ فاخرج يده فقال: ما هذه؟ قال فرعون: يدك فما فيها؟ فأدخلها في إبطه ثم نزعها ولها شعاع كاد يغشي الأبصار ويسد الأفق.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ونزع يده﴾ أي يد قدرته ﴿فإذا هي بيضاء﴾ مؤيدة بالتأييد الإلهي منورة بنور ربي يبطش ﴿للناظرين﴾ أي: لأهل النظر الذين ينظرون بنور الله فإن النور يرى.

﴿قال﴾ فرعون ﴿للملأ﴾ أي لأشراف قومه حال كونهم مستقرين ﴿حوله﴾ فهو ظرف وضع موضع الحال وقد سبق معناه. والملأ جماعة يجتمعون على رأي فيملؤون العيون رواء والنفوس جلالة وبهاء ﴿إن هذا﴾ [بدرستي كه اين مرد] يعني موسى. ﴿لساحر عليم﴾ فائق في علم السحر. وبالفارسية [جادوييست دانا واستاد فرعون ترسيدكه كسان وي بموسى إيمان آرند حيله انكيخت وكفت اين جاد وييست كه درفن سحر مهارتي تمام دارد] «يريد» الخ والسحر تخيلات لا حقيقة لها فالساحر المحتال المخيل بما لا حقيقة له وجه الجمع بين هذا وبين قوله في الأعراف: قال الملأ من قوم فرعون حيث أسند القول بالساحرية إليهم أن فرعون قاله لحاضرين والحاضرون قالوه للغائبين كما في «كشف الأسرار».

﴿يريد أن يخرجكم من أرضكم﴾ من أرض مصر ويتغلب عليكم ﴿بسحره﴾ [بجادوييء خود] ﴿فماذا تأمرون﴾ [پس چه فرماييد مراشما دركار أو واشارت كنيد].

قال في «كشف الأسرار»: هي من المؤامرة لا من الأمر وهي المشاورة وقيل للتشاور ائتمار لقبول بعضهم أمر بعض فيما أشار به أي ماذا تشيرون به عليّ في دفعه ومنعه قهره سلطان المعجزة وحيره حتى حطه عن دعوى الربوبية إلى مقام مشاورة عبيده بعد ما كان مستقلاً بالرأي والتدبير وأظهر استشعار الخوف من استيلائه على ملكه ونسبة الإخراج والأرض إليهم لأجل تنفيرهم عن موسى.

﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿قالوا﴾ أي الملأ ﴿أرجه وأخاه﴾ يقال: أرجه أخر الأمر عن وقته كما في «القاموس» أي أخر أمر موسى وأخيه هارون حتى تنظر ولا تعجل بقتلهما قبل أن يظهر كذبهما حتى لا يسيء عبيدك الظن بك وتصير معذوراً في القتل. ﴿وابعث﴾ [وبرانكيز وبفرست] ﴿في المدائن﴾ في الأمصار والبلدان وأقطار مملكتك. وبالفارسية [درشهرها مملكت خود].

وفي «فتح الرحمن»: هي مدائن الصعيد من نواحي مصر. ﴿حاشرين﴾ أي: شرطاً يحشرون الناس ويجمعونهم فحاشرين صفة لموصوف محذوف هو مفعول ابعث والشرط جمع شرطة بالضم وسكون الراء وفتحها وهي طائفة من أعوان الولاة معروفة كما في «القاموس» والشرط بالفتح العلامة ومنه سمي الشرط لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها.

﴿يأتوك﴾ [تابيارتندترا] أي: الحاشرون. ﴿بكل سحار﴾ [هرجانيك جادوييست] ﴿عليم﴾ [دانا وبرسر آمد درفن سحر] أي فيعارضوا موسى بمثل سحره بل يفضلوا عليه ويتضح للعامة كذبه فتقتله حينئذ. وهذا تدبير النفس وإلقاء الشيطان في دفع الحق الصريح وكل تدبير هكذا في كل عصر فصاحبه مدبر البتة وإنما يجيء خبث القول والفعل من خبث النفس إذ كل إناء يترشح بما فيه ولو ترك فرعون وقومه التدبير في أمر موسى وقابلوه بالقبول لسلموا من كل آفة لكن منعهم حب الجاه عن الانتباه وحبك الشيء يعمي ويصم وإنما أخلدوا إلى الأرض غفلة الباقية الحاصلة بالإيمان والإطاعة والاتباع: وفي «المثنوي»:

تخت بندست آنكه تختش خوانده ... صدر پنداري وبردر مانده
پادشاهان جهان از بدركي ... بونبردند از شراب بندكي
ورنه ادهم وار سركردان ودنك ... ملك را برهم زندي بي درنك
ليك حق بهر ثبات اين جهان ... مهرشان بنهاد برچشم ودهان
تاشود شيرين بريشان تخت وتاج ... كه ستانيم ازجهانداران خراج
از خراج ارجمع آرى زرچوريك ... آخر آن ازتو بماند مرده ريك
همره جانب نكردد ملك وزر ... زربده سرمه ستان بهر نظر
تاببيني كين جهان چاهيست تنك ... يوسفانه آن رسن آرى بچنك
هست درجاه انعكاسات نظر ... كمترين آنكه نمايد سنك زر
وقت بازي كودكانرا زاختلال ... مي نمايد اين خزفها زرّ ومال

﴿فجمع السحرة﴾ أي: بعث فرعون الشرط في المدائن لجمع السحرة فجمعوا وهم اثنان وسبعون أو سبعون ألفاً كما يدل عليه كثرة الحبال والعصي التي خيلوها وكان اجتماعهم بالإسكندرية على ما رواه الطبري. ﴿لميقات يوم معلوم﴾ الميقات الوقت المضروب للشيء أي لما وقت به وعين من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة وهو يوم عيد لهم كانوا يتزينون ويجتمعون فيه كل سنة ـ روي ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه وافق يوم السبت في أول يوم من السنة وهو يوم النيروز وهو أول يوم من فرودين ماه ومعنى نيروز بلغة القبط طلع الماء أي علا ماء النيل وبلغة العجم نوروز أي اليوم الجديد وهو أول السنة المستأنفة عندهم وإنما وقت لهم موسى وقت الضحى من يوم الزينة في قوله: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴿٥٩﴾﴾ [طه: ٥٩] ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤوس الأشهاد ويشيع ذلك في الأقطار واختاره فرعون أيضاً ليظهر كذب موسى بمحضر الجمع العظيم فكان ما كان.

﴿وقيل﴾ من طرف فرعون ﴿للناس﴾ لأهل مصر وغيرهم ممن يمكن حضوره. ﴿هل أنتم مجتمعون﴾ [أيا هستيد شما فراهم آنيدكان يعني فراهم آييد وجمع شويد].

ففيه استبطاء لهم في الاجتماع حثا على مبادرتهم إليه فليس المراد بهل حقيقة الاستفهام بقرينة عدم الجواب.

﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿لعلنا﴾ [شايد ما همه باتفاق]. ﴿نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين﴾ لا موسى وليس مرادهم أن يتبعوا دينهم حقيقة وإنما هو أن لا يتبعوا موسى لكنهم ساقوا كلامهم مساق الكناية حملاً لهم على الاهتمام والجد في المغالبة فالترجي باعتبار الغلبة المقتضية للاتباع لا باعتبار الاتباع.

﴿فلما جاء السحرة﴾ [پس آن هنكام كه آمدند جادوان بنزديك فرعون آيشانرا بارداد ودلنوازي بسيار كرد إيشان كستاخ شده]. ﴿قالوا لفرعون أئن لنا﴾ [آيا مارا باشد] ﴿لأجراً﴾ جعلاً عظيماً. ﴿إن كنا نحن الغالبين﴾ لا موسى.

﴿قال نعم﴾ لكم ذلك. يعني [آرى مزد باشد شمارا] ﴿وإنكم﴾ مع ذلك ﴿إذاً﴾ إن وقت يعني إذا غلبتم ﴿لمن المقربين﴾ عندي تكونون أول من يدخل عليّ وآخر من يخرج من عندي وكان ذلك من أعظم المراتب عندهم وهكذا حال أرباب الدنيا في حب قربة السلطان ونحوه وهو من أعظم المصائب عند العقلاء [چون برين وعده مستظهر كشته جادو ييهاي خودرا بميدان معين آوردند وبوقت ملعوم دربرابر حضرت موسى صف بركشيده كفتنداي موسى تواول افكني جادويىء خودرا يا ما بيفكنيم].

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿قال لهم موسى ألقوا﴾ اطرحوا ﴿ما أنتم ملقون﴾ لم يرد به أمرهم بالسحر والتمويه لأن ذلك غير جائز بل الإذن في تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلاً به إلى إظهار الحق وإبطال الباطل.

قال في «كشف الأسرار»: ظاهر الكلام أمر ومعناه التهاون في الأمر وترك المبالاة بهم وبأفعالهم. ﴿فألقوا حبالهم﴾ جمع حبل ﴿وعصيهم﴾ جمع عصا. يعني [پس بيفكندند رسنها وعصاهاي مجوف پرسيماب ساختهٔ خودرا كه هفتاد هزار رسن وهفتاد هزار عصا بود] ﴿وقالوا﴾ [وكفتند بعدا زآنكه عصا ورسنها بحرارت آفتاب در حركت آمد وازمردمان غريو برخاست] أي قالوا عند الإلقاء حالفين ﴿بعزة فرعون﴾ [بحق بزركي وقوت وغالبيت فرعون] ﴿إنا لنحن الغالبون﴾ على موسى وهارون أقسموا بعزته على أن الغلبة لهم لفرط اعتقادهم في أنفسهم وإتيانهم بأقصى ما يمكن أن يؤتى من السحر. والقسم بغير الله من أقسام الجاهلية وفي الحديث: «لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالطواغيت ولا تحلفوا إلا بالله ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون».

قال بعض الكبار: رأوا كثرة تمويهاتهم وقلة العصا فنظروا إليها بنظر الحقارة وظنوا غلبة الكثير على القليل وما علموا أن القليل من الحق يبطل كثيراً من الباطل كما أن قليلاً من النور يمحو كثيراً من الظلمة. قال الحافظ:

تيغي كه آسمانش ازفيض خود دهدآب   تنها جهان بكيرد بي منت سپاهي

﴿فألقى موسى عصاه﴾ بالأمر الإلٓهي ﴿فإذا هي﴾ [پس آن عصا اژدها شده] ﴿تلقف﴾ تبتلع بسرعة من لقفه كسمعه تناوله بسرعة كما في «القاموس». ﴿ما يأفكون﴾ [انچه تزوير مي ساختند وبصورت مار بخلق مي نمودند] أي ما يقبلونه والمأخوذ عند بعض أكابر المكاشفين صور الحيات من حبال السحرة وعصيهم حتى بدت للناس حبالاً وعصياً كما هي في نفس الأمر كما يبطل الخصم بالحق حجة خصمه فيظهر بطلانها لا نفس الحبال والعصي كما عند الجمهور وإلا لدخل على السحرة الشبهة في عصا موسى والتبس عليهم الأمر فكانوا لم يؤمنوا وكان الذي جاء به موسى حينئذ من قبيل ما جاءت به السحرة إلا أنه أقوى منهم سحراً وأنه يدل على ما قلنا قوله تعالى: ﴿تلقف ما يأفكون﴾ وتلقف ما صنعوا وما أفكوا الحبال وما صنعوا العصي بسحرهم وإنما أفكوا وصنعوا في أعين الناظرين صور الحيات وهي التي تلقفته عصا موسى ذكره الإمام الشعراني في «الكبريت الأحمر».

﴿فألقي السحرة﴾ على وجوههم ﴿ساجدين﴾ لله تعالى [چنه دانستندكه انقلاب عصا بثعبان وفروبردن أو آنچه تزوير مي ساختند نه ازقبيل سحرا ست] أي ألقوا أثر ما شاهدوا ذلك من غير تلعثم وتردد غير متمالكين كأن ملقياً ألقاهم لعلمهم بأن مثل ذلك خارج عن حدود السحر وأنه أمر إلهي قد ظهر على يده لتصديقه.

وفيه دليل على أن التبحر في كل فن نافع فإن السحرة ما تيقنوا بأن ما فعل موسى معجزهم إلا بمهارتهم في فن السحر، وعلى أن منتهى السحر تمويه وتزوير وتخييل شيء لا حقيقة له، وجه الدلالة أن حقيقة الشيء لو انقلبت إلى حقيقة شيء آخر بالسحر لما عدوا انقلاب العصا حية من قبيل المعجزة الخارجة عن حد السحر ولما خروا ساجدين عند مشاهدته وقد سبق تفصيل السحر في سورة طه.

قال بعض الكبار: السحر مأخوذ من السحر وهو ما بين الفجر الأول والفجر الثاني وحقيقته اختلاط الضوء والظلمة فما هو بليل لما خالطه من ضوء الصبح ولا هو بنهار لعدم طلوع الشمس للأبصار كذلك ما فعله السحرة ما هو باطل محقق فيكون عدماً فإن العين أدركت أمراً لاتشك فيه وما هو حق محض فيكون له وجود في عينه فإنه ليس هو في نفسه كما تشهد العين ويظنه الرائي.

قال الشعراني بعد ما نقله: هو كلام نفيس ما سمعنا مثله قط.

﴿قالوا﴾ [ازروى صدق]. ﴿آمنا برب العالمين﴾ بدل اشتمال من ألقى فلذلك لم يتخلل بينهما عاطف انظر كيف أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء مسلمين مؤمنين فالمغرور من اعتمد على شيء من أعماله وأقواله وأحواله. قال الحافظ.

بر عمل تكيه مكن زانكه دران روزازل توچه داني قلم صنع بنامت چه نوشت

وقال:

مكن بنامه سياهي ملامت من مست كه آكهست كه تقدير بر سرش چه نوشت

﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿رب موسى وهارون﴾ بدل من رب العالمين لدفع توهم إرادة فرعون حيث كان قومه الجهلة يسمونه بذلك ولو وقفوا على رب العالمين لقال فرعون: أنا رب العالمين إياي عنوا فزادوا رب موسى وهارون فارتفع الإشكال.

﴿قال﴾ فرعون للسحرة ﴿آمنتم﴾ على صيغة الخبر ويجوز تقدير همزة استفهام في الأعراف. ﴿له﴾ أي لموسى ﴿قبل أن آذن لكم﴾ [پيش ازانكه اجازت ودستوري دهم شمارا درايمان بوي] أي بغير إذن لكم من جانبي كما في قوله تعالى: ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩] لا أن أذن الإيمان منه ممكن أو متوقع. ﴿إنه﴾ موسى ﴿لكبيركم الذي علمكم السحر﴾ فواضعكم على ما فعلتم وتواطأتم عليه يعني [بايكديكر اتفاق كرديد درهلاك من وفساد ملك من] كما قال في الأعراف: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾ [الأعراف: ١٢٣] أي قبل أن تخرجوا إلى هذا الموضع أو علمكم شيئاً دون شيء فلذلك غلبكم أراد بذلك التلبيس على قومه كي لا يعتقدوا أنهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق. ﴿فلسوف تعلمون﴾ أي: وبال ما فعلتم واللام للتأكيد لا للحال فلذا اجتمعت بحرف الاستقبال ثم بين ما أودعهم به فقال: ﴿لأقطعن أيديكم وأرجلكم﴾ لفظ التفعيل وهو التقطيع لكثرة الأيدي والأرجل كما تقول: فتحت الباب وفتحت الأبواب. ﴿من خلاف﴾ من كل شق طرفاً وهو أن يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى وذلك زمانه من جانب البدن كما في «كشف الأسرار» وهو أول من قطع من خلاف وصلب كما في «فتح الرحمن».

وقال بعضهم: من للتعليل. يعني [برأي خلا في كه بامن كرديد] وذلك لأن القطع المذكور لكونه تخفيفاً للعقوبة واحترازاً عن تفويت منفعة البطش على الجاني لا يناسب حال فرعون ولما هو بصدده إلا أن يحمل على حمقه حيث أوعد لهم في موضع التغليظ بما وضع للتخفيف انتهى وذلك وهم محض لأنه يدفعه قوله: ﴿ولأصلبنكم أجمعين﴾ [وهر آينه بردار كنم همهٔ شمارا أي على شاطىء البحر تا بميريد وهمه مخالفان عبرت كيرند].

قال في «الكشف»: أي أجمع عليكم التقطيع والصلب ـ روي ـ أنه علقهم على جذوع النخل حتى ماتوا وفي الأعراف: ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٢٤] فأوقع المهلة ليكون هذا التصليب لعذابهم أشد ﴿قالوا﴾ أي: السحرة المؤمنون ﴿لا ضير﴾ مصدر ضاره يضيره ضيراً إذا ضره أي لا ضرر فيه علينا. وبالفارسية [هيچ ضرري نيست برما ازتهديد تو وما ازمرك نمي ترسيم] ﴿إنا إلى ربنا منقلبون﴾ راجعون فيثيبنا بالصبر على ما فعلت ويجازينا على الثبات على التوحيد.

وفي الآية دلالة على أن للإنسان أن يظهر الحق وإن خاف القتل.

قال ابن عطاء: من اتصلت مشاهدته بالحقيقة احتمل معها كل وارد يرد عليه من محبوب ومكروه ألا نرى أن السحرة لما صحت مشاهدتهم كيف قالوا: لا ضير؟ قال السعدي في حق أهل الله:

دمـا دم شـراب ألـم در كـشـنـد ... وكـر تـلـخ بـيـنـنـد دم دركـشـنـد
نـه تـلـخـسـت صـبـري كـه بـرياداوسـت ... كـه تـلـخـي شـكـر بـاشـدازدسـت دوسـت

قال الحافظ:

عاشقا نراكردر آتش مي پسندد لطف يار ... تنك چشمم كرنظر چشمهٔ كوثر كنم

وقال:

اكر بلطف بخواني مزيد الطافست وكر بقهر براني درون ما صافست

﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾

﴿إنا نطمع﴾ نرجو.

قال في «المفردات»: الطمع نزوع النفس إلى شيء شهوة له﴿أن يغفر لنا ربنا خطايانا﴾ السالفة من الشرك وغيره﴿أن كنا﴾ أي لأن كنا﴿أول المؤمنين﴾ أي من أتباع فرعون أو من أهل المشهد.

قال الكاشفي: [آورده اندكه فرعون بفرمود تادست راست وپاي چپ آن مؤمنان ببريدند وايشانرا ازدارهاي بلند آويختند وموسى عليه السلام برايشان مي كريست حضرت عزت حجابها برداشته منازل قرب ومقامات أنس إيشانرا پنظروى در آورده تاتسلي يافت].

جادوان كان دست وپا در باختند در فضاي قرب مولى تاختند

كر برفت آن دست وپا برجاي آن رست از حق بالهاي جاودان

تابدان برها بپر واز آمدند درهواي عشق شهباز آمدند

وذلك لأن ما نقص عن الوجود زاد في الروح والشهود والله تعالى يأخذ الفاني من العبد ويأخذ بدله الباقي.

وكان جعفر ابن عم النبي ﷺ أخذ اللواء في بعض الغزوات بيمينه فقطعت فأخذه بشماله فقطعت فاحتضنه بعضديه حتى قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فأنابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء ولذلك قيل له جعفر الطيار وهكذا شأن من هو صادق في دعواه فليخفف ألم البلاء عنك علمك بأن الله تعالى هو المبتلي لكن هذا العلم إذا لم يكن من مرتبة المشاهدات لا يحصل التخفيف التام فحال السحرة كانت حال الشهود والجذبة ومثلها يقع نادراً إذ الانجذاب تدريجي لأكثر السالكين لا دفعي.

وكان حال عمر رضي الله عنه حين الإيمان كحال السحرة وبالجملة إن الإيمان وسيلة الإحسان فمن سعى في إصلاح حاله في باب الأعمال أوصله الله إلى ما أوصل إليه أرباب الأحوال كما قال عليه السلام: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم».

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر كما تعبد لله تعالى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بشريعة إبراهيم عليه السلام قبل نبوته عناية من الله له حتى فجأته الرواية وجاءته الرسالة فكذلك الوليّ الكامل يجب عليه معانقة العمل بالشريعة المطهرة حتى يفتح الله له في قلبه عين الفهم عنه فيلهم معاني القرآن ويكون من المحدثين بفتح الدال ثم يرده الله تعالى إلى إرشاد الخلق كما كان رسول الله ﷺ حين أرسل انتهى. فإذا عرفت الطريق فعليك بالسلوك فإن أهل السلوك هم الملوك ولن يتم السلوك إلا بالانقلاب التام عن الأهل والأولاد والأموال إلى الله تعالى كما قالوا: إنا إلى ربنا منقلبون ألا ترى أن السالك الصوري يترك كل ماله في داره فإن العبد ضعيف والضعيف لا يتحمل الحمل الثقيل نسأل الله التيسير والتسهيل.

﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي﴾ الإيحاء إعلام في خفاء وسرى يسري بالكسر سرى بالضم وسرى بالفتح وأسرى أيضاً أي سار ليلاً. والمعنى: وقلنا لموسى بطريق الوحي: يا موسى اذهب ببني إسرائيل بالليل وسيرهم حتى تنتهي إلى بحر القلزم فيأتيك هناك أمري فتعمل به وذلك بعد سنين أقام بين أظهرهم يدعوهم إلى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا إلا عتواً وفساداً. وبالفارسية [وپيغام كرديم بسوي موسى آنكه ببر بسبب بندكان من يعني بني إسرائيل بجانب درياي قلزم كه نجات شما وهلاك كفره در آنست] وعلم الانتهاء إلى البحر من الوحي؛ إذ من البعيد أن يؤمر بالمسير ليلاً وهو لا يعرف جهة الطريق ومن قول جبريل حين خرجوا من مصر موعد ما بيني وبينك يا موسى البحر، أي شط بحر القلزم. ﴿إنكم متبعون﴾ يتبعكم فرعون وجنوده وهو تعليل للأمر بالإسراء أي أسر بهم حتى إذا اتبعوكم مصبحين كان لكم تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم إلى البحر بل يكونون على أثركم حين تدخلون البحر فيدخلون مداخلكم فاطبقه عليهم فأغرقهم.

﴿فأرسل فرعون﴾ حين أخبر بمسيرهم في الليل. ﴿في المدائن﴾ [درشهرها كه بپاي تحت نزديك بود] ﴿حاشرين﴾ أي قوماً جامعين للعساكر ليتبعوهم.

قال الكاشفي: [آخر روز خبر خروج إيشان بقبطيان رسيد چه مي پنداشتندكه بني إسرائيل تهينهٔ أسباب عبد در خانهاي خود أقامت نموده اند روز دوم خواستندكه از عقب ايشان دوند درخانهٔ هر قبطي يكي از اعزهٔ قوم بمرد بتعزيهٔ شدند ودرين روز فرعون بجمع كردن لشكر أمر كرد. قال في كشف الأسرار بأمداد روز يكشنبه قبطيان بدفن آن كافر مشغول وفرعون آن روز فرمود تاخيل وحشم وي همه جمع آمدند وديكر روز روز دوشنبه فراپي بني إسرائيل نشستند].

﴿إن هؤلاء﴾ أي: قال حين جمع عساكر المدائن: إن هؤلاء يريد بني إسرائيل. ﴿لشرذمة قليلون﴾ [كروه اندك اند] استقلهم وهم ستمائة ألف وسبعون ألفاً بالنسبة إلى جنوده إذ كان عدد آل فرعون لا يحصى.

قال في «التكملة»: اتبعهم في ألف ألف حصان سوى الإناث وكانت مقدمته سبعمائة ألف والشرذمة الطائفة القليلة وقليلون دون قليلة باعتبار أنهم أسباط كل سبط منهم سبط قليل.

﴿وإنهم لنا لغائظون﴾ [بخشم آرندكان] والغيظ أشد الغضب وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من ثوران دم قلبه. والمعنى لفاعلون ما يغيظنا ويغضبنا بمخالفتهم ديننا وذهابهم بأموالنا التي استعاروها بسبب أن لهم عيداً في هذه الليلة وخروجهم من أرضنا بغير إذن منا وهم منخرطون في سلك عبادنا. ﴿وإنا لجميع حاذرون﴾ يقال للمجموع جمع وجميع وجماعة، والحذر: احتراز عن مخيف يريد أن بني إسرائيل لقلتهم وحقارتهم لا يبالي بهم ولا يتوقع علوهم وغلبتهم ولكنهم يفعلون أفعالاً تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن جمع وقوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الأمور فإذا خرج علينا خارج سار عنا إلى إطفاء نائرة فساده قاله فرعون لأهل المدائن لئلا يظن به أنه خاف من بني إسرائيل.

وقال بعضهم: ﴿حاذرون﴾ يعني: [سلاح وارانيم ودانندكان مراسم حرب تعريض است با رنكه قوم موسى نه سلاح تمام دارند ونه بعلم حرب داناїند] فإن الحاذر يجيء بمعنى المتهيىء والمستعد كما في «الصحاح».

﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿فأخرجناهم﴾ أي فرعون وقومه بأن خلقنا فيهم داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه يعني أنهم وإن خرجوا باختيارهم إلا أنه أسند الإخراج إليه تعالى إسناداً مجازياً من حيث الخلق المذكور. **﴿من جنات﴾** بساتين كانت ممتدة على حافتي النيل. **﴿وعيون﴾** من الماء.

قال الراغب: يقال لمنبع الماء عين تشبيهاً بالعين الجارحة لما فيها من الماء.

قال في «كشف الأسرار»: وعيون أي أنهار جارية.

وقال الكاشفي: [وازچشمه سارها].

﴿وكنوز﴾ [وازكنجها] يعني: الأموال الظاهرة من الذهب والفضة ونحوهما سماها كنزاً لأن ما لايؤدي منه حق الله فهو كنز وإن كان ظاهراً على وجه الأرض وما أدى منه فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين والكنز المال المجموع المحفوظ.

والفرق بينه وبين الركاز والمعدن أن الركاز المال المركوز في الأرض مخلوقاً كان أو موضوعاً والمعدن ما كان مخلوقاً والكنز ما كان موضوعاً.

قال في «خريدة العجائب»: وفي أرض مصر كنوز كثيرة ويقال: إن غالب أرضها ذهب مدفون حتى قيل: إنه ما فيها موضع إلا وهو مشغول من الدفائن. **﴿ومقام كريم﴾** يعني المنازل الحسنة والمجالس البهية.

وقال السهيلي في كتاب «التعريف والأعلام»: في الفيوم من أرض مصر في قول طائفة من المفسرين ومعنى الفيوم ألف يوم كما في «التكملة» وهي مدينة عظيمة بناها يوسف الصديق عليه السلام ولها نهر يشقها ونهرها من عجائب الدنيا وذلك أنه متصل بالنيل وينقطع أيام الشتاء وهو يجري في سائر الزمان على العادة ولهذه المدينة ثلاثمائة وستون قرية عامرة كلها مزارع وغلال.

ويقال: إن الماء في هذا الوقت قد أخذ أكثرها وكان يوسف جعلها على عدد أيام السنة فإذا أجدبت الديار المصرية كانت كل قرية منها تقوم بأهل مصر يوماً وبأرض الفيوم بساتين وأشجار وفواكه كثيرة رخيصة وأسماك زائدة الوصف وبها من قصب السكر كثير.

﴿كذلك﴾ أي مثل ذلك الإخراج العجيب أخرجناهم فهو مصدر تشبيهي لأخرجنا.

وقال أبو الليث: كذلك أي هكذا أفعل بمن عصاني. **﴿وأورثناها بني إسرائيل﴾** أي: مكنا تلك الجنات والعيون والكنوز والمقام إياهم على طريقة مال المورث للوارث كأنهم ملكوها من حين خروج أربابها منها قبل أن يقبضوها ويتسلموها. وبالفارسية [وميراث داديم باغ وبستان وكنج وجاريهاي إيشان فرزندان يعقوب راچه قول آنست كه بني إسرائيل بعد از هلاك فرعونيان بمصر آمده همه أموال قبطية را بحيطهٔ تصرف آوردند وأصح آنست كه درزمان دولت داود عليه السلام بر ملك استيلا يافته متصرف جهان مصريان شدند] كما قال الطبري: إنما ملكوا ديار آل فرعون ولم يدخلوها لكنهم سكنوا الشام ـ القصة ـ [فرعون ششصد هزار سوار بر مقدمهٔ لشكر روان كرد وششصد هزار بر ميمنه تعيين كردوششصد هزار بر ميسره نامزد فرمود وششصد هزار درساقهٔ لشكر مقرر كرد وخود باخلق بيشمار در قلب قرار كرفت يكي لشكر

سراپا غرق جوشن شده درموج چون درياي آهن چوچشم دلبران پركين وخونريز بقصد خون دم تيغها تيز]. ﴿فأتبعوهم﴾ بقطع الهمزة يقال: أتبعه إتباعاً إذا طلب الثاني اللحوق بالأول وتبعه تبعاً إذا مر به ومضى معه. والمعنى فأردنا إخراجهم وإيراث بني إسرائيل ديارهم فخرجوا فلحقوا موسى وأصحابه. ﴿مشرقين﴾ يقال: أشرق وأصبح وأمسى وأظهر إذا دخل في الشروق والصباح والمساء والظهيرة. والمعنى حال كونهم داخلين في وقت شروق الشمس أي طلوعها على أنه حال إما من الفاعل أو من المفعول أو منهما جميعاً لأن الدخول المذكور قائم بهم جميعاً.

قال الكاشفي: [يعني بهنكام طلوع آفتاب ببني إسرائيل رسيدند ودران زمان لشكر موسى بكنارهٔ درياي قلزم رسيدند تدبير عبور ميكردندكه ناكاه أثر فرعونيان بديد آمد].

﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾.

﴿فلما تراءى الجمعان﴾ تقاربا بحيث رأى كل واحد منهما الآخر والمراد جمع موسى وجمع فرعون. وتراءى من التفاعل والترائي [يكديكررا ديدن ودر برابر يكديكر افتادن] كما في «التاج» ﴿قال أصحاب موسى إنا لمدركون﴾ لملحقون من ورائنا ولا طاقة لنا بقوم فرعون وهذا البحر أمامنا لا منفذ لنا فيه.

﴿قال﴾ موسى ﴿كلا﴾ [نه چنين است] أي: ارتدعوا وانزجروا عن ذلك المقال فإنهم لا يدركونكم فإن الله تعالى وعدكم الخلاص منهم. ﴿إن معي ربي﴾ بالحفظ والنصر والرعاية والعناية.

قال الجنيد حين سئل العناية أولاً أم الرعاية قال: العناية قبل الماء والطين. ﴿سيهدين﴾ البتة إلى طريق النجاة منهم بالكلية [محققان كفته اند موسى عليه السلام در كلام خود معيت را مقدم داشت كه ﴿إن معي ربي﴾ وحضرت پيغمبر ما عليه السلام در قول خودكه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] معيت را تأخير فرمود تابر ضمائر عرفا روشن كردد كه كليم از خود بحق نكريست واين مقام مريدست وحبيب از حق بخود نظر كرد واين مقام مرادست مريدرا هرچه كويند آن كند ومراد هرچه كويد چنان كنند].

ايـن يـكـي را روى أو در روى دوسـت وآن دكـــررا روى او خـــود روى اوس

وفي «كشف الأسرار»: [موسى خودرا درين حكم فرموده كه كفت ﴿معي ربي﴾ ونكفت «معنا ربنا» زيرا كه در سابقهٔ حكم رفته بودكه قومي از بني إسرائيل بعد از هلاك فرعون وقبطيان كوساله پرست خواهند شدباز مصطفى عليه السلام چون درغاربودبا صديق أكبر ازا حوال صديق آن حقائق معاني ساخته كه اورا بانفس خود قرين كرد ودر حكم معيت آورد كفت ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] وكفته اند موسى خودرا كفت ﴿إن معي ربي سيهدين﴾ ورب العزة امت محمد راكفت ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ [النحل: ١٢٨] موسى آنجه خودرا كفت الله اورا بكرد واورا راه نجات نمود وكيد دشمن ازپيش برداشت چكوبي آنكه تعالى بخودئ خود امت احمد راكفت ووعدهٔ كه داد اولى كه وفاكند ازغم كناه برهاند وبرحمت ومغفرت خود رساند]. روي: أن مؤمن آل فرعون كان بين يدي موسى فقال: أين أمرت فهذا البحر أمامك وقد غشيك آل فرعون؟ قال: أمرت بالبحر ولعلي أؤمر بما أصنع. روي عن عبد الله بن سلام أن موسى لما انتهى إلى البحر قال

عند ذلك: يا من كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء اجعل لنا مخرجاً.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «قل اللهم لك الحمد وإليك المشتكى وبك المستغاث وأنت المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله» قال ابن مسعود: فما تركتهن منذ سمعتهن من النبي عليه السلام.

﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿فأوحينا إلى موسى أن﴾ يا موسى ﴿اضرب بعصاك البحر﴾ هو بحر القلزم وسمي البحر بحراً لاستبحاره أي اتساعه وانبساطه. وبحر القلزم طرف من بحر فارس والقلزم بضم القاف وسكون اللام وضم الزاي بليدة كانت على ساحل البحر من جهة مصر وبينها وبين مصر نحو ثلاثة أيام وقد خربت ويعرف اليوم موضعها بالسويس تجاه عجرود منزل ينزله الحاج المتوجه من مصر إلى مكة وبالقرب منها غرق فرعون وبحر القلزم بحر مظلم وحش لا خير فيه ظاهراً وباطناً وعلى ساحل هذا البحر مدينة مدين وهي خراب وبها البئر التي سقى موسى عليه السلام منها غنم شعيب وهي معطلة الآن.

قال الكاشفي: [موسى عليه السلام برلب دريا آمد وعصا بروى زد وكفت يا أبا خاله مارا راه ده] ﴿فانفلق﴾ الفاء فصيحة أي فضرب فانفلق ماء البحر أي انشق فرقاً بعدد الأسباط بينهن مسالك ﴿فكان كل فرق﴾ أي كل جزء تفرق منه وتقطع.

قال في «المفردات»: الفرق يقارب الفلق لكن القلق يقال: اعتباراً بالانشقاق والفرق يقال: اعتباراً بالانفصال والفرق القطعة المنفصلة وكل فرق بالتفخيم والترقيق لكل القراء والتفخيم أولى ﴿كالطود العظيم﴾ كالجبل المرتفع في السماء الثابت في مقره.

قال الراغب: الطود الجبل العظيم ووصفه بالعظم لكونه فيما بين الأطواد عظيماً لا لكونه عظيماً فيما بين سائر الجبال فدخلوا في شعابها كل سبط في شعب منها.

قال الكاشفي: [وفي الحال بادي درتك دريا وزيد وكل خشك شده وهر سبطى ازراهي بدريا در آمدند] كما قال تعالى: ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾ [طه: ٧٧].

﴿وأزلفنا﴾ أي قربنا من بني إسرائيل.

قال في «تاج المصادر»: الإزلاف [نزديك كردانيدن وجمع كردن] وفسر بهما قوله تعالى: ﴿وأزلفنا﴾ إلا أن الحمل على المعنى الأول أحسن انتهى. ﴿ثم﴾ حيث انفلق البحر وهو إشارة إلى المستبعد من المكان. ﴿الآخرين﴾ أي: فرعون وقومه حتى دخلوا على أثرهم مداخلهم.

﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾.

﴿وأنجينا موسى ومن معه أجمعين﴾ من الغرق بحفظ البحر على تلك الهيئة إلى أن عبروا إلى البر. ﴿ثم أغرقنا الآخرين﴾ بإطباقه عليهم يعني: [چون بني إسرائيل همه ازدريا بيرون آمدند موسى ميخواست كه دريا بحال خود بازشود ازبيم آنكه فرعون وقبطيان بآن راهها

در آيند وبايشان درر سندفر مان آمدكه] يا موسى اترك البحر رهواً أي صفوفاً ساكنة فإن فرعون وقومه جند مغرقون فتركه على حاله حتى أغرقهم الله تعالى كما مر في غير موضع آورده اندكه آن روزكه موسى نجات يافت ودشمن وي غرق كشت روز دوشنبه بود دهم ماه محرم وموسى آن روز روزه داشت شكر آن نعمت را].

﴿إن في ذلك﴾ أي في جميع ما فصل خصوصاً في الإنجاء والغرق ﴿لآية﴾ لعبرة عظيمة للمعتبرين. ﴿وما كان أكثرهم﴾ أي: أكثر المصريين وهم آل فرعون. ﴿مؤمنين﴾ قالوا: لم يكن فيه مؤمن إلا آسية امرأة فرعون وخربيل المؤمن ومريم بنت ناموشا التي دلت على عظام يوسف عليه السلام حين الخروج من مصر.

﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ الغالب المنتقم من أعدائه كفرعون وقومه. ﴿الرحيم﴾ بأوليائه كموسى وبني إسرائيل.

يقول الفقير: هذا هو الذي يقتضيه ظاهر السوق فإن قوله تعالى: ﴿إن في ذلك﴾ الخ ذكر في هذه السورة في ثمانية مواضع. أولها في ذكر النبي عليه السلام وقومه كما سبق وذكر النبي عليه السلام وإن لم يتقدم صريحاً فقد تقدم كناية. والثاني في قصة موسى ثم إبراهيم ثم نوح ثم هود ثم صالح ثم لوط ثم شعيب عليهم السلام فتعقيب القول المذكور بكل قصة من هذه القصص يدل على أن المراد بالأكثر هو من لم يؤمن من قوم كل نبي من الأنبياء المذكورين وقد ثبت في غير هذه المواضع أيضاً أن أكثر الناس من كل أمة هم الكافرون فكون كل قصة آية وعبرة إنما يعتبر بالنسبة إلى من شاهد الوقعة ومن جاء بعدهم إلى قيام الساعة فيدخل فيهم قريش لأنهم سمعوا قصة موسى وفرعون مثلاً من لسان النبي عليه السلام فكانت آية لهم مع أن بيانها من غير أن يسمعها من أحد آية أخرى موجبة للإيمان حيث دل على أن ما كان إلا بطريق الوحي الصادق نعم إن قوله تعالى: ﴿إن في ذلك﴾ إذا كان إشارة إلى جميع ما جرى بين موسى وفرعون مثلاً كان غير الإنجاء والغرق آية للمغرقين أيضاً وبذلك يحصل التلاؤم الأتم بما بعده فافهم جداً.

وقد رجح بعضهم رجوع ضمير أكثرهم إلى قوم نبينا عليه السلام فيكون المعنى إن في ذلك المذكور لآية لأهل الاعتبار كما كان في المذكور في أول السورة آية أيضاً وما كان أكثر هؤلاء الذين يسمعون قصة موسى وفرعون وهم أهل مكة مؤمنين لعدم تدبرهم واعتبارهم فليحذروا عن أن يصيبهم مثل ما أصاب آل فرعون وإن ربك لهو العزيز الغالب على ما أراد من انتقام المكذبين الرحيم البالغ في الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يعجل عقوبتهم بعدم إيمانهم بعد مشاهدة هذه الآيات العظيمة بطريق الوحي مع كمال استحقاقهم لذلك.

وفي الآية تسلية للنبي عليه السلام لأنه كان قد يغتم قلبه المنير بتكذيب قومه مع ظهور المعجزات على يديه فذكر له أمثال هذه القصص ليقتدي بمن قبله من الأنبياء في الصبر على عناد قومه والانتظار مجيء الفرج كما قيل: اصبروا تظفروا كما ظفروا. قال الحافظ:

سروش عالم غيبم بشارتي خوش داد   كه كس هميشه بكيتي دژم نخواهد مائد

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا

كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿واتل عليهم﴾ من التلاوة وهي القراءة على سبيل التتابع والقراءة أعم أي اقرأ على مشركي العرب وأخبر أهل مكة. ﴿نبأ إبراهيم﴾ خبره العظيم الشان.

قال الكاشفي: [خبر إبراهيم كه إيشان بدو نسبت درست ميكنند وبفرزندي أو مفخترند ومستظهر]. ﴿إذ قال﴾ ظرف لنبأ ﴿لأبيه﴾ آزر وهو تاريخ كما سبق ﴿وقومه﴾ أهل بابل وهو كصاحب موضع بالعراق وإليه ينسب السحر. والقوم جماعة الرجال في الأصل دون النساء كما نبه عليه قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤] وفي عامة القرآن أريدوا به والنساء جميعاً كما في «المفردات» ﴿ما تعبدون﴾ أي شيء تعبدونه، وبالفارسية. [چيست آنچه پرستيد] سألهم وقد علم أنهم عبدة الأوثان لينبههم على ضلالهم ويريهم أن ما يعبدونه لا يستحق العبادة.

﴿قالوا نعبد أصناماً﴾ وهي اثنان وسبعون صنماً من ذهب وفضة وحديد ونحاس وخشب كما في «كشف الأسرار». والصنم ما كان على صورة ابن آدم من حجر أو غيره كما في «فتح الرحمن».

قال في «المفردات»: الصنم جثة متخذة من فضة أو نحاس والوثن حجارة كانت تعبد.

قال الكاشفي: [مراد تمثالها ست كه ساخته بودند از انواع فلزات بر صور مختلفة وبرعبات آن مداومت ميكردند] كما قال: ﴿فنظل لها عاكفين﴾ لم يقتصروا على قوله أصناماً بل أطنبوا في الجواب بإظهار الفعل وعطف دوام عكوفهم على أصنامهم ابتهاجاً وافتخاراً بذلك يقال: ظللت أعمل كذا بالكسر ظلولاً إذا عملت بالنهار دون الليل والظاهر أن عبادتهم الأصنام لا تختص بالنهار فالمراد بالظلول ههنا الدوام، والمعنى بالفارسية: [پس هميشه مي باشيم مرانرا مجاور وملازم ومداوم بر عبادت].

والعكوف اللزوم ومنه المعتكف لملازمته المسجد على سبيل القربة وصلة العكوف كلمة على وايراد اللام لإفادة معنى زائد كأنهم قالوا: فنظل لأجلها مقبلين على عبادتها ومستديرين حولها.

وقال أبو الليث: إن إبراهيم عليه السلام ولدته أمه في الغار فلما خرج وكبر دخل المصر وأراد أن يعلم على أي مذهب هم وهكذا ينبغي للعاقل إذا دخل بلدة أن يسألهم عن مذهبهم فإن وجدهم على الاستقامة دخل معهم وإن وجدهم على غير الاستقامة أنكر عليهم فلما قال إبراهيم ما تعبدون وقالوا: نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين وأراد أن يبين عيب فعلهم.

﴿قال﴾ استئناف بياني. ﴿هل يسمعونكم﴾ أي: يسمعون دعاءكم على حذف المضاف فإن كم ليس من قبيل المسموعات والواو بحسب زعمهم فإنهم كانوا يجرون الأصنام مجرى العقلاء. ﴿إذ تدعون﴾ وقت دعائكم لحوائجكم فيستجيبون لكم. ﴿أو ينفعونكم﴾ على عبادتكم لها. وبالفارسية [يا سود ميرسانند شمارا] ﴿أو يضرون﴾ أو يضرونكم بترك العبادة إذ لا بد للعبادة من جلب نفع أو دفع ضر. وبالفارسية: [يا زيان ميرسانند بشما قوم إبراهيم نتوا نستندكه أو راجواب دهند بهانهٔ تقليد پيش آورده].

﴿قالوا﴾ما رأينا منهم ذلك السمع أو النفع أو الضر ﴿بل وجدنا آباءنا كذلك﴾منصوب بقوله: ﴿يفعلون﴾وهو مفعول ثانٍ لوجدنا، أي وجدناهم يعبدون مثل عبادتنا فاقتدينا بهم اعترفوا بأنها بمعزل من السمع والمنفعة والمضرة بالكلية واضطروا إلى إظهار أن لا سند لهم سوى التقليد.

خواهي بسوى كعبهٔ تحقيق ره برى پي برپي مقلدكم كرده ره مرو

﴿قال﴾إبراهيم متبرئاً من الأصنام ﴿أفرأيتم﴾أي: أنظرتم فأبصرتم أو تأملتم فعلمتم ﴿ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون﴾الأولون حق الإبصار أو بحق العلم فإن الباطل لا ينقلب حقاً بكثرة فاعلية وكونه دأباً قديماً وما موصولة عبارة عن الأصنام.

﴿فإنهم عدو لي﴾بيان لحال ما يعبدونه بعد التنبيه على عدم علمهم بذلك أي لم تنظروا ولم تقفوا على حاله فاعلموا أن الأصنام أعداء لعابديهم لما أنهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من عدوه. فسمى الأصنام أعداء وهي جمادات على سبيل الاستعارة وصور الأمر في نفسه حيث قال: عدو لي. لا لكم تعريضاً لهم فإنه أنفع في النصح من التصريح وإشعاراً بأنها نصيحة بدأ بها نفسه ليكون أدعى إلى القبول.

وقال الفراء: هو من المقلوب ومعناه فإني عدو لهم فإن من عاديته عاداك وإفراد العدو لأنه في الأصل مصدر أو بمعنى النسب أي ذو عداوة كتامر لذي تمر. ﴿إلا رب العالمين﴾ استثناء منقطع أي لكن رب العالمين ليس كذلك بل هو وليي في الدنيا والآخرة لا يزال يتفضل عليّ بمنافعهما.

قال بعض الكبار: رأى الخليل عليه السلام نفسه بمثابة في الخلة لم يكن له في زمانه نظير يسمع كلامه من حيث حاله فوقعت العداوة بينه وبين الخلق جميعاً. وأيضاً هذا إخبار عن كمال محبته إذ لا يليق بصحبته ومحبته أحد غيرالحق.

قال سمنون: لا تصح المحبة لمن لم ينظر إلى الأكوان وما فيها بعين العداوة حتى يصح له بذلك محبة محبو به والرجوع إليه بالانقطاع عما سواه ألا ترى الله كيف قال حاكياً عن الخليل: ﴿فإنهم عدو لي إلا رب العالمين﴾.

هجرت الكل فيك حتى صح لي الاتصال
بهجر ما سوي بايد طلب كردن وصال او
كن من الخلق جانباً وارض بالله صاحبا
قلب الخلق كيف شئت تجدهم عقاربا

يقول الفقير: اعلم أن العدو لا ينظر إلى العدو إلا بطرف العين بل لا ينظر أصلاً لفقدان الميل القلبي قطعاً فإذا كان ما سوى الله تعالى عدواً للسائق فاللائق له أن لا ينظر إليه إلا بنظر الاعتبار. وقد ركب الله في الإنسان عينين إشارة باليمنى إلى الملكوت وباليسرى إلى الملك فما دامت اليسرى مفتوحة إلى الملك فاليمنى محجوبة عن الملكوت وما دامت اليمنى ناظرة إلى الملكوت فالعبد محجوب عن الجبروت واللاهوت فلا بد من قطع النظر عن الملك والملكوت وإيصاله إلى عام الجبروت واللاهوت وهو العمى المقبول والنظر المرضي. وفي الدعاء: اللهم اشغلنا بك عمن سواك.

فإن قلت: ما يطلق عليه ما سوى الله كله من آثار تجلياته تعالى فكيف يكون عدواً وغيراً؟.

قلت: هو في نفسه كذلك لكنه إشارة إلى المراتب ولا بد من العبور عن جميع المراتب مع أن كونه عدواً إنما هو من حيث كونه صنماً ومبدأ علاقة فمن شاهد الله في كل شيء فقد انقطع عن الأغيار فكل عدو له صديق والحمد لله تعالى:

جهان مر آت حسن شاهد ماست فشاهد وجهه في كل ذرات

﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ ۝٨١﴾.

﴿الذي خلقني﴾[از عدم بوجود آورد] صفة رب العالمين ﴿فهو﴾وحده ﴿يهدين﴾ يرشدني إلى صلاح الدارين بهدايته المتصلة من الخلق ونفخ الروح متجدد على الاستمرار كما ينبيء عنه فاء العطف التعقيبي وصيغة المضارع وذلك أن مبدأ الهداية بالنسبة إلى الإنسان هداية الجنين إلى امتصاص دم الحيض من الرحم ومنتهاها الهداية إلى طريق الجنة والتنعم بلذائذها، وأشار قوله: ﴿فهو يهدين﴾إلى قطع الأسباب والاكتساب في النبوة والولاية والخلة بل أشار إلى الاصطفاء الأزلي وذلك أن جميع المقامات اختصاصية عطائية غير نسبية حاصلة للعين الثابتة من الفيض الأقدس وظهوره بالتدريج بحصول شرائطه وأسبابه يوهم المحجوب فيظن أنه كسبي بالتعمل وليس كذلك في الحقيقة. قال الحافظ:

قومي بجهد وجد نهادند وصل دوست قومي دكر حواله بتقدير مكيننند

﴿والذي﴾الخ معطوف على الصفة الأولى وتكرير الموصول في المواقع الثلاثة للدلالة على أن كل واحدة من الصلات مستقلة باقتضاء الحكم ﴿هو﴾وحده ﴿يطعمني﴾أيَّ طعام شاء. وبالفارسية: [ميخواراند مرا غدايي كه قوام أجزاء بدن منست] ﴿ويسقين﴾أيَّ شراب شاء. وبالفارسية: [ومي آشاماند مرا شرابي كه موجب تسكين عطش وسبب تربيت أعضاء] أي هو رازقي فمن عنده طعامي وشرابي وليس الإطعام والسقي عبارتين عن مجرد خلق الطعام والشراب له وتمليكهما إياه بل يدخل فيهما إعطاء جميع ما يتوقف الانتفاع بالطعام والشراب عليه كالشهوة وقت المضغ والابتلاع والهضم والدفع ونحو ذلك. ومن دعاء أبي هريرة رضي الله عنه: «اللهم اجعل لي ضرساً طحوناً ومعدة هضوماً ودبراً بثوراً».

وأشارت الآية إلى مقام التوكل والرضى والتسليم والتفويض وقطع الأسباب والإقبال إليه بالكلية والإعراض عما سواه.

صاحب «بحر الحقائق»: [فرمودكه مراد طعام عبوديستت كه دلها بآن زنده شود وشراب طهور تجلى صفت ربوبيت كه أرواح بآن تازه باشد. وذو النون مصري قدس سره فرمودكه اين طعام طعام معرفتست واين شراب شراب محبت واين بيت خوانده].

شراب المحبة خير الشراب وكل شراب سواه سراب

واز فحواي كلام شمهء از أسرار كلام حقائق نظام (أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني) بي تواندبرد.

ترا نوال دمادم زخانه يطعمني ترا پياله مدام از شراب يسقيني

مراتو قبلهٔ ديني ازان سب كفتم بمردمان كه «لكم دينكم ولي ديني»

وقد اختلف الناس في الطعام والشراب المذكورين في الحديث على قولين: أحدهما:

أنه طعام وشراب حسي للفم قالوا: وهذه حقيقة اللفظ ولا يوجب العدول عنه ما قال بعضهم: كان يؤتى بطعام من الجنة. والثاني: أن المراد به ما يغذيه الله به من معارفه وما يفيض على قلبه من لذة مناجاته وقرة عينه بقربه ونعيم محبته وتوابع ذلك من الأحوال التي هي غذاء القلوب ونعيم الأرواح وقرة الأعين وبهجة النفوس.

قال الشيخ الشهير بأفتاده افندي قدس سره: إنما أكل نبينا عليه السلام في الظاهر لأجل أمته الضعيفة وإلا فلا احتياج له إلى الأكل والشرب وما روي من أنه كان يشد الحجر على بطنه فهو ليس من الجوع بل من كمال لطافته لئلا يصعد إلى الملكوت بل يبقى في عالم الملك ويحصل له الاستقرار في عالم الإرشاد وقد حكى له بعض أمته أنه لم يأكل ولم يشرب سنين وهو أولى وأقوى في هذا الباب من أمته لقوة انجذابه إلى عالم القدس وتجرده عن غواشي البشرية وكان في عهد رسول الله ﷺ سقاء تبع النبي ﷺ ثلاثة أيام يقرأ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] فرمى بقربته فآتاه آت في منامه بقدح من شراب الجنة فسقاه قال أنس رضي الله عنه: فعاش بعد ذلك نيفاً وعشرين سنة لم يأكل ولم يشرب على شهوة كما في «كشف الأسرار».

﴿وإذا مرضت﴾ [وچون بيمار شوم] ﴿فهو﴾ وحده ﴿يشفين﴾ يبرئني من المرض ويعطي الشفاء لا الأطباء وذلك أنهم كانوا يقولون: المرض من الزمان ومن الأغذية والشفاء من الأطباء والأدوية فأعلم إبراهيم أن الذي أمرض هو الذي يشفي وهو الله تعالى لكن نسب المرض إلى نفسه حيث لم يقل: وإذا أمرضني والشفاء إلى الله تعالى مع أنهما من الله تعالى لرعاية حسن الأدب في العبارة كما قال الخضر عليه السلام في العيب: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩] وفي الخير ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢] وكذا الجن راقبوا هذا الأدب بعينه حيث قالوا: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠] قوله: ﴿وإذا مرضت﴾ الخ عطف على يطعمني ويسقيني نظمهما في سلك صلة واحدة لما أن الصحة والمرض من متفرعات الأكل والشرب غالباً فإن البطنة تورث الأسقام والأوجاع والحمية أصل الراحة والسلامة.

قالت الحكماء: لو قيل لأكثر الموتى. ما سبب آجالكم؟ لقالوا: التخم. وفي الحكمة ليس للبطن خير من خمصة تتبعها.

قال الكاشفي: [از امام جعفر صادق رضي الله عنه منقولست كه چون بيمار شوم بكناه مرا شفادهد بتوبه. سلمى رحمه الله فرمودكه مرض برؤيت اغياراست وشفا بمشاهدهٔ أنوار واحد قهار ودربحر آورده كه بيماري بتعلقات كونين است وشفا بقطع تعلق وآن وابسته بجذبهٔ عنا يتست كه چون دررسد سالك را از همه منقطع ساخته بيكي بيوند دهد يعني بشربت تجري از مرض تعلقش باز رهاند.

چكويمت كه چه خوش آمدي مسيح صفت بيكنفس همه درد مرا دوا كردد

وقال بعضهم: وإذا مرضت بداء محبته وسقمت بسقم الشوق إلى لقائه ووصلته فهو يشفين بحسن وصاله وكشف جماله:

بمقدمك المبارك زال دائي وفي لقْياك عجل لي شفائي

وفي الآية إشارة إلى رفع الرجوع إلى غيره والسكون إلى التداوي والمعالجة بشيء فهو كمال التسليم.

قال في «كشف الأسرار»: [وأين نه مرضى معلوم بود در آن وقت بلكه نوعي بود از تمارض] كما يتمارض الأحبار طمعاً في العيادة:

يود بأن يمسي سقيما لعلها إذا سمعت عنه سليمى تراسله
إن كان يمنعك الوشاة زيارتي فادخل إليّ بعلة العوّاد

[آن شفاي ذدل خليل كه بوي أشارت ميكند آنست كه جبريل كاه كاه آمدي بفرمان حق وكفتي «يقول مولاك: كيف أنت البارحة؟» وزبان حال خليل بجواب ميكويد.

خرسند شدم بدانكه كويي يكبار كاي خستهٔ روز كار دوشت چون بود

وحكي عن بعضهم أنه مرض وضعف اصفر لونه فقيل له ألا ندعو لك طبيباً يداويك من هذا المرض؟ فقال: الطبيب أمرضني ثم أنشد:

كيف أشكو إلى طبيبي ما بي والذي بي أصابني من طبيبي

﴿والذي يميتني﴾ في الدنيا عند انقضاء الأجل ﴿ثم يحيين﴾ في الآخرة لمجازاة العمل أدخل ثم ههنا لأن بين الإماتة الواقعة في الدنيا وبين الإحياء الحاصل في الآخرة تراخياً ونسبة الإماتة إلى الله تعالى لأنها من النعم الإلهية في الحقيقة حيث أن الموت وصلة لأهل الكمال إلى الحياة الأبدية والخلاص من أنواع المحن والبلية.

پس رجال ازنقل عالم شادمان وزبقا اش شادمان اين كودكان
چونكه آب خوش نديد آن مرغ كور پيش او كوثر نمايد آب شور

أمام ثعلبي [كفته بميراند بعدل وزنده كند بفضل وكفته اندكه أماتت بمعصيت است واحيا بطاعت يا أماتت بجهل است واحيا بعقل يا أماتت يطمع است واحيا بورع يا أماتت بفراقست واحيا بتلاق.

در حقايق سلمى آورده كه بميراند از سمات روحانيت وزنده كرداند بصفا ربانيت وحقيقت رنست كه بميراند مرا از آنانيت من وزنده سازد بهدايت خودكه حيات حقيقي عبارت ازانست.

نجويم عمر فإني را تويي عمر عزيز من نخواهم جان پرغم راتويي جانم بجان تو

وقال بعضهم:

غم كي خورد رنكه شادمانيش تويي باكي برد آنكه زندكانيش تويي
درنسيهٔ آن جهان كجا دل بندد آنكس كه بنقد اين جهانيش تويي

﴿وَالَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِالصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى الْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ الضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿والذين أطمع﴾ [طمع ورجا ميدارم] ﴿أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾ أي: يوم الجزاء والحساب دعا بلفظ الطمع ولم يعزم في سؤاله كما عزم فيما قبل من الأمور المذكورة تأدباً أو ليعلم أن العبد ليس له أن يحكم لنفسه بالإيمان وعليه أن يكون بين الخوف والرجاء وليدل على كرم الله فإن الكريم إذا أطمع أنجز وأسند الخطيئة إلى نفسه وهي في الغالب ما يقصد بالعرض لأنه من الخطأ هضماً لنفسه وتعليماً للأمة أن يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلب لأن

يغفر لهم ما فرط منهم وتلافياً لما عسى يقع منه من الصغائر مع أن حسنات الأبرار سيئات المقربين كما أن درجاتهم دركات المقربين. [در تلخيص آورده كه مراد خطاياي است محمد است عليه السلام كه حضرت خليل از ملك جليل دعاي غفران نموده] وتعليق المغفرة بيوم الدين مع أن الخطيئة إنما تغفر في الدنيا لأن أثرها يتبين وفائدته ثمة تظهر وفي ذلك تهويل له وإشارة إلى وقوع الجزاء فيه إن لم تغفر ومثله رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله إن ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم فهل ذلك نافعه قال: «لا إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين» يعني أنه كان كافراً ولم يكن مقراً بيوم القيامة لأن المقر به طالب لمغفرة خطيئته فيه فلا ينفعه عمله وعبد الله بن جدعان هو ابن عم عائشة رضي الله عنها وكان في ابتداء أمره فقيراً ثم ظفر بكنز استغنى به فكان ينفق من ذلك الكنز ويفعل المعروف ثم هذا كله احتجاج من إبراهيم على قومه وإخبار أنه لا يصلح للإلهية من لا يفعل هذه الأفعال وبعد ما ذكر فنون الألطاف الفائضة عليه من الله تعالى من مبدأ خلقه إلى يوم بعثه حمله ذلك على مناجاته تعالى ودعائه لربط العتيد وجلب المزيد فقال: ﴿رب﴾ [أي پرورد كار من]. ﴿هب لي حكماً﴾ أي: كمالاً في العلم والعمل استعد به لخلافة الحق ورياسة الخلق فإن من يعلم شيئاً ولا يأتي من العمل بما يناسب علمه لا يقال له حكيم ولا لعلمه حكم وحكمة. ﴿وألحقني بالصالحين﴾ ووفقني من العلوم والأعمال والأخلاق لما ينظمني في زمرة الكاملين الراسخين في الصلات المتنزهين عن كبائر الذنوب وصغائرها أو اجمع بيني وبينهم في الجنة فقد أجابه تعالى حيث قال: ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠] وباقي الكلام هنا سبق في أواخر سورة الكهف.

﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ جاهاً وحسن صيت في الدنيا يبقى أثره إلى يوم الدين ولذلك ما من أمة إلا وهم محبون له مثنون عليه فحصل بالأول الجاه وبالثاني حسن الذكر. وبالفارسية [وكردان براي من زبان راست يعني ثناي نيكو درميان پس آيند كان يعني جاري كن ثنا ونيكنامي وآوازهٔ من برزبان كساني كه پس از من آنيد] فقوله: ﴿في الآخرين﴾ أي: في الأمم بعدي وعبر عن الثناء الحسن والقبول العام باللسان لكون اللسان سبباً في ظهوره وانتشاره وبقاء الذكر الجميل على ألسنة العباد إلى آخر الدهر دولة عظيمة من حيث كونه دليلاً على رضى الله عنه ومحبته والله تعالى إذا أحب عبداً يلقي محبته إلى أهل السموات والأرض فيحبه الخلائق كافة حتى الحيتان في البحر والطيور في الهواء.

قال ابن عطاء: أي أطلق لسان أمة محمد بالثناء والشهادة لي فإنك قد جعلتهم شداء مقبولين.

قال سهل: اللهم ارزقني الثناء في جميع الأمم والملل وإنما يحصل في الحقيقة بالفعل الجميل والخلق الحسن واللسان اللين فهي أسباب اللسان الصدق وبها اقتداء الآخرين به فيكون له أجره ومثل أجر من اقتدى به.

﴿واجعلني﴾ في الآخرة وارثاً ﴿من ورثة جنة النعيم﴾ شبه الجنة التي استحقها العامل بعد فناء عمله بالميراث الذي استحقه الوارث بعد فناء مورثه فأطلق عليها اسم الميراث وعلى استحقاقها اسم الوراثة وعلى العامل اسم الوارث. فالمعنى واجعلني من المستحقين لجنة النعيم

والمتمتعين بها كما يستحق الوارث مال مورثه ويتمتع به. ومعنى جنة النعيم [بستان پرنعمت].

وفيه إشارة إلى أن طلب الجنة لا ينافي طلب الحق وترك الطلب مكابرة للربوبية.

قال بعض الكبار: إن الله تعالى هو المحبوب لذاته لا لعطائه وعطاؤه محبوب لكونه محبوباً لا لنفسه ونحبه ونحب عطاءه لحبه ولنا حبان حبه وحب عطائه وهما لذاته فقط لا لغيره فيكون الحب في أصله واحداً وفي فرعه متعدداً عى ما هو مقتضى الجمع والوحدة وموجب الفرق والكثرة فحبنا له إنما هو في مقام جمع الجمع لأنه مقام الاعتدال لا في مرتبة الجمع أو الفرق فقط.

﴿واغفر لأبي﴾ المغفرة مشروطة بالإيمان وطلب المشروط يتضمن طلب شرطه فيكون الاستغفار لأحياء المشركين عبارة عن طلب توفيقهم وهدايتهم للإيمان. ﴿إنه كان من الضالين﴾ طريق الحق. وبالفارسية [ازكمراهان] وهذا الدعاء قبل أن يتبين له أنه عدو لله كما تقدم في سورة التوبة روي عن سمرة بن جندب رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من رجل توضأ فأسبغ الوضوء ثم خرج من بيته يريد المسجد فقال حين خرج: بسم الله الذي خلقني فهو يهدين إلا هداه الله لصواب الأعمال، والذي هو يطعمني ويسقين إلا أطعمه الله من طعام الجنة وسقاه من شرابها، وإذا مرضت فهو يشفين إلا شفاه الله تعالى والذي يميتني ثم يحيين إلا أحياه الله حياة الشهداء وأماته ميتة الشهداء والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين إلا غفر الله خطاياه ولو كانت أكثر من زبد البحر رب هب لي حكماً وألحقني بالصالحين إلاوهب له حكماً وألحقه بصالح من مضى وصالح من بقي واجعل لي لسان صدق في الآخرين إلا كتب عند الله صديقاً واجعلني من ورثة جنة النعيم إلا جعل الله له القصور والمنازل في الجنة» وكان الحسن يزيد فيه واغفر لوالدي كما ربياني صغيراً كذا في «كشف الأسرار».

﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾﴾.

﴿ولا تخزني﴾ من الخزي بمعنى الهوان والذل أي ولا تفضحني ولا تهتك ستري. وبالفارسية [رسوا مساز] بمعاتبتي على ما فرطت من ترك الأولى وإنما قال ذلك مع علمه بأنه لا يخزيه إظهاراً للعبودية وحثاً لغيره على الاقتداء به كما قال الكاشفي: [اين دعا نيز براي تعليم امتانست وإلا انبيارا خزي ورسوايي نباشد] وذلك لأنهم آمنون من خوف الخاتمة ونحوها ولما كانت مغفرة الخطيئة في قوله: ﴿والذي أطمع﴾ الخ لا تستلزم ترك المعاتبة أفرد الدعاء بتركها بعد ذكر مغفرة الخطيئة. ﴿يوم يبعثون﴾ من القبور أي الناس كافة وإضماره لأن البعث عام فيدل عليه وقيد عدم الإخزاء بيوم البعث لأن الدنيا مظهر اسم الستار.

قال أبو الليث: إلى هنا كلام إبراهيم وقد انقطع كلامه ثم إن الله تعالى وصف ذلك اليوم فقال:

﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون﴾ بدل من يوم يبعثون ومفعول الفعل محذوف والتقدير لا ينفع مال أحداً وإن كان مصروفاً في الدنيا إلى وجوه البر والخيرات ولا ينفع بنون فرداً وإن كانوا صلحاء مستأهلين للشفاعة جداً.

﴿إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ بدل من مفعوله المحذوف أي إلا مخلصاً سليم القلب من

مرض الكفر والنفاق ضرورة اشتراط نفع كل منهما بالإيمان.

قال في «كشف الأسرار»: بنفس سليمة من الكفر والمعاصي وإنما أضافه إلى القلب لأن الجوارح تابعة للقلب فتسلم بسلامته وتفسد بفساده وفي الخبر: «إن في جسد ابن آدم لمضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب» قال الليث: كان الكفار يقولون: نحن أكثر أموالاً وأولاداً فأخبر الله أنه لا ينفعهم ذلك اليوم المال والبنون لعدم سلامة قلوبهم في الدنيا وأما المسلمون فينفعهم خيراتهم وينفعهم البنون أيضاً لأن المسلم إذا مات ابنه قبله يكون له ذخراً وأجراً وإن تخلف بعده فإنه يذكره بصالح دعائه ويتوقع منه الشفاعة من حيث صلاحه.

وسئل أبو القاسم الحكيم عن القلب السليم فقال: له ثلاث علامات أولاها: أن لا يؤذي أحداً. والثانية: أن لا يتأذى من أحد. والثالثة: إذا اصطنع مع أحد معروفاً لم يتوقع منه المكافأة فإذا هو لم يؤذ أحداً فقد جاء بالورع وإذا لم يتأذ من أحد فقد جاء بالوفاء وإذا لم يتوقع المكافأة بالاصطناع فقد جاء بالإخلاص.

قال الكاشفي: [كفته اند سلامت قلب إخلاص است درشهادت أن لا إله إلا الله محمد رسول الله قولي آنست كه دل سليم از حب دنيا وكويند از حسد وخيانت.

ودرتيسير كويد از بغض أهل بيت وازواج وأصحاب حضرت پيغمبر عليه السلام.

إمام قشيري رحمه الله فرمودكه قلب سليم آنست كه خالي باشد ازغير خداي ازطمع دنيا ورجاء عقبى يا خالي باشد از بدعت ومطمئن بسنت. واز سيد طائفة جنيد قدس سره منقولست كه سليم ماركزيده بود وماركزيده پيوسته درقلق واضطرابست پس بيان ميكند كه دل سليم مدام در مقام جزع وتضرع وزاري از خوف قطيعت يا از شوق وصلت].

زشوق وصل مي نا لم وكردستم دهدروزي ... زبيم هجر ميكريم كه ناكه دركمين باشد

همام از كريهٔ خونين وسوزدل مكن چندين ... ندانستي كه حال عشقبازان انيجنين باشد

قال المولى الجامي:

محنت قرب ز بعد افزونست ... جكر از محنت مرهم خونست

هست درقرب همه بيم زوال ... نيست دربعد جز اميد وصال

وفي «البحر»: ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون﴾ للوصول إلى الحضرة لقبول الفيض الإلهي. ﴿إلا من أتى الله﴾ عند المراقبة. ﴿بقلب سليم﴾ وهو قلب قد سلم من انحراف المزاج الأصلي الذي هو فطرة الله التي فطر الناس عليها فإنه خلق مرآة قابلة لتجلي صفات جمال الله وجلاله كما كان لآدم عليه السلام أول فطرته فتجلى فيه قبل أن يصدأ بتعلقات الكونين أشار بقوله: ﴿إلا من﴾ إلى التخلق بخلق الله والاتصاف بصفته إذ لم يكن القلب سليماً بلا عيب إلا إذا كان متصفاً بطهارة قدس الحق عن النظر إلى الخلق.

قال ابن عطاء: السليم الذي لا يشوشه شيء من آفات الكون.

وسئل بعضهم: بم تنال سلامة الصدر؟ قال: بالوقوف على حد اليقين وترك الإرادة في التلوين والتمكين.

قال أبو يزيد رحمه الله: فقطعت المفاوز حتى بلغت البوادي وقطعت البوادي حتى وصلت إلى الملكوت وقطعت الملكوت حتى بلغت إلى الملك ـ بفتح الميم وكسر اللام ـ

فقلت: الجائزة قال: قد وهبت لك جميع ما رأيت قلت: إنك تعلم أني لم أر شيئاً من ذلك قال: فما تريد؟ قلت: أريد أن لا أريد قال: قد أعطيناك.

﴿وأزلفت الجنة للمتقين﴾ عطف على لا ينفع وصيغة الماضي لتحقق وقوعه كما أن صيغة المضارع في المعطوف عليه للدلالة على استمرارانتفاع النفع ودوامه أي قربت الجنة للمتقين عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن فيفرحون بأنهم المحشورون إليها.

وفي «البحر»: أي قربت لأنهم تبعدوا عنها لتقربهم إلى الله تعالى.

﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾.

﴿وبرزت الجحيم للغاوين﴾ الضالين عن طريق الحق الذي هو الإيمان والتقوى أي جعلت بارزة لهم بحيث يرونها مع ما فيها من أنواع الأهوال ويوقنون بأنهم مواقعوها ولا يجدون عنها مصرفاً فيزدادون غماً يقال: يؤتى بها في سبعين ألف زمام وفي اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد فإن التبريز لا يستلزم التقريب ثم في تقديم إزلاف الجنة إيماء إلى سبق رحمته عى غضبه.

وفي «البحر»: ﴿وبرزت﴾ الخ إذ توجههم كان إليها لطلب الشهوات وقد حفت بالشهوات. وفي «المثنوي»:

حفت الجنة بمكروهاتنا حفت النيران من شهواتنا

يعني جعلت الجنة محفوفة بالأشياء التي كانت مكروهة لنا وجعلت النار محاطة بالأمور التي كانت محبوبة لنا.

﴿وقيل لهم﴾ أي: للغاوين يوم القيامة على سبيل التوبيخ والقائلون الملائكة من جهة الحق تعالى، وحكمه: ﴿أين ما كنتم﴾ في الدنيا ﴿تعبدون﴾.

﴿من دون الله﴾ أي: أين آلهتكم الذين كنتم تزعمون في الدنيا أنهم شفعاؤكم في هذا الموقف وتقربكم إلى الله زلفى ﴿هل ينصرونكم﴾ بدفع العذاب عنكم ﴿أو ينتصرون﴾ بدفعه عن أنفسهم. وبالفارسية [يا نكاه ميدارند خودرا از حلول عقوبت بديشان] وباب افتعل ههنا مطاوع فعل.

قال في «كشف الأسرار»: النصر المعونة على دفع الشر والسوء عن غيره والانتصار أن يدفع عن نفسه وإنما قال: أو ينتصرون بعد قوله: هل ينصرونكم لأن رتبة النصر بعد رتبة الانتصار لأن من نصر غيره فلا شك في الانتصار وقد ينتصر من لا يقدر على نصر غيره ثم هذا سؤال تقريع وتبكيت لا يتوقع له جواب ولذلك قيل.

﴿فكبكبوا فيها﴾ الكبكبة [نكو نسار كردن] أي تدهور الشيء في هوة وهو تكرير الكب وهو الطرح والإلقاء منكوساً وجعل تكرير اللفظ دليلاً على تكرير المعنى كرر عين الكب بنقله

إلى باب التفعيل فأصل كبكبوا كببوا فاستثقل اجتماع الباءات فأبدلت الثانية كافاً كما في زحزح فإن أصله زحح من زحه يزحه أي نحاه عن موضعه ثم نقل إلى باب التفعيل فقيل: زححه فأبدلت الحاء الثانية زاياً فقيل: زحزحه أي باعده فمعنى الآية ألقوا في الجحيم مرة بعد أخرى منكوسين على رؤوسهم إلى أن يتسقروا في قعرها. ﴿هم﴾ أي: آلهتهم ﴿والغاوون﴾ الذين كانوا يعبدونهم.

﴿وجنود إبليس﴾ شياطينه، أي ذريته الذين كانوا يغوونهم ويوسوسون إليهم ويسوّلون لهم ما هم عليه من عبادة الأصنام وسائر فنون الكفر والمعاصي ليجتمعوا في العذاب حسبما كانوا مجتمعين فيما يوجبه. ﴿أجمعون﴾ تأكيد لضميرهم وما عطف عليه.

﴿قالوا﴾ استئناف بياني أي قال العبدة حين فعل بهم ما فعل معترفين بخطاياهم. ﴿وهم فيها يختصمون﴾ أي: والحال أنهم في الجحيم بصدد الاختصام مع من معهم من المذكورين مخاطبين لمعبوداتهم على أن الله تعالى يجعل الأصنام صالحة للاختصام بأن يعطيها القدرة على النطق والفهم.

قال أبو الليث: ومعناه قالوا وهم يختصمون فيها على معنى التقديم.

﴿تالله إن كنا لفي ضلال مبين﴾ إن مخففة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية أي إن الشأن كنا في ضلال واضح لا خفاء فيه.

﴿إذ نسويكم برب العالمين﴾ ظرف لكونهم في ضلال مبين وصيغة المضارع لاستحضار الصورة الماضية أي تالله لقد كنا في غاية الضلال الفاحش وقت تسويتها إياكم أيها الأصنام في استحقاق العبادة برب العالمين الذي أنتم أدنى مخلوقاته وأذلهم وأعجزهم.

﴿وما أضلنا﴾ وما دعانا إلى الضلال عن الهدي. ﴿إلا المجرمون﴾ أي الرؤساء والكبراء كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا﴾ [الأحزاب: ٦٧]: وبالفارسية: [مكر بدان وبدكاران از مهتران] وأصل الجرم قطع الثمرة عن الشجرة والجرامة رديء التمر وأجرم صار ذا جرم نحو أتمر وألبن واستعير ذلك لكل اكتساب مكروه ولا يكاد يقال في عامة كلامهم للكسب المحمود.

﴿فما لنا﴾ [پس نيست مارا اكنون] ﴿من شافعين﴾ [هيچ كس از شفاعت كنندكان] كما للمؤمنين من الملائكة والأنبياء عليهم السلام. ﴿ولا صديق حميم﴾ [ونه دوستي مهربان وباشفقت] كما يرى لهم أصدقاء والصديق من صدقك في مودته وحميم قريب خاص وحامة الرجل خاصته كما في «فتح الرحمن».

قال الراغب هو القريب المشفق فكأنه الذي يحتد حماية لذويه وقيل: لخاصة الرجل: حامته قيل الحامة العامة وذلك لما قلنا واحتم فلان لفلان أي احتد وذلك أبلغ من اهتم لما فيه من معنى الاهتمام.

وقال الكاشفي: [در قوت القلوب آورده كه حميم دراصل هميم بوده كه هارا بحا بدل كرده اند جهت قرب مخرج وهميم مأخوذاست از اهتمام لما فيه من معنى الاهتمام اهتمام كند درمهم كافران وشرط دوستي بجاي آرد] وجمع الشافع لكثرة الشفعاء عادة ألا ترى أن السلطان إذا غضب على أحد ربما شفع فيه جماعة كما أن أفراد الصديق لقلته ولو قيل بعدمه لم يبعد قال الصائب:

درين قحط هو إداري عجب دارم كه خاكستر

كه در هنكام مردن چشم مي پوشاند آتش را

روي في بعض الأخبار أنه يجيء يوم القيامة عبد يحاسب فتستوي حسناته وسيئاته ويحتاج إلى حسنة واحدة ترضي عنه خصومه فيقول الله: عبدي بقيت لك حسنة إن كانت أدخلتك الجنة انظر واطلب من الناس لعل واحداً يهب منك حسنة واحدة فيأتي ويدخل في الصفين ويطلب من أبيه وأمه ثم من أصحابه فيقول لكل واحد في باب فلا يجيبه أحد وكل يقول: أنا اليوم فقير إلى حسنة من حسناته فيقول الله: عبدي ألم يكن لك صديق وفيّ فيذكر العبد صديقاً له فيأتيه ويسأله فيعطيه ويجيء إلى موضعه ويخبر بذلك ربه فيقول الله: قد قبلتها منه ولم أنقص من حقه شيئاً فقد غفرت لك وله. ففي هذا المعنى إشارة إلى أن للصداقة في الله اعتباراً عظيماً وفوائد كثيرة وفي الحديث: «أن الرجل ليقول في الجنة ما فعل بصديقي فلان وصديقه في الجحيم فيقول الله: أخرجوا له صديقه إلى الجنة» يعني: وهبته له.

قال الحسن: استكثروا من الأصدقاء المؤمنين فإن لهم شفاعة يوم القيامة.

وقال الحسن: ما اجتمع ملأ على ذكر الله فيهم عبد من أهل الجنة إلا شفعه فيهم وإن أهل الإيمان شفعاء بعضهم لبعض وهم عند الله شافعون مشفعون وفي الحديث: «إن الناس يمرون يوم القيامة على الصراط والصراط وخص مزلة يتكفأ بأهله والنار تأخذ منهم وإن جهنم لتنطف عليهم» أي تمطر عليهم مثل الثلج إذا وقع لها زفير وشهيق «فبينا هم كذلك إذ جاءهم نداء من الرحمن: عبادي من كنتم تعبدون؟ فيقولون: ربنا أنت تعلم أنا إياك كنا نعبد فيجيبهم بصوت لم يسمع الخلائق مثله قط: عبادي حق علي أن لا أكلكم اليوم إلى أحد غيري فقد غفرت لكم ورضيت عنكم فيقوم الملائكة عند ذلك بالشفاعة فينجون من ذلك المكان فيقول الذين تحتهم في النار: فما لنا من شافعين ولا صديق حميم».

﴿**فلو أن لنا كرة**﴾لو للتمني وأقيم فيه لو مقام ليت لتلاقيها في معنى التقدير أي تقدير المعدوم وفرضه كأنه قيل: فليت لنا كرة أي رجعة إلى الدنيا ﴿**فنكون من المؤمنين**﴾ بالنصب جواب التمني وهذا كلام التأسف والتحسر ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه فإن من يضلل الله فما له من هاد ولو رجع إلى الدنيا مراراً ألا ترى إلى الأمم في الدنيا فإن الله تعالى أخذهم بالبأساء والضراء كراراً ثم كشفه عنهم فلم يزيدوا إلا إصراراً جعلنا الله وإياكم من المستمعين المعتبرين لا من المعرضين الغافلين.

﴿**إن في ذلك**﴾أي فيما ذكر من قصة إبراهيم مع قومه. ﴿**لآية**﴾لعبرة لمن يعبد غير الله تعالى ليعلم أنه يتبرأ منه في الآخرة ولا ينفعه أحد ولا سيما لأهل مكة الذين يدعون أنهم على ملة إبراهيم. ﴿**وما كان أكثرهم**﴾أكثر قوم إبراهيم ﴿**مؤمنين**﴾كحال أكثر قريش. وقد روي أنه ما آمن لإبراهيم من أهل بابل إلا لوط وابنه نمرود. ﴿**وإن ربك لهو العزيز**﴾[أوست غلبه كننده برمشركان كه سطوت أو مردود نكردد]. ﴿**الرحيم**﴾[وبخشاينده كه توبهء بند كان ردنكند وبي احتجاج بديشان عذاب نفرستد] ويمهل كما أمهل قريشاً بحكم رحمة الواسعة لكل يؤمنوا هم أو واحد من ذريتهم ولكنه لا يهمل فإنه لا بد لكل عامل من المكافأة على عمله إن خيراً فيخير وإن شراً فشر هذا وقد جوز أن يعود ضمير أكثرهم إلى قوم نبينا عليه السلام فإنهم الذين تتلى

عليهم الآية ليعتبروا ويؤمنوا وقد بين في المجلس السابق فارجع.

وفي «البحر»: النفس جبلت على الأمارية بالسوء وهو الكفر ولئن آمنت وصارت مأمورة فهو خرق عادتها يدل على هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾ [يوسف: ٥٣] يعني برحمة الحق تعالى تصير مأمورة مؤمنة على خلاف طبعها ولهذا قال: **﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾** يعني أصحاب النفوس.

﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ ما هدى أكثر الخلق إلى الإيمان فضلاً عن الحضرة **﴿الرحيم﴾** فلرحمته هدى الذين جاهدوا فيه إلى سبيل الرشاد بل هدى الطالبين الصادقين إلى حضرة جلاله انتهى. فالهداية وإن كانت من العناية لكن لا بد من التمسك بالأسباب إلى أن تفتح الأبواب وملامة النفس عند مخالفتها الأوامر والآداب مما ينفع في هذا اليوم دون يوم القيامة ألا ترى أن الكفار لاموا أنفسهم على ترك الإيمان وتمنوا أن لو كان لهم رجوع إلى الدنيا لقبلوا الإيمان والتكليف فما نفعهم ذلك.

امروز قدر پند عزيزان شناختيم يا رب روان ناصح ما ازتوشاد باد

عصمنا الله وإياكم من سطوته وغشينا برحمته وجعلنا من أهل القبور في الدنيا والآخرة إنه الموفق لخير الأمور الباطنة والظاهرة.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾﴾

﴿كذبت﴾ تكذيباً مستمراً من حين الدعوة إلى انتهائها. **﴿قوم نوح﴾** القوم الجماعة من الرجال والنساء معاً أو الرجال خاصة وتدخل النساء على التبعية ويؤنث بدليل مجيء تصغيره على قويمة. **﴿المرسلين﴾** أي: نوحاً وحده والجمع باعتبار أن من كذب رسولاً واحداً فقد كذب الجميع لاجتماع الكل على التوحيد وأصول الشرائع أو لأن كل رسول يأمر بتصديق جميع الرسل.

﴿إذ قال لهم﴾ ظرف للتكذيب على أنه عبارة عن زمان مديد وقع فيه ما وقع من الجانبين إلى تمام الأمر. **﴿أخوهم﴾** في النسب لئلا يجهل أمره في الصدق والديانة ولتعرف لغته فيؤدي ذلك إلى القبول. **﴿نوح﴾** عطف بيان لأخوهم. **﴿ألا تتقون﴾** الله حيث تعبدون غيره. وبالفارسية [أيا نمي ترسيد از خداي تعالى كه ترك عبادت أو ميكنيد].

﴿إني لكم رسول﴾ من جهته تعالى. **﴿أمين﴾** مشهور بالأمانة فيما بينكم ومن كان أميناً على أمور الدنيا كان أميناً على الوحي والرسالة.

﴿فاتقوا الله﴾ خافوا الله **﴿وأطيعون﴾** فيما آمركم به من التوحيد والطاعة لله فإني لا أخونكم ولا أريدكم بسوء والفاء لترتيب ما بعدها على الأمانة.

﴿وما أسألكم عليه﴾ على أداء الرسالة **﴿من أجر﴾** جعل أصلاً وذلك لأن الرسل إذا لم يسألوا أجراً كان أقرب إلى التصديق وأبعد عن التهمة. **﴿إن أجري﴾** ما ثوابي فيما أتولاه. **﴿إلا على رب العالمين﴾** لأن من عمل لله فلا يطلب الأجر من غير الله وبه يشير إلى أن العلماء الذين هم ورثة الأنبياء يتأدبون بآداب أنبيائهم فلا يطلبون من الناس شيئاً في بث علومهم ولا

يرتفقون منهم بتعليمهم ولا بالتذكير لهم فإن من ارتفق من المسلمين المستمعين في بث ما يذكره من الدين ويعظ به لهم فلا يبارك الله للناس فيما يسمعون ولا للعلماء أيضاً بركة فيما يأخذون منهم يبيعون دينهم بعرض يسير ثم لا بركة لهم فيه:

زيان ميكند مرد تفسير دان كه علم وأدب ميفروشد بنان

﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ الفاء لترتيب ما بعدها على تنزهه عن الطمع والتكرير للتأكيد والتنبيه على أن كلاً من الأمانة وقطع الطمع مستقل في إيجاب التقوى والطاعة فكيف إذا اجتمعا.

﴿۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾.

﴿قالوا﴾ أي: قوم نوح ﴿أنؤمن لك﴾ الاستفهام للإنكار، أي لا نؤمن لك. ﴿واتبعك الأرذلون﴾ أي والحال قد أتبعك الأقلون جاهاً ومالاً أي وهذه حالك كما تقول لا نصحبك وصحبك السفلة. والأرذلون جمع الأرذل والرذالة الخسة والدناءة والرذال المرغوب عنه لرداءته يعنون أن لا عبرة لاتباعهم لك إذ ليس لهم رزانة عقل وإصابة رأي قد كان ذلك منهم في بادىء الرأي وهذا من كمال سخافة عقولهم وقصرهم أنظارهم على الدنيا وكون الأشرف عندهم من هو أكثر منها حظاً والأرذل من حرمها وجهلهم أنها لا تزن عند الله جناح بعوضة، وأن النعيم هو نعيم الآخرة والأشرف من فاز به والأرذل من حرمه وهكذا كانت قريش تقول في أصحاب رسول الله، وما زالت الأتباع الأنبياء ضعفاء الناس وقس أتباع الأولياء على أتباعهم من حيث وراثتهم لدعوتهم وعلومهم وأذواقهم ومحنهم وابتلائهم وذلك لأن الحقيقة من أرباب الجاه والثروة لم تأت إلا نادراً:

دران سرست بزركي كه نيست فكربزركي

﴿قال﴾ نوح جواباً عما يشير إليه من قولهم أنهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة. ﴿وما علمي بما كانوا يعملون﴾ إنهم علموه إخلاصاً أو نفاقاً وما وظيفتي إلا اعتبار الظواهر وبناء الأحكام عليها دون التفتيش عن بواطنهم والشق عن قلوبهم، والظاهر أن ما فيه استفهامية بمعنى أي شيء في محل الرفع على الابتداء وعلمي خبرها ويجوز أن تكون نافية والباء متعلقة بعلمي على التقدير الأول وعلى الثاني لا بد من إضمار الخبر ليتم الكلام، كما قال الكاشفي: [ونيست دانش من رسنده بآنچه هستندكه ميكنند].

﴿إن حسابهم﴾ ما محاسبتهم على بواطنهم ﴿إلا على ربي﴾ فإنه المطلع على الضمائر.

وفي الخبر المعروف: «فإذا شهدوا أن لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله». قال سفيان الثوري رحمه الله: لا نحاسب الأحياء ولا نحكم عى الأموات ﴿لو تشعرون﴾ لو كنتم من أهل الشعور والإدراك لعملتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون وهو من الباب الأول وأما الشعر بمعنى النظم فمن الخامس.

﴿وما أنا بطارد المؤمنين﴾ الطرد الإزعاج والإبعاد على سبيل الاستخلاف. والمعنى

بالفارسية: [ونيستم من رانندهٔ مؤمنان] وهو جواب عما أوهمه كلامهم أنؤمن لك من استدعاء طردهم وتعليق إيمانهم بذلك حيث جعلوا أتباعهم مانعاً عنه.

قال ابن عطاء رحمه الله: وما أنا بمعرض عمن أقبل على ربه.

﴿إن أنا إلا نذير مبين﴾ أي ما أنا إلا رسول مبعوث لإنذار المكلفين وزجرهم عن الكفر والمعاصي سواء كانوا من الأعزاء أو الأذلاء فكيف يليق بي طرد الفقراء لاستتباع الأغنياء.

﴿قالوا لئن لم تنته يا نوح﴾ عما تقول يعني عن الدعوة والإنذار. والانتهاء [بازاستيدن]. ﴿لتكونن من المرجومين﴾.

قال الراغب في «المفردات»: الرجام الحجارة والرجم الرمي بالرجام يقال: رجم فهو مرجوم قال تعالى: ﴿لتكونن من المرجومين﴾ أي: المقتولين أقبح قتلة انتهى قالوه قاتلهم الله في أواخر الأمر.

﴿قال رب إن قومي كذبون﴾ أصروا على التكذيب بعدما دعوتهم هذه الأزمنة المتطاولة ولم يزدهم دعائي إلا فراراً.

﴿فافتح بيني وبينهم فتحاً﴾ أي: احكم بيننا بما يستحقه كل واحد منا.

قال في «التأويلات»: افتح باباً من أبواب فضلك على مستحقيه وباباً من أبواب عدلك على مستحقيه انتهى من الفتاحة وهي الحكومة والفتاح الحاكم سمي لفتح المغلق من الأمر كما سمي فيصلاً لفصله بين الخصومات.

قال ابن الشيخ أراد به الحكم بإنزال العقوبة عليهم لقوله عقبه: ﴿ونجني﴾ خلصني ﴿ومن معي من المؤمنين﴾ أي: من العذاب ومن أذى الكفار.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾

﴿فأنجيناه ومن معه﴾ حسب دعائه ﴿في الفلك المشحون﴾ أي المملوء بهم وبكل صنف من الحيوان وبما لا بد لهم منه من الأمتعة والمأكولات ومنه الشحناء وهي عداوة امتلأت منها النفوس.

﴿ثم أغرقنا بعد﴾ أي: بعد إنجائهم ﴿الباقين﴾ من قومه ممن لم يركب السفينة.

وفيه تنبيه على أن نوحاً كان مبعوثاً إلى من على وجه الأرض ولذا قال في قصته الباقين وفي قصة موسى ثم أغرقنا الآخرين.

﴿إن في ذلك﴾ الذي فعل بقوم نوح لاستكبارهم عن قبول الحق واستخفافهم بفقراء المسلمين. ﴿لآية﴾ لعبرة لمن بعدهم. ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ أي: أكثر قوم نوح فلم يؤمن من قومه إلا ثمانون من الرجال والنساء.

وقال الكاشفي: [هفتادونه تن] وأكثر قومك يا محمد وهم قريش فاصبر على أذاهم كما صبر نوح على أذى قومه تظفر كما ظفر.

كارتو از صبر نكوتر شود هركه شكيباست مظفر شود

﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ الغالب على ما أراد من عقوبة الكفار ﴿الرحيم﴾ لمن تاب أو بتأخير العذاب.

وفي «التأويلات النجمية»: كرر في كل قصة قوله: ﴿إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ دلالة على أن عز الله وعظمته اقتضت أن يكون أكرم الخلق مؤمناً به مقبولاً له كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] ولا ريب أن أكثر الخلق لئام وكرام قليلون كما قال الشاعر:

تعيرنا أنا قليل عدادنا فقلت لها إن الكرام قليل

ولذلك ذكر في عقبه. ﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ أي: لا يهتدي إليه الأذلاء من أرباب النفوس لخستهم ولعزته. ﴿الرحيم﴾ أي: يجتبي إليه برحمته من يشاء من أعزة أرباب القلوب لعلو مهمته وفرط رحمته.

آفرين برجان درويشي كه صاحب همت است

والإشارة بنوح إلى نوح القلب وبقومه إلى النفس وصفاتها وبالمؤمنين إلى الجسد وأعضائه فإنهما آمنا بالعمل بالأركان على وفق الشرع وإلى بعض صفات النفس وذلك بتبدلها. وبالفلك إلى فلك الشريعة المملوء بالأوامر والنواهي والحكم والمواعظ والأسرار والحقائق والمعاني فمن ركب هذه السفينة نجا ومن لم يركب غرق بطوفان استيلاء الأخلاق الذميمة وابتلاء آفات الدنيا الدنيئة من المال والجاه والزينة والشهوات ولا بد للسفينة من الملاح وهومعلم الخير فإنه بصحبته تحصل النجاة كما قال الحافظ:

يا رمردان خدا باش كه دركشتي نوح هست خاكي كه بآبي نخرد طوفا نرا

يشير إلى أن الأمر سهل بإشارة المرشد وأن العسير عند الغافل يسير عند الواصل.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾﴾.

﴿كذبت عاد المرسلين﴾ أنث عاد باعتبار القبيلة وهو اسم أبيهم الأقصى [مقاتل: كفت عاد وثمود ابن عم يكديكر بودند عاد قوم هود بودند وثمود قوم صالح وميان مهلك عاد ومهلك ثمود پانصد سال بود قومي كفتند از أهل تاريخ كه عاد وثمود دو برادر بودند از فرزندان أرم بن سام بن نوح وسام بن نوح را پنج پسر بود ارم وارفحشه وعالم واليفر والأسود وارم مهينهٔ فرزندان بود واورا هفت پسر بود عاد وثمود وصحار وطنم وجديس وجاسم ووبار مسكن عاد وفرزندان وي يمن بود ومسكن ثمود وفرزندان وي ميان حجاز وشام بود ومسكن طنم عمان وبحران ومسكن جديس زمين تهامه ومسكن صحار ما بين الطائف إلى جبال طي ومسكن جاسم ما بين الحرم إلى سفوان ومسكن بار زميني است كه آنرا وبار كويند بنام وي باز خوانند اينان همه زبان ولغت عربي داشتند] وقد انقرضوا عن آخرهم فلم يبق لهم نسل.

﴿إذ قال لهم أخوهم﴾ في النسب ظرف للتكذيب. ﴿هود﴾ بن شالخ بن أرفحشد بن سام بن نوح.

قال بعضهم: كان اسم هود عابراً وسمي هوداً لوقاره وسكونه عاش مائة وخمسين سنة أرسل إلى أولاد عاد حين بلغ الأربعين ﴿ألا تتقون﴾ الله تعالى فتفعلون ما تفعلون: وبالفارسية [آيا پرهيز نميكنيد از شرك واز عقاب إلهي خائف نمي شويد].

﴿إني لكم رسول﴾ من جهته تعالى ﴿أمين﴾ مشهور بالأمانة فيما بينكم.

﴿فاتقوا الله﴾ خافوا من عقابه ﴿وأطيعون﴾ فيما آمركم به من الحق.

﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾﴾

﴿وما أسألكم عليه﴾ أي: على أداء الرسالة ﴿من أجر﴾ كما يسأل بعض نقلة القصص ﴿إن أجري إلا على رب العالمين﴾ لأنه هو الذي أرسلني فكان أجري عليه وهو بيان لتنزهه عن المطامع الدنية والأعراض الدنيوية. قال الحافظ:

تو بنكدي چوكد إيان بشرط مزد مكن   كه دوست خودروش بنده پروري دانند

﴿أتبنون﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري. والمعنى بالفارسية [آيا بنا ميكنيد]. ﴿بكل ريع﴾ [بهر موضعي بكند] والريع بكسر الراء وفتحها جمع ريعة وهو المكان المرتفع ومنه استعير ريع الأرض للزيادة والارتفاع الحاصل منها. ﴿آية﴾ بناء عالياً متميزاً عن سائر الأبنية حال كونكم ﴿تعبثون﴾ ببنائه فإن بناء ما لا ضرورة فيه وما كان فوق الحاجة عبث. روي: أن رسول الله ﷺ خرج فرأى قبة مشرفة فقال: «ما هذه»؟ قال له أصحابه: هذه لرجل من الأنصار فمكث وحملها في نفسه حتى إذا جاء صاحبها رسول الله فسلم في الناس أعرض عنه وصنع به ذلك مراراً حتى عرف الرجل الغضب فيه والإعراض عنه فشكا ذلك إلى أصحابه فقال: والله إني لأنكر نظر رسول الله ما أدري ما حدث فيّ وما صنعت قالوا: خرج رسول الله فرأى قبتك فقال لمن هذه فأخبرناه فرجع إلى قبته فسواها بالأرض فخرج النبي عليه السلام ذات يوم فلم ير القبة فقال: «ما فعلت القبة التي كانت ههنا؟» قالوا: شكا إلينا صاحبها إعراضك عنه فأخبرناه فهدمها فقال: «إن كل بناء يبنى وبال على صاحبه يوم القيامة إلا ما لا بد منه» هذا ما عليه الإمام الراغب وصاحب «كشف الأسرار» وغيرهما.

وقال في «الجلالين» ونحوه ﴿آية﴾ يعني أبنية الحمام وبروجها. وبالفارسية [كبوتر خانها] أنكر هود عليهم اتخاذهم بروج الحمام عبثاً ولعبهم بها كالصبيان.

قال في «نصاب الاحتساب»: من اللعب الذي يحتسب بسببه اللعب بالحمام.

قال محمد: السفلة من يلعب بالحمام ويقامر.

وفي «شرح القهستاني»: ولا بأس بحبس الطيور والدجاج في بيته ولكن يعلفها وهو خير من إرسالها في السكك. وأما إمساك الحمامات في برجها فمكروه إذا أضر بالناس.

وقال ابن مقاتل يجب على صاحبها أن يحفظها ويعلفها انتهى.

وفي «التتارخانية»: ولا يجوز حبس البلبل والطوطي والقمري ونحوها في القفص أي إذا كان الحبس لأجل اللهو واللعب. وأما إذا كان لأجل الانتفاع كحبس الدجاج والبط والأوز ونحوها لتسمن أو لئلا تضر بالجيران فهو جائز وكذا حبس سباع الطيور لأجل الاصطياد.

وفي فتاوى قارىء «الهداية»: هل يجوز حبس الطيور المغردة وهل يجوز إعتاقها وهل في ذلك ثواب وهل يجوز قتل الوطاويط لتلويثها حصير المسجد بخرئها الفاحش؟ أجاب يجوز حبسها للاستئناس بها. وأما إعتاقها فليس فيه ثواب وقتل المؤذي من الدواب يجوز انتهى وفي الحديث: «لا تحضر الملائكة شيئاً من الملاهي سوى النضال والرهان» أي: المسابقة بالرمي والفرس والإبل والأرجل.

وقال بعضهم: في الآية تعبثون بمن مرّ بكم لأنهم كانوا يبنون الغرف في الأماكن العالية ليشرفوا على المارة فيسخرون منهم ويعبثون بهم. وذهب بعض من عدّ من أجلاء المفسرين إلى أن المعنى (آية) أي علامة للمارة تعبثون ببنائها فإنهم كانوا يبنون أعلاماً طوالاً لاهتداء المارة فعد ذلك عبثاً لاستغنائهم عنها بالنجوم.

قال سعدي المفتي: فيه بحث إذ لا نجوم بالنهار وقد يحدث في الليل ما يستر النجوم من الغيوم انتهى.

يقول الفقير: وأيضاً إن تلك الأعلام إذا كانت لزيادة الانتفاع بها كالأميال بين بغداد ومكة مثلاً كيف تكون عبثاً فالاهتداء بالنهار إما بالأعلام وإما بشم التراب كما سبق في الجلد الأول. ﴿**وتتخذون مصانع**﴾ أمكنة شريفة كما في «المفردات» أو مآخذ الماء تحت الأرض كما في «الصحاح» و«القاموس». المصنعة بفتح الميم وضم النون وفتحها كالحوض يجمع فيها ماء المطر وجمعها المصانع أي: الحياض العظيمة. ﴿**لعلكم تخلدون**﴾ راجين أن تخلدوا في الدنيا أي عاملين عمل من يرجو ذلك فلذلك تحكمون بناءها فلعل للتشبيه أي كأنكم تخلدون. وبالفارسية [كوييا جاويد خواهد بود دران] ذمهم أولاً بإضاعتهم المال عبثاً بلا فائدة. وثانياً بإحكامهم البناء على وجه يدل على طول الأمل والغفلة. قال الصائب:

در سراين غافلان طول أمل داني كه چيست آشيان كردست ماري در كبوتر خانهٔ

﴿**وإذا بطشتم**﴾ بسوط أو سيف والبطش تناول الشيء بصولة أو قهر وغلبة. ﴿**بطشتم**﴾ حال كونكم ﴿**جبارين**﴾ متسلطين ظالمين بلا رأفة ولا قصد تأديب ولا نظر في العاقبة فأما بالحق والعدل فالبطش جائز والجبار الذي يضرب ويقتل على الغضب.

﴿**فاتقوا الله**﴾ واتركوا هذه الأفعال من بناء الأبنية العالية واتخاذ الأمكنة الشريفة وإسراف المال في الحياض والرياض والبطش بغير حق. ﴿**وأطيعون**﴾ فيما أدعوكم إليه من التوحيد والعدل والإنصاف وترك الأمل ونحوها فإنه أنفع لكم.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾﴾.

﴿**واتقوا الذي أمدكم**﴾ [مدد كاري كرد شمارا] والإمداد إتباع الثاني بما قبله شيئاً بعد شيء على انتظام وأكثر ما جاء الإمداد في المحبوب والمد في المكروه. وأما قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ [لقمان: ٢٧] فهو من مددت الدواة أمدها لا من القبيل المذكور. ﴿**بما تعلمون**﴾ به من أنواع النعماء وأصناف الآلاء وأجملها أولاً ثم فصلها بقوله:

﴿**أمدكم بأنعام**﴾ [مدد كرد شمارا بچهار پايان چون شتر وكاو وكوسفندان تا ازايشان أخذ فوائد ميكنيد] ﴿**وبنين**﴾ [پسران درهمه حال يار ومدد كار شماانند]. ﴿**وجنات**﴾ [وبستانها كه ازميوهٔ آن منتفع ميشويد] ﴿**وعيون**﴾ [وبچشمهاي روان كه مهم سقيا ونشو ونماي زرع بدان باتمام رسد].

﴿**إني أخاف عليكم**﴾ إن لم تقوموا بشكر هذه النعم. ﴿**عذاب يوم عظيم**﴾ في الدنيا

والآخرة فإن كفران النعمة مستتبع للعذاب كما أن شكرها مستلزم لزيادتها وصف اليوم بالعظم لعظم ما يحل فيه وهو هبوب الريح الصرصر ههنا.

﴿قالوا﴾ [كفتند عاديان در جواب هود]. ﴿سواء علينا﴾ [يكسانست برما] ﴿أوعظت﴾ [يا پندد هي مارا]. ﴿أم لم تكن من الواعظين﴾ فإنا لن نرجع عما نحن عليه. والوعظ زجر يقترن بتخويف وكلام يلين القلب بذكر الوعد والوعيد.

وقال الخليل: هو التذكير بالخبر فيما يرق له القلب والعظة والموعظة الاسم.

﴿إن هذا﴾ أي ما هذا الذي جئتنا به وبالفارسية: [نيست اين كه تو آوردي]. ﴿إلا خلق الأولين﴾ [مكرخوي وعادت أولين كه ميكفتند كه ما پيغمبر انيم ودروغ ميكفتند] كانوا يلفقون مثل هذا الكذب ويسطرونه والتلفيق [واهم آوردن] أو ما هذا الذي نحن فيه إلا عادة الأولين من قبلنا من تشييد البناء والبطش على وجه التكبر فلا نترك هذه العادة بقولك أو عادتهم وأمرهم أنهم يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا حساب.

﴿وما نحن بمعذبين﴾ على ما نحن عليه من الأعمال والعادات.

﴿فكذبوه﴾ أي هوداً وأصروا على ذلك ﴿فأهلكناهم﴾ أي: عاداً بسبب التكذيب بريح صرصر. تلخيصه أن هوداً أنذر قومه ووعظهم فلم يتعظوا فأهلكوا. ﴿إن في ذلك﴾ [بدرستي كه در هلاك قوم عاد]. ﴿لآية﴾ [نشانه ايست دلالت كند بر آنكه عاقبت أهل تكذيب بعقوبت كشد] ﴿وما كان أكثرهم﴾ أي: أكثر قوم عاد. ﴿مؤمنين﴾ [چه اندك ازان قبيله باهود بودند].

﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ الغالب المنتقم ممن يعمل عمل الجبارين ولا يقبل الموعظة. ﴿الرحيم﴾ [مهربانست كه مؤمناً نرا ازان مهلكهٔ عقوبت بيرون آرد ونجات دهد] وهو تخويف لهذه الأمة كيلا يسلكوا مسالكهم.

قيل: خير ما أعطي الإنسان عقل يردعه فإن لم يكن فحياء يمنعه فإن لم يكن فخوف يقمعه فإن لم يكن فمال يستره فإن لم يكن فصاعقة تحرقه وتريح منه العباد والبلاد كالأرض إذا استولى عليها الشوك فلا بد من نسفها وإحراقها بتسليط النار عليها حتى تعود بيضاء. فعلى العاقل أن يعتبر ويخاف من عقوبة الله تعالى ويترك العادات والشهوات ولا يصر على المخالفات والمنهيات.

مكر كه عادت شوم از جنود إبليس است ... كه سد راه عبادت شده است عادت ما

وكل ما وقع في العالم من آثار اللطف والقهر فهو علة لأولي الألباب مدة الدهر.

عاقلا نراكوش بر آواز طبل رحلتست ... هرطبيدن قاصدي باشد دل آكاه را

وقد أهلك الله تعالى قوم عاد مع شدة قوتهم وشوكتهم بأضعف الأشياء وهو الريح فإنه إذا أراد يجعل الأضعف أقوى كالبعوضة ففي الريح ضعف للأولياء وقوة على الأعداء ولأن للكمل معرفة تامة بشؤون الله تعالى لم يزالوا مراقبين خائفين كما أن الجهلاء ما زالوا غافلين آمنين ولذا قامت عليهم الطامة في كل زمان قوّانا الله وإياكم بحقائق اليقين وجعلنا من أهل المراقبة في كل حين.

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَـٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَـٰهُنَآ

ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾﴾

﴿كذبت ثمود﴾ أنث باعتبار القبيلة وهو اسم جدهم الأعلى وهو ثمود بن عبيد بن عوص بن عاد بن أرم بن سام بن نوح وقد ذكر غير هذا في أول المجلس السابق فارجع. ﴿المرسلين﴾ يعني: صالحاً ومن قبله من المرسلين أو إياه وحده والجمع باعتبار أن تكذيب واحد من الرسل في حكم تكذيب الجميع لاتفاقهم على التوحيد وأصول الشرائع ثم بين الوقت الممتد للتكذيب المستمر فقال:

﴿إذ قال لهم أخوهم﴾ النسبي لا الديني فإن الأنبياء محفوظون قبل النبوة معصومون بعدها وفائدة كونه منهم أن تعرف أمانته ولغته فيؤدي ذلك إلى فهم ما جاء به وتصديقه. ﴿صالح﴾ ابن عبيد بن آسف بن كاشح بن حاذر بن ثمود. ﴿ألا تتقون﴾ [أيا نمي ترسيد از عذاب خداي كه بدو شرك مي آريد].

﴿إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون﴾ فإن شهرتي فيما بينكم بالأمانة موجبة لتقوى الله وإطاعتي فيما أدعوكم إليه.

﴿وما أسألكم عليه﴾ أي: على النصح والدعاء. ﴿من أجر﴾ فإن ذلك تهمة لأهل العفة. ﴿إن أجري﴾ [نيست مكافات من]. ﴿إلا على رب العالمين﴾ فإنه الذي أرسلني فالأجر عليه بل هو الآجر لعباده الخلص لقوله في الحديث القدسي: «من قتله فأنا ديته»: وفي «المثنوي»:

عـاشـقـانـرا شـادمـانـي وغـم أوسـت دست مزد وأجرت خدمت هم أوست

﴿أتتركون﴾ الاستفهام للإنكار والتوبيخ أي أتظنون أنكم تتركون. ﴿فيما ههنا﴾ أي: في النعيم الذي هو ثابت في هذا المكان أي الدنيا وأن لا دار للمجازاة. ﴿آمنين﴾ حال من فاعل تتركون: يعني [در حالتي كه أيمن زآفات وسالم ازفوات] وفسر النعيم بقوله:

﴿في جنات﴾ بساتين﴿وعيون﴾ أنهار.

وقال بعضهم: لم يكن لقوم صالح أنهار جارية فالمراد بالعيون الآبار ويقال: كانت لهم في الشتاء آبار وفي الصيف أنهار لأنهم كانوا يخرجون في الصيف إلى القصور والكروم والأنهار ﴿وزروع﴾ [كشتزارها]﴿ونخل﴾ [خرمابنان] وأفرد النخل مع دخولها في أشجار الجنات لفضلها على سائر الأشجار وقد خلقت من فضلة طينة آدم عليه السلام. ﴿طلعها﴾ طلع النخل ما يطلِع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو تشبيهاً بالطلوع قبل طلع النخل كما في «المفردات». والشماريخ جمع شمراخ بالكسر وهو العثكال أي العذق وكل غصن من أغصانه شمراخ وهو الذي عليه البسر والقنو والعذق والكباسة بالكسر في الكل من التمر بمنزلة العنقود من الكرم﴿هضيم﴾ لطيف لين في جسمه. وبالفارسية [خوشهء آن خرما بنان وشكوفهء أو نازل ونرم آي] للطف الثمر فيكون الطلع مجازاً عن الثمر. والهضم بفتحتين الرفة والهزال ومنه هضيم الكشح والحشى أي ضامر لطيف ومنه هضم الطعام إذا لطف واستحال إلى مشاكلة البدن كما في «كشف الأسرار» أو لطيف لأن النخل أنثى ويؤيده تأنيث الضمير وطلع إناث النخل لطيف وذكوره غليظ صلب.

قال ابن الشيخ: طلع البرني ألطف من طلع اللون والبرني أجود التمر وهو معرف أصله

برنيك أي الحمل الجيد واللون الدقل وهو أردىء التمر وأهل المدينة يسمون ما عدا البرني والعجوة ألواناً ويوصف بهضيم ما دام في كفراه لدخول بعضه في بعض ولصوقه فإذا خرج منها فليس بهضيم والكفري بضم الكاف والفاء وتشديد الراء كم النخل لأنه يستر في جوفه.

وقال الإمام الراغب: الهضم شدخ ما فيه رخاوة ونخل طلعها هضيم أي داخل بعضه في بعض كأنما شدخ انتهى أو هضيم متدل متكسر من كثرة الحمل فالهضم بمعنى الكسر والتدلي التسفل والنزول من موضعه.

قال في «المختار»: الهاضوم الذي يقال له: الجوارش لأنه يهضم الطعام أي يكسره وطعام سريع الانهضام وبطيء الانهضام.

﴿وتنحتون﴾ [ومي تراشيد براي مساكن خود] ﴿من الجبال بيوتاً﴾ [كفته اندكه دروادي حجر دوهزار بارهزار وهفصد سراي تراشيدند از سنك سخت درميان كوهها رب العالمين إيشانرا دران كارباستادي وتيزكاري وصف كرد وكفت] ﴿فارهين﴾ [در حالتي كه ما هريد در تراشيدن سنسكها] كما قال الراغب: أي حاذقين من الفراهة وهي النشاط فإن الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب ومن قرأ فرهين جعله بمعنى مرحين أشرين بطرين فهو على الأول من فره بالضم وعلى الثاني من فره بالكسر.

واعلم أن ظاهر هذه الآيات يدل على أن الغالب على قوم هود هو اللذات الخيالية وهو طلب الاستعلاء والبقاء والتفرد والتجبر. والغالب على قوم صالح هو اللذات الحسية وهي طلب المأكول والمشروب والمساكن الطيبة وكل هذه اللذات من لذات أهل الدنيا الغافلين وفوقها لذات أهل العقبى المتيقظين وهي اللذات القلبية من المعارف والعلوم وما يوصل إليها من التواضع والوقار والتجرد والاصطبار.

﴿فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين﴾ كان مقتضى الظاهر ولا تطيعوا المسرفين بلا إقحام أمر فإن الطاعة إنما تكون للأمر على صيغة الفاعل كما أن الامتثال إنما يكون للأمر على صيغة المصدر فشبه الامتثال بالطاعة من حيث أن كل واحد منهما يفضي إلى الوجود والمأمور به فأطلق اسم المشبه به وهو الطاعة وأريد الامتثال أي لا تمتثلوا أمرهم.

﴿ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾﴾.

﴿الذين يفسدون في الأرض﴾ أي: في أرض الحجر بالكفر والظلم وهو وصف موضح لإسرافهم ﴿ولا يصلحون﴾ بالإيمان والعدل عطف على يفسدون لبيان خلو إفسادهم عن مخالطة الإصلاح [مرادتني چندندكه قصد هلاك صالح كردند وقصهٔ إيشان درسورهٔ نمل مذكور خواهد شد].

﴿قالوا﴾ [كفتند ثمود در جواب صالح] ﴿إنما أنت من المسحرين﴾ أي: من المسحورين مرة بعد أخرى حتى اختل عقله واضطرب رأيه فبناء التفعيل لتكثير الفعل.

﴿ما أنت إلا بشر مثلنا﴾ تأكل وتشرب ولست بملك.

قال الكاشفي: [بصورت بشريت صالح عليه السلام از حقيقت حال وي محجوب شديد

وندانستندكه إنسان وراي صورت چيزي ديكرست].

چنـد صـورت بيي أي صـورت پرسـت   جان بي معنيست كز صورت ترسـت

در كـذر از صـورت ومـعـنـى نـكـر   زانكـه مقصـود از صدف باشد كـهر

[وچون قوم ثمود وابستهٔ صورت بودند وصالح را بصورت خود ديدند بهانه جويان كفتند تومثل ما بشري دعوى رسالت چراميكني وچونكه ترك نميكيري ودرين دعوى مصري] ﴿فائت بآية﴾ [پس بيار نشانهٔ از خوارق عادات]. ﴿إن كنت من الصادقين﴾ في دعواك [صالح؛ فرمودكه شماچه مي طلبيد يشان اقتراح كردندكه ازين سنك معين ناقهٔ بدين هيأت بيرون آر وچون بدعاي صالح مدعاي إيشان حاصل شد] كما سبق تفصيله في سورة الأعراف وسورة هود.

﴿قال هذه ناقة﴾ [اين ناقه إيست كه شما طلبيد يه]. ﴿لها شرب﴾ أي: نصيب من الماء كالسقي للحظ من السقي ﴿ولكم شرب يوم معلوم﴾. يعني [يكروز رب ازان أوست ودوروز أزان شماست] فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها على شربها.

وفيه دليل على جواز قسمة المنافع بالمهايأة لأن قوله: لها شرب ولكم شرب يوم معلوم من المهايأة وهي لغة مفاعلة من الهيئة وهي الحالة الظاهرة للمتهيىء للشيء. والتهايؤ تفاعل منها وهي أن يتواضعوا على أمر فيتراضوا به وحقيقته أن كلاً منهم رضي بهيئة واحدة واختارها وشرعاً قسمة المنافع على التعاقب والتناوب فلو قسم الشريكان منفعة دار مشتركة ووقعت المواضعة بينهما على أن يسكن أحدهما في بعضها والآخر في بعضها هذا في علوها وهذا في سفلها أو على أن يسكن فيها هذا يوماً أو شهراً ويسكن هذا يوماً أو شهراً وتهايأ توافقا في دارين على أن يسكن هذا في هذه وهذا في هذه أو في خدمة عبد واحد على أن يخدم هذا يوماً ويخدم هذا يوماً أو خدمة عبدين على أن يخدم هذا هذا وهذا هذا صح التهايؤ في الصور المذكورة بالإجماع استحساناً للحاجة إليه إذ يتعذر الاجتماع على الانتفاع فأشبه القسمة والقياس أن لا يصح لأنها مبادلة المنفعة بجنسها ولكن ترك بالكتاب وهو الآية المذكورة والسنة وهو ما روي أنه عليه السلام قسم بغزوة بدر كل بعير بين ثلاثة نفر وكانوا يتناوبون وعلى جوازها إجماع الأمة.

قال في «فتح الرحمن»: واختلفوا في حكم المهايأة فقال أبو حنيفة رحمه الله: يجبر عليها الممتنع إذا لم يكن الطانب متعنتاً وقال الثلاثة هي جائزة بالتراضي ولا إجبار فيها.

﴿ولا تمسوها بسوء﴾ [ومس ميكند ويرا بيدي يعني قصد زدن وكشتن وي ميكنيدكه اكرچنان كنيد] ﴿فيأخذكم عذاب يوم عظيم﴾ عظم اليوم بالنسبة إلى عظم ما حل فيه وهو ههنا صيحة جبريل.

﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَـٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾﴾

﴿فعقروها﴾ عقرت البعير نحرته وأصل العقر ضرب الساق بالسيف كما في «كشف الأسرار» [پس پي كردند ناقه راوبكشتند] أي يوم الأربعاء فماتت وأسند العقر إلى كلهم لأن عاقرها إنما عقر برضاهم ولذلك أخذوا جميعاً. روي أن مسطعاً ألجأها إلى مضيق في شعب

فرماها بسهم فسقطت ثم ضربها قدار في عرقوبها. وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: رأيت مبركها فإذا هو ستون ذراعاً في ستين ذراعاً فقتلوا مثل هذه الآية العظيمة.

﴿فأصبحوا﴾ صاروا ﴿نادمين﴾ على عقرها خوفاً من حلول العذاب لا توبة أو عند معاينتهم العذاب ولذلك لم ينفعهم الندم وإن كان بطريق التوبة كفرعون حين ألجمه الغرق والندم والندامة التحسر من تغير رأي في أمر فائت.

﴿فأخذهم العذاب﴾ الموعود وهو صيحة جبريل وذلك يوم السبت فهلكوا جميعاً. ﴿إن في ذلك﴾ أي: في العذاب النازل بثمود. ﴿لآية﴾ دالة على أن الكفر بعد ظهور الآيات المفتوحة موجب لنزول العذاب فليعتبر العقلاء لا سيما قريش. ﴿وما كان أكثرهم﴾ أكثر قوم ثمود أو قريش. ﴿مؤمنين﴾ [آورده اندكه از قبائل ثمود چهار هزار كس إيمان آوردند وبس] وكان صالح عليه السلام نزل عليه الوحي بعد بلوغه وأرسل بعد هود بمائة سنة وعاش مائتين وعشرين سنة.

﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ الغالب على ما أراد من الانتقام من قوم ثمود بسبب تكذبهم فاستأصلهم فليحذر المخالفون لأمره حتى لا يقعوا فيما وقع فيه الأمم السالفة المكذبة.

﴿الرحيم﴾ [مهربان كه بي استحقاق عذاب نكند] وكانت الناقة علامة لنبوة صالح عليه السلام فلما أهلكوها ولم يعظموها صاروا نادمين حين لم ينفعهم الندم، والقرآن علامة لنبوة نبينا عليه السلام فمن رفضه ولم يعمل بما فيه ولم يعظمه يصير نادماً غداً ويصيبه العذاب ومن جملة ما فيه الأمر بالاعتبار فعليك بالامتثال ما ساعدت العقول والأبصار وإياك ومجرد القال فالفعل شاهد على حقيقة الحال. وفي «المثنوي».

حفظ لفظ اندر كواه قولي است ... حفظ عهد اندر كواه فعلى است
كركواه قول كژ كويد ردست ... وركواه فعل كژ پويد بدست
قول وفعل بي تناقص بايدت ... تا قبول اندر زمان پيش آيدت
چون ترازوي تو كژبود ودغا ... راست چون جويي ترازوي جزا
چونكه پاي چپ بدي درغدر وكاست ... نامه چون آيدترا دردست راست
چون جزا سايه است أي قد توخم ... سايهٔ تو كژفتد درپيش هم
كافرانرا بيم كرد ايزد زنار ... كافران كفتند نار أولى زعار
لا جرم افتند در نار ابد ... الأمان يا رب از كردار بد

فلا تكن من أهل العار حتى لا تكون من أهل النار ومن له آذان سامعة وقلوب واعية يصيخ إلى آيات الله الداعية فيخاف من الله القهار ويصير مراقباً آناء الليل وأطراف النهار ويكثر ذكر الله في السر والجهار. حكي: أن الشبلي قدس سره رأى في سياحته فتى يكثر ذكر الله ويقول: الله فقال الشبلي: لا ينفعك قولك الله بدون العلم لأن اليهود والنصارى معك سواء لقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧] فقال الفتى: الله عشر مرات حتى خر مغشياً عليه فمات على تلك الحالة فجاء الشبلي فرأى صدره قد انشق فإذا على كبده مكتوب الله فنادى منادٍ وقال: يا شبلي هذا من المحبين وهم قليل والله تعالى خلق قلوب العارفين وزينها بالمعرفة واليقين وأدخلهم من طريق الذكر الحقاني في نعيم روحاني كما أوقع للغافلين من طريق النسيان والإصرار في عذاب روحاني وجسماني فالأول من آثار رحمته

والثاني من علامات عزته فلا يهتدي إليه إلا المستأهلون لقربته ووصلته ولا يتأخر في الطريق إلا المستعدون لقهره ونقمته فنسأله وهو الكريم الرحيم أن يحفظنا من عذاب يوم عظيم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾.

﴿كذبت قوم لوط﴾ يعني أهل سدوم وما يتبعها. ﴿المرسلين﴾ يعني لوطاً وإبراهيم ومن تقدمهما ﴿إذ قال لهم أخوهم لوط﴾. قال الكاشفي: [إينجا مراد أخوت شفقت است] انتهى وذلك لأن لوطاً ليس من نسبهم وكان أجنبياً منهم إذ روي أنه هاجر مع عمه إبراهيم عليهما السلام إلى أرض الشام فأنزله إبراهيم الأردن فأرسله الله إلى أهل سدوم وهو لوط بن هاران وهاران أخو تارخ أبي إبراهيم ﴿ألا تتقون﴾ ألا تخافون من عقاب الله تعالى على الشرك والمعاصي.

﴿إني لكم رسول﴾ مرسل من جانب الحق ﴿أمين﴾ مشهور بالأمانة ثقة عند كل أحد. ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ فإن قول المؤتمن معتمد.

﴿وما أسألكم عليه﴾ أي: على التبليغ والتعليم ﴿من أجر﴾ جعل ومكافأة دنيوية فإن ذلك تهمة لمن يبلغ عن الله. ﴿إن أجري﴾ ما ثوابي ﴿إلا على رب العالمين﴾ بل ليس متعلق الطلب إلا إياه تعالى:

خلاف طريقت بود كاوليا تمنا كنند از خدا جز خدا

﴿أتأتون الذكران من العالمين﴾ الاستفهام للإنكار وعبر عن الفاحشة بالإتيان كما عبر عن الحلال في قوله: ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣] والذكران والذكور جمع الذكر ضد الأثنى وجعل الذكر كناية عن العضو المخصوص كما في «المفردات». ومن العالمين حال من فاعل تأتون والمراد به النكاحون من الحيوان فالمعنى أتأتون من بين من عداكم من العالمين الذكران وتجامعونهم وتعملون ما لا يشارككم فيه غيركم. وبالفارسية: [آيا مي آييد بمردان] يعني أنه منكر منكم ولا عذر لكم فيه ويجوز أن يكون من العالمين حالاً من الذكران والمراد به الناس. فالمعنى أتأتون الذكران من أولاد آدم مع كثرة الإناث فيهم كأنهن قد أعوزنكم أي أفقرنكم وأعدمنكم. روي: أن هذا العمل الخبيث علمهم إياه إبليس.

﴿وتذرون﴾ تتركون يقال: فلان يذر الشيء أي يقذفه لقلة إعداده به ولم يستعمل ماضيه. ﴿ما خلق لكم ربكم﴾ لأجل استمتاعكم ﴿من أزواجكم﴾ [اززنان شما] ومن لبيان أن ما أريد به جنس الإناث وللتبعيض إن أريد به العضو المباح منهن وهو القبل تعريضاً بأنهم كانوا يفعلون بنسائهم أيضاً فتكون الآية دليلاً على حرمة أدبار الزوجات والمملوكات وفي الحديث: «من أتى امرأة في دبرها فهو بريء مما أنزل على محمد ولا ينظر الله إليه».

وقال بعض الصحابة: قد كفر ﴿بل أنتم قوم عادون﴾ متجاوزون الحد في جميع المعاصي وهذا من جملتها.

واختلفوا في اللوطي فقال أبو حنيفة: يعزر ولا حد عليه خلافاً لصاحبيه وقد سبق شرحه

في سورة هود وقال مالك: يجب على الفاعل والمفعول به الرجم أحصنا أو لم يحصنا وعند الشافعي وأحمد حكمه حكم الزنى.

﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾﴾.

﴿قالوا﴾ مهددين ﴿لئن لم تنته يا لوط﴾ أي: عن تقبيح أمرنا وإنكارك علينا ﴿لتكونن من المخرجين﴾ من المعهودين بالنفي والإخراج من القرية على عنف وسوء حال.

﴿قال إني لعملكم﴾ يعني إتيان الرجال. ﴿من القالين﴾ من المبغضين أشد البغض كأنه يقلي الفؤاد والكبد لشدته أي ينضج لا أقف عن الإنكار عليه بالإيعاد وهو اسم فاعل من القلي وهو البغض الشديد متعلق بمحذوف، أي لقال من القالين ومبغض من المبغضين وذلك المحذوف وهو قالٍ خبر إن ومن القالين صفته وقوله لعملكم متعلق بالخبر المحذوف ولو جعل من القالين خبر إن لعمل القالين في لعملكم فيفضي إلى تقديم الصلة على الموصول ولعله عليه السلام أراد إظهارالكراهة في مساكنتهم والرغبة في الخلاص من سوء جوارهم ولذلك أعرض عن محاورتهم وتوجه إلى الله قائلاً.

﴿رب﴾ [أي پرورد كار من] ﴿نجني﴾ خلصني ﴿وأهلي مما يعملون﴾ أي: من شؤم عملهم الخبيث وعذابه.

﴿فنجيناه وأهله أجمعين﴾ أي أهل بيته ومن اتبعهم في الدنيا بإخراجهم من بينهم وقت مشارقة حلول العذاب بهم.

﴿إلا عجوزاً﴾ هي امرأة لوط اسمها والهة استثنيت من أهله فلا يضره كونها كافرة لأن لها شركة في الأهلية بحق الزوج.

قال الراغب: العجوز سميت لعجزها عن كثير من الأمور ﴿في الغابرين﴾ أي: مقدراً كونها من الباقين في العذاب لأنها كانت مائلة إلى القوم راضية بفعلهم وقد أصابها الحجر في الطريق فأهلكها ـ وذكر ـ أن امرأة لوط حين سمعت الرجفة التفتت وحدها فمسخت حجراً وذلك الحجر في رأس كل شهر يحيض كذا في كتاب «التعريف» للإمام السهيلي.

قال في «المفردات»: الغابر الماكث بعد مضي من معه قال تعالى: ﴿إلا عجوزاً في لغابرين﴾ يعني: فيمن طال أعمارهم وقيل فيمن بقي ولم يسر مع لوط وقيل فيمن بقي في العذاب. ﴿ثم دمرنا الآخرين﴾ أهلكناهم أشد الإهلاك وأفظعه بقلب بلدتهم والتدمير إدخال الهلاك على الشيء والدمار الهلاك على وجه عجيب هائل.

﴿وأمطرنا عليهم﴾ أي على الخارجين من بلادهم والكائنين مسافرين وقت الائتفاك والقلب. ﴿مطراً﴾ أي: مطراً غير معهود وهو الحجارة. ﴿فساء مطر المنذرين﴾ بئس مطر من أنذر فلم يؤمن لم يرد بالمنذرين قوماً بأعيانهم فإن شرط أفعال المدح والذم أن يكون فاعلهما معرفاً بلام الجنس أو يكون مضافاً إلى المعرف به أو مضمراً مميزاً بنكرة والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم.

﴿إن في ذلك﴾ الذي فعل بقوم لوط. ﴿لآية﴾ لعبرة لمن بعدهم فليجتنبوا عن قبيح فعلهم كي لا ينزل بهم ما نزل بقوم لوط من العذاب. ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ [كه جزدو دختر لوط ودو داماد وي نكرديده بودند].

﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ بقهر الأعداء. ﴿الرحيم﴾ بنصرة الأولياء أو لا يعذب قبل التنبيه والإرشاد وتعذيبه أهل العذاب من كمال رحمته على أهل الثواب ألا ترى أن قطع اليد المتآكلة سبب لسلامة البدن كله فالعالم بمنزلة الجسد وأهل الفساد بمنزلة اليد المتآكلة وراحة أهل الصلاح في إزالة أهل الفساد. وفي «المثنوي»:

چونكه دندان توكرمش درفتاد نيست دندان بركنش أي اوستاد
باقيء تن تاكردد زار ازو كرچه بود آن توشو بيزار ازو

ولو لم يكن في العزة والقهر فائدة لما وضعت الحدود. وقد قيل: إقامة الحدود خير من خصب الزمان.

قال إدريس عليه السلام من سكن موضعاً ليس فيه سلطان قاهر وقاض عادل وطبيب عالم وسوق قائمة ونهر جار فقد ضيع نفسه وأهله وماله وولده فعلى العاقل أن يحترز عن الشهوات ويهاجر العادات ويجاهد نفسه من طريق اللطف والقهر في جميع الحالات.

﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾﴾

﴿كذب أصحاب الأيكة المرسلين﴾ أي: شعيباً ومن قبله عليهم السلام. والأيكة الغيضة التي تنبت ناعم الشجر كالسدر والإدراك وهي غيضة بقرب مدين يسكنها طائفة فبعث الله إليهم شعيباً بعد بعثه إلى مدين ولكن لما كان أخا مدين في النسب قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [هود: ٨٤] ولما كان أجنبياً من أصحاب الأيكة قال:

﴿إذ قال لهم شعيب﴾ ولم يقل أخوهم شعيب وهو شعيب بن تويب بن مدين بن إبراهيم أو ابن ميكيك بن يشجر بن مدين بن إبراهيم وأم ميكيك بنت لوط ﴿ألا تتقون﴾ [آيا نمي ترسيد از عذاب حضرت پروردكار خودكه بدو شرك مي آريد].

﴿إني لكم رسول أمين﴾ بينكم وعلى الرسالة أيضاً لا أطلب إلا صلاح حالكم.

﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ فيما آمركم به فإن أمري أمر عن الله وإطاعتي إطاعة الله في الحقيقة.

﴿وما أسألكم﴾ [ونمي خواهيم ازشما] ﴿عليه﴾ أي على أداء الرسالة والتبليغ والتعليم المدلول عليه بقوله رسوله: ﴿من أجر﴾ ومكافأة ﴿إن﴾ ما ﴿أجري﴾ ثواب عملي وأجرة خدمتي. ﴿إلا على رب العالمين﴾ فإن الفيض وحسن التربية منه تعالى على الكل خصوصاً على من كان مأموراً بأمر من جانبه.

﴿۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾﴾.

﴿أوفوا الكيل﴾ أتموه. وبالفارسية [تمام پيمايید پیمانه را]. ﴿ولا تكونوا من المخسرين﴾ حقوق الناس بالتطفيف. وبالفارسية [ومباشيد از كاهندكان وزيان رسانندكان بحقوق مردمان] يقال: خسرته وأخسرته نقصته.

﴿وزنوا﴾ الموزونات. وبالفارسية [وي سنجيد] وهو أي زنوا أمر من وزن يزن وزناً وزنة والوزن معرفة قدر الشيء. ﴿بالقسطاس المستقيم﴾ أي: بالميزان السوي العدل.

قال في «القاموس»: القسطاس بالضم والكسر الميزان أو أقوم الموازين أو هو ميزان العدل أي ميزان كان كالقسطاس أو رومي معرب.

﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ يقال: بخس حقه إذا نقصه إياه وهو تعميم بعد تخصيص.

قال في «كشف الأسرار»: ذكر بأعم الألفاظ يخاطب به القافلة والوزان والنحاس والمحصي والصيرفي انتهى أي ولا تنقصوا شيئاً من حقوقهم، أي حق كان كنقص العد والزرع ودفع الزيف مكان الجيد والغصب والسرقة والتصرف بغير إذن صاحبه ونحو ذلك. ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ بالقتل والغارة وقطع الطريق. والعثي أشد الفساد فيما لا يدرك حساً وقوله: مفسدين حال مقيدة أي لا تعتدوا حال إفسادكم وإنما قيده وإن غلب العثي في الفساد لأنه قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدي بفعله ومنه ما يتضمن صلاحاً راجحاً كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة.

﴿واتقوا﴾ الله ﴿الذي خلقكم والجبلة الأولين﴾ الجبلة الخلقة يقال: جبل أي خلق ولا يتعلق بها الخلق فلا بد من تقدير المضاف أي وخلق ذوي الجبلة الأولية يعني من تقدمهم من الخلائق.

﴿قالوا إنما أنت من المسحرين﴾ من المسحورين مرة بعد أخرى [تاحدي كه أثر عقل ازايشان محوشد].

﴿وما أنت إلا بشر مثلنا﴾ [ونيست تومكر آدمي ما نند مادر صفات بشريت پس بچه چيز برما تفضل ميكني ودعوى رسالت از كجا آورده‌] إدخال الواو بين الجملتين للدلالة على أن كلاً من التسحير والبشرية مناف للرسالة مبالغة في التكذيب بخلاف قصة ثمود فإنه ترك الواو هناك لأنه لم يقصد إلا معنى واحد هو التسحير. ﴿وإن﴾ أي: وإن الشأن ﴿نظنك لمن الكاذبين﴾ في دعوى النبوة.

﴿فأسقط علينا﴾ [پس فرود آر برما وبيفكن يعني خداي خودرا بكو تابيفكند]. ﴿كسفاً من السماء﴾ [پاره‌ از آسمان كه درو عذابي باشد] جمع كسفة بالكسر بمعنى القطعة. والسماء بمعنى السحاب أو المظلة ولعله جواب لما أشعر به الأمر بالتقوى من التهديد. ﴿إن كنت من الصادقين﴾ [از راست كويان كه برما عذاب فروخواهد آمد اين سخن برسبيل استهزا كفتند وتكذيب].

﴿قال﴾ شعيب: ﴿ربي أعلم بما تعملون﴾ من الكفر والمعاصي وبما تستحقون بسببه من العذاب فينزله في وقته المقدر له لا محالة:

مهلت ده روزهٔ ظالم ببين ... فتنه ببين دم بدمش دركمين
أول حالش همه عيش است وناز ... آخر كارش همه سوز وكداز

[آورده اندكه چون قوم شعيب درانكار واستكبار ازحد تجاوز كردند حق سبحانه وتعالى هفت شبانروز حرارتي سخت برايشان كماشت بمثابتي كه آب چاه وحشمهٔ إيشان همه بجوش آدم ونفسهاي إيشان فروكرفت بدرون خانه در آمدند حرارت زيادت شد روى به بيشه نهادند وهريك درپاي درختي افتاده از كرما كريخته مي شدنده كه ناكه إبرسياه درهوا بديد آمد ونسيم خنك ازو وزيدن كرفت أصحاب أيكه خوش دل شده يكديكررا آوازدادند بياييدكه درزير سايبان ابر آسايش كنيم همين كه مجموع إيشان درزير إبر مجتمع شدند آتشي ازوي بيرون آمد وهمه را بسوخت چنانچه حق سبحانه وتعالى مي فرمايد].

﴿**فكذبوه**﴾ أي: أصروا على تكذيبه بعد وضوح الحجة وانتفاء الشبهة. ﴿**فأخذهم عذاب يوم الظلة**﴾ حسبما اقترحوا إما إن أرادوا بالسماء السحاب فظاهر وإما إن أرادوا الظلة فلأن نزول العذاب من جهتها والظلة سحابة تظل.

قال الكاشفي: [ظل درلغت سايبانست وآن إبرسياه بشكل سايبان برزبرسرايشان بوده] وفي إضافة العذاب إلى يوم الظلة دون نفسها إيذان بأن لهم يوماً آخر غير هذا اليوم كالأيام السبعة مع لياليها التي سلط الله فيها عليهم الحرارة الشديدة وكان ذلك من علامة أنهم يؤخذون بجنس النار ﴿**إنه**﴾ أي: عذاب يوم الظلة. ﴿**كان عذاب يوم عظيم**﴾ وعظمه لعظم العذاب الواقع فيه. روي: أن شعيباً أرسل إلى أمتين أصحاب مدين ثم أصحاب الأيكة فأهلكت مدين بالصيحة والرجفة وأصحاب الأيكة بعذاب يوم الظلة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما من حدث ما عذاب يوم الظلة فكذبه لعله أراد أنه لم ينج منهم أحد يخبر به كذا في «كشف الأسرار».

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾.

﴿**إن في ذلك**﴾ المذكور من قصة قوم شعيب ﴿**لآية**﴾ لعبرة للعقلاء. ﴿**وما كان أكثرهم مؤمنين**﴾ أي: أكثر أصحاب الأيكة بل كلهم إذ لم ينقل إيمان أحد منهم بخلاف أصحاب مدين فإن جميعاً منهم آمنوا.

﴿**وإن ربك لهو العزيز**﴾ الغالب القادر على كل شيء ومن عزته نصر أنبيائه على أعدائه ﴿**الرحيم**﴾ بالإمهال.

وهذا آخر القصص السبع المذكورة تسلية لرسول الله ﷺ وتهديداً للمكذبين به من قريش [تا معلوم كنندكه هرامتي كه تكذيب پيغمبر كردند معذب شدند وإيشانرا نيز برتكذيب حضرت پيغمبر عذابي خواهد رسيد].

فإن قلت: لم لا يجوز أن يقال: إن العذاب النازل بعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم لم يكن لكفرهم وعنادهم بل كان كذلك بسبب اقترانات الكواكب واتصالاتها على ما اتفق عليه أهل النجوم ومع قيام هذا الاحتمال لم يحصل الاعتبار بهذه القصص. وأيضاً إن الله تعالى قد ينزل العذاب محنة للمكلفين وابتلاءً لهم وقد ابتلي المؤمنون بأنواع البليات فلا يكون نزول العذاب على هؤلاء الأقوام دليلاً على كونهم مبطلين مؤاخذين بذلك.

قلت: اطراد نزول العذاب على تكذيب الأمم بعد إنذار الرسل به واقتراحهم له استهزاء

وعدم مبالاة به يدفع أن يقال أنه كان بسبب اتصالات فلكية أو كان ابتلاءً لهم لا مؤاخذة على تكذيبهم لأن الابتلاء لا يطرد.

واعلم أن هذا المذكور هو العذاب الماضي ومن إشارته العذاب المستقبل، وأما العذاب الحاضر فتعلق الخاطر بغير الله الناظر فكما لا بد من تخلية القلب عن الإنكار والعزم على العصيان وتحليته بالتصديق والإيمان فكذا لا بد من قطع العلائق وشهود شؤون رب الخلائق فإن ذلك سبب للخلاص من عذاب الفراق ومدار للنجاة من قهر الخلاق وإنما يحصل ذلك من طريقه وهو العمل بالشريعة وأحكامها وقبول نصحها والتأدب بالطريقة وآدابها، فمن وجد نفسه على هدى رسول الله وأصحابه والأئمة المجتهدين بعده وأخلاقهم من الزهد والورع وقيام الليل على الدوام وفعل جميع المأمورات الشرعية، وترك جميع المنهيات كذلك حتى صار يفرح بالبلايا والمحن وضيق العيش وينشرح لتحويل الدنيا ومناصبها وشهواتها عنه، فليعلم أن الله تعالى يحبه ومن محبته ورحمته صب على قلبه تعظيم أمره وربط جوارحه بالعمل مدة عمره وإلا فليحكم بأن الله تعالى يبغضه والمبغض في يد الاسم العزيز جعلنا الله تعالى وإياكم من أهل رحمته وعصمنا وإياكم من نقمته بدفع العلة ورفع الذلة ونعم ما قيل:

محيط ازچهرهٔ سيلاب كرد راه ميشويد چه أند يشد كسى باعفو حق ازكرد ذلتها

والله العفو الغفور ومنه فيض الأجر الموفور.

﴿**وإنه**﴾ راجع إلى القرآن وإن لم يجر له ذكر للعلم به. ﴿**لتنزيل رب العالمين**﴾ صيغة التكثير تدل على أن نزوله كان بالدفعات في مدة ثلاث وعشرين سنة وهو مصدر بمعنى المفعول سمي به مبالغة وفي وصفه تعالى بربوبية العالمين إيذان بأن تنزيله من أحكام تربيته تعالى ورأفته للكل. والمعنى أن القرآن الذي من جملته ما ذكر من القصص السبع لمنزل من جهته تعالى وإلا لما قدرت على الإخبار وثبت به صدقك في دعوى الرسالة لأن الإخبار من مثله لا يكون إلا بطريق الوحي.

﴿**نزل به**﴾ الباء للتعدية، أي أنزله أو للملابسة. يعني [فرو آمده باقرآن]. ﴿**الروح الأمين**﴾ أي جبريل فإنه أمين على وحيه وموصله إلى أنبيائه وسمي روحاً لكونه سبباً لحياة قلوب المكلفين بنور المعرفة والطاعة حيث أن الوحي الذي فيه الحياة من موت الجهالة يجري على يده ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ يُلْقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [غافر: ١٥].

وفي «كشف الأسرار»: سمي جبريل روحاً لأن جسمه روح لطيف روحاني وكذا الملائكة روحانيون خلقوا من الروح وهو الهواء.

يقول الفقير: لا شك أن للملائكة أجساماً لطيفة وللطافة نشأتهم غلب عليهم حكم الروح فسموا أرواحاً ولجبريل مزيد اختصاص بهذا المعنى إذ هو من سائر الملائكة كالرسول عليه السلام من أفراد أمته.

واعلم أن القرآن كلام الله وصفته القائمة به فكساه الألفاظ بالحروف العربية ونزله على جبريل وجعله أميناً عليه لئلا يتصرف في حقائقه ثم نزل به جبريل كما هو على قلب محمد عليه السلام كما قال:

﴿**على قلبك**﴾ أي: تلاه عليك يا محمد حتى وعيته بقلبك فخص القلب بالذكر لأنه محل الوعي والتثبيت ومعدن الوحي والإلهام وليس شيء في وجود الإنسان يليق بالخطاب والفيض غيره

وهو عليه السلام مختص بهذه الرتبة العلية والكرامة السنية من بين سائر الأنبياء فإن كتبهم منزلة في الألواح والصحائف جملة واحدة على صورتهم لا على قلوبهم كما في «التأويلات النجمية».

قال في «كشف الأسرار»: الوحي إذا نزل بالمصطفى عليه السلام نزل بقلبه أولاً لشدة تعطشه إلى الوحي ولاستغراقه به ثم انصرف من قلبه إلى فهمه وسمعه وهذا تنزل من العلو إلى السفل وهو رتبة الخواص فأما العوام فإنهم يسمعون أولاً فيتنزل الوحي على سمعهم أولاً ثم على فهمهم ثم على قلبهم وهذا ترق من السفل إلى العلو وهو شأن المريدين وأهل السلوك فشتان ما بينهما [جبرائيل چو پيغام كزاردي كاه كاه بصورت ملك بودي وكاه كاه بصورت بشرا كروحي وپيغام بيان أحكام شرع بودي وذكر حلال وحرام بودي بصورت بشر آمدي كه. ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [آل عمران: ٧] وذكر قلب درميان نبودي باز چون وحي پاك حديث عشق ومحبت بودي وأسرار ورموز عارفان جبريل بصورت ملك آمدي روحاني ولطيف تابدل رسول پيوستي واطلاع أغيار بر آن نبودي حق تعالى چنين فرمود]. ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك﴾ ثم إذا انقطع ذاك كان يقول فينفصم عني وقد وعيته.

وفي «الفتاوى الزينية»: سئل عن السيد جبريل كم نزل على النبي عليه السلام أجاب نزل عليه أربعة وعشرين ألف مرة على المشهور انتهى.

وفي «مشكاة الأنوار»: نزل عليه سبعة وعشرين ألف مرة وعلى سائر الأنبياء لم ينزل أكثر من ثلاثة آلاف مرة. ﴿لتكون من المنذرين﴾ المخوفين مما يؤدي إلى عذاب من فعل أو ترك وهو متعلق بنزل به مبين لحكمة الإنزال والمصلحة منه وهذا من جنس ما يذكر فيه أحد طرفي الشيء ويحذف الطرف الآخر لدلالة المذكور على المحذوف وذلك أنه أنزله ليكون من المبشرين والمنذرين.

يقول الفقير: الإنذار أصل وقدم لأنه من باب التخلية بالخاء المعجمة فاكتفى بذكره في بعض المواضع من القرآن.

﴿بلسان عربي مبين﴾ متعلق أيضاً بنزل وتأخيره للاغتناء بأمر الإنذار واللسان بمعنى اللغة لأنه آلة التلفظ بها أي نزل به بلسان عربي ظاهر المعنى واضح المدلول لئلا يبقى لهم عذر ما أي لا يقولوا ما نصنع بما لا نفهمه فالآية صريحة في أن القرآن إنما أنزل عليه عربياً لا كما زعمت الباطنية من أنه تعالى أنزله على قلبه غير موصوف بلغة ولسان ثم أنه عليه السلام أداه بلسانه العربي المبين من غير أن أنزل كذلك وهذا فاسد مخالف للنص والإجماع ولو كان الأمر كما قالوا لم يبق الفرق بين القرآن وبين الحديث القدسي.

وفي الآية تشريف للغة العرب على غيرها، حيث أنزل القرآن بها لا بغيرها وقد سماها مبيناً ولذلك اختار هذه اللغة لأهل الجنة واختار لغة العجم لأهل النار.

قال سفيان: بلغنا أن الناس يتكلمون يوم القيامة قبل أن يدخلوا الجنة بالسريانية فإذا دخلوا الجنة تكلموا بالعربية.

فإن قلت: كيف يكون القرآن عربياً مبيناً مع ما فيه من سائر اللغات أيضاً على ما قالوا كالفارسية. وهو السجيل بمعنى سنك وكل. والرومية وهو قوله تعالى: ﴿فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ﴾ [البقرة: ٢٦٠] أي: اقطعهن. والأرمنية وهو ﴿فِي جِيدِهَا﴾ [المسد: ٥] والسريانية وهو ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص: ٣] بمعنى ليس حين فرار. والحبشية وهو ﴿كِفۡلَيۡنِ﴾ [الحديد: ٢٨] بمعنى ضعفين.

قلت: لما كانت العرب يستعملون هذه اللغات ويعرفونها فيما بينهم صارت بمنزلة العربية.

قال الفقيه أبو الليث رحمه الله: اعلم بأن العربية لها فضل على سائر الألسنة فمن تعلمها أو علم غيره فهو مأجور لأن الله تعالى أنزل القرآن بلغة العرب.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من تعلم الفارسية خب، ومن خب ذهبت عنه مروءته يعني لو اقتصر على لسان الفارسية ولم يتعلم العربية فإنه يكون أعجمياً عند من يتكلم بالعربية فذهبت مروءته ولو تكلم بغير العربية فإنه يجوز ولا إثم عليه في ذلك.

وقد روي «عن رسول الله ﷺ أنه تكلم بالفارسية» انتهى بإجمال.

يقول الفقير: الفارسية شعبة من لسان العجم المقابل للسان العرب ولها فضل على سائر لغات العجم وكذا ورد في الحديث الصحيح: «لسان أهل الجنة العربية والفارسية الدرية» بتشديد الراء كما في «الكرماني» وغيره ذكره صاحب «الكافي» والقهستاني وابن الكمال وغيرهم وصححوه وأما قوله عليه السلام: «أحب العرب لثلاث لأني عربي والقرآن عربي ولسان أهل الجنة في الجنة عربي» فالتخصيص فيه لا ينافي ما عداه وكذا لا ينافي كون لسان العجم مطلقاً لسان أهل النار كون الفارسية منه لسان أهل الجنة وقد تكلم بها في الدنيا كثير من العارفين. وفي «المثنوي»:

فارسي كوكرچه تازي خوشترست عشق را خود صد زبان ديكرست

وهو ترغيب في تحصيل الفارسية بعد تحصيل العربية ولهذا المقام مزيد تفصيل ذكرناه في كتابنا الموسوم «بتمام الفيض».

﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾﴾

﴿وإنه﴾ أي: وإن ذكر القرآن لا عينه. **﴿لفي زبر الأولين﴾** واحدها زبور بمعنى الكتاب مثل رسل ورسول، أي لفي الكتب المتقدمة. يعني أن الله تعالى أخبر في كتبهم عن القرآن وإنزاله على النبي المبعوث في آخر الزمان.

﴿أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل﴾ الهمزة لإنكار النفي والواو للعطف على مقدر ولهم حال من آية والضمير راجع إلى مشركي قريش وآية خبر للكون قدم على اسمه الذي هو قوله أن يعلمه إلخ للاعتناء بالمقدم والتنويه بالمؤخر أي أغفلوا عن ذلك ولم يكن لهم آية دالة على أنه تنزيل رب العالمين وأنه في زبر الأولين أن يعلمه علماء بني إسرائيل كعبد الله بن سلام ونحوه بنعوته المذكورة في كتبهم ويعلموا من أنزل عليه أي قد كان علمهم بذلك آية على صحة القرآن وحقية الرسول [وشهادت مردم دانا برچيزي موجب تحقيق آنست]. روي: أن أهل مكة بعثوا إلى يهود المدينة يسألونهم عن محمد وبعثته فقالوا: إن هذا لزمانه وإنا نجد في التوراة نعته وصفته.

﴿ولو نزلناه﴾ أي: القرآن كما هو بنظمه المعجب المعجز. **﴿على بعض الأعجمين﴾** الذين لا يقدرون على التكلم بالعربية جمع أعجم عجماء وأفعل فعلاء لا يجمع جمع السلامة.

﴿فقرأه عليهم﴾ قراءة صحيحة خارقة للعادات **﴿ما كانوا به مؤمنين﴾** مع انضمام إعجاز القراءة إلى إعجاز المقروء لفرط عنادهم وشدة شكيمتهم في المكابرة.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى كمال قدرته وحكمته بأنه لو أنزل هذا الكتاب بهذه اللغة على أعجمي لم يعرف هذه اللغة لكان قادراً على أن يعلمه لغة العرب ويفهمه معاني القرآن وحكمه في لفظه كما علم آدم الأسماء كلها وكما علم العربية لمن قال: «أمسيت كردياً وأصبحت عربياً» ومع هذا لما كان أهل الإنكار مؤمنين به بعد ظهور هذه المعجزة إظهاراً لكمال الحكمة.

﴿كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُواْ هَلۡ نَحۡنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيۡتَ إِن مَّتَّعۡنَٰهُمۡ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾.

﴿كذلك﴾ أي: مثل ذلك السلك البديع وهو إشارة إلى مصدر قوله: ﴿سلكناه﴾ أي: أدخلنا القرآن ﴿في قلوب المجرمين﴾ أي: في قلوب مشركي قريش فعرفوا معانيه وإعجازه فقوله:

﴿لا يؤمنون به﴾ استئناف لبيان عنادهم. ﴿حتى يروا العذاب الأليم﴾ الملجىء إلى الإيمان حين لا ينفعهم الإيمان.

﴿فيأتيهم﴾ العذاب ﴿بغتة﴾ أي فجأة في الدنيا والآخرة معطوف على قوله: ﴿يروا﴾. ﴿وهم لا يشعرون﴾ بإتيانه: وبالفارسية [وإيشان ندانند وقت آمدن آنرا].

﴿فيقولوا﴾ تحسراً على ما فات من الإيمان وتمنياً للإمهال لتلافي ما فرطوه وهو عطف على يأتيهم ﴿هل نحن منظرون﴾ الإنظار التأخير والإمهال أي مؤخرون لنؤمن ونصدق. وبالفارسية: [آياهستيم ما درنك داده شد كان يعني آيا مهلت دهند تابكرديم وتصديق كنيم] ولما أوعدهم النبي عليه السلام بالعذاب قالوا: إلى متى توعدنا بالعذاب ومتى هذا العذاب نزل قوله تعالى:

﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾ [آيا بعذاب ما شتاب ميكنند] فيقولون تارة: أمطر علينا حجارة من السماء وأخرى فائتنا بما تعدنا وحالهم عند نزول العذاب النظرة والمهلة والفاء للعطف على مقدر أي يكون حالهم كما ذكر من الاستنظار عند نزول العذاب الأليم فيستعجلون بعذابنا وبينهما من التنافي ما لا يخفى على أحد.

وفي «التأويلات النجمية»: أي استعجالهم في طلب العذاب من نتائج عذابنا ولو لم يكونوا معذبين لما استعجلوا في طلب العذاب.

﴿أفرأيت﴾ مرتب على قولهم: هل نحن منظرون وما بينهما اعتراض للتوبيخ والخطاب لكل من يصلح له كائناً من كان ولما كانت الرؤية من أقوى أسباب الإخبار بالشيء وأشهرها شاع استعمال أرأيت في معنى أخبرني فالمعنى أخبرني يا من يصلح للخطاب. ﴿إن متعناهم﴾ جعلنا مشركي قريش متمتعين منتفعين. ﴿سنين﴾ كثيرة في الدنيا مع طيب المعاش ولم نهلكهم.

وقال الكلبي: يعني مدة إعمارهم.

وقال عطاء: يريد مذ خلق الله الدنيا إلى أن تنقضي.

﴿ثم جاءهم ما كانوا يوعدون﴾ من العذاب والإيعاد. والتخويف بالفارسية [بيم كردن].

﴿**ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون**﴾ أي: لم يغن عنهم شيئاً تمتعهم المتطاول في رفع العذاب وتخفيفه فما في ما أغنى نافية ومفعول أغنى محذوف وفاعله ما كانوا يمتعون، أو أي شيء أغنى عنهم كونهم ممتعين ذلك التمتيع المؤبد على أن ما في ما كانوا مصدرية أو ما كانوا يمتعون به من متاع الحياة الدنيا على أنها موصولة حذف عائدها فما في ما أغنى مفعول مقدم لأغنى والاستفهام للنفي وما كانوا هو الفاعل وهذا المعنى أولى من الأول لكونه أوفق بصورة الاستخبار وأدل على انتفاء الإغناء على أبلغ وجه وآكده كأن كل من شأنه الخطاب قد كلف بأن يخبر بأن تمتيعهم ما أفادهم وأي شيء أغنى عنهم فلم يقدر أحد أن يخبر بشيء من ذلك أصلاً. روي: أن ميمون بن مهران لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له: أعظني فلم يزده على تلاوة هذه الآية فقال ميمون: لقد وعظت فأبلغت.

وروي أن عمر بن عبد العزيز كان يقرأ هذه الآية كل صباح إذا جلس على سريره تذكراً بها واتعاظاً.

جهان بي وفايست مردم فريب ... كه از دل ربايد قد او شكيب
نكرتا بجاهش نكردي أسير ... نكردي پي مالش اندر زحير
كه آندم كه مردك اندر آيد زراه ... نه مالت كند دستكيري نه جاه

قال يحيى بن معاذ رحمه الله: أشد الناس غفلة من اغتر بحياته الفانية والتذ بموداته الواهية وسكن إلى مألوفاته.

كان الرشيد حبس رجلاً فقال الرجل للموكل عليه: قل لأمير المؤمنين: كل يوم مضى من نعمك ينقص من محنتي والأمر قريب والموعد الصراط والحاكم الله فخر الرشيد مغشياً عليه ثم أفاق وأمر بإطلاقه.

﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾﴾

﴿**وما أهلكنا من قرية**﴾ من القرى المهلكة ﴿**إلا لها منذرون**﴾ قد أنذروا أهلها.

قال في «كشف الأسرار»: جمع منذرين لأن المراد بهم النبي وأتباعه المظاهرون له ﴿**ذكرى**﴾ أي لأجل التذكير والموعظة وإلزام الحجة فمحلها النصب على العلة ﴿**وما كنا ظالمين**﴾ فنهلك غير الظالمين والتعبير عن ذلك بنفي الظالمية مع أن إهلاكهم قبل الإنذار ليس بظلم أصلاً على ما تقرر من قاعدة أهل السنة لبيان كمال نزاهته عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه من الظلم.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**وما أهلكنا من قرية**﴾ أي من أهل قرية فالقرية الجسد الإنساني وأهلها النفس والقلب والروح وإهلاكهم بإفساد استعدادهم الفطري بترك المأمورات وإتيان المنهيات. ﴿**إلا لها منذرون**﴾ بالإلهامات الربانية. ﴿**ذكرى**﴾ أي تذكرة من ربهم كما قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾ [الشمس: ٧-٨] ﴿وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٠٩] بأن نضع العذاب في غير موضعه أو نضع الرحمة في غير موضعها انتهى.

﴿**وما تنزلت به الشياطين**﴾ يقال: تنزل نزل في مهلة والباء للتعدية. والمعنى بالفارسية: [وهركز ديوان اين قرآن فرونيا وردند] أو للملابسة. والمعنى [وفرونيايند بقرآن ديوان. مقاتل

كفت مشركان قريش كفتند محمد كاهن است وباوي كسي است از جن كه اين قرآن كه دعوى ميكندكه كلام خداست آن كسى برزبان وي مي افكند همچنانكه بزربان كاهن افكند واين از آنجا كفتندكه در جاهلية پيش از معبث رسول الله ﷺ باهر كاهني رئي بوز از جن كه استراق سمع كردند بدر آسمان وخبر هاي دوزخ وراست برزبان كاهن افكندند مشركان پنداشتندكه وحي قرآن هم ازان جنس است تارب المعالمين ايشانرا دروغ زن كرد كفت] ﴿**وما تنزلت به الشياطين**﴾ بل نزل به الروح الأمين.

﴿**وما ينبغي لهم**﴾ أي: وما يصح وما يستقيم لهم أن ينزلوا بالقرآن من السماء. ﴿**وما يستطيعون**﴾ وما يقدرون على ذلك أصلاً.

﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾

﴿**إنهم**﴾ بعد مبعث الرسول ﴿**عن السمع**﴾ لكلام الملائكة ﴿**لمعزولون**﴾ ممنوعون بعد أن كانوا يمكنون لأنهم يرجمون بالشهب.

قال بعض أهل التفسير: إنهم عن السمع لكلام الملائكة لمعزولون لانتفاء المشاركة بينهم وبين الملائكة في صفات الذات والاستعداد لقبول فيضان أنوار الحق والانتقاش بصور العلوم الربانية والمعارف النورانية كيف لا ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات غير مستعدة إلا لقبول ما لا خير فيه أصلاً من فنون الشر والقرآن مشتمل على حقائق ومغيبات لا يمكن تلقيها إلا من الملائكة.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن ليس للشياطين استعدادات تنزيل القرآن ولا قوة حمله ولا وسع فهمه لأنهم خلقوا من النار والقرآن نور قديم فلا يكون للنار المخلوقة حمل النور القديم ألا ترى أن نار الجحيم كيف تستغيث عند ورود المؤمن عليها وتقول: «جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي» فإذا لم يكن لهم استطاعة لحمل القرآن وقوة سمعه كيف يمكن لهم تنزيله وإن وجدوا السمع الذي هو الإدراك ولكن حرموا الفهم المؤدي للاستجابة لما دعوا إليه فلهذا استوجبوا العذاب انتهى.

قال بعض الكبار: وصف الله تعالى أهل الحرمان أن أسماعهم وأبصارهم وعقولهم وقلوبهم في غشاوة الغفلة عن سماع القرآن والسامع بالحقيقة هو الذي له سمع قلبي عقلي غيبي روحي يسمع كل لمحة من جميع الأصوات والحركات في الأكون خطاب الحق سبحانه بحيث يهيج سره بنعت الشوق إليه فطوبى لمن فهم عن الله واستعد لحمل أمانة الله شريعة وحقيقة فهو الموفق ومن سواه المعزول فيا أيها السامعون افهموا ويا أيها المدركون تحققوا فالعلم في الصدر لا عند باب الحواس ولا بالتخمين والقياس.

﴿**فلا تدع مع الله إلهاً آخر**﴾ إذا عرفت يا محمد حال الكفار فلا تعبد معه تعالى إلهاً آخر. ﴿**فتكون**﴾ [پس باشي اكر پرستش ميكني] ﴿**من المعذبين**﴾ خوطب به النبي عليه السلام مع ظهور استحالة وقوع المنهي عنه لأنه معصوم تهيجاً لعزيمته وحثاً على ازدياد الإخلاص ولطفاً بسائر المكلفين ببيان أن الإشراك من القبح والسوء بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره منه فكيف بمن عداه وأن من كان أكرم الخلق عليه إذا عذب على تقدير اتخاذ إلٰه آخر فغيره أولى.

وفي الخبر: أن الله تعالى أوحى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له: أرميا بأن يخبر قومه بأن يرجعوا عن المعصية، فإنهم إن لم يرجعوا أهلكتهم فقال أرميا: يا رب إنهم أولاد أنبيائك أولاد إبراهيم وإسحاق ويعقوب أفتهلكهم بذنوبهم؟ قال الله تعالى: إني إنما أكرمت أنبيائي لأنهم أطاعوني ولو أنهم عصوني لعذبتهم وإن كان إبراهيم خليلي.

قال في «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن عبادة غير الله من الدنيا والآخرة وطلبه بتوجه القلب إليه عمارة عذاب الله وهو البعد من الله ومن يطلب يكن عذابه أشد فكل طالب شيء يكون قريباً إليه بعيداً عما سواه فطالب الدنيا قريب من الدنيا بعيد عن الآخرة وطالب الآخرة قريب من الآخرة بعيد عن الله ولذا قال أبو سعيد الخراز قدس سره: حسنات الأبرار سيئات المقربين، فالأبرار أهل الجنة وحسناتهم طلب الجنة والمقربون أهل الله وحسناتهم طلب الله وحده لا شريك له.

﴿وأنذر﴾ العذاب الذي يستتبعه الشرك والمعاصي. ﴿عشيرتك الأقربين﴾ العشيرة أهل الرجال الذي يتكثر بهم أي يصيرون له بمنزلة العدد الكامل وذلك أن العشرة هو العدد الكامل فصارت العشيرة اسماً لكل جماعة من أقارب الرجل يتكثر بهم والعشير المعاشر قريباً كان أو مقاراناً كذا في «المفردات». والمراد بهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب وإنما أمر بإنذار الأقربين لأن الاهتمام بشأنهم أهم فالبداية بهم في الإنذار أولى كما أن البداية بهم في البر والصلة وغيرهما أولى وهو نظير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم﴾ [التوبة: ١٢٣] وكانوا مأمورين بقتال جميع الكفار ولكنهم لما كانوا أقرب إليهم أمروا بالبداية بهم في القتال كذلك ههنا وأيضاً إذا أنذر الأقارب فالأجانب أولى بذلك. روي: أنه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذاً فخذاً حتى اجتمعوا إليه فقال: لو أخبرتكم أن يسفح هذا الجبل خيلاً أكنتم مصدقي قالوا: نعم قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. روي: أنه قال: «يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف افتدوا أنفسكم من النار فإني لا أغني عنكم شيئاً. ثم قال: يا عائشة بنت أبي بكر ويا حفصة بنت عمر. ويا فاطمة بنت محمد. ويا صفية عمة محمد اشترين أنفسكن من النار فإني لا أغني عنكن شيئاً» [در خبرست كه عائشهء صديقه رضي الله عنها بكريست وكفت يا رسول الله رووز قيامت روزيست كه تومارا بكار نيابي كفت بلى] عائشة في ثلاثة مواطن يقول الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فعند ذلك لا أملك لكم من الله شيئاً وعند النور من شاء الله أتم له نوره ومن شاء الله كبه في الظلمات فلا أملك لكم من الله شيئاً وعند الصراط من شاء الله سلمه وأجاره ومن شاء كبه في النار فينبغي للمؤمن أن لا يغتر بشرف الأنساب فإن النسب لا ينفع بدون الإيمان برب الأرباب فانظر إلى حال كنعان بن نوح وإلى حال آزر والد إبراهيم عليهما السلام فإن فيها كفاية. قال الشيخ سعدي قدس سره:

چو كنعانرا طبيعت بي هنربود   پيمراد كي قدرش نيفزود
هنر بنماي اكر داري نه كوهن   كل از خارست وإبراهيم از آزر

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى حقيقة قوله: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ [المؤمنون: ١٠١] وقال عليه السلام: «كل حسب ونسب ينقطع إلا حسبي ونسبي» فحسبه الإيمان والتقوى كما قال عليه السلام: «آلي كل مؤمن تقي» ويشير إلى أن من كان مصباح قلبه منوراً

بنور الإيمان لا ينور مصباح عشيرته ولو كان والداً له حتى يكون مقتبساً هو لمصباحه من نور مصباحه المنور وهذا سر متابعة النبي عليه السلام والاقتداء بالولي وقوله عليه السلام لفاطمة رضي الله عنها: «يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار فإني لا أغني عنك من الله شيئاً» كان لهذا المعنى كما أن أكل المرء يشبعه ولا يشبع ولده حتى يأكل الطعام كما أكل والده وليعلم أنه لا ينفعهم قرابته ولا تقبل فيهم شفاعته إذا لم يكن لهم أصل الإيمان فإن الإيمان هو الأصل وما سواه تبع له ولهذا السر قال تعالى عقيب قوله: ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾ قوله:

﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢١٦﴾﴾

﴿**واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين**﴾ أي ألن جانبك لهم وقاربهم في الصحبة واسحب ذيل التجاوز على ما يبدو منهم من التقصير واحتمل منهم سوء الأحوال وعاشرهم بجميل الأخلاق وتحمل عنهم كلهم فإن حرموك فأعطهم وإن ظلموك فتجاوز عنهم وإن قصروا في حقي فاعف عنهم واستغفر لهم. وبالفارسية: [وبر خويش فرورد آر بفروتني ومهرباني يعني مهرباني وروز إكرام كن] والخفض ضد الرفع والدعة والسير اللين. يعني: [نرم رفتن شتر] وهو حث على تليين الجانب والانقياد كما في «المفردات» وجناح العسكر جانباه وهو مستعار من خفض الطائر جناحه إذا أراد أن ينحط فشبه التواضع ولين الأطراف والجوانب عند مصاحبة الأقارب والأجانب بخفض الطائر جناحه، أي كسره عند إرادة الانحطاط وأما الفاسق والمنافق فلا يخفض له الجناح إلا في بعض الأحوال إذ لكل من اللين والغلظة وقت دل عليه القرآن، فلا بد من رعاية كل منهما في وقته ومن للتبيين لأن من اتبع أعم ممن اتبع لدين أو لغيره أو للتبعيض على أن المراد بالمؤمنين المشارفون للإيمان والمصدقون باللسان.

وفي «التأويلات النجمية»: والنكتة فيه أنه قال: ﴿**واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين**﴾ لأن كل متابع مؤمن ولم يكن كل مؤمن متابعاً لئلا يغتر المؤمن بدعوى الإيمان وهو بمعزل عن حقيقته التي لا تحصل إلا بالمتابعة انتهى فعلى العاقل أن يختار صحبة الأخيار ويتابعهم في أعمالهم ويسعى في تحصيل أخلاقهم وأحوالهم وبشرف القرين يدخل عشرة من الحيوانات الجنة منها كلب أصحاب أهل الكهف ولله در من قال:

سك أصحاب كهف روزي چند   پي نيكان كرفت مردم شد

حيث دخل الجنة معهم في صورة الكبش.

﴿**فإن عصوك**﴾ قال في «كشف الأسرار». [خويشان وقرابت رسول الله عليه السلام چون بعداوت رسول دربستند وزبان طعن دراز كردند آيت فرود آمدكه]. ﴿**فإن عصوك**﴾ أي: فإن خرجت عشيرتك عن الطاعة وخالفوك ولم يتبعوك ﴿**فقل إني بريء مما تعملون**﴾ أي: من عبادتكم لغير الله تعالى ولا تبرأ منهم وقل لهم قولاً معروفاً بالنصح والعظة لعلهم يرجعون إلى طاعتك وقبول الدعوة منك.

يقول الفقير: سمعت من حضرة شيخي وسندي روّح الله روحه يقول: قطعت الوصلة بيني وبين خلفائي إلا من الوصية فإن الله تعالى يقول: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ٣] فالوصية بالحق والصبر لا بد لي منها في حق الكل خصوصاً في حقهم.

﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾

﴿وتوكل﴾ في جميع حالاتك ﴿على العزيز﴾ الذي لا يذل من والاه ولا يعز من عاداه فهو يقدر على قهر أعدائه. ﴿الرحيم﴾ الذي يرحم من توكل عليه وفوض أمره إليه بالظفر والنصرة فهو ينصر أولياءه ولا تتوكل على الغير فإن الله تعالى هو الكافي لشر الأعداء لا الغير والتوكل على الله تعالى في جميع الأمور والإعراض عما سواه ليس إلا من خواص الكمل جعلنا الله وإياكم من الملحقين بهم ثم أتبع به قوله:

﴿الذي يراك﴾ الخ لأنه كالسبب لتلك الرحمة أي توكل على من يراك. ﴿حين تقوم﴾ أي إلى التهجد في جوف الليل فإن المعروف من القيام في العرف الشرعي إحياء الليل بالصلاة فيه.

وفي الحديث: «أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل».

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي عليه السلام «كان لا يدع قيام الليل وكان إذا مرض أو كسل صلى قاعداً».

ومنها «إذا فاتته الصلاة من الليل من وجع أو غيره صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة» رواه «مسلم».

يقول الفقير: هذا أي ما صلى عليه السلام في النهار بدل ما فات منه في الليل من ورد التهجد يدل على أن التهجد ليس كسائر النوافل بل له فضيلة على غيره ولذا يوصي بإتيان بدله إذا فات مع أن النوافل لا تقضي.

﴿وتقلبك في الساجدين﴾ التقلب [بركشتن] أي ويرى ترددك في تصفح أحوال المتهجدين لتطلع على حقيقة أمرهم كما روي أنه لما نسخ فرض قيام الليل عليه وعلى أصحابه بناء على أنه كان واجباً عليه وعلى أمته وهو الأصح.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان واجباً على الأنبياء قبله طاف عليه السلام تلك الليلة ببيوت أصحابه لينظر ما يصنعون أي هل تركوا قيام الليل لكونه نسخ وجوبه بالصلوات الخمس ليلة المعراج حرصاً على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع لها من دندنتهم بذكر الله وتلاوة القرآن ﴿إنه هو السميع﴾ لما تقوله ولدعوات عباده ومناجاة الأسرار ﴿العليم﴾ بما تنويه وبوجود مصالحهم وارادات الضمائر.

وقال بعضهم: ﴿تقلبك في الساجدين﴾ أي تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود إذا اممتهم فقوله في الساجدين معناه مع المصلين في الجماعة فكأن أصل المعنى يراك حين تقوم وحدك للصلاة ويراك إذا صليت مع المصلين جماعة.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿الذي يراك حين تقوم﴾ أي يرى قصدك ونيتك وعزيمتك عند قيامك للأمور كلها وقد اقتطعه بهذه الآية عن شهود الخلق فإن من علم أنه بمشهد الحق راعى دقائق حالاته وخفايا أحواله مع الحق وبقوله: ﴿وتقلبك في الساجدين﴾ هون عليه معاناة مشاق العبادات لإخباره برؤيته له ولا مشقة لمن يعلم أنه بمرأى من مولاه ومحبوبه وأن حمل الجبال الرواسي يهون لمن حملها على شعرة من جفن عينه على مشاهدة ربه.

ويقال كنت بمرأى منا حين تقلبك في عالم الأرواح في الساجدين بأن خلقنا روح كل ساجد من روحك أنه هو السميع في الأزل مقالتك أنا سيد ولد آدم ولا فخر لأن أرواحهم خلقت من روحك العليم باستحقاقك لهذه الكرامة انتهى.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وتقلبك في الساجدين﴾ من نبي إلى نبي حتى أخرجك نبياً، أي فمعنى في الساجدين في أصلاب الأنبياء والمرسلين من آدم إلى نوح وإلى إبراهيم وإلى من بعده إلى أن ولدته أمه وهذا لا ينافي وقوع من ليس نبياً في آبائه فالمراد وقوع الأنبياء في نسبه. واستدل الرافضة على أن آباء النبي عليه السلام كانوا مؤمنين أي لأن الساجد لا يكون إلا مؤمناً فقد عبر عن الإيمان بالسجود وهو استدلال ظاهري وقوله عليه السلام: «لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات» لا يدل على الإيمان بل على صحة أنكحة الجاهلية كما قال عليه السلام في حديث آخر: «حتى أخرجني من بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط» وقد سبق نبذ من الكلام مما يتعلق بالمرام في أواخر سورة إبراهيم وحق المسلم أن يمسك لسانه عما يخل بشرف نسب نبينا عليه السلام ويصونه عما يتبادر منه النقصان خصوصاً إلى وهم العامة. فإن قلت: كيف نعتقد في حق آباء النبي عليه السلام؟.

قلت: هذه المسألة ليست من الاعتقاديات فلا حظ للقلب منها وأما حظ اللسان فقد ذكرنا وذكر الحافظ السيوطي رحمه الله أن الذي للخلص أن أجداده عليه السلام من آدم إلى مرة بن كعب مصرح بإيمانهم أي في الأحاديث وأقوال السلف وبقي بين مرة وعبد المطلب أربعة أجداد ولم أظفر فيهم بنقل وعبد المطلب الأشبه أنه لم تبلغه الدعوة لأنه مات وسنه عليه السلام ثمان سنين والأشهر أنه كان على ملة إبراهيم عليه السلام أي لم يعبد الأصنام كما سبق في سورة براءة.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾

﴿هل أنبئكم﴾ خطاب لكفار مكة وكانوا يقولون: إن الشياطين تتنزل على محمد فرد الله عليهم ببيان استحالة تنزلهم عليه بعد بيان امتناع تنزلهم بالقرآن. والمعنى هل أخبركم أيها المشركون. وبالفارسية: [آيا خبردهم شمارا]. **﴿على من تنزل الشياطين﴾** أي: تتنزل بحذف إحدى التاءين وكلمة من تضمنت الاستفهام ودخل عليها حرف الجر وحق الاستفهام أن يصدر في الكلام فيقال: أعلى زيد مررت ولا يقال: على أزيد مررت ولكن تضمنه ليس بمعنى أنه اسم فيه معنى الحرف بل معناه أن الأصل أمن فحذف حرف الاستفهام واستعمل على بعد حذفه كما يقال في هل أصله أهل ومعناه أقد فإذا أدخلت حرف الجر على من فقدر الهمزة قبل حرف الجر في ضميرك كأنك تقول أعلى من تنزل.

﴿تنزل على كل أفاك﴾ كثير الإفك والكذب.

قال الراغب: الإفك كل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه. **﴿أثيم﴾** كثير الإثم وهو اسم للأفعال المبطئة عن الثواب، أي تتنزل على المتصفين بالإفك والإثم الكثير من الكهنة والمتنبئة كمسيلمة وطليحة لأنهم من جنسهم وبينهم مناسبة بالكذب والافتراء والإضلال وحيث كانت ساحة رسول الله منزهة عن هذه الأوصاف استحال تنزلهم عليه.

﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾

﴿يلقون السمع﴾ الجملة في محل الجر على أنها صفة كل أفاك أثيم لكونه في معنى الجمع، أي يلقي الأفاكون الأذن إلى الشياطين فيتلقون منهم أوهاماً وأمارات لنقصان علمهم فيضمون إليها بحسب تخيلاتهم الباطلة خرافات لا يطابق أكثرها الواقع. وبالفارسية:

[فروميدارند كوش را بسخن شياطين وفرا ميكيرند ازايشان أخبار دروغ وديكر دروغها بآن أضافت ميكنند]. ﴿وأكثرهم﴾ أي: الأفاكين ﴿كاذبون﴾ فيما قالوه من الأقاويل وليس محمد كذلك فإنه صادق في جميع ما أخبر من المغيبات والأكثر بمعنى الكل. يعني [همه إيشان بصفت كذب موصوفند] كلفظ البعض في قوله: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠] أي كله وذلك كما استعملت القلة في معنى العدم في كثير من المواضع.

وقال بعضهم: إن الأكثرية باعتبار الأقوال لا باعتبار الذوات حتى يلزم من نسبة الكذب إلى أكثرهم كون أقلهم صادقين وليس معنى الأفاك من لا ينطق إلا بالإفك حتى يمتنع منه الصدق بل من يكثر الإفك فلا ينافيه أن يصدق نادراً في بعض الأحيان.

وقال في «كشف الأسرار»: استثنى منهم بذكر الأكثر سطحياً وشقاً وسواد بن قارب الذين كانوا يلهجون بذكر رسول الله وتصديقه ويشهدون له بالنبوة ويدعون الناس إليه انتهى.

قال في «حياة الحيوان»: وأما شق وسطيح الكاهنان فكان شق شق إنسان له يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة وكان سطيح ليس له عظم ولا بنان إنما كان يطوى كالحصير لم يدرك أيام بعثة رسول الله عليه السلام وكان في زمن الملك كسرى وهو ساسان.

﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾.

﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ يعني: ليس القرآن بشعر ولا محمد بشاعر لأن الشعراء يتبعهم الضالون والسفهاء وأتباع محمد ليسوا كذلك بل هم الراشدون المراجيح الرزان وكان شعراء الكفار يهجون رسول الله وأصحابه ويعيبون الإسلام فيتبعهم سفهاء العرب حيث كانوا يحفظون هجاءهم وينشدون في المجالس ويضحكون. ومن لواحق هذا المعنى ما قال ابن الخطيب في «روضته»: ذهب جماعة من الشعراء إلى خليفة وتبعهم طفيلي فلما دخلوا على الخليفة قرأوا قصائدهم واحداً بعد واحد وأخذوا العطاء فبقي الطفيلي متحيراً فقيل له: اقرأ شعرك قال: لست أنا بشاعر وإنما أنا رجل ضال كما قال الله تعالى: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ فضحك الخليفة كثيراً فأمر له بأنعام.

وقال بعضهم: معنى الآية أن الشعراء تسلك مسلكهم وتكون من جملتهم الضالون عن سنن الحق لا غيرهم من أهل الرشد.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن الشعراء بحسب مقاماتهم ومطرح نظرهم ومنشأ قصدهم ونياتهم إذا سلكوا على أقدام التفكر مفاوز التذكر في طلب المعاني ونظمها وترتيب عروضها وقوافيها وتدبير تجنيسها وأساليبها تتبعهم الشياطين بالإغواء والإضلال ويوقعونهم في الأباطيل والأكاذيب.

قال في «المفردات»: شعرت أصبت الشعر ومنه استعير شعرت كذا أي علمته في الدقة كإصابة الشعر. قيل: وسمي الشاعر شاعراً لفطنته ودقة معرفته فالشعر في الأصل اسم للعلم الدقيق في قولهم: ليت شعري وصار في التعارف اسماً للموزون المقفى من الكلام والشاعر المختص بصناعته وقوله تعالى: ﴿بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ [الأنبياء: ٥] حمله كثير من المفسرين على أنهم رموه بكونه آتياً بشعر منظوم مقفى حتى تأولوا ما جاء في القرآن من كل لفظ يشبه

الموزون من نحو وجفان كالجوابي وقدور راسيات.

وقال بعض المحصلين: لم يقصدوا هذا المقصد فيما رموه به وذلك أنه ظاهر من هذا الكلام أنه ليس على أساليب الشعر ولا يخفى ذلك على الأغتام من العجم فضلاً عن بلغاء العرب وإنما رموه بالكذب فإن الشعر يعبر به عن الكذب والشاعر الكاذب حتى سمى قوم الأدلة الكاذبة شعراً ولهذا قال تعالى في وصف عامة الشعراء: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ إلى آخر السورة انتهى.

قال الإمام المرزوقي «شرح الحماسة»: تأخر الشعراء عن البلغاء لتأخر المنظوم عند العرب لأن ملوكهم قبل الإسلام وبعده يتبجحون بالخطابة ويعدونها أكمل أسباب الرياسة ويعدون الشعر دناءة لأن الشعر كان مكسبة وتجارة وفيه وصف اللئيم عند الطمع بصفة الكريم والكريم عند تأخر صلته بوصف اللئيم ومما يدل على شرف النثر أن الإعجاز وقع في النثر دون النظم لأن زمن النبي عليه السلام زمن الفصاحة.

﴿ألم تر﴾ يا من شأنه الرؤية أي قد رأيت وعلمت ﴿أنهم﴾ أي الشعراء ﴿في كل واد﴾ من المدح والذم والهجاء والكذب والفحش والشتم واللعن والافتراء والدعاوى والتكبر والمفاخر والتحاسد والعجب والإراءة وإظهار الفضل والدناءة والخسة والطمع والتكدي والذلة والمهانة وأصناف الأخلاق الرذيلة والطعن في الأنساب والأعراض وغير ذلك من الآفات التي هي من توابع الشعر ﴿يهيمون﴾ يقال هام على وجهه من باب باع هيماناً بفتحتين ذهب من العشق أو غيره كما في «المختار» أي يذهبون على وجوههم لا يهتدون إلى سبيل معين بل يتحيرون في أودية القيل والقال والوهم والخيال والغي والضلال.

قال الراغب: أصل الوادي الموضع الذي يسيل فيه الماء ومنه سمي المنفرج بين الجبلين وادياً ويستعار للطريقة كالمذهب والأسلوب فيقال: فلان في واد غير واديك وقوله: ﴿ألم تر أنهم في كل واد يهيمون﴾ فإنه يعني أساليب الكلام من المدح والهجاء والجدل والغزل وغير ذلك من الأنواع أي في كل نوع من الكلام يغلون.

قال في «الوسيط»: فالوادي مثل لفنون الكلام وهيمانهم فيه قولهم على الجهل بما يقولون من لغو وباطل وغلو في مدح أو ذم.

﴿وأنهم يقولون﴾ في أشعارهم عند التصلف والدعاوى ﴿ما لا يفعلون﴾ من الأفاعيل: يعني [بفسق ناكرده برخود كواهي ميدهند وپيغا مهاي ناداده بكسى درسلك نظم ميكشند] ويرغبون في الجود ويرغبون عنه وينفرون عن البخل ويصرون عليه ويقدحون في الناس بأدنى شيء صدر عنهم، ثم إنهم لا يرتكبون إلا الفواحش وذلك تمام الغواية والنبي عليه السلام منزه عن ذلك متصف بمحاسن الأوصاف ومكارم الأخلاق مستقر على المنهاج القويم مستمر على الصراط المستقيم.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾

﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين. ﴿وذكروا الله﴾ ذكراً ﴿كثيراً﴾ بأن كان أكثر أشعارهم في التوحيد والثناء على الله والحث على طاعته والحكمة

والموعظة والزهد في الدنيا والترغيب في الآخرة أو بأن لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله ولم يجعلوه همهم وعادتهم.

قال أبو يزيد قدس سره: الذكر الكثير ليس بالعدد لكنه بالحضور. ﴿وانتصروا﴾ [انتقام كشيدند از مشركان].

قال في «تاج المصادر» والانتصار [داد بستدن]. ﴿من بعد ما ظلموا﴾ بالهجو لأن الكفار بدؤوهم بالهجاء يعني لو وقع منهم في بعض الأوقات هجو وقع بطريق الانتصار ممن هجاهم من المشركين كحسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وغيرهم فإنهم كانوا يذبون عن عرض النبي عليه السلام، وكان عليه السلام يضع لحسان منبراً في المسجد فيقوم عليه يهجو من كان يهجو رسول الله. قال الكمال الأصفهاني:

هجا كفتن ارجه پسنديده نيست مباداكسي كالت آن ندارد
چو آن شاعري كوهجا كونباشد چوشيري كه چنكال ودندان ندارد

وعن كعب بن مالك رضي الله عنه أنه عليه السلام قال: «اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو أشد عليهم من النبل» وفي الحديث: «جاهدوا المشركون بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم» أي أسمعوهم ما يكرهونه ويشق عليهم سماعه من هجو وكلام غليظ ونحو ذلك.

قال الإمام السهيلي رحمه الله: فهم سبب الاستثناء فلو سماهم بأسمائهم الأعلام كان الاستثناء مقصوراً عليهم والمدح مخصوصاً بهم ولكن ذكرهم بهذه الصفة ليدخل معهم في هذا الاستثناء كل من اقتدى بهم شاعراً كان أو خطيباً أو غير ذلك انتهى.

وفي «التأويلات النجمية»: لأرباب القلوب في الشعر سلوك على إقدام التفكر بنور الإيمان وقوة العمل الصالح وتأييد الذكر الكثير ليصلوا إلى أعلى درجات القرب وتؤيدهم الملائكة بدقائق المعاني بل يوفقهم الله لاستجلاب الحقائق ويلهمهم بألفاظ الدقائق فبالإلهام يهيمون في كل وادٍ من المواعظ الحسنة والحكم البالغة وذم الدنيا وتركها وتزيين الآخرة وطلبها وتشويق العباد وتحبيبهم إلى الله وتحبيب الله إليهم وشرح المعارف وبيان الموصل والحث على السير والتحذير عن الألفاظ القاطعة للسير وذكر الله وثنائه ومدح النبي عليه السلام والصحابة وهجاء الكفار انتصاراً كما قال عليه السلام لحسان: «اهج المشركين فإن جبريل معك» انتهى. والجمهور على إباحة الشعر ثم المذموم منه ما فيه كذب وقبح وما لم يكن كذلك فإن غلب على صاحبه بحيث يشغله عن الذكر وتلاوة القرآن فمذموم ولذا قال من قال:

درقيامت نرسد شعر بفرياد كسى كه سراسر سخنش حكمت يونان كردد

وإن لم يغلب كذلك فلا ذم فيه وفي الحديث: «إن من الشعر لحكمة» أي: كلاماً نافعاً يمنع عهن الجهل والسفه وكان علي رضى الله عنه أشعر الخلفاء وكانت عائشة رضي الله عنها أبلغ من الكل.

قال الكاشفي: [حضرت حقائق پناهي در ديباجهٔ ديوان أول آورده اندكه هرچند قادر حكيم جل ذكره درآيت كريمةً. ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ شعرا راكه سياحان بحر شعرند جميع ساخته وكمند دام استغراق دركردن انداخته كاه درغرقابه بي حد وغايت غوايت مي اندازد وكاه تشنه لب دروادىٔ حيرت وضلالت سر كردان ميسازد وأما بسيارى ازايشان بواسطهٔ إصلاح عمل وصدق إيمان درزورق أمان. ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ تشنه

اندبوسيلهٔ بادبان ﴿وذكروا الله كثيراً﴾ بساحل خلاص وناحيت نجات پيوسته ويكي ازافاضل كفته است]:

شاعرانراكرچه غاوى كفت درقرآن خداى هست ازيشان هم بقرآن ظاهر استثناي ما

ولما كان الشعر مما لا ينبغي للأنبياء عليهم السلام لم يصدر من النبي عليه السلام بطريق الإنشاء دون الإنشاد إلا ما كان بغير قصد منه وكان كل كمال بشرى تحت علمه الجامع فكان يجيب كل فصيح وبليغ وشاعر وأشعر وكل قبيلة بلغاتهم وعباراتهم وكان يعلم الكتاب علم الخط وأهل الحرف حرفتهم ولذا كان رحمة للعالمين. ﴿وسيعلم الذين ظلموا﴾ على أنفسهم بالشعر المنهي عنه وغيره فهو عام لكل ظالم والسين للتأكيد ﴿أي منقلب ينقلبون﴾ أي: منصوب ينقلبون على المصدر لا بقوله سيعلم لأن أياً وسائر أسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها وقدم على عامله لتضمنه معنى الاستفهام وهو متعلق بسيعلم ساداً مسد مفعوليه. والمنقلب بمعنى الانقلاب أي الرجوع. والمعنى ينقلبون أي الانقلاب ويرجعون إليه بعد مماتهم أي الرجوع أي ينقلبون انقلاباً سوءاً ويرجعون رجوعاً شراً لأن مصيرهم إلى النار.

وقال الكاشفي: [بكدام مكان خواهند كشت واو آنست كه منقلب إيشان آتش خواهدبود]. روي: أنه لما أيس أبو بكر رضي الله عنه من حياته استكتب عثمان رضي الله عنه كتاب العهد وهو هذا ما عهد ابن أبي قحافة إلى المؤمنين في الحال التي يؤمن فيها الكافر ثم قال بعد ما غشى عليه وأفاق: إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فإنه عدل فذلك ظني فيه وإن لم يعدل ﴿سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾. والظلم هو الانحراف عن العدالة والعدول عن الحق الجاري مجرى النقطة من الدائرة. والظلمة ثلاثة. الظالم الأعظم وهو الذي لا يدخل تحت شريعة الله وإياه قصد تعالى بقوله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] والأوسط هو الذي لا يلزم حكم السلطان. والأصغر هو الذي يتعطل عن المكاسب والأعمال فيأخذ منافع الناس ولا يعطيهم منفعته ومن فضيلة العدالة أن الجور الذي هو ضدها لا يستتب إلا بها فلو أن لصوصاً تشارطوا فيما بينهم شرطاً فلم يراعوا العدالة فيه لم ينتظم أمرهم. فعلى العاقل أن يصيخ إلى الوعيد والتهديد الأكيد فيرجع عن الظلم والجور وإن كان عادلاً فنعوذ بالله من الجور بعد الكور والله المعين لكل سالك والمنجي في المسالك من المهالك.

تمت سورة الشعراء يوم الخميس

وهو التاسع من ذي القعدة من سنة ثمان ومائة وألف.

٢٧ ـ تفسير سورة النمل

وهي مكية ثلاث أو أربع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٣﴾.

﴿طس﴾ هذه طس أي هذه السورة مسماة به.

قال في «التأويلات النجمية»: يشير بطائه إلى طاء طيب قلوب محبيه وبالسين إلى سر بينه وبين قلوب محبيه لا يسعهم فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل. وأيضاً يقسم بطاء طلب طالبيه وسين سلامة قلوبهم عن طلب ما سواه.

وفي «كشف الأسرار»: الطاء إشارة إلى طهارة قدسه والسين إشارة إلى سناء عزه يقول تعالى: بطهارة قدسي وسناء عزي لا أخيب أمل من أملّ لطفي انتهى.

وقال بعضهم: الطاء طوله أي فضله والسين سناؤه أي علوه وقد سبق في طسم ما يتعلق بهذا المقام فارجع إليه.

وقال عين القضاء الهمذاني قدس سره في مقالاته: لولا ما كان في القرآن من الحروف المقطعات لما آمنت به.

يقول الفقير: قد كفره في قوله هذا كثير من علماء زمانه والأمر سهل على أهل الفهم ومراده بيان اطلاعه على بطون معاني الحروف التي هي دليل لأرباب الحقائق وسبب لمزيد إيمانهم العياني. ﴿تلك﴾ أي هذه السورة العظيمة الشأن أو آياتها، ﴿آيات القرآن﴾ المعروف بعلو الشأن أي بعض منه لمترجم مستقل باسم خاص فهو عبارة عن جميع القرآن أو عن جميع المنزل عند نزول السورة إذ هو المتسارع إلى الفهم حينئذ عند الإطلاق. ﴿وكتاب﴾ عظيم الشأن﴿مبين﴾ مظهر لما في تضاعيفه من الحكم والأحكام وأحوال الآخرة التي من جملتها الثواب والعقاب أو ظاهر إعجازه وصحته على أنه من أبان، يعني بان أي ظهر وعطفه على القرآن كعطف إحدى الصفتين على الأخرى مثل غافر الذنب وقابل التوب أي آيات الكلام الجامع بين القرآنية والكتابية وكونه قرآناً بجهة أنه يقرأ وكتاباً بسبب أنه يكتب وقدم الوصف الأول لتقدم القرآنية على حال الكتابية وآخره في سورة الحج لما أن الإشارة إلى امتيازه عن سائر الكتب بعد التنبيه على انطوائه على كمالات غيره من الكتب أدخل في المدح فإن وصفه بالكتابية مفصح عن اشتماله على صفة كمال الكتب الإلهية فكأنه كلها.

وفي «كشف الأسرار»: القرآن والكتاب اسمان علمان للمنزل على محمد ووصفان لأنه

يقرأ ويكتب فحيث جاء بلفظ التعريف فهو العلم وحيث جاء بلفظ النكرة فهو الوصف.

﴿هدى وبشرى للمؤمنين﴾ أي: حال كون تلك الآيات هادية لهم ومبشرة فأقيم المصدر مقام الفاعل للمبالغة كأنها نفس الهدى. والبشارة ومعنى هدايتها لهم وهم مهتدون أنها تزيدهم هدى قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة: ١٢٤] الآية وأما معنى تبشيرها إياهم فظاهر لأنها تبشرهم برحمة من الله ورضوان وخصهم بالذكر لانتفاعهم به.

﴿الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة﴾ صفة مادحة للمؤمنين وتخصيصهما بالذكر لأنهما قرينتا الإيمان وقطرا العبادات البدنية والمالية مستتبعان لسائر الأعمال الصالحة. والمعنى يؤدون الصلاة بأركانها وشرائطها في مواقيتها ويؤتون الصدقة المفروضة للمستحقين. ﴿وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ من تتمة الصلة والواو للحال أي والحال أنهم يصدقون بأنها كائنة ويعلمونها علماً يقيناً. وبالفارسية: [وحال آنكه إيشان بسراي ديكر بي كمان ميشوند تكرير ضمير إشارت باختصاص إيشانست در تصديق آخرت] أو جملة اعتراضية كأنه قيل: وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة حق الإيمان لا من عداهم فإن تحمل مشاق العبادات إنما يكون لخوف العاقبة والوقوف على المحاسبة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾

﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ لا يصدقون بالبعث بعد الموت. ﴿زينا لهم﴾ [آراسته كرديم براي إيشان] ﴿أعمالهم﴾ القبيحة حيث جعلناها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس كما ينبىء عنه قوله عليه السلام: «حفت النار بالشهوات» أي: جعلت محفوفة ومحاطة بالأمور المحبوبة المشتهاة.

واعلم أن كل مشيئة وتزيين وإضلال ونحو ذلك منسوبة إلى الله تعالى بالأصالة وإلى غيره بالتبعية. ففي الآية حجة قاطعة على المعتزلة والقدرية. ﴿فهم يعمهون﴾ يتحيرون ويترددون على التجدد والاستمرار في الاشتغال بها والانهماك فيها من غير ملاحظة لما يتبعها من الضرر والعقوبة والفاء لترتيب المسبب على السبب. وبالفارسية [پس إيشان سركردان ميشوند در ضلالت خود] والعمه التردد في الأمر من التحير.

﴿أولئك﴾ الموصوفون بالكفر والعمه ﴿الذين لهم سوء العذاب﴾ أي في الدنيا كالقتل والأسر يوم بدر. والسوء كل ما يسوء الإنسان ويغمه ﴿وهم في الآخرة هم الأخسرون﴾ أشد الناس خسراناً لاشترائهم الضلالة بالهدى فخسروا الجنة ونعيمها وحرموا النجاة من النار.

واعلم أن أهل الدنيا في خسارة الآخرة وأهل الآخرة في خسارة المولى فمن لم يلتفت إلى الكونين ريح المولى ولما وجد أبو يزيد البسطامي قدس سره في البادية قحف رأس مكتوب عليه خسر الدنيا والآخرة بكى وقبله وقال هذا رأس صوفي فمن وجد المولى وجد الكل ومن وجد الكل بدون وجدان المولى لم يجد شيئاً مفيداً وضاع وقته. وقال الحافظ:

أوقات خوش آن بودكه بادوست بسر رفت باقي همه بي حاصل وبيخبري بود

قال بعض العارفين: كوشفت بأربعين حوراء رأيتهن يتساعين في الهواء عليهن ثياب من فضة وذهب وجوهر فنظرت إليهن نظرة فعوقبت أربعين يوماً ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين

حوراء فوقهن في الحسن والجمال وقيل لي: انظر إليهن فسجدت وغضضت عيني في السجود وقلت: أعوذ بك مما سواك لا حاجة لي بهذا ولم أزل أتضرع حتى صرفهن عني فهذا حال العارفين حيث لا يلتفتون إلى ما سوى الله تعالى ويكونون عمياً عن عالم الملك والملكوت. وأما الغافلون الجاهلون فبحبهم ما سواه تعالى عميت عيون قلوبهم وصمت آذانها فإنه لا يكون في عالم المعنى إلا ويكون أصم وأبكم وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: «حبك الشيء يعمي ويصم» بخلاف أعمى الصورة فإن سمعه بحاله في سماع الدعوة وقبولها. فعلى العاقل أن يجتنب عن الأعمال القبيحة المؤدية للرين والردى والأخلاق الرذيلة الموجبة للعمه والعمى بل يتسارع إلى العمل بالقرآن الهادي إلى وصول المولى والناهي عن الخسران مطلقاً وعن الأعمال الصالحة والصلاة. وإنما شرعت لمناجاة الحق بكلامه حال القيام دون غيره من أحوال الصلاة للاشتراك في القيومية ولهذا كان من أدب الملوك إذا كلمهم أحد من رعيتهم أن يقوم بين أيديهم ويكلمهم ولا يكلمهم جالساً فتبع الشرع في ذلك العرف. ومن آداب العارف إذا قرأ في صلاته المطلقة أن لا يقصد قراءة سورة معينة أو آية معينة وذلك لأنه لا يدري أين يسلك به ربه من طريق مناجاته فالعارف بحسب ما يناجيه به من كلامه وبحسب ما يلقي الله الحق في خاطره وكل صلاة لا يحصل منها حضور قلب فهي ميتة لا روح فيها وإذا لم يكن فيها روح فلا تأخذ بيد صاحبها يوم القيامة. ومن الأعمال الصالحة المذكورة الزكاة والصدقة وأفضلها ما يعطى حال الصحة دون مرض الموت وينبغي لمن قرب أجله وأراد أن يعطي شيئاً أن يحضر في نفسه أنه مؤد أمانة لصاحبها فيحشر مع الأمناء المؤدين أماناتهم لا مع المتصدقين لفوات محل الأفضل فهذه حيلة في ربح التجارة في باب الصدقة وفي الإنفاق زيادة للمال وتكثير له وإطالة لفروعه كالحبوب إذا زرعت.

﴿وإنك﴾ يا محمد ﴿لتلقى القرآن﴾ لتعطاه بطريق التلقية والتلقين يقال: تلقى الكلام من فلان ولقنه إذا أخذه من لفظه وفهمه.

قال في «تاج المصادر»: التلقية [چيزي پيش كسى وآوردن] وقد سبق الفرق بين التلقي والتلقف والتلقن في سورة النور. ﴿من لدن حكيم عليم﴾ بواسطة جبريل لا من لدن نفسك ولا من تلقاء غيرك كما يزعم الكفار. ولدن بمعنى عند إلا أنه أبلغ منه وأخص وتنوين الاسمين للتعظيم أي حكيم أي حكيم وعليم أي عليم وفي تفخيمهما تفخيم لشأن القرآن وتنصيص على طبقته عليه السلام في معرفته والإحاطة بما فيه من الجلائل والدقائق فإن تلقي الحكم والعلوم من مثل ذلك الحكيم العليم يكون علماً في رصانة العلم والحكمة.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أنك جاوزت حد كمال كل رسول فإنهم كانوا يلقون الكتب بأيديهم من يد جبريل والرسالات من لفظه وحياً وإنك وإن كنت تلقى القرآن بتنزيل جبريل على قلبك ولكنك تلقى حقائق القرآن من لدن حكيم تجلى لقلبك بحكمة القرآن وهي صفة القائمة بذاته فعلمك حقائق القرآن وجعلك بحكمته مستعداً لقبول فيض القرآن بلا واسطة وهو العلم اللدني وهو أعلم حيث يجعل رسالته. وفي الجمع بين الحكيم والعليم إشعار بأن علوم القرآن منها ما هو حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والأخبار الغيبية. ثم شرع في بيان بعض تلك العلوم فقال:

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾﴾.

﴿إذ قال موسى لأهله﴾ أهل الإنسان من يختص به أي أي اذكر لقومك يا محمد وقت قول موسى لزوجته ومن معها في وادي الطور وذلك أنه مكث بمدين عند شعيب عشر سنين ثم سار بأهله بنت شعيب إلى مصر. يعني [بقصد آنكه تا مادر خويش ودو خواهر خويش يكي زن قارونَ وَيكي زن يوشع بود ازا نجابيارد] فضل الطريق في ليلة مظلمة شديدة البرد وقد أخذ امرأته الطلق فقدح فأصلد زنده فبدا له من جانب الطور نار فقال لأهله: اثبتوا مكانكم، ﴿إني آنست ناراً﴾ أبصرت.

قال في «التاج»: [الإيناس: ديدن] والباب يدل على ظهور الشيء وكل شيء خالف طريقة التوحش.

قال مقاتل: النار هو النور وهو نور رب العزة رآه ليلة الجمعة عن يمين الجبل بالأرض المقدسة وقد سبق سر تجلي النور في صورة النار في سورة طه. ﴿سآتيكم منها بخبر﴾ أي: عن حال الطريق أين هو والسين للدلالة على بعد المسافة أو لتحقيق الوعد بالإتيان وإن أبطأ فيكون للتأكيد. وبالفارسية [زور باشدكه بيارم از نزديك آن آتش خبري يعني از كسى كه برسر آن آتش باشد خبر راه پرسم. ﴿أو آتيكم﴾ [يا بيارم] ﴿بشهاب قبس﴾ أي بشعلة نار مقبوسة أي مأخوذة من معظم النار ومن أصلها إن لم أجد عندها من يدلني على الطريق فإن عادة الله أن لا يجمع حرمانين على عبده يقال: اقتبست منه ناراً وعلماً استفدته منه.

وفي «المفردات»: الشهاب الشعلة الساطعة من النار المتوقدة والقبس المتناول من الشعلة والاقتباس طلب ذلك ثم استعير لطلب العلم والهداية انتهى.

فإن قلت: قال في طه: ﴿لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم﴾ [طه: ١٠] ترجياً وهنا ﴿سآتيكم﴾ إخباراً وتيقناً وبينهما تدافع.

قلت: لا تدافع لأن الراجي إذا قوي رجاؤه يقول: سأفعل كذا مع تجويزه خلاف ذلك ﴿لعلكم تصطلون﴾ رجاء أن تدفعوا البرد بحرها. والصلاء النار العظيمة والاصطلاء [كرم شدن بآتش].

قال بعضهم: الاصطلاء بالنار يقسي القلب ولم يرو أنه عليه السلام اصطلى بالنار.

﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾

﴿فلما جاءها﴾ [پس آن هنكام كه آمد موسى نزديك آن آتش نوراني ديد بي إحراق از درختي بسزد كويند آتشي بود محرق چون سائر آتشها] وكانت الشجرة سمرة ﴿نودي﴾ جاءه النداء وهو الكلام المسموع من جانب الطور.

قال في «عرائس البيان»: كان موسى عليه السلام في بداية حاله في مقام العشق والمحبة وكان أكثر أحوال مكاشفته في مقام الالتباس فلما كان بدو كشفه جعل تعالى الشجرة والنار مرآة فعلية فتجلى بجلاله وجماله من ذاته لموسى وأوقعه في رسوم الإنسانية حتى لا يفزع ويدنو من النار والشجرة ثم ناداه فيها بعد أن كاشف له مشاهدة جلاله ولولا ذلك لفني موسى في أول سطوات عظمته وعزته ﴿أن﴾ مفسرة لما في النداء من معنى القول، أي: ﴿بورك﴾ أو بأن بورك

على أنها مصدرية حذف منها الجار جرياً على القاعدة المستمرة وبورك مجهول بارك وهوخبر لادعاء أي جعل مباركاً وهو ما فيه الخير والبركة والقائم مقام الفاعل قوله: ﴿من في النار﴾ أي من في مكان النار وهو البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى: ﴿نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ﴾ [القصص: ٣٠] ﴿ومن حولها﴾ أي ومن حول مكانها والظاهر أن المبارك فيه عام في كل من في تلك البقعة وحواليها من أرض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الأنبياء وكفاتهم أحياء وأمواتاً وخصوصاً تلك البقعة التي كلم الله فيها موسى وفي ابتداء خطاب الله موسى بذلك عند مجيئه بشارة بأنه قد قضى له أمر عظيم ديني تنتشر بركاته في أقطار الأرض المقدسة وهو تكليمه تعالى إياه واستنباؤه له وإظهار المعجزات على يده وكل موضع يظهر فيه مشاهدة الحق ومكالمته يكون ذا بركه ألا ترى إلى قوله القائل:

إذا نزلت سلمى بواد فماؤه زلال وسلسال وجشجاثه ورد

ولم يزل يخضر مواطىء أقدام رجال الله في الصحارى والجبال من بركات حالاتهم مع الله الملك المتعال. ثم إن بعض المفسرين حمل بورك على التحية كما قال الكاشفي: [بركت داده باد] وبعضهم حمل من في النار على الملائكة وذلك أن النور الذي بان قد بارك فيه وفي الملائكة الذين كانوا في ذلك النور.

وقال بعض العارفين: إن الله أراد بمن في النار ذاته المقدسة وهو الذي أفاض بركة مشاهدته على موسى وله تعالى أن يتجلى بوصف النار والنور والشجرة والطور وغيرها مما يليق بحال العاشق مع تنزه ذاته وصفاته عن الجهة في الحقيقة وفي الحديث: «إن الله يرى هيئة ذاته كيف يشاء» ﴿وسبحان الله رب العالمين﴾ من تمام ما نودي به لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيهاً وللتعجيب من عظمة ذلك الأمر. وبالفارسية [پاكست خداي تعالى پرورد كار عالميان زتشبيه آورده اندكه چون موسى اين نداشنيد كفت ندا كننده كيست بازندا آمدكه].

﴿يا موسى إنه﴾ أي: الشأن ﴿أنا الله﴾ جملة مفسرة للشأن ﴿العزيز الحكيم﴾ أي: القوي القادر على ما يبعد من الأوهام الفاعل كل ما يفعله بحكمة وتدبير تام.

قال في «الأسئلة المقحمة»: قوله: «إنه أنا الله» سمعه من الشجرة فدل ذلك على حدوثه لأن المسموع من الجهات علامة الحدوث والجواب نحن ننزه كلام الله تعالى عن الجهة والمكان كما نحن ننزه ذاته عن الجهة والمكان فكذلك ننزه كلامه عن الأصوات والحروف وإنما كان سماع كلام الله لموسى حصل من جا نب الشجرة فالشجرة ترجع إلى سماع موسى لا إلى الله تعالى.

فإن قلت: كيف سمع موسى كلام الله من غير صوت وحرف وجهة؟.

قلت: إن كان هذا سؤالاً عن كيفية الكلام فهذا لا يجوز فإن سؤال الكيفية محال في ذات الله وصفاته إذ لا يقال: كيف ذاته من غير جسم وجوهر وعرض وكيف علمه من غير كسب وضرورة وكيف قدرته من غير صلابة وكيف إرادته من غير شهوة وأمنية وكيف تكلمه من غير صوت وحرف وإن كان سؤال الكيفية عن سماع موسى قلنا: خلق الله لموسى علماً ضرورياً علم به أن الذي سمعه هو كلام الله القديم الأزلي من غير حرف ولا صوت ولا جهة وقد سمعه من الجوانب الستة فصار جميع جوارحه كسمعه أي صار الوجود كله سمعاً ثم يصير في الآخرة كذلك والكامل الواصل له حكم الآخرة في الدنيا.

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾﴾.

﴿وألق عصاك﴾ عطف على بورك أي نودي أن بورك من في النار وأن ألق عصاك.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن من سمع نداء الحق وشاهد أنوار جماله يلقى من يد همته كل ما كان متوكأه غير الله فلا يتوكأ إلا على فضل الله وكرمه.

تكيه برغير خدا كفريست از كفر طريق جز بفضل حق مكن تكيه درين ره اي رفيق

﴿فلما رأها تهتز﴾ الفاء فصيحة تفصح عن جملة محذوفة كأنه قيل: فألقاها فانقلبت حية تسعى فلما أبصرها تتحرك بحركة شديدة وتذهب إلى كل جانب حال كونها. ﴿كأنها جان﴾ حية خفيفة سريعة فشبه الحية العظيمة المسماة بالفارسية [اژدها] بالجان في سرعة الحركة والالتواء والجان ضرب من الحيات أي حية كحلاء العين لا تؤذي كثيرة في الدور كما في «القاموس».

وقال أبو الليث: الصحيح أن الثعبان كان عند فرعون والجان عند الطور وفيه إشارة إلى أن كل متوكأ غير الله في الصورة ثعبان له في المعنى ولهذا جاء في «المثنوي»:

هر خيالي كوكند دردل وطن روز محشر صورتي خواهد شدن

﴿ولى﴾ رجع وأعرض موسى. وبالفارسية [روى بكردانيد]. ﴿مدبراً﴾ [در حالتي كه كريزان بود از خوف].

قال في «كشف الأسرار»: أدبر عنها وجعلها تلي ظهره. ﴿ولم يعقب﴾ ولم يرجع على عقبه من عقب المقاتل إذا كرّ بعد الفرّ وإنما اعتراه الرعب لظنه أن ذلك الأمر أريد به هلاك نفسه ويدل عليه قوله: ﴿يا موسى﴾ أي قيل له: يا موسى ﴿لا تخف﴾ أي: من غيري ثقة بي أو مطلقاً لقوله: ﴿إني لا يخاف لدي﴾ عندي ﴿المرسلون﴾ فإنه يدل على نفي الخوف عنهم مطلقاً لكن لا في جميع الأوقات بل حين يوحى إليهم بوقت الخطاب فإنهم حينئذ مستغرقون في مطالعة شؤون الله لا يخطر ببالهم خوف من أحد أصلاً وأما سائر الأحيان فهم أخوف الناس منه سبحانه أو لا يكون لهم عند سوء عاقبة فيخافون منه.

وفي «التأويلات النجمية»: يعني من فر إلى الله عما سواه يؤمنه الله مما سواه ويقول له: لا تخف فإنك لدي ولا يخاف لدي من غيري القلوب المنورة الملهمة المرسلة إليها الهدايا والتحف من الطافي.

وفي «عرائس البيان»: لا تخف من الثعبان فإن ما ترى ظهور تجلي عظمتي ولا يخاف من مشاهدة عظمتي وجلالي في مقام الالتباس المرسلون فإنهم يعلمون أسرار ربوبيتي ولما علم أن موسى كان مستشعراً حقيقة من قتله القبطي قال تعريضاً به:

﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾﴾

﴿إلا من ظلم﴾ استثناء منقطع أي لكن من ظلم نفسه من المرسلين بذنب صدر منه كآدم ويونس وداود وموسى وتعبير الظلم لقول آدم ربنا ظلمنا أنفسنا وموسى رب إني ظلمت نفسي. ﴿ثم بدل حسناً بعد سوء﴾ [پس بدل كند وبجاي آرد نيكويي بعد ازبدي يعني توبه كند بعد ازكناه]. ﴿فإني غفور﴾ للتائبين ﴿رحيم﴾ مشفق عليهم.

اختلفوا في جواز الذنب على الأنبياء وعدمه قال الإمام والمختار: عندنا أنه لم يصدر عنهم ذنب حال النبوة لا الصغير ولا الكبير وترك الأولى منهم كالصغيرة منا لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين.

وفي «الفتوحات» اعلم أن معاصي الخواص ليست كمعاصي غيرهم بحكم الشهوة الطبيعية وإنما تكون معاصيهم بالخطأ في التأويل وإيضاح ذلك أن الحق تعالى إذا أراد إيقاع المخالفة من العارف بالله زين له الوقوع في ذلك العمل بتأويل؛ لأن معرفة العارف تمنعه من الوقوع في المخالفة دون تأويل يشهد فيه وجه الحق فإن العارف لا يقع في انتهاك الحرمة أبداً ثم إذا وقع في ذلك المقدور بالتزيين، أو التأويل يظهر له تعالى فساد ذلك التأويل الذي أداه إلى ذلك الفعل كما وقع لآدم عليه السلام فإنه عصى بالتأويل فعند ذلك يحكم العارف على نفسه بالعصيان كما حكم عليه بذلك لسان الشريعة وكان قبل الوقوع غير عاص لأجل شبهة التأويل كما أن المجتهد في زمان فتواه بأمر ما اعتقاداً منه أن ذلك عين الحكم المشروع في المسألة لا يوصف بخطأ ثم في ثاني الحال إذا ظهر له بالدليل أنه أخطأ حكم عليه لسان الظاهر أنه أخطأ في زمان ظهور الدليل لا قبل ذلك فعلم أنه يمكن لعبد أن يعصي ربه على الكشف من غير تأويل أو تزيين أو غفلة أونسيان أبداً وأما قول أبي يزيد قدس سره لما قيل له أيعصي العارف الذي هو من أهل الكشف؟ فقال: نعم وكان أمر الله قدراً مقدوراً فلا ينافي ذلك أي لأن من أدب العارفين أن لا يحكموا عليه بتقييد كأنه يقول: إن كان الحق تعالى قدر عليهم في سابق علمه بشيء فلا بد من وقوعه وإذا وقع فلا بد له من حجاب أدناه التأويل أو التزيين فاعلم ذلك.

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍۖ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾﴾.

﴿وأدخل يدك في جيبك﴾[در آردست خودرا دركريبان پيرهن خود] ولم يقل في كمك لأنه كان عليه مدرعة من صوف لا كم لها ولا أزرار فكانت يده الكريمة مكشوفة فأمر بإدخال يده في مدرعته وهي جبة صغيرة يتدرع بها أي تلبس بدل الدرع وهو القميص **﴿تخرج﴾** حال كونها **﴿بيضاء﴾** براقة لها شعاع كشعاع الشمس أي إن أدخلتها تخرج على هذه الصفة **﴿من غير سوء﴾** أي آفة كبرص ونحوه. **﴿في تسع آيات﴾** خبر مبتدأ محذوف أي هما داخلتان في جملتها فتكون الآيات تسعاً بالعصا واليد وهنّ العصا واليد البيضاء والجدب في البوادي ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم. **﴿إلى فرعون﴾** أي: حال كونك مبعوثاً إليه **﴿وقومه﴾** القبط **﴿إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾** تعليل للبعث، أي خارجين عن الحدود في الكفران والعدوان.

﴿فلما جاءتهم آياتنا﴾ التسع بأن جاءهم موسى بها وظهرت على يده حال كونها. **﴿مبصرة﴾** مستنيرة واضحة اسم فاعل أطلق على المفعول إشعاراً بأنها لفرط إنارتها ووضوحها للأبصار بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت مما يبصر. **﴿قالوا هذا سحر مبين﴾** واضح سحريته. يعني [همه كس داندكه اين سحر است].

﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾

﴿وجحدوا بها﴾ كذبوا بألسنتهم كونها آيات إلٰهية. والجحود إنكار الشيء بعد المعرفة

والإيقان تعنتاً وأريد هنا التكذيب لئلا يلزم استدراك قوله: ﴿واستيقنتها أنفسهم﴾ الواو للحال. والاستيقان: [بي كمان شدن] أي وقد علمتها أنفسهم أي قلوبهم وضمائرهم علماً يقيناً أنها من عند الله وليست بسحر.

قال أبو الليث: وإنما استيقنتها قلوبهم لأن كل آية رأوها استغاثوا بموسى وسألوا منه بأن يكشف عنهم فكشف عنهم فظهر لهم بذلك أنها من الله تعالى. ﴿ظلماً﴾ نفسانياً علة لجحدوا ﴿وعلوّاً﴾ إباء واستكباراً شيطانياً. ﴿فانظر كيف كان﴾ [پس بنكر يا محمد كه چكونه بود] ﴿عاقبة المفسدين﴾ وهو الإغراق في الدنيا والإحراق في الآخرة. وبالفارسية: [عاقبت كار تباه كاران كه در دنيا بآب غرقه شدند ودر عقبى بآتش خواهند سوخت].

هم حالت مفسدان خوش است   سر انجام أهل فساد آتش است

وفي هذا تمثيل لكفار قريش إذ كانوا مفسدين مستعلين فمن قدر على إهلاك فرعون كان قادراً على إهلاك من هو على صفته وذلك إلى يوم القيامة فإن جلال الله تعالى دائم للأعداء كما أن جماله باق للأولياء مستمر في كل عصر وزمان.

فعلى العاقل أن يتعظ بحال غيره ويترك الأسباب المؤدية إلى الهلاك مثل الظلم والعلو الذي هو من صفات النفس الأمارة ويصلح حاله بالعدل والتواضع وغير ذلك مما هو من ملكات القلب.

والإشارة في الآية إلى أن الذين أفسدوا استعداد الإنسانية لقبول الفيض الإلّهي بلا واسطة كان عاقبتهم أنهم نزلوا منازل الحيوانات من الأنعام والسباع وقرنوا مع الشياطين في الدرك الأسفل من النار، فانظر إلى أن الارتقاء إلى السؤدد صعب والانحطاط إلى الدناءة سهل إذ النفس والطبيعة كالحجر المرمي إلى الهواء تهوي إلى الهاوية فإذا اجتهد المرء في تلطيفها بالمجاهدات والرياضات تشرف بالارتقاء في الدرجات وتخلص من الانحطاط إلى الدركات. قال الحافظ:

بال بكشا وصفير از شجر طوبى زن   حيف باشد چو تومرغي كه أسير قفسي

فما أقبح المرء أن يكون حسن جسمه باعتبار قبح نفسه كجنة يعمرها يوم وصرمة يحرسها ذئب وأن يكون اعتباره بكثرة ماله وحسن أثاثه كثور عليه حلي ففضل الإنسان بالهمم العالية والاتباع بالحق والأدب والعقل الذي يعقله عن الوقوع في الورطات بارتكاب المنهيات نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من القابلين لإرشاده والعاملين بكتابه المحفوظين عن عذابه المغبوطين بثوابه.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿ولقد﴾ أي وبالله قد ﴿آتينا﴾ أعطينا ﴿داود وسليمان﴾ أي: كل واحد منهما.

قال في «مشكاة الأنوار»: قالت نملة لسليمان عليه السلام: يا نبي الله أتدري لم صار اسم أبيك داود واسمك سليمان؟ قال: لا قالت: لأن أباك داوى قلبه عن جراحة الالتفات إلى غير الله فوّد وأنت سليم تصغير سليم آن لك أي حان لك أن تلحق بأبيك. ﴿علماً﴾ أي: طائفة من العلم لائقة به من علم الشرائع والأحكام وغير ذلك مما يختص بكل منهما كصنعة لبوس

وتسبيح الجبال ومنطق الطير والدواب فإن الله تعالى علم سبعة نفر سبعة أشياء: علم آدم أسماء الأشياء فكان سبباً في حصول السجود والتحية، وعلم الخضر علم الفراسة فكان سبباً لأن وجد تلميذاً مثل موسى ويوشع. وعلم يوسف التعبير فكان سبباً لوجدان الأهل والمملكة، وعلم داود صنعة الدروع فكان سبباً لوجدان الرياسة والدرجة، وعلم سليمان منطق الطير فكان سبباً لوجدان بلقيس. وعلم عيسى الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل فكان سبباً لزوال التهمة عن الشر، وعلم محمداً ﷺ الشرع والتوحيد فكان سبباً لوجود الشفاعة.

وقال الماوردي: المراد بقوله: ﴿علماً﴾ علم الكيمياء وذلك لأنه من علوم الأنبياء والمرسلين والأولياء العارفين كما قال حضرة مولانا قدس سره الأعلى:

از كرامات بلند أوليا   أولا شعرست وآخر كيميا

والكيمياء في الحقيقة القناعة بالموجود وترك التشوف إلى المفقود:

كيميايى ترا كنم تعليم   كه دراكسير ودر صناعت نيست
رو قناعت كزين كه در عالم   كيميايي به از قناعت نيست

قال في «كشف الأسرار»: [داود أز أنبياء بني إسرائيل بيود از فرزندان يهوذا بن يعقوب وروز كاروي بعد از روز كار موسى بود بصد هفتاد ونه سال وملك وي بعد از ملك طالوت بود وبني إسرائيل همه يتبع وي شدند وملك بروي مستقيم كشت إينست رب العالمين كفت. ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ [ص: ٢٠] هرشب سي وهزار مرد از بزركان بني إسرائيلي اورا حارس بودند وباوي ملك علم بود ونبوت چنانكه كفت جل جلاله ﴿آتينا داود وسليمان علماً﴾ وحكم كه راندند وعمل كه كردند از احكام توراة كردنكه كتاب وي زبور همه موعظت بود دران أحكام أمر ونهى نبود].

قال ابن عطاء قدس سره: ﴿علماً﴾ أي علماً بربه وعلماً بنفسه وأثبت لهما علمهما بالله علم أنفسهما وأثبت لهما علمهما بأنفسهما حقيقة العلم بالله لذلك.

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «من عرف نفسه فقد عرف ربه».

بروجود خداي عز وجل   هست نفس توحجت قاطع
چون بداني تونفس را داني   كوست مصنوع وايزدش صانع

واعلم أن العلم علمان علم البيان وهو ما يكون بالوسائط الشرعية وعلم العيان وهو ما يستفاد من الكشوفات الغيبية فالمراد بقوله عليه السلام: «سائل العلماء وخالط الحكماء وجالس الكبراء» أي: سائل العلماء بعلم البيان فقط عند الاحتياج إلى الاستفتاء منهم وخالط العلماء بعلم العيان فقط وجالس الكبراء بعلم البيان والأحكام وعلم المكاشفة والأسرار فأمر بمجالستهم لأن في تلك المجالسة منافع الدنيا والآخرة.

توخود بهتري جوي وفرصت شمار   كه باچون خودي كم كنى روزكار

﴿وقالا﴾ أي: كل واحد منهما شكراً لما أوتيه من العلم ﴿الحمد لله الذي فضلنا﴾ بما آتانا من العلم. ﴿على كثير من عباده المؤمنين﴾ على أن عبارة كل منهما فضلني إلا أنه عبر عنهما عند الحكاية بصيغة المتكلم مع الغير إيجازاً وبهذا ظهر حسن موقع العطف بالواو إذ المتبادر من العطف بالفاء ترتب حمد كل منهما على إيتاء ما أوتي كل منهما لا على إيتاء ما أوتي نفسه فقط.

وقال البيضاوي: عطفه بالواو إشعاراً بأن ما قالاه بعض ما أتيا به في مقابلة هذه النعمة كأنه قال: ففعلا شكراً له ما فعلا وقالا الحمد لله الخ انتهى والكثير المفضل عليه من لم يؤت مثل علمهما لا من لم يؤت علماً أصلاً فإنه قد بين الكثير بالمؤمنين وخلوهم من العلم بالكلية مما لا يمكن وفي تخصيصهما الكثير بالذكر رمز إلى أن البعض متفضلون عليهما.

وفيه أوضح دليل على فضل العلم وشرف أهله حيث شكرا على العلم وجعلاه أساس الفضل ولم يعتبرا دونه ما أوتيا من الملك الذي لم يؤته غيرهما وتحريض للعلماء على أن يحمدوا الله تعالى على ما آتاهم من فضله ويتواضعوا ويعتقدوا أنهم وإن فضلوا على كثير فقد فضل عليهم كثير وفوق كل ذي علم عليم ونعم ما قال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه كل الناس أفقه من عمر.

وفي الآية إشارة إلى داود الروح وسليمان القلب وعلمهما الإلهام الرباني وعلم الأسماء الذي علم الله آدم عليه السلام وحمدهما على ما فضلهما على الأعضاء والجوارح المستعملة في العبودية فإن شأن الأعضاء العبودية والعمل وشأن الروح والقلب العلم والمعرفة وهو أصل. وسأل رجل رسول الله ﷺ عن أفضل الأعمال فقال: «العلم بالله والفقه في دينه» وكررهما عليه فقال: يا رسول الله أسألك عن العمل فتخبرني عن العلم فقال: «إن العلم ينفعك معه قليل العمل وإن الجهل لا ينفعك معه كثير العمل» والمتعبد بغير علم كحمار الطاحونة يدور ولا يقطع المسافة.

قال فتح الموصلي قدس سره: أليس المريض إذا منع عنه الطعام والشراب والدواء يموت فكذا القلب إذا منع عنه العلم والفكر والحكمة يموت ثم إن الامتلاء من الأغذية الظاهرة يمنع التغذي بالأغذية الباطنة كما قال الشيخ سعدي رحمه الله: [عابدي حكايت كنندكه هرشب ده من طعام بخوردي وتابسحر ختمي درنماز بكردي صاحب دلي بشنيد وكفت اكر نيم نان بخوردي وبختفي بسياء ازين فاضلتر بودي].

اندرون از طعام خالي دار تادرو نور ومعرفت بيني
نهى از حكمتي بعلت آن كه پرى از طعام تابيني

وكذا العجب والكبر يمنع النور والصفاء كما قال في «البستان»:

تراكي بود چون چراغ التهاب كه از خود پرى همچو قنديل از آب

فإذا أصلح المرء ظاهره بالشريعة وباطنه بالطريقة كان مستعداً لفيض العلم الذي أوتوه الأنبياء والأولياء وفضلوا بذلك على مؤمني زمانهم وهذا التفضيل سبب لمزيد الحمد والشكر لله تعالى فإن الثناء بقدر الموهبة والعطية، نحمد الله تعالى على آلائه ونعمائه ونستزيد العلم وقطراته من دأمائه ونسأله التوفيق في طريق التحقيق والثبات على العمل الصالح بالعلم النافع الذي هو للهوى قامع وللشهوات دافع إنه المفضل المنعم الكبير والوهاب الفياض الرحيم.

﴿وورث سليمان داود﴾ أي: صار إليه العلم والنبوة والملك بعد موت أبيه دون سائر أولاده فسمي ميراثاً تجوزاً لأن حقيقة الميراث في المال والأنبياء إنما يرثون الكمالات النفسانية ولا قدر للمال عندهم قال عليه السلام لعلي رضي الله عنه: «أنت أخي ووارثي» قال: وما أرثك؟ قال: «ما ورث الأنبياء قبلي كتاب الله وسنتي».

وسأل بعض الأقطاب ربه أن يعطي مقامه لولده فقال له الحق في سره: مقام الخلافة لا

يكون بالوراثة إنما ذلك في العلوم أو الأموال والمريد الصادق يرث من شيخه علوم الحقائق بعد كونه مستعداً لها فتصير تلك الحقائق مقاماته لذلك قال عليه السلام: «العلماء ورثة الأنبياء».

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن سليمان القلب يرث داود الروح فإن كل وارد وإلهام وإشارة ووحي وفيض رباني يصدر من الحضرة الإلهية يكون عبوره على الروح ومن كمال لطافته يعبر عنه فيصل إلى القلب لأن القلب بصفاته يقبله وبكثافته وصلابته يحفظه فلهذا شرف القلب على الروح ولذلك قال سليمان: أقضي من داود وقال عليه السلام: «يا وابصة استفت قلبك» ولم يقل: استفت روحك.

قال الكاشفي: [كويند داودرا نوزده پسر بودند هريك داعيهء ملك داشتند حق سبحانه وتعالى نامهء مهر كرده از آسمان فرستاد ودرو چند مسئله يا دكرد وفر مودكه هركه ازاولادتو اين مسائل را جواب دهد بعد از تووارث ملك باشد داود فرزندانرا جمع كرد وأحبار وأشراف را حاضر كردانيده ومسئلها برفرزندان عرض كردكه بكوييدكه. نزديكترين چيزها كدامست. ودورترين اشياچيست. وآنكه انس بدو بيشترست كدامست. وآنكه وحشت افزايد چيست. وكدامند دوقائم. ودو مختلف. ودو دشمن. وكدام كارست كه آخر آن ستوده است. وكدام أمر ست كه عاقبت آن نكوهيده است أولاد حضرت داود از جواب آن عاجز آمدند سليمان فرمودكه اكراجازت باشد من جواب دهم داود ويراد ستوري داد سليمان كفت. اقرب اشيا بآدمي موتست. وابعد اشيا آنجه ميكذردازدنيا. وآنكه اسن بدو بيشرست جسد انسانست باروح. واوحش اشيا بدن خالي ازروح. أما قائمان ارض وسما اند. ومختلفان ليل ونهار. ومتباغضان موت وحيات. وكاريكه آخرش محمود است حلم در وقت خشم. وكاري كه عاقبتش مذموم است حدت دروقت غضب وچون جواب مسائل موافف كتاب منزل بود أكابر بني إسرائيل بفضل وكمال سليمان معترف شدند وداو ملك را بدو تسليم كرد وديكر روزوفات كرد وسليمان برتخت نشست] ﴿وقال﴾ تشهيراً لنعمة الله تعالى ودعاء للناس إلى التصديق بذكر المعجزات الباهرة التي أوتيها أي لا فخراً وتكبراً.

قال البقلي: إن سليمان عليه السلام أخبر الخلق بما وهبه الله لأن المتمكن إذا بلغ درجة التمكين يجوز له أن يخبر الخلق بما عنده من موهبة الله لزيادة إيمان المؤمنين وللحجة على المنكرين قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى: ١١] ﴿يا أيها الناس علمنا منطق الطير﴾ النون نون الواحد المطاع على عادة الملوك فإنهم متكلمون مثل ذلك رعاية لقاعدة السياسة لا تكبراً وتجبراً وكذا في أوتينا.

وقال بعضهم: علمنا أي أنا وأبي وهذا ينافي اختصاص سليمان بفهم منطق الطير على ماهو المشهور والمنطق والنطق في التعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفرداً أو مركباً وقد يطلق على كل ما يصوّت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد يقال: نطقت الحمامة إذا صوتت.

قال الإمام الراغب: النطق في التعارف الأصوات المقطعة التي يظهرها اللسان وتعيها الآذان ولا يكاد يقال إلا للإنسان ولا يقال لغيره إلا على سبيل التبع نحو الناطق والصامت فيراد بالناطق ماله صوت وبالصامت ما لا صوت له ولا يقال للحيوانات ناطق إلا مقيداً أو على طريق

التشبيه وسميت أصوات الطير منطقاً اعتباراً بسليمان الذي كان يفهمه فمن فهم من شيء معنى فذلك الشيء بالإضافة إليه ناطق وإن كان صامتاً وبالإضافة إلى من لا يفهم عنه صامت وإن كان ناطقاً والطير جمع طائر كركب وراكب وهو كل ذي جناح يسبح في الهواء ويجري وكان سليمان يعرف نطق الحيوان غير الطير أيضاً كما يجيء من قصة النمل لكنه أدرج هذا في قوله: ﴿وأوتينا من كل شيء﴾ وخص منطق الطير لشرف الطير على سائر الحيوان. ومعنى الآية علمنا فهم ما يقوله كل طائر إذا صوت. وبالفارسية: [أي مردمان آموخته شديم ما كفتار مرغانراكه ايشان چه ميكويند] وكل صنف من أصناف الطير يتفاهم أصواته. يعني [هرجماعتي را از طيور آو ازيست كه جزنوع إنسان ازان فهم معاني وأغراض نكند] والذي علمه سليمان من منطق الطير هو ما يفهمه بعضه من بعض من أغراضه.

قال في «إنسان العيون»: وهذا في طائر لم يفصح العبارة وإلا فقد سمع من بعض الطيور الإفصاح بالعبارة فنوع من الغربان يفصح بقوله الله حق.

وعن بعضهم قال: شاهدت غراباً يقرأ سورة السجدة وإذا وصل محل السجود سجد وقال: سجد لك سوادي وآمن بك فؤادي. والدرة تنطق بالعبارة الفصيحة وقد وقع لي أني دخلت منزلاً لبعض أصحابنا وفيه درة لم أرها فإذا هي تقول: مرحباً بالشيخ البكري وتكرر ذلك وعجبت من فصاحة عبارتها انتهى. حكي: أن رجلاً خرج من بغداد ومعه أربعمائة درهم لا يملك غيرها فوجد في طريقه أفراخ زريات وهو أبو زريق فاشتراها بالمبلغ الذي كان معه ثم رجع إلى بغداد فلما أصبح فتح دكانه وعلق الأفراخ عليها فهبت ريح باردة فماتت كلها إلا فرخاً واحداً كان أضعفها وأصغرها فأيقن الرجل بالفقر فلم يزل يبتهل إلى الله تعالى بالدعاء ليله كله يا غياث المستغيثين أغثني فلما أصبح زال البرد وجعل ذلك الفرخ ينفش ريشه ويصيح بصوت فصيح يا غياث المستغيثين أغثني فاجتمع الناس عليه يسمعون صوته فاجتازت أمة لأمير المؤمنين فشرته منه بألف درهم كذا في «حياة الحيوان».

قال الإمام الدميري: أبو زريق هو القنق وهو طائر على قدر اليمامة وأهل الشام يسمونه زريق وهو ألوف للناس فيه قبول للتعليم وسرعة إدراك لما تعلم ـ ويحكى ـ أن سليمان عليه السلام مر على بلبل في شجرة يتصوت ويترقص أي يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لأصحابه: أتدرون ما يقول؟ فقالوا: الله أعلم ونبيه قال: يقول: إذا أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء أي التراب والدروس، وبالفارسية: [خاك برسر دنيا] ولعله كان صوت البلبل عن شبع وفراغ بال. وصاحت فاختة فأخبر أنها تقول: ليت ذا الخلق لم يخلقوا ولعله كان صياحها عن مقاساة شدة وتألم قلب. وصاح طاوس فقال: يقول: كما تدين تدان. وصاح هدهد فقال: يقول: استغفروا الله يا مذنبون. وهكذا صاح الصرد فمن ثمة نهى رسول الله عن قتله وهو طائر فوق العصفور يصيد العصافير وغيرها لأن له صفيراً مختلفاً يصفر لكل طائر يريد صيده بلغته فيدعوه إلى القرب منه فإذا قرب منه قصمه من ساعته وأكله. وفي بعض الروايات يقول الهدهد: من لا يرحم لا يرحم وقد يجمع بينه وبين ما تقدم بأنه يجوز أن يقول تارة هذا وأخرى ما تقدم. وصاح طيطوي فقال: يقول: كل حي ميت وكل جديد بال ونسبه في «كشف الأسرار» إلى الطوطي. وصاح خطاف فقال: يقول: قدموا خيراً تجدوه وفي «الكشف»: إذا صاح الخطاف قرأ الحمد لله رب العالمين ويمد الضالين كما يمدها القارىء وهو بضم الخاء المعجمة كرمان

جمعه خطاطيف وسمى زوار الهند وهو من الطيور القواطع إلى الناس يقطع البلاد البعيدة إليهم رغبة في القرب منهم وهذا الطائر يعرف عند الناس بعصفور الجنة لأنه زهد عما في أيديهم من الأقوات فأحبوه لأنه إنما يتقوّت من البعوض والذباب. وصاح القمريّ فقال: يقول: سبحان ربي الأعلى. وصاح رخمة أو حمامة فأخبر أنها تقول: سبحان ربي الأعلى ملء سمائه وأرضه والرخمة طائر أصم أبكم لا يسمع ولا يتكلم ولذلك قالوا: إن أطول الطير أعماراً الرخم فالسلامة والبركة في العمر في حفظ اللسان. وقال: الحدأة تقول: كل شيء هالك إلا الله وهو بالفارسية [زغن وغليواج] قال: خسرو دهلوي.

بهراين مردار چندت كاه زاري كاه زو

چون غليواجي كه شش مه ماده وشش مه نرست

والقطاة تقول: من سكت سلم وهي طائر معروف قدر اليمام ويشبهه سميت بحكاية صوتها لأنها تقول: قطاقطا قال ابن ظفر: القطا طائر يترك فراخه ثم يطلب الماء من مسيرة عشرة أيام وأكثر فيرده فيما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ثم يرجع فلا يخطىء لا صادراً ولا وارداً أي ذهاباً وإياباً ولذا يضرب به المثل فيقال: «أهدى من قطاة». والببغا يقول: ويل لمن كانت الدنيا همه والمراد به الطوطي وهو طائر أخضر.

قال الكاشفي: [وباز ميكويد سبحان ربي العظيم وبحمده].

قال في «حياة الحيوان»: البازي لا تكون إلا أنثى وذكرها من نوع آخر الحدأة والشاهين ولهذا اختلف أشكالها وهو من أشد الحيوان تكبراً وأضيقها خلقها [وهزار دستان ميكويد] سبحان الخالق الدائم والديك يقول: اذكروا الله يا غافلون.

دلا برخيز وطاعت كن كه طاعت به زهر كارست

سعادت آن كسي داردكه وقت صبح بيدارست

خروسان در سحر كويند قم يا أيها الغافل

توازمستي نمي داني كسي داندكه هشيارست

وكان له عليه السلام ديك أبيض وفي الحديث: «الديك الأبيض صديقي وصديق صديقي وعدو عدوي» كما «الوسيط» وهو يصيح عند رؤية الملك كما أن الحمار ينهق عند رؤية الشيطان. والنسر يقول: يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت وفي هذا مناسبة لما خص النسر به من طول العمر يقال إنه يعمر ألف سنة وهو أشد الطير طيراناً وأقواها جناحاً حتى أنه يطير ما بين المشرق والمغرب في يوم واحد وليس في سباع الطير أكبر جثة منه وهو عريف الطير كما في «حياة الحيوان». والعقاب يقول: في البعد عن الناس أنس. والضفدع يقول: سبحان ربي القدوس أو سبحان المعبود في لجج البحار. وحكي: أن نبي الله داود عليه السلام ظن في نفسه أن أحداً لم يمدح خالقه بأفضل مما مدحه فأنزل الله عليه ملكاً وهو قاعد في محرابه والبركة إلى جنبه فقال: يا داود افهم ما تصوت به الضفادع فأنصت إليها فإذا هي تقول: سبحانك وبحمدك منتهى علمك فقال له الملك: كيف ترى؟ قال: والذي جعلني نبياً إني لم أمدحه بهذا.

وعن أنس رضي الله عنه: لا تقتلوا الضفادع فإنها مرت بنار إبراهيم عليه السلام فحملت

في أفواهها الماء وكانت ترشه على النار. ونهى النبي عليه السلام عن قتل خمسة «النملة والنحلة والضفدع والصرد والهدهد». ويقول الورشان: لدوا للموت وابنوا للخراب وهذه لام العاقبة قيل: الورشان طائر يتولد بين الفاختة والحمامة ويوصف بالحنو على أولاده حتى أنه ربما قتل نفسه إذا وجدها في يد القابض. ويقول الدراج: الرحمن على العرش استوى. ويقول القنبر: اللهم العن مبغضي محمد وآل محمد. ويقول الحمار: اللهم العن العشار وأسند هذا إلى الغراب في بعض الروايات. ويقول الفرس إذا التقى الصفان: سبوح قدوس رب الملائكة والروح. ويقول الزرزور: اللهم إني أسألك قوت يوم بيوم يا رزاق وهو بضم الزاي طائر صغير من نوع العصفور سمي بذلك لزرزرته أي لصوته. وقال مولانا قدس سره في بعض كلماته:

شيخه مرغانست لك لك لك لكش داني كه چيست

الحمد لك والأمر لك والملك لك يا مستعان

قال سليمان عليه السلام: ليس من الطيور أنصح لبني آدم وأشفق عليهم من البومة تقول إذا وقعت عند حربة: أين الذين كانوا يتنعمون في الدنيا ويسعون فيها ويل لبني آدم كيف ينامون وأمامهم الشدائد تزودوا يا غافلون وتأهبوا لسفركم. قال الحافظ:

دع التكاسل تغنم فقد جرى مثل ... كه زاد راهروان چستيست وچالاكي

قال مقاتل: كان سليمان عليه السلام جالساً إذ مر به طير يصوت فقال لجلسائه: هل تدرون ما يقول هذا الطائر الذي مر بنا؟ قالوا: أنت أعلم قال سليمان: إنه قال لي السلام عليك أيها الملك المسلط على بني إسرائيل أعطاك الله الكرامة وأظهرك على عدوك إني منطلق إلى فروخي ثم أمرّ بك الثانية وإنه سيرجع إلينا الثانية فانظروا إلى رجوعه قال: فنظر القوم إذ مرّ بهم فقال: السلام عليك أيها الملك إن شئت ايذن لي كما اكتسب على فروخي حتى أشبعها ثم آتيك فتفعل بي ما شئت فأخبرهم سليمان بما قال فأذن له.

وفي «عرائس البيان»: اعلم أن أصوات الطيور والوحوش وحركات الأكوان جميعاً هي خطاب من الله للأنبياء والمرسلين والأولياء العارفين يفهمونها من حيث أحوالهم ومقاماتهم فالأنبياء والمرسلون يعرفون لغاتها ومعانيها بعينها وأما الأولياء فإنما يعرفونها بغير لغاتها يعني يفهمون من أصواتها ما يتعلق بحالهم بما يقع في قلوبهم من إلهام الله تعالى لا بأنهم يعرفون لغاتها بعينها.

والإشارة أن طيور الأرواح الناطقة في الأشباح تنطق بالحق من الحق ونطقها تلفظ الرموز والأسرار بلغة الأنوار ولا يسمعها إلا ذو فراسة صادقة قلبه وعقله شاهدان وألطف الإشارة علمنا منطق أطيار الصفات التي تعبر عن علوم الذات ومنطق أطيار أفعاله التي تخبر عن بطون حكم الأزليات.

قال أبو عثمان المغربي قدس سره: من صدق مع الله في جميع أحواله فهم عنه كل شيء أو فهم هو عن كل شيء وكما أن صوت الطبل مثلاً دليل يعرفون بسماعه وقت الرحيل والنزول فالحق سبحانه يخص أهل الحضور بفنون التعريفات من سماع الأصوات وشهود أحوال المرئيات مع اختلافها كما قيل:

إذا المرء كان له فكرة ... ففي كل شيء له عبرة

﴿وأوتينا من كل شيء﴾ أراد كثرة ما أوتي به كما يقال: فلان يقصده كل أحد ويعلم كل شيء ويراد به كثرة قصاده وغزارة علمه.

وقال الكاشفي: [وداده شديم يعني مارا عطا كردند هر چيزي كه بدان محتاج بوديم].

وفي «كشف الأسرار»: يعني الملك والنبوة والكتاب والرياح وتسخير الجن والشياطين ومنطق الطير والدواب ومحاريب وتماثيل وجفان كالجواب وعين القطر وعين الصفر وأنواع الخير ﴿إن هذا﴾ المذكور من التعليم والإيتاء ﴿لهو الفضل﴾ والإحسان من الله تعالى ﴿المبين﴾ الواضح الذي لا يخفى على أحد.

وفي «الوسيط»: لهو الزيادة الظاهرة على ما أعطي غيرنا قاله على سبيل الشكر والحمد كما قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» أي أقول هذا القول شكراً لا فخراً.

قيل: أعطي سليمان ما أعطي داود وزيد له تسخير الجن والريح وفهم نطق الطير وفي زمانه صنعت الصنائع المعجبة التي يتمتع بها الناس وملك سبعمائة سنة وستة أشهر.

ولما تولى الملك جاءه جميع الحيوانات يهنؤونه إلا نملة واحدة فجاءت تعزيه فعاتبها النمل في ذلك فقالت: كيف أهنيه وقد علمت أن الله إذا أحب عبداً زوى عنه الدنيا وحبب إليه الآخرة وقد شغل سليمان بأمر لا يدري ما عاقبته فهو بالتعزية أولى من التهنئة ذكره السيوطي في «فتاواه».

قال عمر رضي الله عنه للنبي عليه السلام: أخبرني عن هذا السلطان الذي ذلت له الرقاب وخضعت له الأجساد ما هو؟ فقال: «ظل الله في الأرض فإذا أحسن فله الأجر وعليكم الشكر وإذا أساء فعليه الإصر وعليكم الصبر».

وسأل يزدجرد حكيماً: ما صلاح الملك؟ قال: الرفق بالرعية وأخذ الحق منها بغير عنف والتودد إليها بالعدل وأمن السبل وإنصاف المظلوم. قال الشيخ سعدي:

رعيت نشايد ببيداد كشت كه مر سلطنت را پناهند وپشت
مراعاة دهقان كن از بهر خويش كه مزدور خوشدل كند كاربش

﴿وحشر لسليمان جنوده﴾ الحشر إخراج الجماعة من مقرهم وإزعاجهم عنه إلى الحرب وغيرها فلا يقال: الحشر إلا في الجماعة كما في «المفردات». والحشر [كردكردن] كما في «التاج» والجنود جمع الجند يقال للعسكر الجند اعتباراً بالغلظ من الجند للأرض الغليظة التي فيها حجارة ثم يقال لكل مجتمع جند نحو الأرواح جنود مجندة.

قال في «كشف الأسرار»: الجند لا يجمع وإنما قال: جنوده لاختلاف أجناس عساكره.

﴿من الجن والإنس والطير﴾ فكل جنس من الخلق جند على حدة قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١] فالبعوض لنمرود جند والأبابيل لأصحاب الفيل جند والهدهد لعسكر عوج جند؟ والعنكبوت والحمامة لرسول الله عليه السلام جند وعلى هذا والمعنى أخرج لسليمان وجمع له عساكره في مسير وسفر كان له من الشام إلى طرف اليمن.

وفي «فتح الرحمن»: من اصطخر إلى اليمن واصطخر بكسر الهمزة وفتح الطاء بلدة من بلاد فارس كانت دار السلطنة لسليمان عليه السلام من الجن والإنس والطير بمباشرة الرؤساء من كل جنس لأنه كان إذا أراد سفراً أمر فجمع له طوائف من هؤلاء الجنود وتقديم الجن للمسارعة إلى الإيذان بكمال قوة ملكه من أول أمر لما أن الجن طائفة طاغية بعيدة من الحشر

والتسخير. ﴿فهم يوزعون﴾ الوزع بمعنى الكف والمنع عن التفرق والانتشار والوازع الذي يكف الجيش عن التفرق والانتشار ويكف الرعية عن التظالم والفساد وجمعه وزعة. والمعنى يحبس أوائلهم على أواخرهم ليتلاحقوا ويجتمعوا ولا ينتشروا كماهو حال الجيش الكثير وكان لكل صنف من جنوده وزعة ومنعة ترد أولاهم على أخراهم صيانة من التفرق. [ودرين أشارت هست كه إيشان باوجود كثرت عدد مهمل وپبريشان نبودند بلكه ضبط وربط إيشان بمرتبهٔ بودكه هيچكس ازلشكريان از مقر مقرر خود پيش وپس نتوانستي رفت] ويجوز أن يكون ذلك لترتيب الصفوف كما هو المعتاد كما قال في «المختار»: الوازع الذي يتقدم الصف فيصلحه ويقدم ويؤخر وتخصيص حبس أوائلهم بالذكر دون سوق أواخرهم مع أن التلاحق يحصل بذلك أيضاً لما أن أواخرهم غير قادرين على ما يقدر عليه أوائلهم من السير السريع وهو إذا لم يسيرهم بتسيير الريح في الجو.

وفي «كشف الأسرار»: ﴿فهم يوزعون﴾ أي يكفون عن الخروج والطاعة ويحبسون عليها وهو قوله تعالى: ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [سبأ: ١٢] انتهى. روي: أن معسكره عليه السلام كان مائة فرسخ في مائة خمسة وعشرون للإنس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له ألف بيت من القوارير مصنوعة على الخشب فيها ثلاثمائة منكوحة سبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطاً من ذهب وإبريسم فرسخاً في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة ألف كرسي من ذهب وفضة فتقعد الأنبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ـ ويروى ـ أنه كان يأمر الريح العاصف تحمله ويأمر الرخاء تسيره فأوحى الله تعالى إليه وهو يسير بين السماء والأرض إني قد زدت في ملكك أن لا يتكلم بشيء إلا ألقته الريح في سمعك فيحكى أنه مرّ بحراث فقال: لقد أوتي آل داود ملكاً عظيماً فألقته الريح في أذنه فنزل ومشى إلى الحراث وقال: إنما مشيت إليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عيه ثم قال: لتسبيحة واحدة يقبلها الله تعالى خير مما أوتي آل داود ومرج سليمان بمدينة الرسول ﷺ فقال: هذه دار هجرة نبي في آخر الزمان طوبى لمن آمن به وطوبى لمن اتبعه وطوبى لمن اقتدى به.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝١٨﴾.

﴿حتى﴾ ابتدائية وغاية للسير المنبىء عنه قوله: ﴿فهم يوزعون﴾ كأنه قيل فساروا حتى ﴿إذا أتوا﴾ أشرفوا ﴿على واد النمل﴾ وأتوه من فوق.

وقال بعضهم: تعدية الفعل بكلمة على لما أن المراد بالإتيان عليه قطعه من قولهم أتى على الشيء إذا أنفده وبلغ آخره ولعلهم أرادوا أن ينزلوا عند منتهى الوادي إذ حينئذ يخافهم ما في الأرض لا عند مسيرهم في الهواء كما في «الإرشاد» وسيجيء غير هذا. والوادي الموضع الذي يسيل في الماء. والنمل معروف الواحدة نملة. بالفارسية [مور] سميت نملة لتنملها وهي كثرة حركتها وقلة قوائمها ومعنى وادي النمل وادٍ يكثر فيه النمل كما يقال: بلاد الثلج يكثر فيه

الثلج والمراد هنا واد بالشام أو بالطائف كثير النمل والمشهور أنه النمل الصغير وقيل: كان نمل ذلك المكان كالذئاب والبخاتي ولذا قال بعضهم: في وادي النمل هو واد يسكنه الجن والنمل مراكبهم. ﴿قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم﴾ جواب إذا كأنها لما رأتهم متوجهين إلى الوادي فرت منهم فصاحت صيحة نبهت بها سائر النمال الحاضرة فتبعتها في الفرار فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك أجروا مجراهم حيث جعلت هي قائلة وما عداها من النمل مقولاً لهم مع أنه لا يمتنع أن يخلق الله فيها النطق وفيما عداها العقل والفهم. وكانت نملة عرجاء لها جناحان في عظم الديك أو النعجة أو الذئب وكانت ملكة النمل. يعني: [مهتر مور چكان آن وادي بود] واسمها منذرة أو طاخية أو جرمى سميت بهذا الاسم في التوراة أو في الإنجيل أو في بعض الصحف الإلهية سماها الله تعالى بهذا الاسم وعرفها به الأنبياء قبل سليمان وخصت بالتسمية لنطقها وإلا فكيف يتصور أن يكون للنملة اسم علم والنمل لا يسمي بعضهم بعضاً ولا يتميز للآدميين صورة بعضهم من بعض حتى يسمونهم ولا هم واقعون تحت ملك بني آدم كالخيل والكلاب ونحوهما كما في كتاب «التعريف والأعلام» للسهيلي رحمه الله. ونملة مؤنث حقيقي بدليل لحوق علامة التأنيث فعلها لأن نملة تطلق على الذكر والأنثى فإذا أريد تمييزها احتيج إلى مميز خارجي نحو نملة ذكر ونملة أنثى وكذلك لفظة حمامة ويمامة من المؤنثات اللفظية.

ذكر الإمام أن قتادة دخل الكوفة فالتفت عليه الناس فقال: سلوا عما شئتم وكان أبو حنيفة حاضراً وهو غلام حدث فقال: سلوه عن نملة سليمان أكانت ذكراً أم أنثى فسألوه فأفحم فقال أبو حنيفة: كانت أنثى فقيل له: من أين عرفت؟ فقال: من كتاب الله وهو قوله: ﴿قالت نملة﴾ ولو كان ذكراً لقال: قال نملة وذلك أن النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والأنثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة أنثى وهو وهي ولا يجوز أن يقال: قامت طلحة ولا حمزة. ﴿لا يحطمنكم﴾ لا يكسرنكم فإن الحطم هو الكسر وسمي حجر الكعبة الحطيم لأنه كسر منها ﴿سليمان وجنوده﴾ الجملة استئناف أو بدل من الأمر لا جواب له فإن النون لا تدخله في السعة وهو نهي لهم عن الحطم والمراد نهيها عن التوقف والتأخر في دخول مساكنهم بحيث يحطمونها: يعني: [بحيثيتي كه عرضهء تلف شوند].

فإن قلت: بم عرفت النملة سليمان؟.

قلنا: كانت مأمورة بطاعته فلا بد أن تعرف من أمرت بطاعته ولها من الفهم فوق هذا فإن النمل تعرف كثيراً من منافعها من ذلك أنها تكسر الحبة قطعتين لئلا تنبت إلا الكزبرة فإنها تكسرها أربع قطع لأنها تنبت إذا كسرت قطعتين وإذا وصلت النداوة إلى الحبة تخرجها إلى الشمس من حجرها حتى تجف.

قال في «حياة الحيوان»: النمل لا يتلاحق ولا يتزاوج إنما يسقط مه شيء حقير في الأرض فينمو حتى يصير بيظاً ثم يتكون منه والبيض كله بالضاد إلا بيظ النمل فإنه بالظاء.

﴿وهم لا يشعرون﴾ حال من فاعل يحطمنكم أي والحال أنهم لا يشعرون أنهم يحطمونكم إذ لو شعروا لم يفعلوا أي أن من عدل سليمان وفضله وفضل جنوده أنهم لا يحطمون نملة فما فوقها إلا أن لا يشعروا كأنها شعرت عصمة الأنبياء من الظلم والأذى الأعلى سبيل السهو نظير قول النملة في جند سليمان وهم لا يشعرون قول الله تعالى في جند محمد عليه السلام.

﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الفتح: ٢٥] التفاتاً إلى أنهم لا يقصدون ضرر مؤمن إلا أن المثنى على جند سليمان هو النملة بإذن الله والمثنى على جند محمد هو الله بنفسه لما لجند محمد من الفضل على جند غيره من الأنبياء كما كان لمحمد الفضل على جميع النبيين عليهم السلام [آورده اندكه باد اين سخن را ازسه ميل راه بسمع سليمان رسانيد].

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾

﴿فتبسم﴾ التبسم أول الضحك، وهو ما لا صوت له أي تبسم حال كونه **﴿ضاحكاً من قولها﴾** شارعاً في الضحك من قولها وآخذاً فيه أراد أنه بالغ في تبسمه حتى بلغ نهايته التي هي أول مراتب الضحك فهو حال مقدرة أو مؤكدة على معنى تبسم متعجباً من حذرها وتحيرها واهتدائها إلى مصالحها ومصالح بني نوعها، فإن ضحك الأنبياء التبسم والإنسان إذا رأى أو سمع ما لا عهد له به يتعجب ويبتسم.

قال بعضهم: ضحك سليمان كان ظاهره تعجباً من قول النملة وباطنه فرحاً بما أعطاه الله من فهم كلام النملة وسروراً بشهرة حاله وحال جنوده في باب التقوى والشفقة فيما بين أصناف المخلوقات فإنه لا يسر نبي بأمر دنيا وإنما كان يسر بما كان من أمر الدين. روي: أنها أحست بصوت الجنود ولم تعلم أنهم في الهواء أو على الأرض ولذا خافت من الحطم فأمر سليمان الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن.

وقال في «الوسيط»: هذا أي قوله: وهم لا يشعرون يدل على أن سليمان وجنوده كانوا ركباناً ومشاة على الأرض ولم تحملهم الريح لأن الريح لو حملتهم بين السماء والأرض ما خافت النمل أن يطأوها بأرجلهم ولعل هذه القصة كانت قبل تسخير الله الريح لسليمان انتهى وروى أن سليمان لما سمع قول النملة قال: ائتوني بها فأتوا بها [كفت أي مورچه ندانستي كه لشكر من ستم نكنند كفت دانستم أما مهتراين قومم مرا ازنصيحت ايشان چاره نيست كفت لشكر من برهوا بودنچه كونه قوم ترا پايمال كردندي جواب دادكه غرض من آن نبودكه برزمين شكسته شوندمراد من آن بودكه ناكاه نظر بركبكبه ودبدبهٔ توكنند وبنظارهٔ لكشر مشغول شده از دكر خداي تعالى بازمانند ودرميدان غفلت پايمال خذلان كردند مملكت توبينند وآرزوي دردنيا دردل ايشان بديد آيد ودنيا مبغوضهٔ حق است] فقال لها سليمان: عظيني فقالت: أعلمت لم سمي أبوك داود قال: لا قالت: لأنه داوى جراحة قلبه وهل تدري لم سميت سليمان؟ قال: لا قالت: لأنك سليم الصدر والقلب [در كشفت الأسرار آورده كه سليمان ازوى پرسيدكه لشكر توچند است كفت من چهار هزار سرهنك دارم زير دست هريكي چهل هزار نقيب است وزيردست هرنقيبي چهل هزارمور كفت چرا لشكر خودرا بيرون نياري جواب دادكه يا نبي الله مارا روى زمين ميدادند اختيار نكرديم ودر زير زمين جاي كرفتيم تابجز خداي تعالى حال مارا ندادند آنكه كفت أي پيغمبر خدا ازعطاها كه خداي تعالى تراداده يكي بكو كفت بادرا مركب من ساخته اند. ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ: ١٢] كفت داني كه اين چه معنى دارد يعني هرچه ترادادام از مملكت دنيا همه چون بادست در آيد ونيايد «فمن اعتمد على الدنيا فكأنما اعتمد على الريح» ودرين معنى شيخ سعدي كفته:

نه برباد رفتى سحر كاه وشام سرير سليمان عليه السلام
بآخر نديدي كه برباد رفت خنك آنكه بادانش ودادرفت

سليمان عليه السلام بعد از استماع اين كلام روى بمناجات ملك علام كرد وكفت] ﴿وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك﴾ همزة أوزع للتعدية. والوزع بمعنى الكف والمنع من التفرق والانتشار كما سبق. والمعنى اجعلني ازع شكر نعمتك عندي واكفه واربطه لا ينفلت عني بحيث لا أنفك عن شكرك أصلاً. سأل عليه السلام أن يجعله الله وازعاً لجيش شكره فتشبيه الشكر بالجماعة النافرة استعارة مكنية وإثبات الوزع والربط تخييل وقرينة لذلك التشبيه وفي الحديث: «النعمة وحشية قيدوها بالشكر» فإنها إذا شكرت قرت وإذا كفرت فرت. ومن كلمات أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه: إذا وصلت إليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر، أي من لم يشكر النعم الحاصلة لديه حرم النعم البعيدة عنه.

چون بيابي تونعمتي ورچند خردباشد چو نقطهٔ موهوم
شكر آن يافته فرو مكذار كه زنايافته شوى محروم

﴿التي أنعمت عليّ﴾ من العلم والنبوة والملك والعدل وفهم كلام الطير ونحوها. ﴿وعلى والديّ﴾ أي على والدي داود بن إيشا بالنبوة وتسبيح الجبال والطير معه وصنعة اللبوس وإلانة الحديد وغيرها وعلى والدتي بتشايع بنت اليائن كانت امرأة أوريا التي امتحن بها داود وهي امرأة مسلمة زاكية طاهرة وهي التي قالت له: يا بني لا تكثرن النوم بالليل فإنه يدع الرجل فقيراً يوم القيامة كذا في «كشف الأسرار» وأدرج ذكر والديه فإن الإنعام عليهما إنعام عليه مستوجب للشكر ضرورة أن انتساب الابن إلى أب شريف نعمة من الله تعالى على ابن فيشكر بتلك النعمة.

والإشارة قال سليمان القلب: أنعمت علي وعلى والدي الروح بإفاضة الفيض الرباني وعلى والدتي الجسد باستعماله في أركان الشريعة وبهذين الأمرين تكمل النعمة اللهم اجعلنا منعمين شاكرين. ﴿وأن أعمل صالحاً ترضاه﴾ تماماً للشكر واستدامة للنعمة. ومعنى ترضاه بالفارسية: [پسندي آنرا].

قال أبو الليث: يعني تقبله مني ﴿وأدخلني﴾ الجنة ﴿برحمتك﴾ فإنه لا يدخل الجنة أحد إلا بالرحمة والفضل لا بالعمل ﴿في عبادك الصالحين﴾ في جملتهم وهم الأنبياء ومن تبعهم في الصلاح مطلقاً. قال ابن الشيخ: الصلاح الكامل هو أن لا يعصي الله تعالى ولا يهم بمعصية وهو درجة عالية يطلبها كل نبي وولي وإصلاح الله تعالى الإنسان يكون تارة بخلقه إياه صالحاً وتارة بإزالة ما فيه من الفساد والأول أعز وأندر ولذلك جاءت أوائل الأحوال لأكثر الرجال متكدرة مشوبة وبالحجب الكثيرة مصحوبة. [دربحر الحقائق آورده كه تشبيه كند وادي نمل را بهواي نفس حريص بردنيا ونملهٔ منذره رابنفس لوامه وسليمان را بقلب ومساكن را بحواس خمسه] فعلى العاقل أن يكون عالي الهمة على مشرب سليمان كما يدل عليه سيره في جو الهواء فإنه بعد عن الأرض وما تحويه قرب من السماء ومعاليه وإنما التفت إلى النملة تواضعاً كما قال الحافظ:

نظر كردن بدرويشان منافىٔ بزركى نيست سليمان باچنين حشمت نظرها بودبامورش

ومن يكن من أطيار هواء العشق فإنه يفهم ألسنة الطير ومن لم ير سليمان الوقت كيف أدرك معنى الصوت:

چون نديدي دمي سليمانرا توچه داني زبان مرغانرا

والمراد بسليمان هو المرشد الكامل الذي بيده خاتم الحقيقة وبه يحفظ أقاليم القلوب ويطلع على أسرار الغيوب فالكل ينقاد له إما طوعاً أو كرهاً والذي ينقاد كرهاً هو كالشياطين فلا بد من معرفة إمام الوقت والانقياد له طوعاً كما قال عليه السلام: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية».

ثم إن سليمان عليه السلام دعا بالثبات على الشكر والصلاح وختمه بسؤال الجنة كما فعل آباؤه الأنبياء الكرام وهو لا ينافي عصمته وكونه مأمون الغائلة بالنسبة إلى الخاتمة.

وفيه إرشاد للأمة أن يكونوا على حالة حسنة من الشريعة ومرتبة مرضية من الطريقة ومنصب شريف من المعرفة ومقام عال من الحقيقة فإن من لم ينضم إلى معرفته الشريعة ومعاملة العبودية فهو مع الهالكين الفاسقين في الدنيا والآخرة لا مع الأحياء الصالحين في الأمور الباطنة والظاهرة نسأل الله سبحانه أن يوفقنا للأعمال المرضية والأحوال الحسنة ويحلينا بخلع الزهد والتقوى وغيرها من الأمور المستحسنة إنه بالإجابة جدير وهو على كل شيء قدير.

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾.

﴿وتفقد الطير﴾.

قال في «القاموس»: تفقده طلبه عن غيبة.

وفي «كشف الأسرار»: التفقد طلب المفقود وإنما قيل له التفقد لأن طالب الشيء يدرك بعضه ويفقد بعضه.

وفي «المفردات»: التفقد التعهد لكن حقيقة التفقد تعرف فقدان الشيء والتعهد تعرف العهد المقدم. والطير اسم جامع للجنس كما في «الوسيط» والمعنى وتعرف سليمان أحوال الطير ولم ير الهدهد فيما بينها وكان رئيس الهداهد واسمه يعفور ﴿فقال ما لي﴾ أي أي شيء حصل لي حال كوني ﴿لا أرى الهدهد﴾ لساتر ستره أو لشيء آخر ثم بدا له أن كان غائباً فأضرب عنه فأخذ يقول: ﴿أم كان من الغائبين﴾ بل أهو غائب فأم منقطعة مقدرة ببل والهمزة. وبالفارسية [چيست مراكه درخيل طير نمى بينم هدهد را يا چشم من يروي نمى افتد ياهست ازغائب شد كان زين جمع].

وفي «الوسيط» ما لي لا أرى الهدهد أي ما للهدهد لا أراه تقول العرب: ما لي أراك كئيباً معناه مالك ولكنه من القلب الذي يوضحه المعنى.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن الواجب على الملوك التيقظ في مملكتهم وحسن قيامهم وتكفلهم بأمور رعاياهم وتفقد أصغر رعيتهم كما يتفقدون أكبرها بحيث لم يخف عليهم غيبة الأصاغر والأكابر منهم كما أن سليمان عليه السلام تفقد حال أصغر طير من الطيور ولم يخف عليه غيبته ساعة ثم غاية شفقته على الرعية أحال النقص والتقصير إلى نفسه فقال: ﴿ما لي لا أرى الهدهد﴾ وما قال: ما للهدهد لم أره لرعاية مصالح الرعية وتأديبهم قال: ﴿أم كان من الغائبين﴾ يعني من الذين غابوا عني بلا إذني.

وفي «حياة الحيوان»: الهدهد منتن الريح طبعاً لأنه يبني أفحوصه في الزبل وهذا عام في جنسه وإن بخر المجنون بعرف الهدهد أبرأه ولحمه إذا بخر به معقود عن المرأة أو مسحور أبرأه.

وفي «الفتاوى الزينية»: سئل عن أكل الهدهد أيجوز أم لا أجاب نعم يجوز انتهى. ثم هدده إن لم يكن عذر لغيبته فقال:

﴿لأعذبنه عذاباً شديداً﴾ العذاب الإيجاع الشديد وعذبه تعذيباً أكثر حبسه في العذاب أي لأعذبنه تعذيباً شديداً كنتف ريشه وإلقائه في الشمس أو حيث النمل تأكله أو جعله مع ضده في قفص وقد قيل: أضيق الشجون معاشرة الأضداد أو بالتفريق بينه وبين إلفه بالفارسية [جفت].

وقيل: لأزوجنه بعجوز كما في «إنسان العيون» أو لألزمنه خدمة أقران [يا ازخدمت خودش برآنم] كما قال في «التأويلات»: لأعذبنه بالطرد عن الحضرة والإسقاط عن عيني الرضى والقبول.

وفي «الأسئلة المقحمة»: ما معنى هذا الوعيد لمن لم يكن مكلفاً بشيء؟ والجواب هذا الوعيد بعذاب تأديب وغير المكلف يؤدب كالدابة والصبي وكان يلزمه طاعته فاستحق التأديب على تركها.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن الطير في زمانه كانت في جملة التكليف ولها وللمسخرين لسليمان من الحيوان والجن والشياطين تكاليف تناسب أحوالهم ولهم فهم وإدراك وأحوال كأحوال الإنسان في قبول الأوامر والنواهي معجزة لسليمان عليه السلام. ﴿أو لأذبحنه﴾ لتعتبر به أبناء جنسه أو حتى لا يكون له نسل.

وفي «التأويلات»: أو لأذبحنه في شدة العذاب وأصل الذبح شق حلق الإنسان. ﴿أو ليأتيني﴾ أصله ليأتينني بثلاث نونات حذفت النون التي قبل ياء المتكلم ﴿بسلطان مبين﴾ بحجة تبين عذره: وبالفارسية. [يابايد بمن بحجتي روشن كه سبب غيبت أو كردد] يشير إلى أن حفظ المملكة يكون بمال السياسة وكمال العدل فلا يتجاوز عن جرم المجرمين ويقبل منهم العذر الواضح بعد البحث عنه والحلف في الحقيقة على أحد الأولين على عدم الثالث فكلمة أو بين الأولين للتخيير وفي الثالث للترديد بينه وبينهما. حكي: أنه لما أتم بناء بيت المقدس خرج للحج وأقام بالحرم ما شاء وكان يتقرب كل يوم طول مقامه بخمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين ألف شاة ثم عزم على المسير إلى اليمن فخرج من مكة صباحاً يؤم سهيلاً فوافى صنعاء اليمن وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضاً حسناء أعجبته خضرتها فنزل يصل فلم يجد الماء وكان الهدهد دليل الماء حيث يراه تحت الأرض كما يرى الماء في الزجاجة ويعرف قربه وبعده فيدل على موضعه بأن ينقره بمنقاره فيجيء الشياطين فيسلخون الأرض كما يسلخ الإهاب عن المذبوح ويستخرجون الماء فتفقده لذلك وأما أنه يوضع الفخ ويغطى بالتراب فلا يراه حتى يقع فيه فلأن القدر إذا جاء يحول دون البصر وقد كان حين نزل سليمان ارتفع الهدهد إلى الهواء لينظر إلى عرصة الدنيا فرأى هدهداً آخر اسمه عنفير واقفاً فانحط إليه أي في الهواء فوصف له ملك سليمان وما سخر له من كل شيء ووصف له صاحبه ملك بلقيس وأن تحت يدها اثني عشر ألف قائد تحت يد كل قائد مائة ألف فذهب معه لينظر فما رجع إلا بعد العصر وذلك قوله تعالى:

﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿فمكث﴾ المكث ثبات مع انتظار. ﴿غير بعيد﴾ أي: زماناً غير مديد يشير إلى أن الغيبة

وإن كانت موجبة للعذاب الشديد وهو الحرمان من سعادة الحضور ومنافعه ولكنه من أمارات السعادة سرعة الرجوع وتدارك الفائت وذكر أنه أصابه من موضع الهدهد شمس فنظر فإذا موضعه خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد علمه عنده ثم قال لسيد الطير وهو العقاب عليّ به فارتفعت فنظرت فإذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله تعالى وقال: بحق الذي قواك وأقدرك إلا رحمتني فتركته وقالت: ثكلتك أمك إن نبي الله حلف ليعذبنك قال: أو ما استثنى قالت: بلى قال: أو ليأتيني بعذر مبين فلما قرب من سليمان أرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الأرض تواضعاً له فلما دنا منه أخذ عليه السلام برأسه فمده إليه فقال: يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فارتعد سليمان [وكفته اندكه باهدهد كفت چه كويي كه پروبالت بكنم وتراباً فتاب كرم افكنم هدهد كفت دانم كه نكنى كه اين كار صياد انست نه كار پيغمبر آن سليمان كفت كلوت ببرم كفت دانم كه نكنى كه اين كار قصا بانست نه كار پيغمبران كفت ترا باناجنس در قفص كنم كفت اين هم نكنى كه اين كار نا جوانمردانست وپيغمبران ناجوا نمرد نباشند سليمان كفت أكنون توبكوي كه باتوچه كنم كفت عفو كنى ودر كذاركه عفو كار پيغمبران وكريما نست] فعفا عنه ثم سأله ﴿فقال أحطت﴾ الإحاطة العلم بالشيء من جميع جهاته ﴿بما لم تحط به﴾ أي علماً ومعرفة وحفظته من جميع جهاته وذلك لأنه كان مما لم يشاهده سليمان ولم يسمع خبره من الجن والإنس يشير إلى سعة كرم الله ورحمته بأن يختص طائراً بعلم لم يعلمه نبي مرسل وهذا لا يقدح في حال النبي والرسول بأن لا يعلم علماً غير نافع في النبوة فإن النبي عليه السلام كان يستعيذ بالله منه فيقول: «أعوذ بك من علم لا ينفع» والحاصل أن الذي أحاط به الهدهد كان من الأمور المحسوسة التي لا تعد الإحاطة بها فضيلة ولا الغفلة عنها نقيصة لعدم توقف إدراكها إلا على مجرد إحساس يستوي فيه العقلاء وغيرهم.

وفي «الأسئلة المقحمة»: هذا سوء أدب في المخاطبة فكيف واجهه بمثله وقد احتمله والجواب لأنه عقبه بفائدة والخشونة المصاحبة لفائدة قد يحتملها الأكابر انتهى. ثم أشار إلى أنه بصدد إقامة خدمة مهمة له كما قال: ﴿وجئتك من سبإ﴾ [وآمدم بتو از شهر سباكه مآرب كويند] ﴿بنبإ يقين﴾ بخبر خطير محقق لا شك فيه يشير إلى أن من شرط المخبر أن لا يخبر عن شيء إلا أن يكون متيقناً فيه سيما عند الملوك. وسبأ منصرف على أنه اسم لحي باليمن سموا باسم أبيهم الأكبر وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان قالوا: اسمه عبد الشمس لقب به لكونه أول من سبى ثم سمى مدينة مأرب بسبأ وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام وقيل: إن سبأ أول من تتوج من ملوك اليمن وكان له عشرة من البنين تيامن منهم ستة وتشاءم منهم أربعة. يعني [چهار ازايشان درشام مسكن داشتند لخم وجذام وعامله وغسان وشش دريمن كنده واشعر وازد ومذحج وإنمار] قالوا: يا رسول الله وما أنمار؟ قال: «والد خثعم وبجيلة» وقال في «المفردات»: سبأ اسم مكان تفرق أهله ولهذا يقال: ذهبوا أيادي سبأ أي تفرقوا تفرق أهل ذلك المكان من كل جانب انتهى.

قال بعضهم: إنما خفي نبأ بلقيس على سليمان مع قربه منها لأنه كان نازلاً بصنعاء وهي بمأرب وبينهما مسيرة ثلاثة أيام كما سبق آنفاً أو ثلاثة فراسخ أو ثلاثة أميال لمصلحة رآها الله تعالى كما خفي على يعقوب مكان يوسف.

كهى بر طارم أعلى نشينم كهى برپشت پاي خود نبينم

﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿**إني وجدت امرأة تملكهم**﴾ استئناف لبيان ما جاء به من النبأ وإيثار وجدت على رأيت لأنه أراه عليه السلام كونه عند غيبته بصدد خدمته بإبراز نفسه في معرف من يتفقد أحوال تلك المرأة كأنها ضالة ليعرضها على سليمان والضمير في تملكهم لسبأ على أنه اسم للحي أو لأهل المدلول عليهم بذكر مدينتهم على أنه اسم لها. يعني أنها تملك الولاية والتصرف عليهم ولم يرد به ملك الرقبة والمراد بها بلقيس بنت شرحبيل بن مالك بن ريان من نسل يعرب بن قحطان وكان أبوها ملك أرض اليمن كلها ورث الملك من أربعين أباً ولم يكن له ولد غيرها فغلبت بعده على الملك ودانت لها الأمة وكانت هي وقومها يعبدون النار وكان يقول أبوها لملوك الأطراف: ليس أحد منكم كفؤاً وأبى أن يتزوج منهم فزوجوه امرأة من الجن يقال لها: قارعة أو ريحانة بنت السكن فولدت له بلقيس وتسمى بلقة وبلقيس بالكسر كما في «القاموس»: وهذا يدل على إمكان العلوق بين الإنسي والجني وذلك فإن الجن وإن كانوا من النار لكنهم ليسوا بباقين على عنصرهم الناري كالإنس ليسوا بباقين على عنصرهم الترابي فيمكن أن يحصل الازدواج بينهما على ما حقق في «آكام المرجان» روي: أن مروان الحمار أمر بتخريب تدمر كتنصر بلد بالشام فوجدوا فيها بيتاً فيه امرأة قائمة ميتة أمسكوها بالصبر أحسن من الشمس قامتها سبعة أذرع وعنقها ذراع عندها لوح فيه أنا بلقيس صاحبة سليمان بن داود خرب الله ملك من يخرب بيتي. ﴿**وأوتيت من كل شيء**﴾ أي من الأشياء التي يحتاج إليها الملوك من الخيل والحشم والعدد والسياسة والهيبة والحشمة والمال والنعيم.

قال بعض العارفين: ما ذكر وصف جمالها وحسنها بالتصريح لأنه علم أن ذلك من سوء الأدب وفي الحديث: «إن أحسن الحسن الوجه الحسن والصوت الحسن والخلق الحسن».

قال ذو النون: من استأنس بالله استأنس بكل شيء مليح وذلك لأن حسن كل مستحسن صدر من معدن حسن الأزل وأما من لم يستأنس بالله فاستئناسه بالمليح على وجه مجازي. ﴿**ولها عرش عظيم**﴾ أي: بالنسبة إلى حالها أو إلى عروش أمثالها من الملوك والعرش في الأصل شيء مسقف ويراد به سرير كبير وكان عرش بلقيس ثمانين ذراعاً في ثمانين ذراعاً وطوله في الهواء ثمانين ذراعاً مقدمة من ذهب مفصص بالياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر ومؤخره من فضة مكلل بأنواع الجواهر له أربع قوائم قائمة من ياقوت أحمر وقائمة من ياقوت أخضر وقائمة من زبرجد وقائمة من در وصفائح السرير من ذهب وعليه سبعة أبيات لكل بيت باب مغلق وكان عليه من الفرش ما يليق به.

﴿**وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله**﴾ أي يعبدونها متجاوزين عبادة الله تعالى: ﴿**وزين لهم الشيطان أعمالهم**﴾ أي: حسن لهم أعمالهم القبيحة التي هي عبادة الشمس ونظائرها من أصناف الكفر والمعاصي. ﴿**فصدهم**﴾ منعهم بسبب ذلك. ﴿**عن السبيل**﴾ أي سبيل الحق والصواب والسبيل من الطريق ما هو معتاد السلوك. ﴿**فهم**﴾ بسبب ذلك ﴿**لا يهتدون**﴾ إليه.

﴿أن لا يسجدوا﴾ مفعول له للصد على حذف اللام منه أي فسدهم لئلا يسجدوا وهو ذم لهم على ترك السجود فلذا وجب السجود عند تمام هذه الآيات. ﴿لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض﴾ الخبأ يقال للمدخر المستور أي يظهر ما هو مخبوء ومخفي فيها كائناً ما كان كالثلج والمطر والنبات والماء ونحوها. ﴿ويعلم ما تخفون﴾ في القلوب ﴿وما تعلنون﴾ بالألسنة والجوارح وذكر ما تعلنون لتوسيع دائرة العلم للتنبيه على تساويهما بالنسبة إلى العالم الإلهي.

برو علم يك ذره پوشيده نيست   كه پنهان وپيدا بنزدش يكيست

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ (٢٦) ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ (٢٧) ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨)﴾.

﴿الله﴾ مبتدأ ﴿لا إله إلا هو﴾ الجملة خبره ﴿رب العرش العظيم﴾ خبر بعد خبر وسمي العرش عظيماً لأنه أعظم ما خلق الله من الإجرام فعظم عرش بلقيس بالنسبة إلى عروش أمثالها من الملوك وعظم عرش الله بالنسبة إلى السماء والأرض فبين العظمين تفاوت عظيم [چه نسبت است سهارا بآفتاب درخشان].

قال في «المفردات»: عرش الله تعالى مما لا يعلمه البشر إلا بالاسم على الحقيقة.

واعلم أن ما حكى الله عن الهدهد من قوله: ﴿الذي يخرج الخبء﴾ إلى ههنا ليس داخلاً تحت قوله: ﴿أحطت بما لم تحط به﴾ وإنما هو من العلوم والمعارف التي اقتبسها من سليمان أورده بياناً لما هو عليه وإظهاراً لتصلبه في الدين وكل ذلك لتوجيه قلبه عليه السلام نحو قبول كلامه وصرف عنان عزيمته إلى غزوها وسخير ولايتها، وفي الحديث: «أنهاكم عن قتل الهدهد فإنه كان دليل سليمان على قرب الماء وبعده وأحب أن يعبد الله في الأرض حيث يقول: وجئتك من سبأ بنبأ يقين إني وجدت امرأة تملكهم» الآيات قيل: إن أبا قلابة الحافظ الإمام العالم عبد الملك بن محمد الرقاش رأت أمه وهي حامل به كأنها ولدت هدهداً فقيل لها: إن صدقت رؤياك تلدين ولداً كثير الصلاة فولدت فلما كبر كان يصلي كل يوم أربعمائة ركعة وحدث من حفظه بستين ألف حديث مات سنة ست وسبعين ومائتين وهذا أي قوله: ﴿رب العرش العظيم﴾ محل سجود بالاتفاق كما في «فتح الرحمن».

وقال الكاشفي: [اين سجده هشتم است بقول إمام أعظم رحمه الله ونهم بقول إمام شافعي رحمه الله ودر فتوحات اين سجده را سجدهٔ خفى ميكويد وموضع سجود مختلف فيه است بعضي از قرائت وما تعلنون سجده ميكنند وبعضي پس از تلاوت رب العرش العظيم.

سرت بسجده در آرار هو اي حق داري   كه سجده شد سبب قرب حضرت باري

﴿قال﴾ استئناف بياني كأنه قيل: فما فعل سليمان بعد فراغ الهدهد من كلامه؟ فقيل: قال: ﴿سننظر﴾ فيما أخبرتنا من النظر بمعنى التأمل والسين للتأكيد أي لنعرف بالتجربة البتة.

وقال الكاشفي: [زود باشدكه درنكريم وتأمل كنيم درين كه] ﴿أصدقت﴾ فيما قلت ﴿أم كنت من الكاذبين﴾ وفي هذا دلالة على أن خبر الواحد وهو الحديث الذي يرويه الواحد والاثنان فصاعداً ما لم يبلغ حد الشهرة والتواتر لا يوجب العلم فيجب التوقف فيه على حد التجويز.

وفيه دليل على أن لا يطرح بل يجب أن يتعرف هل هو صدق أو كذب فإن ظهرت أمارات صدقه قبل وإلا لم يقبل.

قال بعضهم: سليمان عليه السلام [ملك ومال وجمال بلقيس بشنيد ودروي اثرنكرد وطمع در آن نيست بازچون حديث دين كردكه ﴿**وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله**﴾ متغير كشت وازمهر دين إسلام درخشم شد كفت كاغذ ودوات بياريد تانامهء نويسم واورا بدين إسلام دعوت كنم].

فكتب أي في المجلس أو بعده كتاباً إلى بلقيس فقال فيه: «من عبد الله سليمان بن داود إلى ملكة سبأ بلقيس بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا عليّ وائتوني مسلمين» ثم طبعه بالمسك وختمه بخاتمه المنقوش على فصه اسم الله الأعظم ودفعه إلى الهدهد فأخذه بمنقاره أو علقه بخيط وجعل الخيط في عنقه وقال:

﴿**اذهب بكتابي هذا**﴾ [ببراين نوشتهء مرا] فتكون الباء للتعدية وتخصيصه بالرسالة دون سائر ما تحت ملكه من أبناء الجن الأقوياء على التصرف والتعرف لما عاين فيه من علامات العلم والحكمة وصحة الفراسة ولئلا يبقى لها عذر.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أنه لما صدق فيما أخبر وبذل النصح لملكه وراعى جانب الحق عوض عليه حتى أهل لرسالة رسول الحق على ضعف صورته ومعناه. ﴿**فألقه إليهم**﴾ أي: اطرحه على بلقيس وقومها لأنه ذكرهم معها في قوله: وجدتها وقومها.

وفي «الإرشاد»: وجمع الضمير لما أن مضمون الكتاب الكريم دعوة الكل إلى الإسلام. قوله: ألقه بسكون الهاء تخفيفاً لغة صحيحة أو على نية الوقف، يعني أن أصله ألقه بكسر القاف والهاء على أنه ضمير مفعول راجع إلى الكتاب فجزم لما ذكر. ﴿**ثم تول عنهم**﴾ أي أعرض عنهم بترك وليهم وقربهم وتبعد إلى مكان تتوارى فيه وتسمع ما يجيبونه ﴿**فانظر**﴾ تأمل وتعرف ﴿**ماذا يرجعون**﴾ أي ماذا يرجع بعضهم إلى بعض من القول: [وسخن را برچه قرار ميدهند].

قال ابن الشيخ: ماذا اسم واحد استفهام منصوب بيرجعون أو مبتدأ وذا بمعنى الذي ويرجعون صلتها والعائد محذوف أي أي شيء الذي يرجعونه. روي: أن الهدهد أخذ الكتاب وأتى بلقيس فوجدها راقدة في قصرها بمأرب وكانت إذا رقدت غلقت الأبواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها فدخل من كوة وألقى الكتاب على نحرها وهي مستلقية وتأخر يسيراً فانتبهت فزعة وكانت قارئة كاتبة عربية من نسل تبع الحميري فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لأن ملك سليمان كان في خاتمه وعرفت أن الذي أرسل الكتاب أعظم ملكاً منها لطاعة الطير إياه وهيئة الخاتم فعند ذلك.

﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿**قالت**﴾ لأشراف قومها وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر أو اثنا عشر ألفاً ﴿**يا أيها الملأ**﴾ [أي كروه اشراف].

والملأ عظماء القوم الذين يملؤون العيون مهابة والقلوب جلالة جمعه أملاء كنبأ وأنباء ﴿**إني ألقي إليّ كتاب كريم**﴾ مكرم على معظم لدي لكونه مختوماً بخاتم عجيب وأصلاً على

نهج غير معتاد كما قال في «الأسئلة المقحمة»: معجزة سليمان كانت في خاتمه فختم الكتاب بالخاتم الذي فيه ملكه فأوقع الرعب في قلبها حتى شهدت بكرم كتابه إظهاراً لمعجزته انتهى.

ويدل على أن الكريم هنا بمعنى المختوم قوله عليه السلام: «كرم الكتاب ختمه» وعن ابن عباس بزيادة وهو قوله تعالى: ﴿إني ألقي إلي كتاب كريم﴾ كما في «المقاصد الحسنة» للسخاوي. وكان عليه السلام «يكتب إلى العجم فقيل: إنهم لا يقبلون إلا كتاباً عليه خاتم فاتخذ لنفسه خاتماً من فضة ونقش فيه محمد رسول الله وجعله في خنصر يده اليسرى» على ما رواه أنس رضي الله عنه. ويقال: كل كتاب لا يكون مختوماً فهو مغلوب.

وفي «تفسير الجلالين»: كريم أي حسن ما فيه انتهى كما قال ابن الشيخ في أوائل سورة الشعراء: كتاب كريم أي مرضي في لفظه ومعانيه أو كريم شريف لأنه صدر بالبسملة كما قال بعضهم: [چون مضمون نامه نام خداوند بوده پس آن نامه بزر كترين وشريفترين همه نامها باشد].

أي نام توبهترين سر آغاز بي نام تونامه چون كنم باز
آرايش نامها ست نامت آسايش سينها كلامت

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن الكتاب لما كان سبباً لهدايتها وحصول إيمانها سمته كريماً لأنها بكرامته اهتدت إلى حضرة الكريم.

قال بعضهم: لاحترامها الكتاب رزقت الهداية حتى آمنت كالسحرة لما قدموا في قولهم: يا موسى إما أن تلقي وراعوا الأدب رزقوا الإيمان ولما مزق كسرى كتاب رسول الله ﷺ مزق الله ملكه وجازاه على كفره وعناده.

﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿إنه من سليمان﴾ كأنه قيل: ممن هو وماذا مضمونه؟ فقالت: إنه من سليمان ﴿وإنه﴾ أي مضمونه أو المكتوب فيه﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ الباء بقاؤه والسين سناؤه والميم ملكه والألف أحديته واللامان جماله وجلاله والهاء هويته والرحمان إشارة إلى رحمته لأهل العموم في الدنيا والآخرة والرحيم إشارة إلى رحمته لأهل الخصوص في الآخرة.

قال بعض الكبار: إنها بسملة براءة في الحقيقة ولكن لما وقع التبري من أهلها أعطيت للبهائم التي آمنت بسليمان واكتفى في أول السورة بالباء إذ كل شيء في الوجود الكوني لا يخلو من رحمة الله عامة أو خاصة وهذه البسملة ليست بآية تامة مثل: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ [هود: ٤١] بخلاف ما وقع في أوائل السور فإنها آية منفردة نزلت مائة وأربع عشرة مرة عدد السور [هرحر في ازين آيت ظرفى است شراب رحيق را وهر كلمتي صدفي است درهٔ تحقيق را هر نقطهٔ زوكوكبي است آسمان هدايترا ونجم رجمي است مر أصحاب غوايت را]: قال المولى الجامي في حق البسملة:

نوزده حرفست كه هژده هزار عالم ازو يافته فيض عميم

﴿أن﴾ مفسرة أي: ﴿لا تعلوا عليّ﴾ لا تتكبروا كما يفعل جبابرة الملوك. وبالفارسية: [بر من بزركى مكنيد] ﴿وائتوني مسلمين﴾ حال كونكم مؤمنين فإن الإيمان لا يستلزم الإسلام والانقياد دون العكس.

قال قتادة: وكذلك كانت الأنبياء عليهم السلام تكتب جملاً لا تطيل يعني أن هذا القدر الذي ذكره الله تعالى كان كتاب سليمان وليس الأمر فيه بالإسلام قبل إقامة الحجة على رسالته حتى يتوهم كونه استدعاء للتقليد فإن إلقاء الكتاب إليها على تلك الحالة معجزة باهرة دالة على رسالة مرسلها دلالة بينة.

يقول الفقير: يكفي في هذا الباب حصول العلم الضروري بصدق الرسول وإلا فهي لا تستبعد كون الإلقاء المذكور بتصرف من الجن وقد كان الجن يظهرون لها بعض الخوارق ومنها صنعة العرش العظيم لها لأن أمها كانت جنية فاعرف.

﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿قالت﴾ كررت حكاية قولها للإيذان بغاية اعتنائها بما في حيزه من قولها: **﴿يا أيها الملأ أفتوني في أمري﴾** أجيبوني في الذي ذكرت لكم واذكروا ما تستصوبون فيه. وبالفارسي: [فتوى دهيد مرا دركار من وآنچه صلاح وصواب باشد با من بكوييده] وعبرت عن الجواب بالفتوى الذي هو الجواب في الحوادث المشكلة غالباً إشعاراً بأنهم قادرون على حل المشكلات النازلة.

قال بعضهم: الفتوى من الفتى وهو الشاب القوي وسميت الفتوى لأن المفتي أي المجيب الحاكم بما هو صواب يقوي السائل في جواب الحادثة. **﴿ما كنت قاطعة أمراً﴾** فاصلة ومنفذة أمراً من الأمور. **﴿حتى تشهدون﴾** تحضروني، أي لا أقطع أمراً إلا بمحضركم وبموجب آرائكم. وبالفارسية: [تا شما نزد من حاضر كرديد يعني بي حضور ومشورت شما كاري نميكنيم] وهو استمالة لقلوبهم لئلا يخالفوها في الرأي والتدبير.

وفيه إشارة إلى أن المرء لا ينبغي أن يكون مستبداً برأيه ويكون مشاوراً في جميع ما سنح له من الأمور لا سيما الملوك يجب أن يكون لهم قوم من أهل الرأي والبصيرة فلا يقطعون أمراً إلا بمشاورتهم:

مشورت رهبر صواب آمد   درهمه كار مشورت بايد
كار آنكس كه مشورت نكند   غايتش غالباً خطا آيد

﴿قالوا﴾ كأنه قيل: فماذا قالوا في جوابها؟ فقيل: قالوا: **﴿نحن أولو قوة﴾** ذوو قوة في الآلات والأجساد والعدد. **﴿وأولو بأس شديد﴾** أي نجدة وشجاعة في الحرب وهذا تعريض منهم بالقتال إن أمرتهم بذلك. **﴿والأمر﴾** مفوض **﴿إليك فانظري﴾** [پس درنكر وببين] **﴿ماذا تأمرين﴾** تشيرين علينا.

قال الكاشفي: [تاچه ميفرمايي از مقاتله ومصالحه].

اكر جنك خواهي بنزد آوريم   دل دشمنانرا بدرد آوريم
وكر صلح جويي ترا بنده ايم   بتسليم حكمت سرافكنده ايم

وفيه إشارة إلى أن شرط أهلي المشاورة أن لا يحكموا على الرئيس المستشير بشيء بل يخبرونه فيما أراد من الرأي الصائب فلعله أعلم بصلاح حاله منهم:

خلاف رأي سلطان رأي جستن   بخون خويش باشد دست شستن

فلما أحست بلقيس منهم الميل إلى الحرب والعدول عن سنن الصواب بادعائهم القوي الذاتية والعرضية شرعت في تزييف مقالتهم المنبئة عن الغفلة عن شأن سليمان.

قال الكاشفي: [بلقيس كفت مارا مصلحت جنك نيست چه كارحرب در روى دارد اكر إيشان غالب آيند ديار وأموال ما عرضهٔ تلف شود] كما قال تعالى:

﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية﴾ من القرى ومدينة من المدن على منهاج المقاتلة والحرب. ﴿أفسدوها﴾ بتخريب عمارتها وإتلاف ما فيها من الأموال ﴿وجعلوا أعزة أهلها﴾ جمع عزيز بمعنى القاهر الغالب والشريف العظيم من العزة وهي حالة مانعة للإنسان من أن يغلب. ﴿أذلة﴾ جمع ذليل. وبالفارسية [خوار وبيمقدار] أي بالقتل والأسر والإجلاء وغير ذلك من فنون الإهانة والإذلال. ﴿وكذلك يفعلون﴾ [وهمچنين ميكنند] وهو تأكيد لما قبله وتقرير بأن ذلك من عادتهم المستمرة فيكون من تمام كلام بلقيس ويجوز أن يكون تصديقاً لها من جهة الله تعالى أي وكما قالت هي تفعل الملوك.

وفيه إشارة إلى أن العاقل مهما تيسر له دفع الخصوم بطريق صالح لا يوقع نفسه في خطر الهلاك بالمحاربة والمقاتلة بالاختيار إلا أن يكون مضطراً.

قال بعضهم: من السؤدد الصلح وترك الإفراط في الغيرة.

وفيه إشارة أخرى وهي أن ملوك الصفات الربانية إذا دخلوا قرية الشخص الإنساني بالتجلي أفسدوها بإفساد الطبيعة الإنسانية الحيوانية. ﴿وجعلوا أعزة أهلها﴾ وهم النفس الأمارة وصفاتها. ﴿أذلة﴾ لذلوليتهم بسطوات التجلي. ﴿وكذلك يفعلون﴾ مع الأنبياء والأولياء لأنهم خلقوا لمرآتية هذه الصفات إظهاراً للكنز المخفي فيكون قوله: إن الملوك الخ نعت العارف كما قال أبو يزيد البسطامي قدس سره.

وقال جعفر الصادق رضي الله عنه: أشار إلى قلوب المؤمنين فإن المعرفة إذا دخلت القلوب زال عنها الأماني والمرادات أجمع فلا يكون القلب محل غير الله.

وقال ابن عطاء رحمه الله: إذا ظهر سلطان الحق وتعظيمه في القلب تلاشى الغفلات واستولت عليه الهيبة والإجلال ولا يبقى فيه تعظيم شيء سوى الحق فلا تشتغل جوارحه إلا بطاعته ولسانه إلا بذكره وقلبه إلا بالإقبال عليه.

قال بعضهم: من قوبل باسمه الملك رأى نفسه في قبضته فسلم له في مملكته وقام بحق حرمته على بساط خدمته.

وفي «الفتوحات المكية»: للملك أن يعفو عن كل شيء إلا عن ثلاثة أشياء وهي التعرض للحرم وإفشاء سره والقدح في الملك نسأل الله حسن الأدب في طريق الطلب.

﴿وإني مرسلة إليهم﴾ إلى سليمان وقومه رسلاً ﴿بهدية﴾ عظيمة وهي اسم للشيء المهدي بملاطفة ورفق.

قال في «المفردات»: الهدية مختصة باللطف الذي يهدى بعضنا إلى بعض ﴿فناظرة﴾ .

قال في «كشف الأسرار»: الناظر ههنا بمعنى المنتظر.

وقال الكاشفي: [پس نكرنده أم كه از آنجا] ﴿بم﴾ أصله بما على أنه استفهام أي بأي شيء ﴿يرجع المرسلون﴾ بالجواب من عنده حتى أعمل بما يقتضيه الحال. روي: إنها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن كالأساور والأطواق والقرطة مخضبي الأيدي راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زيّ الغلمان وألف لبنة من ذهب وفضة وفي «المثنوي»:

هديهٔ بلقيس چهل اشتر بدست بار آنها جمله خشت زر بدست

وتاجاً مكللاً بالدر والياقوت المرتفع قيمة والمسك والعنبر وحقة فيها درة ثمينة عذراء أي غير مثقوبة وخرزة جزعية معوجة الثقب وكتبت كتاباً فيه نسخة الهدايا وبعثت بالهدية رجلاً بالأشراف قومها يقال له: المنذر بن عمرو وضمت إليه رجالاً من قومها ذوي رأي وعقل وقالت: إن كان نبياً ميز بين الغلمان والجواري وأخبر بما في الحقة قبل فتحها وثقب الدرة ثقباً مستوياً وسلك في الخرزة خيطاً ثم قالت للمنذر: إن نظر إليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك منظره وإن رأيته هشاً لطيفاً فهو نبي فأقبل الهدهد نحو سليمان مسرعاً فأخبره الخبر فأمر سليمان الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوها في ميدان بين يديه طوله ستة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطاً شرفاته من الذهب والفضة [يعني كرد ميدان ديوار بر آوردند وبر سر ديوار شرف زرين وسيمين بستند] وأمر بأحسن الدواب التي في البر والبحر.

قال في «كشف الأسرار»: [چهار پايان بحري بنقش پلنك از رنكهاي مختلف آوردند] فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير فأقيموا على اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه. يعني [چهار هزار كرسيء زر ازراست وي وچهارهزار ازچب وي نهاده] واصطفت الشياطين صفوفاً فراسخ والإنس صفوفاً والوحش والسباع والهوام كذلك [ومرغان در روى هوا پرده بافتند باصد هزار ديده فلك درهزار قرن مجلس بدان تكلف وخوبى نديده بود] فلما دنا رسل بلقيس نظروا وبهتوا ورأوا الدواب تروث على اللبن. وفي «المثنوي»:

چون بصحراي سليماني رسيد فرش آنرا جمله زر بچته ديد
بارها كفتند زررا وابريم سوى مخزن ما بچه كار اندريم
عرصهٔ كش خاك زر ده دهيست زر بهديه بردن آنجا ابلهيست

فكان حالهم كحال أعرابي أهدى إلى خليفة بغداد جرة ماء فلما رأى دجلة خجل وصبه:

باز كفتند اركساد وارروا چيست برما بندهٔ فرمانيم ما
كر زر وكرخاك مارا بردنيست أمر فرمانده بجا آوردنيست
كر بفرمايندكه كين واپس بريد هم بفرمان تحفه را باز آوريد

وجعلوا يمرون بكراديس الجن والشياطين فيفزعون وكانت الشياطين يقولون: جوزوا ولا تخافوا فلما وقفوا بين يدي سليمان نظر إليهم بوجه حسن طلق وقال: ما وراءكم: يعني [چه داريد وبچه آمديد] فأخبر المنذر الخبر وأعطى كتاب بلقيس فنظر فيه فقال أين الحقة؟ فجيء بها فقال: إن فيها درة ثمينة غير مثقوبة وخرزة جزعية معوجة الثقب وذلك بإخبار جبريل عليه السلام ويحتمل أن يكون بإخبار الهدهد على ما يدل عليه سوق القصة [سليمان جن وإنس را حاضر كرد وعلم ثقب وسلك نزديك إيشان نبود شياطين را حاضر كرد واز إيشان پرسيد كفتند]

ترسل إلى الأرضة فجاءت الأرضة فأخذت شعرة في فيها فدخلت في الدرة وثقبتها حتى خرجت من الجانب الآخر فقال سليمان: ما حاجتك؟ فقالت: تصير رزقي في الشجر قال: لك ذلك ثم قال: من لهذه الخرزة يسلكها الخيط؟ فقالت دودة بيضاء: أنا لها يا أمين الله فأخذت الخيط في فيها ونفذت في الخرزة حتى خرجت من الجانب الآخر فقال سليمان: ما حاجتك؟ قالت: تجعل رزقي في الفواكه قال: لك ذلك أي جعل رزقها فيها فجمع سليمان بين طرفي الخيط وختمه ودفعها إليهم.

قال الكاشفي: [سليمان آب طلبيد غلمان وجواري را فرمودكه از غبارراه روى بشوييد] يعني ميز بين الجواري والغلمان بأن أمرهم بغسل وجوههم وأيديهم فكانت الجارية تأخذ الماء بإحدى يديها فتجعله في الأخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كان يأخذه من الآنية ويضرب به وجهه ثم رد الهدية وقد كانت بلقيس قالت: إن كان ملكاً أخذ الهدية وانصرف وإن كان نبياً لم يأخذها ولم نأمنه على بلادنا وذلك قوله تعالى.

﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿فلما جاء﴾ أي: الرسول المبعوث من قبل بلقيس ﴿سليمان﴾ بالهدية ﴿قال﴾ أي مخاطباً للرسول والمرسل تغليباً للحاضر على الغائب أي قال بعد ما جرى بينه وبينهم من قصة الحقة وغيرها لا أنه خاطبهم به أول ما جاؤوه كما يفهم من ظاهر العبارة ﴿أتمدونن﴾ أصله أتمودنني فحذفت الياء اكتفاء بالكسرة الدالة عليها والهمزة الاستفهامية للإنكار. والإمداد [مدد كردن] ويعدى إلى المفعول الثاني بالباء. والمعنى بالفارسية [آيا مدد ميدهيد مرا وزيادتي] ﴿بمال﴾ حقير وسمي مالاً لكونه مائلاً أبداً ونائلاً ولذلك يسمى عرضاً وعلى هذا دل من قال: المال قحبة يكون يوماً في بيت عطار ويوماً يكون في بيت بيطار كما في «المفردات»: ثم علل هذا الإنكار بقوله: ﴿فما﴾ موصولة ﴿آتاني الله﴾ مما رأيتم آثاره من النبوة والملك الذي لا غاية وراءه ﴿خير مما آتاكم﴾ من المال ومتاع الدنيا فلا حاجة إلى هديتكم ولا وقع لها عندي.

آنكه پرواز كندجانب علوي چوهماي دنيي اندر نطر همت أو مردارست

وفي «المثنوي»:

من سليمان مي نخواهم ملكتان بلكه من برهانم ازهر هلكتان
از شماكي كديهٔ زر ميكنيم ماشمارا كيميا كر ميكنيم
ترك اين كيريد كر ملك سباست كه برون از آب وكل بس ملكهاست
تخته بنداست آنكه تختش خواندهٔ صدر پنداري وبر درماندهٔ

قال جعفر الصادق: الدنيا أصغر قدراً عند الله وعند أنبيائه وأوليائه من أن يفرحوا بشيء منها أو يحزنوا عليه فلا ينبغي لعالم ولا لعاقل أن يفرح بعرض الدنيا.

مال دنيا دام مرغان ضعيف ملك عقبى دام مرغان شريف

﴿بل أنتم بهديتكم تفرحون﴾ المضاف إليه المهدى إليه. والمعنى بل أنتم بما يهدى إليكم تفرحون حباً لزيادة المال لما إنكم لا تعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا هذا هو المعنى المناسب لما سرد من القصة.

وفي «الإرشاد»: إضراب عما ذكر من إنكار الإمداد بالمال إلى التوبيخ بفرحهم بهديتهم

التي أهدوها إليه افتخاراً وامتناناً واعتداداً بها كما ينبيء عنه ما ذكر من حديث الحقة والجزعة وتغيير زي الغلمان والجواري وغير ذلك انتهى.

يقول الفقير: فيه إنهم لما رأوا ما أنعم الله به على سليمان من الملك الكبير استقلوا بما عندهم حتى هموا بطرح اللبنات إلا أنه منعتهم الأمانة من ذلك فكيف امتنوا على سليمان بهديتهم وافتخروا على أن حديث الحقة ونحوه إنما كان على وجه الامتحان لا بطريق الهدية كما عرف.

وفي «التأويلات»: يشير إلى أن الهدية موجبة لاستمالة القلوب ولكن أهل الدين لما عارضهم أمر ديني في مقابلة منافع كثيرة دنيوية رجحوا طرف الدين على طرف المنافع الكثيرة الدنيوية واستقلوا كثرتها لأنها فانية واستكثروا قليلاً من أمور الدين لأنها باقية كما فعل سليمان لما جاءه الرسول بالهدية استقل كثرتها وقال: فما آتاني الله من كمالات الدين والقربات والدرجات الأخروية خير مما آتاكم من الدنيا وزخارفها بل أنتم أي أمثالكم من أهل الدنيا بمثل هديتكم الدنيوية الفانية تفرحون لخسة نفوسكم وجهلكم عن السعادات الأخروية الباقية.

﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿ارجع﴾ أيها الرسول أفرد الضمير ههنا بعد جمع الضمائر الخمسة فيما سبق لأن الرجوع مختص بالرسول والأمداد ونحوه عام. **﴿إليهم﴾** إلى بلقيس وقومها بهديتهم ليعلموا أن أهل الدين لا ينخدعون بحطام الدنيا وإنما يريدون الإسلام فليأتوا مسلمين مؤمنين وإلا **﴿فلنأتينهم بجنود﴾** من الجن والإنس والتأييد الإلهي. **﴿لا قبل لهم بها﴾** لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة لهم على مقابلتها.

قال في «المختار»: رآه قبلاً بفتحتين وقبلاً بضمتين وقبلاً بكسر بعده فتح أي مقابلة وعياناً قال تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا﴾ [الكهف: ٥٥] ولي قبل فلان حق أي عنده ومالي به قبل أي طاقة انتهى والذي يفهم من «المفردات» أنه في الأصل بمعنى عند ثم يستعار للقوة والقدرة على المقابلة أي المجازاة فيقال: لا قبل لي بكذا، أي لا يمكنني أن أقابله ولا قبل لهم بها لا طاقة لهم على دفاعها. **﴿ولنخرجنهم﴾** عطف على جواب القسم. **﴿منها﴾** من سبأ ومن أرضها حال كونهم **﴿أذلة﴾** [درحالتي كه بي حرمت وبي عزت باشند] بعد ما كانوا من أهل العز والتمكين وفي جمع القلة تأكيد لذلتهم والذل ذهاب العز والملك. **﴿وهم صاغرون﴾** أي: أسارى مهانون حال أخرى مفيدة لكون إخراجهم بطريق الإجلاء يقال: صغر صغراً بالكسر في ضد الكبر وصغاراً بالفتح في الذلة والصاغر الراضي بالمنزلة الدنيئة وكل من هذه الذلة والصغار مبني على الإنكار والإصرار كما أن كلاً من العز والشرف مبني على التصديق والإقرار ولما كان الإعلام مقدماً على الجزاء أمر سليمان برجوع الرسول لأجل الأداء. وفي «المثنوي».

باز كرديد أي رسولان خجل ... زر شمارا دل بمن آريد دل

كه نظركاه خداوندست آن ... كز نظر انداز خورشيدست كان

كو نظركاه شعاع آفتاب ... كو نظركاه خداوند لباب

أي رسولان ميفرستمتان رسول ... رد من بهتر شمارا از قبول

پيش بلقيس آنچه ديديد از عجب ... باز كوييد از بيابان ذهب

تابدانـدكـه بـزر طـامـع نـه ايـم — مـازر از زر آفـريـن آورده ايـم
هـين بـيا بـلـقـيس ورنـه بـد شـود — لـشكـرت خـصـمـت شـود مـرتـد شـود
پـرده دارت پـرده ات را بـركـنـد — جـان تـوبـاتـو بـجـان خـصـمـي كـنـد
مـلـك بـرهـم زن تـوادهـم وارزود — تـابـيـابـي هـمـچـو أو مـلـك خـلـود
هـين بـيـاكـه مـن رسـولـم دعـوتـي — چون أجل شهوت كشم من شهوتي
وربـود شـهـوت أمـيـر شـهـوتـم — نـي أسـيـر شـهـوت وروى بـتـم
بـت شـكـن بـودسـت أصـل أصـل مـا — چـون خـلـيـل حـق وجـمـلـه انـبـيـا
خـيـز بـلـقـيـسـا بـيـا ومـلـك بـيـن — بـرلـب دريـاي يـزدان در بـچـيـن
خـواهـر انـت سـاكـن چـرخ سـنـي — تـوبـمـرداري چـه سـلـطـانـي كـنـي
خـواهـر انـت راز بـخـشـشـهـاي داد — هـيـچ مـيـدانـي كـه آن سـلـطـان چـه داد
تـوز شـادي چـون كـرنـتـي طـبـل زن — كـه مـنـم شـاه ورئـيـس كـولـخـن
آن سـك دركـوكـدايـي كـور ديـد — حـمـلـه مـي آورد ودلـقـش مـيـدريـد
كـور كـفـتـش آخـرآن يـاران تـو — بـركـه انـد ايـن دم شـكـاري صـيـدجـو
قـوم تـو در كـوه مـيـكـيـرنـد كـور — درمـيـان كـوى مـيـكـيـري تـوكـور
تـرك ايـن تـزويـر كـو شـيـخ نـفـور — آب شـوري جـمـع كـرده چـنـد كـور
كـايـن مـريـدان مـن ومـن آب شـور — مـي خـورنـد از مـن هـمـي كـردنـد كـور
آب خـود شـيـريـن كـن از بـحـر لـدن — آب بـدرا دام ايـن كـوران مـكـن
خـيـز شـيـران خـدا بـيـن كـور كـيـر — تـوچـوسـك چـوني بـزرقـى كـوركـيـر

فعلى العاقل أن لا يقنع بيسير من القال والحال بل يتضرع إلى الله الملك المتعال في أن يوصله إلى المقامات العالية والدرجات العلى إنه الكريم المولى يروي لما رجع رسلها إليها بخبر سليمان قالت: والله قد علمت أنه ليس بملك ولا لنا به من طاقة وبعثت إلى سليمان: إني قادمة إليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما تدعو إليه من دينك [وتخت خودرا درخانهٔ مضبوط ساخت ونكهبانان بروكماشت درخانهٔ قفل كرد ومفتاح را برداشت وبالشكر متوجه بايهٔ سرير سليمان شد] وكان لها اثنا عشر ألف ملك كبير يقال له: القيل ـ بفتح القاف ـ تحت كل ملك ألوف كثيرة وكان سليمان رجلاً مهيباً لا يبدأ بشيء حتى يسأل عنه فجلس يوماً على سريره فرأى جمعاً جماً على فرسخ عنه فقال: ما هذا؟ فقالوا: بلقيس بملوكها وجنودها فأقبل سليمان حينئذ على أشراف قومه وقال أو لما علم بمسيرها إليه.

﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿قال يا أيها الملأ﴾ [أي اشراف قوم من] **﴿أيكم يأتيني بعرشها﴾** [كدام شما مي آرد تخت بلقيس را] **﴿قبل أن يأتوني﴾** حال كونهم **﴿مسلمين﴾** لأنه قد أوحي إلى سليمان أنها تسلم لكن أراد أن يريها بعض ما خصه الله تعالى به من العجائب الدالة على عظم القدرة وصدقه في دعوى النبوة فاستدعى إتيان سريرها الموصى بالحفظ قبل قدومها. وفي «المثنوي»:

چونكه بـلـقـيس ازدل وجـان عـزم كـرم — بـر زمـان رفـتـه هـم افـسـوس خـورد
تـرك مـال ومـلـك كـرد أو آنـچـنـان — كـه بـتـرك نـام ونـنـك آن عـاشـقـان

هيچ مال وهيچ مخزن هيچ رخت ميدريغش نامه الاجزكه تحت
پس سليمان ازدلش آكاه شد كز دل أو تادل أو راه شد
ديد از دورش كه آن تسليم كيش تلخش آمد فرقت آن تخت خويش
از بزركي تخت كز حد مي فزود نقل كردن تخت را إمكان نبود
خرده كاري بود وتفريقش خطر همچو أوصال بدن بايكديكر
پس سليمان كفت كرچه في الأخير سرد خواهد شد برو تاج وسرير
ليك خود يا اين همه بر نقد حال چست بايد تخت أورا انتقال
تانكردد خسته هنكام لقا كودكانه حاجتش كردد روا

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى سليمان عليه السلام كان واقفاً على أن في أمته من هو أهل الكرامة فأراد أن يظهر كرامته ليعلم أن في أمم الأنبياء من يكون أهل الكرامات فلا ينكر مؤمن كرامات الأولياء كما أنكرت المعتزلة فإن أدنى مفسدة الإنكار حرمان المنكر من درجة الكرامة كحرمان أهل البدع والأهواء منها ولا يظنن جاهل أن سليمان لم يكن قادراً على الإتيان بعرشها ولم يكن له ولاية هذه الكرامات فإنه أمرهم بذلك لإظهار أهل الكرامات من أمته ولأن كرامات الأولياء من جملة معجزات الأنبياء فإنها دالة على صدق نبوتهم وحقيقة دينهم أيضاً انتهى.

قال الشيخ داود القيصري رحمه الله: خوارق العادات قلما تصدر من الأقطاب والخلفاء بل من وزرائهم وخلفائهم لقيامهم بالعبودية التامة واتصافهم بالفقر الكلي فلا يتصرفون لأنفسهم في شيء ومن جملة كمالات الأقطاب ومنن الله عليهم أن لا يبتليهم بصحبة الجلاء بل يرزقهم صحبة العلماء والأمناء يحملون عنهم أثقالهم وينفذون أحكامهم وأقوالهم كآصف وسليمان.

وقال بعض العارفين لا يلزم لمن كان كامل زمانه أن يكون له التقدم في كل شيء وفي كل مرتبة كما أشار إليه عليه السلام بقوله في قصة تأبير النخل «أنتم أعلم بأمور دنياكم» فذلك لا يقدح في مقام الكامل لأن التفرد بكل كمال لحضرة الألوهية والربوبية وما سواه وسيم بالعجز والنقص ولكل أحد اختصاص من وجه في الكمال الخاص كموسى والخضر عليهما السلام وإن كان الكليم أفضل زمانه كسليمان عليه السلام فانظر سر الاختصاص في قوله: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ [الأنبياء: ٧٩] مع الخليفة أبيه داود حين اختلف رجل وامرأة في ولد لهما أسود فقالت المرأة: هو ابن هذا الرجل وأنكر الرجل فقال سليمان: هل جامعتها في حال الحيض؟ فقال: نعم قال: هو لك وإنما سود الله وجهه عقوبة لكما فهذا من باب الاختصاص.

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

﴿قال عفريت﴾ مارد خبيث **﴿من الجن﴾** بيان له إذ يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر وأقرانه: عفريت.

وفي «المفردات»: العفريت من الجن هو الفاره الخبيث ويستعار ذلك للإنسان استعارة الشيطان له انتهى مأخوذ من العفر محركة ويسكن وهو ظاهر التراب فكأنه يصرع قرنه عليه

ويمرغه فيه وأصله عفر زيدت فيه التاء مبالغة كما في «الكواشي» وكان اسم ذلك العفريت ذكوان.

وفي «فتح الرحمن»: كوذي أو اصطخر سيد الجن وكان قبل ذلك متمرداً على سليمان واصطخر فارس تنسب إليه وكان الجني كالجبل العظيم يضع قدمه عند منتهى طرفه ﴿**أنا آتيك به**﴾ أي بعرشها ﴿**قبل أن تقوم من مقامك**﴾ أي من مجلسك للحكومة وكان يجلس إلى نصف النهار وآتيك إما صيغة مضارع. فالمعنى بالفارسية [من بيارم آنرا بتو] أو فاعل. والمعنى [من آرنده أم آنرا بتو] وهو الأنسب لمقام إدعاء الإتيان لا محالة وأوفق بما عطف عليه من الجملة الاسمية أي أنا آت به في تلك المدة ألبتة. ﴿**وإني عليه**﴾ أي: على الإتيان. ﴿**لقوي**﴾ لا يثقل عليّ حمله ﴿**أمين**﴾ على ما فيه من الجواهر والنفائس ولا أبدله بغيره.

﴿**قال**﴾ حين قال سليمان: أريد أسرع من هذا يعني [زودترا زين خواهم] ﴿**الذي عنده علم من الكتاب**﴾ وهو آصف بن برخيا بن خالة سليمان وزيره وكاتبه ومؤدبه في حال صغيره وكان رجلاً صديقاً يقرأ الكتب الإلهية ويعلم الاسم الأعظم الذي إذا دعا الله به أجاب وقد خلقه الله لنصرة سليمان ونفاذ أمره فالمراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة على موسى وإبراهيم وغيرهما أو اللوح وأسراره المكتومة.

وقال المعتزلة: المراد به جبرائيل وذلك لأنهم لا يرون كرامة الأولياء. ﴿**أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك**﴾ الارتداد الرجوع والطرف تحريك الأجفان وفتحها للنظر إلى شيء والارتاد انضمامها ولكونه أمراً طبيعياً غير منوط بالتحريك أوثر الارتداد على الرد ويعبر بالطرف عن النظر إذا كان تحريك الجفن يلازمه النظر وهذا غاية في الإسراع ومثل فيه لأنه ليس بين تحريك الأجفان مدة ما.

قال الكاشفي: [سليمان دستوري داود او بسجده درافتاد وكفت يا حي يا قيوم كه بعيري آهيا شراهيا باشد وبقول بعضي يا ذا الجلال والإكرام وبرهر تقدير چون دعا كرد تخت بلقيس در موضع خود بزمين فرورفته وطرفة العيني را پيش تخت سليمان از زمين برآمد].

وقال أهل المعاني: لا ينكر من قدرة الله أن يعدمه من حيث كان ثم يوجده حيث كان سليمان بلا نقل بدعاء الذي عنده علم من الكتاب ويكون ذلك كرامة للولي ومعجزة للنبي انتهى.

يقول الفقير: هذه مسألة الإيجاز والإعدام وإليها الإشارة بقوله عليه السلام: «الدنيا ساعة وقل من يفهمها» لأنها خارجة عن طور العقل وفي «المثنوي»:

پس ترا هر لحظة موت ورجعتيست ... مصطفى فرمود دنيا ساعتيست
هرنفس نومي شود دنيا وما ... بي خبر از نوشدن اندر بقا
عمر همچون جوي نونو مي رسد ... مستمري مي نمايد در جسد
آن زتيزي مستمر شكل آمدست ... چون شرركش تيزجنباني بدست
شاخ آتش را بجنباني بساز ... در نظر آتش نمايد پس دراز
اين درازي مدت از تيزئ صنع ... مي نمايد سرعت انكيزئ صنع

﴿**فلما رآه**﴾ أي: فأتاه بالعرش فرأه فلما رأه. ﴿**مستقراً عنده**﴾ حاضراً لديه ثابتاً بين يديه في قدر ارتداد الطرف من غير خلل فيه ناشىء من النقل. ﴿**قال**﴾ سليمان تلقياً للنعمة بالشكر.

﴿هذا﴾ أي حصول مرادي وهو حضور العرش في هذه المدة القصيرة. ﴿من فضل ربي﴾ عليّ وإحسانه من غير استحقاق مني. ﴿ليبلوني﴾ ليختبرني. وبالفارسية [بيازمايد مرابياين].

وفي «المفردات»: يقال: بلي الثوب بلى خلق وبلوته اختبرته كأني أخلقته من كثرة اختباري له وإذا قيل: ابتلي فلان بكذا وبلاه يتضمن أمرين أحدهما تعرف حاله والوقوف على ما يجهل من أمره والثاني ظهور جودته ورداءته وربما قصد به الأمران وربما يقصد به أحدهما فإذا قيل: بلا الله كذا وابتلاه فليس المراد إلا ظهور جودته ورداءته دون التعرف لحاله والوقوف على ما يجهل منه إذا كان تعالى علام الغيوب. ﴿أأشكر﴾ بأن أراه محض فضله تعالى من غير حول من جهتي ولا قوة وأقوم بحقه. ﴿أم أكفر﴾ بأن أجد لنفسي مدخلاً في البيت وأقصر في إقامة مواجبه.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن الجن وإن كان له مع لطافة جسمه قوى ملكوتية يقدر على ذلك بمقدار زمان مجلس سليمان فإن للإنس ممن عنده علم من الكتاب مع كثافة جسمه وثقله وضعف إنسانيته قوة ربانية قد حصلها من علم الكتاب بالعمل به وهو أقدر بها على ما يقدر عليه الجن من الجن ولما كان كرامة هذا الولي في الإتيان بالعرش من معجزة سليمان. ﴿قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر﴾ هذه النعمة التي تفضل بها عليّ برؤية العجز عن الشكر. ﴿أم أكفر﴾ انتهى.

قال قتادة: فلما رفع رأسه قال: الحمد لله الذي جعل في أهلي من يدعوه فيستجب له.

كـفـت حـمـد الله بـريـن صـدچـنـيـن كـه بـدي ودسـتـم زرب الـعـالـمـيـن

﴿ومن﴾ [وهركه] ﴿شكر فإنما يشكر لنفسه﴾ لأن الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة ﴿ومن كفر﴾ أي: لم يشكر بأن لم يعرف قدر النعمة ولم يؤد حقها فإن مضرة كفره عليه. ﴿فإن ربي غني﴾ عن شكره ﴿كريم﴾ بإظهار الكرم عليه مع عدم الشكر أيضاً وبترك تعجيل العقوبة.

قال في «المفردات»: المنحة والمحنة جميعاً بلاء فالمحنة مقتضية للصبر والمنحة مقتضية للشكر والقيام بحقوق الصبر أيسر من القيام بحقوق الشكر فصارت المنحة أعظم البلاءين وبهذا النظر قال عمر رضي الله عنه: بلينا بالضراء فصبرنا وبلينا بالسراء فلم نصبر، ولهذا قال أمير المؤمنين رضي الله عنه: من وسع عليه دنياه فلم يعلم أنه قد مكر به فهو مخدوع عن عقله.

قال الواسطي رحمه الله: في الشكر إبطال رؤية الفضل كيف يوازي شكر الشاكرين فضله وفضله قديم وشكرهم محدث ﴿ومن شكر فإنما يشكر لنفسه﴾ لأنه غني عنه وعن شكره.

وقال الشبلي رحمه الله: الشكر هو الخمود تحت رؤية المنة.

قال في «الأسئلة المقحمة»: في الآية دليل إثبات الكرامات من وجهين: أحدهما: أن العفريت من الجن لما ادعى إحضاره قبل أن يقوم سليمان من مقامه وسليمان لم ينكر عليه بل قال: أريد أعجل من هذا فلما جاز أن يكون مقدوراً لعفريت من الجن كيف لا يكون مقدوراً لبعض أولياء الله تعالى، والثاني: أن الذي عنده علم من الكتاب وهو آصف وزير سليمان لم يكن نبياً وقد أحضره قبل أن يرتد طرفه إليه كما نطق به القرآن دل على جواز إثبات الكرامات الخارقة للعادات للأولياء خلافاً للقدرية حيث أنكروا ذلك انتهى. والكرامة ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة فما لا يكون مقروناً بالإيمان والعمل الصالح

يكون استدراجاً وما يكون مقروناً بدعوى النبوة يكون معجزة.

قال بعضهم: لا ريب عند أول التحقيق أن كل كرامة نتيجة فضيلة من علم أو عمل أو خلق حسن فلا يعول على خرق العادة بغير علم صحيح أو عمل صالح فطي الأرض إنما هو نتيجة عن طي العبد أرض جسمه بالمجاهدات وأصناف العبادات وإقامته على طول الليالي بالمناجاة والمشي على الماء إنما هو لمن أطعم الطعام وكسا العراة إما من ماله أو بالسعي عليهم أو علم جاهلاً أو أرشد ضالاً لأن هاتين الصفتين سر الحياتين الحسية والعلمية وبينهما وبين الماء مناسبة بينة فمن أحكمها فقد حصل الماء تحت حكمه إن شاء مشى عليه وإن شاء زهد فيه على حسب الوقت وترك الظهور بالكرامات الحسية والعلمية أليق للعارف لأنه محل الآفات وللعارف استخدام الجن أو الملك في غذائه من طعامه وشرابه وفي لباسه.

قال في «كشف الأسرار»: فقد تحصل الكرامة باختيار الولي ودعائه وقد تكون بغير اختياره وفي الحديث: «كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره» [در آثار بيارندكه مصطفى عليه السلام از دنيا بيرون شد زمين بالله ناليدكه «بقيت لا يمشي على نبي إلى يوم القيامة» الله كفت جل جلاله من ازين امت محمد مر داني بديد آرم كه دلهاي إيشان بدلهاي پيغمبران يكي باشد وإيشان نيستند مكر أصحاب كرامات] وكرامات الأولياء ملحقة بمعجزات الأنبياء إذ لو لم يكن النبي صادقاً في معجزته ونبوته لم تكن الكرامة تظهر على من يصدقه ويكون من جملة أمته ولم ينكر كرامات الأولياء إلا أهل الحرمان سواء أنكروها مطلقاً أو أنكروا كرامات أولياء زمانهم وصدقوا بكرامات الأولياء الذين ليسوا في زمانهم كمعروف وسهل وجنيد وأشباههم كمن صدق بموسى وكذب بمحمد عليهما السلام وما هي إلا خصلة إسرائيلية نسأل الله التوفيق وحسن الخاتمة في عافية لنا وللمسلمين أجمعين ونبتهل إليه في أنه يحشرنا مع أهل الكرامات آمين.

﴿قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿**قال**﴾ سليمان كرر الحكاية تنبيهاً على ما بين السابق واللاحق من المخالفة لما أن الأول من باب الشكر والثاني أمر لخدمه. ﴿**نكروا لها عرشها**﴾ تنكير الشيء جعله بحيث لا يعرف كما أن تعريفه جعله بحيث يعرف كما قال في «تاج المصادر»: التنكير [ناشأ ساكردن] والمعنى غيروا هيئته وشكله بوجه من الوجوه بحيث ينكر فجعل الشياطين أسفله أعلاه وبنوا فوقه قباباً أخرى هي أعجب من تلك القباب وجعلوا موضع الجوهر الأحمر الأخضر وبالعكس ﴿**ننظر**﴾ بالجزم على أنه جواب الأمر [تابنكريم] ما له بعد از سؤال ازو﴿**أتهتدي**﴾ إلى معرفته فتظهر رجاحة عقلها. ﴿**أم تكون من الذين لا يهتدون**﴾ فتظهر سخافة عقلها وذلك أن الشياطين خافوا أن تفشي بلقيس أسرارهم إلى سليمان لأن أمها كانت جنية وإن يتزوجها سليمان ويكون بينهما ولد جامع للجن والإنس فيرث الملك ويخرجون من ملك سليمان إلى ملك هو أشد وأفظع ولا ينفكون من التسخير ويبقون في التعب والعمل أبداً فأرادوا أن يبغضوها إلى سليمان فقالوا: إن في عقلها خللاً وقصوراً، وإنها شعراء الساقين وإن رجليها كحافر الحمار فأراد سليمان أن يختبرها في عقلها فأمر بتنكير العرش واتخذ الصرح كما يأتي ليتعرف ساقيها ورجليها.

﴿فلما جاءت﴾ بلقيس سليمان والعرش بين يديه. ﴿قيل﴾ من جهة سليمان بالذات وبالواسطة امتحاناً لعقلها. ﴿أهكذا عرشك﴾ [أيا اينچنين است تخت تو] لم يقل هذا عرشك لئلا يكون تلقيناً لها فيفوت ما هو المقصود من الأمر بالتنكير وهو اختبار عقلها. ﴿قالت﴾ يعني: لم تقل: لا ولا قالت: نعم بل شبهوا عليها فشبهت عليهم مع علمها بحقيقة الحال. ﴿كأنه هو﴾ [كوياكه اين آنست] فلوّحت لما اعتراه بالتنكير من نوع مغايرة في الصفات مع اتحاد الذات فاستدل بذلك على كمال عقلها وكأنها ظنت أن سليمان أراد بذلك اختبار عقلها وإظهار معجزة لها فقالت: ﴿وأوتينا العلم من قبلها﴾ من قبل الآيات الدالة على ذلك. ﴿وكنا مسلمين﴾ من ذلك الوقت.

﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وصدها ما كانت تعبد من دون الله﴾ بيان من جهته تعالى لما كان يمنعها من إظهار ما ادعته من الإسلام إلى الآن أي صدها ومنعها عن ذلك عبادتها القديمة للشمس متجاوزة عبادة الله تعالى. ﴿إنها كانت من قوم كافرين﴾ تعليل لسببية عبادتها المذكور للصد أي أنها كانت من قوم راسخين في الكفر ولذلك لم تكن قادرة على إسلامها وهي بين ظهرانيهم إلى أن دخلت تحت ملك سليمان أي فصارت من قوم مؤمنين. وفي «المثنوي»:

چون سلميان سوى مرغان سبا ... يك صفيري كردبست آن جمله را
جز مكر مرغى كه بد بيجان وپير ... يا چون ما هي كنك بد از اصل وكر

وفي الآية دلالة على أن اشتغال المرء بالشيء يصده عن فعل ضده وكانت بلقيس تعبد الشمس فكانت عبادتها إياها تصرفها عن عبادة الله فلا ينبغي الإغراق في شيء إلا أن يكون عبادة الله تعالى ومحبته فإن الرجل إذا غلب حب ما سوى الله على قلبه ولم يكن له رادع من عقل أو دين أصمه حبه وأعماه كما قال عليه السلام: «حبك الشيء يعمي ويصم». روي: أن سليمان أمر قبل قدومها فبني له على طريقها قصر صحنه من زجاج أبيض وأجري من تحته الماء وألقى فيه السمك ونحوه من دواب البحر [چنانكه صحن أن خانه همه آب مينمود] ووضع سريره في وسطه فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والإنس [چون بلقيس بدر كوشك رسيد].

﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿قيل لها ادخلي الصرح﴾ الصرح القصر وكل بناء عال سمي بذلك اعتباراً بكونه صرحاً من الشوب أي خالصاً فإن الصرح بالتحريك الخالص من كل شيء. ﴿فلما رأته﴾ [پس چون بديد قصر را در حالتي كه آفتاب برآن تافته بود وآب صافي مينمود وماهيانرا ديد]. ﴿حسبته لجة﴾ اللجة معظم الماء.

وفي «المفردات»: لجة البحر تردد أمواجه.

وفي «كشف الأسرار»: اللجة الضحضاح من الماء وهو الماء اليسير أو إلى الكعبين وأنصاف السوق أو ما لا غرق فيه كما في «القاموس». والمعنى: ظنت أنه ماء كثير بين يدي سرير سلميان. وبالفارسية: [پنداشت كه آب ژرف است ندانست كه آب درزير ابكينه است]

فأرادت أن تدخل في الماء. ﴿وكشفت عن ساقيها﴾ تثنية ساق وهي ما بين الكعبين كعب الركبة وكعب القدم أي تشمرت لئلا تبتل أذيالها فإذا هي أحسن الناس ساقاً وقدماً خلا أنها شعراء. ﴿قال﴾ لها سليمان: لا تكشفي عن ساقيك. ﴿إنه﴾ أي: ما توهمته ماء ﴿صرح ممرد﴾ مملس مسوى. بالفارسية [همواره چون روى آبكينه وشمشير] ومنه الأمرد لتجرده عن الشعر وكونه أملس الخدين وشجرة مرداء إذا لم يكن عليها ورق. ﴿من قوارير﴾ أي مصنوع من الزجاج الصافي وليس بماء جمع قارورة. وبالفارسية [آكينه].

وفي «القاموس»: القارورة ما قر فيه الشراب ونحوه أو يخص بالزجاج. ﴿قالت﴾ حين عاينت تلك المعجزة أيضاً ﴿رب﴾ [أي پروردكار من]. ﴿إني ظلمت نفسي﴾ بعبادة الشمس. ﴿وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾ فيه التفات إلى الاسم الجليل والوصف بالربوبية لإظهار معرفتها بألوهيته تعالى وتفرده باستحقاق العبودية وربوبيته لجميع الموجودات التي من جملتها ما كانت تعبده قبل ذلك من الشمس. والمعنى: أخلصت له التوحيد تابعة لسليمان مقتدية به.

وقال القيصري: أسلمت إسلام سليمان أي كما أسلم سليمان ومع في هذا الموضع كمع في قوله: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ [التحريم: ٨] إذ لا شك أن زمان إيمان المؤمنين ما كان مقارناً لزمان إيمان الرسل وكذا إسلام بلقيس ما كان عند إسلام سليمان فالمراد كما أنه آمن بالله وكما أنه أسلم أسلمت لله انتهى. ويجوز أن يكون مع ههنا واقعاً موقع بعد كما في قوله: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٦].

واختلف في نكاح بلقيس فقيل: أنكحها سليمان فتى من أبناء ملوك اليمن وهو ذو تبع ملك همدان وتبع بلغة اليمن الملك المتبوع وذلك أن سلميان لما عرض عليها النكاح أبته وقالت: مثلي لا ينكح الرجال فأعلمها سليمان أن النكاح من شريعة الإسلام فقالت: إن كان ذلك فزوجني من ذي تبع فزوجه إياها ثم ردها إلى اليمن وسلط زوجها إذا تبع على اليمن ردعا زوبعة أمير جن اليمن فأمره أن يكون في خدمة ذي تبع ويعمل له ما استعمله فيه فصنع له صنائع باليمن وبنى له حصوناً مثل صرواح ومرواج وهندة وهنيدة وفلتوم [اين نام قلعها ست درزمين يمن كه شياطين آنرا بناكرده اندازبهر ذي تبع وامروز ازان هيج برپاي نيست همه خراب كشته ونيست شده] وانقضى ملك ذي تبع وملك بلقيس مع ملك سليمان ولما مات سليمان نادى زوبعة يا معشر الجن قد مات سليمان فارفعوا رؤوسكم فرفعوها وتفرقوا. والجمهور على أن سليمان نكحها لنفسه.

قال في «التأويلات النجمية»: في الآية دليل على أن سليمان أراد أن ينكحها وإنما صنع الصرح لتكشف عن ساقيها فرآها ليعلم ما قالت الشياطين في حقها أصدق أم كذب ولو لم يستنكحها لما جوز من نفسه النظر إلى ساقيها انتهى.

قال في «فتح الرحمن»: أراد سليمان تزوجها فكره شعر ساقيها فسأل الإنس ما يذهب هذه قالوا: الموسى فقال: الموسى يخدش ساقها فسأل الجن فقالوا: لا ندري ثم سأل الشياطين فقالوا: نحتال لك حتى تصير كالفضة البيضاء فاتخذوا النورة والحمام فكانت النورة والحمام من يومئذ. ويقال: إن الحمام الذي ببيت المقدس بباب الأسباط إنما بني لها وأنه أول حمام بني على وجه الأرض.

وفي «روضة الأخبار»: قال جني لسليمان: أبني لك داراً تكون في بيوته الأربعة الفصول الأربعة من السنة فبنى الحمام فلما تزوجها سليمان أحبها حباً شديداً وأقرها على ملكها وأمر الجن فبنوا لها بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعاً وحسناً وهي ملحين وغمدان وبينون [امروز ازان بناها وقصرها جز اسم وطلل آن برجاي نيست بلكه همه خرابند] كما قال تعالى في سورة هود وحصيد ثم كان يزروها في كل شهر مرة ويقيم عندها ثلاثة أيام وولدت له داود بن سليمان بن داود [وآن پسر درحيات پدر ازدنيا برفت]. روي: أن سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة فمدة ملكه أربعون سنة ووفاته في أواخر سنة خمس وسبعين وخمسمائة لوفاة موسى عليه السلام وبين وفاته والهجرة الشريفة الإسلامية ألف وسبعمائة وثلاث وسبعون سنة ونقل أن قبره ببيت المقدس عند الجيسمانية وهو وأبوه داود في قبر واحد. وبلقيس بعد [از سليمان بيك ماه ازدنيا برفت] ولما كسروا جدار تدمر وجدوها قائمة عليها اثنتان وسبعون حلة قد أمسكها الصبر والمصطكى ذلك وأن جمالها شيء عظيم إذا حركت تحركت مكتوب عندها: أنا بلقيس صاحبة سليمان بن داود خرب الله من يخرب بيتي وكان ذلك في ملك مروان الحمار.

همه تخت وملكي پذيرد زوال ... بجز ملك فرمانده لا يزال
جهان اي پسر ملك جاويد نيست ... ز دنيا وفاداري اميد نيست
مكن تكيه برملك وجاه وحشم ... كه پيش ازتو بودست وبعدازتوهم
نه لايق بود عشق بادلبري ... كه هر بامدادش بود شوهري
دريغا كه بي ما بسي روز كار ... برويد كل وبشكفد نوبهار
مكن عمر ضايع بافسوس وحيف ... كه فرصت عزيز ست والوقت سيف
عروسي بود نوبت ما تمت ... كرت نيك روزي بود خاتمت

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

﴿ولقد أرسلنا إلى ثمود﴾ وهي قبيلة من العرب كانوا يعبدون الأصنام. ﴿أخاهم﴾ النسبي المعروف عندهم بالصدق والأمانة. ﴿صالحاً﴾ قد سبق ترجمته. ﴿أن﴾ مصدرية، أي بأن ﴿اعبدوا الله﴾ الذي لا شريك له ﴿فإذا هم فريقان يختصمون﴾ الاختصام [بايكديكر خصومت وجدل كردن] وأصله أن يتعلق كل واحد بخصم الآخر بالضم أي جانبه. والمعنى فاجؤوا التفرق والاختصام فآمن فريق وكفر فريق. وبالفارسية: [پس آنكاه ايشان دوفريق شدند مؤمن وكافر وبجنك وخصومت در آمدند بايكديكر].

قال الكاشفي: [ومخاصمهٔ إيشان درسورهٔ إعراف رقم ذكر يافته] وهو قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ [الأعراف: ٧٥] الآية.

﴿قال﴾ صالح للفريق الكافر منهم ﴿يا قوم﴾ [أي كروه من] ﴿لم تستعجلون بالسيئة﴾ بالعقوبة فتقولون: ائتنا بما تعدنا. والاستعجال طلب الشيء قبل وقته وأصل لم لما على أنه استفهام. ﴿قبل الحسنة﴾ قبل التوبة فتؤخرونها إلى حين نزول العقاب فإنهم كانوا من جهلهم وغوايتهم يقولون: إن وقع إيعاده تبنا حينئذ وإلا فنحن على ما كنا عليه.

قال في «كشف الأسرار»: [معنى قبل انيجا نه تقدم زمانست بلكه تقدم رتبت واختبارست همجنانكه كسى كويد] صحة البدن قبل كثرة المال. ﴿لولا﴾ حرف تحضيض بمعنى هلا ﴿تستغفرون الله﴾ [چرا استغفار نمي كنيد پيش از نزول عذاب وبايمان وتوبه از خدا آمرزش نميطلبيد] ﴿لعلكم ترحمون﴾ بقبولها فلا تعذبون إذ لا إمكان للقبول عند النزول.

توپيش از عقوبت درعفو كوب كه سودي ندارد فغان زيرچوب

﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿قالوا اطيرنا﴾ [فال بد كرفتيم] وأصله تطيرنا والتطير التشاؤم، وهو بالفارسية: [شوم داشتن] عبر عنه بذلك لأنهم كانوا إذا خرجوا مسافرين فمروا بطائر يزجرونه فإن مر سانحاً تيمنوا وإن مر بارحاً تشاءموا فلما نسبوا الخير والشر إلى الطير استعير لما كان سبباً لهما من قدر الله تعالى وقسمته أو من عمل العبد.

قال في «فتح الرحمن» و«الكواشي»: السانح هو الذي ولاه ميامنه فيتمكن من رميه فيتيمن به والبارح هو الذي ولاه مياسره فلا يتمكن من رميه فيتشاءم به ثم استعمل في كل ما يتشاءم به.

وفي «القاموس»: البارح من الصيد ما مر من ميامنك إلى مياسرك وبرح الظبي بروحاً ولاك مياسره ومرج وسنح سنوحاً ضد برح ومن لي بالسانح بعد البارح أي بالمبارك بعد المشؤوم.

قال في «كشف الأسرار»: هذا كان اعتقاد العرب في بعض الوحوش والطيور أنها إذا صاحت في جانب دون جانب دل على حدوث آفات وبلايا ونهى رسول الله ﷺ عنها وقال: «أقروا الطير على مكناتها» لأنها أوهام لا حقيقة معها والمكنات بيض الضبة واحدتها مكنة.

قال عكرمة رضي الله عنه: كنا عند ابن عباس رضي الله عنهما فمر طائر يصيح فقال رجل من القوم: خير فقال ابن عباس رضي الله عنهما لا خير ولا شر.

لا تنطقن بما كرهت فربما نطق اللسان بحادث فيكون

وفي الحديث: «إن الله يحب الفأل ويكره الطيرة» قال ابن الملك كان أهل الجاهلية إذا قصد واحد إلى حاجة وأتى من جانبه إلا يسر طير أو غيره يتشاءم به فيرجع هذا هو الطيرة ومعنى الآية تشاءمنا. ﴿بك وبمن معك﴾ في دينك حيث تتابعت علينا الشدائد [اين دعوت توشوم آمد برما] وكانوا قحطوا فقالوا: أصابنا هذا الشر من شؤمك وشؤم أصحابك وكذا قال قوم موسى لموسى وأهل أنطاكية لرسلهم ﴿قال طائركم﴾ سببكم الذي جاء منه شركم ﴿عند الله﴾ وهو قدره أو عملكم المكتوب عنده. وسمي القدر طائراً لسرعة نزوله ولا شيء أسرع من قضاء محتوم كما في «فتح الرحمن»: وبالفارسية: [قال شما أزخير وشر نزديك خداست يعني سبب محنت شما مكتوبست نزديك خدا بحكم أزلي وبجهت من متبدل نكردد].

قلم به نيك وبد خلق درازل رفتست بكوفت وكوي خلائق كر نخواهدشد

﴿بل أنتم قوم تفتنون﴾ تختبرون بتعاقب السراء والضراء أي الخير والشر والدولة والنكبة والسهولة والصعوبة أو تعذبون والإضراب من بيان طائرهم الذي هو مبدأ ما يحيق بهم إلى ذكر ما هو الداعي إليه يقال: فتنت الذهب بالنار أي اختبرته لأنظر إلى جودته واختبار الله تعالى إنما

هو لإظهار الجودة والرداءة ففي الأنبياء والأولياء والصلحاء تظهر الجودة ألا ترى أن أيوب عليه السلام امتحن فصبر، فظهر للخلق درجته وقربه من الله تعالى وفي الكفار والمنافقين والفاسقين تظهر الرداءة. حكي: أن امرأة مرضت مرضاً شديداً طويلاً فأطالت على الله تعالى في ذلك وكفرت ولذا قيل: عند الامتحان يكرم الرجل أو يهان.

خوش بود كرمحك تجربه آيد بميان   تاسيه روى شود هركه دروغش باشد

والابتلاء مطلقاً أي سواء كان في صورة المحبوب أو في صورة المكروه رحمة من الله تعالى في الحقيقة لأن مراده جذب عبده إليه فإن لم ينجذب حكم عليه الغضب في الدنيا والآخرة كما ترى في الأمم السالفة ومن يليهم في كل عصر إلى آخر الزمان. ثم إن أهل الله تعالى يستوي عندهم المنحة والمحنة إذ يرون كلاً منهما من الله تعالى فيصفون وقتهم فيتوكلون ولايتطيرون ويحمدون ولا يجزعون ثم إن مصيبة المعصية أعظم من مصيبة غيرها وبلاء الباطن أشد من بلاء الظاهر.

قال ابن الفارسي رحمه الله:

وكل بلا أيوب بعض بليتي

مراده أن مرضي في الروح ومرض أيوب عليه السلام في الجسد مع أنه مؤيد بقوة النبوة فبلائي أشد من بلائه نسأل الله التوفيق والعافية.

﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿وكان في المدينة﴾ أي الحجر بكسر الحاء المهملة وهي ديار ثمود وبلادهم فيما بين الحجاز والشام. ﴿تسعة رهط﴾ أشخاص وبهذا الاعتبار وقع تمييزاً للتسعة لا باعتبار لفظه فإن مميز الثلاثة إلى العشرة مخفوض مجموع. والفرق بينه وبين النفر أنه من الثلاثة أو من التسعة إلى العشرة ليس فيهم امرأة والنفر من الثلاثة إلى السعة وأسماؤهم حسبما نقل عن وهب هذيل بن عبد الرب وغنم بن غنم وياب بن مهرج ومصدع بن مهرج وعمير بن كردية وعاصم بن مخزمة وسبيط بن صدقة وسمعان بن صفي وقدار بن سالف.

وفي «كشف الأسرار»: أسماؤهم قدار بن سالف ومصدع بن دهر وأسلم ورهمي ورهيم ودعمي ودعيم وقبال وصداف وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من أبناء أشرافهم ثم وصف التسعة بقوله: ﴿يفسدون في الأرض﴾ في أرض الحجر بالمعاصي.

وفي «الإرشاد»: في الأرض لا في المدينة فقط وهو بعيد لأن العرض في نظائر هذه القصة إنما حملت على أرض معهودة هي أرض كل قبيلة وقوم لا على الأرض مطلقاً. ﴿ولا يصلحون﴾ أي: لا يفعلون شيئاً من الإصلاح، ففائدة العطف بيان أن إفسادهم لا يخالطه شيء ما من الإصلاح ﴿قالوا﴾ استئناف لبيان بعض ما فعلوا من الفساد، أي قال بعضهم لبعض في أثناء المشاورة في أمر صالح وكان ذلك فيما أنذرهم بالعذاب على قتلهم الناقة وبين لهم العلامة بتغيير ألوانهم كما قال: ﴿تَمَتَّعُوا۟ فِي دَارِكُمْ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: ٦٥] ﴿تقاسموا بالله﴾ تحالفوا يقال: أقسم أي حلف وأصله من القسامة وهي أيمان تقسم على المتهمين في الدم ثم صار

اسماً لكل حلف وهو أمر مقول لقالوا أو ماض وقع حالاً من الواو بإضمار قد أي والحال أنهم تقاسموا بالله. ﴿لنبيتنه وأهله﴾ لنأتين صالحاً ليلاً بغتة فلنقتلنه وأهله. وبالفارسية [هر آيينه شبيخون ميكنيم بر صالح وبركسان] أو قال في «التاج»: [التبييت: شبيخون كردن] يعني مباغتة العدو وقصده ليلاً. ﴿ثم لنقولن لوليه﴾ أي: لولي دم صالح - يعني [أكرم پرسندكه صالح راكه كشته است كوييم]. ﴿ما شهدنا مهلك أهله﴾ أي: ما حضرنا هلاكهم فضلاً عن أن نتولى إهلاكهم فيكون مصدراً أو وقت هلاكهم فيكون زماناً أو مكان هلاكهم فيكون اسم مكان. وبالفارسية: [حاضر نبوديم كشتن صالح وكسان أورا]. ﴿وإنا لصادقون﴾ فيما نقول فهو من تمام القول. وبالفارسية: [وبدرستي كه ما راست كويانينم] وهذا كقولهم ليعقوب في حق يوسف: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧].

﴿ومكروا مكراً﴾ بهذه المواضعة. والمكر صرف الغير عما يقصده بحيلة. ﴿ومكرنا مكراً﴾ أي: جعلنا هذه المواضعة سبباً لإهلاكهم. ﴿وهم لا يشعرون﴾ بذلك:

هر آنكه تخم بدي كشت وچشم نيكي داشت ... دماغ بيهده پخت وخيال الباطل بست

﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

﴿فانظر﴾ تفكر يا محمد في أنه ﴿كيف كان عاقبة مكرهم﴾ أي: على أي حال وقع وحدث عاقبة مكرهم وهي: ﴿أنا دمرناهم﴾ التدمير استئصال الشيء بالهلاك ﴿وقومهم﴾ الذين لم يكونوا معهم في مباشرة التبييت. ﴿أجمعين﴾ بحيث لم يشذ منهم شاذ. روي: إنه كان لصالح مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه ولما قال لهم بعد عقرهم الناقة: إنكم تهلكون إلى ثلاثة أيام قالوا: زعم صالح أنه يفرغ منا إلى ثلاثة فنحن نفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث فخرجوا إلى الشعب وقالوا: إذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا إلى أهله فقتلناهم فبعث الله صخرة خيالهم فبادروا فطبقت عليهم في الشعب فهلكوا ثمة. وبالفارسية: [ناكاه سنكي برايشان فرود آمد وهمه راد رزير كرفت ودرغار پوشيده وإيشان در آنجا هلاك شدند] فلم يدر قومهم أين هم وهلك الباقون في أماكنهم بالصيحة.

يقول الفقير: الوجه في هلاكهم بالتطبيق أنهم أرادوا أن يباغتوا صالحاً فباغتهم الله وفي هلاك قومهم بالصيحة إنهم كانوا يصيحون إليهم فيما يتعلق بالإفساد فجاء الجزاء لكل منهم من جنس العمل.

﴿فتلك بيوتهم﴾ حال كونها ﴿خاوية﴾ خالية عن الأهل والسكان من خوى البطن إذا خلا أو ساقطة منهدمة من خوى النجم إذا سقط. وبالفارسية: [پس آنست خانهاي إيشان در زمين حجر بنكريد آنرادر حالتي كه خالي وخرابست]. ﴿بما ظلموا﴾ أي: بسبب ظلمهم المذكور وغيره كالشرك.

قال سهل رحمه الله: الإشارة في البيوت إلى القلوب فمنها عامرة بالذكر ومنها خراب بالغفلة ومن ألهمه الله الذكر فقد خلص لله من الظلم. ﴿إن في ذلك﴾ المذكور من التدمير العجيب بظلمهم. ﴿لآية﴾ لعبرة عظيمة ﴿لقوم يعلمون﴾ يتصفون فيتعظون. يعني: اعلم يا

محمد أني فاعل ذلك العذاب بكفار قومك في الوقت الموقت لهم فليسوا خيراً منهم كما في «كشف الأسرار». ﴿وأنجينا الذين آمنوا﴾ صالحاً ومن معه من المؤمنين ﴿وكانوا يتقون﴾ أي الكفر والمعاصي اتقاء مستمراً فلذلك خصوا بالنجاة وكانوا أربعة آلاف خرج بهم صالح إلى حضرموت وهي مدينة من مدن اليمن وسميت حضرموت لأن صالحاً لما دخلها مات.

وفيه إشارة إلى أن الهجرة من أرض الظلم إلى أرض العدل لازمة خصوصاً من أرض الظالمين المؤاخذين بأنواع العقوبات إذ مكان الظلم ظلمة فلا نور للعبادة فيه وإن الإنسان إذا ظلم في أرض ثم تاب فالأفضل له أن يهاجر منها إلى مكان لم يعص الله تعالى فيه، ثم إن الظالم المفسد في مدينة القالب الإنساني هي العناصر الأربعة والحواس الخمس وهي تسعة رهط يجتهدون في غلبة صالح القلب لمخالفته لهم فإن القلب يدعوهم إلى العبودية وترك الشهوات وهم يدعونه إلى النظر إلى الدنيا والأعراض عن العقبى والتعطل عن خدمة المولى فإذا كان القلب مؤيداً بالإلهام الرباني لا يميل إلى الحظوظ الظاهرة والباطنة ويغلب على القوى جميعاً فيحصل له النجاة وتهلك الخواص التسع وآفاتها فيبقى القالب والأعضاء التي هي مساكن الخواص خالية عن الخواص والآفات الغالبة ثم لا يحيا ما مات أبداً ونعم ما قيل: «الفاني لا يرد إلى أوصافه» [پس أوليارا خوف ظهور طبيعت نيست زيراكه طبيعت ونفس عدواست وعدو خالي نميشود ازغدر ومكر پس چون عداوت بمحبت منقلب ميشود مكر زائل كردد وخوف نماند] نسأل الله سبحانه أن ينجينا من مكر النفس والشيطان ويخلصنا من مكاره الأعداء مطلقاً في كل زمان.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿ولوطاً﴾ أي: وأرسلنا لوطاً بن هاران ﴿إذ قال لقومه﴾ ظرف للإرسال على أن المراد به أمر ممتد وقع فيه الإرسال وما جرى بينه وبين قومه من الأفعال والأقوال.

وقال بعضهم: انتصاب لوطاً بإضمار اذكر وإذ بدل منه أي واذكر إذ قال لوط لقومه على وجه الإنكار عليهم. ﴿أتأتون الفاحشة﴾ الفاحشة ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال والمراد به ههنا اللواطة والإتيان في الأدبار. والمعنى أتفعلون الفعلة المتناهية في القبح وبالفارسية: [آيامي آييد بعمل زشت]. ﴿وأنتم تبصرون﴾ من بصر القلب وهو العلم فإنه يقال لقوة القلب المدركة بصيرة وبصر ولا يكاد يقال للجارحة بصيرة، ويقال للضرير بصير على سبيل العكس أو لما له قوة بصيرة القلب أي والحال أنكم تعلمون فحشها علماً يقينياً وتعاطي القبيح من العالم بقبحه أقبح من غيره ولذا قيل: فساد كبير جاهل متنسك وعالم متهتك، أو من نظر العين أي وأنتم تبصرونها بعضكم من بعض لما أنهم كانوا يعلنون بها ولا يستترون فيكون أفحش.

﴿أئنكم﴾ [آيا شما] ﴿لتأتون الرجال﴾ بيان لإتيانهم الفاحشة وعلل الإتيان بقوله: ﴿شهوة﴾ للدلالة على قبحه والتنبيه على أن الحكمة في المواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر وأصل الشهوة نزوع النفس إلى ما تريده ﴿من دون النساء﴾ أي حال كونكم مجاوزين النساء اللاتي هن محال الشهوة. ﴿بل أنتم قوم تجهلون﴾ حيث لا تعملون بموجب علمكم فإن من لا يجري على مقتضى بصارته وعلمه ويفعل فعل الجاهل فهو والجاهل سواء وتجهلون صفة لقوم

والتاء فيه لكون الموصوف في معنى المخاطب.

﴿۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

﴿فما كان جواب قومه﴾ نصب الجواب لأنه خبر كان واسمه قوله: ﴿إلا أن قالوا﴾ أي: قول بعضهم لبعض ﴿أخرجوا آل لوط﴾ ومن تبعه ﴿من قريتكم﴾ وهي سدوم ﴿إنهم أناس﴾ جمع إنس والناس مخفف منه، والمعنى بالفارسية: [بدرستي كه إيشان مردماننده كه] ﴿يتطهرون﴾ يتنزهون عن أفعالنا أو عن الأقذار ويعدون أفعالنا قذراً.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه على طريق الاستهزاء وهذا الجواب هو الذي صدر عنهم في المرة الأخيرة من مرات المواعظ بالأمر والنهي لا أنه لم يصدر عنهم كلام آخر غيره. ﴿فأنجيناه﴾ أي: لوطاً ﴿وأهله﴾ أي: بنيته ريشاء ورعواء بأن أمرناهم بالخروج من القرية. ﴿إلا امرأته﴾ الكافرة المسماة بواهلة لم ننجها. ﴿قدرناها من الغابرين﴾ أي: قدرنا وقضينا كونها من الباقين في العذاب فلذا لم يخرج من القرية مع لوط أو خرجت ومسخت حجراً كما سبق يقال: غبر غبوراً إذا بقي وتمامه في أواخر سورة الشعراء.

﴿وأمطرنا عليهم﴾. بعد قلب قريتهم وجعل عاليها سافلها أو على شذاذهم ومن كان منهم في الأسفار. ﴿مطراً﴾ غير معهود وهو حجارة السجيل ﴿فساء مطر المنذرين﴾ أي: بئس مطر من أنذر فلم يخف والمخصوص بالذم هو الحجارة.

قال ابن عطية: وهذه الآية أصل لمن جعل من الفقهاء الرجم في اللواط لأن الله تعالى عذبهم على معصيتهم به ومذهب مالك رجم الفاعل والمفعول به أحصنا أو لم يحصنا ومذهب الشافعي وأحمد حكمه كالزنى فيه الرجم مع الإحصان والجلد مع عدمه ومذهب أبي حنيفة أنه يعزر ولا حد عليه خلافاً لصاحبيه فإنهما ألحقاه بالزنى.

وفي «شرح الأكمل»: أن ما ذهب إليه أبو حنيفة إنما هو استعظام لذلك الفعل فإنه ليس في القبح بحيث أنه يجازى بما يجازى به القتل والزنى وإنما التعزير لتسكين الفتنة الناجزة كما أنه يقول في اليمين الغموس أنه لا يجب فيه الكفارة لأنه لعظمه لا يستتر بالكفارة.

يقول الفقير: عذبوا بالرجم لأنه أفظع العذاب كما أن اللواطة أفحش المنهيات وبقلب المدينة لأنهم قلبوا الأبدان عند الإتيان فافهم فجوزوا بما يناسب أعمالهم الخبيثة.

نه هركز شنيديم در عمر خويش   كه بد مردرا نيك آمد به پيش

والإشارة في الفاحشة إلى كل ما زلت به الأقدام عن الصراط المستقيم وأمارتها في الظاهر إتيان منهيات الشرع على وفق الطبع وهو النفس وعلاماتها في الباطن حب الدنيا وشهواتها والاحتظاظ بها وفي الحديث: «أنتم على بينة من ربكم ما لم تظهر منكم سكرتان سكرة الجهل وسكر حب الدنيا».

قال بعض الكبار: ثلاثة من علامات الصدق والوصول إلى محل الأنبياء: الأول إسقاط قدر الدنيا والمال من قلبك حتى يصير الذهب والفضة عندك كالتراب، والثاني: إسقاط رؤية الخلق عن قلبك بحيث لا تلتفت إلى مدحهم وذمهم فكأنهم أموات وأنت وحيد على الأرض،

والثالث: إحكام سياسة النفس حتى يكون فرحك من الجوع وترك الشهوات كفرح أبناء الدنيا بالشبع ونيل الشهوات.

ثم إن المرأة الصالحة الجميلة ليست من قبيل الشهوات بل من أسباب التصفية وموافقتها من سعادات الدنيا كما قال علي رضي الله عنه: من سعادة الرجل خمسة أن تكون زوجته موافقة وأولاده أبراراً وإخوانه أتقياء وجيرانه صالحين ورزقه في بلده.

وأما الغلام الأمرد فمن أعظم فتن الدنيا إذ لا إمكان لنكاحه كالمرأة. فعلى العاقل أن يجتنب عن زنى النظر ولواطته فضلاً عن الوقوع فيهما فإن الله تعالى إذا رأى عبده حيث ما نهى غار وقهر فالعياذ به من سطوته والالتجاء إليه من سخطه ونقمته.

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

﴿قل الحمد لله﴾ قل يا محمد: الحمد لله على جميع نعمه التي من جملتها إهلاك أعداء الأنبياء والمرسلين وأتباعهم الصديقين فإنهم لما كانوا إخوانه عليه السلام كان النعمة عليهم نعمة عليه. ﴿وسلام﴾ وسلامة ونجاة ﴿على عباده الذين اصطفى﴾ أي: اصطفاهم الله وجعلهم صفوة خليقته في الأزل وهداهم واجتباهم للنبوة والرسالة والولاية في الأبد فهم الأنبياء والمرسلون وخواصهم المقربون الذين سلموا من الآفات ونجوا من العقوبات مطلقاً.

وفيه رمز إلى هلاك أعدائه عليه السلام ولو بعد حين وإشعار له ولأصحابه بحصول السلامة والنجاة من أيديهم وهكذا عادة الله تعالى مع الورثة الكمل وأعدائهم في كل زمان هذا هو اللائح للبال في هذا المقام وهو المناسب لسوابق الآيات العظام [وكفته اند أهل إسلام آنا نندكه دل آيشان سالم است از لوث علائق وسر إيشان خاليست از فكر خلائق امروز سلام بواسطه شنوند فردا سلام بي واسطه خواهند شنيد] ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨].

هر بنده كه أوكشت مشرف بسلامت البته شود خاص بتشريف سلامت
لطفي كن وبنواز دلم را بسلامت زيراكه سلامت همه لطفست وكرامت

﴿ءآلله﴾ بالمد الأولى تخفيفاً. والمعنى الله الذي ذكرت شؤونه العظيمة. وبالفارسية [آيا خداي بحق]. ﴿خير﴾ أنفع لعابديه.

وفي «كشف الأسرار»: [بهست خدايي را] ﴿أما﴾ أم الذين فأم متصلة وما موصولة ﴿يشركون﴾ به من الأصنام أي أم الأصنام أنفع لعابديها يعني الله خير وكان عليه السلام إذا قرأ هذه الآية قال: «بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم».

فإن قيل: لفظ الخير يستعمل في شيئين فيهما خير ولأحدهما مزية ولا خير في الأصنام أصلاً.

قلنا: المراد إلزام المشركين وتشديد لهم وتهكم بهم أو هو على زعم أن في الأصنام خيراً ثم هذا الاستفهام والاستفهامات الآتية تقرير وتوبيخ لا استرشاد ثم أضرب وانتقل من التثبيت تعريضاً إلى التصريح به خطاباً لمزيد التشديد فقال:

﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿أم﴾ منقطعة مقدرة ببل والهمزة ﴿من﴾ موصولة مبتدأ خبره محذوف وكذا في نظائرها

الآتية. والمعنى بل أم من ﴿خلق السموات والأرض﴾ التي هي أصول الكائنات ومبادىء المنافع خير أم ما يشركون. يعني أن الخالق للأجرام العلوية والسفلية خير لعابديه أو للمعبودية كما هو الظاهر. ﴿وأنزل لكم﴾ أي لأجل منفعتكم. ﴿من السماء ماء﴾ نوعاً منه هو المطر ثم عدل عن الغيبة إلى التكلم لتأكيد الاختصاص بذاته فقال: ﴿فأنبتنا به﴾ أي: بسبب ذلك الماء. ﴿حدائق﴾ بساتين محدقة ومحاطة بالحوائط. وبالفارسية: [بوستانها ديوار بست] من الأحداق وهو الإحاطة.

وقال في «المفردات»: الحدائق جمع حديقة وهي قطعة من الأرض ذات ماء سميت بها تشبيهاً بحدقة العين في الهيئة وحصول الماء فيها وحدقوا به وأحدقوا أحاطوا به تشبيهاً بإدارة الحدقة انتهى. ﴿ذات بهجة﴾ البهجة حسن اللون وظهور السرور فيه أي صاحبة حسن ورونق يبتهج به النظار وكل موضع ذي أشجار مثمرة محاط عليه فهو حديقة وكل ما يسر منظره فهو بهجة. ﴿ما كان لكم﴾ أي: ما صح لكم وما أمكن ﴿أن تنبتوا شجرها﴾ شجر الحدائق فضلاً عن ثمرها ﴿أإله﴾ آخر كائن ﴿مع الله﴾ الذي ذكر بعض أفعاله التي لا يكاد يقدر عليها غيره حتى يتوهم جعله شريكاً له في العبادة. وبالفارسية: [آيا هست خداي يعني نيست معبودي باخداي بحق]. ﴿بل هم﴾ بلكه مشركان ﴿قوم يعدلون﴾ قوم عادتهم العدول والميل عن الحق الذي هو التوحيد والعكوف على الباطل الذي هو الإشراك أو يعدلون يجعلون له عديلاً ويثبتون له نظيراً.

قال في «المفردات»: قوله: بل هم قوم يعدلون يصح أن يكون من قولهم عدل عن الحق إذا جار عدولاً انتهى فهم جاروا وظلموا بوضع الكفر موضع الإيمان والشرك محل التوحيد وهو إضرا وانتقال من تبكيتهم بطريق الخطاب إلى بيان سوء حالهم وحكاية لغيرهم ثم أضرب وانتقل إلى التبكيت بوجه آخر أدخل في الإلزام فقال:

﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

﴿أم﴾ منقطعة ﴿من﴾ موصولة كما سبق ﴿جعل الأرض قراراً﴾ يقال: قر في مكانه يقر قراراً إذا ثبت ثبوتاً جامداً وأصله القر وهو البرد لأجل أن البرد يقتضي السكون والحر يقتضي الحركة والمراد بالقرار هنا المستقر. والمعنى بل أم من جعلها بحيث يستقر عليها الإنسان والدواب بإظهار بعضها من الماء بالارتفاع وتسويتها حسبما يدور عليه منافعهم خير من الذي يشركون به من الأصنام وذكر بعض الآيات بلفظ الماضي لأن بعض أفعاله تقدم وحصل مفروغاً منه وبعضها يفعلها حالاً بعد حال. ﴿وجعل خلالها﴾ جمع خلل وهي الفرجة بين الشيئين نحو خلل الدار وخلل السحاب ونحوهما أوساطها. وبالفارسية [وبيدا كرد درميا نهاي زمين]. ﴿أنهاراً﴾ جارية ينتفعون بها هو المفعول الأول للجعل قدم عليه الثاني لكونه ظرفاً وعلى هذا المفاعيل للفعلين الآتيين ﴿وجعل لها رواسي﴾ يقال: رسا الشيء يرسو ثبت.

قال في «كشف الأسرار»: الرواسي جمع الجمع يقال: جبل راس وجبال راسية ثم تجمع الراسية على الرواسي أي جبالاً ثوابت تمنعها أن تميل بأهلها وتضطرب ويتكون فيها المعادن

وينبع في حضيضها الينابيع ويتعلق بها من المصالح ما لا يخفى.

قال بعضهم: جعل نفوس العابدين قرار طاعتهم وقلوب العارفين قرار معرفتهم وأرواح الواجدين قرار محبتهم وأسرار الموحدين قرار مشاهدتهم وفي أسرارهم أنهار الوصلة وعيون القربة بها يسن ظمأ اشتياقهم وهيجان احتراقهم وجعل لها رواسي من الخوف والرجاء والرغبة والرهبة وأيضاً جعل للأرض رواسي من الأبدال والأولياء والأوتاد بهم يديم إمساك الأرض وببركاتهم يدفع البلاء عن الخلق وكما لا تختص الرواسي الظاهرة بديار الإسلام كذلك الرواسي الباطنة لا تختص بها بل تعمها وديار الكفرة فإن الوجود مطلقاً لا بد له من سبب البقاء فسبحان المفيض على الأولياء والأعداء. ﴿وجعل بين البحرين﴾ أي: العذب والمالح أو خليجي فارس والروم. ﴿حاجزاً﴾ برزخاً مانعاً من الممازجة والمخالطة كما مر في سورة الفرقان.

قال في «المفردات»: الحجز المنع بين الشيئين بفاصل بينهما وسمي الحجاز بذلك لكونه حاجزاً بين الشام والبادية. ﴿أإله﴾ آخر كائن ﴿مع الله﴾ في الوجود أو في إبداع هذه البدائع: يعني ليس معه غيره. ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ أي: شيئاً من الأشياء ولذلك لا يفهمون بطلان ما هم عليه من الشكر مع كمال ظهوره.

﴿أم من يجيب المضطر إذا دعاه﴾ الضمير المنصوب راجع إلى المبتدأ وهو من الموصولة التي أريد بها الله تعالى والمعنى أم من يستجيب الملجأ إلى ضيق من الأمر إذا تضرع بالدعاء إليه. ﴿ويكشف السوء﴾ ويدفع عن الإنسان ما يسوءه ويحزنه خير أم الذي يشركون به من الأصنام والاضطرار افتعال من الضرورة وهي الحالة المحوجة إلى اللجأ والمضطر الذي أحوجته شدة من الشدائد إلى اللجأ والضراعة إلى الله تعالى كالمرض والفقر والدين والغرق والحبس والجور والظلم وغيرها من نوازل الدهر فكشفها بالشفاء والإغناء والإنجاء والإطلاق والتلخيص [شيخ داود اليماني قدس سره بعيادت بيماري رفته بود بيمار كفت اي شيخ دعاكن براي شفاي من شيخ كفت تودعاكن كه مضطري وأجابت بدعاء مضطر بازبسته زيراكه نياز أو بيشتر باشد وحق سبحانه نياز بيچار كان دوست يمدارد].

اين نياز مريمي بودست ودرد ... كان چنان طفلي سخن آغاز كرد
هر كجا دردي دوا آنجابود ... هر كجا فقري نوا آنجاروود
هر كجا مشكل جواب آنجاروود ... هر كجا پستيست آب آنجاروود
پيش حق يك ناله ازروي نياز ... به كه عمري درسجود ودر نماز
زوررا بكذار زاري را بكير ... رحم سوى زاري آيد أي فقير

قال بعضهم: فصل بين الإجابة وكشف السوء فالإجابة بالقول والكشف بالطول والإجابة بالكلام والكشف بالإنعام ودعاء المضطر لا حجاب به ودعاء المظلوم لا مرد له ولكل أجل كتاب.

قال أهل التفسير: اللام في المضطر للجنس لا للاستغراق حتى يلزم إجابة كل مضطر فإن الله تعالى يجيب إجابة المضطرين لكن يجيب لبعضهم بالقول ولبعضهم بالفعل على حسب الحكمة والمصلحة.

قال في «نفائس المجالس»: جاء في الحديث: «حبب إلي من دنياكم ثلاث الطيب

والنساء وقرة عيني في الصلاة» فلما سمعه أبو بكر رضي الله عنه قال: يا رسول الله حبب إليّ من دنياكم ثلاث النظر إليك وإنفاق مالي عليك والجلوس بين يديك» وقال عمر رضي الله عنه: «حبب إليّ من دنياكم ثلاث النظر إلى أولياء الله والقهر لأعداء الله والحفظ لحدود الله» وقال عثمان رضي الله عنه: «يا سيدي حبب إليّ من دنياكم ثلاث إفشاء السلام وإطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام» وقال علي رضي الله عنه: «يا سيدي حبب إليّ من دنياكم ثلاث الضرب بالسيف والصوم بالصيف وإكرام الضيف» فجاء جبريل عليه السلام وقال: «يا سيدي حبب إليّ من دنياكم ثلاث إرشاد الضالين وإعانة المساكين ومؤانسة كلام رب العالمين» ثم غاب وجاء بعد ساعة فقال: إن الله يقرئك السلام ويقول: «أحب من دنياكم ثلاثاً دمع العاصين وعذاب المذنبين الغير التائبين وإجابة دعوة المضطرين».

قال بعضهم: العارف لا يزال مضطراً معناه أن العامة اضطرارهم بمنيرات الأسباب فإذا زالت زال اضطرارهم وذلك لغلبة الحس على شهودهم فلو شهدوا قبضة الله الشاملة المحيطة لعلموا أن اضطرارهم إلى الله دائم ولدوام شرط الاضطرار ووصفه لا يزال دعاء العارفين مستجاباً والأهم في الدعاء تخليص النيات وتطهير الاعتقاد عن شوائب الشكوك والتوسل إلى الله تعالى وبالتوبة النصوح ثم تطهير الجوارح والأعضاء ليكون محلاً للإمداد من السماء ومنه الاستياك والتطيب ثم الوضوء واستقبال القبلة وتقديم الذكر والثناء والصلاة قبل الشروع في عرض الحاجات والدعوات وكذا بسط يديه بالضراعة والابتهال ورفعها حذو منكبيه.

قال أبو يزيد البسطامي قدس سره: دعوت الله ليلة فأخرجت إحدى يدي من كمي دون الأخرى لشدة البرد فنعست فرأيت في منامي أن يدي الظاهرة مملوءة نوراً والأخرى فارغة فقلت: ولم ذاك يا رب فنوديت اليد التي خرجت للطلب امتلأت والتي توارت حرمت.

قال بعضهم: إن كان وقت برد أو عذر فأشار بالمسبحة قام مقام كفيه كما في «القنية» ﴿ويجعلكم خلفاء الأرض﴾ خلفاء فيها بأن ورثكم سكناهم والتصرف فيها ممن كان قبلكم من الأمم يخلف كل قرن منكم القرن الذي قبله. ﴿أإله﴾ آخر كائن ﴿مع الله﴾ الذي يفيض على كافة الأنام هذه النعم الجسام. ﴿قليلاً ما تذكرون﴾ أي تتذكرون آلاءه تذكراً قليلاً وزماناً قليلاً وما مزيدة لتأكيد معنى القلة التي أريد بها العدم أو ما جرى مجراه في الحقارة وقلة الجدوى. وفيه إشارة إلى أن مضمون الكلام مركوز في ذهن كل ذكي وغبي وأنه من الوضوح بحيث لا يتوقف إلا على التوجه إليه وتذكره.

﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿أم﴾ بل ﴿من﴾ الذي ﴿يهديكم﴾ يرشدكم إلى مقاصدكم ﴿في ظلمات البر والبحر﴾ أي في ظلمات الليالي فيها بالنجوم وعلامات الأرض على أن الإضافة للملابسة أو في مشتبهات الطريق يقال طريقة ظلماء أو عمياء للتي لا منار بها أي هو خير أم الأصنام ﴿ومن﴾ موصولة كما سبق ﴿يرسل الرياح﴾ حال كونها ﴿بشراً﴾ مبشرة ﴿بين يدي رحمته﴾ يعني المطر. وبالفارسية [وكسى كه مي فرستد بادهارا مژده دهند كان پيش ازرحمت كه بارانست]

﴿أإله مع الله﴾ يقدر على مثل ذلك ﴿تعالى الله عما يشركون﴾ تعالى الخالق القادر عن مشاركة العاجز المخلوق ﴿أم من يبدأ الخلق﴾ أي يوجده أول مرة ﴿ثم يعيده﴾ بعد الموت بالبعث أي يوجده بعد إماتته وأم ومن إعرابه كما تقدم.

وفي «الكواشي»: وسألوا عن بدء خلقهم وإعادتهم مع إنكارهم البعث لتقدم البراهين الدالة على ذلك من إنزال الماء وإنبات النبات وجفافه ثم عوده مرة ثانية والعقل يحكم بإمكان الإعادة بعد الإبلاء وهم يعلمون أنهم وجدوا بعد أن لم يكونوا فإيجادهم بعد أن كانوا أيسر ﴿ومن يرزقكم من السماء والأرض﴾ أي بأسباب سماوية وأرضية ﴿أإله مع الله﴾ يفعل ذلك ﴿قل هاتوا﴾.

قال الحريري: تقول العرب للواحد المذكر: هات بكسر التاء وللجمع هاتوا وللمؤنث هاتي ولجماعة الإناث هاتين وللاثنين من المذكر والمؤنث هاتيا دون هاتا من غير أن فرقوا في الأمر لهما كما لم يفرقوا بينهما في ضمير المثنى في مثل قولك: غلامهما وضربهما ولا في علامة التثنية التي في قولك الزيدان والهندان وكان الأصل في هات آت المأخوذ من آتى أي أعطى فقلبت الهمزة هاء كما قلبت في أرقت الماء وفي إياك فقيل هرقت وهياك.

وفي «ملح العرب» أن رجلاً قال لأعرابي هات فقال: والله ما أهاتيك أي ما أعطيك، ومعنى هاتوا بالفارسية [بياريد] ﴿برهانكم﴾ عقلياً أو نقلياً يدل على أن معه تعالى إلهاً آخر والبرهان أوكد الأدلة وهو الذي يقتضي الصدق أبداً ﴿إن كنتم صادقين﴾ أي في تلك الدعوى ثم بين تعالى تفرده بعلم الغيب تكميلاً لما قبله من اختصاصه بالقدرة التامة وتمهيداً لما بعده من أمر البعث فقال.

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

﴿قل لا يعلم من في السموات﴾ من الملائكة ﴿والأرض﴾ من الإنس والجن ﴿والغيب﴾ وهو ما غاب عن العباد كالساعة ونحوها وسيجيء بيانه ﴿إلا الله﴾ أي لكن الله وحده يعلمه فالاستثناء منقطع والمستثنى مرفوع على أنه بدل من كلمة من على اللغة التميمية وأما الحجازيون فينصبونه ﴿وما يشعرون﴾ يعني البشر أي لا يعلمون ﴿أيان يبعثون﴾ متى ينشرون من القبور فأيان مركبة من أي وآن فأي للاستفهام وآن بمعنى الزمان فلما ركبا وجعلا اسماً واحداً بنيا على الفتح كبعلبك.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن للغيب مراتب غيب هو غيب أهل الأرض في الأرض وفي السماء وللإنسان إمكان تحصيل علمه وهو على نوعين. أحدهما ما غاب عنك في أرض الصورة وسمائها مثل غيبة شخص عنك أو غيبة أمر من الأمور ولك إمكان إحضار الشخص والاطلاع على الأمر الغائب وفي السماء مثل علم النجوم والهيئة ولك إمكان تحصيله بالتعلم وإن كان غائباً عنك. وثانيهما ما غاب عنك في أرض المعنى وهو أرض النفس فإن فيها مخبئات من الأوصاف والأخلاق مما هو غائب عنك كيفية وكمية ولك إمكان الوقوف عليها بطريق المجاهدة والرياضة والذكر والفكر وسماء المعنى وهو سماء القلب فإن فيها مخبئات من العلوم والحكم والمعاني مما هو غائب عنك ولك إمكان الوصول إليه بالسير عن مقامات النفس والسلوك في مقامات القلب وغيب هو غيب أهل الأرض في الأرض والسماء أيضاً

وليس للإنسان إمكان الوصول إليه إلا بإرادة الحق تعالى كما قال: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣] وغيب وهو غيب أهل السماء في السماء والأرض ليس لهم إمكان الوصول إليه إلا بتعليم الحق تعالى مثل الأسماء كما: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البقرة: ٣١-٣٢] ومن هنا تبين لك أن الله تعالى قد كرم آدم بكرامة لم يكرم بها الملائكة وهو اطلاعه على مغيبات لم يطلع عليها الملائكة وذلك بتعلمه علم الأسماء كلها وغيب هو مخصوص بالحضرة ولا سبيل لأهل السموات والأرض إلى علمه إلا لمن ارتضى له كما قال: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧] وبهذا استدل على فضيلة الرسل على الملائكة لأن الله استخصهم بإظهارهم على غيبه دون الملائكة ولهذا أسجدهم لآدم لأنه كان مخصوصاً بإظهار الله إياه على غيبه ولذلك قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق آدم فتجلى فيه» وغيب استأثر الله بعلمه وهو علم قيام الساعة فلا يعلمه إلا الله كما قال: ﴿وما يشعرون أيان يبعثون﴾ انتهى قالت عائشة رضي الله عنها من زعم أن محمداً يعلم ما في غد فقد أعظم على الله الفرية.

يقول الفقير: وأما ما قيل من أن من قال إن نبي الله لا يعلم الغيب فقد أخطأ فيما أصاب فهو بالنسبة إلى الاستثناء الوارد في قوله تعالى: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧] فإن بعض الغيب قد أظهره الله على رسوله كما سبق من «التأويلات».

قال في «كشف الأسرار»: [منجمي درپيش حجاج رفت حجاج سنك ريزه دردست كرد وخود برشمرد آنكه منجم راكفت بكوتا دردست من سنك ريزه چندست منجم حسابي كه دانست بركوفت وبكفت وصواب آمد حجاج آن بكذاشت ولختي ديكر سنك ريزه ناشمرده دردست كرفت كفت اين چندست منجم هرچند حساب ميكرد جواب همه خطا مي آمد منجم كفت «أيها الأمير أظنك لا تعرف ما في يدك» چنان ظني مي برم كه توعد آن نميداني حجاج كفت چنين است نميدانم عدد آن وچه فرقست ميان اين وآن منجم كفت أول بارتو برشمر دي واز حد غيب بدر آمد واكنون تونميداني وغيب است «ولا يعلم الغيب إلا الله» وفي كتاب كلستان منجمي بخانهٔ خود در آمد مرد بيكانه را ديد بازن أو بهم نشسته دشنام داد وسقط كفت وفتنه وآشوب برخاست صاحب دلي برين حال واقف شد وكفت].

تو براوج فلك چه داني چيست چونداني كه در سراي توكيست

﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿بل ادراك علمهم في الآخرة﴾ أصله تدارك فأبدلت التاء دالاً وأسكنت للادغام واجتلبت همزة الوصل للابتداء ومعناه تلاحق وتدارك.

قال في «القاموس»: جهلوا علمها ولا علم عندهم من أمرها انتهى وهو قول الحسن وحقيقته انتهى علمهم في لحوق الآخرة فجهلوها كما في «المفردات».

وقال بعضهم: تدارك وتتابع حتى انقطع من قولهم تدارك بنو فلان إذا تتابعوا في الهلاك فهو بيان لجهلهم بوقت البعث مع تعاضد أسباب المعرفة. والمعنى تتابع علمهم في شأن الآخرة حتى انقطع ولم يبق لهم علم بشيء مما سيكون فيها قطعاً لكن لا على أنه كان لهم علم بذلك على الحقيقة ثم انتفى شيئاً فشيئاً بل على طريقة المجاز بتنزيل أسباب العلم ومباديه من

الدلائل العقلية والسمعية منزلة نفسه وإجراء ساقطها عن اعتبارهم كلما لاحظوها مجرى تتابعها إلى الانقطاع وتنزيل أسباب العلم بمنزلة العلم سنن مسلوك ثم أضرب وانتقل من بيان علمهم بها إلى بيان ماهو أسوأ منه وهو حيرتهم في ذلك حيث قيل: ﴿بل هم في شك منها﴾ من نفس الآخرة وتحققها كمن تحير في أمر لا يجد عليه دليلاً فضلاً عن الأمور التي ستقع فيها ثم أضرب عن ذلك إلى بيان أن ما هم فيه أشد وأفظع من الشك حيث قيل: ﴿بل هم منها عمون﴾ جاهلون بحيث لا يكادون يدركون دلائلها لاختلال بصائرهم بالكلية جمع عم وهو أعمى القلب.

قال في «المفردات»: العمى يقال في افتقاد البصر وافتقاد البصيرة ويقال في الأول أعمى والثاني عمي وعم وعمي القلب أشد ولا اعتبار لافتقاد البصر في جنب افتقاد البصيرة إذ رب أعمى في الظاهر بصير في الباطن ورب بصير في الصورة أعمى في الحقيقة كحال الكفار والمنافقين والغافلين وعلاج هذا العمى إنما يكون بضده وهو العلم الذي به يدرك الآخرة وما تحويه من الأمور.

قال سهل بن عبد الله التستري قدس سره: ما عصى الله أحد بمعصية أشد من الجهل قيل: يا أبا محمد هل تعرف شيئاً أشد من الجهل؟ قال: نعم الجهل بالجهل فالجهل جهلان جهل بسيط هو سلب العلم وجهل مركب هو خلافه والأول ضعيف والثاني قوي لا يزول إلا أن يتداركه الله تعالى. قيل:

سقام الحرص ليس له شفاء ... وداء الجهل ليس له طبيب

وقيل:

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله ... وأجسامهم قبل القبور قبور

وإن امرأ لم يحيي بالعلم ميت ... وليس له حين النشور نشور

أي كه داري هنر نداري مال ... مكن از كردكار خود كلهٔ

نعمت جهل را مخواه كه هست ... روضهٔ درميان مزبلهٔ

اللهم اجعلنا من العلماء ورثة الأنبياء.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾.

﴿وقال الذين كفروا﴾ أي: مشركو مكة ﴿أئذا كنا تراباً﴾ [آيا چون كرديم ما خاك] ﴿وآباؤنا﴾ [وپدران ما نيزخاك شوند] وهو عطف على ضمير كنا بلا تأكيد لفصل تراباً بينهما. ﴿أئنا لمخرجون﴾ [آيا ما بيرون آورندكانيم از كورها زنده شده] والضمير في أئنا لهم ولآبائهم لأن كونهم تراباً يتناولهم وآباءهم والعامل في إذا ما دل عليه أئنا لمخرجون وهو نخرج لا مخرجون لأن كلاً من الهمزة وإن واللام مانعة من عمله فيما قبلها. والمعنى أنخرج من القبور إذا كنا تراباً أي هذا لا يكون وتكرير الهمزة للمبالغة في الإنكار وتقييد الإنكار بوقت كونهم تراباً لتقويته بتوجيهه إلى الإخراج في حالة منافية له وإلا فهم منكرون للإحياء بعد الموت مطلقاً أي سواء كانوا تراباً أو لا.

﴿لقد وعدنا هذا﴾ أي الإخراج. وبالفارسية [بدرستي وعده داده شده ايم اين حشر

ونشررا]. ﴿ونحن﴾ وتقديم الموعود على نحن لأنه المقصود بالذكر وحيث أخر كما في سورة المؤمنين قصد به المبعوث. ﴿وآباؤنا من قبل﴾ أي من قبل وعد محمد يعني أن آباءنا وعدوا به في الأزمنة المتقدمة ثم لم يبعثوا ولن يبعثوا ﴿إن هذا﴾ أي ما هذا الوعد. ﴿إلا أساطير الأولين﴾ أحاديثهم التي سطروها وكتبوها كذاباً مثل حديث رستم واسفنديار. وبالفارسية [مكر افسانها پيشينيان يعني ما نند افسانها كه مجرد سخنيست بي حقيقت] والأساطير الأحاديث التي ليس لها حقيقة ولا نظام جمع أسطار وإسطير بالكسر وأسطور بالضم وبالهاى في الكل جمع سطر.

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿قل﴾ يا محمد ﴿سيروا﴾ أيها المنكرون المكذبون من السير وهو المضي ﴿في الأرض﴾ في أرض أهل التكذيب مثل الحجر والأحقاف والمؤتفكات ونحوها ﴿فانظروا﴾ تفكروا واعتبروا. ﴿كيف كان عاقبة المجرمين﴾ آخر أمر المكذبين بسبب التكذيب حيث أهلكوا بأنواع العذاب وفيه تهديد لهم على التكذيب وتخويف بأن ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين قبلهم وأصل الجرم قطع الثمر عن الشجر والجرامة رديء الثمر المجروم واستعير لكل اكتساب مكروه.

﴿ولا تحزن عليهم﴾ على تكذيبهم وإصرارهم لأنهم خلقوا لهذا وهو ليس بنهي عن تحصيل الحزن لأن الحزن ليس يدخل تحت اختيار الإنسان ولكن النهي في الحقيقة إنما هو عن تعاطي ما يورث الحزن واكتسابه. والحزن والحزن خشونة في الأرض وخشونة في النفس لما يحصل فيها من النعم ويضاده الفرح. ﴿ولا تكن في ضيق﴾ [در تنكدلي] وهو ضد السعة ويستعمل في الفقر والغم ونحوهما. ﴿مما يمكرون﴾ من مكرهم وكيدهم تدبيرهم الحيل في إهلاكك ومنع الناس عن دينك فإنه لا يحيق المكر السيىء إلا بأهله والله يعصمك من الناس ويظهر دينك.

غم مخورزان روكه غمخوارت منم وزهمه بدها نكهدارت منم
ازتوكر اغيار برتابندرو اين جهان وآن جهان يارت منم

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾﴾.

﴿ويقولون﴾ [وميكويندكافران] ﴿متى﴾ [كجاست وكي خواهد بود] ﴿هذا الوعد﴾ أي: العذاب العاجل الموعود ﴿إن كنتم صادقين﴾ في إخباركم بإتيانه والجمع باعتبار شركة المؤمنين في الإخبار بذلك.

﴿قل عسى أن يكون ردف لكم﴾ أي: تبعكم ولحقكم وقرب منكم قرب الرديف من مردفه واللام زائدة للتأكيد. وبالفارسية [بكوشايد رنكه باشدكه بحكم الهي پيوندد بشما وازيي در آيد شمارا] ﴿بعض الذي تستعجلون﴾ من العذاب فحل بهم عذاب يوم بدر وسائر العذاب لهم مدخر ليوم البعث.

وقيل: الموت بعض من القيامة وجزء منها وفي الخبر: «**من مات فقد قامت قيامته**» وذلك لأن زمان الموت آخر زمان من أزمنة الدنيا وأول زمان من أزمنة الآخرة فمن مات قبل القيامة فقد قامت قيامته من حيث اتصال زمان الموت بزمان القيامة كما أن أزمنة الدنيا يتصل بعضها ببعض. وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك بمنزلة الجزم بها وإنما يطلقونها إظهاراً للوقار وإشعاراً بأن الرمز من أمثالهم كالتصريح ممن عداهم وعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده.

﴿**وإن ربك لذو فضل**﴾ إفضال وإنعام. ﴿**على الناس**﴾ على كافة الناس ومن جملة إنعاماته تأخير عقوبة هؤلاء على ما يرتكبونه من المعاصي التي من جملتها استعجال العذاب. ﴿**ولكن أكثرهم لا يشكرون**﴾ لا يعرفون حق النعمة فلا يشكرون بل يستعجلون بجهلهم وقوع العذاب كدأب هؤلاء. وفيه إشارة إلى أن استعجال منكري البعث في طلب العذاب الموعود لهم من غاية جهلهم بحقائق الأمور وإلا فقد ردفهم أنموذج من العذاب الأكبر وهو العذاب الأدنى من البليات والمحن.

﴿**وإن ربك لذو فضل على الناس**﴾ فيما يذيقهم العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون إلى الحضرة بالخوف والخشية تاركين الدنيا وزينتها راغبين في الآخرة ودرجاتها. ﴿**ولكن أكثرهم لا يشركون**﴾ لأنهم لا يميزون بين محنهم ومنحهم وعزيز من يعرف الفرق بين ما هو نعمة من الله وفضله أو محنة ونقمة وإذا تقاصر علم العبد عما فيه صلاحه فعسى أن يحب شيئاً ويظنه خيراً وبلاؤه فيه وعسى أن يكون شيء آخر بالضد ورب شيء يظنه العبد نعمة يشكره بها ويستديمه وهي محنة له يجب صبره عنها ويجب شكره لله تعالى على صرفه عنه وبعكس هذا كم من شيء يظنه الإنسان بخلاف ما هو كذا في «التأويلات النجمية».

﴿**وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم**﴾ أي: ما تخفيه من أكن إذا أخفى والإكنان جعل الشيء في الكن وهو ما يحفظ فيه الشيء.

قال في «تاج المصادر»: [الأكنان: در دل نهان داشتن والكن پنهان داشتن] في الكن والنفس كننت الشيء وأكننته في الكن وفي النفس بمعنى وفرق قوم بينهما فقالوا: كننت في الكن وإن لم يكن مستوراً وأكننت في النفس والباب يدل على ستر أو جنون انتهى ﴿**وما يعلنون**﴾ من الأقوال والأفعال التي من جملتها ما حكي عنهم من استعجال العذاب وفيه إيذان بأن لهم قبائح غير ما يظهرونه وأنه تعالى يجازيهم على الكل [والاعلان: آشكارا كردن].

قال الجنيد قدس سره: ما تكن صدورهم من محبته وما يعلنون من خدمته.

﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٧٥﴾

﴿**وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين**﴾ [وهيچ نيست پوشيده در آسمان وزمين مكر نوشته در كتابي روشن يعني لوح محفوظ وباوعلم حق محيط] والغائبة من الصفات التي تدل على الشدة والغلبة والتاء للمبالغة كأنه قال: وما من شيء شديد الغيبوبة والخفاء إلا وقد علمه الله تعالى وأحاط به فالغيب والشهادة بالنسبة إلى علمه تعالى وشهوده على السواء كما قال في بحر الحقائق هذا يدل على أنه ما غاب عن علمه شيء من المغيبات الموجود منها والمعدوم واستوى في علمه وجودها وعدمها على ما هي به بعد إيجادها فلا تغير في علمه تعالى عند تغيرها بالإيجاد فيتغير المعلوم ولا يتغير العلم بجميع حالاته على ما هو به انتهى

فعلى الإنسان ترك النسيان والعصيان فإن الله تعالى مطلع عليه وعلى أفعاله وإن اجتهد في الإخفاء. قال الشيخ سعدي في «البستان».

يكى متفق بود برمنكري كذر كرد بروي نكو محضري
نشست از خجالت عرق كرده روى كه إيا خجيل كشتم از شيخ كوى
شنيد اين سخن شيخ روشن روان بروبر بشوريد وكفت أي جوان
نيايد همي شرمت از خويشتن كه حق حاضر وشرم داري زمن
چنان شرم دار از خداوند خويش كه شرمت زبيكانكانست وخويش
نياسايى از جانب هيچ كس برو جانب حق نك دار وبس
بترس ازكناهان خويش اين نفس كه روز قيامت نه ترسي ز كس
تر يزد خدا آب روى كسى كه ريزد كناه آب چشمش بسى

ثم إنه ينبغي للمؤمن أن يكون سليم الصدر ولا يكن في نفسه حقداً وحسداً وعداوة لأحد وفي الحديث: «إن أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة» فدخل عبد الله بن سلام رضي الله عنه فقام إليه ناس من أصحاب رسول الله فأخبروه بذلك وقالوا: لو أخبرتنا بأوثق عملك نرجو به فقال: إني ضعيف وإن أوثق ما أرجو به سلامة الصدر وترك ما لا يعنيني ففي هذا الخبر شيئان أحدهما إخباره عليه السلام عن الغيب ولكن بواسطة الوحي وتعليم الله تعالى فإن علم الغيب بالذات مختص بالله تعالى والثاني إن سلامة الصدر من أسباب الجنة وفي الحديث: «لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئاً فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر» وذلك أن المرء ما دام لم يسمع عن أخيه إلا مناقبه يكون سليم الصدر في حقه فإذا سمع شيئاً من مساويه واقعاً أو غير واقع يتغير له خاطره.

بدى در قفا عيب من كرد وخفت بترزو قريني كه آورد وكفت
يكي تيرى افكند ودرره فتاد وجودم نيازرد ورنجم نداد
تو برداشتى وآمدى سوى من همى درسپوزى به پهلوى من

والنصيحة في هذا للعقلاء أن لا يصيخوا إلى الواشي والنمام والغياب والعياب فإن عرض المؤمن كدمه ولا ينبغي إساءة الظن في حق المؤمن بأدنى سبب وقد ورد «الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها».

ازان همنشين تاتواني كريز كه مرفتنهٔ خفته را كفت خيز
كسى را كه نام آمد اندر ميان به نيكو ترين نام ونعتش بخوان
چو همواره كويي كه مردم خرند مبر ظن كه نامد چو مردم برند
كسى پيش من درجهان عاقلست كه مشغول خوددرجهان غافلست
كساني كه پيغام دشمن برند زد شمن همانا كه دشمن ترند
كسى قول دشمن نيارد بدوست مكر آنكهى دشمن يار أوست
مريز آب روى برادر بكوى كه درهت نريزد بشهر آب روى
ببد كفتن خلق چون دم زدي أكر راست كويي سخن هم بدي

نسأل الله العصمة.

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾.

﴿إن هذا القرآن﴾ المنزل على محمد ﴿يقص﴾ يبين ﴿على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه﴾ لجهالتهم ﴿يختلفون﴾ مثل اختلافهم في شأن المسيح وعزير وأحوال المعاد الجسماني والروحاني وصفات الجنة والنار واختلافهم في التشبيه والتنزيه وتناكرهم في أشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضاً فلو أنصفوا وأخذوا بالقرآن وأسلموا لسلموا.

﴿وإنه﴾ أي: القرآن ﴿لهدى﴾ [ره نمونيست] ﴿ورحمة﴾ [وبخشايشي] ﴿للمؤمنين﴾ مطلقاً من بني إسرائيل أو من غيرهم وخصوا بالذكر لأنهم المنتفعون به.

﴿إن ربك يقضي بينهم﴾ يفصل بين بني إسرائيل المختلفين وذلك يوم القيامة ﴿بحكمه﴾ بما يحكم به وهو الحق والعدل سمي المحكوم به حكماً على سبيل التجوز ﴿وهو العزيز﴾ الغالب القاهر فلا يرد حكمه وقضاؤه ﴿العليم﴾ بجميع الأشياء التي من جملتها ما يقضى فيه فإذا كان موصوفاً بهذه الشؤون الجليلة.

﴿فتوكل على الله﴾ ولا تبال بمعاداتهم والتوكل التبتل إلى الله وتفويض الأمر إليه والإعراض عن التشبث بما سواه وأيضاً هو سكون القلب إلى الله وطمأنينة الجوارح عند ظهور الهائل وعلل التوكل أولاً بقوله: ﴿إنك على الحق المبين﴾ [يعني راه توراست وكار تودرست] وصاحب الحق حقيق بالوثوب بحفظ الله ونصره وثانياً بقوله:

﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾

﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ فإن كونهم كالموتى موجب لقطع الطمع في مشايعتهم ومعاضدتهم رأساً وداءً إلى تخصيص الاعتقاد به تعالى وهو المعني بالتوكل عليه وإطلاق الأسماع على المعقول لبيان عدم سماعهم لشيء من المسموعات وإنما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم بما يتلى عليه من الآيات والمراد المطبوعون على قلوبهم فلا يخرج ما فيها من الكفر ولا يدخل ما لم يكن فيها من الإيمان.

فإن قلت بعد تشبيه أنفسهم بالموتى لا يظهر لتشبيههم بالعمي والصم كما يأتي مزيد فائدة.

قلت: المراد كما أشير إليه بقوله على قلوبهم تشبيه القلوب لا تشبيه النفوس فإن الإنسان إنما يكون في حكم الموتى بممات قلبه بالكفر والنفاق وحب الدنيا ونحوها. فحاصل المعنى بالفارسية: [مرده دلان كفر فهم سخن تو نمي توانند كرد].

قال يحيى بن معاذ رحمه الله: العارفون بالله أحياء وما سواهم موتى وذلك لأن حياة الروح إنما هي بالمعرفة الحقيقية.

قال في «كشف الأسرار»: [زندكاني بحقيقت سه چيزست وهردل كه ازان سه چيز خالي بود درشمار موتى است. زندكاني بيم باعلم. وزندكاني اميد باعلم. وزندكاني دوستي باعلم. زندكاني بيم دامن مرد پاك دار دوچشم وي بيدار وراه وي راست. زندكاني اميد مركب وي

تيزدارد وزاد تمام وراه نزديك. زندكاني دوستي قدر مردم بزرك دارد وسروى آزاد ودل شاد. بيم بي علم بيم خارجيا نست. اميد بي علم اميد مرجيانست. دوستي بيعلم أبا حيانست هركرا أين سه خصلت باعلم درهم پيوست بزندكي پاك رسيد وازمردكي بازرست] ﴿ولا تسمع الصم الدعاء﴾ أي: الدعوة إلى أمر من الأمور جمع أصم والصمم فقدان حاسة السمع وبه شبه من لا يصغي إلى الحق ولا يقبله كما شبه ههنا.

وفي «التأويلات النجمية»: ولا تسمع الصم الذين أصمهم الله بحب الشهوات فإن حبك الشيء يعمي ويصم أي يعمي عن طريق الرشد ويصم عن استماع الحق. ﴿إذا ولوا﴾ ولى أعرض وترك قربه ﴿مدبرين﴾ أي إذا انصرفوا حال كونهم معرضين عن الحق تاركين ذلك وراء ظهرهم يقال: أدبر أعرض وولى دبره وتقييد النفي بإذا لتكميل التشبيه وتأكيد النفي فإن أسماعهم في هذه الحالة أبعد أي أن الأصم لا يسمع الدعاء مع كون الداعي بمقابلة صماخه قريباً منه فكيف إذا كان خلفه بعيداً منه ثم شبههم بالعمي بقوله:

﴿وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم﴾ هداية موصلة إلى المطلوب فإن الاهتداء لا يحصل إلا بالبصر فشبه من افتقد البصيرة بمن افتقد البصر في عدم الهداية.

قال في «المفردات»: لم يعد تعالى افتقاد البصر في جانب افتقاد البصيرة عمي حتى قال: فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴿إن تسمع﴾ أي ما تسمع سماعاً نافعاً للسامع ﴿إلا من يؤمن بآياتنا﴾ من هو في علم الله كذلك، أي من شأنه الإيمان بها ولما كان طريق الهداية هو إسماع الآيات التنزيلية قال: إن تسمع دون أن تهدي مع قرب ذكر الهداية ﴿فهم مسلمون﴾ تعليل لإيمانهم بها كأنه قيل منقادون للحق. وبالفارسية [پس إيشان كردن نهند كانند فرمانرا ومخلصان ومتخصصان عالم إيقانند].

كوش باطن نهاده بر قرآن	ديدهٔ دل كشاده برعرفان
زنده ازنفحهاي كلشن قدس	معتكف در قضاي عالم انس
برده اند از مضائق لاشيء	به «قل الله ثم ذرهم» پي

فالأصل هو العناية الأزلية وما سبق في علم الله من السعادة الأبدية. روي: أن النبي عليه السلام قام على منبره فقبض كفه اليمنى فقال: «كتاب كتب الله فيه أهل الجنة بأسمائهم وأنسابهم مجمل عليهم لا يزاد فيه ولا ينقص منه وليعملن أهل السعادة بعمل أهل الشقاء حتى يقال كأنهم منهم بل هم هم ثم يستنقذهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة» وهو بضم الفاء وتخفيف الواو آخره قاف.

قال الجوهري وغيره هو ما بين الحلبتين من الوقت لأن الناقة تحلب ثم تترك سويعة يرضعها الفصيل لتدر ثم تحلب انتهى «وليعملن أهل الشقاء بعمل أهل السعادة حتى يقال كأنهم منهم بل هم هم ثم ليخرجنهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة السعيد من سعد بقضاء الله والشقي من شقي بقضاء الله والأعمال بالخواتيم» [آورده اندكه رسول خدا ﷺ حكايت كردكه دربني إسرائيل زاهدي بود دويست سال عبادت كرده در آرزوي آن بودكه وقتي إبليس را به بيند تاباوي كويد الحمد لله كه درين دويست سال ترا برمن راه نبود ونتوا نستي مرا ازراه حق بكردانيدن آخر روزي إبليس از محراب خويشتن را باونمود واورا بشناخت وكفت اكنون بچه آمدي يا إبليس كفت دويست سالست تاميكوشم كه ترا ازراه ببرم وبكام خويش در آرم

وازدستم برنخاست ومرادبر نيامد واكنون تودر خواستي كه مرا بيني ديدار من ترابچه كار آيد از عمر تودويست سال ديكر مانده است اين سخن بكفت ونابديد كشت زاهد دروسواس افتاد وكفت از عمر من دويست سال مانده ومن چنين خويشتن را درزندان كرده أم از لذات وشهوات بازمانده ودويست سال ديكرهم برين صفت دشخوار بود تدبير من آنست كه صد سال دردنيا خوش زندكاني كنم لذات وشهوات بكار دارم آنكه توبه كنم وصد سال ديكر بعبادات بسر آرم كه الله غفور رحيم است آن روز از صومعه بيرون آمد سوى خرابات شد وبشراب ولذات باطل مشغول كشت وبصحبت مؤنسان تن درداد چون در آمد عمرش باخر رسيده بود ملك الموت در آمد وبرسر آن فسق وفجور جان وي برداشت آن طاعات وعبادات دويست ساله بباد برداده حكم أزلي دروي رسيده وشقاوت دامن أو كرفته] نعوذ بالله من درك الشقاء وسوء القضاء. قال الحافظ:

در عمل تكيه مكن زانكه دران روز ازل توچه داني قلم صنع بنامت چه نوشت

وقال:

زاهد ايمن مشو ازبازىء غيرت زنهار كه ره از صومعه تادير مغان اين همه تيست

وقال:

حكم مستورى ومستى همه برخاتمتست كس ندانست كه آخربچه حالت برود

وقال الشيخ سعدي:

كرت صورت حال بد يانكوست نكاريدهٔ دست تقدير أوست

بكوشش نرويد كل ازشاخ بيد نه زنكي بكرما به كردد سفيد

اللهم اجعلنا من السعداء.

﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

﴿وإذا وقع القول عليهم﴾ المراد بالوقوع الدنو والاقتراب كما في قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١] وبالقول ما ينطق عن الساعة وما فيها من فنون الأهوال التي كان المشركون يستعجلونها. والمعنى إذا دنا واقترب وقوع القول وحصول ما تضمنه وأكثر ما جاء في القرآن من لفظ وقع جاء في العذاب والشدائد أي إذا ظهر أمارات القيامة التي تقدم القول فيها انتهى. **﴿أخرجنا لهم دابة من الأرض﴾** واسمها الجساسة لتحسسها الأخبار للدجال لأن الدجال كان موثقاً في دير في جزيرة بحر الشام وكانت الجساسة في تلك الجزيرة كما في حديث المشارق في الباب الثامن. **﴿تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾** أي: تكلم تلك الدابة الكفرة باللسان العربي الفصيح أو للعرب بالعربي وللعجم بالعجمي بأنهم كانوا لا يؤمنون بآيات الله الناطقة بمجيء الساعة [يعني: چون زوال دنيا نزديك باشد حق تعالى دابة الأرض بيرون آرد چنانچه ناقهء صالح ازسنك بيرون آورد] قيل: إنها جمعت خلق كل حيوان ولها وجه كوجه الآدميين مضيئة يبلغ رأسها السحاب فيراها أهل المشرق والمغرب وفي الحديث: «طول الدابة ستون ذراعاً لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب» وفي الخبر: «بينما عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الأرض تحتهم وتتحرك تحرك القنديل وينشق جبل الصفا

مما يلي المسعى فتخرج الدابة منه ولا يتم خروجها إلا بعد ثلاثة أيام فقوم يقفون نظاراً وقوم يفزعون إلى الصلاة فتقول للمصلي: طول ما طولت فوالله لأحطمنك فتخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليه السلام فتضرب المؤمن في مسجده بالعصا فيظهر أثره كالنقطة ينبسط نوره على وجهه ويكتب على جبهته هو مؤمن وتختم الكافر في أنفه بالخاتم فتظهر نكتة فتفشو حتى يسودّ لها وجهه ويكتب بين عينيه هو كافر ثم تقول لهم: أنت يا فلان من أهل الجنة وأنت يا فلان من أهل النار» [وكسى نماند دردنيا مكر سفيد روى ومردم يكدكررا بنام ولقب نخوانند بلكه سفيد روى رامي كويند اي بهشتي وسياه روى كه دوزخي وبر روى زمين همي رود وهركجا نفس وي رسد همه نبات ودرختان خشك ميشود تادر زمين هيچ نبات ودرخت سبز نماند مكر درخت سبيدكه آن خشك نكردد از بهر آنكه بركت هفتاد پيغمبر باويست ودر حديث آمده كه خروج دابه وطلوع افتاب از مغرب متقارب باشد هركدام پيش بودآن ديكر برعقبش ظاهر كردد واز كتب بعض أئمة چنان معلوم ميشود از أشراط ساعت أول آيات سماوي كه طلوع شود شمس از مغرب وأول وآيات أرضي دابة الأرض].

قال في «حياة الحيوان»: ظاهر الأحاديث أن طلوع الشمس آخر الأشراط انتهى كما ورد أن الدجال يخرج على رأس مائة وينزل على عيسى عليه السلام فيقتله ثم مكث في الأرض أربعين سنة وأن الناس يمكثون بعد طلوع الشمس من مغربها مائة وعشرين سنة.

والحاصل أن بني الأصفر وهم الإفرنج على ما ذهب إليه المحدثون إذا خرجوا وظهروا إلى الأعماق في ست سنين يظهر المهدي في السنة السابعة ثم يظهر الدجال ثم ينزل عيسى ثم تخرج الدابة ثم تطلع الشمس من المغرب ويدل عليه أنهم قالوا: إذا أخرجت الدابة حبست الحفظة ورفعت الأقلام وشهدت الأجساد على الأعمال وذلك لكمال تقارب الخروج والطلوع فإنه لا يغلق باب التوبة إلا بعد الطلوع والعلم عند الله تعالى.

قال بعض العارفين: السر في صورة الدابة وظهور جمعية الكون فيها أنها صورت الاستعداد الكوني الشهادي الحيواني ومثال الطبع الكلي الحيواني وحامل جمعية الحقائق الدنيوية وهي أيضاً سر البرزخ الكلي العنصري يظهر منها أسرار الحقائق المتضادة كالكفر والإيمان والطاعة والعصيان والإنسانية والحيوانية وهي آية جامعة فيها معان وأسرار لذوي الأبصار كذا في «كشف الكنوز» فعلى العاقل أن يصيخ إلى آيات الله ويتعظ بوعدها ووعيدها ويؤمن بقدر الله تعالى ويتهيأ للبعث والموت قبل أن ينتهي العمر وينقطع الخير ويختل نظام الدنيا بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد تقارب الزمان.

يا رب از ابر هدايت برسان باراني پيشتر زانكه چوكردي زميان برخيزم

نسأل الله أن يوفقنا للخير وصالحات الأعمال قبل نفاد العمر ومجيء الآجال.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجاً﴾ يوم منصوب بالذكر. والحشر الجمع والمراد به هنا هو الحشر للعذاب بعد الحشر الكلي الشامل لكافة الخلق والأمة جماعة أرسل إليهم رسول كما في «القاموس» والفوج الجماعة من الناس كالزمرة كما في «الوسيط» والجماعة المارة المسرعة كما

في «المفردات». والمعنى واذكر يا محمد لقومك وقت حشرنا أي جمعنا من كل أمة من أمم الأنبياء أو من أهل كل قرن من القرون جماعة كثيرة فمن تبعيضية لأن كل أمة منقسمة إلى مصدق ومكذب ﴿ممن يكذب بآياتنا﴾ بيان للفوج أي فوجاً مكذبين بها لأن كل أمة وكل عصر لم يخل من كفرة بالله من لدن تفريق بني آدم والمراد بالآيات بالنسبة إلى هذه الأمة الآيات القرآنية، ﴿فهم يوزعون﴾ فسر في هذه السورة في قصة سليمان أي يحبس أولهم على آخرهم حتى يتلاحقوا ويجتمعوا في موقع التوبيخ والمناقشة وهو عبارة عن كثرة عددهم وتباعد أطرافهم أو المراد بالفوج رؤساء الأمم المتبوعون في الكفر والتكذيب فهم يحبسون حتى يلتحق بهم أسافلهم التابعون كما قال ابن عباس رضي الله عنهما أبو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي أهل مكة وهكذا يحشر قادة سائر الأمم بين أيديهم إلى النار وفي الحديث: «امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار».

﴿حتى إذا جاؤوا﴾ إلى موقف السؤال والجواب والمناقشة والحساب: وبالفارسية: [تاچون بيايند بحشر كاه]. ﴿قال﴾ الله تعالى موبخاً على التكذيب والالتفات لتربية المهابة. ﴿أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً﴾ الواو للحال ونصب علماً على التمييز أي أكذبتم بآياتي الناطقة بلقاء يومكم هذا بادىء الرأي غير ناظرين فيها نظراً يؤدي إلى العلم بكنهها وأنها حقيقة بالتصديق حتماً. ﴿أم ماذا كنتم تعملون﴾ أي شيء تعملونه بعد ذلك. وبالفارسية [چه كار كرديد بعد از آنكه بخدا ورسول إيمان نياورديد] يعني لم يكن لهم عمل غير الجهل والتكذيب والكفر والمعاصي كأنهم لم يخلقوا إلا لها مع أنهم ما خلقوا إلا للعلم والتصديق والإيمان والطاعة يخاطبون بذلك تبكيتاً فلا يقدرون أن يقولوا فعلنا غير ذلك ثم يكبون في النار وذلك قوله تعالى:

﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾﴾.

﴿ووقع القول عليهم﴾ أي: حل بهم العذاب الذي هو مدلول القول الناطق بحلوله ونزوله ﴿بما ظلموا﴾ بسبب ظلمهم الذي هو التكذيب بآيات الله ﴿فهم لا ينطقون﴾ باعتذار لشغلهم العذاب أو لختم أفواههم ثم وعظ كفار مكة واحتج عليهم فقال:

﴿ألم يروا﴾ من رؤية القلب هو العلم. والمعنى بالفارسية: [آيانديدند وندانستند منكران حشر] ﴿أنا جعلنا الليل﴾ بما فيه من الإظلام ﴿ليسكنوا فيه﴾ ليستريحوا فيه بالنوم والقرار ﴿والنهار مبصراً﴾ أي ليبصروا بما فيه من الإضاءة طرق التقلب في أمور المعاش فبولغ فيه حيث جعل الإبصار الذي هو حال الناس حالاً له ووصفاً من أوصافه التي جعل عليها بحيث لا ينفك عنها ولم يسلك في الليل هذا المسلك لما أن تأثير ظلام الليل في السكون ليس بمثابة تأثير ضوء النهار في الأبصار. ﴿إن في ذلك﴾ أي في جعلهما كما وصفا. ﴿لآيات﴾ عظيمة كثيرة ﴿لقوم يؤمنون﴾ دالة على صحة البعث وصدق الآيات الناطقة به دلالة واضحة كيف لا وإن من تأمل في تعاقب الليل والنهار وشاهد في الآفاق تبدل ظلمة الليل الحاكية الموت بضياء النهار المضاهي الحياة وعاين في نفسه تبدل النوم الذي هو أخو الموت بالانتباه الذي هو مثل الحياة قضى بأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور قضاء متقناً وجزم بأنه قد

جعل هذا أنموذجاً له ودليلاً يستدل به على تحققه وإن الآيات الناطقة بكون حال الليل والنهار برهاناً عليه وسائر الآيات كلها حق نازل من عند الله تعالى.

قال حكيم: الدهر مقسوم بين حياة ووفاة فالحياة اليقظة والوفاة النوم، وقد أفلح من أدخل في حياته من وفاته. وفيه إشارة إلى أن النهار وامتداده أفضل من الليل وامتداده إلا لمن جعل الليل للمناجاة. حكي: أن محمد بن النضر الحارثي ترك النوم قبل موته بسنين إلا القيلولة ثم ترك القيلولة.

قال الشيخ سعدي: [طريق درويشان ذكر است وشكر وخدمت وطاعت وإيثار وقناعت وتوحيد وتوكل وتسليم وتحمل هركه بدين صفتها موصوفست بحقيقت درويش است أكرچه درقباست نه در خرقه أما هرزه كوى وبي نماز وهوا پرست وهوس بازكه روزها بشب آرد دربند شهوت وشبها بروز كند درخواب غفلت بخورد هرچه درميان آمد وبكويد هرچنه بزبان آيد رندست أكرچه درعباست]:

أي درونـت بـرهـنـه ازتـقـوى وزبـرون جـامـهٔ ريـا داري
پـردهٔ هـفـت رنـك در بـكـذار تـوكـه درخـانـه بـوريـا داري

قال الإمام القشيري: كان رجل له تلميذان اختلفا فيما بينهما فقال أحدهما: النوم خير لأن الإنسان لا يعصي في تلك الحالة وقال الآخر: اليقظة خير لأنه يعرف الله في تلك الحالة فتحاكما إلى ذلك الشيخ فقال: أما أنت الذي قلت بتفضيل النوم فالموت خير لك من الحياة وأما أنت الذي قلت بتفضيل اليقظة فالحياة خير لك. وفيه إشارة إلى أن طول الحياة واليقظة محبوبان لتحصيل معرفة الله تعالى وحسن القيام لطاعته فإنه لا ثواب بعد الموت ولا ترقي إلا لأهل الخير ولمن كان في الطير. فعلى العاقل أن يجد في طريق الوصول ليكون من أهل الوصال والحصول ويتخلص من العذاب مطلقاً فإن غاية العمر الموت ونهاية الموت الحشر ونتيجة الحشر إما السوق إلى الجنة وإما السوق إلى النار والمسوق إلى النار إما مؤمن عاص فعذابه التأديب والتطهير وإما كافر مكذب فعذابه عذاب القطيعة والتحقير والمؤمنون يتفاوتون في الدنيا في عقوباتهم على مقادير جرائمهم فمنهم من يعذب ويطلق ومنهم من يعذب ويحبس مدة على قدر ذنبه ومنهم من يحد والحدود مختلفة فمنهم من يقتل وليس بعجب أن لا يسوى بين أهل النار إلا من لا خير فيه وهم الكفار الذين ليسوا بموضع الرحمة لأن الله تعالى رحمهم في الدنيا بإرسال الرسل وإنزال الكتب فاختاروا الغضب بسلوك طريق التكذيب والعناد فهم على السوية في عذاب الفرقة إذ ليس لهم وصلة أصلاً لا في الدنيا ولا في العقبى لأن من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى نسأل الله أن يفتح عيون بصائرنا عن منام الغفلات ويجعلنا من المكاشفين المشاهدين المعاينين في جميع الحالات إنه قاضي الحاجات ومعطي المرادات.

﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿ويوم ينفخ في الصور﴾ النفخ نفخ الريح في الشيء ونفخ بفمه أخرج منه الريح. والصور هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام للموت وللحشر فكأن أصحاب الجيوش من ذلك أخذوا البوقات لحشر الجند وفي الحديث: «لما فرغ الله من خلق السموات والأرض

خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص بصره إلى العرش متى يؤمر» قال الراوي أبو هريرة رضي الله عنه قلت: يا رسول الله ما الصور؟ قال: «القرن» قلت: كيف هو؟ قال: «عظيم والذي نفسي بيده إن أعظم دارة فيه كعرض السماء والأرض فيؤمر بالنفخ فيه فينفخ نفخة لا يبقى عندها في الحياة أحد إلا من شاء الله وذلك قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨] ثم يؤخر بأخرى فينفخ نفخة لا يبقى معها ميت إلا بعث وقام وذلك قوله تعالى ﴿نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ [الزمر: ٦٨] الآية وقد سبق بعض ما يتعلق بالمقام في سورة الكهف والمراد بالنفخ ههنا هي النفخة الثانية. والمعنى واذكر يا محمد لقومك يوم ينفخ في الصور نفخة ثانية يعني ينفخها إسرافيل يوم القيامة لرد الأرواح إلى أجسادها. ﴿ففزع من في السموات ومن في الأرض﴾ أي: فيفزع ويخاف والتعبير بالماضي للدلالة على وقوعه لأن المستقبل من فعل الله تعالى متيقن الوقوع كتيقن الماضي من غيره لأن إخباره تعالى حق. والفزع انقباض ونفار يعتري الإنسان من الشيء المخوف ولا يقال: فزعت من الله كما يقال: خفت منه والمراد بالفزع هنا ما يعتري الكل مؤمناً وكافراً عند البعث والنشور بمشاهدة الأمور الهائلة الخارقة للعادات في الأنفس والآفاق من الرعب والتهيب الضروريين الجبليين ﴿إلا من شاء الله﴾ أي: أن لا يفزع بأن يثبت قلبه وهم الأنبياء والأولياء والشهداء الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والملائكة الأربعة وحملة العرش والخزنة والحور ونحوهم وإن أريد صعقة الفزع يسقط الكل إلا من استثنى نحو إدريس عليه السلام كما في «التيسير» وموسى عليه السلام لأنه صعق في الطور فلا يصعق مرة أخرى. ﴿وكل﴾ أي: جميع الخلائق ﴿أتوه﴾ تعالى أي حضروا الموقف بين يدي رب العزة للسؤال والجواب والمناقشة والحساب. ﴿داخرين﴾ أذلاء. وبالفارسية: [خوارد شدكان] يقال: ادخرته فدخر أي أزللته فذل.

﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾.

﴿وترى الجبال﴾ عطف على ينفخ داخل معه في حكم التذكير أي تراها يومئذ حال كونك ﴿تحسبها جامدة﴾ تظنها ثابتة في أماكنها من جمد الماء وكل سائل قام وثبت ضد ذاب. ﴿وهي﴾ والحال أن تلك الجبال. ﴿تمر﴾ وتمضي ﴿مر السحاب﴾ أي تراها رأي العين ساكنة والحال أنها تمر مثل مر السحاب التي تسيرها الرياح سيراً سريعاً وذلك لأن كل شيء عظيم وكل جمع كثير يقصر عنه البصر ولا يحيط به لكثرته وعظمته فهو في حسبان الناظر واقف وهو يسير وهذا أيضاً مما يقع بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق فإن الله تعالى يبدل الأرض غير الأرض ويغير هيئتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئة الهائلة ليشاهدها أهل المحشر وهي وإن اندكت وتصدعت عند النفخة الأولى فتسييرها وتسوية الأرض إنما يكونان بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾ [الكهف: ٤٧] فإن صيغة الماضي في المعطوف مع كون المعطوف عليه مستقبلاً للدلالة على تقدم الحشر على التسيير والرؤية كأنه قيل وحشرنا قبل ذلك.

قال جعفر الخلدي: حضر الجنيد مجلس سماع مع أصحابه وإخوانه فانبسطوا وتحركوا

وبقي الجنيد على حاله لم يؤثر فيه فقال له أصحابه: ألا تنبسط كما انبسط إخوانك فقال الجنيد: وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب قال بعضهم: وكثير من الناس اليوم من أصحاب التمكين ساكنون بنفوسهم سائحون في الملكوت بأسرارهم [محققي فرموده كه أوليا نيز درميان خلق برحد رسوم واقفند وخلق آن حركات بواطن إيشان كه بيكدم هزار عالم طي ميكنند خبر ندارند].

تومبين اين پايهارا بر زمين   زآنكه بردل ميرود عاشق يقين
ازره ومنزل زكوتاه ودراز   دل چه داند كوست مست دلنواز
آن دراز وكوته أوصاف تنست   رفتن أرواح ديكر رفتن است
دست ني وپاي ني سرتا قدم   آنچنانكه تاخت جانها از قدم

قال ابن عطاء: الإيمان ثابت في قلب العبد كالجبال الرواسي وأنواره تخرق الحجاب الأعلى.

وقال جعفر الصادق: ترى الأنفس جامدة عند خروج الروح والروح تسري في القدس لتأوي إلى مكانها من تحت العرش.

﴿صنع الله﴾ الصنع إجادة العقل فكل صنع فعل وليس كل فعل صنعاً ولا ينسب إلى الحيوانات كما ينسب إليها الفعل كما في «المفردات» وهو مصدر مؤكد لمضمون ما قبله أي صنع الله ذلك صنعاً وفعله على أنه عبارة عما ذكر من النفخ في الصور وما ترتب عليه جميعاً ﴿الذي أتقن كل شيء﴾.

قال في «المختار» في تقن صنع الله الذي أتقن إتقان الشيء إحكامه. والمعنى أحكم خلقه وسواه على ما ينبغي. وبالفارسية [استوار كرد همه چيزهارا وبيارست بروجهي كه شايد].

قال في الإرشاد: قصد به التنبيه على عظم شأن تلك الأفاعل وتهويل أمرها والإيذان بأنها ليست بطريق إخلال نظام العالم وإفساد أحوال الكائنات بالكلية من غير أن تدعو إليها داعية ويكون لها عاقبة بل هي من قبيل بدائع صنع الله المبنية على أساس الحكمة المستتبعة للغايات الجميلة التي لأجلها رتبت مقدمات الخلق ومبادىء الإبداع على الوجه المتين والمنهج الرصين. ﴿إنه خبير بما تفعلون﴾ عالم بظواهر أفعالكم وبواطنها أيها المكلفون ولذا فعل ما فعل من النفخ والبعث ليجازيكم على أعمالكم كما قال:

﴿من﴾ [هركه ازشما] ﴿جاء﴾ [بيايد] ﴿بالحسنة﴾ بكلمة الشهادة والإخلاص فإنها الحسنة المطلقة وأحسن الحسنات ﴿فله خير منها﴾ نفع وثواب حاصل من جهتها ولأجلها وهو الجنة فخير اسم من غير تفضيل إذ ليس شيء خيراً من قول: لا إله إلا الله ويجوز أن يكون صيغة تفضيل إن أريد بالحسنة غير هذه الكلمة من الطاعات فالمعنى إذا فعله من الجزاء ما هو خير منها إذا ثبت له الشريف بالخسيس والباقي بالفاني وعشرة بل سبعمائة بواحد. ﴿وهم﴾ أي: الذين جاؤوا بالحسنات ﴿من فزع﴾ أي عظيم هائل لا يقادر قدره وهو الفزع الحاصل من مشاهدة العذاب بعد تمام المحاسبة وظهور الحسنات والسيئات وهو الذي في قوله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

وعن الحسن حين يؤمر بالعبد إلى النار.

وقال ابن جريج: حين يذبح الموت وينادي: يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت. ﴿يومئذ﴾ أي: يوم ينفخ في الصور. ﴿آمنون﴾ لا يعتريهم ذلك الفزع الهائل ولا يلحقهم ضرره أصلاً وأما الفزع الذي يعتري كل من في السموات ومن في الأرض غير من استثناه الله فإنما هو التهيب والرعب الحاصل في ابتداء النفخة من معاينة فنون الدواهي والأهوال ولا يكاد يخلو منه أحد بحكم الجبلة وإن كان آمناً من لحوق الضرر.

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾

﴿ومن جاء بالسيئة﴾ أي: الشرك الذي وهو أسوأ المساوىء ﴿فكبت وجوههم في النار﴾ الكب إسقاط الشيء على وجهه أي ألقوا وطرحوا فيها على وجوههم منكوسين ويجوز أن يراد بالوجوه أنفسهم كما أريدت بالأيدي في قوله: و ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] فإن الوجه والرأس والرقبة واليد يعبر بها عن جميع البدن ﴿هل تجزون﴾ على الالتفات أو على إضمار القول أي مقولاً لهم ما تجزون. ﴿إلا ما كنتم تعملون﴾ من الشرك وفي الحديث: «إذا كان يوم القيامة جاء الإيمان والشرك يجثوان بين يدي الرب تعالى فيقول الله تعالى للإيمان: انطلق أنت وأهلك إلى الجنة ويقول للشرك: انطلق أنت وأهلك إلى النار» ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿من جاء بالحسنة﴾ إلى قوله: ﴿في النار﴾.

ويقال: لا إلٰه إلا الله مفتاح الجنة ولا بد للمفتاح من أسنان حتى يفتح الباب ومن أسنانه لسان ذاكر طاهر من الكذب والغيبة، وقلب خاشع طاهر من الحسد والخيانة، وبطن طائر من الحرام والشهية، وجوارح مشغولة بالخدمة طاهرة من المعاصي.

وعن أبي عبد الله الجدلي قال: دخلت على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: يا أبا عبد الله ألا أنبئك بالحسنة التي من جاء بها أدخله الله الجنة والسيئة التي من جاء بها كبه الله في النار ولم يقبل معها عملاً؟ قلت: بلى قال: الحسنة حبنا والسيئة بعضنا اعلم أن الله تعالى هدى الخلق إلى طلب الحسنات بقوله: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١] وهي استعمالهم في أحكام الشريعة على وفق آداب الطريقة بتربية أرباب الحقيقة وفي الآخرة حسنة وهي انتفاع من عالم الحقيقة انتفاعاً أبدياً سرمدياً وهم لا يحزنهم الفزع الأكبر أصيبوا بفزع المحبة في الدنيا فحوسبوا في فزع العقبى به ومن جاء بحب الدنيا فكبت وجوههم في نار القطيعة وقيل لهم: ﴿هل تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ يعني بطلب الدنيا فإنها مبنية على وجه جهنم ودركاتها فمن ركب في طلبها وقع في النار:

اكر خواهي خلاص ازنار فرقت مده دلرا بجز عشق ومحبت

﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾﴾.

﴿إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها﴾ العبادة غاية التذلل والبلد المكان المحدود المتأثر باجتماع قطانه وإقامته فيه ولاعتبار الأثر قيل بجلده بلدة أي أثر والمراد بالبلدة هنا مكة المعظمة وتخصيصها بالإضافة تشريف لها وتعظيم لشأنها مثل ناقة الله وبيت الله ورجب شهر الله.

قال في «التكملة»: خص البلدة بالذكر وهي مكة وإن كان رب البلاد كلها ليعرف

المشركون نعمته عليهم أن الذي ينبغي لهم أن يعبدوه هو الذي حرم بلدتهم انتهى قوله: الذي نعت لرب والتحريم جعل الشيء حراماً أي ممنوعاً منه والتعرض لتحريمه تعالى إياها إجلال لها بعد إجلال ومعناه يحرمها من انتهاك حرمتها بقطع شوكها وشجرها ونباتها وتنفير صيدها وإرادة الإلحاد فيها بوجه من الوجوه وفي الحديث: «إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس» أي كان تحريمها من الله بأمر سماوي لا من الناس باجتهاد شرعي وأما قوله عليه السلام: «إن إبراهيم حرم مكة» فمعناه أظهر الحرمة الثابتة أو دعا فحرمها الله حرمة دائمة. ومعنى الآية: قل لقومك يا محمد: أمرت من قبل الله أن أخصه وحده بالعبادة ولا أتخذ له شريكاً فاعبدوه أنتم ففيه عزكم وشرفكم ولا تتخذوا له شريكاً وقد ثبتت عليكم نعمته بتحريم بلدتكم.

قال بعضهم: العبودية لباس الأنبياء والأولياء. ﴿وله﴾ أي: ولرب هذه البلدة خاصة. ﴿كل شيء﴾ خلقاً وملكاً وتصرفاً لا يشاركه في شيء من ذلك أحد. وفيه تنبيه على أن إفراد مكة بالإضافة للتفخيم مع عموم الربوبية لجميع الموجودات.

صنعش كه همه جهان بياراست

﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ من الثابتين على ملة الإسلام والتوحيد أو من الذين أسلموا وجوههم لله خاصة.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن المسلم الحقيقي من يكون إسلامه في استعمال الشريعة مثل استعمال النبي عليه السلام الشريعة في الظاهر وهذا كمال العناية في حق المسلمين لأنه لو قال: وأمرت أن أكون من المؤمنين لما كان أحد يقدر على أن يكون إيمانه كإيمان النبي عليه السلام نظيره قوله تعالى: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٣] ولهذا قال عليه السلام: «صلوا كما رأيتموني أصلي» يعني: في الظاهر ولو قال: صلوا كما أنا أصلي لما كان أحد يقدر على ذلك لأنه كان يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء وكان في صلاته يرى من خلفه كما يرى من أمامه.

﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿وأن أتلو القرآن﴾ التلاوة قراءة القرآن متتابعة كالدراسة والأوراد الموظفة والقراءة أعم يقال: تلاه تبعه متابعة ليس بينهما ما ليس منهما أي وأمرت بأن أواظب على تلاوته لتكشف لي حقائقه في تلاوته شيئاً فشيئاً فإنه كلما تفكر التالي العالم تجلت له معان جديدة كانت في حجب مخفية، ولذا لا يشبع العلماء الحكماء من تلاوة القرآن وهو السر في أنه كان آخر وردهم لأن المنكشف أولاً للعارفين حقائق الآفاق، ثم حقائق الأنفس ثم حقائق القرآن فعليك بتلاوة القرآن كل يوم ولا تهجره كما يفعل ذلك طلبة العلم وبعض المتصوفة زاعمين بأنهم قد اشتغلوا بما هو أهم من ذلك وهو كذب فإن القرآن مادة كل علم في الدنيا ويستحب لقارىء القرآن في المصحف أن يجهر بقراءته ويضع يده على الآية يتبعها فيأخذ اللسان حظه من الرفع ويأخذ البصر حظه من النظر واليد حظها من المس وسماع القرآن أشرف أرزاق الملائكة السياحين وأعلاها ومن لم تتيسر له تلاوة القرآن فليجلس لبث العلم لأجل الأرواح الذين غذاؤهم العلم لكن لا يتعدى علوم القرآن والطهارة الباطنة للأذنين تكون باستماع القول الحسن فإنه ثم حسن

وأحسن فأعلاه حسناً ذكر الله بالقرآن فيجمع بين الحسنين فليس أعلى من سماع ذكر الله بالقرآن مثل كل آية لا يكون مدلولها إلا ذكر الله فإنه ما كل آية تتضمن ذكر الله فإن فيه حكاية الأحكام المشروعة وفيه قصص الفراعنة وحكايات أقوالهم وكفرهم وإن كان في ذلك الأجر العظيم من حيث هو قرآن بالإصغاء إلى القارىء إذا قرأ من نفسه أو غيره فعلم أن ذكر الله إذا سمع في القرآن أتم من سماع قول الكافرين في الله ما لا ينبغي كذا في «الفتوحات».

واعلم أن خلق النبي عليه السلام كان القرآن فانظر في تلاوتك إلى كل صفة مدح الله بها عباده فافعلها أو اعزم على فعلها وكل صفة ذم الله بها عباده على فعلها فاتركها أو اعزم على تركها فإن الله تعالى ما ذكر لك ذلك وأنزله في كتابه إلا لتعمل به فإذا حفظت القرآن عن تضييع العمل به كما حفظته تلاوة فأنت الرجل الكامل. ﴿فمن اهتدى﴾ باتباعه إياي فيما ذكر من العبادة والإسلام وتلاوة القرآن. ﴿فإنما يهتدي لنفسه﴾ فإن منافع اهتدائه عائدة إليه لا إلى غيره. ﴿ومن ضل﴾ بمخالفتي فيما ذكر ﴿فقل﴾ في حقه ﴿إنما أنا من المنذرين﴾ فقد خرجت من عهدة الإنذار والتخويف من عذاب الله وسخطه فليس عليّ من وباله شيء وإنما هو عليه فقط ويجوز أن يكون معنى وأن أتلو القرآن وأن أواظب على تلاوته للناس بطريق تكرير الدعوة فمعنى قوله: فمن اهتدى حينئذ فمن اهتدى بالإيمان والعمل بما فيه من الشرائع والأحكام ومن ضل بالكفر به والإعراض عن العمل بما فيه. وهذه الآية منسوخة بآية السيف.

وفي «التأويلات النجمية»: فيه إشارة إلى أن نور القرآن يربي جوهر الهداية والضلالة في معدن قلب الإنسان السعيد والشقي كما يربي ضوء الشمس الذهب والحديد في المعادن يدل عليه قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرًاۚ﴾ [البقرة: ٢٦] وقال عليه السلام: «الناس كمعادن الذهب والفضة» ﴿وقل الحمد لله﴾ أي على ما أفاض عليّ من نعمائه التي أجلها نعمة النبوة والقرآن ﴿سيريكم آياته فتعرفونها﴾ أي فتعرفون أنها آيات الله حين لا تنفعكم المعرفة.

وقال مقاتل: سيريكم آياته عن قريب الأيام فطوبى لمن رجع قبل وفاته والويل على من رجع بعد ذهاب الوقت. قال الشيخ سعدي قدس سره:

كنون بايد أي خفته بيدار بود	چومرك اندر آرد زخوابت چه سود
توغافل در انديشهٔ سود ومال	كه سرمايهٔ عمر شد پايمال
كرت چشم عقلست وتدبير كور	كنون كن كه چشمت نخوردست مور
كنون كوش كاب ازكمردر كذشت	نه وقتي كه سيلاب از سر كذشت
سكندر كه برعالمي حكم داشت	دران دم كه بكذشت عالم كذاشت
ميسر نبودش كزو عالمي	ستانند ومهلت دهندش دمي

﴿وما ربك بغافل عما تعملون﴾ كلام مسوق من جهته تعالى مقرر لما قبله من الوعد والوعيد كما ينبىء عنه إضافة الرب إلى ضمير النبي عليه السلام وتخصيص الخطاب أولاً به وتعميمه ثانياً للكفرة تغليباً أي وما ربك بغافل عما تعمل أنت من الحسنات وما تعملون أنتم أيها الكفرة من السيئات لأن الغفلة التي هي سهو يعتري من قلة التحفظ والتيقظ لا يجوز عليه تعالى فيجازي كلاً منكم بعمله وكيف يغفل عن أعمالكم وقد خلقكم وما تعملون كما خلق الشجرة وخلق فيها ثمرتها فلا يخفى عليه حال أهل السعادة والشقاوة وإنما يمهل لحكمة لا

لغفلة وإنما الغفلة لمن لا يتنبه لهذا فيعصي الله بالشرك وسيئات الأعمال وأعظم الأمراض القلبية نسيان الله ولا ريب أن علاج أمر إنما هو بضده وهو ذكر الله. حكي: أن إبراهيم بن أدهم سر يوماً بمملكته ونعمته ثم نام فرأى رجلاً أعطاه كتاباً فإذا فيه مكتوب لا تؤثر الفاني على الباقي ولا تغتر بملكك فإن الذي أنت فيه جسيم لولا أنه عديم فسارع إلى أمر الله فإنه يقول: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ﴾ [آل عمران: ١٣٣] فانتبه فزعاً وقال: هذا تنبيه من الله وموعظة فتاب إلى الله ورسوله بالقبول والعمل والمجانبة عن التأخر في طريق الحق والأخذ بالبطالة والكسل.

براحتي نرسيد آنكه زحمتي نكشيد

نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من المجدّين في الدين إلى أن يأتي اليقين والساعين في طريقه للوصول إلى خاص توفيقه.

تمت سورة النمل يوم الثلاثاء الرابع من شهر الله المحرم المنتظم
في سلك شهور سنة تسع ومائة وألف من الهجرة

٢٨ ـ تفسير سورة القصص

وهي مكية وآياتها ثمان وثمانون
على ما في التفاسير المعولة من المختصرة والمطولة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٣﴾.

﴿طسم﴾ يشير إلى القسم بطاء طوله تعالى وطاء طهارة قلب حبيبه عليه السلام عن محبة غيره وطاء طهارة أسرار موحديه عن شهود سواه وبسين سره مع محبيه وبميم مننه على كافة مخلوقاته بالقيام بكفاياتهم على قدر حاجاتهم كذا في «التأويلات النجمية» [إمام قشيري آورده كه طا أشارت است بطهارت نفوس عابدان از عبادت اغيار وطهارت قلوب عارفان از تعظيم غير جبار وطهارت أرواح محبان از محبت ما سوى وطهارت أسرار موحدان از شهود غير خداي.

سلمى رحمه الله كويد سين رمز بست از أسرار الهي باعاصيان بنجات ويا مطيعان بدرجات ومحبان بدوام مناجات ومرامات.

إمام يافعي رحمه الله فرموده كه حق سبحانه وتعالى اين حروف را سبب محافظت قرآن كردانيده از تطرق سمات زياده ونقصان وسر مشار إليه در آيت وإنا لحافظون اين حروفست] كما في «تفسير الكاشفي» وقد سبق غير هذا من الإشارات الخفية والمعاني اللطيفة في أول سورة الشعراء فارجع إليه تغنم بما لا مزيد عليه.

﴿تلك﴾ أي هذا السورة **﴿آيات الكتاب المبين﴾** آيات مخصوصة من القرآن الظاهر إعجازه.

﴿نتلو عليك﴾ التلاوة الإتيان بالثاني بعد الأول في القراءة أي نقرأ قراءة متتابعة بواسطة جبريل يعني يقرأ عليك جبريل بأمرنا. **﴿من نبإ موسى وفرعون﴾** مفعول نتلو أي بعض خبرهما الذي له شأن. **﴿بالحق﴾** حال من فاعل نتلو أي محققين وملتبسين بالحق والصدق الذي لا يجوز فيه الكذب.

﴿لقوم يؤمنون﴾ متعلق بنتلو وتخصيصهم بذلك مع عموم الدعوة والبيان للكل لأنهم المنتفعون به كأن قائلاً قال: وكيف نبأهما؟ فقال:

﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٤﴾.

﴿إن فرعون علا في الأرض﴾ فهو استئناف مبين لذلك البعض وتصديره بحرف التأكيد

للاعتناء بتحقيق مضمون ما بعده والعلو الارتفاع. وبالفارسية [بلند شدن وكردن كشي كردن] أي تجبر وطغى في أرض مصر وجاوز الحدود المعهودة في الظلم والعدوان.

قال في «كشف الأسرار»: [از اندازهء خويش شد].

وقال الجنيد قدس سره: ادعى ما ليس له ﴿وجعل أهلها﴾ [وكردانيد أهل مصر را ازقبطيان وسبطيان] ﴿شيعاً﴾ جمع شيعة بالكسر وهو من يتقوى بهم الإنسان وينتشرون عنه لأن الشياع الانتشار والتقوية يقال: شاع الحديث أي كثر وقوي شاع القوم انتشروا وكثروا. والمعنى فرقاً يشيعونه ويتبعونه في كل ما يريد من الشر والفساد أو أصنافاً في استخدامه يستعمل كل صنف في عمل من بناء وحرث وحفر وغير ذلك من الأعمال الشاقة ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية.

قالب في «كشف الأسرار»: كان القبط إحدى الشيع وهم شيعة الكرامة ﴿يستضعف﴾ الاستضعاف [ضعيف وزبون يافتن وشمردن يعني زبون كرفت ومقهور ساخت] ﴿طائفة منهم﴾ [كروهي ازايشان].

والجملة حال من فاعل جعل أو استئناف كأنه قيل: كيف جعلهم شيعاً؟ فقال: يستضعف طائفة منهم أي من أهل مصر وتلك الطائفة بنو إسرائيل ومعنى الاستضعاف أنهم عجزوا وضعفوا عن دفع ما ابتلوا به عن أنفسهم. ﴿يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم﴾ بدل من الجملة المذكورة وأصل الذبح شق حلق الحيوان والتشديد للتكثير والاستحياء الاستبقاء. والمعنى يقتل بعضهم أثر بعض حتى قتل تسعين ألفاً من أبناء بني إسرائيل صغاراً ويترك البنات أحياء لأجل الخدمة وذلك لأن كاهناً قال له: يولد في بني إسرائيل مولود يذهب ملكك على يده وذلك كان من غاية حمقه إذ لو صدق فما فائدة القتل وإن كذب فما وجهه كما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ فمررنا بصبيان فيهم ابن صياد وقد قارب البلوغ فقال له رسول الله: «أتشهد أني رسول الله» فقال: لا بل أتشهد أني رسول الله؟ فقلت: ذرني يا رسول الله أقتله عن ظن أنه الدجال فقال عليه السلام: «إن يكنه فلن تسلط عليه» يعني إن يكن ابن الصياد هو الدجال فلن تسلط على قتله لأنه لا يقتله إلا عيسى ابن مريم «وإن لا يكنه فلا خير لك في قتله» ﴿إنه كان من المفسدين﴾ أي: الراسخين في الإفساد ولذلك اجترأ على قتل خلق كثير من المعصومين.

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾

﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض﴾ أن نتفضل عليهم بإنجائهم من بأسه ونريد حكاية حال ماضية معطوفة على أن فرعون علا لتناسبهما في الوقوع تفسيراً للنبأ يقال: منّ عليه مناً إذا أعطاه شيئاً والمنان في وصفه تعالى المعطي ابتداء من غير أن يطلب عوضاً. ﴿ونجعلهم أئمة﴾ جمع إمام وهو المؤتم به أي قدوة يقتدى بهم في أمور الدين بعد أن كانوا أتباعاً مسخرين لآخرين.

وفي «كشف الأسرار»: أنبياء وكان بين موسى وعيسى عليهما السلام ألف نبي من بني إسرائيل. ﴿ونجعلهم الوارثين﴾ كل ما كان في ملك فرعون وقومه آخر الوراثة عن الإمامة مع

تقدمها عليها زماناً لانحطاط رتبتها عنها.

﴿ونمكن لهم في الأرض﴾ أصل التمكين أن تجعل لشيء مكاناً يتمكن فيه ثم استعير للتسليط أي نسلطهم على أرض مصر والشام يتصرفون فيها كيفما يشاؤون. ﴿ونري فرعون وهامان﴾ وهو وزير فرعون ﴿وجنودهما﴾ وعساكرهما ﴿منهم﴾ أي: من أولئك المستضعفين ﴿ما كانوا يحذرون﴾ ويجتهدون في دفعه من ذهاب ملكهم وهلكهم على يد مولود منهم والحذر احتراز عن مخيف كما في «المفردات».

قال الكاشفي: [وديدن اين صورت را دروقتي كه در دريا علامت غرقه شدن مشاهده كردند وبني إسرائيل تفرج كنان برساحل دريا بنظر در آوردند ودانستندكه بسبب ظلم وتعدي مغلوب ومقهور شده مظلومان وبيچاركان بمراد رسيد غالب وسر إفراز شدند.

وسر «يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم» آشكار أشد].

أي ستمكار براندیش ازان روزسياه — كه ترا شومئ ظلم أفكند ازچاه بچاه
آنكه اكنون بحقارت نكري جانب وي — بشماتت كند آنروز بسوى تونكا

قال الشيخ سعدي قدس سره:

خبر يافت كردن كشي در عراق — كه ميكفت مسكيني از زير طاق
توهم بردري هستي اميد وار — پس اميد بردرنشينان برآر
نخواهى كه باشد دلت دردمند — دل دردمندان برآور زبند
پريشانىء خاطر داد خواه — براندازد از مملكت پادشاه
تحمل كن أي ناتوان از قوى — روزي توانا ترازوي شوى
لب خشك مظلوم را كو بخند — كه دندان ظالم بخواهند كند

يقال: الظلم يجلب النقم ويسلب النعم.

قال بعض السلف: دعوتان أرجو إحداهما كما أخشى الأخرى دعوة مظلوم أعنته ودعوة ضعيف ظلمته.

نخفته است مظلوم از آهش بترس — زدود دل صبحكاهش بترس
نترسي كه پاك اندروني شبى — برآرد زسوز جكر ياربي

وفي الحديث: «أسرع الخير ثواباً صلة الرحم وأعجل الشر عقوبة البغي» ومن البغي استيلاء صفات النفس على صفات الروح فمن أعان النفس صار مقهوراً ولو بعد حين ومن أعان الروح صار منه أهل التمكين ومن الأئمة في الدين.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾.

﴿وأوحينا إلى أم موسى﴾ اسمها يارخا وقيل: أيارخت كما في «التعريف» للسهيلي ونوحايذ بالنون ويوحانذ بالياء المثناة تحت في الأولى كما في «عين المعاني» وكانت من أولاد لاوي بن يعقوب عليه السلام. وأصل الوحي الإشارة السريعة ويقع على كل تنبيه خفي والإيحاء إعلام في خفاء.

قال الإمام الراغب: يقال للكلمة الإلهية التي تلقى إلى أنبيائه: وحي وذلك إما برسول

مشاهد يرى ذاته ويسمع كلامه كتبليغ جبريل للنبي عليه السلام في صورة معينة. وإما بسماع كلام من غير معاينة كسماع موسى عليه السلام كلام الله تعالى. وإما بإلقاء في الروع كما ذكر عليه السلام: «إن روح القدس نفث في روعي» وإما بإلهام نحو قوله: ﴿وأوحينا إلى أم موسى﴾. وإما بتسخير نحو قوله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨] أو بمنام كقوله عليه السلام: «انقطع الوحي وبقيت المبشرات رؤيا المؤمن» انتهى بإجمال فالمراد وحي الإلهام كما ذكره الراغب. فالمعنى قذفنا في قلبها وعلمناها.

وقال بعضهم: كان وحي الرؤيا.

وعلم الهدى [فرموده كه شايدرسول فرستاده باشد از ملائكه] يعني أتاها ملك كما أتى مريم من غير وحي نبوة حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ﴾ [آل عمران: ٤٢] وذلك أن أم موسى حبلت بموسى فلم يظهر بها أثر الحبل من نتوء البطن وتغير اللون وظهور اللبن وذلك شيء ستره الله بما أراد أن يمنّ به على بني إسرائيل حتى ولدت موسى ليلة لا رقيب عليها ولا قابلة ولم يطلع عليها أحد من القوابل الموكلة من طرف فرعون بحبالى بني إسرائيل ولا من غيرهن إلا أخته مريم فأوحى الله إليها ﴿أن﴾ مفسرة بمعنى أي ﴿أرضعيه﴾ [شيرده موسى را وپرور داورا] ما أمكنك إخفاؤه.

وفي «كشف الأسرار»: ما لم تخافي عليه الطلب ﴿فإذا خفت عليه﴾ بأن يحس به الجيران عند بكائه. وبالفارسية: [پس چون ترسي برووفهم كنى كه مردم دانسته وقصد أو خواهند كرد] ﴿فألقيه في اليم﴾ في البحر وهو النيل.

قال بعض الكبار: فإذا خفت حفظه وعجزت عن تدبيره فسلميه إلينا ليكون في حفظنا وتدبيرنا. ﴿ولا تخافي﴾ عليه ضيقة ولا شدة ﴿ولا تحزني﴾ بفراقه ﴿إنا رادوه إليك﴾ عن قريب بوجه لطيف بحيث تأمنين عليه. ﴿وجاعلوه من المرسلين﴾ [يعني: أورا شرف نبوت ارزاني خواهيم داشت] فأرضعته ثلاثة أشهر أو أكثر ثم ألح فرعون في طلب المواليد واجتهد العيون في تفحصها فجعلته في تابوت مطلي بالقار فقذفته في النيل ليلاً.

قال الكاشفي: [نجارى راكه آشناي عمران بود فرمودكه صندوقي پنج شبر بتراشد وآن نجار خربيل ابن صبور بود اين عم فرعون چون صندوق تمام كرد وبمادر موسى داد ودر خاطرش كذشت كه كودكي دارد مي خواهد درصندوق كرده از مؤكلان بكريزاند نزد كماشتهٔ فرعون آمد وخواست كه صورت حال باز نمايد زبانش بسته شد بخانهٔ خود آمد خواست كه نزد فرعون رود ونمامي كند چشمش نابينا شد دانست كه آن مولود كه كاهنان نشان داده انيست في الحال ناديده بدوايمان آورد ومؤمن ال فرعون أوست وما در موسى صندوق را بقير اندوده موسى را دروى خوابانيد وسر صندوق هم بقير محكم بست ودر رودنيل افكند] وكان الله تعالى قادراً على حفظه بدون إلقائه في البحر لكن أراد أن يربيه بيد عدوه ليعلم أن قضاء الله غالب وفرعون في دعواه كاذب.

جهد فرعون چوبى توفيق بود ... هرچه أوميدوخت آن تفتيق بود

وكان لفرعون يومئذ بنت لم يكن له ولد غيرها وكان من أكرم الناس عليه وكان بها علة البصر وعجزت الأطباء عن علاجها. [اهل كهانت كفته بودندكه فلان روز در رودنيل إنساني خرد سال يافته شود واين علت بآب دهن أو زائل كردد دران روز معين فرعون وزن ودختر

ومحرمان وي همه دركنار رودنيل انتظار إنسان موعود مي بودندكه نا كاه صندوق برروي آب نمودارشد فرعون بملازمان أمر كرد كه آنرا بكيريد وبياريد].

﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾﴾

﴿فالتقطه آل فرعون﴾ الفاء فصيحة مفصحة عن عطفه على جملة محذوفة والالتقاط إصابة الشيء من غير طلب ومنه اللقطة وهو مال بلا حافظ ثم يعرف مالكه واللقيط هو طفل لم يعرف نسبه يطرح في الطريق أو غيره خوفاً من الفقر أو الزنى ويجب رفعه إن خيف هلاكه بأن وجده في الماء أو بين يدي سبع وتفصيله في الفقه وآل الرجل خاصته الذين يؤول إليه أمرهم للقراءة أو الصحبة أو الموافقة في الدين. والمعنى فألقته في اليم بعد ما جعلته في التابوت حسبما أمرت به فالتقطه آل فرعون أي أخذوه أخذ اعتناء به وصيانة له عن الضياع. ﴿ليكون لهم عدواً وحزناً﴾ اللام لام العاقبة والصيرورة لا لام العلة والإرادة لأنهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدواً وحزناً ولكن صار عاقبة أمرهم إلى ذلك أبرز مدخولها في معرض العلة لالتقاطهم تشبيهاً له في الترتب عليه بالغرض الحامل عليه وهو المحبة والتبني وتمامه في فن البيان وجعل موسى نفس الحزن إيذاناً لقوة سببيته لحزنهم.

قال الكاشفي: ﴿عدواً﴾ [دشمني مر مردانرا كه بسبب فرعون غرق شوند ﴿وحزناً﴾ واندوهي بزرك مرزنانراكه برده كيرند] ﴿إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين﴾ في كل ما يأتون وما يذرون فليس ببدع منهم أن قتلوا ألوفاً لأجله ثم أخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون. والخطأ مقصوراً العدول عن الجهة والخاطىء من يأتي بالخطأ وهو يعلم أنه خطأ وهو الخطأ التام المأخوذ به الإنسان يقال: خطىء الرجل إذا ضل في دينه وفعله والمخطىء من يأتي به وهو لا يعلم أي يريد ما يحسن فعله ولكن يقع منه بخلاف ما يريد يقال: أخطأ الرجل في لامه وأمره إذا زل وهفا. حكي: أنهم فتحوا التابوت ورأوا موسى ألقى الله محبته في قلوب القوم وعمدت ابنة فرعون إلى ريقه فلطخت به برصها فبرئت من ساعتها.

آمد طبيب درد بكلى علاج يافت

﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَـٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾

﴿وقالت امرأة فرعون﴾ هي آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد الذي كان فرعون مصر في زمن يوسف الصديق عليه السلام وقيل: كانت من بني إسرائيل من سبط موسى وقيل: كانت عمته حكاه الشبلي وكانت من خيار النساء أي قالت لفرعون حين أخرج من التابوت: ﴿قرة عين لي ولك﴾ أي هو قرة عين لنا لأنهما لما رأياه أحباه.

وقال الكاشفي: [اين كودك روشني چشم است مراوتراكه بسبب أو دختر ماشفا يافت] وقد سبق معنى القرة مراراً وفي الحديث: «أنه قال لك لا لي ولو قال لي كما هو لك لهداه الله كما هداها» ﴿لا تقتلوه﴾ خاطبته بلفظ الجمع تعظيماً ليساعدها فيما تريده. ﴿عسى أن ينفعنا﴾ [شايدكه سود برساند ماراكه أمارت يمن وعلامت بركت درجبين أو لايح أست] وذلك لما رأت

من برء البرصاء بريقه وارتضاعه إبهامه لبناً ونور بين عينيه ولم يره غيرها.

قال بعض الكبار: وجوه الأنبياء والأولياء مرائي أنوار الذات والصفات ينتفع بتلك الأنوار المؤمن والكافر لأن معها لذة حالية نقدية وإن لم يعرفوا حقائقها فينبغي للعاشق أن يرى بعين اليقين والإيمان أنوار الحق في وجوه أصفيائه كما رأت آسية وقد قيل في حقهم: «من رآهم ذكر الله» ﴿أو نتخذه ولداً﴾ أي نتبناه فإنه أهل له ولم يكن له ولد ذكر ﴿وهم لا يشعرون﴾ حال من آل فرعون والتقدير فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً وقالت امرأته كيت وكيت وهم لا يشعرون بأنهم على خطأ عظيم فيما صنعوا من الالتقاط ورجاء النفع منه والتبني له وقوله: ﴿إن فرعون﴾ الآية اعتراض وقع بين المعطوفين لتأكيد خطئهم.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لو أن عدو الله قال في موسى كما قالت آسية: عسى أن ينفعنا لنفعه الله ولكنه أبى للشقاء الذي كتبه الله عليه. روي: أنه قالت الغواة من قوم فرعون: إن نظن إلا أن هذا هو الذي يحذر منه رمي في البحر خوفاً منك فاقتله فهمّ فرعون بقتله فقالت آسية: إنه ليس من أولاد بني إسرائيل فقيل لها: وما يدريك؟ فقالت: إن نساء بني إسرائيل يشفقن على أولادهن ويكتمنهم مخافة أن تقتلهم فكيف يظن بالوالدة أنها تلقي الولد بيدها في البحر أو قالت: إن هذا كبير ومولود قبل هذه المدة التي أخبرت لك فاستوهبته لما رأت عليه من دلائل النجاة فتركه وسمته آسية موسى لأن تابوته وجد بينا لماء والشجر والماء في لغتهم «مو» والشجر «شا».

قال في «بحر الحقائق» لما كان القرآن هادياً يهدي إلى الرشد والرشد في تصفية القلب وتوجهه إلى الله تعالى وتزكية النفس ونهيها عن هواها وكانت قصة موسى عليه السلام وفرعون تلائم أحوال القلب والنفس فإن موسى القلب بعصا الذكر غلب على فرعون النفس وجنوده مع كثرتهم وانفراده كرر الحق تعالى في القرآن قصتهما تفخيماً للشأن وزيادة في البيان لبلاغة القرآن ثم إفادة لزوائد من المذكور قبله في موضع يكرره منه انتهى.

قال في «كشف الأسرار»: [تكرار قصهء موسى وذكر فراوان درقرآن دليل است بر تعظيم كار أو وبزرك داشتن قدراو وموسى يا اين مرتبت ومنقبت جز بقدم تبعيت محمد عربي ﷺ نرسيد] كما قال عليه السلام: «لو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعي» [مصطفاي عربي از صدر دولت ومنزل كرامت اين كرامت كه عبارت إزان «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» است قصد صف نعال كرد تا ميكفت ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠] وموسى كليم از مقام خود تجاوز نمود وقصد صدر دولت كردكه ميكفت ﴿أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] لا جرم موسارا جواب اين آمد «لن تراني» مصطفارا اين كفتندكه ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [الفرقان: ٤٥] لولاك لما خلقت الأفلاك عادت ميان مرام چنان رفت كه چون بزركي درجايي رود ومتواضع وار درصف النعال بنشيند أورا كويند اين نه جاي تست خيز ببالا ترنشين] فعلى العاقل أن يكون على تواضع تام ليستعد بذلك لرؤية جمال رب الأنام:

فروتن بود هوشمند كزين نهد شاخ پرميوه سربرزمين

﴿وأصبح فؤاد أم موسى﴾ أصبح بمعنى صار والفؤاد القلب لكن يقال له: فؤاد إذا اعتبر فيه معنى التفؤد أي التحرق والتوقد كما في «المفردات» و«القاموس» فالفؤاد من القلب كالقلب من الصدر يعني الفؤاد وسط القلب وباطنه الذي يحترق بسبب المحبة ونحوها.

قال بعضهم: الصدر معدن نور الإسلام والقلب معدن نور الإيقان والفؤاد معدن نور البرهان والنفس معدن القهر والامتحان والروح معدن الكشف والعيان والسر معدن لطائف البيان ﴿فارغاً﴾ الفراغ خلاف الشغل أي صفراً من العقل وخالياً من الفهم لما غشيها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوع موسى في يد فرعون دل عليه الربط الآتي فإنه تعالى قال في وقعة بدر ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ [الأنفال: ١١] إشارة إلى نحو قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٤] فإنه لم تكن أفئدتهم هواء أي خالية فارغة عن العقل والفهم لفرط الحيرة ﴿إن﴾ أي إنها ﴿كادت﴾ قاربت من ضعف البشرية وفرط الاضطراب ﴿لتبدي به﴾ لتظهر بموسى وأنه ابنها وتفشي سرها وأنها ألقته في النيل يقال: بدا الشيء بدواً وبدوّاً ظهر ظهوراً بيناً وأبداه أظهره إظهاراً بيناً.

قال في «كشف الأسرار»: الباء زائدة أي تبديه أو المفعول مقدر أي تبدي القول به أي بسبب موسى.

قال في «عرائس البيان»: وقع على أم موسى ما وقع على آسية من أنها رأت أنوار الحق من وجه موسى فشفقت عليه ولم يبق في فؤادها صبر من الشوق إلى وجه موسى وذلك الشوق من شوق لقاء الله تعالى فغلب عليها شوقه وكادت تبدي سرها ﴿لولا أن ربطنا على قلبها﴾ شددنا عليه بالصبر والثبات بتذكير ما سبق من الوعد وهو رده إليها وجعله من المرسلين والربط الشد وهو العقد القوي ﴿لتكون من المؤمنين﴾ [واين لطف كريم تاباشد آن زن ازباورداردن كان مروعدء مارا] أي من المصدقين بما وعدها الله بقوله: ﴿إنا رادوه إليك﴾ ولم يقل من المؤمنات تغليباً للذكور. وفيه إشارة إلى أن الإيمان من مواهب الحق إذ المبني على الموهبة وهو الوحي أولاً ثم الربط بالتذكير ثانياً موهبة.

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾﴾.

﴿وقالت﴾ أم موسى ﴿لأخته﴾ أي: لأخت موسى لم يقل لبنتها للتصريح بمدار المحبة وهو الأخوة إذ به يحصل امتثال الأمر واسم أخته مريم بنت عمران وافق اسم مريم أم عيسى واسم زوجها غالب بن يوشا.

قال بعضهم: والأصح أن اسمها كلثوم لا مريم لما روى الزبير بن بكار أن رسول الله ﷺ دخل على خديجة رضي الله عنها وهي مريضة فقال لها يا خديجة: «أشعرت أن الله زوجني معك في الجنة مريم بنت عمران وكلثوم أخت موسى وهي التي علمت ابن عمها قارون الكيمياء وآسية امرأة فرعون» فقالت: آلله أخبرك بهذا يا رسول الله فقال: «نعم» فقالت: بالرفاء والبنين وأطعم رسول الله خديجة من عنب الجنة وقولها بالرفاء والبنين أي أعرست أي اتخذت العروس حال كونك ملتبساً بالالتئام والاتفاق وهو دعاء يدعى به في الجاهلية عند التزويج والمراد منه الموافقة والملاءمة مأخود من قولهم: رفأت الثوب ضممت بعضه إلى بعض ولعل هذا إنما كان قبل ورود النهي عن ذلك كذا في «إنسان العيون». وفيه أيضاً قد حمى الله هؤلاء النسوة عن أن يطأهن أحد فقد ذكر أن آسية لما ذكرت لفرعون أحب أن يتزوجها فتزوجها على كره منها ومن أبيها مع بذله لها الأموال الجليلة فلما زفت له وهم بها أخذه الله عنها وكان ذلك

حاله معها وكان قد رضي منها بالنظر إليها وأما مريم فقيل: إنها تزوجت بابن عمها يوسف النجار ولم يقربها وإنما تزوجها لمرافقتها إلى مصر لما أرادت الذهاب إلى مصر بولدها عيسى عليهما السلام وأقاموا بها اثنتي عشرة سنة ثم عادت مريم وولدها إلى الشأم ونزلا الناصرة وأخت موسى لم يذكر أنها تزوجت انتهى. ﴿قصيه﴾ أمر من قص أثره قصاً وقصصاً تتبعه أي اتبعي أثره وتتبعي خبره. وبالفارسية [بر پي برادر خود بروواز وخبر كبر] أي فاتبعته يعني كلثوم [بدركاه فرعون آمد] ﴿فبصرت به﴾ أي أبصرته. يعني [پس برادر خودرا بديد]. ﴿عن جنب﴾ عن بعد تبصره ولا توهم أنها تراه يقال: جنبته وأجنبته ذهبت عن ناحيته وجنبه ومنه الجنب لبعده من الصلاة ومس المصحف ونحوهما والجار الجنب أي البعيد ويقال: الجار الجنب أيضاً للقريب اللازق بك إلى جنبك. ﴿وهم لا يشعرون﴾ أنها تقصه وتتعرف حاله أو أنها أخته.

﴿وحرمنا عليه المراضع من قبل﴾ التحريم بمعنى المنع كما في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧٢] لأنه لا معنى للتحريم على صبي غير مكلف أي منعنا موسى أن يرضع من المرضعات ويشرب لبن غير أمه بأن أحدثنا فيه كراهة ثدي النساء والنفار عنها من قبل قص أخته أثره أو من قبل أن نرده على أمه كما قال في «الجلالين»، أو من قبل مجيء أمه كما قاله أبو الليث أو في القضاء السابق لأنا أجرينا القضاء بأن نرده إلى أمه كما في «كشف الأسرار» والمراضع جمع مرضع وهي المرأة التي ترضع أي من شأنها الإرضاع وإن لم تكن تباشر الإرضاع في حال وصفها به فهي بدون التاء لأنها من الصفات الثابتة والمرضعة هي التي في حالة إرضاع الولد بنفسها ففي الحديث: «ليس للصبي خير من لبن أمه» أو ترضعه امرأة صالحة كريمة الأصل فإن لبن المرأة الحمقاء يسري وأثر حمقها يظهر يوماً وفي الحديث: «الرضاع يغير الطباع» ومن ثمة لما دخل الشيخ أبو محمد الجويني بيته ووجد ابنه الإمام أبا المعالي يرتضع ثدي غير أمه اختطفه منها ثم نكس رأسه ومسح بطنه وأدخل أصبعه في فيه ولم يزل يفعل ذلك حتى خرج ذلك اللبن فقال: يسهل علي موته ولا يفسد طبعه بشرب لبن غير أمه ثم لما كبر الإمام كان إذا حصلت له كبوة في المناظرة يقول: هذه من بقايا تلك الرضعة قالوا: العادة جارية أن من ارتضع امرأة فالغالب عليه أخلاقها من خير وشر كما في «المقاصد الحسنة» للإمام السخاوي. ﴿فقالت﴾ أي أخته عند رؤيتها لعدم قبوله الثدي واعتناء فرعون بأمره وطلبهم من يقبل ثديها. ﴿هل أدلكم﴾ [آيا دلالت كنم شمارا] ﴿على أهل بيت﴾ [بر أهل خانه] ﴿يكفلونه لكم﴾ الكفالة الضمان والعيالة يقال كفل به كفالة وهو كفيل إذا تقبل به وضمنه وكفله فهو كافل إذا عاله أي يربونه ويقومون بإرضاعه لأجلكم. ﴿وهم له ناصحون﴾ يبذلون النصح في أمره ولا يقصرون في إرضاعه وتربيته. والنصح ضد الغش وهو تصفية العمل من شوائب الفساد. وفي «المفردات»: النصح تحري فعل أو قول فيه صلاح صاحبه انتهى. روي: أنهم قالوا لها: من يكفل؟ قالت: أمي قالوا: ألامك لبن؟ قالت: نعم لبن هارون وكان هارون ولد في سنة لا يقتل فيها صبي فقالوا: صدقت.

وفي «فتح الرحمن»: قالت: هي امرأة قد قتل ولدها فأحب شيء إليها أن تجد صغيراً ترضعه انتهى.

يقول الفقير: إن الأول أقرب إلى الصواب إلا أن يتأول القتل بما في حكمه من إلقائه في النيل وغيبوبته عنها. وروي: أن هامان لما سمعها قال: إنها لتعرفه وأهله خذوها حتى تخبر

من له فقالت: إنما أردت وهم للملك ناصحون يعني أرجعت الضمير إلى الملك لا إلى موسى تخلصاً من يده فقال هامان: دعوها لقد صدقت فأمرها فرعون بأن تأتي بمن يكفله فأتت بأمه وموسى على يد فرعون يبكي وهو يعلله أو في يد آسية فدفعه إليها فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها.

يوي خوش توهركه زباد صبا شنيد از يار آشنا سخن آشنا شنيد

فقال: من أنت فقد أبى كل ثدي إلا ثديك؟ فقالت: إني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أوتى بصبي إلا قبلني فدفعه إليها وأجرى عليها أجرتها [وكفت در هفتهٔ يكروز پيش ما آور] فرجعت به إلى بيتها من يومها مسرورة فكانوا يعطون الأجرة كل يوم ديناراً وأخذتها لأنها مال حربي لا أنها أجرة حقيقة على إرضاعها ولدها كما في «فتح الرحمن».

يقول الفقير: الإرضاع غير مستحق عليها من حيث أن موسى بن فرعون ويجوز لها أخذ الأجرة نعم إن أم موسى تعينت للإرضاع بأن لم يأخذ موسى من لبنها غيرها فكيف يجوز أخذ الأجرة اللهم إلا أن تحمل على الصلة لا على الأجرة إذ لم تمتنع إلا أن تعطى الأجرة ويحتمل أن يكون ذلك مما يختلف باختلاف الشرائع كما لا يخفى.

قال في «كشف الأسرار»: لم يكن بين إلقائها إياه في البحر وبين رده إليها إلا مقدار ما يصبر الولد فيه عن الوالدة انتهى وأبعد من قال مكث ثماني ليال لا يقبل ثدياً.

﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿فرددناه إلى أمه﴾ أي: صرفنا موسى إلى والدته. ﴿كي تقر عينها﴾ بوصول ولدها إليها. وبالفارسية [تاروشن شود چشم أو]. ﴿ولا تحزن﴾ بفراقه ﴿ولتعلم أن وعد الله﴾ أي جميع ما وعده من رده وجعله من المرسلين ﴿حق﴾ لا خلف فيه بمشاهدة بعضه وقياس بعضه عليه ﴿ولكن أكثرهم﴾ آل فرعون ﴿لا يعلمون﴾ أن وعد الله حق فمكث موسى عند أمه إلى أن فطمته وردته إلى فرعون وآسية فنشأ موسى في حجر فرعون وامرأته يربيانه بأيديهما واتخذاه ولداً فبينا هو يلعب يوماً بين يدي فرعون وبيده قضيب له يلعب به إذ رفع القضيب فضرب به رأس فرعون فغضب فرعون وتطير من ضربه حتى همّ بقتله فقالت آسية: أيها الملك لا تغضب ولا يشقنّ عليك فإنه صبي صغير لا يعقل ضربه إن شئت اجعل في هذا الطست جمراً وذهباً فانظر على أيهما يقبض فأمر فرعون بذلك فلما مد موسى يده ليقبض على الذهب قبض الملك الموكل به على يده فردها إلى الجمرة فقبض عليها موسى فألقاها في فيه ثم قذفها حين وجد حرارتها فقالت آسية لفرعون: ألم أقل لك أنه لا يعقل شيئاً فكفّ عنه وصدقها وكان أمر بقتله ويقال إن العقدة التي كانت في لسان موسى أي قبل النبوة أثر تلك الجمرة التي التقمها ثم زالت بعدها لأنه عليه السلام دعا بقوله: ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾﴾ [طه: ٢٧، ٢٨] وقد سبق في طه. قال الشيخ العطار قدس سره:

همچو موسى اين زمان در طشت آتش مانده أيم

طفل فرعونيم ما كام ودهان پراحكرست

وهو شكاية من زمانه وأهاليه فإن لكل زمان فرعون يمتحن به من هو بمشرب موسى

واستعداده ولكن كل محنة فهي مقدمة لراحة كما قال الصائب:

هر محنتي مقدمهٔ راحتي بود   شد همزبان حق چوزبان كليم سوخت

فلا بد من الصبر فإنه يصير الحامض حلواً.

اعلم أن موسى كان ضالة أمه فرده الله إليها بحسن اعتمادها على الله تعالى وكذا القلب ضالة السالك فلا بد من طلبه وقص أثره فإنه الموعود الشريف الباقي وهو الطفل الذي هو خليفة الله في الأرض ومن عرفه وأحسن بفراقه وألمه هان عليه بذل النقد الخسيس الفاني نسأل الله الاستعداد لقبول الفيض.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾.

﴿ولما بلغ﴾ موسى ﴿أشده﴾ أي: قوته وهو ما بين ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين وأشد على بناء الجمع كما سبق في سورة يوسف. ﴿واستوى﴾ والاستواء اعتدال الشيء في ذاته أي اعتدل عقله وكمل بأن بلغ أربعين سنة كقوله: ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [الأحقاف: ١٥] بعد قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الأحقاف: ١٥] وفي يوسف ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾ [يوسف: ٢٢] فحسب لأنه أوحى إليه في صباه حين كونه في البئر وموسى عليه السلام أوحى إليه بعد أربعين سنة كما قال: ﴿آتيناه حكماً﴾ أي: نبوة ﴿وعلماً﴾ بالدين.

قال الكاشفي: [ذكر انباي نبوت دراثناي اين قضيه] أي مع أنه تعالى استنبأه بعد الهجرة في المراجعة من مدين إلى مصر [بيان صدق هرد ووعده است كه چنانچه أورا بمادر رسانيديم ونبوت هم داديم] والجمهور على أن نبينا عليه السلام بعث على رأس الأربعين وكذا كل نبي عند البعض.

وقال بعضهم: اشتراط الأربعين في حق الأنبياء ليس بشيء لأن عيسى عليه السلام نبيء ورفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين ونبيء يوسف عليه السلام وهو ابن ثماني عشرة ويحيى عليه السلام نبيء وهو غير بالغ قيل كان ابن سنتين أو ثلاث وكان ذبحه قبل عيسى بسنة ونصف وهكذا أحوال بعض الأولياء فإن سهل بن عبد الله التستري سلك وكوشف له وهو غير بالغ.

وفي الآية تنبيه على أن العطية الإلهية تصل إلى العبد وإن طال العهد إذا جاء أوانها فلطالب الحق أن ينتظر إحسان الله تعالى ولا ييأس منه فإن المحسن لا بد وأن يجازى بالإحسان كما قال تعالى: ﴿وكذلك﴾ أي: كما جزينا موسى وأمه ﴿نجزي المحسنين﴾ على إحسانهم وفيه تنبيه على أنهما كانا محسنين في عملهما متقيين في عنفوان عمرهما فمن أدخل نفسه في زمرة أهل الإحسان جازاه الله بأحسن الجزاء. حكي: أن امرأة كانت تتعشى فسألها سائل فقامت ووضعت في فمه لقمة ثم وضعت ولدها في موضع فاختلسه الذئب فقالت: يا رب ولدي فأخذ آخذ عنق الذئب واستخرج الولد من فيه بغير أذى وقال لها: هذه اللقمة بتلك اللقمة التي وضعتها في فم السائل. والإحسان على مراتب فهو في مرتبة الطبيعة بالشريعة وفي مرتبة النفس بالطريقة وإصلاح النفس وذلك بترك حظ النفس فإنه حجاب عظيم وفي مرتبة الروح بالمعرفة وفي مرتبة السر بالحقيقة. فغاية الإحسان من العبد الفناء في الله ومن المولى إعطاء الوجود الحقاني إياه ولا يتيسر ذلك الفناء إلا لمن أيده الله بهدايته ونور قلبه بأنوار التوحيد إذ التوحيد مفتاح السعادات فينبغي لطالب الحق أن يكون بين الخوف والرجاء في مقام

النفس ليزكيها بالوعد والوعيد ويصفي وينور الباطن في مقام القلب بنور التوحيد ليتهيأ لتجليات الصفات ويطلب الهداية في مقام الروح ليشاهد تجلي الذات ولا يكون في اليأس والقنوط ألا ترى أن أم موسى كانت راجية واثقة بوعد الله حتى نالت ولدها موسى وتشرفت أيضاً بنبوته فإن من كانت صدف درة النبوة تشرفت بشرفها.

واعلم أنه لا بد من الشكر على الإحسان فشكر الإله بطول الثناء وشكر الولاة بصدق الولاء وشكر النظير بحسن الجزاء وشكر من دونك ببذل العطاء.

يكي كوش كودك بماليد سخت — كه اي بوالعجب رأي بركشته بخت
تراتيشه دادم كه هيزم شكن — نكفتم كه ديوار مسجد بكن
زبان آمد ازبهر شكر وسپاس — بغيبت نكر داندش حق شناس
كذركاه قرآن وپندست كوش — به بهتان وباطل شنيدن مكوش
دوچشم ازپى صنع باري نكوست — زعيب برادر فروكير ودوست
بروشكر كن چون بنعمت درى — كه محرومي آيد زمستكبرى
كرا زحق نه توفيق خيري رسد — كي ازبنده خيري بغيري رسد
ببخش أي بسر كادمي زاده صيد — بإحسان توان كرد ووحشى بقيد
مكن بدكه بدبيني ازيارنيك — نيايد زتخم بدي بارنيك

أي: لا تجيء ثمرة الخير إلا من شجرة الخير كما لا يحصل الحنظل إلا من العلقمة فمن أراد الرطب فليبذر النخل. حكي: أن امرأة كانت لها شاة تتعيش بها وأولادها فجاءها يوماً ضيف فلم تجد شيئاً للأكل فذبحت الشاة ثم إن الله تعالى أعطاها بدلها شاة أخرى وكانت تحلب من ضرعها لبناً وعسلاً حتى اشتهر ذلك بين الناس فجاء يوماً زائرون لها فسألوا عن السبب في ذلك فقالت: إنها كانت ترعى في قلوب المريدين يعني أن الله تعالى جازاها على إحسانها إلى الضيف بالشاة الأخرى ثم لما كان بذله عن طيب الخاطر وصفاء البال أظهر الله ثمرته في ضرع الشاة بإجراء اللبن والعسل فليس جزاء الإحسان إلا الإحسان الخاص من قبل الرحمن وليس للإمساك والبخل ثمرة سوى الحرمان نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من الذين يحسنون لأنفسهم في الطلب والإرادة وتحصيل السعادة واستجلاب الزيادة والسيارة.

﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾

﴿ودخل المدينة﴾ ودخل موسى مصراً آتياً من قصر فرعون. وبالفارسية [موسى از قصر فرعون برون آمد ودرميان شهرشد] وذلك لأن قصر فرعون كان على طرف من مصر كما سيأتي عند قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ [القصص: ٢٠] قيل المراد مدينة منف من أرض مصر وهي مدينة فرعون موسى التي كان ينزلها وفيها كانت الأنهار تجري تحت سريره وكانت في غربي النيل على مسافة اثني عشر ميلاً من مدينة فسطاط مصر المعروفة يومئذ بمصر القديمة ومنف أول مدينة عمرت بأرض مصر بعد الطوفان وكانت دار الملك بمصر في قديم الزمان.

﴿على حين غفلة من أهلها﴾ أي حال كونه في وقت لا يعتاد دخولها.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: دخلها في الظهيرة عند المقيل وقد خلت الطرق. ﴿فوجد فيها رجلين يقتتلان﴾ الجملة صفة لرجلين. والاقتتال [كارزار كردن بايكديكر] ﴿هذا﴾ [آن يكي] ﴿من شيعته﴾ أي ممن شايعه وتابعه على دينه وهم بنو إسرائيل روي أنه السامري كما في «فتح الرحمن» والإشارة على الحكاية وإلا فهو والذي من عدوه ما كانا حاضرين حال الحكاية لرسول الله ولكنهما لما كانا حاضرين يشار إليهما وقت وجدان موسى إياهما حكى حالهما وقتئذ. ﴿وهذا﴾ [وآن يكي ديكر]. ﴿من عدوه﴾ العدو يطلق على الواحد والجمع أي من مخالفيه ديناً وهم القبط واسمه فاتون كما في «كشف الأسرار» وكان خباز فرعون أراد أن يسخر الإسرائيلي ليحمل حطباً إلى مطبخ فرعون. ﴿فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه﴾ أي سأله أن يغيثه بالإعانة عليه ولذلك عدي بعلى يقال: استغثت طلبت الغوث أي النصرة. وبالفارسية [پس فرياد خواست بموسى آنكسى كه از كروه اوبود برآنكسي كه از دشمنان أو بود يعني ياري طلبيد سبطي ازموسى بردفع قبطي] وكان موسى قد أعطي شدة وقوة [قبطي راكفت دست ازو بدار قبطي سخن موسى ردكرد]. ﴿فوكزه موسى﴾ الوكز كالوعد الدفع والطعن والضرب بجمع الكف وهو بالضم والكسر حين يقبضها أي فضرب القبطي بجمع كفه. وبالفارسية [پس مشت زد اورا موسى] ﴿فقضى عليه﴾ أي: فقتله فندم فدفنه في الرمل وكل شيء فرغت وأتممته فقد قضيت عليه.

في «المفردات»: يعبر عن الموت بالقضاء فيقضي نحبه لأنه فصل أمره بالمختص به من دنياه والقضاء فصل الأمر. ﴿قال هذا﴾ القتل ﴿من عمل الشيطان﴾ [از عمل كسى است كه شيطان اورا اغوا كند نه عمل أمثال من] فأضيف العمل إلى الشيطان لأنه كان بإغوائه ووسوسته وإنما كان من عمله لأنه لم يؤمر بقتل الكفار أو لأنه كان مأموناً فيهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطأ وإنما عده من عمل الشيطان وسماه ظلماً واستغفر منه جرياً على سنن المقربين في استعظام ما فرط منهم ولو كان من محقرات الصغائر وكان هذا قبل النبوة. ﴿إنه﴾ أي: الشيطان. ﴿عدو﴾ لابن آدم ﴿مضل مبين﴾ ظاهر العداوة والإضلال.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾.

﴿قال﴾ توسيط قال بين كلاميه لإبانة ما بينهما من المخالفة من حيث أنه مناجاة ودعاء بخلاف الأول ﴿رب﴾ [أي پروردكار من] ﴿إني ظلمت نفسي﴾ بقتل القبطي بغير أمر ﴿فاغفر لي﴾ ذنبي ﴿فغفر له﴾ ربه ذلك لاستغفاره ﴿إنه هو الغفور الرحيم﴾ أي: المبالغ في مغفرة ذنوب العباد ورحمتهم.

﴿قال رب بما أنعمت علي﴾ إما قسم محذوف الجواب أي أقسم عليك بإنعامك عليّ بالمغفرة لأتوبن ﴿فلن أكون﴾ بعد هذا أبداً ﴿ظهيراً للمجرمين﴾ معيناً لهم يقال ظاهرته أي قويت ظهره بكوني معه وإما استعطاف أي بحق إحسانك عليّ اعصمني فلن أكون معيناً لمن تؤدي معاونته إلى الجرم وهو فعل يوجب قطيعة فاعله وأصله القطع.

قال ابن عطاء: العارف بنعم الله من لا يوافق من خالف ولي نعمته والعارف بالمنعم من لا يخالفه في حال من الأحوال انتهى.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه لم يستثن فابتلي به أي بالعون للمجرمين مرة أخرى كما سيأتي.

يقول الفقير: المراد بالمجرم ههنا الجاني الكاسب فعلاً مذموماً فلا يلزم أن يكون الإسرائيلي كافراً كما دل عليه هذا من شيعته وقوله: بالذي هو عدو لهما على أن بني إسرائيل كانوا على دين يعقوب قبل موسى ولذا استذلهم فرعون بالعبودية ونحوها وأما قول ابن عباس رضي الله عنهما عند قوله: ظهيراً للمجرمين، أي عوناً للكافرين فيدل على أن إطلاق المجرم المطلق على المؤمن الفاسق من قبل التغليظ والتشديد ثم إن هذا الدعاء وهو قوله: رب بما أنعمت عليّ إلخ حسن إذا وقع بين الناس اختلاف وفرقة في دين أو ملك أو غيرهما وإنما قال موسى هذا عند اقتتال الرجلين ودعا به ابن عمر رضي الله عنهما عند قتال علي ومعاوية كذا في «كشف الأسرار».

ثم إن في الآية إشارة إلى أن المجرمين هم الذين أجرموا بأن جاهدوا كفار صفات النفس بالطبع والهوى لا بالشرع والمتابعة كالفلاسفة والبراهمة والرهابين وغيرهم فجهادهم يكون من عمل الشيطان.

﴿فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾

﴿فأصبح﴾ دخل موسى في الصباح. ﴿في المدينة﴾ وفيه إشارة إلى أن دخول المدينة والقتل كانا بين العشاءين حين اشتغل الناس بأنفسهم كما ذهب إليه البعض. ﴿خائفاً﴾ أي: حال كونه خائفاً على نفسه من آل فرعون. ﴿يترقب﴾ يترصد طلب القود أو الأخبار وما يقال في حقه وهل عرف قاتله. والترقب انتظار المكروه.

وفي «المفردات» ترقب احترز راقباً أي حافظ وذلك إما لمراعاة رقبة المحفوظ وأما لرفعه رقبته ﴿فإذا﴾ للمفاجأة [پس ناكاه]. ﴿الذي استنصره بالأمس﴾ أي الإسرائيلي الذي طلب من موسى النصرة قبل هذا اليوم على دفع القبطي المقتول. ﴿يستصرخه﴾ الاستصراخ [فرياد رسيدن ميخواستن] أي يستغيث موسى برفع الصوت من الصراخ وهو الصوت أو شديده كما في «القاموس»: وبالفارسية [باز فرياد ميكند وياري ميطلبد برقبطىء ديكر]. ﴿قال له موسى﴾ أي: للإسرائيلي المستنصر بالأمس المستغيث على الفرعون الآخر ﴿إنك لغوي﴾ [مرد كمراهي] وهو فعيل بمعنى الغاوي. ﴿مبين﴾ بين الغواية والضلالة لأنك تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر يعني إني وقعت بالأمس فيما وقعت فيه بسببك فالآن تريد أن توقعني في ورطة أخرى.

﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾.

﴿فلما أن أراد﴾ موسى ﴿أن يبطش﴾ البطش تناول الشيء بشدة ﴿بالذي هو عدو لهما﴾ أي يأخذ بيد القبطي الذي هو عدو لموسى والإسرائيلي إذ لم يكن على دينهما ولأن القبط

كانوا أعداء بني إسرائيل على الإطلاق. ﴿قال﴾ ذلك الإسرائيلي ظاناً أن موسى يريد أن يبطش به بناءً على أنه خاطبه بقوله: إنك لغوي مبين ورأى غضبه عليه أو قال القبطي، وكأنه توهم من قولهم أنه الذي قتل القبطي بالأمس لهذا الإسرائيلي. ﴿يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس﴾ يعني: القبطي المقتول ﴿إن تريد﴾ أي: ما تريد ﴿إلا أن تكون جباراً في الأرض﴾ وهو الذي يفعل ما يريده من الضرب والقتل ولا ينظر في العواقب ﴿وما تريد أن تكون من المصلحين﴾ بين الناس بالقول والفعل فتدفع التخاصم ولما قال هذا انتشر الحديث وارتقى إلى فرعون وملئه وظهر أن القتل الواقع أمس صدر من موسى حيث لم يطلع على ذلك إلا ذلك الإسرائيلي فهموا بقتل موسى فخرج مؤمن من آل فرعون وهو ابن عمه ليخبر موسى كما قال ﴿وجاء رجل﴾ وهو خربيل ﴿من أقصى المدينة﴾ من آخرها أو جاء من آخرها. وبالفارسية [از دور ترجايي ازشهر يعني ازباركاه فرعون كه بريك كناره شهر بود] يقال: قصوت عنه وأقصيت أبعدت والقصي البعيد. ﴿يسعى﴾ صفة رجل أي يسرع في مشيه حتى وصل إلى موسى﴿قال يا موسى إن الملأ﴾ أشراف قوم فرعون ﴿يأتمرون بك﴾ يتشاورون بسببك وإنما سمي التشاور ائتماراً لأن كلاً من المتشاروين يأمر الآخر ويأتمر ﴿ليقتلوك فاخرج﴾ من المدينة ﴿إني لك من الناصحين﴾ في أمري إياك بالخروج. وبالفارسية [از نيك خواهان ومهربانم] واللام للبيان كأنه قيل: لك أقول هذه النصيحة وليس صلة للناصحين لأن معمول الصلة لا يتقدم الموصول وهو اللام في الناصح.

﴿فخرج منها﴾ [پس بيرون رفت درهمان دم ازان شهر بي زاد وراحله ورفيق] ﴿خائفاً﴾ حال كونه خائفاً على نفسه ﴿يترقب﴾ لحوق الطالبين والتعرض له في الطريق. وبالفارسية: [انتظار ميبردكه كسى ازپى أو درآيد]. ﴿قال رب نجني من القوم الظالمين﴾ خلصني منهم واحفظني من لحوقهم. وبالفارسية [كفت أي پروردكار من نجات ده مرا وبازرهان از كروه ستمكاران يعني فرعون وكسان أو] فاستجاب الله دعاءه ونجاه كما سيأتي.

قال بعض العارفين: إن الله تعالى إذا أراد بعبده أن يكون له فرداً أوقعه في واقعة شنيعة ليفر من دون الله إلى الله فلما فر إليه خائفاً من الامتحان وجد جمال الرحمن وعلم أن جميع ما جرى عليه واسطة الوصول إلى المراد. وفي «المثنوي».

يك جواني برزني مجنون بدست	روزشب بي خواب وبي خور آمدست
بيدل وشوريده ومجنو ومست	مي نداداش روزكار وصل دست
پس شكنجه كرد عشقش برزمين	خودچرا داردز أول عشق كين
عشق از أول چراخوني بود	تاكريزد هركه بيروني بود
چون فرستادي رسولي پيش زن	آن رسول ازرشك كردي راه زن
ورصبارا پيك كردي در وفا	ازغباري تيره كشتي آن صبا
راههاي چاره را غيرت ببست	لشكر انديشه را رايت شكست
خوشهاي فكرتش بي كاه شد	شب روانرا رهنما چون ماه شد
جست از بيم عسس وشب بباغ	يارخودرا يافت چون شمع وچراغ
بود اندرباغ آن صاحب جمال	كز غمش اين درعنا بدهشت سال
سايهٔ أورا نبود أمكان ديد	همچو عنقا وصف أورامي شنيد

جزيكي لقيه كه أول ازقضا بروي افتاد وشداورا دلربا
چون در آمد خوش دران باغ آن جوان خود فروشد يابكنجش ناكهان
مرعسس را ساخته يزدان سبب تازبيم أودود درباغ شب
كفت سازنده سبب را آن نفس أي خدا تورحمتي كن برعسس
بهراين كردي سبب اين كاررا تاندارم خار من يك خاررا
پس يد مطلق نباشد درجهان بدبنسبت باشد اين راهم بدان
زهر ماران ماررا باشد حيات نسبتش باآدمي باشد ممات
خلق آبي را بود دريا چوباغ خلق خاكي رابود آن مرك وداغ
هرچه مكررهست چون شدا ودليل سوى محبوبت حبيب أست وخليل
در حقيقت هرعدو داروي تست كيمياي نافع ودلجوي تست
كه ازو اندر كريزي درخلا استعانت جويي از لطف خدا
درحقيقيت دوست دانت دشمن اند كه ز حضرت دور ومشغولت كنند

فإذا أقبل العاشق من طريق الامتحان إلى الحق خاف وترقب أن يلحقه أحد من أهل الضلال فيمنعه من الوصول إليه فإنه لا ينفك عن الخوف ما دام في الطريق نسأل الله الوصول وهو خير مسؤول.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿ولما توجه تلقاء مدين﴾ التوجه [روى باخيري كردن] والتلقاء تفعال من لقيت وهو مصدر اتسع فيه فاستعمل ظرفاً يقال: جلس تلقاءه أي حذاءه ومقابلته. ومدين قرية شعيب عليه السلام على بحر القلزم سميت باسم مدين بن إبراهيم عليه السلام من امرأته قنطورا كان اتخذها لنفسه مسكناً فنسبت إليه ولم يكن في سلطان فرعون وكان بينهما وبين مصر مسيرة ثمانية أيام كما بين الكوفة والبصرة. والمعنى لما جعل موسى وجهه نحو مدين وصار متوجهاً إلى جانبها. **﴿قال﴾** [باخود كفت] توكلاً على الله وحسن ظن به وكان لا يعرف الطرق. **﴿عسى ربي﴾** [شايدكه پروردكار من]. **﴿أن يهديني﴾** [راه نمايد مرا] **﴿سواء السبيل﴾** وسطه ومستقيمه والسبيل من الطرق ما هو معتاد السلوك فظهر له ثلاث طرق فأخذ الوسطى وجاء الطلاب عقبيه فقالوا: إن الفار لا يأخذ الطريق الوسط خوفاً على نفسه بل الطرفين فشرعوا في الآخرين فلم يجده [پس موسى هشت شبانورز ميرفت وبي زاد وبي طعام پاي برهنه وشكم كرسنه ودران هشت روز نمي خورد مكر برك درختان تارسيد بمدين سلمى. فرموده كه روى مبارك بناحيهٔ مدين داشت أمادلش متوجه بحضرت ذو المدين بود ومسالك بداي مدين را بهمراهي غم شوق لقا مي پيمود].

غمت تايار من شد روى در راه عدم كردم
خوشست آوركي آنراكه همرا هي چنين باشد

قال بعضهم: مدين إشارة إلى عالم الأزل والأبد فوجد موسى نسيم الحقيقة من جانبها لأنه كان بها شعيب عليه السلام فتوجه إليها للمشاهدة واللقاء كما قال عليه السلام: «إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن» مخبراً عن وجدان نسيم الحق من روضة قلب أويس القرني

رضي الله عنه ففي أرض الأولياء نفحات وفي لقائهم بركات.

وقال بعضهم: [چون خواستندكه موسى كليم را لباس نبوت پوشند وبحضرت رسالت ومكالمت برندنخست أورا درخم چوكان بيت نهادند تادران بارها وفتنها بچته كشت چنانكه رب العزة كفت]. ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًاۚ﴾ [طه: ٤٠] أي طبخناك بالبلاء طبخاً حتى صرت صافياً نقياً [از مصر بدر آمد ترسان در الله زاريد رب العالمين دعاي وي أجابت كرد واورا ازبيم دشمن ايمن كرد سكينه بدل وي فرو آمد وساكن كشت باسروي كفتند مترس خداوندكه ترا در طفوليت حجر فرعون كه لطمه برروي وي ميزدي درحفظ وحمايت خود بداشت ودشمن ندد امروز همچنان در حفظ خود بدارد وبدشمن ندهد آنكه روى نهاب برببابان برفتوح نه بقصد مدين أما رب العزة أورا بمدين افكند سريء را دران بقيه بود شعيب پيغمبر خداي بود ومسكين بمدين داشت سائق تقدير موسى را بخدمت شعيب راند تايافت بخدمت وصحبت أو آنچه افت خليل عليه السلام چون همه راهها بسته بديد دانست كه حضرت يكيست آواز برآ وردكه. ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ٧٩] الآية مرد مردانه نه آنست كه برشاهراه سواري كندكه راه كشاده بود مرد آنست كه درشب تاريك برراه بي دليلي بسر كوي دوست شود] كما وقع لأكثر الأنبياء والأولياء المهاجرين الذاهبين إلى الله تعالى. قال الحافظ:

شب تاريك وبيم موج وكردابي چنين هائل

كجا دانند حال ما سبكباران ساحلها

يقول الفقير: المراد بقوله: «شب تاريك» جلال الذات لأن الليل إشارة إلى عالم الذات وظلمة جلاله الغالب وبقوله: «بيم موج» خوف صفات القهر والجلال وبقوله: «كردابي چنين هائل» الامتحانات التي كدور البحر الإهلاك فهذا المصراع صفة أهل البداية والتوسط من أرباب الأحوال فإنهم بسبب ما وقعوا في بحر العشق لا يزالون بمتحنوا بالبلايا الهائلة إلى أن يخرجوا إلى ساحل البقاء والمراد بقوله: «سبكباران ساحلها» الذين لم يحملوا الإماتة الكبرى وهي العشق فبقوا في بر البشرية وهم العباد والزهاد فهم لكونهم أهل البر والبشرية والحجاب لا يعرفون أحوال أهل البحر والملكية والمشاهدة فإن بين الظاهر والباطن طريقاً بعيداً وبين الباب والصدر فرقاً كثيراً وبين المبتدأ والمنزل سيراً طويلاً نسأل الله العشق وحالاته والوصول إلى معانيه وحقائقه من ألفاظه ومقالاته.

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾

﴿ولما ورد﴾ الورود إتيان الماء وضده الصدور وهو الرجوع عنه.

وفي «المفردات»: الورود أصله قصد الماء ثم يستعمل في غيره. والمعنى ولما وصل موسى وجاء **﴿ماء مدين﴾** وهو بئر على طرف المدينة على ثلاثة أميال منها أو أقل كانوا يسقون منها.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ورده وإنه ليتراءى خضرة البقل في بطنه من الهزال **﴿وجد عليه﴾** أي جانب البئر وفوق شفيرها **﴿أمة من الناس﴾** جماعة كثيرة منهم. **﴿يسقون﴾**

مواشيهم ﴿ووجد من دونهم﴾ في مكان أسفل منهم ﴿امرأتين﴾ صفورياء ولياً ابنتا يثرون ويثرون هو شعيب قاله السهيلي في كتاب «التعريف» ﴿تذودان﴾ الذود والكف والطرد والدفع أي تمنعان أغنامهما عن التقدم إلى البئر.

قال الكاشفي: [از آنجاكه شفقت ذاتي انبيا مي باشد فرا پيش رفت وبطريق تلطف] ﴿قال﴾ عليه السلام: ﴿ما خطبكما﴾ الخطب الأمر العظيم الذي يكثر فيه التخاطب أي ما شأنكما فيما أنتما عليه من التأخر والذود ولم لا تباشران السقي كدأب هؤلاء.

قال بعضهم: كيف استجاز موسى أن يكلم امرأتين أجنبيتين والجواب كان آمناً على نفسه معصوماً من الفتنة فلأجل علمه بالعصمة كلمهما كما يقال: كان للرسول التزوج بامرأة من غير الشهود لأن الشهود لصيانة العقد عن التجاحد وقد عصم الرسول من أن يجحد نكاحاً أو يجحد نكاحه دون غيره من أفراد أمته ﴿قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء﴾ لإصدار [بازكردانيدن] والرعاء بالكسر جمع راع كقيام جمع قائم ما يرعاء والمرعى موضع الرعي ويسمى كل سائس لنفسه أو لغيره راعياً وفي الحديث: «كلكم مسؤول عن رعيته» قيل: الرعاء هم الذين يرعون المواشي والرعاة هم الذين يرعون الناس وهم الولاة. والمعنى عادتنا أن لا نسقي مواشينا حتى يصرف الرعاء: وبالفارسية: [بازكردانند شبانان] مواشيهم بعد ريها ويرجعوا عجزاً عن مساجلتهم وحذراً من مخالطة الرجال فإذا انصرفوا سقينا من فضل مواشيهم وحذف مفعول السقي والذود والإصدار لما أن الغرض هو بيان تلك الأفعال أنفسها إذ هي التي دعت موسى إلى ما صنع في حقهما من المعروف فإنه عليه السلام إنما رحمهما لكونهما على الذياد والعجز والعفة وكونهم على السقي غير مبالين بهما وما رحمهما لكون مذودهما غنماً ومستقيهم إبلاً مثلاً ﴿وأبونا﴾ وهو شعيب ﴿شيخ﴾ [پيري است] ﴿كبير﴾ كبير السن أو القدر والشرف لا يستطيع أن يخرج فيرسلنا للرعي والسقي اضطراراً ومن قال من المعاصرين فيه عبرة أن مواشي النبي لم يلتفت إليها فقد أتى بالعبرة لأن الراعي لا يعرف ما النبي كما أن القروي في زماننا لا يعرف ما شريعة النبي وقد جرت العادة على أن أهل الإيمان من كل أمة أقل.

﴿فسقى لهما﴾ ماشيتهما رحمة عليهما وطلباً لوجه الله تعالى. روي: أن الرجال كانوا يضعون على رأس البئر حجراً لا يرفعه إلا سبعة رجال أو عشرة أو أربعون فرفعه وحده مع ما كان به من الوصب والجوع وجراحة القدم [ازنيجا كفته اندكه هر پيغمبري را بچهل مردنيروي بود پيغمبر امارا بچهل پيغمبر نيروبود] ولعله زاحمهم في السقي لهما فوضعوا الحجر على البئر لتعجيزه عن ذلك وهو الذي يقتضيه سوق النظم الكريم ﴿ثم﴾ بعد فراغه ﴿تولى﴾ جعل ظهره يلي ما كان يليه وجهه أي أعرض وانصرف ﴿إلى الظل﴾ هو ما لم يقع عليه شعاع الشمس وكان ظل سمرة هنالك فجلس في ظلها من شدة الحر وهو جائع. ﴿فقال﴾ يا ﴿رب إني لما أنزلت إلي﴾ أي: أي شيء أنزلته إلي ﴿من خير﴾ قليل أو كثير وحمله الأكثرون على الطعام بمعونة المقام ﴿فقير﴾ محتاج سائل ولذلك عدي باللام.

وفيه إشارة إلى أن السالك إذا بلغ عالم الروحانية لا ينبغي أن يقنع بما وجد من معارف ذلك العالم بل يكون طالباً للفيض الإلهي بلا واسطة.

قال بعضهم: هذا موسى كليم الله لما كان طفلاً في حجر تربية الحق ما تجاوز حده بل قال: رب الخ فلما بلغ مبلغ الرجال ما رضي بطعام الأطفال بل قال: أرني أنظر إليك فكان

غاية طلبه في بدايته الطعام والشراب وفي نهايته رفع الحجاب ومشاهدة الأحباب.

قال ابن عطاء: نظر من العبودية إلى الربوبية فخشع وخضع وتكلم بلسان الافتقار لما ورد على سره من أنواع الربوبية فافتقاره افتقار العبد إلى مولاه في جميع أحواله لا افتقار سؤال وطلب انتهى.

وسئل سهل عن الفقير الصادق فقال: لا يسأل ولا يرد ولا يحبس.

قال فارس: قلت لبعض الفقراء مرة ورأيت عليه أثر الجوع والضر: لم لا تسأل فيطعموك؟ فقال: أخاف أن أسألهم فيمنعوني فلا يفلحون.

ولما كان موسى عليه السلام جائعاً سأل من الله ما يأكل ولم يسأل من الناس ففطنت الجاريتان فلما رجعتا إلى أبيهما قبل الناس وأغنامهما قفلت قال لهما: ما أعجلكما؟ قالتا: وجدنا رجلاً صالحاً رحمنا فسقي لنا ثم تولى إلى الظل فقال: رب الخ فقال أبوهما: هذا رجل جائع فقال لإحداهما: اذهبي فادعيه لنا.

﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾

﴿فجاءته إحداهما﴾ عقيب ما رجعتا إلى أبيهما وهي الكبرى واسمها صفورياء.

فإن قلت: كيف جاز لشعيب إرسال ابنته لطلب أجنبي؟.

قلت: لأنه لم يكن له من الرجال من يقوم بأمره ولأنه ثبت عنده صلاح موسى وعفته بقرينة الحال وبنور الوحي. ﴿تمشي﴾ حال من فاعَل جاءته ﴿على استحياء﴾ ما هو عادة الأبكار. والاستحياء [شرم داشتن].

قال أبو بكر بن طاهر: لتمام إيمانها وشرف عنصرها وكريم نسبها أتته على استحياء وفي الحديث: «الحياء من الإيمان» أي: شعبة منه.

قال أعرابي: لا يزال الوجه كريماً ما غلب حياؤه ولا يزال الغصن نضيراً ما بقي لحاؤه ﴿قالت﴾ استئناف بياني ﴿إن أبي يدعوك ليجزيك﴾ ليكافئك ﴿أجر ما سقيت لنا﴾ جزاء سقيك لنا [موسى بجهت زيارت شعيب وتقريب آشنايي باوي أجابت كردندنه براي طمع] ولأنه كان بين الجبال خائفاً مستوحشاً فأجابها فانطلقا وهي أمامه فألزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته أو كشفته عن ساقيها فقال لها: امشي خلف وانعتي إليّ الطريق فتأخرت وكانت تقول عن يمينك وشمالك وقدامك حتى أتيا دار شعيب فبادرت المرأة إلى أبيها وأخبرته فأذن له في الدخول وشعيب يومئذ شيخ كبير وقد كف بصره فسلم موسى افرد عليه السلام وعانقه ثم أجلسه بين يديه وقدم إليه طعاماً فامتنع منه وقال: أخاف أن يكون هذا عوضاً لما سقيته وأنا أهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا لأنه كان من بيت النبوة من أولاد يعقوب فقال شعيب: لا والله يا شاب ولكن هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا فتناول هذا وإن من فعل معروفاً فأهدي إليه شيء لم يحرم أخذه. ﴿فلما جاءه﴾ [پس آن هنكام آمد موسى زنديك شعيب]. ﴿وقص عليه القصص﴾ أخبره بما جرى عليه من الخبر المقصوص فإنه مصدر سمي به المفعول كالعلل. ﴿قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين﴾ أي فرعون وقومه فإنه لا سلطان له بأرضنا ولسنا في مملكته.

وفيه إشارة إلى أن القلب مهما يكون في مقامه يخاف عليه أن يصيبه آفات النفس وظلم صفاتها فإذا وصل بالسر إلى مقام الروح فقد نجا من ظلمات النفس وظلم صفاتها ألا ترى أن السلطان ما دام في دار الحرب فهو على خوف من الأعداء فإذا دخل حد الإسلام زال ذلك. وفيه إشارة إلى أن من وقع في الخوف يقال له لا تخف كما أن من وقع في الأمن يقال له: خف وفي «المثنوي»:

لا تخافوا هست نزل خائفان هشت درخور ازبراي خائف آن

هركه ترسد مرورا ايمن كنند مردل ترسنده را ساكن كنند

آنكه خوفش نيست چون كويي مترس درس چه دهي نيست أو محتاج درس

قال أويس القرني رضي الله عنه كن في أمر الله كأنك قتلت الناس كلهم يعني خائفاً مغموماً.

قال شعيب بن حرب: كنت إذا نظرت إلى الثوري فكأنه رجل في أرض مسبعة خائف الدهر كله وإذا نظرت إلى عبد العزيز بن أبي داود فكأنه يطلع إلى القيامة من الكوة. ثم إن موسى قد تربى عند فرعون بالنعمة الظاهرة ولما هاجر إلى الله وقاسى مشاق السفر والغربة عوضه الله عند شعيب النعمة الظاهرة والباطنة. قيل:

سافر تجد عوضاً عمن تفارقه وانصب فإن اكتساب المجد في النصب

فالأسد لولا فراق الخيس ما افترست والسهم لولا فراق القوس لم يصب

وقيل:

بلاد الله واسعة فضاء ورزق الله في الدنيا فسيح

فقل للقاعدين على هوان إذا ضاقت بكم أرض فسيحوا

قال الشيخ سعدي قدس سره:

سعد يا حب وطن كرچه حديث است صحيح

نتوان مرد بسختي كه من اينجا زادم

ألا ترى أن موسى عليه السلام ولد بمصر ولما ضاقت به هاجر إلى أرض مدين فوجد السعة مطلقاً فالكامل لا يكون زمانياً ولا مكانياً بل يسيح إلى حيث أمر الله تعالى من غير ليّ العنق إلى ورائه ولو كان وطنه فإن الله تعالى إذا كان مع المرء فالغربة له وطن والمضيق له وسيع. وفي «المثنوي»:

هركجا باشد شه مارا بساط هست صحرا كربود سم الخياط

هركجا يوسف رضي باشد چوماه جنت است آن كرچه باشد قعرجاه

﴿قالت إحداهما﴾ وهي الكبرى التي استدعته إلى أبيها وهي التي زوجها موسى. ﴿يا أبت﴾ [اي پدر من] ﴿استأجره﴾ أي اتخذ موسى أجيراً لرعي الغنم والقيام بأمرها. ﴿إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ اللام للجنس لا للعهد فيكون موسى مندرجاً تحته. والقوي بالفارسية [توانا]. والأمين: [استوار تعريض است بآنكه موسى را قوت وأمانت هست]. روي: أن شعيباً قال لها: وما أعلمك بقوته وأمانته؟ فذكرت له ما شاهدت منه من إقلال الحجر عن رأس البئر ونزع الدلو الكبير وأنه خفض رأسه عند الدعوة ولم ينظر إلى وجهها

تورعاً حتى بلغته رسالته وأنه أمرها بالمشي خلفه فخصت هاتين الخصلتين بالذكر لأنها كانت تحتاج إليهما من ذلك الوقت أما القوة فلسقي الماء وأما الأمانة فلحفظ البصر وصيانة النفس عنها كما قال يوسف عليه السلام: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥] لأن الحفظ والعلم كان محتاجاً إليهما أما الحفظ فلأجل ما في خزانة الملك وأما العلم فلمعرفة ضبط الدخل والخرج.

وكان شريح لا يفسر شيئاً من القرآن إلا ثلاث آيات. الأولى ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٧] قال الزوج. والثانية: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠] البينة والإيمان. والثالثة: ﴿إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ كما فسرت برفع الحجر وغض البصر.

﴿قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَـٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَـٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿قال﴾ شعيب لموسى عليه السلام بعد الاطلاع على قوته وأمانته ﴿إني أريد﴾ [من ميخواهم] ﴿أن أنكحك﴾ [آنكه زني بتودهم] ﴿إحدى ابنتي هاتين﴾ [يكي را ازين دو دختران] وهي صفورياء التي قال فيها: ﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟﴾ [طه: ١٠] ﴿على أن تأجرني﴾ حال من المفعول في أنكحك يقال: أجرته إذا كنت له أجيراً كقولك: أبوته إذا كنت له أباً كما في «الكشاف». والمعنى حال كونك مشروطاً عليك أو واجباً أن تكون لي أجيراً ﴿ثماني حجج﴾ في هذه المدة فهو ظرف جمع حجة بالكسر بمعنى السنة وهذا شرط للأب وليس بصداق لقوله: تأجرني دون تأجرها ويجوز أن يكون النكاح جائزاً في تلك الشريعة بشرط أن يكون منعقد العمل في المدة المعلومة لولي المرأة كما يجوز في شريعتنا بشرط رعي غنمها في مدة معلومة [ودر عين المعاني آورده كه در شرائع متقدمه مهر اختران مر پدررا بوده وايشان مي كرفته اند ودر شريعت ما منسوخ شده بدين حكم ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء: ٤] وآنكه جر منافع مهر تواندبود ممنوع است نزد إمام أعظم بخلاف إمام شافعي].

واعلم أن المهر لا بد وأن يكون مالاً متقوماً أي في شريعتنا لقوله تعالى: ﴿أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم﴾ [النساء: ٢٤] وأن يكون مسلماً إلى المرأة لقوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ﴾ [النساء: ٤] فلو تزوجها على تعليم القرآن أو خدمته لها سنة يصح النكاح ولكن يصار إلى مهر المثل لعدم تقوم التعليم والخدمة هذا إن كان الزوج حراً وإن كان عبداً فلها الخدمة فإن خدمة العبد ابتغاء بالمال لتضمنها تسليم رقبته ولا كذلك الحر فالآية سواء حملت على الصداق أو على الشرط فناظرة إلى شريعة شعيب فإن الصداق في شريعتنا للمرأة لا للأب والشرط وإن جاز عند الشافعي لكنه لكونه جراً لمنفعة المهر ممنوع عند إمامنا الأعظم رحمه الله.

وقال بعضهم: ما حكي عنهما بيان لما عزما عليه واتفقا على إيقاعه من غير تعرض لبيان موجب العقدين في تلك الشريعة تفضيلاً. ﴿فإن أتممت عشراً﴾ أي عشر سنين في الخدمة والعمل ﴿فمن عندك﴾ أي: فإتمامها من عندك تفضلاً لا من عندي إلزاماً عليك. ﴿وما أريد أن أشق عليك﴾ [ونمى خواهم آنكه رنج نهم برتن تو بالزام تمام ده سال يابمناقشه درمراعات أوقات واستيفاي أعمال يعني ترا كاري فرمايم بروجهي كه آسان باشد ودر رنج نيفتي] واشتقاق المشقة من الشق فإن ما يصعب عليك بشق اعتقادك في إطاقته ويوزع رأيك في مزاولته.

قال بعض العرفاء: رأى شعيب بنور النبوة أنه يبلغ إلى درجة الكمال في ثماني حجج ولا

يحتاج إلى التربية بعد ذلك ورأى أن كمال الكمال في عشر حجج لأنه رأى أن بعد العشر لا يبقى مقام الإرادة ويكون بعد ذلك مقام الاستقلال والاستقامة ولا يحتمل مؤنة الإرادة بعد ذلك لذلك قال: إني أريد الخ وما أريد الخ.

يقول الفقير: اقتضى هذا التأويل أن عمر موسى وقتئذ كان ثلاثين لأنه لما أتم العشر عاد إلى مصر فاستنبىء في الطريق وقد سبق أن استنباءه كان في بلوغ الأربعين وهذه سنة لأهل الفناء في كل عصر وعندما يمضي ثمان وثلاثون أو أربعون من سن السلوك يكمل الفناء والبقاء وينفد الرزق فافهم. ﴿ستجدني إن شاء الله من الصالحين﴾ في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالعهد ومراده بالاستثناء التبرك به وتفويض الأمر إلى توفيقه لا تعليق صلاحه بمشيئته تعالى وفي الحديث: «بكى شعيب النبي عليه السلام من حب الله حتى عمي فرد الله عليه بصره وأوحى الله إليه يا شعيب ما هذا البكاء أشوقاً إلى الجنة أم خوفاً من النار؟ فقال: إلهي وسيدي أنت تعلم أني ما أبكي شوقاً إلى جنتك ولا خوفاً من النار ولكن اعتقدت حبك بقلبي فإذا نظرت إليك فما أبالي ما الذي تصنع بي فأوحى الله إليه يا شعيب إن يكن ذلك حقاً فهنيئاً لك لقائي يا شعيب لذلك أخدمتك موسى بن عمران كليمي».

اعلم أن في فرار موسى من فرعون إلى شعيب إشارة إلى أنه ينبغي لطالب الحق أن يسافر من مقام النفس الأمارة إلى عالم القلب ويفر من سوء قرين كفرعون إلى خير قرين كشعيب ويخدم المرشد بالصدق والثبات. روي: أن إبراهيم بن أدهم كان يحمل الحطب سبع عشرة سنة.

وفي قوله: ﴿على أن تأجرني ثماني حجج﴾ إشارة إلى طريق الصوفية وأن استخدامهم للمريدين من سنن الأنبياء عليهم السلام. قال الحافظ:

شبان وادي أيمن كهي رسد بمراد　　　كه چند سال بجان خدمت شعيب كند

﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾

﴿قال﴾ موسى ﴿ذلك﴾ الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم وثابت ﴿بيني وبينك﴾ جميعاً لا أنا أخرج عما شرطت علي ولا أنت تخرج عما شرطت على نفسك ﴿أيما الأجلين قضيت﴾ أي شرطية منصوبة بقضيت وما زائدة مؤكدة لإبهام أي في شياعها والأجل مدة الشيء. والمعنى أكثرهما أو أقصرهما وفيتك بأداء الخدمة فيه. وبالفارسية: [هر كدام ازين دو مدت كه هشت ساله وده سالست بكذارم وبيابان رسانم] وجواب الشرطية قوله: ﴿فلا عدوان عليّ﴾ لا تعدي ولا تجاوز بطلب الزيادة فكما لا أطالب بالزيادة على العشر لا أطالب بالزيادة على الثماني أو أيما الأجلين قضيت فلا إثم عليّ يعني كما لا إثم عليّ في قضاء الأكثر كذا لا أثم عليّ في قضاء الأقصر. ﴿والله على ما نقول﴾ من الشروط الجارية بيننا ﴿وكيل﴾ شاهد وحفيظ فلا سبيل لأحد منا إلى الخروج عنه أصلاً. فجمع شعيب المؤمنين من أهل مدين وزوجه ابنته صفوريا ودخل موسى البيت وأقام يرعى غنم شعيب عشر سنين كما في «فتح الرحمن». روي: أنه لما أتم العقد قال شعيب لموسى: أدخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصيّ وكانت عنده عصي الأنبياء فأخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ولم يزل الأنبياء يتوارثونها حتى وصلت إلى شعيب فمسها وكان مكفوفاً فلم يرضها له خوفاً من أن لا يكون أهلاً لها وقال

غيرها: فما وقع في يده إلا هي سبع مرات فعلم أن لموسى شأناً وحين خرج للرعي قال له شعيب: إذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ عن يمينك فإن الكلأ وإن كان بها أكثر إلا أن فيها تنيناً أخشى منه عليك وعلى الغنم فأخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها ومشى على أثرها فإذا عشب وريف لم ير مثله فنام فإذا بالتنين قد أقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت إلى جنب موسى دامية فلما أبصرها دامية والتنين مقتولاً سر ولما رجع إلى شعيب أخبره بالشأن ففرح شعيب وعلم أن لموسى والعصا شأناً وقال: إني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل أدرع ودرعاء والدرع بياض في صدور الشاء ونحورها وسواد في الفخذ وهي درعاء كما في «القاموس». فأوحى الله إليه في المنام أن اضرب بعصاك الماء الذي هو في مستقى الأغنام ففعل ثم سقى فما أخطأت واحدة إلا وضعت أدرع ودرعاء فعلم شعيب أن ذلك رزق ساقه الله تعالى إلى موسى وامرأته فوفى له بالشرط وسلم إليه الأغنام.

قال أبو الليث: مثل هذا الشرط في شريعتنا غير واجب إلا أن الوعد من الأنبياء واجب فوفاه بوعده انتهى. وفي «المثنوي».

جرعه برخاك وفاآنكس كه ريخت كي تواند صيد دولت زوكريخت

پس پيمبر كفت بهر اين طريق باوفاتر از عمل نبود رفيق

كربود نيكو ابديارت شود وربود بد در لحد بارت شود

﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗاۖ قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ۝٢٩﴾.

﴿فلما قضى موسى الأجل﴾ الفاء فصيحة أي فعقد العقدين وباشر ما التزمه فلما أتم الأجل المشروط بينهما وفرغ منه روي أنه قضى أبعد الأجلين وهي عشر سنين. يعني [ده سال شباني كردپس أورا آرزوي وطن خاست] فبكى شعيب وقال: يا موسى كيف تخرج عني وقد ضعفت وكبرت؟ فقال له: قد طالت غيبتي عن أمي وخالتي وهارون أخي وأختي في مملكة فرعون فقام شعيب وبسط يديه وقال: يا رب بحرمة إبراهيم الخليل وإسماعيل الصفي وإسحاق الذبيح ويعقوب الكظيم ويوسف الصديق رد قوتي وبصري فأمن موسى على دعائه فرد الله عليه بصره وقوته ثم أوصاه بابنته ﴿وسار﴾ موسى بإذن شعيب نحو مصر والسير المضي في الأرض ﴿بأهله﴾ بامرأته صفوريا وولده فإنها ولدت منه قبل السير كما في «كشف الأسرار».

وقال الكاشفي: [وببرد كسان خودرا] فالباء على هذا للتعدية.

قال ابن عطاء: لما تم له أجل المحبة ودنت أيام القربة والزلفة وإظهار أنوار النبوة عليه سار بأهله ليشترك معه في لطائف الصنع.

قال في «كشف الأسرار»: [نماز پيشين فراره بود همي رفت تاشب در آمد] وكان في البرية والليلة مظلمة باردة فضرب خيمته على الوادي وأدخل أهله فيها وهطلت السماء بالمطر والثلج [وأغنام ازبرف وباد ودمه متفرق شده يعني أغنام كه أورا شعيب داده بود] وقد كان ساقها معه وكانت امرأته حاملاً فأخذها الطلق فأراد أن يقدح فلم يظهر له نار فاغتم لذلك فحينئذ ﴿آنس من جانب الطور ناراً﴾ أي: أبصر من الجهة التي تلي الطور ناراً يقال جانب الحائط للجهة التي تلي الجنب والطور اسم جبل مخصوص والنار يقال للهب الذي يبدو

للحاسة وللحرارة المجردة ولنار جهنم.

قال بعضهم: أبصر ناراً دالة على الأنوار لأنه رأى النور على هيئة النار لكون مطلبه النار والإنسان يميل إلى الأشياء المعهودة المأنوسة ولا تخلو النار من الاستئناس خاصة في الشتاء وكان شتاء تجلى الحق بالنور في لباس النار على حسب إرادة موسى وهذه سنته تعالى ألا ترى إلى جبريل أنه علم أن النبي عليه السلام أحب دحية فكان أكثر مجيئه إليه في سورة دحية ﴿**قال**﴾ موسى. ﴿**لأهله امكثوا**﴾ المكث ثبات مع انتظار أي قفوا مكانكم واثبتوا. ﴿**إني آنست ناراً لعلي**﴾ [شايد كه من] ﴿**آتيكم**﴾ [بيارم از براي شما]. ﴿**منها**﴾ [آزان آتش] ﴿**بخبر**﴾ [بيامي يعني از نزد كساني كه برسر آن آتش اند بيارم خبر طريق كه راه مصر از كدام طرفست] وقد كانوا ضلوه ﴿**أو جذوة**﴾ عود غليظ سواء كانت في رأسه نار أو لا ولذلك بين بقوله: ﴿**من النار**﴾ وفي «المفردات»: الجذوة التي يبقى من الحطب بعد الالتهاب.

وفي «التأويلات النجمية»: تشير الآية إلى التجريد في الظاهر وإلى التفريد في الباطن فإن السالك لا بد له في السلوك من تجريد الظاهر عن الأهل والمال وخروجه عن الدنيا بالكلية فقد قيل: المكاتب عبد ما بقي عليه درهم ثم من تفريد الباطن عن تعلقات الكونين فبقدر تفرده عن التعلقات يشاهد شواهد التوحيد فأول ما يبدو له في صورة شعلة النار كما كان لموسى والكوكب كما كان لإبراهيم عليهما السلام ومن جملتها اللوامع والطوالع والسواطع والشموس والأقمار إلى أن يتجلى نور الربوبية عن مطلع الألوهية. ﴿**لعلكم تصطلون**﴾ الاصطلاء [كرم شدن بآتش].

قال في «كشف الأسرار»: الاصطلاء التدفؤ بالصلاء وهو النار بفتح الصاد وكسرها فالفتح بالقصر والكسر بالمد.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن أوصاف الإنسانية جامدة من برودة الطبيعة لا تتسخن إلا بجذوة نار المحبة بل نار الجذبة الإلهية. قال الكمال الخجدي:

بچشم أهل نظركم بود زپروانه   دلي كه سوختهٔ آتش محبت نيست

فترك موسى أهله في البرية وذهب.

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِىِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿**فلما أتاها**﴾ أي: النار التي آنسها ﴿**نودي من شاطىء الوادي الأيمن**﴾ أي: أتاه النداء من الشاطىء الأيمن بالنسبة إلى موسى فالأيمن مجرور صفة يسيل فيه الماء ومنه سمي المفرج بين الجبلين وادياً. ﴿**في البقعة المباركة**﴾ متصل بالشاطىء أو صلة لنودي والبقعة قطعة من الأرض لا شجر فيها وصفت بكونها مباركة لأنه حصل فيها ابتداء الرسالة وتكليم الله إياه وهكذا محال تجليات الأولياء قدس الله أسرارهم. ﴿**من الشجرة**﴾ بدل اشتمال من شاطىء لأنها كانت ثابتة على الشاطىء وبقيت إلى عهد هذه الأمة كما في «كشف الأسرار» وكانت عناباً أو سمرة أو سدرة أو زيتوناً أو عوسجاً والعوسج إذا عظم يقال له: الغرقد بالغين المعجمة وفي الحديث: «إنها شجرة اليهود ولا تنطق» يعني إذا نزل عيسى وقتل اليهود فلا يختفي منهم أحد تحت شجرة إلا نطقت وقالت: يا مسلم هذا يهودي فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجرهم فلا ينطق

كما في «التعريف والأعلام» للإمام السهيلي. ﴿أن﴾ مفسرة أي أي ﴿يا موسى إني أنا الله رب العالمين﴾ أي أنا الله الذي ناديتك ودعوتك باسمك وأنا رب الخلائق أجمعين وهذا أول كلامه لموسى وهو وإن خالف لفظاً لما في طه والنمل لكنه موافق له في المعنى المقصود.

قال الكاشفي: [موسى در درخت نكاه كرد آتشي سفيد بي دود يديد وبدل فرونكريست شعلهٔ شوق لقاي حضرة معبود مشاهدة نمود از شهود اين در آتش نزديك بودكه شمع وجودش بتمام سوخته كردد:

هست در من آتش روشن نميدانم كه چيست

اين قدر دانم كه همچون شمع مي كاهم دكر

موسى عليه السلام از نداي. ﴿أن يا موسى﴾ سوختهٔ عشق وكداختهٔ شوق شده در بيش درخت بايستاد وآن ندا در مضمون داشت كه. ﴿إني أنا الله رب العالمين﴾.

قال في «كشف الأسرار»: موسى زير آن درخت متلاشى صفات وفإني ذات كشت وهمكي وي سمع شده وندا آمد پس خلعت قربت بوشيد شراب الفت نوشيد صدر وصلت ديد ريحان رحمت بوييد].

أي عاشق دلسوخته اندوه مدار روزي بمراد عاشقان كرددكار

قال بعضهم: لما وصل موسى إلى الشجرة ذهبت النار وبقي النور ونام موسى عن موسى فنودي من شجرة الذات بأصوات الصفات وصار الجبل من تأثير التجلي والكلام عقيقاً وغشي عليه فأرسل الله إليه الملائكة حتى روحوه بمراوح الأنس وقالوا له: يا موسى تعبت فاسترح يا موسى قد باخت فلا تبرح جئت على قدر يا موسى. يعني: [مقدر بودكه حق سبحانه باتوسخن كند] وكان هذا في ابتداء الأمر والمبتدأ مرفوق به. وفي المرة الأخرى خرّ موسى صعقاً فكان يصعق والملائكة تقول له: يا ابن النساء الحيض مثلك من يسأل الرؤية يا ليت لو تعلم الملائكة أين موسى هناك لم يعيروه فإن موسى كان في أول الحال مريداً طالباً وفي الآخر مراداً مطلوباً طلبه الحق واصطفاه لنفسه قيل: شتان بين شجرة موسى وبين شجرة آدم عندها طهرت محنة وفتنة وعند شجرة موسى افتتحت نبوة ورسالة يا صاحبي لو يعلم قائل هذا القول حقيقة شجرة آدم لم يقل مثل هذا في حق آدم فإن شجرة آدم إشارة إلى شجرة الربوبية ولذا قال: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ [البقرة: ٣٥] فإن آدم إذ كان متصفاً بصفات الحق أراد العيشة بحقيقتها فنهاه الحق عنها وقال: هذا شيء لم يكن لك فإن حقيقة الأزلية ممتنعة من الاتحاد بالمحدثية هكذا قال: ولكن أظهر أزليته من الشجرة وسكر آدم ولم يصبر عن تناولها فأكل منها حبة الربوبية فكبر حاله في الحضرة ولم يطق في الجنة حملها فأهبط منها إلى معدن العشاق ومقر المشتاق فشجرة آدم شجرة الأسرار وشجرة موسى شجرة الأنوار فالأنوار للأبرار والأسرار للأخيار.

قال بعض الكبار: إذا جاز ظهور التجلي من الشجرة وكذا الكلام من غير كيف ولا جهة فأولى أن يجوز ذلك من الشجرة الإنسانية ولذا قسموا التوحيد إلى ثلاث مراتب. مرتبة لا إله إلا هو. ومرتبة لا إله إلا أنت. ومرتبة لا إله إلا أنا والمتكلم في الحقيقة هو الحق تعالى بكلام قديم أزلي فإن شئت الذوق فارجع إلى الوجدان إن كنت من أهله وإلا فعليك بالإيمان فإن الكلام إما مع الوجدان أو مع أهل الإيمان فسلام على المصطفين الأخيار والمؤمنين الأبرار اللهم أرنا

الأشياء كما هي وإنما الكون خيال وهو الحق في الحقيقة فلا موجود إلا هو كما لا مشهود إلا هو فاعرف يا مسكين تغنم. قال الشيخ سعدي عن لسان العاشق:

مرا باوجود توهستي نماند بياد توام خود پرستي نماند
كرم جرم بيني مكن عيب من تويي سربر آورده از جيب من

وقال:

سمندرنهٔ كرد آتش مكرد كه مردانكي بايد آنكه نبرد

وهو إشارة إلى من ليس حاله كحال موسى نسأل الله الوقوع في نار العشق والوصول إلى سر الفناء الكلي.

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾﴾.

﴿وأن ألق عصاك﴾ عطف على أن يا موسى وكلاهما مفسر لنودي أي ونودي أن ألق واطرح من يدك عصاك فألقاها فصارت حية فاهتزت. ﴿فلما رآها تهتز﴾ أي تتحرك تحركاً شديداً ﴿كأنها جان﴾ في سرعة الحركة أو في الهيئة والجثة فإنها إنما كانت ثعباناً عند فرعون والجان حية كحلاء العين لا تؤذي كثيرة في الدور. ﴿ولى مدبراً﴾ أعرض حال كونه منهزماً من الخوف ﴿ولم يعقب﴾ أي لم يرجع.

قال الخليل: عقب أي رجع على عقبه وهو مؤخر القدم فنودي ﴿يا موسى أقبل﴾ [پيش آي] ﴿ولا تخف﴾ [ومترس ازين مار] ﴿إنك من الآمنين﴾ من المخاوف فإنه لا يخاف لدي المرسلون كما سبق في النمل.

فإن قلت: ما الفائدة في إلقائها؟.

قلت: أن يألفها ولا يخافها عند فرعون إذا ناظره بقلب العصا وغيره من المعجزات كما في «الأسئلة المقحمة».

وفيه إشارة إلى إلقاء كل متوكأ غير الله فمن اتكأ على الله أمن ومن اتكأ على غيره وقع في الخوف.

قال في «كشف الأسرار»: [جاي ديكر كفت خذها ولا تخف يا موسى عصا مي دار ومهر عصا دردل مدار وآنرا پناه خود مكير از روى أشارت بدنيا دار ميكويد دنيا ميدار ومهر دنيا در دل مدار وآنرا پناه خود مساز] «حب الدنيا رأس كل خطيئة» ويقال: شتان بين نبينا ﷺ وبين موسى عليه السلام رجع من سماع الخطاب وأتى بثعبان سلطه على عدوه ونبينا عليه السلام أسرى به إلى محل الدنو فأوحى إليه ما أوحى ورجع أتى لأمته بالصلاة التي هي المناجاة فقيل له: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فقال: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين

﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿اسلك يدك في جيبك﴾ أدخلها في مدرعتك وهي ثوب من صوف يلبس بدل القميص ولا يكون له كم بل ينتهي كمه عند المرفقين. وبالفارسية: [در آردست خودرادر كريبان جامهٔ

خود] ﴿تخرج بيضاء﴾ أي: حال كونها مشرقة مضيئة لها شعاع كشعاع الشمس. ﴿من غير سوء﴾ عيب كالبصر. يعني: [سفيدىء أو مكروه منفر نباشد چون بياض برص]. ﴿واضمم إليك جناحك﴾ جناح الإنسان عضده ويقال: اليد كلها جناح أي يديك المبسوطتين تتقي بهما الحية كالخائف الفزع بإدخال اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس أو بإدخالهما في الجيب فيكون تكريراً لاسلك يدك لغرض آخر وهو أن يكون ذلك في وجه العدو إظهار جرأة ومبدأ لظهور معجزة ويجوز أن يكون المراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية استعارة من حال الطائر فإنه إذا خاف نشر جناحيه وإذا أمن واطمأن ضمهما إليه فعلى هذا يكون تتميماً لمعنى أنك من الآمنين لا تكريراً لاسلك يدك. ﴿من الرهب﴾ الرهب مخافة مع تحزن واضطراب أي من أجل الرهب أي إذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلداً أو ضبطاً لنفسك. ﴿فذانك﴾ إشارة إلى العصا واليد ﴿برهانان﴾ حجتان نيرتان ومعجزتان باهرتان وبرهان فعلان من قولهم: أبره الرجل إذا جاء بالبرهان أو من قولهم: بره الرجل إذا ابيض ويقال: برهاء وبرهة للمرأة البيضاء ونظيره تسمية الحجة سلطاناً من السليط وهو الزيت لإنارتها وقيل: هو فعلال لقولهم: برهن. ﴿من ربك﴾ صفة لبرهانان أي كائنان منه تعالى وأصلان. ﴿إلى فرعون وملئه﴾ ومنتهيان إليهم. ﴿إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ خارجين عن حدود الظلم والعدوان فكانوا أحقاء بأن نرسلك إليهم بهاتين المعجزتين.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾.

﴿قال﴾ موسى ﴿رب﴾ [أي پروردكار من] ﴿إني قتلت منهم﴾ أي: من القوم وهم القبط ﴿نفساً﴾ وهو فاتون خباز فرعون. ﴿فأخاف أن يقتلون﴾ بمقابلتها.

﴿وأخي هارون هو أفصح مني لساناً﴾ أطلق لساناً بالبيان وكان في لسان موسى عقدة من قبل الجمرة التي تناولها وأدخلها فاه تمنعه عن إعطاء البيان حقه ولذلك قال فرعون: ولا يكاد يبين.

قال بعض العارفين: مقام الفصاحة هو مقام الصحو والتمكين الذي يقدر صاحبه أن يخبر عن الحق وأسراره بعبارة لا تكون ثقيلة في موازين العلم وهذا حال نبينا ﷺ حيث قال: «أنا أفصح العرب»: «وبعثت بجوامع الكلم» وهذه قدرة قادرية اتصف بها العارف المتمكن الذي بلغ مشاهدة الخاص ومخاطبة الخواص وكان موسى عليه السلام في محل السكر في ذلك الوقت ولم يطق أن يعبر عن حاله كما كان لأن كلامه لو خرج على وزان حاله يكون على نعوت الشطح عظيماً في آذان الخلق وكلام السكران ربما يفتتن به الخلق ولذلك سأل مقام الصحو والتمكين بقوله: ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴿٢٨﴾﴾ [طه: ٢٧-٢٨] لأن كلامه من بحر المكافحة في المواجهة الخاصة التي كان مخصوصاً بها دونه بخلاف هارون إذ لم يكن كليماً فحاله مع الناس أسهل من حال موسى ﴿فأرسله﴾ إلى فرعون وقومه ﴿معي﴾ حال كونه ﴿ردءاً﴾ أي معيناً وهو في أصل اسم ما يعان به كالدفء واستعمل هنا صفة بدليل كونه حالاً ﴿يصدقني﴾ بالرفع صفة ردءاً أي مصدقاً لي بتلخيص الحق وتقرير الحجة وتوضيحها وتزييف الشبهة وإبطالها لا بأن يقول له: صدقت أو للجماعة صدقوه يؤيد ذلك قوله: ﴿هو أفصح مني

لساناً﴾ لأن ذلك يقدر عليه الفصيح وغيره كما في «فتح الرحمن» ﴿إني أخاف أن يكذبون﴾ أي يردوا كلامي ولا يقبلوا مني دعوتي ولساني لا يطاوعني عند المحاجة.

وفيه إشارة إلى أن من خاصية نمرود وفرعون النفس تكذيب الناطق بالحق ومن خصوصية هارون العقل تصديق الناطق بالحق.

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿قال﴾ الله تعالى ﴿سنشد عضدك بأخيك﴾ العضد ما بين المرفق والكتف: وبالفارسية [بتازو] أي سنقويك به لأن الإنساني يقوى بأخيه كقوة اليد بعضدها. وبالفارسية [زود باشدكه سخت كنم بازوي ترا يعني بيزايم نيروي ترابرادرتو] وكان هارون يومئذ بمصر ﴿ونجعل لكما سلطاناً﴾ أي تسلطاً وغلبة.

قال جعفر: هيبة في قلوب الأعداء ومحبة في قلوب الأولياء.

وقال ابن عطاء: سياسية الخلافة مع أخلاق النبوة ﴿فلا يصلون إليكما﴾ باستيلاء أو محاجة ﴿بآياتنا﴾ متعلق بمحذوف صرح به في مواضع أخرى أي اذهب بآياتنا أو بنجعل أي نسلطكما بآياتنا وهي المعجزات أو بمعنى لا يصلون أي تمتنعان منهم بآياتنا فلا يصلون إليكما بقتل ولا سوء كما في «فتح الرحمن»: ﴿أنتما ومن اتبعكما الغالبون﴾ أي لكما ولأتباعكما الغلبة على فرعون وقومه [زيراكه رايات آيات ما عالي است وامداد أعانت مراوليارا] متواتر ومتوالي والله الغالب والمتعالي.

قال في «كشف الأسرار»: [چون اين مناجات تمام شد رب العالمين اورا بازكردانيد. خلافست ميان علما كه موسى آنكه پيش عيال بازشدياهم از آنجا بمصر رفت سوى فرعون. قومي كفتندهم از آنجا سوى مصر شد وأهل وعيال را دران بيابان بكذاشت سي روز دران بيابان ميان مدين ومصر بماندندتنها دختر شعيب بود وفرزند موسى وآن كوسفندان آخر بعد از سي روز شباني بايشان بكذشت دختر شعيب را ديد وأورا بشناخت دل تنك واندوهكين نشسته ومي كريد آن شبان إيشانرا درپيش كاد وبامدين برد پيش شعيب. وقومي كفتند موسى چون از مناجات فارغ شد همان شب بنزديك أهل وعيال باز رفت عيال وي أورا كفت آتش آوردي موسى أورا كفت من بطلب آتش شدم نور آوردم وپيغمبر وكرامت خداوند جل جلاله آنكه برخاستند وروى بمصر نهادند چون بدر شهر مصر رسيدند وقت شبانكاه بود برادر وخواهر أما پدرش رفته بود ازدنيا موسى بدر سراي رسيد نماز شام بود وإيشان طعام درپيش نهاده بودند وميخوردند موسى آواز دادكه من يكي غريبم مرا امشب سپنج دهيد بقربت اندر ما دركفت مر هارونراكه اين غريب را سپنج بايدداد تامكر كسي بغربت اندر پسررا سپنج دهد موسى را بخانه اندر آوردند وطعام پيش وي نهادند واورا نمي شناختند چون موسى فراسخن آمد مادر أورا بشناخت واورا دركنار كرفت وبسيار بكريست پس موسى كفت مر هارونراكه خداي عز وجل مارا پيغمبري داد وهر دورا فرمود كه پيش فرعون رويم واورا بالله جل جلاله دعوت كنيم هارون كفت سمعاً وطاعة لله عز وجل مادر كفت من ترسم كه اوشمارا هردو بكشدكه أو جباري طاغيست إيشان كفتند الله تعالى مارا فرموده وأومارا خود نكه دارد وايمن كردد پست

موسى وهارون ديكر روز رفتند بدر سراي فرعون كرو هي كويند همان ساعت باز رفتند وپيغام كذاردند وكروهي كفتند تايكسال بازنيافتند] يعني لم يأذن لهما فرعون بالدخول سنة وفيه إن صح لطف لهما حيث يتقويان في تلك المدة بما ورد عليهما من جنود إمداد الله تعالى فتسهل الدعوة حينئذ وأياً ما كان فالدعوة حاصلة كما قال تعالى:

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّفۡتَرٗى وَمَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿فلما جاءهم موسى﴾ حال كونه ملتبساً ﴿بآياتنا﴾ حال كونها ﴿بينات﴾ واضحات الدلالة على صحة رسالته منه تعالى والمراد المعجزات حاضرة كانت كالعصا واليد أو مترقبة كغيرها من الآيات التسع فإن زمان المجيء وقت ممتد يسع الجميع ﴿قالوا ما هذا﴾ أي الذي جئت به يا موسى ﴿إلا سحر مفترى﴾ أي سحر مختلق لم يفعل قبل هذا مثله وذلك لأن النفس خلقت من أسفل عالم الملكوت متنكسة والقلب خلق من وسط عالم الملكوت متوجهاً إلى الحضرة فما كذب الفؤاد ما رأى وما صدقت النفس ما رأت فيرى القلب إذا كان سليماً من الأمراض والعلل الحق حقاً والباطل باطلاً والنفس ترى الحق باطلاً والباطل حقاً ولهذا كان من دعائه عليه السلام: «اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه» وكان عليه السلام مقصوده في ذلك سلامة القلب من الأمراض والعلل وهلاك النفس وقمع هواها وكسر سلطانها كذا في «التأويلات النجمية» ﴿وما سمعنا بهذا﴾ السحر ﴿في آبائنا الأولين﴾ واقعاً في أيامهم.

﴿وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده﴾ يريد به نفسه: يعني [أو مرا فرستاده وميداندكه من محقهم وشما مبطليد] ﴿ومن تكون له عاقبة الدار﴾ أي عاقبة دار الدنيا وهي الجنة لأنها خلقت ممراً إلى الآخرة ومزرعة لها والمقصود منها بالذات هو الثواب وأما العقاب فمن نتائج أعمال العصاة وسيئاتهم فالعاقبة المطلقة الأصلية للدنيا هي العاقبة المحمودة دون المذمومة. ﴿إنه﴾ أي: الشان ﴿لا يفلح الظالمون﴾ لأنفسهم بإهلاكها في الكفر والتكذيب أي: لا يفوزون بمطلوب ولا ينجون من محذور ومن المحذور العذاب الدنيوي ففيه إشارة إلى نجاة المؤمن وهلاك الكافر وإلى أن الواجب على كل نفس السعي في نجاتها ولو هلك غيرها لا يضرها.

﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾.

﴿وقال فرعون﴾ حين جمع السحرة وتصدى للمعارضة. ﴿يا أيها الملأ﴾ [أي كروه بزركان] ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾ قيل: كان بين هذه الكلمة وبين قوله: أنا ربكم الأعلى أربعون سنة أي ليس لكم إله غيري في الأرض [وموسى ميكويد خداي ديكر هست كه آفريدكار آسمانهاست] كما قال: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الرعد: ١٦] ﴿فأوقد لي﴾ الإيقاد [آتش افروختن] ﴿يا هامان﴾ هو وزير فرعون. ﴿على الطين﴾ هو التراب والماء المختلط أي اصنع لي آجراً: وبالفارسية: [پس برافروز آتشي ازبراي من أي هامان بركل تايخنه شود ودربنا أو استحكامي

بود] وأول من اتخذ الآجرّ فرعون ولذلك أمر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة حيث لم يقل اطبخ لي الآجر. ﴿فاجعل لي﴾ منه ﴿صرحاً﴾ قصراً رفيعاً مشرفاً كالميل والمنارة. وبالفارسية [كوشكي بلندكه مرورا پايها باشد چون نردبان تابر سطح آن روم]. ﴿لعلي أطلع إلى إله موسى﴾ أنظر إليه وأقف عليه. يعني: [شايدكه برو مطلع كردم وبينم كه چنان هست كه موسى كويد] ﴿وإني لأظنه﴾ أي موسى ﴿من الكاذبين﴾ في ادعائه أن له إلهاً غيري وأنه رسوله قاله تلبيساً وتمويهاً على قومه لا تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤].

قال في «الأسئلة المقحمة»: ولا يظن بأن فرعون كان شاكاً في عدم استحقاقه لدعوى الإلهية في نفسه إذ كان يعلم حال نفسه من كونها أهل الحاجات ومحل الآفات ولكن كان معانداً في دعواه مجاحداً من غير اعتقاد له في نفسه بالإلهية.

وقال الكاشفي: [فرعون تصور كرده بودكه حق سبحانه وتعالى جسم وجسمانيست برآسمان مكاني دارد وترقى بسوى وي ممكن است وبدين معنى دانا نشده بود].

كه مكان آفرين مكان چه كند آسمان كر بر آسمان چه كند

نه مكان ره برد برو نه زمان نه بيان زوخبر دهد نه عيان

صاحب كشاف: [آورده كه هامان ملعون نجاه هزار استاد جمع كرد وراي مزدوران آن بطبخ آجر وبختن كج واهك وتراشيدن چون ورفع بنا امرنمود] واشتد ذلك على موسى وهارون لأن بني إسرائيل كانوا معذبين في بنائه.

قال أبو الليث: كان ملاط القصر خبث القوارير وكان الرجل لا يستطيع القيام عليه من طوله مخافة أن ينسفه الريح وكان طوله خمسة آلاف ذراع وعرضه ثلاثة آلاف ذراع [وآن بنايي شد رفيع ومحكم كه هيچكس پيش ازان بدان طريق صرحى نساخته بود ودرهمه دنيا مانند آن هركز كس نديد ونشنيد]:

چنان بلند بنايي كه عقل نتوانست كمند فكر فكندن بكوشهٔ بامش

وكتب بهلول على حائط من حيطان قصر عظيم بناه الخليفة هارون الرشيد: يا هارون رفعت الطين ووضعت الدين رفعت الجص ووضعت النص إن كان من مالك فقد أسرفت إن الله لا يحب المسرفين وإن كان من مال غيرك فقد ظلمت إن الله لا يحب الظالمين.

ودر زاده المسير [فرموده چون بنا باتمام رسيد فرعون لعين ببالا بر آمد وخيال أو آن بودكه بفلك نزديك رسيده باشد چون درنكريست آسمانرا از بالاي صرح چنان ديدكه در روى زمين ميديد منفعل كشته تير اندازيرا بكفت تابرهوا تير انداخت وآن تيرباز آمد خون آلود فرعون كفت قد قتلت إله موسى بكشتم نعوذ بالله خداي موسى را حق سبحانه وتعالى جبرائيل را فرستاد تاپرخويش بدان صرح زد سه پاره ساخت يك قطعه بلشكر كاه فرعون فرود آمد وهزاران هزار قبطي كشته شدند وقطعهٔ ديكر دردريا افتاد وديكر بجانب مغرب وهيچكس زاستادان ومزدوران زنده نماندند].

وفي «فتح الرحمن»: ولم يبق أحد ممن عمل فيه إلا هلك ممن كان على دين فرعون انتهى. وفرعون [باوجود اين حال متنبه نكشت وغروراو زيادت كشت].

﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿واستكبر هو وجنوده﴾ تعظموا عن الإيمان ولم ينقادوا للحق والاستكبار إظهار الكبر باطلاً بخلاف التكبر فإنه أعم والكبر ظن الإنسان أنه أكبر من غيره ﴿في الأرض﴾ أي أرض مصر وما يليها ﴿بغير الحق﴾ بغير استحقاق ﴿وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون﴾ لا يردون بالبعث للجزاء من رجع رجعاً أي رد وصرف.

﴿فأخذناه وجنوده﴾ عقيب ما بلغوا من الكفر والعتو أقصى الغايات ﴿فنبذناهم﴾ طرحناهم.

قال الراغب: النبذ إلقاء الشيء وطرحه لقلة الاعتداد به ﴿في اليم﴾ بحر القلزم أي عاقبناهم بالإغراق وفيه تعظيم شأن الآخذ وتحقير شأن المأخوذ حيث أنهم مع كثرتهم كحصيات تؤخذ بالكف وتطرح في البحر ﴿فانظر﴾ يا محمد بعين قلبك ﴿كيف كان عاقبة الظالمين﴾ وحذر قومك من مثلها.

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿وجعلناهم﴾ أي صيرنا فرعون وقومه في عهدهم ﴿أئمة يدعون إلى النار﴾ أي ما يؤدي إليها من الكفر والمعاصي أي قدوة يقتدي بهم أهل الضلال فيكون عليهم وزرهم ووزر من تبعهم ﴿ويوم القيامة لا ينصرون﴾ بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه.

﴿وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة﴾ طرداً وإبعاداً من الرحمة أو لعناً من اللاعنين لا تزال تلعنهم الملائكة والمؤمنون خلفاً عن سلف. وبالفارسية [وبر پي ايشان پيوستيم درين جهان لعنت ونفرين] ﴿ويوم القيامة هم من المقبوحين﴾ يوم متعلق بالمقبوحين على أن اللام للتعريف لا بمعنى الذي أي من المطرودين المبعدين يقال: قبح الله فلاناً قبحاً وقبحوحاً أي أبعده من كل خير فهو مقبوح كما في «القاموس» وغيره.

قال في «تاج المصادر»: القبح والقابحة والقباحة [زشت شدن] انتهى وعليه بنى الراغب حيث قال في «المفردات»: من المقبوحين أي من الموسومين بحالة منكرة كسواد الوجوه وزرقة العيون وسحبهم بالأغلال والسلاسل وغيرها انتهى باختصار.

قال في «الوسيط»: فيكون بمعنى المقبحين انتهى.

وفي «التأويلات النجمية»: لأن قبحهم معاملاتهم القبيحة كما أن حسن وجوه المحسنين معاملاتهم الحسنة هل جزاء الإحسان إلا الإحسان وجزاء سيئة سيئة مثلها انتهى.

ودلت الآية على أن الاستكبار من قبائحهم المؤدية إلى هذه القباحة والطرد قال عليه السلام: حكاية عن الله تعالى: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في النار» وصف الحق سبحانه نفسه بالرداء والإزار دون القميص والسراويل لكونهما غير محيطين فبعداً عن التركيب الذي هو من أوصاف الجسمانيات.

واعلم أن الكبر يتولد من الإعجاب والإعجاب من الجهل بحقيقة المحاسن والجهل رأس الانسلاخ من الإنسانية ومن الكبر الامتناع من قبول الحق ولذا عظم الله أمره فقال: ﴿فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ

﴿عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأحقاف: ٢٠] وأقبح كبر بين الناس ما كان معه بخل ولذلك قال عليه السلام: «خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل والكبر» ومن تكبر لرياسة نالها دل على دناءة عنصره ومن تفكر في تركيب ذاته فعرف مبدأه ومنتهاه وأوسطه عرف نقصه ورفض كبره ومن كان تكبره لفنية فليعلم أن ذلك ظل زائل وعارية مستردة وإنما قال: بغير الحق إشارة إلى أن التكبر ربما يكون محموداً وهو التكبر والتبختر بين الصفين ولذا نظر رسول الله عليه السلام إلى أبي دجانة يتبختر بين الصفين فقال: «إن هذه مشية يبغضها الله إلا في هذا المكان» وكذا التكبر على الأغنياء فإنه في الحقيقة عز النفس وهو غير مذموم قال عليه السلام: «لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه» فعلى العاقل أن يعز نفسه بقبول الحق والتواضع لأهله ويرفع قدره بالانقياد لما وضعه الله تعالى من الأحكام ويكون من المنصورين في الدنيا والآخرة ومن الذين يثني عليهم بالثناء الحسن لحسن معاملاتهم الباطنة والظاهرة نسأل الله ذلك من نعمة المتوافرة. قال الشيخ سعدي قدس سره:

بزركان نكردند درخود نكاه ... خدا بيني ازخويشتن بين مخواه
بزركي بناموس وكفتار نيست ... بلندي بدعوى وپندار نيست
بلنديت بايد تواضع كزين ... كه آن بام را نيست سلم جزاين
برين آستان عجز ومسكينيت ... به از طاعات وخويشتن بينيت

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ أي التوراة **﴿من بعد ما أهلكنا القرون الأولى﴾** جمع قرن وهو القوم المقترنون في زمان واحد أي من بعد ما أهلكنا في الدنيا بالعذاب أقوام نوح وهود وصالح ولوط أي على حين حاجة إليها.

قال الراغب: الهلاك بمعنى الموت لم يذكره الله حيث يفقد الذم إلا في قوله: ﴿إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ﴾ [النساء: ١٧٦] وقوله: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤] وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ [غافر: ٣٤] **﴿بصائر للناس﴾** حال من الكتاب على أنه نفس البصائر وكذا ما بعده. والبصائر جمع بصيرة وهي نور القلب الذي به يستبصر كما أن البصر نور العين الذي به تبصر. والمعنى حال كون ذلك الكتاب أنوار القلوب بني إسرائيل تبصر بها الحقائق وتميز بين الحق والباطل حيث كانت عمياء عن الفهم والإدراك بالكلية **﴿وهدى﴾** أي هداية إلى الشرائع والأحكام التي هي سبيل الله.

قال في «إنسان العيون»: التوراة أول كتاب اشتمل على الأحكام والشرائع بخلاف ما قبله من الكتب فإنها لم تشتمل على ذلك وإنما كانت مشتملة على الإيمان بالله وحده وتوحيده ومن ثمة قيل لها صحف وإطلاق الكتب عليها مجاز **﴿ورحمة﴾** حيث ينال من عمل به رحمة الله تعالى **﴿لعلهم يتذكرون﴾** ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر بما فيه من المواعظ. وبالفارسية [شايدكه إيشان پند پذيرند] وفي الحديث: «ما أهلك الله قرناً ولا أمة ولا أهل قرية بعذاب من السماء منذ أنزل التوراة على وجه الأرض غير أهل القرية الذين مسخوا قردة» ألم تر أن الله تعالى قال **﴿ولقد آتينا﴾** الآية.

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَـٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا وَلَـٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وما كنت﴾ يا محمد **﴿بجانب الغربي﴾** أي: جانب الجبل أو المكان الغربي الذي وقع فيه الميقات وناجى موسى ربه على حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه أو الجانب الغربي على إضافة الموصوف كمسجد الجامع وعلى كلا التقديرين فجبل الطور غربي. **﴿إذ قضينا إلى موسى الأمر﴾** أي: عهدنا إليه وأحكمنا أمر نبوته بالوحي وإيتاء التوراة. **﴿وما كنت من الشاهدين﴾** أي: من جملة الشاهدين للوحي وهم السبعون المختارون للميقات حتى تشاهد ما جرى من أمر موسى في ميقاته وكتب التوراة له في الألواح فتخبره للناس والمراد الدلالة على أن إخباره عن ذلك من قبل الإخبار عن المغيبات التي لا تعرف إلا بالوحي ولذلك استدرك عنه بقوله:

﴿ولكنا أنشأنا قروناً﴾ خلقنا بين زمانك وزمان موسى قروناً كثيرة. وبالفارسية [وليكن بيافريديم پس از موسى كروهي بعد از كروهي]. **﴿فتطاول عليهم العمر﴾** تطاول بمعنى طال. وبالفارسية [دراز شد] والعمر بالفتح والضم وبضمتين الحياة.

قال الراغب: اسم لمدة عمارة البدن بالحياة أي طال عليهم الحياة وتمادى الأمد والمهلة فتغيرت الشرائع والأحكام وعميت عليهم الأنبياء لا سيما على آخرهم فاقتضى الحال التشريع الجديد فأوحينا إليك فحذف المستدرك اكتفاء بذكر ما يوجبه. **﴿وما كنت ثاوياً في أهل مدين﴾** نفي لاحتمال كون معرفته للقصة بالسماع ممن شاهد. والثواء هو الإقامة والاستقرار أي وما كنت مقيماً في أهل مدين إقامة موسى وشعيب حال كونك. **﴿تتلو عليهم﴾** أي: تقرأ على أهل مدين بطريق التعلم منهم [چنانچه شاكردان براستاذان خوانند] وهو حال من المستكن في ثاوياً أو خبر ثانٍ لكنت. **﴿آياتنا﴾** الناطقة بالقصة **﴿ولكنا كنا مرسلين﴾** إياك وموحين إليك تلك الآيات ونظائرها.

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَـٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وما كنت بجانب الطور إذ نادينا﴾ أي: وقت ندائنا موسى إني أنا الله رب العالمين واستنبائنا إياه وأرسلنا له إلى فرعون والمراد جانب الطور الأيمن كما قال: ﴿وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ [مريم: ٥٢] ولم يذكر هنا احترازاً عن إيهام الذم فإنه عليه السلام لم يزل بالجانب الأيمن من الأزل إلى الأبد ففيه إكرام له وأدب في العبارة معه. **﴿ولكن رحمة من ربك﴾** أي: ولكن أرسلناك بالقرآن الناطق بما ذكر رحمة عظيمة كائنة منا لك وللناس. **﴿لتنذر قوماً﴾** متعلق بالفعل المعلل بالرحمة **﴿ما أتاهم من نذير من قبلك﴾** صفة قوماً أي لم يأتهم نذير لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة أو بينك وبين إسماعيل على أن دعوة موسى وعيسى مختصة ببني إسرائيل. **﴿لعلهم يتذكرون﴾** يتعظون بإنذارك وتغيير الترتيب الوقوعي بين قضاء الأمر والثواء في أهل مدين والنداء للتنبيه على أن كلاً من ذلك برهان مستقل على أن حكايته عليه السلام للقصة بطريق الوحي الإلهي ولو ذكر أولاً نفي ثوائه عليه السلام

في أهل مدين ثم نفى حضوره عليه السلام عند قضاء الأمر كما هو الموافق للترتيب الوقوعي لربما توهم أن الكل دليل واحد كما في «الإرشاد» ثم من التذكير تجديد العهد الأزلي وذلك بكلمة الشهادة وهي سبب النجاة في الدارين.

وفي الحديث: «كتب الله كتاباً قبل أن يخلق الخلق بألفي عام في ورقة آس ثم وضعها على العرش ثم نادى: يا أمة محمد إن رحمتي سبقت غضبي أعطيتكم قبل أن تسألوني وغفرت لكم قبل أن تستغفروني من لقيني منكم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبدي ورسولي أدخلته الجنة وقد أخذ الله الميثاق من موسى أن يؤمن بأني رسول الله في غيبتي» وفي الحديث: «إن موسى كان يمشي ذات يوم بالطريق فناداه الجبار: يا موسى فالتفت يميناً وشمالاً ولم ير أحداً ثم نودي الثانية يا موسى فالتفت يميناً وشمالاً ولم ير أحداً فارتعدت فرائصه ثم نودي الثالثة: يا موسى بن عمران إني أنا الله لا إله إلا أنا فقال: لبيك فخر لله ساجداً فقال: ارفع رأسك يا موسى بن عمران فرفع رأسه فقال: يا موسى إن أحببت أن تسكن في ظل عرشي يوم لا ظل إلا ظلي فكن لليتيم كالأب الرحيم وكن للأرملة كالزوج العطوف يا موسى ارحم ترحم يا موسى كما تدين تدان يا موسى إنه من لقيني وهو جاحد بمحمد أدخلته النار ولو كان إبراهيم خليلي وموسى كليمي فقال: إلهي ومن محمد؟ قال: يا موسى وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أكرم عليّ منه كتبت اسمه مع اسمي في العرش قبل أن أخلق السموات والأرض والشمس والقمر بألفي سنة وعزتي وجلالي إن الجنة محرمة على الناس حتى يدخلها محمد وأمته قال موسى: ومن أمة محمد؟ قال: أمته الحمادون يحمدون صعوداً وهبوطاً وعلى كل حال يشدون أوساطهم ويطهرون أبدانهم صائمون بالنهار ورهبان بالليل أقبل منهم اليسير وأدخلهم الجنة بشهادة لا إله إلا الله قال: إلهي اجعلني نبي تلك الأمة قال نبيها منها قال: اجعلني من أمة ذلك النبي قال: استقدمت واستأخروا يا موسى ولكن سأجمع بينك وبينه في دار الجلال».

وعن وهب بن منبه قال: لما قرب الله موسى نجياً قال: رب إني أجد في التوراة أمة هي خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فاجعلهم من أمتي قال: يا موسى تلك أمة أحمد قال: يا رب إني أجد في التوراة أنهم يأكلون صدقاتهم وتقبل ذلك منهم ويستجاب دعاؤهم فاجعلهم من أمتي قال: تلك أمة أحمد فاشتاق إلى لقائهم فقال تعالى: إنه ليس اليوم وقت ظهورهم فإن شئت أسمعتك كلامهم قال: بلى يا رب فقال الله تعالى: يا أمة محمد فأجابوه من أصلاب آبائهم ملبين أي قائلين لبيك اللهم لبيك [موسى سخن ايشان بشنيد آنكه خداي تعالى روا نداشت كه ايشانرا بي تحف بازكرداند كفت] أجبتكم قبل أن تدعوني وأعطيتكم قبل أن تسألوني وغفرت لكم قبل أن تستغفروني ورحمتكم قبل أن تسترحموني [زهي رتبت اين أمت عالي همت كه باوجود اختصاص ايشان بحضرت رسالت وقرآن برين وجه يافته ان]

حــــق لـــــطــــف كــــرده داد بـمـا هـرچـه بـهـتـرسـت

﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

﴿ولولا أن تصيبهم مصيبة﴾ الضمير لأهل مكة والمصيبة العقوبة.

قال الراغب: أصلها في الرمية ثم اختص بالمعاقبة. والمعنى بالفارسية: [واكرنه آن بودي كه بديشان رسيدي عقوبتىء رسنده]. ﴿بما قدمت أيديهم﴾ أي: بما اقترفوا من الكفر والمعاصي وأسند التقديم إلى الأيدي لأنها أقوى ما يزال به الأعمال وأكثر ما يستعان به في الأفعال ﴿فيقولوا﴾ عطف على تصيبهم داخل في حيز لولا الامتناعية على أن مدار امتناع ما يجاب به هو امتناعه لا امتناع المعطوف عليه وإنما ذكر في حيزها للإيذان بأنه السبب الملجىء لهم إلى قولهم: ﴿ربنا﴾ [أي پروردكارما] ﴿لولا أرسلت إلينا﴾ [چرا نفرستادي بسوي ما] فلولا تحضيضية بمعنى هلا. ﴿رسولاً﴾ مؤيداً من عندك بالآيات ﴿فنتبع آياتك﴾ الظاهرة على يده وهو جواب لولا الثانية ﴿ونكون من المؤمنين﴾ بها وجواب لولا الأولى محذوف ثقة بدلالة الحال عليه. والمعنى لولا قولهم هذا عند إصابة عقوبة جناياتهم التي قدموها ما أرسلناك لكن لما كان قولهم ذلك محققاً لا محيد عنه أرسلناك قطعاً لمعاذيرهم بالكلية وإلزاماً للحجة عليهم.

﴿فلما جاءهم﴾ أي: أهل مكة وكفار العرب. ﴿الحق﴾ أي: القرآن لقوله في سورة الرحمن: ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [الزخرف: ٢٩] ﴿من عندنا﴾ أي: بأمرنا ووحينا كما في «كشف الأسرار».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: فلما جاءهم محمد.

وفيه إشارة إلى أنه عليه السلام إنما بعث بعد وصوله إلى مقام العندية واستحقاقه أن يسميه الله الحق وهو اسمه تعالى وتقدس.

وفيه إشارة إلى كمال فنائه عن أنانيته وبقائه بهوية الحق تعالى وله مسلم أن يقول أنا الحق وإن صدرت هذه الكلمة عن بعض متابعيه فلا غرو أن يكون من كمال صفاء مرآة قلبه في قبول انعكاس أنوار ولاية النبوة إذا كانت محاذية لمرآة قلبه عليه السلام وكان منبع ماء هذه الحقيقة قلب محمد عليه السلام ومظهره لسان هذا القائل بتبعيته لقد كان لكلم في رسول الله أسوة حسنة كذا في «التأويلات النجمية» ﴿قالوا﴾ تعنتاً واقتراحاً قال بعضهم: قاله قريش بتعليم اليهود ﴿لولا﴾ هلا ﴿أوتي﴾ محمد ﴿مثل ما أوتي موسى﴾ من الكتاب جملة لا مفرقاً.

قال بعض الكبار: احتجبوا بكفرهم عن رؤية كماليته عليه السلام وإلا لقالوا لولا أوتي موسى مثل ما أوتي محمد من الكمالات. ﴿أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل﴾ أي: أو لم يكفروا من قبل هذا بما أوتي موسى من الكتاب كما كفروا بهذا الحق ثم بين كيفية كفرهم فقال: ﴿قالوا﴾ هما، أي ما أوتي محمد وما أوتي موسى عليهما السلام ﴿سحران تظاهرا﴾ أي تعاونا بتصديق كل واحد منهما الآخر وذلك أن قريشاً بعثوا رهطاً منهم إلى رؤساء اليهود في عيد لهم فسألوهم عن شأنه عليه السلام فقالوا: إنا نجده في التوراة بنعته وصفته فلما رجع الرهط وأخبروهم بما قالت اليهود قالوا ذلك ﴿وقالوا إنا بكل﴾ أي: بكل واحد من الكتابين ﴿كافرون﴾ وقال بعضهم: المعنى أو لم يكفر أبناء جنسهم في الرأي والمذهب وهم القبط بما أوتي موسى من قبل القرآن قالوا: إن موسى وهارون سحران أي ساحران تظاهرا وقالوا: إنا بكل كافرون.

يقول الفقير: إنه وإن صح إسناد الكفر إلى أبناء الجنس من حيث أن ملل الكفر واحدة في الحقيقة فكفر ملة واحدة بشيء في حكم كفر الملل الآخر به كما أسند أفعال الآباء إلى الأبناء من حيث رضاهم بما فعلوا لكن يلزم على هذا أن يخص ما أوتي موسى بما عدا الكتاب

من الخوارق فإن إيتاء الكتاب إنما كان بعد إهلاك القبط على أن مقابلة القرآن بما عدا التوراة مع أن ما أوتي إنما يدل بإطلاقه على الكتاب مما لا وجه له فالمعنى الأول هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم ويدل عليه صريحاً قوله تعالى:

﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿قل﴾ يا محمد لهؤلاء الكفار الذين يقولون هذا القول. ﴿فائتوا﴾ [پس بياريد] ﴿بكتاب من عند الله هو أهدى﴾ بطريق الحق. وبالفارسية [رياست ترراه نماينده تر]. ﴿منهما﴾ أي مما أوتياه من التوراة والقرآن وسميتموهما بسحرين ﴿أتبعه﴾ جواب للأمر أي إن تأتوا به أتبعه ومثل هذا الشرط مما يأتي به من يدل وضوح حجته وسنوح محجته لأن الإتيان بما هو أهدى من الكتابين أمر بين الاستحالة فيوسع دائرة الكلام للتبكيت والإفحام ﴿إن كنتم صادقين﴾ أي: في أنهما سحران مختلقان وفي إيراد كلمة إن مع امتناع صدقهم نوع تهكم بهم.

﴿فإن لم يستجيبوا لك﴾ دعاءك إلى الإتيان بالكتاب الأهدى ولن يستجيبوا كقوله: فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا وحذف المفعول وهو دعائك للعلم به ولأن فعل الاستجابة يتعدى بنفسه إلى الدعاء وباللام إلى الداعي فإذا عدي إليه حذف الدعاء غالباً. ﴿فاعلم أنما يتبعون أهواءهم﴾ الزائغة من غير أن يكون لهم متمسك أصلاً إذ لو كان لهم ذلك لأتوا به. ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه﴾ استفهام إنكاري بمعنى النفي أي لا أضل منه أي هو أضل من كل ضال. ومعنى أضل بالفارسية: [كراه تر] ﴿بغير هدى من الله﴾ أي بيان وحجة وتقييد اتباع الهوى بعدم الهدى من الله لزيادة التقرير والإشباع في التشنيع والتضليل وإلا فمقارنته لهدايته تعالى بينة الاستحالة.

وقال بعضهم: هوى النفس قد يوافق الحق فلذا قيد الهوى به فيكون في موضع الحال منه ﴿إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ لا يرشد إلى دينه الذين ظلموا أنفسهم بالانهماك في اتباع الهوى والإعراض عن الآيات الهادية إلى الحق المبين.

وههنا إشارات:

منها أن الطريق طريقان طريق القراءة والدراسة والسماع والمطالعة وطريق الرياضة والمجاهدة والتزكية والتحلية وهي أهدى إلى الحضرة الأحدية من الطريق الأولى كما قال تعالى: «من تقرب إليّ شبراً» أي بحسب الانجذاب الروحاني «تقربت إليه ذراعاً» أي بالفيض والفتح والإلهام والكشف فما لا يحصل بطريق الدراسة من الكتب يحصل بطريق السلوك والسماع في طريق الدراسة من المخلوق في طريق الوراثة من الخالق وشتان بين السماعين:

فيضي كه جامي ازدوسه پيمانهٔ كه يافت مشكل كه شيخ شهر بيابد بصد چله

ومنها أنه لو كان للطالب الصادق والمريد الحاذق شيخ يقتدي به وله شأن مع الله ثم استعد لخدمة شيخ كامل هو أهدى إلى الله منه وجب عليه اتباعه والتمسك بذيل إرادته حتى يتم أمره ولو تجدد له في أثناء السلوك هذا الاستعداد لشيخ آخر أكمل من الأول والثاني وهلم جراً يجب عليه اتباعه إلى أن يظفر بالمقصود الحقيقي وهو الوصول إلى الحضرة بلا اتصال ولا انفصال.

ومنها أن أهل الحسبان والعزة يحسبون أنهم لو جاهدوا أنفسهم على ما دلهم بالعقل بغير هدى من الله أي بغير متابعة الأنبياء أنهم يهتدون إلى الله ولا يعلمون أن من يجاهد نفسه في عبودية الله بدلالة العقل دون متابعة الأنبياء هو متابع هواه ولا يتخلص أحد من أسر الهوى بمجرد العقل فلا تكون عبادته مقبولة إذ هي مشوبة بالهوى ولا يهتدي أحد إلى الله بغير هدي من الله كما أن نبينا عليه السلام مع كمال قدره في النبوة والرسالة احتاج في الاهتداء إلى متابعة الأنبياء كما قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠] ولهذا السر بعثت الأنبياء واحتاج المريد للشيخ المهتدي إلى الله بهدي من الله وهو المتابعة.

ومنها أن الظالمين هم الذين وضعوا متابعة الهوى في موضع متابعة الأنبياء وطلبوا الهداية من غير موضعها فأهل الهوى ظالمون.

قال بعضهم: للإنسان مع هواه ثلاث أحوال: الأولى أن يغلبه الهوى فيتملكه كما قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣]. والثانية: أن يغالبه فيقهر هواه مرة ويقهره هواه أخرى وإياه قصد بمدح المجاهدين وعناه النبي عليه السلام بقوله عليه السلام: «جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم» والثالثة: أن يغلب هواه كالأنبياء عليهم السلام وصفوة الأولياء قدس الله أسرارهم وهذا المعنى قصده تعالى بقوله: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [النازعات: ٤٠] وقصده النبي عليه السلام بقوله: «ما من أحد إلا وله شيطان وإن الله قد أعانني على شيطاني حتى ملكته» فإن الشيطان يتسلط على الإنسان بحسب وجود الهوى فيه.

وينبغي للعاقل أن يكون من أهل الهدى لا من أهل الهوى وإذا عرض له أمران فلم يدر أيهما أصوب فعليه بما يكرهه لا بما يهواه ففي حمل النفس على ما تكرهه مجاهدة وأكثر الخير في الكراهية والعمل بما أشار إليه العقل السليم واللب الخالص. قال الشيخ سعدي قدس سره:

هوا وهوس را نماند ستيز چون بيند سر نپچهٔ عقل تيز

﴿۞ وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾﴾.

﴿ولقد وصلنا لهم القول﴾ التوصيل مبالغة الوصل وحقيقة الوصل رفع الحائل بين الشيئين أي أكثرنا لقريش القول موصولاً بعضه ببعض بأن أنزلنا عليهم القرآن آية بعد آية وسورة بعد سورة حسبما تقتضيه الحكمة أي ليتصل التذكير ويكون أدعى لهم **﴿لعلهم يتذكرون﴾** فيؤمنون ويطيعون أو تابعنا لهم المواعظ والزواجر وبينا لهم ما أهلكنا من القرون قرناً بعد قرن فأخبرناهم أنا أهلكنا قوم نوح بكذا وقوم هود بكذا وقوم صالح بكذا لعلهم يتعظون فيخافون أن ينزل بهم ما نزل بمن قبلهم.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى توصيل القول في الظاهر بتفهيم المعنى في الباطن أي فهمناهم معنى القرآن لعلهم يتذكرون عهد الميثاق إذ آمنوا بجواب قولهم: بلى وأقروا بالتوحيد ويجددون الإيمان عند سماع القرآن.

﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ مبتدأ وهم مؤمنو أهل الكتاب **﴿من قبله﴾** أي من قبل إيتاء

القرآن ﴿هم به يؤمنون﴾ أي بالقرآن والجملة خبر المبتدأ ثم بين ما أوجب إيمانهم به بقوله.

﴿وإذا يتلى﴾ أي القرآن ﴿عليهم قالوا آمنا به﴾ أي: بأنه كلام الله تعالى ﴿إنه الحق من ربنا﴾ أي الحق الذي كنا نعرف حقيقته. وبالفارسية [راست ودرست است فرود آمدن بنزديك آفريدكارما] ﴿إنا كنا من قبله﴾ أي: من قبل نزوله ﴿مسلمين﴾ بيان لكون إيمانهم به ليس مما أحدثوه حينئذ وإنما هو أمر متقادم العهد لما شاهدوا ذكره في الكتب المتقدمة وأنهم على دين الإسلام قبل نزول القرآن.

﴿أولئك﴾ الموصوفون بما ذكر من النعوت. ﴿يؤتون أجرهم﴾ ثوابهم في الآخرة. ﴿مرتين﴾ مرة على إيمانهم بكتابهم ومرة على إيمانهم بالقرآن وقد سبق معنى المرة في سورة طه عند قوله تعالى: و ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ [طه: ٣٧] ﴿بما صبروا﴾ أي بصبرهم وثباتهم على الإيمانين والعمل بالشريعتين.

وفي «التأويلات النجمية»: على مخالفة هواهم وموافقة أوامر الشرع ونواهيه وفي الحديث: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل كانت له جارية فعلمها فأحسن تعليمها وأدبها فأحسن تأديبها ثم تزوجها فله أجره مرتين وعبد أدى حق الله وحق مواليه ورجل آمن بالكتاب الأول ثم آمن بالقرآن فله أجره مرتين» كما في «كشف الأسرار» ﴿ويدرؤون بالحسنة السيئة﴾ أي يدفعون بالطاعة المعصية وبالقول الحسن القول القبيح.

وفي «التأويلات النجمية»: أي بأداء الحسنة من الأعمال الصالحة يدفعون ظلمة السيئة وهي مخالفات الشريعة كما قال عليه السلام: «اتبع السيئة الحسنة تمحها» وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤] وهذا لعوام المؤمنين ولخواصهم أن يدفعوا بحسنة ذكر لا إله إلا الله عن مرآة القلوب سيئة صدأ حب الدنيا وشهواتها ولأخص خواصهم أن يدفعوا بحسنة نفي لا إله سيئة شرك وجود الموجودات بقطع تعلق القلب عنها وغض بصر البصيرة عن رؤية ما سوى الله بإثبات وجود إلا الله كما كان الله ولم يكن معه شيء ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ في سبيل الخير وفيه إشارة إلى إنفاق الوجود المجازي في طلب الوجود الحقيقي.

﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿وإذا سمعوا اللغو﴾ من اللاغين وهو الساقط من الكلام. وبالفارسية [سخن بيهوده]. ﴿أعرضوا عنه﴾ أي: عن اللغو وذلك أن المشركين كانوا يسبون مؤمني أهل الكتاب ويقولون: تباً لكم تركتم دينكم القديم فيعرضون عنهم ولا يشتغلون بالمقابلة ﴿وقالوا﴾ للاغين ﴿لنا أعمالنا﴾ من الحلم والصفح ونحوهما ﴿ولكم أعمالكم﴾ من اللغو والسفاهة وغيرهما فكل مطالب بعمله ﴿سلام عليكم﴾ هذا السلام ليس بتسليم مواصل وتحية موافق بل هو براءة وسلام مودع مفارق. يعني [ترك شما كرديم] ﴿لا نبتغي الجاهلين﴾ الابتغاء الطلب والجهل معرفة الشيء على خلاف ما هو عليه أي لا نطلب صحبتهم ولا نريد مخالطتهم ومخاطبتهم والتخلق بأخلاقهم [چه مصاحبت بااشرار موجب بدنامي دنيا است وسبب بد فرجامي عقبى است]:

از بدان بكريز وبانيكان نشين   يا ربد زهري بود بي انكبين

وحكم الآية وإن كان منسوخاً بآية السيف إلا أن فيه حثاً على مكارم الأخلاق وفي

الحديث: «ثلاث من لم يكن فيه فلا يعتد بعلمه حلم يرد به جهل جاهل وورع يحجز عن معاصي الله وحسن خلق يعيش به في الناس».

قال الشيخ سعدي: [جالينوس ابلهي را ديدكه دست بكريبان دانشمندي زده وبي حرمتي كرده كفت اكراين دانشمند دانا بودي كاراوبناداان بدين جايكه نرسيدي]:

دو عاقل را نباشد كين وپيكار ... نه دانايي ستيزد باسبكار
اكر نادان بوحشت سخت كويد ... خردمندش برحمت دل بجويد
دو صاحب دل نكه دارند مويي ... هميدون سركشي وازرم جويي
اكر برهر دو جانب جاهلانند ... اكر زنجير باشد بكسلانند
يكي را زشت خويي داد دشنام ... تحمل كردو كفت أي نيك فرجام
بترزانم كه خواهي كفتن آني ... كه دانم عيب من چون من نداني

[يكي برسرراهي مست خفته بود وزمام اختيار ازدست رفته عابدي بر سر أو كذر كرد ودر حالت مستقبح أو نظر جوان مست سربر آورد وكفت] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]:

إذا رأيت أثيماً ... كن ساتراً وحليما
يا من يقبح لغوي ... لم لا تمر كريما
متاب أي پارسا روي از كنهكار ... ببخشايندكي دروي نظركن
أكر من ناجوانمردم بكردار ... توبر من چون جوانمردان كذركن

واعلم أن اللغو عند أرباب الحقيقة ما يشغلك عن العبادة وذكر الحق وكل كلام بغير خطاب الحال والواقعة وطلب ما سوى الله. ﴿**وإذا سمعوا**﴾ مثل هذا ﴿**اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا**﴾ في بذل الوجود المجازي لنيل الوجود الحقيقي ﴿**ولكم أعمالكم**﴾ في اكتساب مرادات الوجود المجازي واستجلاب مضرات الشهوات وترك الوجود الحقيقي والحرمان من سعادة الانتفاع بمنافعه ﴿**سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين**﴾ الغافلين عن الله وطلب المحجوبين عن الله بما سواه فعلم من هذا أن طالب ما سوى الله تعالى جاهل عن الحقيقية ولو كان عارفاً بمحاسنها لكان طالباً لها لا لغيرها فينبغي لطالبها من السلاك أن لا يبتغي صحبة الجهلاء فإنه ليس بينهم وبينه مجانسة والمعاشرة بالأضداد أضيق السجون مع أنه لا يأمن الضعيف أن تؤثر فيه صحبتهم ويتحول حاله ويتغير طبعه ويتوجه عليه المكر وينقلب من الإقبال إلى الإدبار فيكون من المرتدين نعوذ بالله من الحور بعد الكور ونسأله الثبات والتوفيق والموت في طريق التحقيق.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

﴿**إنك**﴾ يا محمد ﴿**لا تهدي**﴾ هداية موصلة إلى المقصود لا محالة. ﴿**من أحببت**﴾ من الناس ولا تقدر أن تدخله في الإسلام وإن بذلت فيه غاية الطاقة وسعيت كل السعي. ﴿**ولكن الله يهدي من يشاء**﴾ فيدخله في الإسلام ﴿**وهو أعلم بالمهتدين**﴾ بالمستعدين للهداية فلا يهدي إلا المستعد لها.

هدايت هركرا داد از بدايت ... بدو همراه باشد تانهايت

والجمهور على أن الآية نزلت في أبي طالب بن عبد المطلب عم رسول الله عليه السلام فيكون هو المراد بمن أحببت. روي: أنه لما احتضر جاءه رسول الله وكان حريصاً على إيمانه وقال: «أي عم قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله» قال: يا ابن أخي قد علمت أنك لصادق ولكن أكره أن يقال: خرع عند الموت وهو بالخاء المعجمة والراء المهملة كعلم بمعنى ضعف وجبن ولولا أن يكون عليك وعلى بني أبيك غضاضة بعدي أي ذلة ومنقصة لقلتها ولأقررت بها عينك عند الفراق لما أرى من شدة وجدك ونصيحتك ولكني سوف أموت على ملة أشياخي عبد المطلب وهاشم وعبد مناف. روي: أن أبا طالب لما أبى عن كلمة التوحيد قال له النبي ﷺ: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: ١١٣].

وقد جاء في بعض الروايات أن النبي ﷺ لما عاد من حجة الوداع أحيا الله له أبويه وعمه فآمنوا به كما سبق في سورة التوبة.

وفي «التأويلات النجمية»: الهداية في الحقيقة فتح باب العبودية إلى عالم الربوبية وذلك من خصائص قدرة الحق سبحانه لأن لقلب العبد بابين باب إلى النفس والجسد وهو مفتوح أبداً وباب إلى الروح والحضرة وهو مغلوق لا يفتحه إلا الفتاح الذي بيده المفتاح كما قال لحبيبه عليه السلام ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ١ ـ ٢] إلى الحضرة كما هداه ليلة المعراج إلى قرب قاب قوسين أو أدنى وقال في حق المغلوقين أي أبواب قلوبهم: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤] وقال عليه السلام: «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء» فإن شاء أقامه وإن شاء أزاغه فالنبي عليه السلام مع جلالة قدره لم يكن آمناً على قلبه وكان يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلب عبدك على دينك وطاعتك» والهداية عبارة عن تقليب القلب من الباطل وهو ما سوى الله إلى الحق وهو الحضرة فليس هذا من شأن غير الله انتهى.

وفي «عرائس البيان»: الهداية مقرونة بإرادة الأزل ولو كانت إرادة نبينا عليه السلام في حق أبي طالب مقرونة بإرادة الأزل لكان مهتدياً ولكن كان محبته وإرادته في حقه من جهة القرابة ألا ترى أنه إذ قال: «اللهم أعز الإسلام بعمر» كيف أجابه انتهى.

وفي «كشف الأسرار»: ﴿**إنك لا تهدي من أحببت**﴾ [ما آنراكه خواهيم درمفازهٔ تحير همي رانيم وآنراكه خواهيم بسلسلهٔ قهر همي كشيم. ما در ازل ازال تاج سعادت برسر أهل دولت نهاديم واين موكب فروكفتيم كه «هؤلاء في الجنة ولا أبالي» ورقم شقاوت برناصيهٔ كروهى كشيديم واين مقرعه برزديم كه: «هؤلاء في النار ولا أبالي» أي جوانمرد هيچ صفت در صفات خداي تعالى از صفت لا أبالي دردناك ترنيست آنچه صديق أكبر كفت «ليتني كنت شجرة تعضد» ازدرد اين حديث بود نيكي سخن كه آن پير طريقت كفت كار نه آن دادكه كسى كسل آيد وازكسى عمل كار آن داردكه تاشايسته كه آمد درازل آن مهتر مهجوران كه أورا إبليس كوينه چندين سياه دركاه عمل بود مقراضي وديبا همي ديدند وازكاركاه ازل أورا خود كليم سياه آمدكه] ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]: قال الحافظ:

باب زمزم وكوثر سفيد نتوان كرد   كليم بخت كسى راكه بافتند سياه

قال الشيخ سعدي قدس سره:

كرت صورت حال بد يانكوست نكاريدهٔ دست تقدير أوست
قضا كشتى آنچاكه خواهد برد وكر ناخدا جامه برتن درد

وقال الصائب:

بااختيار حق نبود اختيارما بانور آفتاب چه باشد شرار ما

﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا﴾ معنى اتباع الهدى معه الاقتداء به عليه السلام في الدين والسلوك إلى طريق الرشاد. وبالفارسية [وكفتند أكرما قبول كنيم أين پيغام كه آوردي وباين راه نموني توپي بريم ودر دين تو آييم باتو] أو التخطف الاختلاس بسرعة نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف حيث أتى النبي عليه السلام فقال: نحن نعلم أنك على الحق:

قول توحق وسخن راستست وانچه ميفرمايي سبب دولت ماست

[درحيات ووسيلهٔ سعادت ما بعد از وفات] وما كذبت كذبة قط فنتهمك اليوم ولكنا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب أن يتخطفونا أي يأخذونا ويسلبونا ويقتلونا ويخرجونا من مكة والحرم لإجماعهم على خلافنا وهم كثيرون ونحن أكلة رأس أي قليلون لا نستطيع مقاومتهم فرد الله عليهم بقوله: **﴿أولم نمكن لهم حرماً آمناً﴾** أي ألم نعصمهم ونجعل مكانهم حرماً ذا أمن لحرمة البيت الذي فيه يتقاتل العرب حوله ويضير بعضهم بعضاً وهم آمنون. يعني: [امن آن حرم درهمه طباع سرشته مرغ بامردم آشنا وازيشان ايمن وآهواز شبك ايمن وهر ترسنده كه درحرم باشد أيمن كشت چون عرب حرمت حرم دانند كجا درو قتل وغارت روا دارند] **﴿يجبى إليه﴾** يحمل إلى ذلك الحرم ويجمع فيه من قولك: جبيت الماء في الحوض أي جمعته والحوض الجامع له جابية **﴿ثمرات كل شيء﴾** أي ألوان الثمرات من جانب كمصر والشام واليمن والعراق لا ترى شرقي الفواكه ولا غربيها مجتمعة إلا في مكة لدعاء إبراهيم عليه السلام حيث قال: ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وقال الكاشفي: يعني: [منافع از هر نوعي وغرايب از هر ناحيتي بانجا آورند] ومعنى الكلية الكثرة والجملة صفة أخرى لحرماً دافعة لما عسى يتوهم من تضررهم بانقطاع الميرة وهو الطعام المجلوب من بلد إلى بلد **﴿رزقاً من لدنا﴾** من عندنا لا من عند المخلوقات فإذا كان حالهم هذا وهم عبدة الأصنام فكيف يخافون التخطف إذا ضموا إلى حرمة البيت حرمة التوحيد. يقول الفقير:

حرم خاص الهست توحيد جمله را جاي پناهست توحيد
باعث امن وأمانست إيمان كان دلراشه راهست توحيد

وانتصاب رزقاً عل أنه مصدر مؤكد لمعنى يجبى لأن فيه معنى يرزق أي يرزقون رزقاً من لدنا.

وقال الكاشفي: [وروزي داديم إيشانرا درين وادي غير ذي زرع وروزي دادني از نزديك

ما بي منت غيري] ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أي أكثر أهل مكة جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا ذلك.

قال في «عرائس البيان»: حرمهم في الحقيقة قلب محمد عليه السلام وهو كعبة القدس وحرم الإنس يجبى إليه ثمرات جميع أشجار الذات والصفات من دخل ذلك الحرم بشرط المحبة والموافقة كان آمناً من آفات الكونين وكان منظور الحق في العالمين وهكذا كل من دخل في قلب ولي من أولياء الله. قال الحافظ:

كليد كنج سعادت قبول أهل دلست مبادكس كه درين نكته شك وريب كند

وفي الآية إشارة إلى خوف النفس من التخطف بجذبات الألوهية من أرض الأنانية ولو كانت تابعة لحمد القلب لوجد في حرم الهوية حقائق كل ثمرة روحانية وجسمانية ولذائذ كل شهوة ولكنها لا تعلم كمالية ذوق الرزق اللدني كما لا يعلم أكثر العلماء لأنهم لم يذوقوه ومن لم يذق لا يدري. قال الكمال الخجندي:

زاهد نه عجب كركند از عشق تو پرهيز كين لذت اين باده چه داندكه نخوردست

ثم بين أن الأمر بالعكس يعني أنهم خافوا الناس وآمنوا من الله واللائق أن يخافوا من بأس الله على ما هم عليه ويأمنوا الناس فقال:

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها﴾ البطر الطغيان في النعمة.

قال بعضهم: البطر والأشر واحد وهو دهش يعتري الإنسان من سوء احتمال النعمة وقلة القيام بحقها وصرفها إلى غير وجهها ويقاربه الطرب وهو خفة أكثر ما يعتري من الفرح وانتصاب معيشتها بنزع الحافظ، أي في معيشتها كما في «الوسيط». والمعنى وكم من أهل قرية كانت حالهم كحال أهل مكة في الأمن وسعة العيش حتى أطغتهم النعمة وعاشوا في الكفران فدمرنا عليهم وخربنا ديارهم ﴿فتلك﴾ [پس آنست] ﴿مساكنهم﴾ خاوية بما ظلموا ترونها في مجيئكم وذهابكم ﴿لم تسكن﴾ يعني: [ننشستند دران] ﴿من بعدهم﴾ من بعد تدميرهم ﴿إلا قليلاً﴾ إلا زماناً قليلاً إذ لا يسكنها إلا المارة يوماً أو بعض يوم [وبازخالي بكذارند درخانهٔ دنياچه نسبتي برحيز كين خانه بدان خوش است كه آيند وروند] ويحتمل أن شؤم معاصي المهلكين بقي أثره في ديارهم فلم يبق من يسكنها من أعقابهم إلا قليلاً إذ لا بركة في سكنى الأرض الشؤوم.

وقال بعضهم: سكنها الهام والبوم ولذا كان من تسبيحها سبحان الحي الذي لا يموت.

پرده داري ميكند در طاق كسرى عنكبوت يوم نوبت ميزند در قلعهٔ افراسياب

﴿وكنا نحن الوارثين﴾ منهم لتلك المساكن إذ لم يخلفهم أحد يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر متصرفاتهم:

يعني ما بيم باقي ازفناء همه

وهذا وعيد للمخاطبين

﴿وما كان ربك﴾ وما كانت عادته في زمان ﴿مهلك القرى﴾ قبل الإنذار ﴿حتى يبعث في أمها﴾ أي في أصلها وأعظمها التي تلك القرى سوادها وأتباعها وخص الأصل والأعظم لكون أهلها أفطن وأشرف والرسل إنما بعثت غالباً إلى الأشراف وهم غالباً يسكنون المدن والقصبات ﴿رسولاً يتلو عليهم آياتنا﴾ الناطقة بالحق ويدعوهم إليه بالترغيب والترهيب وذلك لإلزام الحجة وقطع المعذرة بأن يقولوا: لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك.

وفي «التكملة»: الأم هي مكة، والرسول محمد ﷺ وذلك لأن الأرض دحيت من تحتها فيكون المعنى وما كان ربك يا محمد مهلك البلدان التي هي حوالي مكة في عصرك وزمانك حتى يبعث في أمها أي أم القرى التي هي مكة رسولاً هو أنت. ﴿وما كنا مهلكي القرى﴾ بالعقوبة بعد بعثنا في أمها رسولاً يدعوهم إلى الحق ويرشدهم إليه في حال من الأحوال. ﴿إلا وأهلها ظالمون﴾ أي حال كون أهلها ظالمين بتكذيب رسولنا والكفر بآياتنا فالبعث غاية لعدم صحة الإهلاك بموجب السنة الإلهية لا لعدم وقوعه حتى يلزم تحقق الإهلاك عقيب البعث.

دلت الآية على أن الظلم سبب الهلاك ولذا قيل: الظلم قاطع الحياة ومانع النبات وكذا الكفران يقال: النعم محتاجة إلى الأكفاء كما تحتاج إليها الكرائم من النساء وأهل البطر ليسوا من أكفاء النعم كما أن الأرذال ليسوا أكفاء عقائل الحرم جمع عقيلة وعقيلة كل شيء أكرمه وحرم الرجل أهله فكما أن الكريمة من النساء ليست بكفؤ للرذيل من الرجال فيفرق بينهما للحوق العار فكذا النعمة تسلب من أهل البطر والكبر والغرور والكفران وأما أهل الشرك فلا يضيع سعيهم بل يزداد حسن حالهم ولله تعالى رزق واسع في البلاد ولا فرق فيه بين الشاكر والكفور من العباد كما قال الشيخ سعدي:

أديم زمين سفرهٔ عام أوست بر ين خوان يغما چه دشمن چه دوست

قال الشيخ عبد الواحد: وجدنا في جزيرة شخصاً يعبد الأصنام فقلنا له: إنها لا تضر ولا تنفع فاعبد الله فقال: وما الله؟ قلنا: الذي في السماء عرشه وفي الأرض بطشه قال: ومن أين هذا الأمر العظيم؟ قلنا: أرسل إلينا رسولاً كريماً فلما أدى الرسالة قبضه الله إليه وترك عندنا كتاب الملك ثم تلونا سورة فلم يزل يبكي حتى أسلم فعلمناه شيئاً من القرآن فلما صار الليل أخذنا مضاجعنا فكان لا ينام فلما قدمنا عباذان جمعنا له شيئاً لينفقه فقال: هو لم يضيعني حين كنت أعبد الصنم فكيف يضيعني وأنا الآن قد عرفته أي والعارف محبوب لله فهو إذا لا يترك المحبوب في يد العدو ومن العدو الفقر الغالب والألم الحاصل منه.

محالست چون دوست دارد ترا كه دردست دشمن كذارد ترا

فعلى العاقل أن يعرف الله تعالى ويعرف قدر النعمة فيقيدها بالشكر ولا يضع الكفر موضع الشكر فإنه ظلم صريح يحصل منه الهلاك مطلقاً إما للقلب فبالإعراض عن الله ونسيان أن العطاء منه وإما للقالب فبالبطش الشديد وكم رأينا في الدهر من أمثاله من خرب قلبه ثم خرب داره ووجد آخر الأمر بواره ولكن الإنسان من النسيان لا يتذكر ولا يعتبر بل يمضي على حاله من الغفلة أيقظنا الله وإياكم من نوم الغفلة في كل لحظة وشرفنا في جميع الساعات باليقظة الكاملة المحضة.

﴿وما﴾ مبتدأ متضمنة لمعنى الشرط لدخول الفاء في خبرها بخلاف الثانية. وبالفارسية [وهرچه]. ﴿أوتيتم﴾ أعطيتم والخطاب لكفار مكة كما في «الوسيط» ﴿من شيء﴾ من أسباب

الدنيا ﴿فمتاع الحياة الدنيا وزينتها﴾ أي: فهو شيء شأنه أن يتمتع ويتزين به أياماً قلائل ثم أنتم وهو إلى فناء وزوال سمى منافع الدنيا متاعاً لأنها تفنى ولا تبقى كمتاع البيت. ﴿وما﴾ موصولة أي الذي حصل. ﴿عند الله﴾ وهو الثواب ﴿خير﴾ لكم في نفسه من ذلك لأنه لذة خالصة من شوائب الألم وبهجة كاملة عارية من مسة الهمم. ﴿وأبقى﴾ لأنه أبديّ ﴿أفلا تعقلون﴾ أي: ألا تتفكرون فلا تعقلون هذا الأمر الواضح فتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير وتؤثرون الشقاوة الحاصلة من الكفر والمعاصي على السعادة المتولدة من الإيمان والطاعات. وبالفارسية [آيادر نمي يابيد وفهم نمي كنيدكه بدل ميكنيد باقي را بفاني ومرغوب را بميعوب].

حيف باشد لعل وزردادن زچنك پس كرفتن در برابر خاك وسنك

﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾﴾.

﴿أفمن﴾ موصولة مبتدأ ﴿وعدناه﴾ على إيمانه وطاعته ﴿وعداً حسناً﴾ هو الجنة وثوابها فإن حسن الوعد بحسن الموعود.

وقال الكاشفي: [آيا كسى كه وعده كرده ايم أوراجنت در آخرت ونصرت دردنيا] ﴿فهو﴾ أي ذلك الموعود له ﴿لاقيه﴾ أي مصيبه ذلك الوعد الحسن ومدركه لا محالة لاستحالة الخلف في وعده تعالى: ﴿كمن﴾ موصولة خبر للأولى ﴿متعناه﴾ [برخور داري داديم أورا] ﴿متاع الحياة الدنيا﴾ [أو متاع زندكاني دنياكه محبتش آميختهء محنت أست ودولتش مؤدىء نكبت ومالش در صدد زوال وجاهش بر شرف انتقال وطعوم وعسلش معقب بسموم حنظل] ﴿ثم هو يوم القيامة من المحضرين﴾ للحساب أو النار والعذاب. وثم للتراخي في الزمان أي لتراخي حال الإحضار عن حال التمتيع أو في الرتبة ومعنى الفاء في أفمن ترتيب إنكار التشابه بين أهل الدنيا وأهل الآخرة على ما قبلها من ظهور التفاوت بين متاع الحياة الدنيا وبين ما عند الله أي أبعد هذا التفاوت الظاهر يسوي بين الفريقين أي لا يسوي فليس من أكرم بالوعد الأعلى ووجدان المولى وهو المؤمن كمن أهين بالوعيد والوقوع في الجحيم في العقبى وهو الكافر وذلك بإزاء شهوة ساعة وجدها في الدنيا. ويقال: رب شهوة ساعة أورثت صاحبها حزناً طويلاً [وقتي زنبوري موري را ديدكه بهزار حيله دانه بخانه ميكشيد ودران رنج بسيارمي ديد أورا كفت أي مور اين چه رنجست كه برخود نهادهء واين چه بارست كه اختيار كردهء بيا مطعم ومشرب من بين كه هر طعام كه لطيف ولذيذ ترست تا از من زيادة نيايد پادشاهانرا نرسد هر آنجاكه خواهم نشينم وآنچه خواهم كزينم خورد ودرين سخن بودكه برپريد وبدكان قصابي برمسلوخي نشست قصاب كاردكه دردست داشت بران زنبورهء مغرور زدودوپاره كرد وبر زمين انداخت ومور بيامد وپاي كشان أورا ميبرد ومي كفت] رب شهوة الخ وفي الحديث: «ومن كانت الدنيا همته جعل الله فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له، ومن كانت الآخرة همته جعل الله الغنى في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة». يحكى: أن بعض أهل الله كان يرى عنده في طريق الحج كل يوم خبز طري فقيل له في ذلك فقال: تأتيني به عجوز أراد بها الدنيا ومن كان له في هذه الدنيا شدة وغم مع دين الله فهو خير ممن كان له سعة وسرور مع الشرك وفي الحديث: «يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال:

يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط هل مرّ بك نعيم قط فيقول: لا والله يا رب» يعني شدة العذاب أنسته ما مضى عليه من نعم الدنيا «ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط هل مر بك شدة قط فيقول: لا والله ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط» وفي الحديث: «قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً» وهو ما يكون بقدر الحاجة ومنهم من قال: هو شبع يوم وجوع يوم «وقنعه الله بما آتاه» بمد الهمزة أي أعطاه من الكفاف يعني: من اتصف بالصفات المذكورة فاز بمطلوب الدنيا والآخرة ثم الوعد لعوام المؤمنين بالجنة ولخواصهم بالرؤية ولأخص خواصهم بالوصول والوجدان كما قال تعالى: «ألا من طلبني وجدني» وأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام تجوّع ترني تجرد تصل إليّ:

جوع تنوير خانهٔ دل تست أكل تعمير خانهٔ كل تست

فلا بد للسالك من إصلاح الطبيعة والنفس بالرياضة والمجاهدة وكان يستمع من حجرة الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس سره الجوع الجوع وحقيقته الزموا الجوع لا أن نفسه الزكية كانت تشكو من الجوع نسأل الله الوصول إلى النعمة والتشرف بالرؤية.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿ويوم يناديهم﴾ يوم منصوب باذكر المقدر والمراد يوم القيامة والضمير للكفار أي واذكر يا محمد لقومك يوم يناديهم ربهم وهو عليهم غضبان **﴿فيقول﴾** تفسير للنداء **﴿أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾** أي الذين كنتم تزعمونهم شركائي وكنتم تعبدونهم كما تعبدونني فحذف المفعولان معاً ثقة بدلالة الكلام عليهما.

قال في «كشف الأسرار»: وسؤالهم عن ذلك ضرب من ضروب العذاب لأنه لا جواب لهم إلا ما فيه فضيحتهم واعترافهم بجهل أنفسهم.

﴿قال﴾ استئناف مبني على حكاية السؤال كأنه قيل: فماذا صدر عنهم حينئذ؟ فقيل: قال: **﴿الذين حق عليهم القول﴾** في الأزل بأن يكونوا من أهل النار المردودين يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي﴾ [السجدة: ١٣] الآية كما في «التأويلات النجمية».

وقال بعض أهل التفسير: معنى حق عليهم القول ثبت مقتضاه وتحقق مؤداه وهو قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩] وغيره من آيات الوعيد والمراد بهم شركاؤهم من الشياطين أو رؤساؤهم الذين اتخذوهم أرباباً من دون الله بأن أطاعوهم في كل ما أمر وهم به ونهوهم عنه وتخصيصهم بهذا الحكم مع شموله للاتباع أيضاً لأصالتهم في الكفر واستحقاق العذاب ومسارعتهم إلى الجواب مع كون السؤال للعبدة لتفطنهم أن السؤال عنهم لاستحقارهم وتوبيخهم بالإضلال وجزمهم بأن العبدة سيقولون: هؤلاء أضلونا **﴿ربنا﴾** [أي پرورد كارما] **﴿هؤلاء﴾** أي كفار بني آدم أو الأتباع هم **﴿الذين أغوينا﴾** فحذف الراجع إلى الموصول ومرادهم بالإشارة بيان أنهم يقولون ما يقولون بمحضر منهم وأنهم غير قادرين على

إنكاره ورده. ﴿أغويناهم كما غوينا﴾ هو الجواب في الحقيقة وما قبله تمهيد له أي ما أكرهنا على الغي وإنما أغوينا بما قضيت لنا ولهم الغواية والضلالة مساكين بنو آدم أنهم من خصوصية ولقد كرمنا بني آدم يحفظون الأدب مع الله في أقصى البعد كما يتأدب الأولياء على بساط أقصى القرب ولا يقولون: أغويناهم كما أغويتنا كما قال إبليس صريحاً ولم يحفظ الأدب رب بما أغويتني لأقعدن لهم ﴿تبرأنا إليك﴾ منهم ومما اختاروه من الكفر والمعاصي هوى منهم وهو تقرير لما قبله ولذا لم يعطف عليه وكذا قوله تعالى: ﴿ما كانوا إيانا يعبدون﴾ إيانا مفعول يعبدون أي ما كانوا يعبدوننا وإنما كانوا يعبدون أهواءهم ويطيعون شهواتهم.

﴿وقيل﴾ لمن عبد غير الله توبيخاً وتهديداً والقائلون الخزنة ﴿ادعوا شركاءكم﴾ أي: الأصنام ونحوها ليخلصوكم من العذاب أضافها إليهم لادعائهم أنها شركاء الله. ﴿فدعوهم﴾ من فرط الحيرة. ﴿فلم يستجيبوا لهم﴾ ضرورة عدم قدرتهم على الاستجابة والنصرة ﴿ورأوا العذاب﴾ الموعود قد غشيهم ﴿لو أنهم كانوا يهتدون﴾ لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب أو إلى الحق في الدنيا لما لقوا ما لقوا من العذاب.

وقال بعضهم: لو للتمني هنا أي تمنوا لو أنهم كانوا مهتدين لا ضالين.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾﴾.

﴿ويوم يناديهم﴾ أي واذكر يوم ينادي الله الكفار نداء تقريع وتوبيخ. ﴿فيقول ماذا أجبتم المرسلين﴾ [چه جواب داديد] المرسلين الذين أرسلتهم إليكم حين دعوكم إلى توحيدي وعبادتي ونهوكم عن الشرك.

﴿فعميت عليهم الأنباء يومئذ﴾ [پس پوشيده باشدبر إيشان خبرها يعني آنچه باپيغمبران كفته باشند وندانند كه چه كويند].

قال أهل التفسير: أي صارت كالعمى عنهم لا تهتدي إليهم وأصله فعموا عن الأنباء أي الأخبار وقد عكس بأن أثبت العمى الذي هو حالهم للأنباء مبالغة وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء والاشتباه وإذا كانت الرسل يفوضون العلم في ذلك المقام الهائل إلى علام الغيوب مع نزاهتهم عن غائلة السؤال فما ظنك بأهل الضلال من الأمم:

بجايي كه دهشت برد انبيا تو عذر كنه راچه داري بيا

﴿فهم لا يتساءلون﴾ أي: لا يسأل بعضهم بعضاً عن الجواب لفرط الدهشة واستيلاء الحيرة أو للعلم بأن الكل سواء في الجهل. ﴿فأما من تاب﴾ من الشرك ﴿وآمن وعمل صالحاً﴾ أي: جمع بين الإيمان والعمل الصالح ﴿فعسى أن يكون من المفلحين﴾ أي الفائزين بالمطلوب عند الله تعالى الناجين من المهروب. وبالفارسية: [پس شايد آنكه باشد ازر ستكاران ورستكاري باجابت حضرت رسالت عليه السلام باز بسته است]:

مزن بي رضاى محمد نفس ره رستكاري همين است وبس
خلاف پيغمبر كسى ره كزيد كه هركز بمنزل نخواهد رسيد

وعسى للتحقيق على عادة الكرام أو للترجي من قبل التائب بمعنى فليتوقع الإفلاح.

قال في «كشف الأسرار»: إنما قال: فعسى يعني إن دام على التوبة والعمل الصالح فإن

المنقطع لا يجد الفلاح ونعوذ بالله من الحور بعد الكور فينبغي لأهل الآخرة أن يباشروا الأعمال الصالحة ويديموا على أورادهم وللأعمال تأثير عظيم في تحصيل الدرجات وجلب المنافع والبركات ولها نفع لأهل السعادة في الدنيا والآخرة ولأهل الشقاوة لكن في الدنيا فقط فإنهم يجلبون بها المقاصد الدنيوية من المناصب والأموال والنعم وقد عوض عن عبادة الشيطان قبل كفره طول عمره ورأى أثرها في الدنيا فلا بد من السعي بالإيمان والعمل الصالح. حكي: أن إبراهيم بن أدهم قدس سره لما منع من دخول الحمام بلا أجرة تأوه وقال: إذا منع الإنسان من دخول بيت الشيطان بلا شيء فأنى يدخل بيت الرحمن بلا شيء؟ وأفضل الأعمال التوحيد وذكر رب العرش المجيد ولو أن رجلاً أقبل من المغرب إلى المشرق ينفق الأموال والآخر من المشرق إلى المغرب يضرب بالسيف في سبيل الله كان الذاكر لله أعظم وفي الحديث: «ذكر الله علم الإيمان» أي لأن المشرك إذا قال لا إله إلا الله يحكم بإسلامه وبراءة من النفاق أي لأن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً «وحرز من الشيطان وحصن من النار» كما جاء في الكلمات القدسية «لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي».

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿فأما من تاب﴾ أي رجع إلى الحضرة على قدمي المحبة وصدق الطلب ﴿وآمن﴾ بما جاء به النبي عليه السلام من الدعوة إلى الله ﴿وعمل صالحاً﴾ بالتمسك بذيل متابعة دليل كامل وأصل صاحب قوة وقدره توصله إلى الله تعالى: ﴿فعسى أن يكون من المفلحين﴾ الفائزين من أسر النفس المخلصين من حبس الأنانية إلى قضاء وسعة الهوية انتهى.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

﴿وربك﴾ [آورده اندكه صناديد عرب طعنه مي زدندكه خداي تعالى چرا محمد را براي نبوت اختيار كرد بايستي كه چنين منصب عالي بوليد بن مغيرة وسيدي كه بزرك مكه است بابعروة بن مسعود ثقفي كه عظيم طائف] كما قالوا: لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فرد الله عليهم بقوله: ﴿وربك﴾ [وبروردكار تويا محمد] ﴿يخلق ما يشاء﴾ أن يخلقه ﴿ويختار﴾ مما يخلق ما يشاء اختياره واصطفاءه فكما أن الخلق إليه فكذا الاختيار في جميع الأشياء ﴿ما﴾ نافية ﴿كان لهم﴾ أي المشركين ﴿الخيرة﴾ أي: الاختيار عليه تعالى وهو نفي لاختيارهم الوليد وعروة وأنشدوا:

العبد ذو ضجر والرب ذو قدر ... والدهر ذو دول والرزق مقسوم
والخير أجمع فيما اختيار خالقنا ... وفي اختيار سواه اللوم والشوم

قال الجنيد قدس سره: كيف يكون للعبد اختيار والله المختار له؟ وقال بعض العارفين: إذا نظر أهل المعرفة إلى الأحكام الجارية بجميل نظر الله لهم فيها وحسن اختياره فيما أجراه عليهم لم يكن عندهم شيء أفضل من الرضى والسكون. قال الحافظ:

در دائرهٔ قسمت ما نقطهٔ تسليم ... لطف آنچه تو انديشي حكم آنكه توفر مايي

والخيرة بمعنى التخير بالفارسية [كزيدن] كالطيرة بمعنى التطير.

وفي «المفردات»: الخيرة الحالة التي تحصل للمستخير والمختار نحو القعدة والجلسة لحال القاعد والجالس انتهى.

وفي «الوسيط»: اسم من الاختيار يقام مقام المصدر وهو اسم للمختار أيضاً يقال محمد خيرة الله من خلقه ﴿**سبحان الله**﴾ أي تنزه بذاته تنزهاً خاصاً به من أن ينازعه أحد ويزاحم اختياره ﴿**وتعالى عما يشركون**﴾ عن إشراكهم.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى مشيئته الأزلية في الخلق والاختيار وأنه فاعل مختار يخلق ما يشاء كيف يشاء ممن يشاء ولما يشاء متى يشاء وله اختيار في خلق الأشياء فيختار وجود بعض الأشياء في العدم فيبقيه فانياً في العدم ولا يوجده وله الخيرة في أنه يخلق بعض الأشياء جماداً وبعض الأشياء نباتاً وبعض الأشياء حيواناً وبعض الأشياء إنساناً وأن يخلق بعض الإنسان كافراً وبعض الإنسان مؤمناً وبعضهم ولياً وبعضهم نبياً وبعضهم رسولاً وأن يخلق بعض الأشياء شيطاناً وبعضها جناً وبعضها ملكاً وبعض الملك كروبيا وبعضهم روحانياً وله أن يختار بعض الخلق مقبولاً وبعضهم مردوداً انتهى وفي الحديث: «إن الله خلق السموات سبعاً فاختار العليا منها فسكنها وأسكن سائر سماواته من شاء من خلقه ثم خلق الخلق فاختار من الخلق بني آدم واختار بمن بني آدم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشاً واختار من قريش بني هاشم واختارني من بني هاشم فأنا خيار من خيار إلى خيار فمن أحب العرف فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم». وفي الحديث: «إن الله اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي من أصحاب أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً فجعلهم خير أصحابي وفي كل أصحابي خير واختار أمتي على سائر الأمم واختار لي من أمتي أربعة قرون بعد أصحابي القرن الأول والثاني والثالث تترى والرابع فرداً» [بدانكه آدمي را اختيار نيست اختيار كسي تواندكه أورا ملك بود وآدمي بنده است وبنده را ملك نيست آن ملك كه شرع أورا إثبات كرد آن ملك مجاز ينست عاريتي عن قريب ازوزائل كردد وملك حقيقي آنست كه آنرا زوال نيست وآن ملك الله است كه مالك پركمال است ودر ملك ايمن اززوال ودر ذات ونعت متعال]:

همه تختن وملكي پذيرد زوال   بجز ملك فرمانده لا يزال

[عالم بيافريد وآنچه خواست ازان بركزيد. فرشتكانرا بيافريد ازيشان جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل را بركزيد. آدم وآدميا نرا بيافريد از يشان پيغمبران بركزيد. از پيغمبران خليل وكليم وعيسى ومحمد بركزيد عليهم السلام. صحابهء رسول را بيافريد أبو بكر تيمي وعرم غدوي وعثمان أموي وعلي هاشمي بركزيد. بسيط زمين را بيافريد ازان مكه بركزيد موضع ودلات ومدينة بركزيد هجر تكاه رسول وبيت المقدس بركزيد موضع مسراي رسول. روزها بيافريد ازان روز آذينه بركزيد «وهو يوم إجابة الدعوة». روز عرفه بركزيد «وهو يوم المباهات». روز عيد بركزيد «وهو يوم الجائزة» روز عاشوراء «بركزيد وهو يوم الخلعة». شبها بيافريد وازان شب برات بركزيد كه حق تعالى بخوديء خود نزول كندو بنده راهمه شب نداي كرامت خواند. ونوازد شب قدر بركزيد كه فرشتكان آسمان بعدد سنك ريزه بزمين فرستد ونثار رحمت كنند بربندكان. شب عيد بركزيد كه دررحمت ومغفرت كشايد وكناهكارا نرا آمرزد. كوهها بيافريد وازان طور كزيد كه موسى بران بمناجات حق رسيد. جودي بركزيد كه نوح دران نجات يافت. حرابر كزيدكه مصطفى عربي دران بعثت يافت. نفس آدمي بيافريدوازان دل بركزيد وزبان دل محل نور معرفت وزبان موضع كلمهء شهادت. كتابها از آسمان فرو فرستاد

وازان چهار بركزيد توراة وإنجيل وزبور وقرآن واز كلمتها چهار «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» وفي الحديث: «أحب الكلام إلى الله سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لا يضرك بأيهم بدأت» الكل في «كشف الأسرار».

قال في «زهرة الرياض»: ﴿**ما كان لهم الخيرة**﴾ أي ليس للكفار الاختيار بلا الاختيار للواحد القهار كأنه قال: الاختيار لي ليس لجبرائيل ولا لميكائيل ولا لإسرافيل ولا لعزرائيل ولا لآدم ولا لنوح ولا لإبراهيم ولا ليعقوب ولا لموسى ولا لعيسى ولا لمحمد عليهم الصلاة والسلام. ولو كان لجبرائيل وميكائيل لاختارت الملائكة مثل هاروت وماروت. ولو كان لإسرافيل لاختار إبليس. ولو كان لعزرائيل لاختار شداد. ولو كان لآدم لاختار قابيل. ولو كان لنوح لاختار كنعان. ولو كان لإبراهيم لاختار آزر. ولو كان ليعقوب لاختار العماليق. ولو كان لموسى لاختار فرعون. ولو كان لعيسى لاختار الحواريين. ولو كان لمحمد لاختار عمه أبا طالب ولكن الاختيار لي اخترتك فاشكر لي لأن الله أعلم حيث يجعل رسالته ونبوته وولايته.

قال يحيى الرازي رحمه الله: إلهي علمك بعيوبي لم يمنعك عن اختياري فكيف يمنعك عن غفراني.

ويقال: إن يوسف عليه السلام اختار السجن فأورثه الوبال والله تعالى اختار للفتية الكهف فأورثهم الجمال ألا ترى أن رجلاً لو تزوج امرأة فإنه يستر عيوبها مخافة أن يقال له: أنت اخترتها فالله تعالى اختارك في الأزل فالرجاء أن يستر عيوبك.

ويقال: اختار من ثمانية عشر ألف عالم أربعة الماء والتراب والنار والريح فجعل الماء طهورك والتراب مسجدك والنار طباخك والريح نسيمك. واختار من الملائكة أربعة جبرائيل صاحب وحيك وميكائيل خازن نعمتك وإسرافيل صاحب لوحك وعزرائيل قابض روحك. واختار من الشرائع أربعة الصلاة عملك والوضوء أمانتك والصوم جنتك والزكاة طهارتك. ومن القبلة أربعة العرش موضع دعوتك والكرسي موضع رحمتك والبيت المعمور مصعد عملك والكعبة قبلتك. ومن الأوقات أربعة فوقت المغرب لطعامك ووقت العشاء لمنامك ووقت السحر لمناجاتك ووقت الصبح لقراءتك. ومن المياه الماء الذي تفجر من أصابع رسول الله ﷺ فإنه أفضل من زمزم والكوثر وغيرهما من أنهار الدنيا والآخرة. ومن البقاع البقعة التي ضمت جسمه اللطيف عليه السلام فإنها أفضل البقاع الأرضية والسماوية. ومن الأزمنة الزمان الذي ولد فيه عليه السلام ولذا كان شهر ربيع الأول من أفضل الشهور كشعبان فإنه مضاف إلى نبينا عليه السلام أيضاً. ومن الملوك الخواقين العثمانية لأن دولتهم آخر الدول وتتصل بزمان المهدي المنتظر على ما ثبت وصح عن أكابر علماء هذه الأمة. واختار من العلماء من تشرف بعلم الظاهر والباطن وكان ذا جناحين نسأل الله الثبات في طريق التحقيق إنه ولي التوفيق.

﴿**وربك يعلم ما تكن صدورهم**﴾ أي تضمر قلوبهم وتخفي كعداوة الرسول وحقد المؤمنين يقال: أكننت الشيء إذا أخفيته في نفسك وكننته إذا سترته في بيت أو ثوب أو غير ذلك من الأجسام ﴿**وما يعلنون**﴾ بألسنتهم وجوارحهم كالطعن في النبوة وتكذيب القرآن. والإعلان [آشكارا كردن].

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿وهو الله﴾ أي المستحق للعبادة. وبالفارسية [أوست خداي مستحق پرستش] ﴿لا إله إلا هو﴾ لا أحد يستحقها إلا هو وهو المتوحد بعز إلهيته المتفرد بجلال ربوبيته لا شبيه يساويه ولا نظر يضاهيه ﴿له الحمد﴾ استحقاقاً على عظمته والشكر استيجاباً على نعمته ﴿في الأولى﴾ أي الدنيا ﴿والآخرة﴾ لأنه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها على الخلق كافة يحمده المؤمنون في الآخرة كما حمدوه في الدنيا بقولهم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٧٤] ابتهاجاً بفضله والتذاذاً بحمده أي بلا كلفة ﴿وله الحكم﴾ فيما يخلق ويختار ويعز ويذل ويحيي ويميت أي القضاء النافذ في كل شيء من غير مشاركة فيه لغيره. وبالفارسية [أو راست كار بركزاردن].

قال في «كشف الأسرار»: وله الحكم النافذ في الدنيا والآخرة ومصير الخلق كلهم في عواقب أمورهم إلى حكمه في الآخرة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: حكم لأهل طاعته بالمغفرة ولأهل معصيته بالشقاء والويل ﴿وإليه ترجعون﴾ بالبعث لا إلى غيره.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وإليه ترجعون﴾ بالاختيار أو بالاضطرار فأما بالاختيار فهو الرجوع إلى الحضرة بطريق السير والسلوك والمتابعة والوصول وهذا مخصوص بالإنسان دون غيره وأما بالاضطرار فبقبض الروح وهو الحشر والنشر والحساب والجزاء بالثواب والعقاب.

يقال: ثمانية أشياء تعم الخلق كلهم الموت والحشر وقراءة الكتاب والميزان والحساب والصراط والسؤال والجزاء.

وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: «يا موسى لا تسأل مني الغنى فإنك لا تجده وكل خلق مفتقر إليّ وأنا الغني. ولا تسأل علم الغيب فإنه لا يعلم الغيب غيري. ولا تسألني أن أكف لسان الخلق عنك فإني خلقتهم ورزقتهم وأميتهم وأحييهم وهم يذكرونني بالسوء ولم أكف لسانهم عني ولا أكف لسانهم عنك. ولا تسأل البقاء فإنك لا تجده وأنا الدائم الباقي».

وأوحى الله إلى محمد عليه السلام فقال: «يا محمد أحبب من شئت فإنك مفارقه واعمل ما شئت فإنك ملاقيه غداً وعش ما شئت فإنك ميت» فظهر أن الحكم النافذ بيد الله تعالى ولو كان شيء منه في يد الخلق لمنعوا عن أنفسهم الموت ودفعوا ملاقاة الأعمال في الحشر وطريق النجاة التسليم والرضى والرجوع إلى الله تعالى بالاختيار فإنه إذا رجع العبد إلى الله بالاختيار لم يلق عنده شدة بخلاف ما إذا رجع بالاضطرار:

توپيش از عقوبت در عفو كوب كه سودي ندارد فغان زيرچوب

ومن علامات الرجوع إلى الله إصلاح السر والعلانية والحمد له على كل حال فإن الجزع والاضطراب من الجهل بمبدأ الأمر ومبديه وليخفف ألم البلاء عنك علمك بأن الله هو المبلي وقل في الضراء والسراء: لا إله إلا هو والتوحيد أفضل الطاعات وخير الأذكار والحسنات وصورته منجية فكيف بمعناه.

وعن حذيفة رضي الله عنه سمعت رسول الله يقول: «مات رجل من بني إسرائيل من قوم موسى فإذا كان يوم القيامة يقول الله لملائكته. انظروا هل تجدون لعبدي من حسنة يفوز بها اليوم؟ فيقولون: إنا لا نجد سوى أن نقش خاتمه لا إله إلا الله فيقول الله تعالى: أدخلوا عبدي الجنة قد غفرت له»: قال المغربي:

اكرچه آينهٔ داري ازبراي حسن ولي چه سودكه داري هميشه آينه تار
بيا بصيقل توحيد زآينه بزد اي غبار شرك كه پاك كردد از زنكار

نسأل الله سبحانه أن يوصلنا إلى حقيقة التوحيد ويخلصنا من ورطة التقليد ويجعلنا من المكاشفين لأنوار صفاته وأسرار ذاته.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾.

﴿قل﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿أرأيتم﴾ أي أخبروني فإن الرؤية سبب للإخبار ﴿إن جعل الله عليكم الليل سرمداً﴾ دائماً لا نهار معه من السرد وهو المتابعة والاطراد والميم مزيدة وقدم ذكر الليل على ذكر النهار لأن ذهاب الليل بطلوع الشمس أكثر فائدة من ذهاب النهار بدخول الليل كذا في «برهان القرآن» ﴿إلى يوم القيامة﴾ بإسكان الشمس تحت الأرض أو تحريكها حول الأفق الغائر﴿من إله غير الله﴾ صفة لإله. يعني [كيست خداي بجز خداي بحق كه از روى كمال قدرت] ﴿يأتيكم بضياء﴾ صفة له أخرى عليها يدور أمر التبكيت والإلزام قصد انتفاء الموصوف بانتفاء الصفة ولم يقل: هل إله لا يراد الإلزام على زعمهم أن غيره آله والباء للتعدية: والمعنى بالفارسية [بيارد براي شما روشني يعني روز روشن كه در آن بطلب معاش اشتغال كنيد]. ﴿أفلا تسمعون﴾ هذا الكلام الحق سماع تدبر واستبصار حتى تنقادوا له وتعملوا بموجبه فتوحدوا الله تعالى وختم الآية به بناءً على الليل لا على الضياء.

وقال بعضهم: قرن بالضياء السمع لأن السمع يدرك ما لا يدركه البصر يعني استفادة العقل من السمع أكثر من استفادته من البصر. ﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً﴾ متصلاً لا ليل له. ﴿إلى يوم القيامة﴾ بإسكانها في وسط السماء أو تحريكها فوق الأرض ﴿من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه﴾ استراحة من متابعة الأسفار ولعل تجريد الضياء عن ذكر منافعه مثل تتصرفون فيه ونحوه لكونه مقصوداً بذاته ظاهر الاستتباع لما نيط به من المنافع ولا كذلك الليل. ﴿أفلا تبصرون﴾ هذه المنفعة الظاهرة التي لا تخفى على من له بصر وختم الآية به بناءً على النهار فإنه مبصر لا على الليل.

وقال بعضهم: وقرن بسكون الليل البصر لأن غيرك يبصر من منفعة الظلام ما لا تبصر أنت من السكون. اعلم أن فلك الشمس يدور في بعض المواضع رحوياً لا غروب للشمس فيه فنهاره سرمدي فلا يعيش الحيوان فيه ولا ينبت النبات فيه من قوة حرارة الشمس فيه وكذلك يدور فلك الشمس في بعض المواضع بعكس هذا تحت الأرض ليس للشمس فيه طلوع فليله سرمدي فلا يعيش الحيوان أيضاً فيه ولا ينبت النبات ثمة فلهذا المعنى قال تعالى:

﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار﴾ [واز بخشايش خودبيا فريد براي شماشب وروزرا] ﴿لتسكنوا فيه﴾ أي: في الليل ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ أي في النهار بأنواع المكاسب ﴿ولعلكم تشكرون﴾ ولكي تشكروا نعمته تعالى على ما فعل:

چرخ را دور شبانروزي دهده شب برو روز آورد روزي دهده

خلوت شب بهر آن تاجان ريش رازدل كويد برجانان خويش
روزها ازبهر غوغاي عوام تابدايشان كارتن كيرد نظام

قال إمام الحرمين وغيره من الفضلاء: لا خلاف أن الشمس تغرب عند قوم وتطلع عند قوم آخرين والليل يطول عند قوم ويقصر عند آخرين وعند خط الاستواء يكون الليل والنهار مستوياً أبداً.

وسئل الشيخ أبو حامد عن بلاد بلغار كيف يصلون لأن الشمس لا تغرب عندهم إلا مقدار ما بين المغرب والعشاء ثم تطلع فقال: يعتبر صومهم وصلاتهم بأقرب البلاد إليهم والأصح عند أكثر الفقهاء أنهم يقدرون الليل والنهار ويعتبرون بحسب الساعات كما قال عليه الصلاة والسلام: «يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة» فيقدر الصيام والصلاة في زمنه كذا ورد عن سيد البشر.

قال في «القاموس»: بلغر كقرطق والعامة تقول: بلغار مدينة الصقالبة ضاربة في الشمال شديدة البرد انتهى والفجر يطلع في تلك الديار قبل غيبوبة الشفق في أقصر ليالي السنة فلا يجب على أهاليها العشاء والوتر لعدم سبب الوجوب وهو الوقت لأنه كما أنه شرط لأداء الصلاة فهو سبب لوجوبها فلا تجب بدونه على ما تقرر في الأصول وكذلك لا تجبان على أهالي بلدة يطلع فيها الفجر لما تغرب الشمس فيسقط عنهم ما لا يجدون وقته كما أن رجلاً إذا قطع يداه مع المرفقين أو رجلاه مع الكعبين ففرائض وضوئه ثلاث لفوات محل الرابع كذا في الفقه.

والإشارة في الآية إلى نهار التجلي وليل ستر البشرية فلو دام نهار التجلي لم يقدر المتجلى له على تحمل سطواته فستره الله تعالى بظل البشرية ليستريح من تعب السطوات وإليه الإشارة بقوله عليه السلام لعائشة رضي الله عنها: «كلميني يا حميراء» وليس هذا الستر من قبيل الحجاب فإن الستر يكون عقيب التجلي وهو حجاب الرحمة والمنحة لا حجاب الزحمة والمحنة وذلك من جملة ما كان النبي عليه السلام محمياً به إذ كان يقول: «إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله كل يوم سبعين مرة» وذلك غاية اللطف والرحمة والحجاب ما يكون محجوباً به عن الحق تعالى وذلك من غاية القهر والعز كما قال في المقهورين: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥] والجبل لم يستقر مكانه عند سطوة تجلي صفة الربوبية وجعله دكاً وخر موسى مع قوة نبوته صعقاً وذلك التجلي في أقل مقدار طرفة عين فلو دام كيف يعيش الإنسان الضعيف.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾.

﴿ويوم يناديهم﴾ منصوب باذكر أي واذكر يا محمد يوم ينادي الله المشركين **﴿فيقول﴾** توبيخاً لهم **﴿أين﴾** [كجااند] **﴿شركائي الذين كنتم تزعمون﴾** أنهم لي شركاء وهو تقريع بعد تقريع للإشعار بأنه لا شيء أجلب لغضب الله من الإشراك كما لا شيء أدخل في مرضاة الله من توحيده.

﴿ونزعنا من كل أمة﴾ نزع الشيء جذبه من مقره كنزع القوس من كبده وعطف على يناديهم وصيغة الماضي للدلالة على التحقيق ولا التفات لإبراز كمال الاعتناء بشأن النزع أي

أخرجنا من كل أمة من الأمم ﴿شهيداً﴾ بالفارسية: [كواه] وهو نبيهم يشهد عليهم بما كانوا عليه من الخير والشر.

وقال بعضهم: يشهد عليهم وعلى من بعدهم كما جاء في الحديث أن أعمال الأمة تعرض على النبي عليه السلام ليلة الاثنين والخميس.

وقال بعضهم: عنى بالشهيد العدول من كل أمة وذلك أنه سبحانه لم يخل عصراً من الأعصار عن عدول يرجع إليهم في أمر الدين ويكونون حجة على الناس يدعونهم إلى الدين فيشهدون على الناس بما عملوا من العصيان ﴿فقلنا﴾ لكل من الأمم ﴿هاتوا﴾ [بياريد] وأصله آتوا وقد سبق. ﴿برهانكم﴾ على صحة ما كنتم تدعون من الشريك ﴿فعلموا﴾ يومئذ ﴿أن الحق لله﴾ في الإلهية لا يشاركه فيها أحد. ﴿وضل عنهم﴾ أي: غاب غيبة الضائع ﴿ما كانوا يفترون﴾ في الدنيا من الباطل وهو ألوهية الأصنام.

واعلم أن الشريك لا ينحصر في عبادة الأصنام الظاهرة بل الأنداد ظاهرة وباطنة. فمنهم: من صنمه نفسه. ومنهم: من صنمه زوجته حيث يحبها محبة الله ويطيعها إطاعة الله ومنهم: من صنمه تجارته فيتكل عليها ويترك طاعة الله لأجلها فهذه كلها لا تنفع يوم القيامة. حكي: أن مالك بن دينار رحمه الله كان إذا قرأ في الصلاة إياك نعبد وإياك نستعين غشي عليه فسئل فقال: نقول: إياك نعبد ونعبد أنفسنا أي نطيعها في أمرها ونقول: إياك نستعين ونرجع إلى أبواب غيره. روي: أن زكريا عليه السلام لما هرب من اليهود بعد أن قتل يحيى عليه السلام وتوابعه تمثل له الشيطان في صورة الراعي وأشار إليه بدخول الشجرة فقال زكريا للشجرة: اكتميني فانشقت فدخل فيها وأخرج الشيطان هدب ردائه ثم أخبر به اليهود فشقوا الشجرة بالمنشار فهذا الشق إنما وقع له لالتجائه إلى الشجرة والشرك أقبح جميع السيئات كما أن التوحيد أحسن الحسنات وقد ورد أن الملائكة المقربين تنزل لشرف الذكر كما روى أن يوسف عليه السلام لما ألقي في الجب ذكر الله تعالى بأسمائه الحسنى فسمعه جبريل فقال: يا رب أسمع صوتاً حسناً في الجب فأمهلني ساعة فقال الله تعالى: ألستم قلتم أتجعل فيها من يفسد فيها وكذلك إذا اجتمع المؤمنون على ذكر الله مراعين لآدابه الظاهرة والباطنة تقول الملائكة: إلهنا أمهلنا نستأنس بهم فيقول الله تعالى: ألستم قلتم أتجعل فيها من يفسد فيها فالآن تتمنون الاستئناس بهم وفي الحديث: «لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبى» قبل يا رسول الله من الذي أبى قال: «من لم يقل لا إله إلا الله» فينبغي الاشتغال بكلمة التوحيد قبل الموت وهي عروة الوثقى وهي ثمن الجنة وهي التي يشهد بها جميع الأشياء:

هست هرذرة بوحدت خويش ... بيش عارف كواه وحدت او

ياك كن جامه ازغبار دويي ... لوح خاطر كه حق يكيست نه دو

والوصول إلى هذا الشهود والتوحيد الحقيقي إنما هو بخير الأذكار أي بالاشتغال به آناء الليل وأطراف النهار. قال الشيخ المغربي:

نخست ديده طلب كن پس آنكهي ديدار ... ازانكه ياركند جلوه براولوا الأبصار

﴿۞ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾.

﴿إن قارون﴾ اسم أعجمي كهارون فلذلك لم ينصرف ﴿كان من قوم موسى﴾ كان ابن عمه يصهر بن قاهش بن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهش وكان ممن آمن به واقرأ بني إسرائيل للتوراة وكان يسمى المنور لحسن صورته ثم تغير حاله بسبب الغنى فنافق كما نافق السامري. ﴿فبغى عليهم﴾ قال الراغب: البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى تجاوزه أو لم يتجاوزه وبغى تكبر وذلك لتجاوزه منزلته إلى ما ليس له. والمعنى فطلب الفضل عليهم وأن يكونوا تحت أمره وليس ببعيد فإن كثرة المال المشار إليها بقوله: ﴿وآتيناه من الكنوز﴾ الآية سبب للبغي وأمارة بغيه الإباء والاستكبار والعجب والتمرد عن قبول النصيحة وكان يجر ثوبه كبراً وخيلاء وفي الحديث: «لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر ثوبه خيلاء» وكان يستخف بالفقراء ويمنع عنهم الحقوق وفي الحديث: «اتخذوا الأيادي عند الفقراء قبل أن تجيء دولتهم» أي: فإن لهم دولة عظيمة يوم القيامة يصل أثرها إلى من أطعمهم لقمة أو سقاهم شربة أو كساهم خرقة أو نحو ذلك فيأخذون بأيديهم ويدخلون الجنة بأمر الله تعالى.

قال أهل العلم بالأخبار: كان أول طغيانه وعصيانه أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام أنه يأمر بني إسرائيل أن يعلقوا في أرديتهم خيوطاً أربعة خضراً في كل طرف خيط على لون السماء قال موسى: يا رب ما الحكمة فيه؟ قال: يذكرون إذا رأوها أن كلامي نزل من السماء ولا يغفلون عني وعن كلامي والعمل به قال موسى: أفلا تأمرهم أن يجعلوا أرديتهم كلها خضراً فإنهم يحقرون هذه الخيوط؟ فقال: يا موسى إن الصغير من أمري ليس بصغير فإنهم إن لم يطيعوني في الصغير لم يطيعوني في الكبير فأمرهم ففعلوا وامتنع قارون وقال: إنما يفعل هذا الأرباب بعبيدهم لكي يتميزوا من غيرهم فكان هذا ابتداء بغيه ولما عبروا البحر جعلت حبورة القربان وهي رياسة المذبح في هارون.

قال في «كشف الأسرار»: [در رياست مذبح آن بودكه بني إسرائيل قربان كه مي كردند بر طريق تعبد پيش هارون مي بردند وهارون بر مذبح مي نهاد تا آتش از اسمان فرود آمدي وبركر فتى] فحسده قارون وقال: يا موسى لك الرسالة ولهارون الحبورة ولست في شيء وأنا أقرأ بني إسرائيل للتوراة ليس لي على هذا صبر فقال موسى: ما أنا جعلتها في هارون بل الله جعلها من فضله قال قارون: والله لا أصدقك في ذلك حتى تريني آية تدل عليه فأمر موسى رؤساء بني إسرائيل بوضع عصيهم في القبة التي الله فيها وينزل الوحي عليه ففعلوا وباتوا يحرسونها وأصبحوا فإذا بعصا هارون مورقة خضراء أي صارت بحيث لها ورق أخضر وكانت من شجرة اللوز فلما رأها قارون على تلك الحالة العجيبة قال: والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر واعتزل موسى وتبعه طائفة من بني إسرائيل وجعل موسى يداريه لما بينهما من القرابة وهو لا يلتفت إليه بل يؤذيه ولا يزيد إلا تجبراً وبغياً ﴿وآتيناه﴾ أي قارون ﴿من الكنوز﴾ أي الأموال المدخرة.

قال الراغب: الكنز جمع المال بعضه فوق بعض وحفظه من كنزت التمر في الوعاء انتهى. والفرق بين الركاز والمعدن والكنز أن الركاز هو المال المركوز في الأرض مخلوقاً كان أو موضوعاً والمعدن ما كان مخلوقاً والكنز ما كان موضوعاً ﴿ما﴾ موصولة أي الذي ﴿إن مفاتحه﴾ جمع مفتح بالكسر ما يفتح به أي مفاتح صناديقه ﴿لتنوء بالعصبة أولي القوة﴾ خبر أن والجملة صلة ما وهو ثاني مفعولي آتينا. وناء به الحمل إذا أثقله حتى أماله فالباء للتعدية والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة.

وفي «المفردات»: جماعة معصبة أي متعاضدة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: العصبة في هذا الموضع أربعون رجلاً وخزائنه كانت أربعمائة ألف يحمل كل رجل منهم عشرة آلاف مفتاح. والمعنى لتثقلهم وتميل بهم إذا حملوها لثقلها. وبالفارسية [برداشتن آن مفاتح كران ميكند مردمان بانيروي را يعني مردمان از كران باري بجانبي ميل ميكنند] وقال بعضهم: وجدت في الإنجيل أن مفاتح خزائن قارون وقرستين بغلاً ما يزيد منها مفتح على أصبع لكل مفتح كنز ويقال كان قارون أينما ذهب يحمل معه مفاتح كنوزه وكانت من حديد فلما ثقلت عليه جعلها من خشب فثقلت فجعلها من جلود البقر على طول الأصابع ﴿إذ قال له قومه﴾ منصوب بتنوء يعني موسى وبني إسرائيل وقيل: قاله موسى وحده بطريق النصيحة ﴿لا تفرح﴾ [شادي مكن بمال دنيا] والفرح انشراح الصدر بلذة عاجلة وأكثر ما يكون ذلك في اللذات البدنية الدنيوية والفرح في الدنيا مذموم مطلقاً لأنه نتيجة حبها والرضى بها والذهول عن ذهابها فإن العلم بأن ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح حتماً ولذا قال تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣] ولم يرخص في الفرح إلا في قوله: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ [يونس: ٥٨] وقوله: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٤-٥] وعلل النهي ههنا بكونه مانعاً منه محبة الله تعالى كما قال: ﴿إن الله لا يحب الفرحين﴾ أي بزخارف الدنيا فإن الدنيا مبغوضة عند الله تعالى:

دنياي دني چيشت سراي ستمي افكنده هزار كشته درهر قدمي
كردست دهد كداي شادي نكند ورفوت شود نيز نيرزد بغمي

وإنما يحب من يفرح بإقامة العبودية وطلب السعادة الأخروية.

﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿وابتغ﴾ أي: طلب ﴿فيما آتاك الله﴾ من الغنى لم يقل بما آتاك الله لأنه لم يرد بمالك وإنما أراد وابتغ في حال تملكك وفي حال قدرتك بالمال والبدن كما في «كشف الأسرار» ﴿الدار الآخرة﴾ أي ثواب الله فيها بصرفه إلى ما يكون وسيلة إليه من مواساة الفقراء وصلة الرحم وفك الأسير ونحوها من أبواب الخير....

بدنيا تواني كه عقبى خرى بخرجان من ورثه حسرت خورى

﴿ولا تنس﴾ أي لا تترك ترك المنسي.

قال في «المفردات»: النسيان ترك الإنسان ضبط ما استودع إما لضعف قلبه وإما عن غفلة أو عن قصد حتى ينحذف عن القلب ذكره ﴿نصيبك من الدنيا﴾ وهو أن تحصل بها آخرتك أو تأخذ منها ما يكفيك وتخرج الباقي. وعن علي رضي الله عنه: لا تنس صحتك وقوتك وشبابك وغناك وفي ذلك ما روي عن رسول الله ﷺ قال لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك».

وقال الكاشفي: [وفراموش مكن بهرهٔ خودرا ازمال دنيا بعني نصيب تو دروقت رحلت

ازين جهان كفني خواهد بود وپس ازان حال برانديش وبمال ومنال غره مشو].

كرملك توشام تايمن خواهد بود وزسرحد روم تاختن خواهد بود
آنروز كزين جهان كني عزم سفر همراه توچند كزكفن خواهد بود

قال الشيخ سعدي قدس سره:

اكرا پهلواني اكر تيغ زن نخواهي بدر بردن الأكفن

وقال بعض العارفين: نصيب العارف من الدنيا ما أشار إليه عليه السلام بقوله: «حبب إليّ من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة» ففي الطيب الرائحة الطيبة وفي النساء الوجه الحسن وفي الصلاة فرح القلب وقد سبق غير هذا **﴿وأحسن﴾** إلى عباد الله **﴿كما أحسن الله إليك﴾** فيما أنعم به عليك. قال الشيخ سعدي قدس سره:

توانكري چودل دوست كامرانت هست بخور ببخش كه دنيا وآخرت بردى

وقال:

اكر كنج قارون بچنك آورى نماند مكر آنكه بخشى برى

﴿ولا تبغ الفساد في الأرض﴾ نهى له عما كان عليك من الظلم والبغي.

وفي «التأويلات النجمية»: **﴿ولا تبغ الفساد في الأرض﴾** في أرض الروحانية بما آتاك الله من الاستعداد الإنساني باستعماله في مخالفات الشريعة وموافقات الطبيعة فإنه يفسد الاستعداد الروحاني والإنساني **﴿إن الله لا يحب المفسدين﴾** لسوء أفعالهم بل يحب المصلحين لحسن أعمالهم وقد اختار من عباده الأبدال فإنهم يجعلون بدل الجهل العلم وبدل الشح الجود وبدل الشره العفة وبدل الظلم العدالة وبدل الطيش التؤدة وبدل الفساد الصلاح فالإنسان إذا صار من لأبدال فقد ارتقى إلى درجة الأحباب.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًاۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾.

﴿قال﴾ قارون مجيباً للناصحين **﴿إنما أوتيته﴾** أي: هذا المال. **﴿على علم عندي﴾** حال من مرفوع أوتيته أو متعلق بأوتيته وعندي صفة له. والمعنى أوتيته حال كوني مستحقاً لما فيّ من علم التوراة وكان أعلمهم بها ادعى استحقاق التفضيل على الناس واستيجاب التفوق بالمال والجاه بسبب العلم ولم ينظر إلى منة الله تعالى وفضله ولذا هلك وهكذا كل من كان على طريقه في الادعاء والافتخار والكفران فإنه يهلك يوماً بشؤم معصيته وصنيعه. قال الحافظ:

مباش غره بعلم وعمل فقيه مدام كه هيچكس زقضاي خداي جان نبرد

وقال الصائب:

بفكر نيستي هركز نمي فتند مغروران اكرچه صورت مقراض لادارد كريبانها

وقال بعضهم: المراد بعلم علم الكيمياء وكان موسى يعلمه تعلماً من الله تعالى فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوقنا ثلثه وعلم قارون ثلثه فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما إلى علمه أو تعلم قارون صنعة الكيمياء من كلثوم أخت موسى وكانت تعرف ذلك فرزق مالاً عظيماً يضرب به المثل على طول الدهر وكان يأخذ الرصاص فيجعله فضة والنحاس فيجعله ذهباً.

قال الزجاج: علم الكيمياء لا حقيقة له.

وفي «الكواشي»: ومتعاطي هذا العلم الكثير كذبه فلا يلتفت إليه.

يقول الفقير: وهو أولى من قول الزجاج فإن فيه إقراراً بأصله في الجملة وكذا بوجوده والكيمياء له حقيقة صحيحة وقد عمل به بعض الأنبياء وكمل الأولياء فإنه لا شك في الاستحالة والانقلاب بعد تصفية الأجساد وتظهرها من الكدورات وقد بين في موضعه ورأيت من وصل إليه بلا نكير والله العليم الخبير:

زكـرامـات بـلـنـد أولـيـا أولا شـعـرست وآخـر كـيـمـيـا

وقال بعضهم: المراد بالعلم علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب [كفته اند قارون چهل سال بركوه متعبد بود ودر عبادت وهد برهمه بني إسرائيل غلبه كرد وإبليس شياطين را مي فرستاد تااورا وسوسه كنند وبدنيا دركشند شياطين براو دست نمي يافتند إبليس خود برخاست وبصورت پيري زاهد متعبد برابروي نشست وخدايرا عبادت همي كرد تا عبادت إبليس بر عبادت وي بيفزود وقارون بتواضع وخدمت وي در آمد وهرچه ميكفت بإشارت وي ميرفت ورضاي وي مي جست إبليس. روزي كفت ما از جمعه وجماعت بازمانده ايم واز زيارت نيك مردان وتشييع جنازهاي مؤمنان محروم اكر درميان مردم باشيم وآن خصلتهاي نيكو بردست كيريم مكر صوابرتر باشد قارون را بدين سخن از كوه بزير آورد ودربيعه شدند وتعبد كاه إيشان معين ساختند مردم چون از حال ايشان باخبر شدند رفقا ازهر جانب روى بايشان نهاد وبا إيشان نيكو ميكردند وطعامها مي بردند. ورزي إبليس كفت اكرما بهفتهٔ يكروز بكسب مشغول باشيم واين بار وثقل از مردم فرونهيم مكر بهتر باشد قارون همان صواب ديد وروز آذينه بكسب شدند وباقي هفته عبادت همي كردند روزي جند برآمد إبليس كفت يكروز كسب كنيك ديكر روز عبادت تااز معاش وبغت چيزي بسر آيد وبصدقه ميدهيم ومردمانرا از ما منفعت بود همان كردند وبكسب مشغول شدند تادوستئ كسب ودوستئ مال درسر قارون شد إبليس آنكاه ازوي جدايي كرفت وكفت من كار خود كردم واورا دردام دنيا آوردم پس قارون بكسب مشغول كشت ودنيا بوي روي نهاد وطغيان بالا كرفت وادعاي استحقاق كرد بسبب علم مكاسب وطريق او] فقال تعالى: **﴿أولم يعلم﴾** [آيا نداست قارون يعني دانست] **﴿أن الله قد أهلك من قبله من القرون﴾** الكافرة. يعني [از أهل روز كارها] والقرن القوم المقترنون في زمن واحد **﴿من هو أشد منه قوة﴾** بالعدد والعدد **﴿وأكثر جمعاً﴾** للمال كنمرود وغيره.

وقال بعضهم: وأكثر جمعاً للعلم والطاعة مثل إبليس.

قال المفسرون: هذا تعجيب منه وتوبيخ له من جهته تعالى على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك الإهلاك قراءة في التوراة وتلقيناً من موسى وسماعاً من حفاظ التواريخ فالمعنى ألم يقرأ التوراة ويعلم ما فعل الله بأضرابه من أهل القرون السابقة حتى لا يغتر بما اغتر به:

مـكـن تـكـيـه بـر مـلـك وجـاه وحـشـم كه پيش ازتـو بـودست وبـعـد از تـوهـم

بـكـيـر عـبـرت از مـاسـواي قـرون خـورد ضرب هـراسـب كه بـاشـد حـرون

﴿ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾ عند إهلاكهم لئلا يشتغلوا بالاعتذار كما قال تعالى ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المرسلات: ٣٦] كما في «التأويلات النجمية».

وقال الحسن: لا يسألون يوم القيامة سؤال استعلام فإنه تعالى مطلع عليها بل يسألون سؤال تقريع وتوبيخ.

وقال بعضهم: لا يسألون بل يعاقبون بلا توقف ولا حساب أو لا يسألون لأنهم تعرفهم الملائكة بسيماهم.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾

﴿فخرج على قومه﴾ عطف على قال وما بينهما اعتراض وقوله: ﴿في زينته﴾ إما متعلق بخرج أو بمحذوف هو حال من فاعله أي كائناً في زينته والمراد الزينة الدنيوية فمن المال والأثاث والجاه يقال: زانه كذا وزينه إذا أظهر حسنه إما بالفعل أو بالقول. قيل: خرج قارون يوم السبت وكان آخر يوم من عمره على بغلة شهباء عليه الأرجوان يعني قطيفة أرغواني وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه. وقال بعضهم: ومعه تسعون ألفاً عليهم المعصفرات وهو أول يوم رؤي فيه اللباس المعصفر وهو المصبوغ بالعصفر وهو صبغ أحمر معروف وقد نهي الرجال عن لبس المعصفر لأنه من لباس الزينة وأسباب الكبر ولأن له رائحة لا تليق بالرجال وأصل الزينة عند العارفين وجوه مسفرة عليها آثار دموع الشوق والمحبة ساجدة على باب الربوبية.

قال ابن عطاء: أزين ما تزين به العبيد المعرفة ومن نزلت درجاته عن درجات العارفين فازين ما تزين به طاعة ربه ومن تزين بالدنيا فهو مغرور في زينته. قال الحافظ:

قلندران حقيقت به نيم چون نخرند قباي اطلس آنكس كه ازهنر عاريست

وفي «المثنوي»:

افتخار از رنك وبو واز مكان هست شادي وفريب كودكان

وقال الشيخ العطار رحمه الله:

همچو طفلان منكر اندرسرخ وزرد چون زنان مغرور رنك وبومكرد

وقال الشيخ السعدي:

كراجامه پاكست وسيرت پليد در دوزخشن را نبايد كليد

وقال المولى الجامي:

وصلش مجودر اطلس شاهي كه دوخت عشق

اين جامه برتني كه نهان زير زنده بود

﴿قال الذين يريدون الحياة الدنيا﴾ من بني إسرائيل جرياً على سنن الجبلة البشرية من الرغبة في السعة واليسار ﴿يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون﴾ [يا قوم كاشكي بودي مارا ازمال همچنانكه قارونرا دادند].

وقيل: يا ليت يا متمناي تعالى فهذا أوانك تمنوا مثله لا عينه حذراً من الحسد فدل على أنهم كانوا مؤمنين ﴿إنه لذو حظ عظيم﴾ لذو نصيب وافر من الدنيا.

قال الراغب: الحظ النصيب المقدر وهو تمنيهم وتأكيد له.

قال في «كشف الأسرار»: [فائده• اين آيت آنست كه رب العالمين خبر ميدهد ماراكه مؤمن نبايدكه تمنى كند انچه طغيان در آنست از كثرت مال وذلك قوله: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾ [العلق: ٦ـ٧] بلكه ازخداي عز وجل كفاف خواهد دردنيا وبلغه•

عيش جنانكه درخبرست] «اللهم اجعل رزق آل محمد كفافاً» وفي الحديث: «**اللهم من أحبني** فارزقه العفاف والكفاف ومن أبغضني فارزقه مالاً وولداً» وفي الحديث: «**طوبى لمن هدي إلى** الإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به»: قال الحافظ:

كنج زر كرنبود كنج قناعت باقيست آنكه آن داد بشاهان كبدايان اين داد

وقال:

همايي چون توعاليقدر حرص استخوان حيفست

دريغا سايهٔ همت كه برنا أهل افكندي

درين بازار اكر سوديست بادرويش خرسندست

الهي منعمم كردان بدرويشي وخرسندي

وقال المولى الجامي:

هرسفله پي بكنج قناعت كجابرد اين نقد در خزينهٔ ارباب همتست

وقال الشيخ السعدي:

نيرزد عسل جان من زخم نيش قناعت نكوتر بدو شاب خويش

وفي «التأويلات النجمية»: إنما وقع نظرهم على عظمة الدنيا وزينتها لا على دناءتها وخساستها وهوانها وقلة متاعها لأنهم اغتذوا بغداء شبل حب الدنيا وزينتها المتولد من أسود ظلمات صفات النفس بعضها فوق بعض فهم ينظرون بنظر ظلمات صفات النفس بعد أن كانوا ينظرون بنظر نور صفات القلب يبصرون عزة الآخرة وعظمتها وخسة الدنيا وهوانها فإن الرضاع يغير الطباع.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾.

﴿**وقال الذين أوتوا العلم**﴾ بأحوال الآخرة وزهدوا في الدنيا أي قالوا للمتمنين ﴿**ويلكم**﴾ [واي برشما اي طالبان دنيا] وهو دعاء بالإهلاك. بمعنى ألزمكم الله ويلاً أي عذاباً وهلاكاً ساغ استعماله في الزجر عما لا يرتضى وقد سبق في طه. ﴿**ثواب الله**﴾ في الآخرة ﴿**خير**﴾ مما تتمنون ﴿**لمن آمن وعمل صالحاً**﴾ فلا يليق بكم أن تتمنوه غير مكتفين بثوابه ونعيمه ﴿**ولا يلقاها**﴾ أي ولا يوفق لهذه الكرامة كما في «الجلالين» والمراد بالكرامة الثواب والجنة **ولا** يعطى هذه الكلمة التي تكلم بها العلماء وهي ثواب الله خير قال الله تعالى: ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١] أي أعطاهم ولقيته كذا إذا استقبلته به. وبالفارسية وتلقيه وتلقين [نخواهد كرد اين كلمه كه علماً كفته اند يعني دردل وزبان نخواهند دار] ﴿**إلا الصابرون**﴾ على الطاعات وعن زينة الدنيا وشهواتها:

أهل صبر از جمله عالم برترند صابران أزواج كردون بكذرند

هركه كاردتخم صبر اندر جهان يدرود محصول عيش صابران

﴿**فخسفنا به وبداره الأرض**﴾ يقال: خسف المكان يخسف خسوفاً ذهب في الأرض كما في «القاموس» وخسف القمر زال ضوءه وعين خاسفة إذا غابت حدتها والباء للتعدية. والمعنى

بالفارسية: [پس فرو برديم قارون وسراي اورا بزمين].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما نزلت الزكاة على موسى صالحه على أن يعطيه عن كل ألف دينار ديناراً وعن كل ألف درهم درهماً وعن كل ألف شاة شاة وذلك بالأمر الإلهي وكان الواجب عشر المال لا ربعه فحسب قارون ماله فوجد الزكاة مبلغاً عظيماً فمنعه البخل والحرص عن دفعها فجمع جمعاً من بني إسرائيل فقال لهم: إنكم قد أطعتم موسى في كل ما أمركم به وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم قالوا: أنت كبيرنا مرنا بما شئت قال: أريد أن أفضحه بين بني إسرائيل حتى لا يسمع بعد كلامه أحد فأمري أن تجلبوا فلانة البغي فنجعل لها جعلاً حتى تقذف موسى بنفسها فإذا فعلت ذلك خرج عليه بنو إسرائيل ورفضوه فدعوها فجعل لها قارون ألف دينار وطشتاً من ذهب على أن تفعل ما أمر به من القذف إذا حضر بنو إسرائيل من الغد وكان يوم عيد فلما كان الغد قام موسى خطيباً فقال: من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصناً رجمناه فقال قارون: وإن كنت أنت قال: وإن كنت أنا فقال: إن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة فأحضرت فناشدها موسى بالذي فلق البحر وأنزل التوراة أن تصدق فتداركها الله بالتوفيق ووجدت في نفسها هيبة إلهية من تأثير الكلام فقالت: يا كليم الله جعل لي قارون جعلاً على أن أقذفك بنفسي وأفتري عليك [ومن ناوجود كنهكاريها وبدكرداريهاي خود چه كنه پسندم كه برتو تهمت كويم] فخر موسى ساجداً لله تعالى يبكي ويشكو من قارون ويقول: اللهم إن كنت رسولك فاغضب لي فأوحى الله إليه إني أمرت الأرض أن تطيعك فمرها بما شئت فقال موسى: يا بني إسرائيل إن الله بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون فمن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا ولم يبق مع قارون إلا رجلان ثم قال لقارون: يا عدو الله تبعث إليّ امرأة تريد فضيحتي على رؤوس بني إسرائيل يا أرض خذيهم فأخذتهم الأرض إلى الكعبين فأخذوا في التضرع وطلب الأمان ولم يلتفت موسى إليهم ثم قال: خذيهم فأخذتهم إلى الركب ثم إلى الأوساط ثم إلى الأعناق فلم يبق على وجه الأرض منهم شيء إلا رؤوسهم وناشده قارون الله والرحم فلم يلتفت موسى لشدة غضبه ثم قال: يا أرض خذيهم فانطبقت عليهم الأرض:

آنراكه زمين كشد چون قارون ... ني موسيش آورد برون ني هارون
فاسد شده را زروز كار وارون ... لا يمكن أن يصلحه العطارون

قال الله تعالى: يا موسى استغاث بك فلم تغثه فوعزتي وجلالي لو استغاث بي لأغثته قال: يا رب غضباً لك فعلت.

قال قتادة: خسف به فهو يتجلجل في الأرض كل يوم قامة رجل لا يبلغ قعرها إلى يوم القيامة.

صاحب لباب [فوموده هرروز قارون بمقدار قامت خود بزمين ميرود] وعند نفخ الصور بأرض سفلى [خواهد رسيد].

وفي «كشف الأسرار»: [در قصه آورده اندكه هرروز يك قامت خويش بزمين فروميشدتا آنروز كه يونس در شكم ما هي در قعر بحر بدورسيد قارون از حال موسى پرسيد چنانكه خويشانرا پرسند] فأوحى الله تعالى إلى الأرض لا تزيدي في خسفه بحرمة أنه سأل عن ابن عمه ووصل به رحمه. ولما خسف به قال سفهاء بني إسرائيل إن موسى إنما دعا على قارون ليستقل

بداره وكنوزه وأمتعته ويتصرف فيها فدعا موسى فخسف بجميع أمواله وداره. قال الحافظ:

كنج قارون كه فرو ميرود از قهر هنوز
خوانده باشي كه هم از غيرت درويشانست

وقال:

أحوال كنج قارون كأيام داد برباد باغنچه باز كويد تا زرنهان ندارد

وقال:

توانكرا دل درويش خود بدست آور كه مخزون زر وكنج درم نخواهد ماند

قال بعضهم: إن قارون نسي الفضل وادعى لنفسه فضلاً فخسف الله به الأرض ظاهراً وكم خسف بالأسرار وصاحبها لا يشعر بذلك وخسف الأسرار هو منع العصمة والرد على الحول والقوة وإطلاق اللسان بالدعاوى الفرضية والعمى عن رؤية الفضل والقعود عن القيام بالشكر على ما أولى وأعطى وحينئذ يكون وقت الزوال. وخرج قارون على قومه بالزينة. فهلك وهكذا حال من يخرج على أولياء الله بالدعاوى الباطلة والكبر والرياسة لا محالة يسقطون من عيونهم وقلوبهم بعد سقوطهم من نظر الحق وتنخسف أنوار إيمانهم في قلوبهم فلا يرى آثارها بعد ذلك نعوذ بالله سبحانه. ﴿فما كان له﴾ أي: لقارون ﴿من فئة﴾ جماعة.

قال الراغب: الفئة الجماعة المتظاهرة التي يرجع بعضهم إلى بعض في التعاضد انتهى من فاء، أي رجع. ﴿ينصرونه﴾ بدفع العذاب عنه وهو الخسف. ﴿من دون الله﴾ أي: حال كونهم متجاوزين نصرة الله تعالى ﴿وما كان من المنتصرين﴾ أي من الممتنعين عنه بوجه من الوجوه يقال نصره من عدوه فانتصر أي منعه فامتنع.

﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

﴿وأصبح﴾ أي: صار ﴿الذين تمنوا﴾ التمني تقدير شيء في النفس وتصويره فيها وأكثره تصور ما لا حقيقة له والأمنية الصورة الحاصلة في النفس من تمنى الشيء. ﴿مكانه﴾ أي: منزلته وجاهه ﴿بالأمس﴾ أي: بالوقت القريب منه فإنه يذكر الأمس ولا يراد به اليوم الذي قبل يومك ولكن الوقت المستقرب على طريق الاستعارة. ﴿يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر﴾ أي: يضيق يقال: قدر على عياله بالتخفيف مثل قتر ضيق عليهم بالنفقة أي يفعل كل واحد من البسط والقدر أي التضييق بمحض مشيئته وحكمته لا لكرامة توجب البسط ولا لهوان يوجب القبض. وويكأن عند البصريين مركب من وي للتعجب [چنانست كه كسى از روى ترحم وتعجب باديكري كويد «وي لم فعلت ذلك» وي اين چيست كه توكردي] كما قال الراغب: وي كلمة تذكر للتحسر والتندم والتعجب تقول: وي لعبد الله انتهى وكأن للتشبيه. والمعنى ما أشبه الأمر إن الله يبسط الخ وعند الكوفين من ويك بمعنى ويلك وإن واعلم مضمر وتقديره ويك اعلم أن الله الخ. وبالفارسية [واي برتوبداي خداي تعالى الخ] وإنما استعمل عند التنبيه على الخطأ والتندم. والمعنى أنهم قد تنبهوا على خطئهم في تمنيهم وتندموا على ذلك. ﴿لولا أن من الله﴾ أنعم ﴿علينا﴾ فلم يعطنا ما تمنينا. وبالفارسية [اكر آن نبودي كه خداي تعالى منت نهادي برما ونداد بما آنچه تمناي ما بودازدنيا] ﴿لخسف بنا﴾ [مارا

بزمين فروبرديد] كما خسف به لتوليد الاستغناء فينا مثل ما ولده فيه من الكبر والبغي ونحوهما من أسباب العذاب والهلاك ﴿ويكأنه لا يفلح الكافرون﴾ لنعمة الله أي لا ينجون من عذابه أو المكذبون برسله وبما وعدوا به من ثواب الآخرة.

قال في «كشف الأسرار»: حب الدنيا حمل قارون على جمعها وجمعها حمله على البغي عليهم وصارت كثرة ماله سبب هلاكه وفي الخبر: «حب الدنيا رأس كل خطيئة» [دوستي دنيا سر همه كناهها هست ومايهٔ هر فتنه وبيخ هرفساد. وهركه ازخداي بازماند بمهر ودوستي دنيا بازماند دنيا پلي كذشتني وبساطي در نوشتني ومرتع لافكاه مدعيان ومجمع باركاه بي خطران سرمايهٔ بي دولتان ومصطبهٔ بدبختان معشوقهٔ ناكسان وقبلهٔ خسيسان دوست بي وفا ودايهٔ بي مهر جمالي بانقاب دارد ورفتاري ناصواب وچون تودوست زير خاك صدهزاران هزار دارد برطارم طرازي نشسته واز شبكه بيرون مي نكرد وباتو ميكويد من چون توهزار عاشق از غم كسستم نالود بخون هيچكس انكشتم مصطفى عليه السلام كفت] «ما من أحد يصيب في الدنيا إلا وهو بمنزلة الضيف وماله في يده عارية فالضيف منطلق والعارية مردودة» وفي رواية أخرى «إن مثلكم في الدنيا كمثل الضيف وإن ما في أيديكم عارية» [ميكويد مثل شمادرين دنياي غدار مثل مهماني است كه بمهمان خانه فرو آيدهر آينه مهمان رفتني بود نه بودني هم چومرد كارواني كه بمنزل فرو آيد لا بد از آنجارخت بردارد درتمنا كندكه آنجابيستد سخت نادان وبي سامان بودكه آن نه بمقصود رسد ونه بخانه باز آيد جهد آن كن اي جوانمردكه پل بلوى بسلامت باز كذاري وآنرا دار القرار خود نساني ودل دروبندي تا برتو شيطان ظفر نيابد صد شير كرسنه دركلهٔ كوسفند چندان زيان بكندكه شيطان باتوكند] ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦] وصد شيطان آن نكندكه نفس أمارة باتوكند «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك» [يكي تأمل كن دركار قارون بدبخت نفس وشيطان هردودست درهم دادند تا اورا زدين بر آوردند ازانكه آبش از سر چشمهٔ خود تاريك بود بكچند اورا باعمل عاريتي دادند لؤلؤ شاهوار همي نمود چون حكم ازلي وسابقهٔ أصلي در رسيد خود شبه قير رنك بود زبان حالش همي كويد].

من پندارم كه هستم اندر كاري اي برسر بندار چون من بسياري
اكنون كه نماند باقوم بازاري در ديدهٔ پنداشت زدم مسماري

واعلم أن تمني الدنيا مذموم إلا ما كان لغرض صحيح وهو صرفها إلى وجوه البر كالصدقة ونحوها.

وعن كبشة الأنماري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ثلاث أقسم عليهن وأحدثكم حديثاً فاحفظوه. فأما التي أقسم عليهن فإنه ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله به عزاً ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله باب فقر. وأما الذي أحدثكم فاحفظوه» فقال: «إنما الدنيا لأربعة نفر عبد رزقه الله علماً ومالاً فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعمل لله فيه بحقه فهذا بأفضل المنازل وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان فهو بنيته وأجرهما سواء وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً فهو لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعمل لله فيه بحقه وعبد لم يرزقه الله علماً ولا مالاً فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته ووزرهما سواء» كما في «المصابيح».

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿تلك الدار الآخرة﴾ إشارة تعظيم كأنه قيل: تلك الجنة التي سمعت خبرها وبلغك وصفها والدار صفة والخبر قوله: ﴿نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض﴾ أي ارتفاعاً وغلبة وتسلطاً كما أراد فرعون حيث قال تعالى في أول السورة: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ٨٣] ﴿ولا فساداً﴾ أي ظلماً وعدواناً على الناس كما أراد قارون حيث قال تعالى في حقه على لسان الناصح. ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ٧٧] وفي تعليق الوعد بترك إرادتهما لا بترك أنفسهما مزيد تحذير منهما. ﴿والعاقبة﴾ الحميدة. وبالفارسية [سر انجام نيكو] ﴿للمتقين﴾ أي: للذين يتقون العلو والفساد وما لا يرضاه الله من الأقوال والأفعال. وعن علي رضي الله عنه أن الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها يعني أن من تكبر بلباس يعجبه فهو ممن يريد علواً في الأرض.

وعن علي رضي الله عنه أنه كان يمشي في الأسواق وحده وهو والٍ يرشد الضال ويعين الضعيف ويمر بالبياع والبقال فيفتح عليه القرآن ويقرأ: ﴿تلك الدار﴾ الخ ويقول: نزلت هذه الآية في أهل العدل والتواضع من الولاة وأهل المقدرة من سائر الناس.

وعن عمر بن عبد العزيز كان يردد هذه الآية حتى قبض وكان عليه السلام يحلب الشاة ويركب الحمار ويجيب دعوة المملوك ويجالس الفقراء والمساكين.

قال بعض الكبار: احذر أن تريد في الأرض علواً أو فساداً والزم الذل والانكسار والخمول فإن أعلى الله كلمتك فما أعلاها إلا الحق وذلك أن يرزقك الرفعة في قلوب الخلق وإيضاح ذلك أن الله ما أنشأك إلا من الأرض فلا ينبغي لك أن تعلو على أمك واحذر أن تتزهد أو تتعبد أو تتكرم وفي نفسك استجلاب ذلك لكونه يرفعك على أقرانك فإن ذلك من إرادة العلو في الأرض وما استكبر مخلوق على آخر إلا لحجابه عن معية مع الحق ذلك المخلوق الآخر ولو شهدها لذلك وخضع.

قال في «كشف الأسرار»: [فردا درسراي عزت ساكنان مقعد صدق ومقربان حضرت جبروت قومي باشندكه در دنيا برتري ومهتري نجويند وخودرا ازهمه كس كهتر وكمتردانند وبچشم پسند هركز درخود ننكرد چنانكه آن جوانمرد طريقت كفت كه از موقف عرفات بازكشته بود أورا كفتند] كيف رأيت أهل الموقف قال: رأيت قوماً لولا أني كنت فيهم لرجوت أن يغفر الله لهم. قال الشيخ سعدي:

بزركي كه خودرا ز خرادن شمرد بدنيي وعقبى پزركي ببرد
تو آنكه شوي پيش مردم عزيز كه مر خويشتن را نكيري بچيز

[يكي از بزركان دين إبليس را ديد كفت مارا پندي ده كفت مكو من تانشوي چون من شيخ حيف كفت مني بيفكندن درشريعت زندقه است ومنى اثبات كردن درحقيقت شرك است جون در مقام شريعت باشي همي كوي كه اوخود همه از وشريعت تعاليست وحقيقت أحوال أقوام أفعال بتو ونظام أحوال باأو].

قال بعضهم: العلو النظر إلى النفس والفساد النظر إلى الدنيا والدنيا خمر إبليس من شرب منها شربة لا يفيق إلا يوم القيامة ويقال: العلو الخطرات في القلب والفساد في الأعضاء

فمن كان في قلبه حب الرياسة والجاه وحظوظ النفس وفي أعماله الرياء والسمعة فهو لا يصل إلى مقام القرب وكذا من كان في قلبه سوء العقيدة وفي جوارحه عبادة غير الله والدعوة إليها وأخذ الأموال وكسر الأعراض واستحلال المعاصي فهو لا يصل إلى الجنة أيضاً وهو قرين الشيطان والشياطين في النار مع قرنائهم.

واعلم أن العلو في أرض البشرية علو الفراعنة والجبابرة والأكاسرة والعلو في أرض الروحانية علو الأبالسة وبعض الأرواح الملكية مثل هاروت وماروت وكلاهما مذموم وكذا الفساد النظر إلى غير الله فالله تعالى لا يجعل مملكة عالم الغيب والملكوت إلا في تصرف من خلص من طلب العلو والنظر إلى الغير بنظر المحبة وسلم التصرف كله إلى المالك الحقيقي وخرج من البين.

هرچه خواخي بكن كه ملك تراست

جعلنا الله وإياكم من الآخذين بذيل حقيقة التقوى وعصمنا من الاعتراض والانقباض والدعوى.

﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٌ مِّنۡهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾.

﴿من جاء بالحسنة﴾ [هركجا بيارد خصلت نيكو در روز قيامت] **﴿فله﴾** بمقابلتها **﴿خير منها﴾** ذاتاً ووصفاً وقدراً أما الخيرية ذاتاً فظاهرة في أجزية الأعمال البدنية لأنها أعراض وأجزيتها جواهر وكذا في المالية إذ لا مناسبة بين زخارف الدنيا ونفائس الآخرة في الحقيقة وأما وصفاً فلأنها أبقى وأنقى من الآلام والأكدار وأما قدراً فللمقابلة بعشر أمثالها لا أقل يعني أنه يجازي بالحسنة الواحدة عشراً فيكون الواحد ثواباً مستحقاً والتسعة تفضلاً وجوداً والتسعة خير من الواحد من ذلك الجنس.

وقال بعضهم: الحسنة المعرفة وما هو خير منها هو الرؤية. أو الإعراض عما سوى الله وما هو خير منه هو مواهب الحق تعالى لأن الإعراض مضاف إلى الفاني ومتعلق بالمخلوق والمواهب مضافة إلى الباقي ومتعلقة بالقديم. **﴿ومن جاء بالسيئة﴾** كالشرك والرياء والجهل ونحوها **﴿فلا يجزى الذين عملوا السيئات﴾** وضع فيه الظاهر موضع الضمير لتهجين حالهم بتكرير إسناد السيئة إليهم وفائدة هذه الصورة انزجار العقلاء عن ارتكاب السيئات.

هرچه در شرع وعقل بد باشد نكند هركه باخرد باشد

﴿إلا ما كانوا يعملون﴾ إلا مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل وأقيم مقامه ما كانوا يعملون مبالغة في المماثلة أخبر تعالى أن السيئة لا يضاعف جزاؤها فضلاً منه ورحمة ولكن يجزي عليها عدلاً فليجتنب العبد عما نهت عنه الفتوى والتقوى إذ لكل نوع من السيئة نوع من الجزاء عاجلاً وآجلاً. وفي «المثنوي»:

هرچه برتو آيد از ظلمات وغم آن زبى شرمى وكستاخيست هم

حكي: عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله: أنه كان بمكة فاشترى من رجل تمراً فإذا هو بتمرتين في الأرض بين رجليه ظن أنهما من الذي اشتراه فرفعهما وأكلهما وخرج إلى بيت المقدس وفيه قبة تسمى الصخرة فدخلها وسكن فيها يوماً وكان الرسم أن يخرج منها من كان

فيها لتخلو للملائكة فأخرج بعد العصر من كان فيها فانحجب إبراهيم ولم يروه فبقي الليلة فيها ودخل الملائكة فقالوا: ههنا حس آدمي وريحه قال واحد منهم: هو إبراهيم بن أدهم زاهد خراسان وقال آخر: الذي يصعد منه كل يوم إلى السماء عمل متقبل قال: نعم غير أن طاعتة موقوفة منذ سنة ولم تستجب دعوته منذ سنة لمكان التمرتين عليه قال: ثم نزلت الملائكة واشتغلوا بالعبادة حتى طلع الفجر ورجع الخادم وفتح القبة وخرج إبراهيم وتوجه إلى مكة وجاء إلى باب ذلك الحانوت فإذا هو بفتى يبيع التمر فسلم عليه وقال: كان ههنا شيخ في العام الأول فأخبره أنه كان والدي فارق الدنيا فقص إبراهيم قصة التمرتين فقال الفتى: جعلتك في حل من نصيبي وأنت أعلم في نصيب أختي ووالدتي؟ قال: فأين أختك ووالدتك قال: هما في الدار فجاء إبراهيم إلى الباب وقرعه فخرجت عجوز متكئة على عصاها فسلم إبراهيم عليها وأخبرها القصة قالت: جعلتك في حل من نصيبي وكذا ابنتها فخرج إبراهيم وتوجه إلى بيت المقدس ودخل القبة فدخلت الملائكة وقالوا: هو إبراهيم وكان لا تستجاب دعوته منذ سنة غير أنه أسقط ما عليه من التمرتين فقبل الله ما كان موقوفاً من طاعته واستجاب دعوته وأعاده إلى درجته فبكى إبراهيم فرحاً وكان بعد ذلك لا يفطر إلا في كل سبعة أيام بطعام يعلم أنه حلال.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن جزاء السيئات على حسب ما يعملون من السيئات فإن كانت السيئة الشرك بالله فجزاؤه النار إلى الأبد وإن كانت المعاصي فجزاؤها العذاب بقدر المعاصي صغيرها وكبيرها وإن كانت حب الدنيا وشهواتها فجزاؤه الحرمان من نعيم الآخرة بحسبها وإن كانت طلب الجاه والرياسة والسلطنة الدنيوية فجزاؤه الذلة والصغار ونيل الدركات وإن كانت طلب نعيم الآخرة ورفعة الدرجات فجزاؤه الحرمان من الكمالات وكشف شواهد الحق تعالى وإن كانت التلذذ بفوائد العلوم واستحلاء المعاني المعقولة فجزاؤه الحرمان من كشوف العلوم والمعارف الربانية وإن كانت ببقاء الوجود فجزاؤه الحرمان من الفناء في الله والبقاء بالله بتجلي صفات الجمال والجلال انتهى كلامه قدس سره.

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾

﴿إن الذي﴾ أي: إن الله الذي **﴿فرض عليك القرآن﴾** أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل به. **﴿لرادك﴾** أي: بعد الموت والرد الصرف والإرجاع **﴿إلى معاد﴾** أي: مرجع عظيم يغبطك به الأولون والآخرون وهو المقام المحمود الموعود ثواباً على إحسانك في العمل وتحمل هذه المشقات التي لا تحملها الجبال.

وقال الإمام الراغب في «المفردات»: الصحيح ما أشار به أمير المؤمنين وذكره ابن عباس رضي الله عنهما: أن ذلك الجنة التي خلقه الله تعالى فيها بالقوة في ظهر آدم وأظهره منه يقال: عاد فلان إلى كذا وإن لم يكن فيه سابقاً.

وأكثر أهل التفسير على أن المراد بالمعاد مكة تقول العرب رد فلان إلى معاده يعني إلى بلده لأنه يتصرف في الأرض ثم يعود إلى بلده والآية نزلت بالجحفة بتقديم الجيم المضمومة على الحاء الساكنة موضع بين مكة والمدينة وهو ميقات أهل الشام وعليه المولى الفناري في «تفسير الفاتحة». والمعنى لراجعك إلى مكان هو لعظمته أهل لأن يقصد العود إليه كل من

خرج منه وهو مكة المشرفة وطنك الدنيوي. وروي: أنه لما خرج رسول الله ﷺ من الغار مهاجراً إلى المدينة ومعه أبو بكر رضي الله عنه عدل عن الطريق مخافة الطلب فلما أمن رجع إلى الطريق ونزل الجحفة وكانت قرية جامعة على اثنين وثمانين ميلاً من مكة وكانت تسمى مهيعة فنزلها بنو عبيد وهم إخوة عاد وكان أخرجهم العماليق من يثرب فجاءهم سيل فأجحفهم، أي ذهب بهم فسميت جحفة فلما نزل اشتاق إلى مكة لأنها مولده وموطنه ومولد آبائه وبها عشيرته وحرم إبراهيم عليه السلام.

مشتاب ساريان كه مرا پاي دركلست   بيروت شدن زمنزل أصحاب مشكلست
چون عاقبت زصحبت ياران بريدنست   پيوند باكسي نكند هركه عاقلست

وقال:

فتنها دارانجمن پيداشود از شورمن   چون مرادر خاطر آيد مسكن ومأواي دوست

فنزل جبريل عليه السلام فقال له: أتشتاق إلى مكة قال: نعم.

ممكن نشد شرح دهم اشتياق را

فأوحاها أي الآية إليه وبشره بالغلبة والظهور أي لرادك إلى مكة ظاهراً من غير خوف فلا تظن أنه يسلك به سبيل أبويك إبراهيم في هجرته من حران بلد الكفر إلى الأرض المقدسة فلم يعد إليها وإسماعيل من الأرض المقدسة إلى أقدس منها فلم يعد إليها. قال الحافظ:

سروش عالم غيبم بشارتي خوش داد   كه كس هميشه بكيتي دژم نخواهد ماند

قال ابن عطاء رحمه الله: إن الذي يسر عليك القرآن قادر على أن يردك إلى وطنك الذي ظهرت منه حتى تشاهد سرك على دوام أوقاتك كما قال في «تأويلات الكاشفي»: [معاد فنا في الله است دراحديت ذات وبقا بالله درمقام تحقق بجميع صفات وبرسالك متبصر انيجا سر منه بدا وإليه يعود روشن ميكردد.

چون اوزبد اين وآنرا ابتدا   هم بدو بايدكه باشد انتها
نورها يي راكه كرداز حق طلوع   جمله راهم سوى أو باشدر جوع

ثم قرر الوعد السابق فقال: ﴿قل ربي أعلم﴾ يعلم ﴿من جاء بالهدى﴾ وما يستحقه من الثواب في المعاد والنصرة في الدنيا ﴿ومن هو في ضلال مبين﴾ يريد به المشركين.

ودلت الآية على أن الله تعالى يفتح على المهتدي ويقهر الضال ولكل عسر يسر فسوف يراه من يصبر فلا ينبغي للعاقل أن ييأس من روح الله. روي: أن رجلاً ركب البحر فانكسرت السفينة فوقع في جزيرة فمكث ثلاثة أيام لا يرى أحداً ولم يذق شيئاً فتمثل بقوله:

إذا شاب الغراب أتيت أهلي   وصار القير كاللبن الحليب
وصار البر مسكن كل حوت   وصار البحر مرتع كل ذيب

فسمع هاتفاً يهتف:

عسى الكرب الذي أمسيت فيه   يكون وراءه فرج قريب
فيأمن خائف ويفك عان   ويأتي أهله الرجل الغريب

قال: فما لبث ساعة إلا فرج الله عنه.

وفي تفسير الآية إشارة إلى أن حب الوطن من الإيمان وكان عليه السلام يقول كثيراً الوطن الوطن فحقق الله سؤله يقال: الإبل تحن إلى أوطانها وإن كان عهدها بعيداً والطير إلى

وكره وإن كان موضعه مجدباً والإنسان إلى وطنه وإن كان غيره أكثر له نفعاً وقدم أصيل الغفاري على رسول الله ﷺ قبل أن يضرب الحجاب فقالت له عائشة رضي الله عنها: كيف تركت مكة؟ قال: اخضر نباتها ابيض بطحاؤها وأغدق إذخرها وات سملها فقال عليه السلام: «حسبك يا أصيل لا تحزني» قال عمر رضي الله عنه: لولا حب الوطن لخرب بلد السوء فبحب الأوطان عمرت البلدان.

واعلم أن الميل إلى الأوطان وإن كان لا ينقطع عن الجنان لكن يلزم للمرء أن يختار من البقاع أحسنها ديناً حتى يتعاون بالإخوان.

قيل لعيسى عليه السلام من نجالس يا روح الله قال: من يزيد في علمكم منطقه ويذكركم الله رؤيته ويرغبكم في الآخرة عمله. قال الشيخ سعدي قدس سره:

سعد يا حب وطن كرچه حديث است صحيح نتوان مرد بسختي كه من اينجا زادم

وقال الحافظ:

ديار يار مرد مرا مقيد ميكند ورنه
چه جاي فارس كين محنت جهان بكسر نمي ازرد

والعاقل يختار الفراق عن الأحباب والأوطاق ولا يجترىء على الفراق عن الملك الديان:

لكل شيء إذا فارقته عوض وليس لله إن فارقت من عوض

فاقطع الألفة عما سوى الله اختياراً قبل الانقطاع اضطراراً:

الفت مكير همچو ألف هيچ باكسى تابستهٔ الم نشوى وقت انقطاع

ذو النون مصري قدس سره: [ميكويد روزي دراثناي سفركه شهري رسيدم خواستم كه دراندرون شهر روم بردران شهر كوشكي ديدم وجوبي روان بنزيدك جوى رفتم وطهارت كردم چون چشم بربام كوشك افتاد كنيزكي را ديدم ايستاده درغايت حسن وجمال چون نظر أو بمن افتاد كفت أي ذو النون من ترا ازدور ديدم پنداشتم كه مجنوني وچون طهارت كردي تصور كردم عالمي وچون از طهارت فارغ شدي وپيش آمدي پنداشتم عارفي أكنون محقق شدم نه مجنوني نه عالمي ونه عارفي كفتم چرا كفت أكر ديوانه بودي طهارت نكردي واكر عالم بودي نظر بخانهٔ بيكانه ونا محرم نكردي واكر عارف بودي دل تو بما سوى الله مايل نبودي]كذا في جليس الخلوة وأنيس الوحدة.

﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾﴾.

﴿**وما كنت**﴾ يا محمد ﴿**ترجو أن يلقى إليك الكتاب**﴾ أي يرسل وينزل كما تقول العجم خبر [بمن افكند] كما في «كشف الأسرار» والمعنى سيردك أي معادك كما ألقى إليك القرآن وما كنت ترجوه فهو تقرير للوعد السابق أيضاً ﴿**إلا رحمة من ربك**﴾ ولكن ألقاه إليك رحمة منه فاعمل به فالاستثناء منقطع.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب**﴾ القرآن إلقاء الإكسير

على النحاس لتعديل جوهر نحاس أنانيتك بإبرز هويته ما كان ذلك ﴿إلا رحمة من ربك﴾ اختصك بهذه الرحمة عن جميع الأنبياء لأن كتبهم أنزلت في الألواح والصحف على صورتهم وكتابك نزل به الروح الأمين على قلبك إلقاء كإلقاء الإكسير ﴿فلا تكونن ظهيراً﴾ [پشت ويار] ﴿للكافرين﴾ على ما كانوا عليه بل كن ظهيراً ومعيناً للمؤمنين.

﴿ولا يصدنك﴾ أي لا يصرفنك ويمنعنك الكافرون ﴿عن آيات الله﴾ أي عن قراءتها والعمل بها ﴿بعد إذ أنزلت﴾ تلك الآيات القرآنية ﴿إليك﴾ وقرئت عليك وذلك حين دعوه عليه السلام إلى دين آبائهم وتعظيم أوثانهم والموافقة إلى أباطيلهم. ﴿وادع﴾ الناس ﴿إلى ربك﴾ إلى عبادته وتوحيده ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ بمساعدتهم في الأمور.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ في الدعوة بأن تدعو طلاب الحق وعشاقه إلى الجنة والنعيم فادعهم إلى ربهم خالصاً عن شرك الجنة.

وفي «فتح الرحمن» وجميع الآية يتضمن المهادنة والموادعة وهذا كله منسوخ بآية السيف انتهى.

﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿ولا تدع مع الله إلٰهاً آخر﴾: قال الكاشفي: [مخاطب درين آيات حضرت پيغمبراست ومرادامت اند وفائدهٔ خاب بآن حضرت قطع طمع مشركانست از موافقت وي باايشان] وفيه إظهار أن المنهي عنه في القبح بحيث ينهي عنه من لا يمكن صدوره عنه أصلاً. ﴿لا إله إلا هو﴾ وحده. ﴿كل شيء﴾ من الإنسان والحيوان والجن والشيطان والملك والحور عين والجنة والنار والعرش والكرسي ونحوها. ﴿هالك﴾ الهلاك هنا بطلان الشيء من العالم وعدمه رأساً أي فانٍ وباطل ومعدوم ولو لحظة. ﴿إلا وجهه﴾ إلا ذاته تعالى فإنه واجب الوجود وكل ما عداه ممكن في حد ذاته عرضة للهلاك والعدم والوجه يعبر به عن الذات.

وقال أبو العالية: كل شيء فانٍ إلا ما أريد به وجهه من الأعمال وفي الأثر: «يجاء بالدنيا يوم القيامة فيقال: ميزوا ما كان منها لله فيميز ما كان منها لله ثم يؤمر بسائرها فيلقى في النار».

وقال بعض أكابر العارفين: الضمير راجع إلى الشيء والمعنى كل شيء فانٍ في حد ذاته إلا وجهه الذي يلي جهته تعالى وذلك لأن الممكن له وجود ماهية عارضة على وجوده فماهيته أمر اعتباري معدوم في الخارج لا يقبل الوجود فيه من حيث هو هو ووجوده موجود لا يقبل العدم من حيث هو هو كما قال بعضهم: الأعيان من حيث تعيناتها العدمية وهي الإمكان والحدوث راجعة إلى العدم وإن كانت باعتبار الحقيقة والتعينات الوجودية عين الوجود فإذا قرع سمعك من كلام العارفين أن عين المخلوق عدم والوجود كله لله فتلق بالقبول فإنه يقول ذلك من هذه الجهة قال المغربي:

غير تونيست أماهستي همي نمايد   چون پيش چشم تشنه درباديه سرابي

وقال المولى الجامي:

شهود ياردر اغيار مشرب جاميست   كدام غيركه لا شيء في الوجود سواه

﴿له الحكم﴾ أي: القضاء النافذ في الخلق ﴿وإليه﴾ لا إلى غيره تعالى ﴿ترجعون﴾

تردون عند البعث للجزاء بالحق والعدل فمن كان رجوعه بالاضطرار وجد الجبار القهار فوفاه حسابه ومن كان رجوعه بالاختيار وجد العفو الغفار فأفرغ عليه ثوابه وذلك بالفناء قبل الفناء بإزالة حجاب التعين وإذابة أنانيات الوجود.

قال الشيخ سعدي:

اي بـرادر چـو عـاقـبـت خـاكـسـت　　خـاك شـوپـيـش ازانـكـه خـاك شـوى

[در شرح عوارف مذكور است كه نكفت نهلك تامعلوم شودكه وجود همه اشيادر وجود أو امروز هالك است وحوالهٔ مشاهدهٔ اين حال بفردا درحق محجوبانست] ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ [المعارج: ٦ـ٧]:

بـاوجـودتـو زمـن راسـت نـيـايـدكـه مـنـم

قال الشيخ أبو الحسن البكري قدس سره: استغفر الله مما سوى الله أي لأن الباطل يستغفر من إثبات وجوده لذاته والعارف لا ينظر إلى الوجود الموهوم فيفنيه بحقائق التوحيد ويتحقق بسر الوحدة الذاتية والهوية الإلٰهية.

قال في «كشف الأسرار»: [هو يك حرفست فرد إشارت فرا خداوند فردنه مست ونه صفت أما إشارتست فراخداوندي كه اورا نامست وصفت وآن يك حرف هاست واوقرار كاه نفس است نه بيني كه چون تثنيه كني هما كويي نه هو ما تابداني كه آن خوديك حرفست تنها دليل برخداوند يكتا همهٔ أسامى وصفات كه كويي از سرزبان كويي مكر هوكه آن ازميان جان برآيد از صميم سينه وقعر دل رود زبان ولب را باوي كاري نيست مردان راه دين وخداوندان عين اليقين كه دلهاء صافي دارند وهمتهاء عالي وسينهاء خالي چون از قعر سينهٔ نبود خود حقيقت هويت بروي مكشوف إيشان اين كلمه سربرزند مقصودومفهوم ايشان جز حق جل جلاله نبود تاچنين جوانمردي نكدد آن عزيزي كه درراهي ميرفت درويشي پيش وي باز آمد وكفت از كجا مي آيي كفت هو كفت كجاميروي كفت هو كفت مقصودت چيست كفت هو از هرچه سؤال ميكردي مي كفت هو اين چنانست كه كفته اند].

از بـس كـه دويـده درخـيـالـت دارم　　درهـرچـه نـكـه كـنـم تـويـي پـنـدارم

فلا معبود إلا هو كما للعابدين ولا مقصود إلا هو كما للعاشقين ولا موجود إلا هو كما للمكاشفين الواجدين.

تمت سورة القصص بعون الله تعالى

في أواخر شهر ربيع الأول من سنة تسع ومائة وألف.

٢٩ ـ تفسير سورة العنكبوت

تسع وستون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢﴾.

﴿الم﴾ قال الكاشفي: [حروف مقطعة جهت تعجيز خلق است تاداننده كسى را بحقائق اين كتاب راه نيست وعقل هيچ كامل از كنه معرفت اين كلام آكاه ني.

خـــرد عـــاجـــز وفـــهـــم دروي كـــم اســـت

در حروف أول اين سورة كفته اند ألف اشارتست باسم الله ولام بلطيف وميم بمجيد ميفرمايدكه الله منم روى بطاعت من آر لطيف منم إخلاص در عبادت فرومكذار مجيد منم بزركي ديكران مسلم مدار].

يقول الفقير: من لطفه الابتلاء لأنه لتخليص الجوهر من الكدورات الكونية وتصفية الباطن من العلائق الإمكانية. ومن مجده وعظمته خضع له كل شيء فلا يقدر أن يخرج عن دائرة التسخير ويمتنع عن قبول الابتلاء. وفي الألف إشارة أخرى وهي استغناؤه عن كل شيء واحتياج كل شيء إليه كاستغناء الألف عن الاتصال بالحروف واحتياج الحروف إلى الاتصال به.

﴿أحسب الناس﴾ الحسبان بالكسر الظن كما في «القاموس».

وقال في «المفردات»: الحسبان هو أن يحكم لأحد النقيضين أحدهما على الآخر.

نزلت في قوم من المؤمنين كانوا بمكة وكان الكفار من قريش يؤذونهم ويعذبونهم على الإسلام فكانت صدورهم تضيق لذلك ويجزعون فتداركهم الله بالتسلية بهذه الآية.

قال ابن عطية: وهذه الآية وإن كانت نزلت بهذا السبب في هذه الجماعة فهي في معناها باقية في أمة محمد موجود حكمها بقية الدهر والمعنى بالفارسية: [آيا پنداشتند مردمان يعني اين ظن منكر ومستبعداست] ﴿أن يتركوا﴾ أي يهملوا سادّ مسدّ مفعولي حسب لاشتماله على مسند ومسند إليه ﴿أن﴾ أي لأن ﴿يقولوا آمنا وهم﴾ أي والحال أنهم ﴿لا يفتنون﴾ لا يمتحنون في دعواهم بما يظهرها ويثبتها أي أظنوا أنفسهم متروكين بلا فتنة وامتحان بمجرد أن يقولوا آمنا بالله يعني أن الله يمتحنهم بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات ووظائف الطاعات وأنواع المصائب في الأنفس والأموال ليتميز المخلص من المنافق والراسخ في الدين من المضطرب فيه ولينالوا بالصبر عليه عوالي الدرجات فإن مجرد الإيمان وإن كان عن خلوص لا يقتضي غير الخلاص من الخلود في العذاب.

عاشقانرا درد دل بسيارمي بايدكشيد　　جوريان وطعنهٔ أغيار مي بايدكشيد

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿أحسب الناس﴾ يعني: الناسين من أهل الغفلة والبطالة ﴿أن يتركوا أن يقولوا آمنا﴾ بالتقليد والجهالة بمجرد الدعوى دون المطالبة بالبلوى. ﴿وهم لا يفتنون﴾ بأنواع البلاء لتخليص إبريز الولاء فإن البلاء للولاء كاللهب للذهب وإن المحبة والمحنة توأمان فلا مميز بينهما إلا نقطة الباء وبه يشير إلى أن أهل المحبة إذا أوقعوا أنفسهم كنقة الباء تحتها تواضعاً لله رفعهم الله كالنقطة فوق النون ومن تكبر وطلب الرفعة والعلو في الدنيا كالنقطة فوق النون وضعه الله بالذلة كالنقطة تحت الباء. وقيل: عند الامتحان يكرم الرجل أو يهان فمن زاد قدر معناه زاد قدر بلواه كما قال عليه السلام: «يبتلى الرجل على حسب دينه» وقال: «البلاء موكل بالأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل» فالعافية لمن لا يعرف قدرها كالداء والبلاء لمن يعرف قدره كالدواء فالبلاء على النفوس لإخراجها من أوطان الكسل وتصريفها في أحسن العمل والبلاء على القلوب لتصفيتها من شين الرين لقبول نقوش الغيوب والبلاء على الأرواح لتجردها بالبوائق عن العلائق والبلاء على الأسرار في اعتكافها في شاهد الكشف بالصبر على آثار التجلي إلى أن يصير مستهلكاً فيه باقياً به وإن أشد الفتن حفظ وجود التوحيد لئلا يجري عليه مكر في أوقات غلبات شواهد الحق فيظن أنه هو الحق ولا يدري أنه من الحق ولا يقال إنه الحق وعزيز من يهتدي إلى ذلك انتهى.

قال ابن عطاء: ظن الخلق أنهم يتركون مع دعاوى المحبة ولا يطالبون بحقائقها وحقائق المحبة هي صب البلاء على المحب وتلذذه بالبلاء فبلاء يلحق جسده وبلاء يلحق قلبه وبلاء يلحق سره وبلاء يلحق روحه وبلاء النفس في الظاهر الأمراض والمحن وفي الحقيقة منعها عن القيام بخدمة القوي العزيز بعد مخاطبته إياها بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وبلاء القلب تراكم الشوق ومراعاة ما يرد عليه في الوقت بعد الوقت من ربه والمحافظة على أقواله مع الحرمة والهيبة وبلاء السر هو المقام مع من لا مقام للخلق معه والرجوع إلى من لا وصول للخلق إليه وبلاء الروح الحصول في القبضة والابتلاء بالمشاهدة وهذا ما لا طاقة لأحد فيه. وفي «البستان» في حق العشق:

دمادم شراب ألم دركشند ... وكر تلخ بينند دم دركشند
بلاي خماراست در عيش مل ... سلحدار خارست باشاه كل
نه تلخست صبري كه بريادوست ... كه تلخى شكر باشد از دست دوست
اسيرش نخواهد رهايي زبند ... شكارش نجويد خلاص ازكمند

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾﴾

﴿ولقد فتنا﴾ [وبدرستي كه ما امتحان كرديم ودر فتنه انداختيم]. ﴿الذين من قبلهم﴾ أي: من قبل الناس وهم هذه الأمة ومن قبلهم هم الأنبياء وأممهم الصالحون يعني أن ذلك سنة قديمة إلهية مبنية على الحكم والمصالح جارية في الأمم كلها فلا ينبغي أن يتوقع خلافها وقد أصابهم من ضروب الفتن والمحن ما هو أشد مما أصاب هؤلاء فصبروا كما يعرب عنه قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ [آل عمران: ١٤٦] يعني: [أين صورت درهمه أمم واقع بود ونقد دعوى هريك را برمحك بلا آزموده اند].

وفي الحديث: «كان من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار على رأسه فينفرق فرقتين ما يصرفه

ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظم ولحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه» **﴿فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾** معنى علمه تعالى وهو عالم بذلك فيما لم يزل أن يعلمه موجوداً عند وجوده كما علمه قبل وجوده أنه يوجد. والمعنى فوالله ليتعلقن علمه تعالى بالامتحان تعلقاً حالياً يتميز به الذين صدقوا في الإيمان بالله والذين هم كاذبون فيه مستمرون على الكذب ويرتب عليه أجزيتهم من الثواب والعقاب ولذلك قيل: المعنى ليميزن أو ليجازين يعني أن بعضهم فسر العلم بالتمييز والمجازاة على طريق إطلاق السبب وإرادة المسبب فإن المراد بالعلم تعلقه الحالي الذي هو سبب لهما.

قال ابن عطاء: تبين صدق العبد من كذبه في أوقات الرخاء والبلاء فمن شكر في أيام الرخاء وصبر في أيام البلاء فهو من الصادقين ومن بطر في أيام الرخاء وجزع في أيام البلاء فهو من الكاذبين.

در محبت هركه أو دعوى كند صدهزاران امتحان بروى زنند
كربود صادق كد بارجفا وبور كاذب كريزد از بلا

قيل:

آن بود دل كه وقت بيچاپيچ اندر وجز خدا نيابي هيچ

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن صدق الصادقين وكذب الكاذبين الذي عجن في تخمير طينتهم لا يظهر إلا إذا طرح في نار البلاء فإذا طرح فيها تصاعدت منها روائح الصبر وفوائح الشكر عن عود جوهر الصادقين أو بضده يصعد من الضجر وكفران النعمة وشق جوهر الكاذبين وأنهم في البلاء على ضروب منهم من يصبر في حال البلاء ويشكر في حال النعماء وهذه صفة الصادقين ومنهم من ضجر ولا يصبر في البلاء ولا يشكر في النعماء فهو من الكاذبين ومنهم من يؤثر في حال الرخاء ولا يستمتع بالعطاء ويستروح إلى البلاء فيستعذب مقاساة الضر والعناء وهذا أحد الكبراء انتهى.

واعلم أن البلاء كالملح يصلح وجود الإنسان بإذن الله تعالى كما أن الملح يصلح الطعام وإذا أحب الله عبداً جعله للبلاء غرضاً أي هدفاً وكل محنة مقدمة لراحة ولكل شدة نتيجة شريفة [آورده اندكه أمير نصر أحمد ساماني را معلمي بودكه در أيام كودكي أورا بسيار رنجانيدي وأمير نصر باخود عهد كرده بودكه چون بزرك شود وبپادشاهي رسد ازو انتقام خواهد چون بزرك شد وبپادشاهي رسيد روزي در اثناي فكر آن معلم را ياد آورد وخادمي راكفت برو أورا حاضر كردان واز باغ چوبى چندان باخودبيار خادم برفت وبإحضار أو فرمان برد ومعلم را دريافت وتاهر دوروانه شدند حاضر در راه چوب بود ببرداشت أو تحريك داد وروى بمعلم نهاد وكفت جاي خود چون بيني معلم دست در آستين كرد وبهي بيرون آورد وكفت عمر أمير درازباد اين ميوه باين لطيفي وآبداري ازان چوبست وچندين أخلاق حميدة واستعداد پادشاهي كه حاصل فرموده است ازخوردن آن چوب بوده است باقي فرمان أمير راست أمير نصر را اين سخن خوش آمد وتشريف ونواخت بسيار ارزاني فرمود].

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾﴾.

﴿أم حسب الذين يعملون السيئات﴾ أي: الكفر والمعاصي فإن العمل يعم أفعال القلوب والجوارح. ﴿أن يسبقونا﴾ أصل السبق التقدم في السير ثم تجور به في غيره من التقدم أي يفوتونا ويعجزونا فلا نقدر على مجازاتهم على مساويهم وهو سادّ مسدّ مفعولي حسب لاشتماله على مسند ومسند إليه وأم منقطعة بمعنى بل والهمزة وبل ليس لإبطال السابق لأن إنكار الحسبان الأول ليس بباطل بل للانتقال من التوبيخ بإنكار حسبانهم متروكين غير مفتونين إلى التوبيخ بإنكار ما هو أبطل من الحسبان الأول وهو حسبانهم أن يجاوزوا بسيئاتهم وهم وإن لم يحسبوا أنهم يفوتونه تعالى ولم يحدثوا نفوسهم بذلك لكنهم حيث أصروا على المعاصي ولم يتفكروا في العاقبة نزلوا منزلة من يحسب ذلك كما في قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾ [الهمزة: ٣] ﴿ساء ما يحكمون﴾ أي: بئس الحكم الذي يحكمونه حكمهم ذلك فحذف المخصوص بالذم.

قال الكاشفي: [درفتوحات مذكوراست كه آيامي پندارند كنهكاران ماكه به سيئات خود بر مغفرت وشمول رحمت من سبقت كيرند اين حكم ناپسنديده است زيراكه رحمت من سبقت كرفته است برذنوب ايشان كه موجب غضب باشد].

كركناه تو از عدد پيش است   سقت رحمتم ازان پيش است

﴿من﴾ [هركه] ﴿كان يرجو لقاء الله﴾ الرجاء ظن يقتضي حصول ما فيه مسرة وتفسيره بالخوف لأن الرجاء والخوف متلازمان ولقاء الله عبارة عن القيامة وعن المصير إليه والمعنى يتوقع ملاقاة جزائه ثواباً أو عقاباً فليستعد لأجل الله باختياره من الأعمال ما يؤدي إلى حسن الثواب واجتنابه عما يسوقه إلى سوء العذاب. ﴿فإن أجل الله﴾ الأجل عبارة عن غاية زمان ممتد عينت لأمر من الأمور وقد يطلق على كل ذلك الزمان والأول هو الأشهر في الاستعمال أي فإن الوقت الذي عينه تعالى لذلك. ﴿لآت﴾ لا محالة وكائن البتة لأن أجزاء الزمان على الانقضاء والانصرام دائماً فلا بد من إتيان الوقت المعين وإتيانه موجب لإتيان اللقاء والجزاء. ﴿وهو السميع﴾ لأقوال العباد ﴿العليم﴾ بأحوالهم من الأعمال الظاهرة والباطنة فلا يفوته شيء ما فبادروا العمل قبل الفوت.

وفي «التأويلات النجمية»: من أمّل الثواب يفرّ من أعمال تورث العذاب ويعانق المجاهدات فإنها تورث المشاهدات من مضي عمره في رجاء لقائنا فسوف نبيح النظر إلى جمالنا.

عظمت همة عين   طمعت في أن تراكا
أو ما يكفي لعين   أن ترى من قد رآكا

﴿وهو السميع﴾ لأنين المشتاقين ﴿العليم﴾ بحنين الوامقين الصادقين.

﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾

﴿ومن﴾ [ورهكه] ﴿جاهد﴾ نفسه بالصبر على طاعة الله وجاهد الكفار بالسيف وجاهد الشيطان بدفع وساوسه. والمجاهدة استفراغ الجهد بالضم أي الطاقة في مدافعة العدو ﴿فإنما يجاهد لنفسه﴾ لأن منفعتها عائدة إليها ﴿إن الله لغني عن العالمين﴾ فلا حاجة به إلى طاعتهم ومجاهدتهم وإنما أمرهم بها رحمة عليهم لينالوا الثواب الجزيل كما قال: «خلقت الخلق

ليربحوا عليّ لا لأربح عليهم» فالعاملون هم الفقراء إلى الله والمحتاجون إليه في الدارين وهو مستغن عنهم.

بري ذاتش از تهمت ضد وجنس غني ملكش از طاعت جن وأنس
مر أورا سزد كبريا ومني كه ملكش قد يمست وذاتش غني
نه مستغني از طاعتش بشت كس نه بر حرف أو جاي انكشت كس

قال أبو العباس المشتهر بزروق في «شرح الأسماء الحسنى»: الغني هو الذي لا يحتاج إلى شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله إذ لا يلحقه نقض ولا يعتريه عارض ومن عرف أنه الغني استغنى به عن كل شيء ورجع إليه بكل شيء وكان له بالافتقار في كل شيء وللتقرب بهذا الاسم تعلق بإظهار الفاقة والفقر إليه أبداً.

قيل لأبي حفص: بماذا يلقى الفقير مولاه؟ فقال: فهل يلقى الغني إلا بالفقر قلت: يلقاه بفقره حتى من فقره وإلا فهو مستعد بفقره ولذلك قال ابن مشيش رحمه الله للشيخ أبي الحسن: لئن لقيته بفقرك لتلقينه بالاسم الأعظم وبتمام فقره له يصح غناه عن غيره فيكون متخلقاً بالغنى. وخاصية هذا الاسم وجود العافية في كل شيء فمن ذكره على مرض أو بلاء أذهبه الله عنه وفيه سر للغني ومعنى الاسم الأعظم لمن استأهل به انتهى.

وفي «الأحياء» يستحب أن يقول بعد صلاة الجمعة: «اللهم يا غني يا حميد يا مبدىء يا معيد يا رحيم يا ودود أغنني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك» فيقال: من داوم على هذا الدعاء أغناه الله تعالى عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٧﴾.

﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن﴾ [هر آينه محو كنيم] ﴿عنهم سيئاتهم﴾ الكفر بالإيمان والمعاصي بما يتبعها من الطاعات وتكفير الاسم ستره وتغطيته حتى يصير بمنزلة ما لم يعمل.

قال بعضهم: التكفير إذهاب السيئة وإبطالها بالحسنة وسترها وترك العقوبة عليها ﴿ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون﴾ أي أحسن جزاء أعمالهم بأن نعطي بواحد عشراً أو أكثر لا جزاء أحسن أعمالهم فقط.

والعمل الصالح عندنا كل ما أمره الله فإنه صار صالحاً بأمره ولو نهى عنه لما كان صالحاً فليس الصلاح والفساد من لوازم الفعل في نفسه.

وقالت المعتزلة: ذلك من صفات الفعل ويترتب عليه الأمر والنهي فالصدق عمل صالح في نفسه يأمر الله تعالى به لذلك فعندنا الصلاح والفساد والحسن والقبح يترتب على الأمر والنهي وعندهم الأمر والنهي يترتب على الحسن والقبح.

واعلم أن كل ما يفعله الإنسان من الخير فالله يجازيه عليه ويجده عند الله حين يلقاه فمنفعة خيره تعود إلى نفسه وإن كان نفعه إلى الغير بحسب الظاهر.

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه: «يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده أما

علمت لوعدته لوجدتني عنده. يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال: كيف أطعمك وأنت رب العالمين قال: أما علمت أنه استطعمك فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي. يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما أنك لو سقيته وجدت ذلك عندي».

قال بعضهم: كنت في طريق الحج فاعترض ثعبان أسود أمام القافلة فاتحاً فاه ومنع القوم من المرور فأخذت قربة ماء وسللت سيفي وتقدمت ووضعت فم القربة في فيه فشرب ثم غاب فلما حججت ورجعت إلى هذا المكان مع القافلة أخذني النوم وذهبت القافلة وبقيت متحيراً فإذا بناقة مع ناقتي وقفت بين يدي فقالت لي: قم واركب فركبت وأخذت ناقتي وقت السحر ولحقنا القافلة فأشارت إلي بالنزول فقلت: بالله الذي خلقك من أنت قالت: أنا الأسود المعترض أمام القافلة فأنت دفعت ضرورتي وأنا دفعت ضرورتك الآن هل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

بإحساني آسوده كردن دلي	به از ألف ركعت بهر منزلي
كر ازحق نه توفيق خيري رسد	كي از بنده خيري بغيري رسد
غم وشادماني نماند وليك	جزاي عمل ماند ونام نيك

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾﴾

﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً﴾ أي بإيتاء والديه وإيلائهما فعلاً ذا حسن أي أمرناه بأن يفعل بهما ما يحسن من المعاملات فإن وصى يجري مجرى أمر معنى وتصرفاً غير أنه يستعمل فيما كان في المأمور به نفع عائد إلى المأمور وغيره يقال: وصيت زيداً بعمرو أمرته بتعهده ومراعاته. والتوصية [وصيت كردن].

قال الراغب: الوصية التقدم إلى الغير بما يعمل به مقترناً بوعظ. ﴿وإن جاهداك﴾ أي وقلنا له إن جاهداك. يعني: [اكر كوشش نمايد والدين وجنك وجدل كنند بتو] وإن كان معنى وصينا وقلنا له افعل بهما حسناً فلا يضمر القول هنا. ﴿لتشرك بي﴾ [تاشرك آوري بمن وانباز كيري] ﴿ما ليس لك به﴾ أي بإلهيته على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ﴿علم﴾ عبر عن نفي الإلهية بنفي العلم بها للإيذان بأن ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وإن لم يعلم بطلانه فكيف بما علم بطلانه. ﴿فلا تطعهما﴾ في ذلك فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق كما ورد في الحديث ويدخل فيه الأستاذ والأمير إذا أمرا بغير معروف وهو ما أنكره الشارع عليه ﴿إليّ مرجعكم﴾ مرجع من آمن منكم ومن أشرك ومن بر بوالديه ومن عق. ﴿فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ عبر عن إظهاره بالتنبئة لما بينهما من الملابسة فإنهما سببان للعلم أي أظهر لكم على رؤوس الأشهاد وأعلمكم أي شيء كنتم تفعلون في الدنيا على الاستمرار وأرتب عليه جزاءه اللائق به ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين﴾ أي في زمرة الراسخين في الصلاح ولنحشرنهم معهم وهم الأنبياء والأولياء وكل من صلحت سريرته مع الله والكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين وغاية مأمول الأنبياء والمرسلين. روي: أن سعد بن مالك وهو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه من السابقين الأولين لما أسلم أو حين

هاجر كما في «التكملة» قالت له أمه حمنة بنت أبي سفيان بن أمية: يا سعد ما هذا الذي قد أحدثت لتدعن دينك أو لا انتقل من الضح إلى الظل ولا آكل ولا أشرب حتى أموت فعير بي فيقال: يا قاتل أمه فلبثت ثلاثة أيام كذلك حتى جهدت أي وقعت في الجهد والمشقة بسبب الجوع فقال سعد: والله لو كان لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما كفرت فكلي وإن شئت فلا تأكلي فلما رأت ذلك أكلت فأمره الله تعالى أن يحسن إليها ويقوم بأمرها ويسترضيها فيما ليس بشرك ومعصية ويعرض عنها ويخالف قولها فيما أنكره الشارع. قال الشيخ سعدي قدس سره:

چون نبود خويش را ديانت وتقوى قطع رحم بهتر از مودت قربى

وفي «هدية المهديين»: يجب على المرء نفقة الأبوين الكافرين وخدمتهما وزيارتهما وإن خاف من أن يجلباه إلى الكفر ترك زيارتهما ويقود بهما زوجته لو كان كل منهما فاقد البصر من البيعة إلى البيعة لا العكس لأن الذهاب إليها معصية وإلى البيت لا ومنه يعلم أن الذمي إذا سأل مسلماً عن طريق البيعة لا يدله عليه.

سئل إبراهيم بن أدهم رحمه الله عن طريق بيت السلطان فأرشده إلى المقابر فضربه الجندي وشجه ثم عرفه واستعفاه فقال: كنت عفوت عنك في أول ضربة وقلت: اضرب رأساً ظالماً عصى الله كذا في «البزازية».

قال الإمام الغزالي رحمه الله: أكثر العلماء على أن طاعة الوالدين واجبة في الشبهات ولم تجب في الحرم المحض لأن ترك الشبهة ورع ورضى الوالدين حتم أي واجب. ويجيب إذا كان في صلاة النافلة دعاء أمه دون دعوة أبيه أي يقطع صلاته ويقول لبيك مثلاً.

وقال الطحاوي: مصلي النافلة إذا ناداه أحد أبويه إن علم أنه في الصلاة وناداه لا بأس بأن لا يجيبه وإن لم يعلم يجيبه وأما مصلى الفريضة إذا دعاه أحد أبويه لا يجيبه ما لم يفرغ من صلاته إلا إن يستغيثه لشيء لأن قطع الصلاة لا يجوز إلا لضرورة وكذلك الأجنبي إذا خاف أن يسقط من سطح أو تحرقه النار أو غرق في الماء وجب عليه أن يقطع الصلاة وإن كان في الفريضة وكذا لو قال له كافر: أعرض عليّ الإسلام أو سرق منه الدراهم أو فارت قدرها أو خافت على ولدها الفرض والنفل فيه سواء كما في «البزازية».

قال في «شرح التحفة»: لا يفطر في النافلة بعد الزوال إلا إذا كان في ترك الإفطار عقوق الوالدين ولا يتركهما لغزو أو حج أو طلب علم نفل فإن خدمتهما أفضل من ذلك وفي الخبر: «يسأل الولد عن الصلاة ثم عن حق الوالدين وتسأل المرأة عن الصلاة ثم عن حق الزوج ويسأل العبد عن الصلاة ثم عن حق المولى فإن أجاب تجاوز عن موقفه إلى موقف آخر من المواقف الخمسين وإلا عذّب في كل موقف ألف سنة ودعاء الوالدين على الولد لا يردّ» وقوله عليه السلام: «دعاء المرء على محبوبه خير بالنسبة إلى غيرهما» كما في «المقاصد الحسنة».

سأل الزمخشري بعض العلماء عن سبب قطع رجله قال: أمسكت عصفوراً في صباي وربطته بخيط في رجله وأفلت من يدي ودخل في خرق فجذبته فانقطعت رجله فتأملت والدتي وقالت: قطع الله رجل الأبعد كما قطعت رجله فلما رحلت إلى بخارى لطلب العلم سقطت من الدابة فانكسرت رجلي وقيل: أصابه البرد في الطريق فسقطت رجله وكان يمشي بخشب كذا في «روضة الأخبار».

ويجب على الأبوين أن لا يحملا الولد على العقوق بسبب الجفاء وسوء المعاملة ويعيناه

على البر. فمن البر وهما حيان أن ينفق عليهما ويمتثل أمرهما في الأمور المشروعة ويجامل في معاملتهما. ومن البر بعد موتهما التصدق لهما وزيارة قبرهما في كل جمعة والدعاء لهما في أدبار الصلاة وتنفيذ عهودهما ووصاياهما ونحو ذلك.

وفي «التأويلات»: **﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً﴾** يشير إلى تعظيم الحق تعالى وعظم شأنه وعزة الأنبياء وإعزازهم وعرفان قدر المشايخ وإكرامهم لأن الأمر برعاية حق الوالدين لمعنيين أحدهما أنهما كانا سبب وجود الولد والثاني أن لهما حق التربية فكلا المعنيين في إنعام الحق تعالى على العباد حاصل بأعظم وجه وأجل حق منهما لأن حقهما كان مشوباً بحظ نفسهما وحق الحق تعالى منزه عن الشوب وإنهما وإن كانا سبب وجود الولد لم يكونا مستقلين بالسببية بغير الحق تعالى وإرادته لأنهما كانا في السببية محتاجين إلى مشيئته وإرادته بأن يجعلهما سبباً لوجود الولد فإن الولد لا يحصل بمجرد تسببهما بالنكاح بل يحصل بموهبة الله تعالى كما قال تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الشورى: ٤٩] الآية فالسبب الحقيقي في إيجاد الولد هو الله تعالى فإن شاء يوجده بواسطة تسبب الوالدين وإن شاء بغير تسببهما كإيجاد آدم عليه السلام وأما التربية فنسبتها إلى الله تعالى حقيقة فإنه رب كل شيء ومربيه وإلى الوالدين مجازيه لأن صورة التربية إليهما وحقيقة التربية إلى الله تعالى كما ربى نطف الولد في الرحم حتى جعله علقة ثم مضغة ثم عظاماً ثم كساه اللحم ثم أنشأه خلقاً آخر فالله تبارك وتعالى أعظم قدراً في رعاية حقوقه بالعبودية من رعاية حق الوالدين لإحسان وإن الواجب على العبد أن يخرج من عهدة حق العبودية بالإخلاص أولاً ثم يحسن بالوالدين كما قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣] وأما النبي والشيخ فكانا سبب الولادة الثانية بإلقاء نطفة النبوة والولاية في رحم قلب الأمة والمريد وتربيتها إلى أن يولد الولد عن رحم القلب في عالم الملكوت كما أخبر النبي عليه السلام رواية عن عيسى عليه السلام أنه قال: «لن يلج ملكوت السموات والأرض إلا من يولد مرتين» وكانا سبب ولادته في عالم الأرواح وأعلى عليين القرب والولدان كانا سبب ولادته في عالم الأشباح وأسفل سافلين البعد ولهذا السر كان يقول النبي ﷺ: «إنما أنا لكم كالوالد لولده» وقد كانت أزواجه أمهات للأمة وقد قال عليه السلام: «الشيخ في قومه كالنبي في أمته» ولما كان الله تعالى في الإحسان العميم بالعبد والامتنان القديم الذي خصه به قبل وبعد أحق وأولى برعاية حقوقه عن والديه قال تعالى: **﴿وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما﴾** وفيه إشارة إلى أن المريد الصادق والطالب العاشق إذا تمسك بذيل إرادة شيخ كامل ودليل واصل بصدق الإرادة وعشق الطلب بعد خروجه عن الدنيا بتركها بالكلية عن جاهها ومالها وقد سعى بقدر الوسع في قطع تعلقات تمنعه عن السير إلى الله متجهاً إلى الحضرة بعزيمة كعزيمة الرجال فإن كان له الولدان وهما بمعزل عما يهيجه من الصدق والمحبة فهما بجهلهما عن حال الولد يمنعان عن صحبة الشيخ وطلب الحق بالإعراض ويقبلان به إلى الدنيا ويرغبانه في طلب جاهها ومالها ويحثان على التزويج في غير أوانه فالواجب على المريد أن لا يطيعهما في شيء من ذلك فإن ذلك بالكلية طاغوت وقته وعليه أن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله ليستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها وهما يجاهدانه على أن يشرك بالله لجهلهما بحاله وحال أنفسهما وأنه يريد أن يخرج عن عهدة العبودية الخالصة لربه كما قضى ربه أن لا يعبد إلا إياه ولا يعبد ما دونه من الدنيا

والآخرة وما فيهما وما يعلمان أنهما من عبدة الهوى وأنهما يدعوانه إلى عبادة غير الله فالواجب عليه أن لا يطيعهما في ذلك ولكن عليه أن يردهما باللطف ولا يزجرهما بالعنف إلى أن يخرج عن عهدة ما قضى ربه من العبودية بالإخلاص ثم الواجب عليه أن يحسن إليهما ويسمع كلامهما ويطيعهما فيما لا يقطعه عن الله على وفق أمره ثم أوعد الجميع بالمرجع إليه فقال: ﴿**إليّ مرجعكم فأنبئكم**﴾ أيها الولد والولدان ﴿**بما كنتم تعملون**﴾ من العبادة الخالصة لله ومن عبادة الهوى على لسان جزائكم ليقول لكم: إن مرجع عبدة الهوى الهاوية.

﴿**والذين آمنوا**﴾ بمحبة الحق ﴿**و**﴾ طلبوه بأن ﴿**عملوا الصالحات**﴾ أي أعمالاً تصلح للسير إلى الله والوصول إلى حضرة جلاله ﴿**لندخلنهم في الصالحين**﴾ أي نجعل مدخلهم مقام الأنبياء والأولياء بجذبات العناية تفهم إن شاء الله تعالى وتؤمن به.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾.

﴿**ومن الناس**﴾ مبتدأ باعتبار مضمونه أي وبعض الناس والخبر قوله: ﴿**من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله**﴾ أي في شأنه تعالى بأن عذبهم الكفرة على الإيمان وهو مجهول آذى يؤذي أذى وأذية ولا تقل إيذاء كما في «القاموس» والأذى ما يصل إلى الإنسان من ضرر إما في نفسه أو في جسمه أو في قنياته دنيوياً كان أو أخروياً ﴿**جعل فتنة الناس**﴾ أي ما يصيبه من أذيتهم والفتنة الامتحان والاختبار تقول: فتنت الذهب إذا أدخلته النار لتظهر جودته من رداءته وأطلقت على المحنة لأنها سبب نقادة القلب ﴿**كعذاب الله**﴾ في الآخرة في الشدة والهوى ويستولي عليه خوف البشرية إذ من لم يكن في حماية خوف الله وخشيته يفترسه خوف الحق فيساوي بين العذابين فيخاف العاجل الذي هو ساعة ويهمل الآجل الذي هو باق لا ينقطع فيرتد عن الدين ولو علم شدة عذاب الله وأن لا قدر لعذاب الناس عند عذابه تعالى لما ارتد ولو قطع إرباً إرباً ولما خاف من الناس ومن عذابهم وفي الحديث: «من خاف الله خوّف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله يخوفّه من كل شيء».

وقال بعضهم: جعل فتنة الناس في الصرف عن الإيمان كعذاب الله في الصرف عن الكفر. يعني: [ترك إيمان كند از خوف عذاب خلق چنانكه ترك كفرى بايدكرد از خوف خداي تعالى]. ﴿**ولئن جاء نصر من ربك**﴾ أي فتح وغنيمة للمؤمنين فالآية مدنية. ﴿**ليقولن**﴾ بضم اللام نظراً إلى معنى من كما أن الإفراد فيما سبق بالنظر إلى لفظها. ﴿**إنا كنا معكم**﴾ أي: متابعين لكم في الدين فأشركونا في المغنم وهم ناس من ضعفة المسلمين كانوا إذا مسهم أذى من الكفار وافقوهم وكانوا يكتمونه من المسلمين فرد عليهم ذلك بقوله: ﴿**أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين**﴾ أي بأعلم منهم بما في صدورهم من الإخلاص والنفاق حتى يفعلوا ما يفعلون من الارتداد والإخفاء وادعاء كونهم منهم لنيل الغنيمة. وبالفارسية [آيانيست خداي تعالى داناتر از همه دانايان بآنچه در سينهء عالميانست از صفاي إخلاص وكدورت نفاق].

﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾﴾

﴿**وليعلمن الله الذين آمنوا**﴾ بالإخلاص ﴿**وليعلمن المنافقين**﴾ سواء كان نفاقهم بأذية الكفرة أو لا أي ليجزينهم على الإيمان والنفاق فإن المراد تعلق علمه تعالى بالامتحان تعلقاً

حالياً يبتنى عليه الجزاء كما سبق فجوهر الإيمان والنفاق المودع في القلب إنما يظهر بالصبر أو بالتزلزل عند البلاء والمحنة كما أن عيار النقدين يظهر بالنار.

بشكل وهيآت إنسان زره مروزنهار توان بصبر وتحمل شناخت جوهر مرد

اكرنه پاك بود ازبلانخواهد جست وكردر أصل بود پاك صبر خواهد كرد

وفي الآية تنبيه لكل مسلم أن يصبر على الأذى في الله.

وحقيقة الإيمان نور إذا دخل قلب المؤمن لا تخرجه أذية الخلق بل يزيد بالصبر على أذاهم والتوكل على الله فإنه نور حقيقي أصلي ذاته لا يتكدر بالعوارض كنور الشمس والقمر فإنهما إذا طلعا يزداد نورهما بالارتفاع ولا يقدر أحد أن يطفىء نورهما وكنور الحجر الشفاف المضيء بالليل فإنه لا يقبل الانطفاء مثل الشمعة لأن نوره أصلي ونور الشمعة عارضي ثم إن في المحن والأذى تفاوتاً فمن كانت محنته بموت قريب من الناس أو فقد حبيب من الخلق أو نحوه فحقير قدره وكثير من الناس مثله ومن كان محنته لله وفي الله فعزيز قدره وقليل مثله وقد كانت كفار مكة يؤذون النبي عليه الصلاة والسلام بأنواع الأذى فيصبر وقد قال: «ما أوذي نبي مثل ما أوذيت» أي ما صفى نبي مثل ما صفيت لأن الأذى سبب لصفوة الباطن وبقدر الوقوف في البلاء تظهر جواهر الرجال وتصفو من الكدر مرآئي قلوبهم ألا ترى إلى أيوب عليه السلام حيث خلص له جوهر نعم العبدية عن معدن الإنسانية مدة أيام البلاء والصبر عليه وكذا كانوا يؤذون الأصحاب رضي الله عنهم تؤذي كل قبيلة من أسلم منها وتعذبه وتفتنه عن دينه وذلك بالحبس والضرب والجوع والعطش وغير ذلك حتى إن الواحد منهم ما يقدر أن يستوي جالساً من شدة الضرب الذي به وكان أبو جهل ومن يتابعه يحرض على الأذى وكان إذا سمع بأن رجلاً أسلم له شرف ومنعة جاء إليه ووبخه وقال له: ليغلبن رأيك وليضعفن شرفك وإن كان تاجراً قال: والله لتكسدن تجارتك ويهلك مالك وإن كان ضعيفاً حرّض على أذاه حتى إن بعض الضعفاء فتن عن دينه ورجع إلى الشرك نعوذ بالله تعالى وكان بلال رضي الله عنه ممن يعذب في الله ولا يقول إلا: أحد أحد أي الله لا شريك له وهكذا الأقوياء من أهل السعادة ثبتوا على دينهم واختاروا عذاب الدنيا وفضوحها على عذاب الآخرة وفضوحها فإن عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا أضعافاً كثيرة ويدل عليه النار فإنها جزء من الأجزاء السبعين لنار الآخرة وهي بهذه الحرارة في الدنيا مع ما غسلت في بعض أنهار الجنة.

قال الواسطي رحمه الله: لا يؤذي فيها إلا الأنبياء وخواص الأولياء وأكابر العباد فالصبر لازم في موطن الأذى والملام. قال المولى الجامي:

عاشق ثابت قدم آنكس بودكز كوي دوست. رونكرداند اكر شمشير بارد بر شرس.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا﴾ اللام للتبليغ، أي قال كفار مكة مخاطبين للمؤمنين استمالة ليرتدوا: **﴿اتبعوا سبيلنا﴾** أي: اسلكوا طريقتنا التي نسلكها في الدين عبر عن ذلك بالاتباع الذي هو المشي خلف ماش آخر تنزيلاً للمسلك منزلة السالك فيه. **﴿ولنحمل**

خطاياكم﴾ أي إن كان لكم خطيئة تؤاخذون عليها وإن كان بعث ومؤاخذة كما تقولون أي لا بعث ولا مؤاخذة وإن وقع فرضاً نحمل آثامكم عنكم وهي جمع خطيئة من الخطأ وهو العدول عن الجهة فرد الله عليهم بقوله: **﴿وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء﴾** أي والحال أنهم ليسوا بحاملين شيئاً من خطاياهم التي التزموا أن يحملوها كلها على أن من الأولى للتبيين والثانية مزيدة للاستغراق.

﴿إنهم لكاذبون﴾ في دعوى الحمل بأنهم قادرون على إنجاز ما وعدوا.

﴿وليحملن﴾ أي: هؤلاء القائلون **﴿أثقالهم﴾** أي ذنوبهم التي عملوها وذلك يوم القيامة جمع ثقل بالكسر وسكون القاف كحمل وأحمال والثقل والخفة متقابلان وكل ما يترجح على ما يوزن به أو يقدر به يقال: هو ثقيل وأصله في الأجسام ثم يقال في المعاني: أثقله الغرم والوزر.

قال الراغب أثقالهم أي آثامهم التي تثقلهم وتثبطهم عن الثواب. **﴿وأثقالاً﴾** آخر **﴿مع أثقالهم﴾** وهي أثقال الإضلال فيعذبون بضلال أنفسهم وإضلال غيرهم من أن ينقص من أثقال من أضلوه شيء ما أصلاً فتكون أثقال المضلين زائدة على أثقال الضالين لأن من دعا إلى ضلالة فاتبع فعليه حمل أوزار الذين اتبعوه وكذا من سنّ سنة سيئة كما ورد في الحديث: وفي «المثنوي»:

هركه بنهد سنت بد أي فتى تا در افتد بعد أو خلق ازعمى
جمع كردد بروى آن جمله بزه كوسرى بودست وايشان دم غزه

﴿وليسألن يوم القيامة﴾ سؤال تقريع وتبكيت لم فعلوه ولأي حجة ارتكبوه **﴿عما كانوا يفترون﴾** أي يختلقونه في الدنيا من الأكاذيب والأباطيل التي أضلوا بها ومن جملتها كذبهم هذا ويدخل في هذا بعض الجهلة حيث يقول لمثله: افعل هذا وإثمه في عنقي ثم التعبير عن الخطايا بالأثقال للإيذان بغاية ثقلها. قال الشيخ سعدي قدس يره:

مرو زير باركناه أي پسر كه حمال عاجز بود در سفر

يعني أن الحمال يعجز عن حمل الثقيل خصوصاً إذا كان المنزل بعيداً وفي الطريق عقبات. ثم إن الخطايا على تفاوت في الثقل وفي الخبر: «التهمة على البريء أثقل من سبع سماوات وسبع أرضين وأثقل من جميع الموجودات» جبل الوجود والأنانيات كما ورد: «وجودك ذنب لا يقاس عليه ذنب آخر».

جمعست خيرها همه در خانۀ ونيست آن خانه را كليد بغير از فروتني
شرها بدين قياس بيكخانه داست جمع وانرا كليد نيست بجزمائي ومني

وكما أن عذاب الإضلال والحمل على الكفر والمعاصي أشد فكذا عذاب إفساد استعداد الغير وحمله على الإنكار ومنعه عن سلوك طريق الحق ومثل هذا الإفساد أشد من الزنى لأن في الزنى يهلك الولد الصوري لبقائه بلا والد وفي الإفساد يهلك الولد المعنوي لبقائه بلا فيض وفساد المعنى أشد من فساد الصورة.

ففي الآية إشارة إلى حال أرباب الإلحاد والدعوى مع من يتبعهم ممن لا يفرق بين الفساد والصلاح والبقاء والهلاك اللهم اجعلنا من الثابتين على الطريق القويم.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾.

﴿**ولقد أرسلنا**﴾ للدعوة إلى التوحيد وطريق الحق من قبل إرسالنا إياك يا محمد ﴿**نوحاً**﴾ واسمه عبد الغفار كما ذكره السهيلي رحمه الله في كتاب «التعريف» والشاكر كما ذكره أبو الليث في «البستان». وسمي نوحاً لكثرة نوحه وبكائه من خوف الله ولد بعد مضي ألف وستمائة واثنتين وأربعين سنة من هبوط آدم عليه السلام وبعث عند الأربعين. ﴿**إلى قومه**﴾ وهم أهل الدنيا كلها. والفرق بين عموم رسالته وبين عموم رسالة نبينا عليه السلام أن نبينا عليه السلام مبعوث إلى من في زمانه وإلى من بعده إلى يوم القيامة بخلاف نوح فإنه مرسل إلى جميع أهل الأرض في زمانه لا بعده كما في «إنسان العيون» وهو أول نبي بعث إلى عبدة الأصنام لأن عبادة الأصنام أول ما حدثت في قومه فأرسله الله إليهم ينهاهم عن ذلك وأيضاً أول نبي بعث إلى الأقارب والأجانب وأما آدم فأول رسول الله إلى أولاده بالإيمان به وتعليم شرائعه وهو أي نوح عليه السلام أبونا الأصغر وقبره بكرك بالفتح من أرض الشام كما في «فتح الرحمن».

﴿**فلبث فيهم**﴾ بعد الإرسال ولبث بالمكان أقام به ملازماً له ﴿**ألف سنة**﴾ الألف العدد المخصوص سمي بذلك لكون الأعداد فيه مؤلفة فإن الأعداد أربعة آحاد وعشرات ومئون وألوف فإذا بلغ الألف فقد ائتلف وما بعده ويكون مكرراً قال بعضهم: الألف من ذلك لأنه مبدأ النظام والسنة أصلها سنهة لقولهم سانهت فلاناً أي عاملته سنة فسنة وقيل: أصلها من الواو لقولهم سنوات والهاء للوقف. ﴿**إلا خمسين عاماً**﴾ العام كالسنة لكن كثيراً ما تستعمل السنة في الحول الذي فيه الشدة والجدب ولهذا يعبر عن الجدب بالسنة والعام فيما فيه الرخاء وفي كون المستثنى منه بالسنة والمستثنى بالعام لطيفة، وهي أن نوحاً عاش بعد إغراق قومه ستين سنة في طيب زمان وصفاء عيش وراحة بال وقيل: سمى السنة عاماً لعوم الشمس في جميع بروجها والعوم السباحة ويدل على معنى العوم قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]. ومعنى الآية فبث بين أظهرهم تسعمائة وخمسين عاماً يخوفهم من عذاب الله ولا يلتفتون إليه وإنما ذكر الألف تخييلاً لطول المدة إلى السامع أي ليكون أفخم في أذنه ثم أخرج منها الخمسون إيضاحاً لمجموع العدد فإن المقصود من القصة تسلية رسول الله ﷺ وتثبيته على ما يكابد من الكفرة. يعني: [إيراد قصهء نوح بجهت تسليهء سيد أنام است وتثبيت بركشيدن اذى از قوم وتهديد يكزبان بذكر طوفان يعني نوح نهصد وپنچاه سال جفاي قوم كشيد وهمچنان دعوت ميفرمود وكسى نمي كرويد] إلا القليل الذين ذكرهم في قوله: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠] فأذن له في الدعاء فدعا عليهم بالهلاك. ﴿**فأخذهم الطوفان**﴾. أي: عقيب تمام المدة المذكورة فغرق من في الدنيا كلها من الكفار. والطوفان يطلق على كل ما يطوف بالشيء ويحيط به على كثرة وشدة وغلبة من السيل والريح والظلام والقتل والموت والطاعون والجدري والحصبة والمجاعة وقد غلب على طوفان الماء وقد طاف الماء ذلك اليوم بجميع الأرض. ﴿**وهم ظالمون**﴾ أي: والحال أنهم مستمرون على الظلم والكفر لم يستمعوا إلى داعي الحق هذه المدة المتمادية.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾

﴿**فأنجيناه**﴾ أي نوحاً من الغرق والابتلاء بمشاق الكفرة ﴿**وأصحاب السفينة**﴾ أي: ومن

ركب معه فيها من أولاده وأتباعه وكانوا ثمانين ذكوراً وإناثاً.

قال الكاشفي: يعني: [هركه باوي بود از مؤمنان وهرچه در سفينه بود از أنواع جانوران] والسفينة من سفنه يسفنه قشره ونحته كأنها تسفن الماء أي تقشره فهي فعيلة بمعنى فاعلة ﴿وجعلناها﴾ أي: السفينة أو القصة. ﴿آية للعالمين﴾ أي: عبرة لمن بعدهم من الأهالي يتعظون بها أو دلالة يستدلون بها على قدرة الله.

قال أبو الليث في «تفسيره»: وقد بقيت السفينة على الجودي إلى قريب من وقت خروج النبي عليه السلام وبين الطوفان والهجرة الشريفة ثلاثة آلاف وتسعمائة وأربع وسبعون سنة على ما في «فتح الرحمن» وكان ذلك علامة وعبرة لمن رآها ولمن لم يرها لأن الخبر قد بلغه.

وقال بعضهم: سفينة نوح أول سفينة في الدنيا فأبقيت السفن آية وعبرة للخلائق وعلامة من سفينة نوح وهو قوله تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً﴾ [القمر: ١٥]. روي: أن نوحاً بعث على رأس الأربعين ودعا قومه تسعمائة وخمسين عاماً وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا وذلك من أولاده حام وسام ويافث لأنهم لما خرجوا من السفينة ماتوا كلهم إلا أولاد نوح كما في «البستان» فيكون عمره ألفاً وخمسين عاماً وهو أول الأنبياء عمراً ومن ذلك قيل له: كبير الأنبياء وشيخ المرسلين وهو أول من تنشق عنه الأرض بعد نبينا عليه السلام.

قال الكاشفي: [ملك الموت بوقت قبض روح أزوى پرسيدكه اي دراز ترين پيغمبران از جهت عمر دنيارا چون يافتي فرمودكه يا فتم ما نند خانهٔ كه دودر داشته باشد از يكي در آيند واز ديكري بيرون روند].

كر عمر تو عمر نوح ولقمان باشد آخر بروى چنانكه فرمان باشد
در بودن دنيا وبرون رفتن ازو يكروز وهزار سال يكسان باشد

قيل:

ألا إنما الدنيا كظل سحابة أظلتك يوماً ثم عنك اضمحلت
فلا تك فرحاناً بها حين أقبلت ولا تك جزعاناً بها حين ولت

قال الحسن: أفضل الناس ثواباً يوم القيامة المؤمن المعمر.

وعن عبيد بن خالد رضي الله عنه أن النبي عليه السلام آخى بين الرجلين فقتل أحدهما في سبيل الله ثم مات الآخر بعده بجمعة أو نحوها فصلوا عليه فقال عليه السلام: «ما قلتم» قالوا: دعونا الله أن يغفر له ويرحمه ويلحقه بصاحبه فقال عليه السلام: «فأين صلاته بعد صلاته وعمله بعد عمله» أو قال: «صيامه بعد صيامه لما بينهما أبعد مما بين السماء والأرض» فطوبى لمن طال عمره وحسن عمله» والفيض الحاصل للأمة المتقدمة في المدة المتطاولة حاصل لهذه الأمة في المدة القصيرة لكمال الاستعداد الفطري فلا ينبغي للمرء أن يتمنى أعمال القرون الأولى فإن السبعين عمر طويل والمائة أطول بل يتمنى كثرة المدد والخلاص من يد النفس الأمارة فإنه إذا لم تصلح النفس فلا يغنى طول العمر عن قهر الله شيئاً وصلاحها باستعمال أحكام الشريعة التي أشارت إليها السفينة فكما أن السفينة تنجي راكبها فكذا الشريعة تنجي عاملها وهي دلالة للناس إلى يوم القيامة تدل بظاهرها إلى طريق الجنة وبباطنها إلى طرق القربة والوصلة فبعبارتها نور وإشارتها سرور وأهل الإشارة مقربون والمتقربون إليهم متخلصون. قال الحافظ:

يار مردان خدا باش كه دركشتئ نوح هست خاكى كه بآبى نخرد طوفانرا

فليجدّ من وقع في طوفان نفسه حتى يجد الخلاص وإليه الملجأ والمناص.

﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾.

﴿**وإبراهيم**﴾ نصب بالعطف على نوحاً أي ولقد أرسلنا إبراهيم أيضاً من قبل إرسالنا إياك يا محمد ﴿**إذ قال**﴾ نصب باذكر المقدر هكذا ألهمت أي اذكر لقومك وقت قوله: ﴿**لقومه**﴾ وهم أهل بابل ومنهم نمرود. ﴿**اعبدوا الله**﴾ وحده ﴿**واتقوه**﴾ أن تشركوا به شيئاً ﴿**ذلكم**﴾ أي ما ذكر من العبادة والتقوى ﴿**خير لكم**﴾ مما أنتم عليه من الكفر ومعنى التفضيل مع أنه لا خير فيه قطعاً باعتبار زعمهم الباطل. ﴿**إن كنتم تعلمون**﴾ أي: الخير والشر وتميزون أحدهما عن الآخر ﴿**إنما تعبدون من دون الله أوثاناً**﴾ هي في نفسها تماثيل مصنوعة لكم ليس فيها وصف غير ذلك جمع وثن.

قال بعضهم: الصنم هو الذي يؤلف من شجر أو ذهب أو فضة في صورة إنسان والوثن هو الذي ليس كذلك بل كان تأليفه من حجارة وفي غير صورة الإنسان. ﴿**وتخلقون إفكاً**﴾.

قال الراغب: الخلق لا يستعمل في كافة الناس إلا على وجهين أحدهما في معنى التقدير والثاني في الكذب انتهى يقال: خلق واختلق أي افترى لساناً أو يداً كنحت الأصنام كما في «كشف الأسرار». والإفك أسوأ الكذب وسمي الإفك كذباً لأنه مأفوك أي مصروف عن وجهه. والمعنى وتكذبون كذباً حيث تسمونها آلهة وتدعون أنها شفعاؤكم عند الله وهو استدلال على شرارة ما هم عليه من حيث أنه زور وباطل ثم استدل على شرارة ذلك من حيث أنه لا يجدي بطائل فقال: ﴿**إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً**﴾ يقال: ملكت الشيء إذا قدرت عليه ومنه قول موسى: لا أملك إلا نفسي وأخي، أي لا أقدر إلا على نفسي وأخي ورزقاً مصدر وتنكيره للتقليل. والمعنى لا يقدرون على أن يرزقوكم شيئاً من الرزق. ﴿**فابتغوا**﴾ فاطلبوا ﴿**عند الله الرزق**﴾ كله فإنه القادر على إيصال الرزق. ﴿**واعبدوه**﴾ وحده ﴿**واشكروا له**﴾ على نعمائه متوسلين إلى مطالبكم بعبادته مقيدين للنعمة بالشكر ومستجلبين للمزيد.

قال ابن عطاء: اطلبوا الرزق بالطاعة والإقبال على العبادة.

وقال سهل: اطلبوا الرزق في التوكل لا في الكسب وهذا سبيل العوام ﴿**إليه**﴾ لا إلى غيره ﴿**ترجعون**﴾ تردون بالموت ثم البعث فافعلوا ما أمرتكم به.

﴿وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾﴾

﴿**وإن تكذبوا**﴾ أي: وإن تكذبوني فيما أخبرتكم به من أنكم إليه ترجعون. ﴿**فقد كذب أمم من قبلكم**﴾ تعليل للجواب أي فلا تضرونني بتكذيبكم فإن من قبلكم من الأمم قد كذبوا من قبلي من الرسل وهم شيث وإدريس ونوح فما ضرهم تكذيبهم شيئاً وإنما ضر أنفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبكم. ﴿**وما على الرسول إلا البلاغ المبين**﴾ أي: التبليغ الذي لا يبقى معه شك وما عليه أن يصدق ولا يكذب البتة وقد خرجت عن عهدة التبليغ بما لا مزيد عليه فلا يضرني تكذيبكم بعد ذلك أصلاً وكل أحد بعد ذلك مأخوذ بعمله.

قال في «الأسئلة المقحمة» معنى البلاغ هو إلقاء المعنى إلى النفس على سبيل الإفهام

وإن لم يفهم السامع فقد حصل مني ذلك الإبلاغ والإسماع والإفهام من الله تعالى.

پيش وحي حق أكر كرسرنهد   كبريا از فضل خود سمعش دهد
جزمكر جاني كه شدبى نور وفر   همچون ماهى كنك بد از أصل كر

وفي الآية تسلية للرسول عليه السلام ودعاء له إلى الصبر وزجر لمخالفيه فيما فعلوا من التكذيب والجحود فعلى المؤمن الطاعة والتقوى وقبول وصية الملك الأقوى فإن التقوى خير الزاد يوم التلاق وسبب النجاة وجالبة الأرزاق وأعظم أسباب التقوى التوحيد وهو أساس الإيمان ومفتاح الجنان ومغلاق النيران. روي: أن عمر رضي الله عنه مر بعثمان رضي الله عنه وسلم عليه فلم يرد سلامه فشكا إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال: لعله لعذر ثم أرسل إلى عثمان وسأل عن ذلك فقال: لم أسمع كلامه فإني كنت في أمر وهو أنا صاحبنا النبي زماناً فلم نسأل عما تتفتح به الجنان وتغلق أبواب النيران فقال أبو بكر رضي الله عنه: سألت عن ذلك من النبي ﷺ فقال: هي الكلمة التي عرضتها على عمي أبي طالب فأبى لا إله إلا الله محمد رسول الله» وذكر الله أكثر الأشياء تأثيراً فاذكروا الله ذكراً كثيراً.

قال السري رحمه الله: صحبت زنجياً في البرية فرأيته كلما ذكر الله تغير لونه وابيض فقلت: يا هذا أرى عجباً فقال: يا أخي أما إنك لو ذكرت الله تغيرت صفتك.

قال الحكيم الترمذي رحمه الله: ذكر الله يرطب اللسان فإذا خلا عن الذكر أصابته حرارة النفس ونار الشهوة فتعس ويبس وامتنعت الأعضاء عن الطاعة كالشجرة اليابسة لا تصلح إلا للقطع وتصير وقود النار وبالتوحيد تحصل الطهارة التامة عن لوث الشرك والسوى فالنفس تدعو مع الشيطان إلى أسفل السافلين والله تعالى يدعو بلسان نبيه إلى أعلى عليين وقد دعا الأنبياء كلهم فقبحوا الأوثان والشرك والدنيا وحسنوا عبادة الله والتوحيد والأخرى ورغبوا إلى الشكر والطاعة في الدنيا التي هي الساعة بل كلمح البصر لا يرى لها أثر ولا يسمع لها خبر فالعاقل يستمع إلى الداعي الحق ولا يكذب الخبر الصدق فيل بالتصديق والقبول والرضى إلى الدرجات العلى والراحة العظمى.

مده براحت فاني حيات باقي را   بمحنت دوسه روز از غم ابد بكريز

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿أو لم يروا كيف يبدىء الله الخلق﴾ اعتراض بين طرفي قصة إبراهيم عليه السلام لتذكير أهل مكة وإنكار تكذيبهم بالبعث مع وضوح دليله والهمزة لإنكار عدم رؤيتهم الموجب لتقريرها والواو للعطف على مقدر وإبداء الخلق إظهارهم من العدم إلى الوجود ثم من الوجود الغيبي إلى الوجود العيني.

قال الإمام الغزالي رحمه الله: الإيجاد إذا لم يكن مسبوقاً بمثله يسمى إبداء وإن كان مسبوقاً بمثله يسمى إعادة والله تعالى بدأ خلق الإنسان ثم هو يعيدهم أي يرجعهم ويردهم بعد العدم إلى الوجود ويحشرهم والأشياء كلها منه بدت وإليه تعود. ومعنى الآية ألم ينظروا أي أهل مكة وكفار قريش ولم يعلموا علماً جارياً مجرى الرؤية في الجلاء والظهور كيفية خلق الله

ابتداء من مادة ومن غير مادة أي قد علموا. ﴿ثم يعيده﴾ أي: يرده إلى الوجود عطف على أو لم يروا لا على يبدأ لعدم وقوع الرؤية عليه فهو إخبار بأنه تعالى يعيد الخلق قياساً على الإبداء وقد جوز العطف على يبدأ بتأويل الإعادة بإنشائه تعالى كل سنة ما أنشأه في السنة السابقة من النبات والثمار وغيرهما فإن ذلك مما يستدل به على صحة البعث ووقوعه من غير ريب. قال الشيخ سعدي قدس سره:

بامرش وجود از عدم نقش بست ... كه داند جزا وكردن از نيست هست
دكرره بكتم عدم در برد ... واز آنجا بصحراي محشر برد

﴿إن ذلك﴾ أي: ما ذكر من الإعادة ﴿على الله يسير﴾ سهل لا نصب فيه. وبالفارسية [آسانست] إذ لا يفتقر في فعله إلى شيء من الأسباب.

﴿قل﴾ يا محمد لمنكري البعث. ﴿سيروا في الأرض﴾ سافروا في أقطارها. ﴿فانظروا كيف بدأ الخلق﴾ خلقهم ابتداء على كثرتهم مع اختلاف الأشكال والأفعال والأحوال ﴿ثم الله ينشىء النشأة الآخرة﴾ يقال: نشأ نشأة حيي وربا وشب.

قال الراغب: الإنشاء إيجاد الشيء وتربيته وأكثر ما يقال ذلك في الحيوان انتهى والنشأة مصدر مؤكد لينشىء بحذف الزوائد والأصل الإنشاءة أو بحذف العامل أي ينشىء فينشؤون النشأة الآخرة كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عمران: ٣٧] أي فنبتت نباتاً حسناً والنشأة الآخرة هي النشأة الثانية وهي نشأة القيام من القبور والجملة معطوفة على جملة سيروا في الأرض داخلة معها في حيز القول وعطف الأخبار على الإنشاء جائز فيما له محل من الإعراب وإنما لم تعطف على قوله بدأ الخلق لأن النظر غير واقع على إنشاء النشأة الأخرى فإن الفكر يكون في الدليل لا في النتيجة. والمعنى ثم الله يوجد الإيجاد الآخر ويحيي الحياة الثانية أي بعد النشأة الأولى التي شاهدتموها وهي الإبداء فإنه والإعادة نشأتان من حيث أن كلاً اختراع وإخراج من العدم إلى الوجود ـ وبالفارسية [پس الله باز فردا بآفرينش پسين خلق را زنده كند وظاهر كرداند آفريدن ديكررا ملخص سخن آنست كه چون بديديد وبدا نستيد كه خالق همه در ابتدا الله است حجت لازم شود برشما دراعات وبضرورت دانيد آنكه مبدىء خلائق است ميتواند آنكه معيد ايشان باشد]. ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ لأن قدرته لذاته ونسبة ذاته إلى كل الممكنات على سواء فيقدر على النشأة الأخرى كما قدر على النشأة الأولى.

﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿يعذب﴾ أي: بعد النشأة الآخرة ﴿من يشاء﴾ أن يعذبه وهم المنكرون لها ﴿ويرحم من يشاء﴾ أن يرحمه وهم المصدقون بها وتقديم التعذيب لما أن الترهيب أنسب بالمقام من الترغيب. ﴿وإليه﴾ تعالى لا إلى غيره. ﴿تقلبون﴾ تردون بالبعث فيفعل بكم ما يشاء من التعطيب والرحمة مجازاة على أعمالكم.

قال الكاشفي: [در كشف الأسرار آورده كه عذابش ازروى عدلست ورحمتش ازراه فضل پس هركزا خواهد باوى عدل كند از پيش براند وآنراكه خواهد باوى فضل نمايد بلطف خويش بخواند].

اكـــر رانـــي زراه عـــدل رانـــي وكـر خـوانـي زروي فـضـل خـوانـي
مـرا بـارانـدن وخـوانـدن چـه كـارسـت اكـر خـوانـي وكـررانـي تـودانـي

[درزان المسير آورده كه عذاب بزشت خوييست ورحمت بخوش خلقي. ونزد بعضي عذاب ورحمت بميل دنياست وترك آن يابحرص وقناعت يابمتابعت بدعت وملازمت سنت يابتفرقهٔ خاطر وجمعيت دل. إمام قشيري فرموده كه عذاب با آنست كه بنده را باوكذارد ورحمت آنكه بخود متولیٔ كار أوشود].

تـاتـونـبـاشـي يـارمـارونـق نـيـابـد كـارمـا

﴿وما أنتم بمعجزين﴾ [ونيستيد شما اي مردمان عاجز كنند كان پروردكار خودرا] أي عن إجراء حكمه وقضائه عليكم وإن هربتم. ﴿في الأرض﴾ الواسعة بالتواري فيها. يعني [درزير زمين] ﴿ولا في السماء﴾ ولا بالتحصن في السماء التي هي أوسع منها لو استطعتم الترقي فيها. يعني في الأرض كنتم أو في السماء لا تقدرون أن تهربوا منه فهو يدرككم لا محالة ويجري عليكم أحكام تقديره ﴿وما لكم من دون الله من ولي﴾ [دوست كار ساز]. ﴿ولا نصير﴾ يارى ومعين. يعني: ليس غيره تعالى يحرسكم مما يصيبكم من بلاء يظهر من الأرض أو ينزل من السماء ويدفعه عنكم إن أراد بكم ذلك.

قال بعضهم: الولي الذي يدفع المكروه عن الإنسان والنصير الذي يأمر بدفعه عنه والولي أخص من النصير إذ قد ينصر من ليس بولي.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿والذين كفروا بآيات الله﴾ أي بدلائله التكوينية والتنزيلية الدالة على ذاته وصفاته وأفعاله فيدخل فيه النشأة الأولى الدالة على تحقق البعث والآيات الناطقة به دخولاً أولياً.

قال في «كشف الأسرار»: الكفر بآيات الله أن لا يستدل بها عليه وتنسب إلى غيره ويجحد موضع النعمة فيها. ﴿ولقائه﴾ الذي تنطق به تلك الآيات ومعنى الكفر بلقاء الله جحود الورود عليه وإنكار البعث وقيام الساعة والحساب والجنة والنار. ﴿أولئك﴾ الموصوفون بما ذكر من الكفر بآياته تعالى ولقائه ﴿يئسوا من رحمتي﴾ اليأس انتفاء الطمع كما في «المفردات»: وبالفارسية [نوميدشدن] كما في «تاج المصادر» أي: ييأسون منها يوم القيامة وصيغة الماضي للدلالة على تحققه أو يئسوا منها في الدنيا لإنكارهم البعث والجزاء ﴿وأولئك﴾ الموصوفون بالكفر بالآيات واللقاء وباليأس من الرحمة الممتازون بذلك عن سائر الكفرة ﴿لهم﴾ بسبب تلك الأوصاف القبيحة ﴿عذاب أليم﴾ لا يقادر قدره في الشدة والإيلام.

قال في «كشف الأسرار»: [بدانكه تأثير رحمت الله درحق بندكان پيش از تأثير غضب است ودرقر آن ذكر صفات رحمت پيش اذ ذكر صفات غضب است ودر خبر ست كه «سبقت رحمتي غضبي» أين رحمت وغضب هردوصفت حق است وروا نباشدكه كويي يكي پيش است ويكي پس يايكي پيش است ويكي كم زيرا كه اكريكي پيش كويي ديكررا نقصان لازم آيد واكر يكي را پيش كويي يكررا حدوث لازم آيد پس مراد ازين تأثير ورحمت است يعني پيش كرد تأثير رحمت من بر تأثير غضب من تأثير غضب أوست نومدي كافران از رحمت أو تا مي كويد

جل جلاله ﴿أولئك يئسوا من رحمتي﴾ وتأثير رحمت اوست اميدمؤمنان بمغفرت أو دل نهادن بر رحمت أو تاميكويد] عز وجل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٨] فينبغي للمؤمن أن لا ييأس من رحمته وأن لا يأمن من عذابه فإن كلاً من اليأس وإلا من كفر بل يكون راجياً خائفاً وأما الكافر فلا يخطر بباله رجاء ولا خوف، وإذا ترقى العبد عن حالة الخوف والرجاء يعرض له حالتا القبض والبسط فالقبض للعارف كالخوف للمستأنف والبسط له كالرجاء له. والفرق بينهما أن الخوف والرجاء يتعلقان بأمر مستقبل مكروه أو محبوب فالقبض والبسط بأمر حاضر في الوقت يغلب على قلب العارف من وارد غيبي فتارة يغلب القبض فيقول ذلي كذل اذل اليهو- وإليه الإشارة بالإبداء في الآية وأخرى يغلب البسط فيقول أين السموات والأرضون حتى أحملهما على شعرة جفن عيني وإليه الإشارة بالإعادة في الآية ومن هذا القبيل ما قال عليه السلام: «ليت رب محمد لم يخلق محمداً» وما قال: «أنا سيد ولد آدم» وفي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ [الأحقاف: ٣٣] الخ إشارة إلى أنه تعالى كما بدأ خلق الخلق بإخراجهم من العدم إلى الوجود إلى عالم الأرواح ثم أهبطهم من عالم الأرواح إلى عالم الأشباح عابرين على الملكوت والنفوس السماوية والأفلاك والأنجم وفلك الأثير والهواء والبحار وكرة الأرض ثم على المركبات والمعادن والنبات والحيوان إلى أن بلغ أسفل سافلين الموجودات وهو القلب الإنساني كما قال: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾ [التين: ٥] أي بتدبير النفخة الخاصة كما قال: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ﴾ [الحجر: ٢٩] فكذلك يعيده بجذبات العناية إلى الحضرة راجعاً من حيث هبط عابراً على المنازل والمقامات التي كانت على ممره بقطع تعلق نظره إلى خواص هذه المنازل وترك الانتفاع بها فإنه حالة العبور على هذه المنازل استعار خواصها وبعض أجزائها منها لاستكمال الوجود الإنساني روحانياً وجسمانياً فصار محجوباً معبداً عن الحضرة فعند رجوعه إلى الحضرة بجذبة ارجعي يرد في كل منزل ما استعار منه فإن العارية مردودة إلى أن يعاد إلى العدم بلا أنانية بتصرف جذبة العناية وهو معنى الفناء في الله. قال المولى الجامي:

طي كن بساط كون كه اين كعبهٔ مراد ... باشد وراى كون ومكان چند مرحله

وقال الشيخ المغربي:

زتنكناي جسد چون برون نهى قدمي ... بجز حظيرهٔ قدسىٔ بادشاه مپرش

وفي «المثنوي»:

از جمادى مردم نامى شدم ... وزنما مردم بحيوان بر زدم
مردم از حيواني وآدم شدم ... پس چه ترسم كي زمردن كم شدم
جملهٔ ديكر بميرم از بشر ... تا بر آرم از ملائك پاوسر
وزملك هم بايدم جستن زجو ... كل شيء هالك إلا وجهه
باردیكر از ملك قربان شوم ... آنچه اندر وهم نايد آن شوم
پس عدم كردم عدم چون ارغنون ... كويدم كانا إليه راجعون

وفي قوله: ﴿والذين كفروا﴾ الخ إشارة إلى الطائفة من أرباب الطلب وأصحاب السلوك العابرين على بعض المقامات المشاهدين آثار شواهد الحق الذين كوشفوا ببعض الأسرار ثم أدركتهم العزة بحجاب الغيرة فابتلاهم الله للغيرة بالالتفات إلى الغير فحجبوا بعد أن كوشفوا وستروا بعد أن تجردوا واستدرجوا بعد أن رفعوا وبعدوا بعد أن قربوا وردوا بعد أن دعوا

فحاروا بعد أن كاروا نعوذ بالله من الحور بعد الكور كذا في «التأويلات النجمية».

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿فما كان جواب قومه﴾ أي قال إبراهيم عليه السلام: اعبدوا الله واتقوه فما كان جواب قومه آخر الأمر وهو بالنصب على أنه خبر كان واسمها قوله: **﴿إلا أن قالوا﴾** إلا قول بعضهم لبعض **﴿اقتلوه﴾** أصل القتل إزالة الروح عن الجسد كالموت لكن إذا اعتبر بفعل المتولي لذلك يقال: قتل وإذا اعتبر بفوت الحياة يقال: موت. **﴿أو حرقوه﴾** التحريق [نيك سوزانيدن] والفرق بين التحريق والإحراق وبين الحرق أن الأول إيقاع ذات لهب في الشيء ومنه استعير أحرقني بلومه إذا بالغ في أذيته بلوم والثاني إيقاع حرارة في الشيء من غير لهيب كحرق الثوب بالدق كما في «المفردات» وفيه تسفيه لهم حيث أجابوا من احتج عليهم بأن يقتل أو يحرق وهكذا ديدن كل محجوج مغلوب. **﴿فأنجاه الله من النار﴾** الفاء فصيحة أي فألقوه في النار فأنجاه الله من أذاها بأن جعلها عليه برداً وسلاماً روي أنه لم ينتفع يومئذ بالنار في موضع أصلاً وذلك لذهاب حرها **﴿إن في ذلك﴾** أي: في إنجائه منها **﴿لآيات﴾** بينة عجيبة هي حفظه تعالى إياه من حرها وإخمادها مع عظمها في زمان يسير يعني عقيب احتراق الحبل الذي أوثقوه به لأنه ما أحرقت منه النار إلا وثاقه وأنشىء روض في مكانها يعني كل وريحان. **﴿لقوم يؤمنون﴾** لأنهم المنتفعون بالتفحص عنها والتأمل فيها وأما الكافرون فمحرومون من الفوز بمغانم آثارها.

وفيه إشارة إلى دعوة إبراهيم الروح نمرود النفس وصفاتها إلى الله تعالى ونهيهم عن عبادة الهوى والدنيا وما سوى الله وإلى إجابتهم إياه من لؤم طبعهم وغاية سفههم قولهم: اقتلوه بسيف الكفر والشرك أو أوقدوا عليه نار الشهوات والأخلاق الذميمة وحرقوه بها فخلص الله جوهر الروحية من حرقة النار الشهوات والأخلاق الذميمة ومتعه بالخصائص المودعة فيها مما لم يكن في جبلة الروح مركوزاً وكان به محتاجاً في سيره إلى الله ولهذه الاستفادة بعث إلى أسفل سافلين القالب.

﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿وقال﴾ إبراهيم مخاطباً لقومه **﴿إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً﴾** أي: اتخذتموها آلهة لا لحجة قامت بذلك بل **﴿مودة بينكم﴾** أي: لتتوادوا بينكم وتتلاطفوا لاجتماعكم على عبادتها. **﴿في الحياة الدنيا﴾** يعني مدة بقائكم في الدنيا. وبالفارسية [ميخاهيد تاشمارا درعبادت آن ابتان اجتماعي باشد ودوستي بايكديكر تايكديكررا اتباع ميكنيد وبر آن اتباع دوست يكديكر ميشويد همچنانكه مؤمنان در عبادت الله بايكديكر مهر دارند ودوستي وتادر دنيا باشيد آن دوستي باقيست]. **﴿ثم يوم القيامة﴾** بعد الخروج من الدنيا تنقلب الأمور ويتبدل التواد تباغضاً والتلاطف تلاعناً حيث و**﴿يكفر بعضكم﴾** وهم العبدة **﴿ببعض﴾** وهم الأوثان **﴿ويلعن بعضكم بعضاً﴾** أي: يلعن ويشتم كل فريق منكم ومن الأوثان حيث ينطقها الله الفريق الآخر واللعن طرد وإبعاد علىَ سبيل السخط وهو من الإنسان دعاء على غيره.

وفي «التأويلات النجمية»: تكفر النفس بشهوات الدنيا إذا شاهدت وبال استعمالها

وخسران حرمانها من شهوات الجنة وتلعن على الدنيا لأنها كانت سبباً لشقاوتها وتلعن الدنيا عليها كما قال عليه السلام: «إن أحدكم إذا لعن الدنيا: قالت الدنيا لعن الله أعصانا لله» **﴿ومأواكم﴾** جميعاً العابدون والمعبودون والتابعون والمتبعون **﴿النار﴾** أي هي منزلكم الذي تأوون إليه ولا ترجعون منه أبداً **﴿وما لكم من ناصرين﴾** يخلصونكم منها كما خلصني ربي من النار التي ألقيتموني فيها وجمع الناصر لوقوعه في مقابلة الجمع، أي وما لأحد منكم من ناصر أصلاً:

چون بت سنكين شمارا قبله شد ... لعنت وكورى شمارا ظاهر شد
نيست هركز ازخدا نفرت شما ... شد محرم جنت ورحمت شما

﴿۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿فآمن له لوط﴾ آمن له وآمن به متقارب في المعنى ولوط ابن أخته. يعني: [خواهر زادهٔ إبراهيم بود وبقولي برادر زادهٔ أو] والمعنى صدقه في جميع مقالاته لا في نبوته وما دعا إليه من التوحيد فقط فإنه كان منزهاً عن الكفر وما قيل أنه آمن له حين رأى النار لم تحرقه ينبغي أن يحمل على ما ذكرنا أو على أنه يراد بالإيمان الرتبة العالية منه وهي التي لا يرتقي إليها إلا همم الأفراد وهو أول من آمن به **﴿وقال﴾** أي إبراهيم للوط وسارة وهي ابنة عمه وكانت آمنت به وكانت تحت نكاحه **﴿إني مهاجر﴾** أي تارك لقومي وذاهب **﴿إلى ربي﴾** أي حيث أمرني والمهاجرة [از زميني شدن واز كسى ببريدن] ومنه الحديث: «لا يذكر الله إلا مهاجراً» أي: قلبه مهاجر للسانه غير مطابق له.

قال في «المفردات»: الهجر والهجران مفارقة الإنسان غيره إما بالبدن أو باللسان أو بالقلب.

قال بعض العارفين: إني راجع من نفسي ومن الكون إليه فالرجوع إليه بالانفصال عما دونه ولا يصح لأحد الرجوع إليه وهو متعلق بشيء من الكون حتى ينفصل عن الأكوان أجمع ولا يتصل بها. قال الكمال الخجندي:

وصل ميسر نشود جز بقطع ... قطع نخست ازهمه ببريدنست

﴿إنه هو العزيز﴾ الغالب على أمره فيمنعني من أعدائي. **﴿الحكيم﴾** الذي لا يفعل إلا ما فيه حكمة ومصلحة فلا يأمرني إلا بما فيه صلاحي ومن لم يقدر في بلدة على طاعة الله فليخرج إلى بلدة أخرى.

وفي «التأويلات النجمية»: **﴿إنه هو العزيز﴾** أي إن الله أعز من أن يصل إليه أحد إلا بعد مفارقته لغيره **﴿الحكيم﴾** الذي لايقبل بمقتضى حكمته إلا طيباً من لوث أنانيته كما قال عليه السلام: «إن الله طيب لا يقبل إلا الطيب» انتهى. روي: أن إبراهيم عليه السلام أول من هاجر ولكل نبي هجرة ولإبراهيم هجرتان فإنه هاجر من كوثى وهي قرية من سواد الكوفة مع لوط وسارة وهاجر إلى حران ثم منها إلى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم [صاحب كشاف آورده كه إبراهيم دروقت هجرت هفتاد وپنج ساله بود ودرهمين سال خدا إسماعيل را بوي

دادازها جركه كنيزك ساره خاتون بود وچون سن مبارك آن حضرت بصد وبيست رسيد حق تعالى ويرا ازساره فرزندي بخشيد چنانچه ميفرمايد].

﴿ووهبنا له﴾من عجوز عاقر وهي سارة ﴿إسحاق﴾ولداً لصلبه أي من بعد إسماعيل من هاجر ﴿ويعقوب﴾نافلة وهي ولد الولد حين أيس من الولادة.

قال القاضي: ولذلك لم يذكر إسماعيل يعني أن المقام مقام الامتنان والامتنان لهما أكثر لما ذكر. روي: أن الله تعالى وهب له أربعة أولاد إسحاق من سارة وإسماعيل من هاجر ومدين ومداين من غيرهما. ﴿وجعلنا في ذريته﴾في نسله يعني في بني إسماعيل وبني إسرائيل. ﴿النبوة﴾فكثر منهم الأنبياء يقال: أخرج من ذريته ألف نبي وكان شجرة الأنبياء. ﴿والكتاب﴾أي: جنس الكتاب المتناول الكتب الأربعة يعني التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ﴿وآتيناه أجره﴾بمقابلة هجرته إلينا. ﴿في الدنيا﴾بإعطاء الولد في غير أوانه والمال والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء أهل الملل إليه والثناء والصلاة عليه إلى آخر الدهر [ما وردي كويد مزداو دردنيا بقاء ضيافت اوست يعني همچنانكه درحال حياة در مهما نخانهء وي بساط دعوت انداخته حالا نيزهست وخاص وعام ازان مائدهء پرفائده بهره مندند]:

سفره اش مبسوط بر أهل جهان　　نعمتش مبذول شد بي امتنان

﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾لفي عداد الكاملين في الصلاح وهم الأنبياء وأتباعهم عليهم السلام.

قال ابن عطاء: أعطيناه في الدنيا المعرفة والتوكل وإنه في الآخرة لمن الراجعين إلى مقام العارفين فالدنيا والآخرة حظ العارفين وذلك بمقاساتهم الشدائد ظاهراً وباطناً كالهجرة ونحوها.

اعلم أن الهجرة على قسمين صورية وقد انقطع حكمها بفتح مكة كما قال عليه السلام: «لا هجرة بعد الفتح» ومعنوية وهي السير من موطن النفس إلى الله تعالى بفتح كعبة القلب وتخليصها من أصنام الشرك والهوى فيجري حكمها إلى يوم القيامة وإذا سار الإنسان من موطن النفس إلى مقام القلب فكل ما أراده يعطيه الله وهو الأجر الدنيوي كما قال أبو سعيد الخراز رحمه الله: أقمنا بمكة ثلاثة أيام لم نأكل شيئاً وكان بحذائنا فقير معه ركوة مغطاة بحشيش وربما أراه يأكل خبزاً حوّاري فقلت له: نحن ضيفك فقال: نعم فلما كان وقت العشاء مسح يده على سارية فناولني درهمين فاشترينا خبزاً فقلت: بم وصلت إلى ذلك فقال: يا أبا سعيد بحرف واحد تخرج قدر الخلق من قلبك تصل إلى حاجتك.

ثم اعلم بأن الله تعالى منّ على إبراهيم عليه السلام بهبة الولد والولد الصالح الذي يدعو لوالديه من الأجور الباقية الغير المنقطعة كالأوقاف الجارية والمصاحف المتلوة والأشجار المنتفع بها ونحوها وكذلك منّ عليه بأن جعل في ذريته النبوة.

والإشارة فيه أن من السعادات أن يكون في ذرية الرجل أهل الولاية الذين هم ورثة الأنبياء فإن بهم تقوم الدنيا والدين وتظهر الترقيات الصورية والمعنوية للمسلمين وتسطع الأنوار إلى جانب الأرواح المقربين وأعلى عليين فيحصل الفخر التام والشرف الشامل والانتفاع العام وهؤلاء إن كانا من النسب الطيني فذاك وإن كانوا من النسب الديني فالأولاد الطيبون والأحفاد الطاهرون مطلقاً من نعم الله الجليلة.

نعم الإله على العباد كثيرة　　وأجلهن نجابة الأولاد

ربنا هب لنا من أزواجنا الخ.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿ولوطاً﴾ أي ولقد أرسلنا لوطاً من قبلك يا محمد اذكر لقومك **﴿إذ قال لقومه﴾** من أهل المؤتفكات **﴿إنكم﴾** [بدرستي كه شما] **﴿لتأتون الفاحشة﴾** أي: الخصلة المتناهية في القبح. وبالفارسية [بفاحشة مي آييد يعني ميكنيد كاري كه بغايت زشت است] كأن قائلاً قال: لم كانت تلك الخصلة فاحشة؟ فقيل: **﴿ما سبقكم بها﴾** أي بتلك الفاحشة **﴿من أحد من العالمين﴾** [هيچكس ازجهانيان] أي لم يقدم أحد قبلكم عليها لإفراط قبحها وكونها مما تنفر عنها النفوس والطباع وأنتم أقدمتم عليها لخباثة طبيعتكم.

قالوا: لم ينز ذكر على ذكر قبل قوم لوط قط أي مع طول الزمان وكثرة القرون.

﴿أئنكم لتأتون الرجال﴾ [آياشما مي آييد ومي كراييد بمردان بطريق مباشرت وآن كار زشت ميكنيد] **﴿وتقطعون السبيل﴾** السبيل من الطرق ما هو معتاد السلوك وفيه سهولة وقطع الطريق يقال على وجهين أحدهما يراد به السير والسلوك والثاني يراد به الغصب من المارة والسالكين للطريق لأنه يؤدي إلى انقطاع الناس عن الطريق فجعل قطعاً للطريق. والمعنى تتعرضون لأبناء السبيل بالفاحشة حتى انقطع الناس عن طريقكم. روي: أنهم كانوا كثيراً ما يفعلونها بالغرباء ويجبرونهم عليها أو تقطعونها بالقتل وأخذ المال وكانوا يفعلون ذلك لكيلا يدخلوا في بلدهم ولا يتناولوا من ثمارهم أو تقطعون سبيل النسل بالإعراض عن الحرث وإتيان ما ليس بحارث **﴿وتأتون﴾** تفعلون وتتعاطون من غير مبالاة **﴿في ناديكم﴾** في مجلسكم ومتحدثكم الجامع لأصحابكم فإنه لا يقال النادي والندى إلا لما فيه أهله فإذا قاموا عنه لم يبق نادياً.

قال في «كشف الأسرار»: النادي مجمع القوم للسمر والإنس وجمعه أندية **﴿المنكر﴾**.

قال الراغب: المنكر كل شيء تحكم العقول الصحيحة بقبحه أو تتوقف في استقباحه العقول وتحكم بقبحه الشريعة انتهى.

وهو ههنا أمور: منها الجماع واللواطة في المجالس بالعلانية والضراط وهو بالفارسية [بادرا رهايي كردن] زعمت الهند أن حبس الضراط داء وإرساله دواء ولا يحبسون في مجالسهم ضرطة ولا يرون ذلك عيباً وأفلتت من معاوية ريح على المنبر فقال: أيها الناس إن الله خلق أبداناً وجعل فيها أرياحاً فمتى يتمالك الناس أن لا تخرج منهم فقام صعصعة بن صوحان فقال: أما بعد فإن خروج الأرياح في المتوضأة سنة وعلى المنابر بدعة واستغفر الله لي ولكم. ومنها حل أزرار القباء وضرب الأوتار والمزامير والسخرية بمن يمر بهم وفي هذا إعلام أنه لا ينبغي أن يتعاشر الناس على المناكير وأن لا يجتمعوا على الهزؤ والمناهي ـ سئل ـ الجنيد رحمه الله عن هذه الآية فقال: كل شيء يجتمع الناس عليه إلا الذكر فهو منكر وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هو ـ أي المنكر ـ الحذف بالحصى: يعني: [بسر انكشت سبابه وناخن انكشت سترك

سنك بمردم انداختن] وكانوا يجلسون على الطريق وعند كل واحد قصعة فيها حصى فمن مر بهم حذفوه فمن أصابه منهم فهو أحق به فيأخذ ما معه وينكحه ويغرّمه ثلاثة دراهم ولهم قاض يقضي بينهم بذلك. ومنه «هو أجور من قاضي سدوم» وفي الحديث: «إياكم والحذف فإنه لا ينكي عدواً ولا يقتل صيداً ولكن يفقأ العين ويكسر السنَّ» وكان من أخلاق قوم لوط الرمي بالبنادق والجلاهق والصفير وتطريف الأصابع بالحناء والفرقعة أي مد الأصابع حتى تصوت ولذا كرهت في الصلاة وخارجها لئلا يلزم التشبه بهم. ومن أخلاقهم مضغ العلك ولا يكره للمرأة إن لم تكن صائمة لقيامه مقام السواك في حقهن لأن سنّها أضعف من سنّ الرجال كسائر أعضائها فيخاف من السواك سقوط سنها وهو ينقي الأسنان ويشد اللثة كالسواك ويكره للرجل إذا لم يكن من علة كالبخر لما فيه من تشبه النساء. ومن أخلاقهم السباب والفحش في المزاح يقال المزاح يجلب صغيرة الشرك وكبيرة الحرب. ومن أخلاقهم اللعب بالحمام.

عن سفيان الثوري أنه قال: كان اللعب بالحمام من عمل قوم لوط وإن من لعب بالحمام الطيارة لم يمت حتى يذوق ألم الفقر كما في «حياة الحيوان» **﴿فما كان جواب قومه﴾** لما أنكر عليهم قبائحهم **﴿إلا أن قالوا﴾** له استهزاء [ما ترك أين عملها نخواهيم كرد] **﴿ائتنا بعذاب الله﴾** [بيار عذاب خدايرا بما] **﴿إن كنت من الصادقين﴾** فيما تعدنا من نزول العذاب. وبالفارسية [از راست كويان در آنكه اين فعلها قبيح است وبسبب آن عذاب بشما نازل خواهد شد].

قال في «الإرشاد»: فما كان جواب من جهتهم بشيء من الأشياء إلا هذه الكلمة الشنيعة أي لم يصدر عنهم في هذه المرة من مرات مواعظ لوط وقد كان أوعدهم فيها العذاب وأما ما في سورة الأعراف من قوله: ﴿فَمَا كَانَ﴾ [الأعراف: ٣٩] الخ وما في سورة النمل من قوله: ﴿فَمَا كَانَ﴾ [النمل: ٥٦] الخ فهو الذي صدر عنهم بعد هذه المرة وهي المرة الأخيرة من مرات المقاولات الجارية بينهم وبينه عليه السلام.

﴿قال﴾ لوط بطريق المناجاة لما أيس منهم **﴿رب﴾** [أي پروردكار من] **﴿انصرني﴾** أي: بإنزال العذاب الموعود **﴿على القوم المفسدين﴾** بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم والإصرار عليها فاستجاب الله دعاءه [وفرشتكان فرستاد تاقوم أورا عذاب كنند وايشانرا فرموده كه نخست بإبراهيم بكذريد وأورا بشارت دهيد] كما سيأتي وإنما وصفهم بالإفساد ولم يقل عليهم أو على قومي مبالغة في استنزال العذاب عليهم وإشعاراً بأنهم أحقاء بأن يعجل لهم العذاب.

قال الطيبي: الكافر إذا وصف بالفسق أو الإفساد كان محمولاً على غلوه في الكفر.

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

﴿ولما جاءت﴾ [آن هنكام كه آمدند] **﴿رسلنا﴾** يعني الملائكة وهم جبريل ومن معه **﴿إبراهيم بالبشرى﴾** أي بالبشارة والولد النافلة **﴿قالوا﴾** لإبراهيم في تضاعيف الكلام **﴿إنا مهلكوا أهل هذه القرية﴾** أي قرية سدوم والإضافة لفظية لأن المعنى على الاستقبال **﴿إن أهلها**

كانوا ظالمين﴾ بالكفر والتكذيب وأنواع المنكرات.

﴿قال﴾ إبراهيم للرسل إشفاقاً على المؤمنين ومجادلة عنهم **﴿إن فيها لوطاً﴾** [لوط دران شهرست] أي فكيف تهلكونها سمي بلوط لأن حبه ليط بقلب عمه إبراهيم أي تعلق ولصق وكان إبراهيم يحبه حباً شديداً **﴿قالوا﴾** أي: الملائكة **﴿نحن أعلم﴾** منك **﴿بمن فيها﴾** ولسنا بغافلين عن حال لوط فلا تخف أن يقع حيف على مؤمن. **﴿لننجينه﴾** أي: لوطاً **﴿وأهله﴾** أتباعه المؤمنين وهم بناته **﴿إلا امرأته كانت من الغابرين﴾** أي الباقين في العذاب أو القرية. يعني: [خواهيم كفت تالوط ازميان قوم بيرون آيد باهل خود وهمه كسان وي بيرون روند مكر زن أوكه درميان قوم بماند وباايشان هلاك شود].

﴿ولما أن﴾ صلة لتأكيد الفعلين وما فيهما من الاتصال **﴿جاءت رسلنا﴾** المذكورون بعد مفارقة إبراهيم. **﴿لوطاً سيء بهم﴾** أي: اعتراه المساءة بسببهم مخافة أن يتعرض لهم قومه بسوء أي الفاحشة لأنهم كانوا يتعرضون للغرباء ولم يعرف لوط أنهم ملائكة وإنما رأى شباناً مرداً حساناً بثياب حسان وريح طيبة فظن أنهم من الإنس **﴿وضاق بهم ذرعاً﴾** أي ضاق بشأنهم وتدبير أمرهم ذرعه أي طاقته فلم يدر أيأمرهم بالخروج أم بالنزول كقولهم: ضاقت يده وبإزائه رحب ذرعه بكذا إذا كان مطيقاً به قادراً عليه وذلك أن طويل الذراع ينال ما لا يناله قصير الذراع. **﴿وقالوا﴾** لما رأوا فيه أثر الضجرة. يعني: [فرشتكان أثر ملال برحبين مبارك لوط مشاهده كرده أورا تسلى دادند وكفتند]. **﴿لا تخف﴾** من قومك علينا. **﴿ولا تحزن﴾** على شيء **﴿إنا منجوك وأهلك﴾** مما يصيب القوم من العذاب **﴿إلا امرأتك كانت من الغابرين إنا منزلون على أهل هذه القرية﴾** يعني سدوم وكانت مشتملة على سبعمائة ألف رجل كما في «كشف الأسرار». **﴿رجزاً من السماء﴾** عذاب منها يعني الخسف والحصب والرجز العذاب الذي يقلق المعذب أي يزعجه من قولهم: ارتجز إذا ارتعش واضطرب **﴿بما كانوا يفسقون﴾** بسبب فسقهم المستمر فانتسف جبريل المدينة وما فيها بأحد جناحيه فجعل عاليها سافلها وانصبت الحجارة على من كان غائباً أي بعد خروج لوط مع بناته منها [پس بحكم خداي لوط بااهاليء خود خلاص يافت وكفار موتفكهء هلاك شدند وشهرخراب شده إيشان عبرت عالميان كشت چنانچه ميفرمايد].

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾﴾.

﴿ولقد تركنا منها﴾ أي: من القرية ومن للتبيين لا للتبعيض لأن المتروك الباقي ليس بعض القرية بل كلها. **﴿آية بينة﴾** [نشانهء روشن] وهي قصتها العجيبة وحكايتها السابقة أو آثار ديارها الخربة أو الحجارة الممطورة التي على كل واحد منها اسم صاحبها فإنها كانت باقية بعدها وأدركها أوائل هذه الأمة وقيل: ظهور الماء الأسود على وجه الأرض حين خسف بهم وكان منتناً يتأذى الناس برائحته من مسافة بعيدة. **﴿لقوم يعقلون﴾** يستعملون عقولهم في الاعتبار وهو متعلق إما بتركنا أو ببينة وفيه إشارة إلى شرف العقل فإنه هو الذي يعتبر ويردع الإنسان عن الذنب والوقوع في الخطر. وفي «المثنوي»:

عقل إيماني چو شحنه عادلست … پاسبان وحاكم شهر دلست

همچو كربه باشد أو بيدار هوش … دزد درسوارخ ماند همچو موش

درهر آنجاكه بر آرد موش دست | نيست كربه ياكه نقش كربه است
كربهٔ چون شير شير افكن بود | عقل ايماني كه اندرتن بود
غرهٔ أو حاكم دردندكان | نعرهٔ أو مانع چرندكان
شهر بردزدست وبرجامه كنى | خواه شحنه باش كوو خواه ني

وعن أنس رضي الله عنه: أثنى قوم على رجل عند رسول الله حتى بالغوا في الثناء بخصال الخير فقال رسول الله: «كيف عقل الرجل» فقالوا: يا رسول الله نخبرك عنه باجتهاده في العبادة وأصناف الخير وتسألنا عن عقله فقال نبي الله عليه السلام: «إن الأحمق بحمقه أعظم من فجور الفاجر وإنما يرتفع العباد غداً في الدرجات وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم» قيل: كل شيء إذا كثر رخص غير العقل فإنه إذا كثر غلا.

قال أعرابي: لو صور العقل ظلمت معه الشمس ولو صور الحمق لأضاء معه الليل أي لكان الليل مضيئاً بالنسبة إليه مع أنه لا ضوء فيه من حيث أنه ليل. وفي «المثنوي»:

كفت پيغمبر كه أحمق هركه هست | أو عدو ماست غول ورهزن است
هركه أو عاقل بود ازجان ماست | روح أو وريح اوريحان ماست
مائدهٔ عقلست ني نا وشوى | نو عقلست أي پسر جان را غدي
نيست غير نور آدم را خورش | ازجز آن جان نبايد پرورش
زين خورشها اندك اندك بازبر | زين غداي خربود ني آن حر
تاغداي أصل را قابل شوى | لقمهاي نوررا آكل شوى

ثم إن الآية تدل على كمال قدرته على الإنجاء والانتقام من الأعداء والله غالب على أمره ألا أن حزب الله هم المفلحون وهم الأنبياء والأولياء ومن يليهم وعلى أن المعتبر في باب النجاة والحشر أهل الفلاح والرشاد وهو حبهم وحسن اتباعهم لأن الاتصال المعنوي بذلك الاختلاط الصوري فقط ألا يرى إلى امرأة لوط وامرأة نوح حيث قيل لهما: ادخلا النار مع الداخلين لخيانتهما وعدم إطاعتهما وقد نجت بنتا لوط لإيمانهما فسبحان من يخرج الحي من الميت ﴿**وإلى مدين**﴾ أي وأرسلنا إلى أهل مدين ﴿**أخاهم شعيباً**﴾ لأنه من نسبهم وقد سبق تفسير الآية على التفصيل مراراً ﴿**فقال**﴾ شعيب بطريق الدعوة: ﴿**يا قوم**﴾ [أي كروه من] ﴿**اعبدوا الله**﴾ وحده ﴿**وارجوا اليوم الآخر**﴾ المراد يوم القيامة لأنه آخر الأيام أي توقعوه وما سيقع فيه من فنون الأحوال وافعلوا اليوم من الأعمال ما تنتفعون به في العاقبة وتأمنون من عذاب الله ويقال: وارجوا يوم الموت لأنه آخر عمرهم ﴿**ولا تعثوا**﴾ عثا أفسد من الباب الأولى ﴿**في الأرض**﴾ في أرض مدين حال كونكم ﴿**مفسدين**﴾ بنقص الكيل والوزن أي لا تعتدوا حال إفسادكم وإنما قيده وإن غلب في الفساد لأنه قد يكون فيه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدي بفعله ومنه يتضمن صلاحاً راجحاً كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿فكذبوه﴾ أي: شعيباً ولم يمتنعوا من الفساد ﴿فأخذتهم الرجفة﴾ أي الزلزلة الشديدة حتى تهدمت عليهم دورهم وفي سورة هود: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [هود: ٩٤] أي صيحة جبريل فإنها الموجبة للرجفة بسبب تمويجها للهواء وما يجاوره من الأرض ﴿فأصبحوا﴾ أي صاروا ﴿في دارهم﴾ أي بلدهم أومنازلهم ولم يجمع بأن يقال في ديارهم لأمن اللبس ﴿جاثمين﴾ باركين على الركب ميتين مستقبلين بوجوههم الأرض وذلك بسبب عدم استماعهم إلى داعي الحق وتزلزل باطنهم فالجزاء من جنس العمل.

﴿وعاداً﴾ منصوب بإضمار فعل دل عليه ما قبله أي وأهلكنا عاداً قوم هود ﴿وثمود﴾ قوم صالح وهو غير مصروف على تأويل القبيلة ﴿وقد تبين لكم من مساكنهم﴾ أي: وقد ظهر لكم يا أهل مكة إهلاكنا إياهم من جهة بقية منازلهم باليمن ديار عاد والحجر ديار ثمود بالنظر إليها عند مروركم بها في أسفاركم ﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ من فنون الكفر والمعاصي وحسنها في أعينهم ﴿فصدهم عن السبيل﴾ صرفهم عن السبيل الذي وجب عليهم سلوكه وهو السبيل السوي الموصل إلى الحق على التوحيد ﴿وكانوا مستبصرين﴾ يقال: استبصر في أمره إذا كان ذا بصيرة أي والحال أنهم أي عاداً وثمود قد كانوا ذوي بصيرة عقلاء متمكنين من النظر والاستدلال ولكنهم لم يفعلوا ذلك لمتابعتهم الشيطان فلم ينتفعوا بعقولهم في تمييز الحق من الباطل فكانوا كالحيوان. وفي «المثنوي»:

مهر حق برچشم وبركوش خرد كر فلاطونست حيوانش كند

﴿وقارون وفرعون وهامان﴾ معطوف على عاداً وتقديم قارون لشرف نسبه كما سبق ففيه تنبيه لكفار قريش أن شرف نسبهم لا يخلصهم من العذاب كما لم يخلص قارون ﴿ولقد جاءهم موسى بالبينات﴾ بالدلالات الواضحة والمعجزات الباهرة. ﴿فاستكبروا﴾ وتعظموا عن قبول الحق ﴿في الأرض﴾ [در زمين مصر] ﴿وما كانوا سابقين﴾ مفلتين فائتين بل أدركهم أمر الله فهلكوا من قولهم سبق طالبه إذا فاته ولم يدركه.

قال الراغب: أصل السبق التقدم في السير ثم تجوز به في غيره من التقدم كما قال بعضهم: إن الله تعالى طالب كل مكلف بجزاء عمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿فكلا﴾ تفسير لما ينبىء عنه عدم سبقهم بطريق الإبهام أي كل واحد من المذكورين ﴿أخذنا بذنبه﴾ أي عاقبناه بجنايته لا بعضهم دون بعض كما يشعر به تقديم المفعول.

قال بعضهم: الأخذ أصله باليد ثم يستعار في مواضع فيكون بمعنى القبول كما في قوله: ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ﴾ [آل عمران: ٨١] أي: قبلتم عهدي وبمعنى التعذيب في هذا المقام.

قال في «المفردات»: الأخذ حوز الشيء وتحصيله وذلك تارة بالتناول نحو ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَـٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾ [يوسف: ٧٩] وتارة بالقهر نحو ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ويقال: أخذته الحمى ويعبر عن الأسير بالمأخوذ والأخيذ.

قال في «الأسئلة المقحمة»: قوله: ﴿فكلاً أخذنا بذنبه﴾ دليل على أنه تعالى لا يعاقب

أحداً إلا بذنبه وأنهم يقولون: إنه تعالى لو عاقب ابتداء جاز والجواب نحن لا ننكر أنه تعالى يعاقب الكفار على كفرهم والمذنبين بذنبهم وإنما الكلام في أنه لو عاقب ابتداء لا يكون ظالماً لأنه يفعل ما يشاء بحكم الملك المطلق ﴿**فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً**﴾ تفصيل للأخذ أي ريحاً عاصفاً فيه حصباء وهي الحصى الصغار وهم عاد أو ملكاً رماهم بها وهم قوم لوط ﴿**ومنهم من أخذته الصيحة**﴾ كمدين وثمود صاح بهم جبريل صيحة فانشقت قلوبهم وزهت أرواحهم. وبالفارسية [بانك كرفت ايشانرا تا زهرهٔ إشان ترقيد] ﴿**ومنهم من**﴾ [وازايشان كسى بودكه] ﴿**خسفنا به الأرض**﴾ [فرو برديم أورا بزمين چون قارون واتباع أو] فالباء للتعدية وهو الجزاء الوفاق لعمله لأن المال الكثير يوضع غالباً تحت الأرض ﴿**ومنهم من أغرقنا**﴾ كقوم نوح وفرعون وقومه والإغراق: [غرقه كردن] كما في «التاج» والغرق الرسوب في الماء أي السفول والنزول فيه ﴿**وما كان الله ليظلمهم**﴾ بما فعل بهم بأن يضع العقوبة في غير موضعها فإن ذلك محال من جهته تعالى لأنه قد تبين بإرسال الرسل ﴿**ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**﴾ بالاستمرار على ما يوجب العذاب من أنواع الكفر والمعاصي:

أي كه حكم شرع را رد ميكنى ... راه باطل ميروى بدمكيني
چون توبد كردي بدي يا بي جزا ... پس بديها جمله باخود ميكنى

وفي «المثنوي»:

پس تراهر غم كه پيش آيد زدرد ... بركسى تهمت منه برخويش كرد

قال وهب بن منبه: قرأت في بعض الكتب: حلاوة الدنيا مرارة الآخرة ومرارة الدنيا حلاوة الآخرة وظمأ الدنيا ريّ الآخرة وريّ الدنيا ظمأ الآخرة فرح الدنيا حزن الآخرة وحزن الدنيا وفرح الآخرة ومن قدم شيئاً من خير أو شر وجده والأمر بآخره ألا ترى أن هؤلاء المذكورين لما صار آخر أمرهم التذكيب أوخذوا عليه ولو صار التصديق لسومحوا فيما صدر عنهم أولاً. والحاصل أنهم لما عاشوا على الإصرار هلكوا على العذاب ويحشرون على ما ماتوا عليه ولذا يقولون عند القيام من قبورهم: واويلاه فقط وعظ الله بهذه الآيات أهل مكة ومن جاء بعدهم إلى يوم القيام ليعتبروا وينتفعوا بعقولهم ويجتنبوا عن الظلم والأذى والاستكبار والإفساد فإن فيه الصلاح والنجاة والفوز بالمراد لكن التربية والإرشاد إنما تؤثر في المستعد من العباد. قال الشيخ سعدي قدس سره:

چون بود أصل جوهري قابل ... تربيت را درو اثر باشد
هيچ صيقل نكو نداند كرد ... آهني راكه بدكهر باشد

والقرآن كالبحر وإنما يتطهر به من كان من شأنه ذلك كالإنسان وأما الكلب فلا.

سك بدرياي هفت كانه مشوى ... كه چون ترشد پليدتر باشد
خر عيسى اكر بمكه برند ... چون بيايد هنوز خرباشد

حكي: أن بعض المتشيخين ادعى الفضل بسبب أنه خدم فلاناً العزيز أربعين سنة فقال واحد من العرفاء: كان لذلك العزيز بغل قد ركبه أربعين سنة فلم يزل من أن يكون بغلاً حتى هلك على حاله أي لم يؤثر فيه ركوب الإنسان الكامل لعدم استعداده لكونه إنساناً فأفحم المدعي ولله دره نسأل الله الخروج من موطن النفس والإقامة في حظيرة القدس.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾﴾

﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء﴾ مثل الشيء بفتحتين صفته كما في «المختار» والاتخاذ افتعال من الأخذ والمراد بالأولياء الآلهة أي الأصنام. والمعنى: صفتهم العجيبة فيما اتخذوه معتمداً. **﴿كمثل العنكبوت﴾** يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والغالب في الاستعمال التأنيث وتاؤه كتاب طاغوت أي زائدة لا للتأنيث. **﴿اتخذت﴾** لنفسها **﴿بيتاً﴾** أي: كمثلها فيما نسجته في الوهن بل ذلك أوهن من هذا لأن له حقيقة وانتفاعاً في الجملة فالآية من قبيل تشبيه الهيئة بالهيئة لتشبيه حال من اتخذ الأصنام أولياء وعبدها واعتمد عليها راجياً نفعها وشفاعتها بحال العنكبوت التي اتخذت بيتاً فكما أن بيتها لا يدفع عنها حراً ولا برداً ولا مطراً ولا أذى وينتقض بأدنى ريح فكذلك الأصنام لا تملك لعابديها نفعاً ولا ضراً ولا خيراً ولا شراً

پيش چوب وپيش سنك نقش كند كه بساكولان سرها مي نهند

ومن تخيل السراب شراباً لم يلبث إلا قليلاً حتى يعلم أنه كان تخييلاً ومن اعتمد شيئاً سوى الله فهو هباءٌ لا حاصل له وهلاكه في نفس ما اعتمد ومن اتخذ سواه ظهيراً قطع من نفسه سبيل العصمة ورد إلى حوله وقوته.

وفي الآية إشارة إلى أن الذين اتخذوا الله ولياً وعبدوه واعتمدوا عليه وهم المؤمنون فمثلهم كمثل من بنى بيتاً من حجر وجص له حائط يحول عن تطرق الشرور إلى من فيه وسقف مظل يدفع عنه البرد والحر.

دوستيهاي همه عالم بروب از دل كمال پاك بايد داشتن خلوت سراي دوست را

﴿وإن أوهن البيوت﴾ أي: أضعفها. وبالفارسية [سست ترين خانها] **﴿لبيت العنكبوت﴾** لا بيت أوهن منه فيما تتخذه الهوام لأنه بلا أساس ولا جدار ولا سقف لا يدفع الحر والبرد ولذا كان سريع الزوال.

وفيه إشارة إلى أنه لا أصل لموالاة ما سوى الله فإنه لا أس لبنيانها يقول الفقير:

تكيه كم كن صوفي برد يوار غير غير أو ديار ني خلاق دير

﴿لو كانوا يعلمون﴾ أي: شيئاً من الأشياء لجزموا أن هذا مثلهم وأبعدوا عن اعتقاد ما هذا مثله.

قال الكاشفي: [صاحب بحر الحقائق آورده كه عنكبوت هرچند برخود مي تند ژندان براي نفس خود ميسازد وقيدي بدست وپاي خود مي نهد پس خانهء أو محبس أوست آنها نيزكه بدون خداي تعالى أوليا كيرند يعني پرستش هوا وپيروي دنيا ومتابعت شيطان ميكنند بسلاسل وأغلال ووزر وبال مقيد كشته روى خلاصي ندارند وعاقبت در مهلكهء نيران ودركهء بعد وحرمان افتاده معاقب ومعذب كردند وبعضي هواي نفس را در بي اعتباري بتار عنكبوت تشبيه كرده اند] كما قيل:

از هوا بكذر كه پس بي اعتبار افتاده است رشتهء دام هوا چون تار بيت عنكبوت

اللهم ارزقنا دنيا بلا هوى وخلصنا مما يطلق عليه السوي.

قال بعض العارفين: [عاشقان در دمي عيد كنند عنكبوتان مكس قديدكنند. دو عيد عبارتست از نيستي هستي كه هر لحظه در نظر عارف واقع است چه عيد در إصلاح ما يعود على القلباست. وجماعتي كه بدام تعينات كرفتارندكه عنكبوتان عبارت ازان جماعت است مكس قديد كنند يعني وجودات موهومهء عالم را متحقق مي شمارند واز حقيقت حال غافلندكه اشيارا وجود حقيقي نيست وموجوديت اشيا عبارت از نسبت وجود حقست باايشان وچون آن نسبت قطع كرده ميشود اشيا معدوما نندكه] التوحيد: إسقاط الإضافات.

جهانرانيست هستي جز مجازى   سراسر حال أو لهواست وبازى

كذا قال بعض أهل التأويل. يقول الفقير: لعل العيدين إشارة إلى النفس الداخل والخارج وللعارفين في كل منهما عيد أكبر باعتبار كونهم مع الحق وشهوده والعناكيب إشارة إلى العباد الذين يتقيدون بالعبادات الظاهرة من غير شهود الحق فأين من يأكل القديد ممن يأكل الحلاوى ﴿**إن الله**﴾ على إضمار القول أي قل للكفرة تهديداً إن الله ﴿**يعلم ما يدعون**﴾ يعبدون وما استفهامية منصوبة بيدعون ويعلم معلق عنها. ﴿**من دونه**﴾ أي: من دون الله ﴿**من شيء**﴾ من للتبين أي سواء كان ما يدعون صنماً أو نجماً أو ملكاً أو جنياً أو غيره لا يخفى عليه ذلك فهو يجازيهم على كفرهم ﴿**وهو العزيز**﴾ الغالب القادر على انتقام أعدائه ﴿**الحكيم**﴾ ذو الحكمة في ترك المعاجلة بالعقوبة.

ولما كان الجهلة والسفهاء من قريش يقولون: إن رب محمد لا يستحيي أن يضرب مثلاً بالذباب والبعوضة والعنكبوت ويضحكون من ذلك قال تعالى:

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿**وتلك الأمثال**﴾ أي هذا المثل وأمثاله والمثل كلام سائر يتضمن تشبيه الآخر بالأول أي تشبيه حال الثاني بالأول ﴿**نضربها للناس**﴾ نذكرها ونبينها لأهل مكة وغيرهم تقريباً لما بعد عن أفهامهم.

قال في «المفردات»: ضرب المثل هو من ضرب الدرهم اعتباراً بضربه بالمطرقة وهو ذكر شيء أثره يظهر في غيره ﴿**وما يعقلها**﴾ أي وما يفهم حسن تلك الأمثال وفائدتها ﴿**إلا العالمون**﴾ أي الراسخون في العلم المتدبرون في الأشياء على ما ينبغي وهم الذين عقلوا عن الله أي ما صدر عنه فعملوا بطاعته واجتنبوا سخطه والعالم على الحقيقة من حجزه علمه عن المعاصي فالعاصي جاهل وإن كان عالماً صورة.

فإن قيل لم لم يقل وما يعلمها إلا العاقلون والعقل يسبق العلم؟.

قلنا: لأن العقل آلة تدرك بها معاني الأشياء بالتأمل فيها ولا يمكن التأمل فيها والوصول إليها بطريقها إلا بالعلم.

ودلت الآية على فضل العلم على العقل ولا عالم منا إلا وهو عاقل فأما العاقل فقد يكون غير عالم.

قال الإمام الراغب في «المفردات»: العقل يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل ولهذا قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أقول:

العقل عقلان فمطبوع ومسموع
ولا ينفع مطبوع إذا لم يك مسموع
كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

وإلى الأول أشار عليه السلام بقوله: «ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل» وإلى الثاني أشار بقوله: «ما كسب أحد شيئاً أفضل من عقل يهديه إلى هدى ويرده عن ردى» وهذا العقل هو المعني بقوله: ﴿**وما يعقلها إلا العالمون**﴾ وكل موضع ذم فيه الكفار بعدم العقل فإشارة إلى الثاني دون الأول وكل موضع رفع فيه التكليف عن العبد لعدم العقل فإشارة إلى الأول انتهى: وفي «المثنوي».

عقل دو عقلست أول مكسبي كه در آموزى چودر مكتب صبى
از كتاب واوستاد وفكر وذكر از علوم وازمعانى خوب وبكر
عقل تو افزون شود برديكران ليك توباشي ز حفظ آن كران
لوح حافظ باشي اندر دور وكشت لوح محفوظ اسوت كوزين دركذشت
عقل ديكر بخشش يزدان بود چشمهٔ آن درميان جان بود
چون زسينه آب دانش جوش كرد ني شود كنده ني ديرينه ني زرد
ورره نبعش بود بسته چه غم كو همي جوشد زخانه مبدم
عقل تحصيلي مثال جويها كان رود درخانهٔ از كويها
راه آبش بسته شد شد بي نوا از درون خويشتن چون چشمه را
جهد كن تابير عقل ودين شوى تاچو عقل كل توباطن بين شوى

﴿**خلق الله السماوات والأرض بالحق**﴾ أي حال كونهما حقاً مراعياً للحكم والمصالح على أنه حال من فاعل خلق أو ملتبسة بالحق الذي لا محيد عنه مستتبعة للمنافع الدينية والدنيوية على أنه حال من مفعوله فإنها مع اشتمالها على جميع ما يتعلق به معاشهم شواهد دالة على وحدانيته وعظم قدرته وسائر صفاته كما أشار إليه بقوله: ﴿**إن في ذلك**﴾ أي: في خلقهما ﴿**لآية**﴾ دالة على شؤونه ﴿**للمؤمنين**﴾ تخصيص المؤمنين بالذكر مع عموم الهداية والإرشاد في خلقهما للكل لأنهم المنتفعون بذلك.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**خلق الله السماوات والأرض بالحق**﴾ لمرآتية صفات الحق تعالى ليكون مظهرها ﴿**إن في ذلك لآية**﴾ أي في السموات والأرض آية حق مودعة ولكن ﴿**للمؤمنين**﴾ الذين ينظرون بنور الله فإن النور لا يرى إلا بالنور ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

جهان مرآت حسن شاهد ماست فشاهد وجهه في كل ذرات

فعلى العاقل النظر إلى آثار رحمة الله والتفكر في عجائب صنعه وبدائع قدرته حتى يستخرج الدر من بحار معرفته. روي: أن داود عليه السلام دخل في محرابه فرأى دودة صغيرة فتفكر في خلقها وقال: ما يعبأ الله بخلق هذه فانطقها الله تعالى فقالت: يا داود أتعجبك نفسك وأنا على ما أنا والله أذكر الله وأشكره أكثر منك على ما آتاك الله. وحكي: أن رجلاً رأى خنفساء فقال: ماذا يريد الله تعالى من خلقه هذه أحسن شكلها أم طيب ريحها؟ فابتلاه الله بقرحة عجز عنها الأطباء حتى ترك علاجها فسمع يوماً صوت طبيب من الطرقيين ينادي في

الدرب فقال: هاتوه حتى ينظر في أمري فقالوا: ما تصنع بطرقي وقد عجز عنك حذاق الأطباء؟ فقال: لا بد لي منه فلما أحضروه ورأى القرحة استدعى الخنفساء فضحك الحاضرون فتذكر العليل القول الذي سبق منه فقال: أحضروا ما طلب فإن الرجل على بصيرة فأحرقها ووضع رمادها على قرحته فبرئت بإذن الله تعالى فقال للحاضرين: إن الله تعالى أراد أن يعرفني أن أخس المخلوقات أعز الأدوية كذا في «حياة الحيوان» فظهر أن الله تعالى ما خلق شيئاً باطلاً بل خلق الكل حقاً مشتملاً على المصلحة سواء عرفها الإنسان أو لم يعرفها واللائق بشأن المؤمن أن يسلك طريق التفكر ثم يترقى منه حتى يرى الأشياء على ما هي عليه كما هو شأن أرباب البصيرة. وقد قالوا: المشاهدة ثمرة المجاهدة فلا بد من استعمال العقل وسائر القوى وكذا الأعضاء فبالخدمة تزداد الحرمة ويحصل الانكشاف وتزول الحيرة ويجيء الاطمئنان. قال المولى الجامي:

بي طلب نتوان وصالت يافت آرى كي دهد دولت حج دست جزراه بيابان برده را

ومعنى الطلب ليس القصد القلبي والذكر اللساني فقط بل الاجتهاد بجميع الظاهر والباطن بقدر الإمكان وهو وظيفة الإنسان ثم الفتح بيد الله إن شاء أراه ملكوت السموات والأرض وجعله مكاشفاً ومعايناً ومحققاً واحداً وإن شاء أوقفه في مقامه وأقل الأمر حصول التفكر بالعقل المودع ويلزم شكره فإن الله تعالى أخرجه بذلك عن دائرة الغافلين المعرضين اللهم اجعلنا من المتفكرين المتيقظين والمدركين لحقائق الأمور في كل شيء من خلق السماوات والأرض.

﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿اتل ما أوحي إليك من الكتاب﴾ التلاوة القراءة على سبيل التوالي والإيحاء إعلام في الخفاء ويقال للكلمة الإلهية التي تلقى إلى الأنبياء والأولياء وحي. والمعنى: اقرأ يا محمد ما أنزل إليك من القرآن تقرباً إلى الله بقراءته وتحفظاً لنظمه وتذكراً لمعانيه وحقائقه فإن القارىء المتأمل ينكشف له في كل مرة ما لم ينكشف قبل وتذكيراً للناس وحملهم على العمل بما فيه من الأحكام ومحاسن الآداب ومكارم الأخلاق كما روي أن عمر رضي الله عنه أتى بسارق فأمر بقطع يده فقال لم تقطع يدي؟ وكان جاهلاً بالأحكام فقال له عمر: بما أمر الله في كتابه فقال: اتل عليَّ فقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨] فقال السارق: والله ما سمعتها ولو سمعتها ما سرقت فأمر بقطع يده ولم يعذره. فسنّ التراويح بالجماعة ليسمع الناس القرآن.

وعن علي رضي الله عنه من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأ وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأ وهو في غير الصلاة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة ومن قرأ على غير وضوء فعشر حسنات.

وعن الحسن البصري رحمه الله: قراءة القرآن في غير الصلاة أفضل من صلاة لا يكون فيها كثير القراءة كما قال الفقهاء: طول القيام أفضل من كثرة السجود لقوله عليه السلام: «أفضل الصلاة طول القنوت» أي: القيام وبكثرة الركوع والسجود يكثر التسبيح والقراءة أفضل منه. قالوا: أفضل التلاوة على الوضوء والجلوس نحو القبلة وأن يكون غير مربع ولا متكىء

ولا جالس جلسة متكبر ولكن نحو ما يجلس بين يدي من يهابه ويحتشم منه وقد سبق في آخر سورة النمل بعض ما يتعلق بالتلاوة من الآداب والأسرار فارجع. ﴿**وأقم الصلاة**﴾ أي: داوم على إقامتها وحيث كانت الصلاة منتظمة للصلوات المكتوبة المؤداة بالجماعة وكان أمره عليه السلام بإقامتها متضمناً لأمر الأمة بها علل بقوله تعالى: ﴿**إن الصلاة**﴾ المعروفة وهي المقرونة بشرائطها الظاهرة والباطنة ﴿**تنهى**﴾ أي من شأنها وخاصيتها أن تنهاهم وتمنعهم ﴿**عن الفحشاء**﴾ [از كارى كه نزد عقل زشت بود] ﴿**والمنكر**﴾ [واز عملى كه بحكم شرع منهى باشد].

قال في «الوسيط»: المنكر لا يعرف في شريعة ولا سنة أي سواء كان قولاً أو فعلاً والمعروف ضده. يعني: [نماز سبب باز استادن مى باشد از معاصى جه مداومت بروموجب داوم ذكر ومورث كمال خشيت است وبخاصيت بنده را از كناه باز دارد] ـ كما روي ـ أن فتى من الأنصار كان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس ثم لا يدع شيئاً من الفواحش إلا ركبه فوصف لرسول الله فقال: «إن صلاته ستنهاه» فلم يلبث أن تاب وحسن حاله وصار من زهاد الصحابة رضي الله عنه وعنهم.

يقول الفقير: لا شك أن لكل عمل خيراً أو شراً خاصية فخاصية الصلاة إثارة الخشية من الله والنهي عن المعاصي كما أن خاصية الكفر الذي قوبل به ترك الصلاة في قوله عليه السلام: «من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر» إثارة الخوف من الناس والإقبال على المناهي دل عليه قوله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا﴾ [آل عمران: ١٥١] وفي الحديث «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً» يعني: تكون صلاته وبالاً عليه ويكون سبب القرب في حقه سبب البعد لعل ذلك لعدم خروجه عن عهدة حقيقة الصلاة كما قال بعضهم: حقيقة حضور القلب بنعت الذكر والمراقبة بنعت الفكر فالذكر في الصلاة يطرد الغفلة التي هي الفحشاء والفكر يطرد الخواطر المذمومة التي هي المنكر فهذه الصلاة كما تنهى صاحبها وهو في الصلاة عما ذكر كذلك تنهاه وهو في خارجها عن رؤية الأعمال وطلب الأعواض ومثل هذه الصلاة قرة عين العارفين لأنها مبنية على المعاينة لا على المغايبة والصلاة فريضة كانت أو نافلة أفضل الأعمال البدنية لأن لها تأثيراً عظيماً في إصلاح النفس التي هي مبدأ جميع الفحشاء والمنكر وفي الخبر: «قال عيسى عليه السلام يقول الله: بالفرائض نجا مني عبدي وبالنوافل يتقرب إلي».

واعلم أن الصلاة على مراتب فصلاة البدن بإقامة الأركان المعلومة. وصلاة النفس بالخشوع والطمأنينة بين الخوف والرجاء. وصلاة القلب بالحضور والمراقبة. وصلاة السر بالمناجاة والمكالمة. وصلاة الروح بالمشاهدة والمعاينة. وصلاة الخفي بالمناغاة والملاطفة ولا صلاة في المقام السابع لأنه مقام الفناء والمحبة الصرفة في عين الوحدة. فنهاية الصلاة الصورية بظهور الموت الذي هو صورة اليقين كما قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] أي الموت. ونهاية الصلاة الحقيقة بالفناء المطلق الذي هو اليقين فكل صلاة تنهي عن الفحشاء في مرتبتها. يعني: [نماز تن ناهيست از معاصي وملاهي. ونماز نفس مانعست از رذائل وعلائق واخلاق رديه وهيآت مظلمة. ونمازدل بازدارد از ظهور ووفور غفلت را. ونماز سرمنع نمايد از التفات بما سواى حضرت را را. ونماز استقرار بملاحظة اغيار. ونماز خفي بكذارند سالك را زا شهود اثنينت يعني بروظاهر كرددكه ازروى حقيقت]

جزيكي نيست نقد ابن عالم باز بين وبعالمش مفروش

قال بعض أرباب الحقيقة: رعاية الظاهر سبب للصحة مطلقاً وأرى أن فوت ما فات من ترك الصلوات.

يقول الفقير: هذا يحتمل معنيين. الأول أنه على سبيل الفرض والتقدير يعني لو فرض للمرء ما يكون سبباً لبقائه في الدنيا لكان ذلك إقامة الصلاة فكان وفاته إنما جاءت من قبل ترك الصلاة كما أن الصدقة والصلة تزيدان في الأعمار يعني: لو فرض للمرء ما يزيد به العمر لكان ذلك هو الصدقة وصلة الرحم ففيه بيان فضيلة رعاية الأحكام الظاهرة خصوصاً من بينها الصلاة والصدقة والصلة. والثاني أن لكل شيء حياً أو جماداً أجلاً علق ذلك بانقطاعه عن الذكر لأنه ما من شيء إلا يسبح بحمده فالشجر لا يقطع وكذا الحيوان لا يقتل ولا يموت إلا عند انقطاعه عن الذكر وفي الحديث: «إن لكل شيء أجلاً فلا تضربوا إماءكم على كسر إنائكم» فمعنى ترك الصلاة ترك التوجه إلى الله بالذكر والحضور معه لأن العمدة فيها هي اليقظة الكاملة فإذا وقعت النفس في الغفلة انقطع عرق حياتها وفاتت بسببها وهذا بالنسبة إلى الغافلين الذاكرين وأما الذين على صلاتهم دائمون فالموت يطرأ على ظاهرهم لا على باطنهم فإنهم لا يموتون بل ينقلون من دار إلى دار كما ورد في بعض الآثار هذا هو اللائح والله أعلم. ﴿ولذكر الله أكبر﴾ أي والصلاة أكبر من سائر الطاعات وإنما عبر عنها بالذكر كما في قوله تعالى: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩] للإيذان بأن ما فيها من ذكره تعالى هو العمدة في كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات أو ولذكر الله أفضل الطاعات لأن ثواب الذكر هو الذكر كما قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] وقال عليه السلام: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي وأنا منه حين يذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ أكثر من الملأ الذي ذكرني فيهم» فالمراد بهذا الذكر هو الذكر الخالص وهو أصفى وأجلى من الذكر المشوب بالأعمال الظاهرة وهو خير من ضرب الأعناق وعتق الرقاب وإعطاء المال للأحباب وأول الذكر توحيد ثم تجريد ثم تفريد كما قال عليه السلام: «سبق المفردون» قالوا: يا رسول الله وما المفردون؟ قال: «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات». قال الشيخ العطار:

أصل تجريدت وداع شهوتست بلكه كلى انقطاع لذتست

كرتوببر يدي زموجودات أميد آنكه ازتفريد كردى مستفيد

والذكر طرد الغفلة ولذا قالوا: ليس في الجنة ذكر أي لأنه لا غفلة فيها بل حال أهل الجنة الحضور الدائم.

وفي «التأويلات النجمية»: ما حاصله أن الفحشاء والمنكر من أمارات مرض القلب ومرضه نسيان الله وذكر الله أكبر في إزالة هذا المرض من تلاوة القرآن وإقامة الصلاة لأن العلاج إنما هو بالضد.

فإن قلت: إذا كانت تلاوة القرآن وإقامة الصلاة والذكر صادرة من قلب مريض معلول بالنسيان الطبيعي للإنسان لا يكون كل منها سبباً لإزالة المرض المذكور.

قلت: الذكر مختصر بطرح إكسير ذكر الله للعبد كما قال: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] فأبطل خاصية المعلولية وجعله إبريزاً خاصاً بخاصيته المذكورة فذكر العبد فني في ذكر الله فلذا كان أكبر.

وقال بعض الكبار: ذكر اللذات في مقام العناء المحض وصلاة الحق عند التمكين في مقام البقاء أكبر من جميع الأذكار وأعظم من جميع الصلوات.

قال ابن عطاء رحمه الله: ذكر الله أكبر من ذكركم لأن ذكره والكرم بلا علة وذكركم مشوب بالعلل والأماني والسؤال.

وقال بعضهم: إذا قلت: ذكر الله أكبر من ذكر العبد قابلت الحادث بالقديم وكيف يقال الله أحسن من الخلق ولا يوازي قدمه إلا قدمه ولا ذكره إلا ذكره ولا يبقى الكون في سطوات المكون.

وقال بعضهم: [ذكر خداي بزركتراست ازهمه جيزيراكه ذكر أو طاعتست وذكر غير او طاعت نيست] فويل لمن مرّ وقته بذكر الأغيار. قال الحافظ:

أوقــات خــوش آن بــودكــه بــادوســت

بسررفت باقى همه بيحاصل وبيخبرى بود

﴿والله يعلم ما تصنعون﴾ من الذكر وسائط الطاعات لا يخفى عليه شيء فيجازيكم بها أحسن المجازة.

وقال بعض الكبار: والله يعلم ما تصنعون في جميع المقامات والأحوال فمن تيقن أن الله يعلم ما يصنعه تجنب عن المعاصي والسيئات وتوجه إلى عالم السر والخفيات بالطاعات والعبادات خصوصاً الصلوات ولا بد من تفريغ القلب عن الشواغل فصلاة بالحضور أفضل من ألف صلاة بدونه. حكي: أن واحداً كان يتضرع إلى الله أن يوفقه لصلاة مقبولة فصلى مع حبيب العجمي فلم يعجبه ظاهرها من أمر القراءة فاستأنف الصلاة فقيل له في الرؤيا قد وفقك الله لصلاة مقبولة فلم تعرف قدرها فإصلاح الباطن أهم فإن به يتفاضل الناس وتتفاوت الحسنات ويحصل الفلاح الحقيقي هو الخلاص من حبس الوجود بجود واجب الوجود ونظر العبد لا يدرك كمالية الجزاء المعدّ له بمباشرة أركان الشريعة وملازمة آداب الطريقة للوصول إلى العالم الحقيقي ولكن الله يعلم ما تصنعون باستعمال مفتاح الشريعة وصناعة الطريقة بفتح أبواب طلسم الوجود المجازي والوصول إلى الكنز المخفي من الوجود الحقيقي نسأل الله سبحانه أن يوفقنا للفعل الحسن والصنع الجميل ويسعدنا بالمقام الأرفع والأجر الجزيل.

﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب﴾ المجادلة والجدل [بيكار سخت كردن بايكديكر] كما في «التاج».

قال: الجدال المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة وأصله من جدلت الحبل أي أحكمت فتله فكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه. والمعنى ولا تخاصموا اليهود والنصارى. وبالفارسية: [وبيكار مكنيد وجدال منماييد بااهل كتاب] ﴿إلا بالتي هي أحسن﴾ أي بالخصلة التي هي أحسن كمعاملة الخشونة باللين والغضب بالحلم والمشاغبة أي تحريك الشر وإثارته بالنصح أي بتحريك الخير وإثارته والعجلة بالتأني والاحتياط على وجه لا يؤدي إلى الضعف ولا إلى إعظام الدنيا الدنية. ﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾ بالإفراط في الاعتداء والعناد

فإن الكافر إذا وصف بمثل الفسق والظلم حمل على المبالغة فيما هو فيه أو بإثبات الولد وهم أهل نجران أو بنبذ العهد ومنع الجزية ونحو ذلك فإنه يجب حينئذ الموافقة بما يليق بحالهم من الغلظة باللسان وبالسيف والسنان. ﴿وقولوا آمنا﴾ بالصدق والإخلاص. ﴿بالذي أنزل إلينا﴾ من القرآن ﴿وأنزل إليكم﴾ أي وبالذي أنزل إليكم من التوراة والإنجيل وسمع النبي عليه السلام أن أهل الكتاب يقرؤون التوراة ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولو: آمنا بالله وبكتبه وبرسله فإن قالوا باطلاً لم تصدقوهم وإن قالوا حقاً لم تكذبوهم» قال ابن الملك إنما نهى عن تصديقهم وتكذيبهم لأنهم حرفوا كتابهم وما قالوه إن كان من جملة ما غيروه فتصديقهم يكون تصديقاً بالباطل وإن لم يكن كذلك يكون تكذيبهم تكذيباً لما هو حق وهذا أصل في وجوب التوقف فيما يشكل من الأمور والعلوم فلا يقضى فيه بجواز ولا بطلان وعلى هذا كان السلف رحمهم الله. ﴿وإلهنا وإلهكم واحد﴾ لا شريك له في الألوهية. ﴿ونحن له مسلمون﴾ أي مطيعون له خاصة وفيه تعريض بحال الفريقين حيث اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿وكذلك﴾ إشارة إلى مصدر الفعل الذي بعده أي ومثل ذلك الإنزال البديع الموافق لإنزال سائر الكتب ﴿أنزلنا إليك الكتاب﴾ أي القرآن. ﴿فالذين آتيناهم الكتاب﴾ من الطائفتين ﴿يؤمنون به﴾ أريد بهم عبد الله بن سلام وأضرابه من أهل الكتاب خاصة كأن لم يؤتوا الكتاب حيث لم يعملوا بما فيه أو من تقدم عهد الرسول عليه السلام حيث كانوا مصدقين بنزوله حسبما شاهدوا في كتابيهما ومنهم قس بن ساعدة وبحيرا ونسطورا وورقة وغيرهم وتخصيصهم بإيتاء الكتاب للإيذان بأن من بعدهم من معاصري رسول الله قد نزع عنهم الكتاب بالنسخ فلم يؤتوه والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن إيمانهم به مترتب على إنزاله على الوجه المذكور. ﴿ومن هؤلاء﴾ أي من العرب. ﴿من يؤمن به﴾ أي القرآن ﴿وما يجحد﴾ الجحد نفي ما في القلب إثباته أو إثبات ما في القلب نفيه أي بالكتاب المعظم بالإضافة إلينا عبر عنه بالآيات للتنبيه على ظهور دلالته على معانيه وعلى كونه من عند الله. ﴿إلا الكافرون﴾ المتوغلون في الكفر المصممون عليه فإن ذلك يصدهم عن التأمل فيما يؤديهم إلى معرفة حقيقتها.

وفي الآية إشارة إلى أن أرباب القلوب وأصحاب العلوم الباطنة الذين علومهم من مواهب الحق يجب أن يجادلوا أهل علم الظاهر الذين علومهم من طريق الكسب والدراسة بالرفق واللين والسكون ونحوها لئلا تهيج الفتنة الإمارية ويزدادوا إنكاراً فمن رحمه الله منهم صدق الدلائل الكشفية والبراهين الحقية في دلالتها إلى الحق واهتدى ومن حرمه الله استقبل بالإنكار وزاد بعدا من الوصول إلى الله الغفار. وفي «المثنوي»:

هركرا مشك نصيحت سود نيست	لا جرم بابوى بدخوكردنيست
مغزرا خالى كن از انكار يار	تاكه ريحان يابد ازكلزار يار
كاشكى جون طفل ازحيل باك آمدى	تاجو طفلان جنك درمادر زدى

يابعلم ونقل كم بودى ملى علم وحى دل ربودى ازولى
باجنين نورى جوپيش آرى كتاب جان وحى آساى تو آرد عتاب
جون تميم باوجود آب دان علم نقلى بادم قطب زمان
خويش ابله كن تبع مى روزيس رستكي زين ابلهى يابي وبس
أكثر أهل الجنة البله اى بدر بهراين كفتست سلطان البشر
زيركي جون كبرباد انكيز تست ابلهى شو تابماند دل درست
ابلهى نى كو بمسخر كى دوتوست ابلهى كوواله وحيران هو ست
ابلها نند آن زنان دست بر از كف ابله وزرخ يوسف نذر

واعلم أن المجادلة في الدين تبطل ثواب الأعمال إذا كانت تعنتاً وترويحاً للباطل وأما الجدال بالحق لإظهاره فمأمور به وقد جادل علي رضي الله عنه شخصاً قال: إني أملك حركاتي وسكناتي وطلاق زوجتي وأعتق أمتي فقال علي رضي الله عنه: أتملكها دون الله أو مع الله فإن قلت: أملكها دون الله أثبت الله مالكاً وإن قلت: أملكها مع الله فقد أثبت له شريكاً كذا في «شرح المواقف».

قال الشيخ سعدي: [يكى درصورت درويشان در محفلي ديدم نشسته ودفتر شكايت بازكرده وذم توانكاران آغاز كفتم أي يارتوانكران مقصد زائران وكهف مسافرانند عبادت اينان بمحل قبول نزديكترست كه جمعند وحاضرنه براكنده خاطر ودرخبراست: «الفقر سواد الوجه في الدارين» كفت آن تشنيدي كه بيغمبر عليه السلام فرموده است [الفقر فخري] كفتم خاموش كه اشارت سيد عالم بفقر طائفه ايست كه مردان ميدان رضااند وتسليم تيرقضا درويش بي معرفت نيارامید تافقرش بكفر آنجاميد: «كاد الفقر أن يكون كفرا».

باكرسنكي قوت وبرهيرنماند افلاس عنان ازكف تقوى بستاند

[كفت توانكران مشتى طائفه اند مغرور نظر نكنند بغير الا بكراهت سخن نكويند الا بسفاهت علمارا بكداني منسوب كنند وفقرارا به بي سر وباني معيوب كردانند كفتم مذمت ايشان روامداركه خداوندان كرمند خطا كفتى بنده درمند جه فائدة اكرابر آذرند بركس نمي بارند كفتم بر بخل خداوندان وقوف نيافتهء الا بعلت كداني ورنه هركه طمع يكسونهد كريم وبخيلش يكسان نمايند كفتا بتجربه آن ميكويم كه متعلقان بردر بدارند تادست برسينة صاحب تمييزنهند وكويهد كه كسى اينجانيست وراست كفته باشند زيرا:

آنراكه عقل وهمت وتدبير وراى نيست خوش كفت برده داركه كس درسراى نيست

كفتم اين حركت ازايشان بعد ازانست كه از دست سائلان بجان آمده اندو محال عقلست كه اكرريك بيابان در شود جشم كدايان برنشود كفتا كه من برحال ايشان رحمت مى برم «أي لأن لهم مالاً ولا يشترون ثواباً» كفتم نه كه بر مال ايشان حسرت مى خورى «أي لحرصك» مادرين كفتار وهردوبهم كرفتار هربيد قى براندى بدفع آن بكوشيد مى تانفد كيسه همت همه درباخت عقبة الامر دليلش نماند ذليلش كردم دست تعدى درازكرد وسنت جاهلانند كه جون بدليل فرومانند سلسله خصومت بجنبانند دشنامم داد سقطش كفتم كريبانم دريد زنخدانش كرفتم مرافعة اين سخن بيش قاضى برديم قاضى جون هيئات ما ديد ومنطق ما شنيد بعد ازبأمل بسيار كفت اى آنكه توانكر انراثنا كفتى بدانكه هرجا كلست خارهست وبرسر كنج مارهمجنان

درز مرة توانكران شاكرانند وكفور ودر حلقه درويشان صابرانند وضجور واى كه كفتى توانكران مشتغل تباهي ومست ملاهي اند قومى ازايشان برين صفتند وطائفة ديكر طالب نيك نامند ومغفرت وصاحب دنيا وآخرت قاضى جون اين سخن بكفت بمقتضاى حكم قضا رضاداديم وازمامضى دركذشتيم وبوسه برسروروى همد كرداديم وختم سخن بدين دوبت بود]

مكن زكردش كيتي شكايت اى درويش — كه تيره بختى اكرهم برين نسق مردى
توانكرا جودل ودست كامرانت هست — بخور ببخش كه دنيا وآخرت بردى

وهذه الحكاية طويلة قد اختصرناها.

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

﴿وما كنت تتلو من قبله﴾ أي: وما كانت عادتك يا محمد قبل إنزالنا إليك القرآن أن تتلو شيئاً. ﴿من كتاب﴾ من الكتب المنزلة. ﴿ولا تخطه﴾ ولا أن تكتب كتاباً من الكتب والخط كالمد ويقال لما له طول ويعبر عن الكتابة بالخط ﴿بيمينك﴾ حسبما هو المعتاد يعني ذكر اليمين لكون الكتابة غالباً باليمين لا أنه لا يخط بيمينه ويخط بشماله فإن الخط بالشمال من أبعد النوادر.

قال الشيعة: إنه عليه السلام كان يحسن الخط قبل الوحي ثم نهي عنه بالوحي وقالوا إن قوله ولا تخطه نهي فليس ينفي الخطأ.

قال في «كشف الأسرار»: قرىء ولا تخطه بالفتح على النهي وهو شاذ والصحيح أنه لم يكن يكتب انتهى.

وفي «الأسئلة المقحمة»: قول الشيعة مردود لأن لا تخطه لو كان نهياً لكان ينصب الطاء أو قال: لا تخططه بطريق التضعيف ﴿إذاً﴾ [آن هنكام] أي لو كنت ممن يعتاد التلاوة والخط ﴿لارتاب المبطلون﴾.

قال في «المختار»: الريب الشك.

قال الراغب: الريب أن يتوهم بالشيء أمراً ينكشف عما يتوهمه ولهذا قال تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢، وغيرها] والإرابة أن يتوهم فيه أمراً لا ينكشف عما يتوهمه والارتياب يجري مجرى الإرابة ونفى عن المؤمنين الارتياب كما قال: ﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المدثر: ٣١] والمبطل من يأتي بالباطل وهو نقيض المحق وهو من يأتي بالحق لما أن الباطل نقيض الحق.

قال في «المفردات»: الإبطال يقال في إفساد الشيء وإزالته حقاً كان الشيء أو باطلاً قال تعالى: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَـٰطِلَ﴾ [الأنفال: ٨] وقد يقال فيمن يقول شيئاً لا حقيقة له. والمعنى لارتابوا وقالوا: لعله تعلمه أو التقته من كتب الأوائل وحيث لم تكن كذلك لم يبق في شأنك منشأ ريب أصلاً.

قال الكاشفي: [درشك افتادندى تباه كاران وكجروان يعني مشركان عرب كفتندي كه جون مي خواند ومي نويسد بس قرآنرا از كتب بيشينيان التقاط كرده وبرما مي خواند ياجهودان درشك افتادندكه در كتب خود خوانديم كه بيغمير آخر زمان امى باشد واين كس قاري وكاتب است].

فإن قلت: لم سماهم المبطلين ولو لم يكن أمياً وقالوا: ليس بالذي نجده في كتبنا لكانوا محقين ولكان أهل مكة أيضاً على حق في قولهم لعله تعلمه أو كتبه فإنه رجل قارىء كاتب؟.

قلت: لأنهم كفروا به وهو أمي بعيد من الريب فكأنه قال هؤلاء المبطلون في كفرهم به: لو لو يكن أمياً لارتابوا أشد الريب فحيث أنه ليس بقارىء ولا كاتب فلا وجه لارتيابهم.

قال في «الأسئلة المقحمة»: كيف منّ الله على نبيه بأنه أمي ولا يعرف الخط والكتابة وهما من قبيل الكمال لا من قبيل النقص والجواب إنما وصفه بعدم الخط والكتابة لأن أهل الكتاب كانوا يجدون من نعته في التوراة والإنجيل أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب فأراد تحقيق ما وعدهم به على نعته إياه ولأن الكتابة من قبيل الصناعات فلا توصف بالمدح ولا بالذم ولأن المقصود من الكتابة والخط هو الاحتراز عن الغفلة والنسيان وقد خصه الله تعالى بما فيه غنية عن ذلك كالعين بها العصا والقائد انتهى.

وقال في «أسئلة الحكم»: كان عليه السلام يعلم الخطوط ويخبر عنها فلماذا لم يكتب والجواب أنه لو كتب لقيل: قرأ القرآن من صحف الأولين.

وقال النيسابوري: إنما لم يكتب لأنه إذا كتب وعقد الخنصر يقع ظل قلمه وأصبعه على اسم الله تعالى وذكره فلما كان كذلك قال الله تعالى: لا جرم يا حبيبي لما لم ترد أن يكون قلمك فوق اسمي ولم ترد أن يكون ظل القلم على اسمي أمرت الناس أن لا يرفعوا أصواتهم فوق صوتك تشريفاً لك وتعظيماً ولا أدع بسبب ذلك ظلك يقع على الأرض صيانة له أن يوطأ ظله بالأقدام.

قيل: إنه نور محض وليس للنور ظل.

وفيه إشارة إلى أنه أفنى الوجود الكوني الظلي وهو نور متجسد في صورة البشر وكذلك الملك إذا تجسد بصورة البشر لا يكون له ظل وبذلك علم بعض العارفين تجسد الأرواح القديسة وإذا تجسدت الأرواح الخبيثة وقعت كثافة ظلها وظلمته على الأرض أكثر من سائر الأظلال الكونية فليحفظ ذلك.

قال الكاشفي: [درتيسير آورده كه خط وقرائت فضيلة بوده است مر غير بيغمبر مارا وعدم آن فضل معجزة آن حضرت بوده وجون معجزة ظاهر شده ودراميت اوشك وشبه نماند حق سبحانه در آخر عمر اين فضيلت نيزبوى ارزاني داشته تامعجزه ديكر باشد وابن ابى شيبه درمصنف از طريق عون بن عبد الله نقل ميكند كه «مامات رسول الله حتى كتب وقرأ» واين صورت منافىء قرآن نيست زيرا كه نفي كتابت مقرر ساخته بزماني قبل از نزول قرآن ومذهب آنانكه ويرا امي دانند از اول عمرتا آخر بصواب اقربست

بقلم كرنرسيد انكشتش ... بود لوح وقلم اندر مشتش
ازسواد خط اكرديده ببست ... بكمالش نرسد هيج شكست
بود اونور خط تيره ظلم ... نشود نور وظلم جمع بهم

ولذا قال بعضهم: من كان القلم الأعلى يخدمه واللوح المحفوظ مصحفه ومنظره لا يحتاج إلى تصوير الرسوم وتمثيل العلوم بالآلات الجسمانية لأن الخط صنعة ذهنية وقوة طبيعية صدرت بآلاتها الجسمانية.

قال رجل من الأنصار للنبي عليه السلام إني لأسمع الحديث ولا أحفظه فقال: «استعن بيمينك» أي: اكتبه.

قيل: من كتب الكتات العربي والفارسي والسرياني والعبراني وغيرهما من بقية الاثني عشر وهي الحميري واليوناني والرومي والقبطي والبربري والأندلسي والهندي والصيني آدم عليه السلام كتبها في طين وطبخه فلما أصاب الأرض وانفرق وجد كل قوم كتاباً فكتبوه فأصاب إسماعيل عليه السلام كتاب العربي وأما ما جاء: «أول من خط بالقلم إدريس عليه السلام» فالمراد به خط الرمل * وفي «التأويلات النجمية»: القلب إذا تجرد من المعلومات والسر تقدس عن المرقومات والروح تنزه عن الموهومات كانوا أقرب إلى الفطرة ولم يشتغلوا بقبول النفوس السفلية من الحسيات والخياليات والوهميات فكانوا لما صادفهم من المغيبات قابلين من غير طبع ومشاركة كسب وتكلف بشرية ولما كان قلب النبي عليه السلام في البداية مشروطاً بعمل جبريل إذا أخرج منه ما أخرج وقال: هذا حظ الشيطان منك.

وفي «النهاية»: لما كان محفوظاً من النقوش التعليمية بالقراءة والكتابة كان قابلاً للإنزال عليه مختصاً عن جميع الأنبياء كما قال: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٤] ثم أثبت هذه بتبعيته لمتابعيه فقال.

﴿بل هو﴾ أي القرآن **﴿آيات بينات﴾** واضحات ثابتات راسخات **﴿في صدور الذين أوتوا العلم﴾** من غير أن يلتقط من كتاب يحفظونه بحيث لا يقدر أحد على تحريفه.

قال الكاشفي: [درسينه آنا نكه داده شده اند علم رايعني مؤمنان أهل كتاب يا صحابة كرام آنرا ياد ميكردند تاهيج كس تحريف نتوان كرد واما خواندن قرآن از ظهر القلب خاصة امت مرحومه است جه كتب مقدمه را از اوراق مى خوانده اند] يعني كونه محفوظاً في الصدور من خصائص القرآن لأن من تقدم كانوا لا يقرؤون كتبهم إلا نظراً فإذا أطبقوها لم يعرفوا منها شيئاً سوى الأنبياء وما نقل عن قارون من أنه كان يقرأ التوراة عن ظهر القلب فغير ثابت [وازينجاست كه موسى عليه السلام درمناجاة حضرت كفت] يارب إني أجد في التوراة أمة أناجيلهم في صدورهم يقرؤون ظاهراً لو لم يكن رسم الخطوط لكانوا يحفظون شرائعه عليه السلام بقلوبهم لكمال قوتهم وظهور استعداداتهم ولما اختل رسم التوراة اختلت شريعتهم.

وفي بعض الآثار: ما حسدتكم اليهود والنصارى على شيء كحفظ القرآن.

قال أبو أمامة: إن الله لا يعذب بالنار قلباً وعى القرآن وقال عليه السلام: «القلب الذي ليس فيه شيء من القرآن كالبيت الخراب» وفي الحديث: «تعاهدوا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتاً من الإبل من عقلها» أي من الإبل المعقلة إذا أطلقها صاحبها والتعاهد والتعهد التحفظ أي المحافظة وتجديد الأمر به والمراد هنا الأمر بالمواظفة على تلاوته والمداومة على تكراره فمن سنة القارىء أن يقرأ القرآن كل يوم وليلة كيلا ينساه وعن النبي عليه السلام: «عرضت علي ذنوب أمتي فلم أر ذنباً أكبر من آية أو سورة أوتيها الرجل ثم نسيها» والنسيان أن لا يمكنه القراءة من المصحف كذا في «القنية».

وكان ابن عينة يذهب إلى أن النسيان الذي يستحق صاحبة اللوم ويضاف إليه الإثم ترك العمل به والنسيان في لسان العرب الترك قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ [الأنعام: ٤٤] أي تركوا وقال تعالى: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ٦٧] أي تركوا طاعته ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] أي فترك رحمتهم.

قال شارح «الجزرية» وقراءة القرآن من الصحف أفضل من قرارة القرآن من حفظه هذا هو

المشهور عن السلف ولكن ليس هذا على إطلاقه بل إن كان القارىء من حفظه يحصل له التدبر والتفكر وجمع القلب والبصر أكثر مما يحصل له من المصحف فالقراءة من الحفظ أفضل وإن تساويا فمن المصحف أفضل لأن النظر في المصحف عبادة واستماع القرآن من الغير في بعض الأحيان من السنن

دل ازشنيدن قرآن بكيردت همه وقت	جو باطلان زكلام حقت ملول جيست

قال في «كشف الأسرار»: قلوب الخواص من العلماء بالله خزائن الغيب فيها براهين حقه وبينات سره ودلائل توحيده وشواهد ربوبيته فقانون الحقائق قلوبهم وكل شيء يطلب من موطنه ومحله [درشب افروز ازصدف جويند وآفتاب تابان از برج فلك وعسل مصفى ازنحل ونور معرفت ووصف ذات احديت ازدلهاى عارفان جويند كه دلهاى ايشان قانون معرفت است ومحل تجلىء صفات] بل يطلب حضرة جلاله عند حظائر قدس قلوب خواص عباده كما سأل الله موسى عليه السلام قال: «إلهي أين أطلبك قال أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي». وفي «المثنوي».

ازدرون وأهل دل آب حيات	چند نوشيدي ووا شد جشمهات
بس غذاي سكر ووجد وبيخودى	ازدر أهل دلان برجان زدى

قال المولى الجامي:

نكته عرفان مجو از خاطر آلودكان	كوهر مقصود رادلهاي باك آمد صدف

﴿وما يجحد بآياتنا﴾ مع كونها كما ذكر ﴿إلا الظالمون﴾ أي المتجاوزون للحدود في الشر والمكابرة والفساد. روي: أن المسيح ابن مريم عليه السلام قال للحواريين: «أنا أذهب وسيأتيكم الفارّ قليط» يعني محمداً صلى الله عليه وسلم روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه ولكنه ما يسمع به يكلمكم ويسوسكم بالحق ويخبركم بالحوادث والغيوب وهو يشهد لي كما شهدت له فإني جئتكم بالأمثال وهو يأتيكم بالتأويل ويفسر لكم كل شيء.

قوله: يخبركم بالحوادث. يعني ما يحدث في الأزمنة المستقبلة مثل خروج الدجال وظهور الدابة وطلوع الشمس من مغربها وأشباه ذلك ويعني بالغيوب أمر القيامة من الحساب والجنة والنار مما لم يذكر في التوراة والإنجيل والزبور وذكره نبينا صلى الله عليه وسلم كذا في «كشف الأسرار».

وفي الآية إشارة إلى أن الحرمان من رؤية الآيات من خصوصية رين الجحد والإنكار إذا غلب على القلوب فتصدأ كما تصدأ المرآة فلا تظهر فيها نقوش الغيوب وتعمي عن رؤية الآيات: قال الكمال الخجندي.

له في كل موجود علامات وآثار	دو عالم برز معشوقست كويك عاشق صادق

قال الشيخ المغربي قدس سره:

نخست ديده طلب كن بس آنكهى ديار	ازانكه يار كند جلوه بر اولو الابصار
تراكه جشم نباشد جه حاصل ازشاهد	تراكه كوش نباشد جه سود از كفتار
اكرجه آينه دارى از براى رخش	ولى سود كه دارى هميشه آينه تار
بيا بصيقل توحيد ز آينه بز داى	عبار شرك تاباك كردد از زنكار

قال إبراهيم الخواص رحمه الله: دواء القلب خمسة: قراءة القرآن بالتدبر. والخلاء.

وقيام الليل والتضرع إلى الله عند السحر. ومجالسة الصالحين جعلنا الله وإياكم من أهل الصلاح والفلاح إنه القادر الفتاح فالق الأصباح خالق المصباح.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَاتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَاتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾

﴿**وقالوا**﴾ أي كفار قريش ﴿**لولا**﴾ تحضيضية بمعنى هلا. وبالفارسية [جرا]. ﴿**أنزل**﴾ [فرو فرستاه نمي شود] ﴿**عليه**﴾ على محمد ﴿**آيات من ربه**﴾ مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى عليهم السلام ﴿**قل إنما الآيات عند الله**﴾ في قدرته وحكمته ينزلها كما يشاء وليس بيدي شيء فآتيكم بما تقترحونه. ﴿**وإنما أنا نذير مبين**﴾ ليس إلا الإنذار والتخويف من عذاب الله بما أعطيت من الآيات. يعني: [تخويف ميكنم بلغتى كه شمادر يابيد] وهو معنى الظهور.

قال في «كشف الأسرار»: والحكمة في ترك إجابة النبي عليه السلام إلى الآيات المقترحة أنه يؤدي إلى ما لا يتناهى وإن هؤلاء طلبوا آيات تضطرهم إلى الإيمان فلو أجابهم إليها لما استحقوا الثواب على ذلك انتهى ولو لم يؤمنوا لاستأصلوا وعذاب الاستئصال مرفوع عن هذه الأمة ببركة النبي عليه السلام ثم قال تعالى بياناً لبطلان اقتراحهم.

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا بِٱللَّهِ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

﴿**أو لم يكفهم**﴾ الهمزة للإنكار والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام والكفاية ما فيه سد الخلة وبلوغ المراد في الأمر أي أقصر ولم يكفهم آية مغنية عما اقترحوه. ﴿**أنا أنزلنا عليك الكتاب**﴾ الناطق بالحق المصدق لما بين يديه من الكتب السماوية وأنت بمعزل من مدارستها وممارستها ﴿**يتلى عليهم**﴾ بلغتهم في كل زمان ومكان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها وتكون في مكان دون مكان.

وفيه إشارة إلى عمى بصر قلوبهم حيث لم يروا الآية الواضحة التي هي القرآن حتى طلبوا الآيات وإلى أن تيسير قراءة مثل هذا القرآن في غير كاتب وقارىء وإنزاله عليه وحفظه لديه وإحالة بيانه إليه آية واضحة. ﴿**إن في ذلك**﴾ الكتاب العظيم الشان الباقي على ممر الدهور والأزمان. ﴿**لرحمة**﴾ أي: نعمة عظيمة ﴿**وذكرى**﴾ أي تذكرة. وبالفارسية[يندي ونصيحتي] ﴿**لقوم يؤمنون**﴾ أي لقوم همهم الإيمان لا التعنت كأولئك المقترحين. وفي «المثنوي»:

بـنـد كـفـتـن بـاجـهـول خـابـنـاك — تـخـم افـكـنـدن بـود درشـوره خـاك

﴿**قل كفى بالله**﴾ أي كفى الله والباء صلة ﴿**بيني وبينكم شهيداً**﴾ بما صدر عني وعنكم ﴿**يعلم ما في السموات والأرض**﴾ أي: من الأمور التي من جملتها شأني وشأنكم. ﴿**والذين آمنوا بالباطل**﴾ الذي لا يجوز الإيمان به كالصم والشيطان وغيرهما.

وفيه إشارة إلى أن من أبصر بعين النفس لا يرى إلا الباطل فيؤمن به. ﴿**وكفروا بالله**﴾ الذي يجب الإيمان به مع تعاضد موجات الإيمان. ﴿**أولئك هم الخاسرون**﴾ المغبونون في صفقتهم الأخروية حيث اشتروا الكفر بالإيمان وضيعوا الفطرة الأصلية والأدلة السمعية الموجبة للإيمان:

عمر تو كنج وهر نفس ازوى بكل كهر — كنجى چنين لطيف مكن رايكان تلف

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾.

﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ الاستعجال طلب الشيء قبل وقته. يعني [شتاب ميكنند كافران ترا بعذاب آوردن بايشان] أي يقول: نضر بن الحارث وأمثاله بطريق الاستهزاء متى هذا الوعد وأمطر علينا حجارة من السماء.

وفيه إشارة إلى أن من استعجل العذاب ولم يصبر على العافية لعجل خلق منه وهو مركوز في جبلته كيف على البلاء والضراء لو لم يصبره الله كما قال لنبيه عليه السلام: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧] يسأل الله العافية من كل بلية **﴿ولولا أجل مسمى﴾** أي وقت معين لعذابهم وهو يوم القيامة كما قال ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ [القمر: ٤٦] وذلك أن الله تعالى وعد النبي عليه السلام أنه لا يعذب قومه استئصالاً بل يؤخر عذابهم إلى يوم القيامة وقد سمت الإرادة القديمة بالحكمة الأزلية لكل مقدور كائن آجلاً فلا تقدم له ولا تأخر عن المضروب المسمى. **﴿لجاءهم العذاب﴾** عاجلاً.

وفيه إشارة إلى أن الاستعجال في طلب العذاب في غير وقته المقدر لا ينفع وهو مذموم فكيف ينفع الاستعجال في طلب مرادات النفس وشهواتها في غير أوانها وكيف لم يكن مذموماً **﴿وليأتينهم﴾** العذاب الذي عين لهم عند حلول الأجل. وبالفارسية [وبي شك خواهد آمد عذاب بديشان] **﴿بغتة﴾** [ناكاه].

قال الراغب: البغت مفاجأة الشيء من حيث لا يحتسب **﴿وهم لا يشعرون﴾** بإتيانه. يعني [وحال آنكه ايشان ندانند كه عذاب آيد بايشان وايشان ناآكاه].

يقول الفقير: إن قلت عذاب الآخرة ليس من قبيل المفاجأة فكيف يأتي بغتة؟.

قلت: الموت يأتيهم بغتة أي في وقت لا يظنون أنهم يموتون فيه وزمانه متصل بزمان القيامة ولذا عد القبر أول منزل من منازل الآخرة ويدل عليه قوله عليه السلام: «من مات فقد قامت قيامته» وفي البرزخ عذاب ولو كان نصفاً من حيث أنه حظ الروح فقط.

وقال بعضهم: لعل المراد بإتيانه كذلك أن لا يأتيهم بطريق التعجيل عند استعجالهم والإجابة إلى مسؤولهم فإن ذلك إتيان برأيهم وشعورهم.

وفي بعض الآثار: من مات مصححاً لأمره مستعداً لموته ما كان موته بغتة وإن قبض نائماً ومن لم يكن مصححاً لأمره ولا مستعداً لموته فموته موت فجأة وإن كان صاحب الفراش سنة.

قال في «لطائف المنن»: وقد تحاورت الكلام أنا وبعض من يشتغل بالعلم في أنه ينبغي إخلاص النية فيه وأن لا يشتغل به إلا لله فقلت: الذي يطلب العلم لله إذا قيل له غداً تموت لا يضع الكتاب من يده أي لكونه وفي الحقوق فلم ير أفضل مما هو فيه فيحب أن يأتيه الموت على ذلك

تو غافل در انديشه سود ومال — كه سرمايه عمر شد پايمال
طريقي بدست آروصلحى بجوى — شفيعي برانكيز وغدرى بكوى
كه يك لحظه صورت نبندد امان — جو پيمانه برشد بدور زمان

﴿يستعجلونك بالعذاب﴾ [تعجيل ميكنند ترا بعذاب آوردن] ﴿وإن جهنم﴾ أي: والحال أن محل العذاب الذي لا عذاب فوقه. ﴿لمحيطة بالكافرين﴾ أي: ستحيط بهم عن قريب لأن ما هو آت قريب.

قال في «الإرشاد»: وإنما جيء بالاسمية دلالة على تحقق الإحاطة واستمرارها وتنزيلاً لحال السبب منزلة المسبب فإن الكفر والمعاصي الموجبة لدخول جهنم محيطة بهم.

وقال بعضهم: إن الكفر والمعاصي هي النار في الحقيقة ظهرت في هذه النشأة بهذه الصورة.

﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿يوم يغشاهم العذاب﴾ ظرف لمضمر أي يوم يعلوهم ويسترهم العذاب الذي أشير إليه بإحاطة جهنم بهم يكون من الأحوال والأهوال ما لا يفي به المقال. ﴿من فوقهم﴾ [أي ازنبر سرهاي ايشان] ﴿ومن تحت أرجلهم﴾ [واز زير بايهاي ايشان] والمراد من جميع جهاتهم ﴿ويقول﴾ الله أو بعض الملائكة بأمره ﴿ذوقوا﴾ [بجشيد] والذوق وجود الطعم بالفم وأصله مما يقل تناوله فإذا أكثر يقال له الأكل واختير في القرآن لفظ الذوق في العذاب لأن ذلك وإن كان التعارف للقليل فهو مستصلح للكثير فخصه بالذكر ليعلم الأمرين كما في «المفردات» ﴿ما كنتم تعملون﴾ أي جزاء ما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من السيئات التي من جملتها الاستعجال بالعذاب.

قال الكاشفي: [دنيا دار عمل بود وعقبي دار جزاست هرجه آنجا كاشته ايد انيجا مي درويد]:

توخمى بيفشان كه جون بدروى زمحصول خود شاد وخرم شوى

وفي «التأويلات النجمية»: قوله: ﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ يشير إلى أن استعجال العذاب لأهل العذاب وهو نفس الكفر لا حاجة إليه بالاستعداد ﴿وإن جهنم﴾ الحرص والشره والشهوة والكبر والحسد والغضب والحقد ﴿لمحيطة بالكافرين﴾ بالنفوس الكافرة الآن بنفاد الوقت ﴿يوم يغشاهم العذاب﴾ بإحاطة هذه الصفات ﴿من فوقهم﴾ الكبر والغضب والحسد والحقد ﴿ومن تحت أرجلهم﴾ الحرص والشره والشهوة ولكنهم بنوم الغفلة نائمون ليس لهم خبر عن ذوق العذاب كالنائم لا شعور له في النوم بما يجري على صورته لأنه نائم الصورة فإذا انتبه يجد ذوق ما يجري عليه من العذاب كما قال ﴿ويقول﴾ يعني يوم القيامة ﴿ذوقوا ما كنتم تعملون﴾ أي عذاب ما كنتم تعاملون الخلق والخالق به والذي يؤكد هذا التأويل قوله تعالى ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٤] يعني في الوقت ولا شعور لهم ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الانفطار: ١٥] الذي يكون فيه الصلى والدخول يوم القيامة ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٦] اليوم ولكن لا شعور لهم بها فمن تطلع له شمس الهداية والعناية من مشرق القلب فيخرج من ليل الدين إلى يوم الدين وأشرقت أرض بشريته بنور ربها يرى نفسه محاطة جهنم أخلاقها فيجد ذوق المهاد بقصد الخروج والخلاص منها فإن أرض الله واسعة كما يأتي نسأل الله الخلاص.

﴿يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّـٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

﴿**يا عبادي الذين آمنوا**﴾ خطاب تشريف لبعض المؤمنين الذين لا يتمكنون من إقامة أمور الدين كما ينبغي لممانعة من جهة الكفر وإرشاد لهم إلى الطريق الأسلم.

قال الكاشفي: [آورده اندكه جمعي ازمؤمنان درمكه اقامت كرده ازجهت قلت زاد وكمى استعداد بابسبب محبت اوطان ياصحبت اخوان هجرت نميكر دند وبترس وهراس برستش خدانمودند] وربما يعذبون في الدين فأنزل الله هذه الآية وقال: يا عبادي المؤمنين إذا لم تسهل لكم العبادة في بلد ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا إلى حيث يتمشى لكم ذلك. ﴿**إن أرضي**﴾ الأرض الجرم المقابل للسماء أي بلاد المواضع التي خلقتها. ﴿**واسعة**﴾ لا مضايقة لكم فيها فإن لم تخلصوا العبادة لي في أرضي ﴿**فإياي فاعبدون**﴾ أي فأخلصوها في غيره فالفاء جواب شرط محذوف ثم حذف الشرط وعوض عنه تقديم المفعول مع إفادة تقديم معنى الاختصاص والإخلاص.

قال الكاشفي: [واكر از دوستى أهل وولد بابسته بلده شده ايد روزى مفارقت ضرورت خواهد بود زيراكه].

﴿**كل نفس**﴾ من النفوس سواء كان نفس الإنسان أو غيرها وهو مبتدأ وجاز الابتداء بالنكرة لما فيها من العموم ﴿**ذائقة الموت**﴾ أي واجدة مرارة الموت ومتجرعة غصص المفارقة كما يجد الذائق ذوق المذوق وهذا مبني على أن الذوق يصلح للقليل والكثير كما ذهب إليه الراغب.

وقال بعضهم: أصل الذوق بالفم فيما يقل تناوله فالمعنى إذاً إن النفوس تزهق بملابسة البدن جزءاً من الموت.

واعلم أن الإنسان روحاً وجسداً وبخاراً لطيفاً بينهما هو الروح الحيواني فمادام هذا البخار باقياً على الوجه الذي يصلح أن يكون علاقة بينها فالحياة قائمة وعند انطفائه وخروجه عن الصلاحية تزول الحياة ويفارق الروح البدن مفارقة اضطرارية وهو الموت الصوري ولا يعرف كيفية ظهور الروح في البدن ومفارقته له وقت الموت إلا أهل الانسلاخ التام ﴿**ثم إلينا**﴾ أي إلى حكمنا وجزائنا. ﴿**ترجعون**﴾ من الرجع وهو الرد أي تردون فمن كانت هذه عاقبته ينبغي أن يجتهد في التزود والاستعداد لها ويرى مهاجرة الوطن سهلة واحتمال الغربة هوناً هذا إذا كان الوطن دار الشرك وكذا إذا كان أرض المعاصي والبدع وهو لايقدر على تغييرها والمنع منها فيهاجر إلى أرض المطيعين من أرض الله الواسعة.

سفر كن جوجاي تو ناخوش بود ... كزين جاي رفتن بدان ننك نيست
وكر تنك كردد ترا جايكاه ... خداى جهانرا جهان تنك نيست

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

﴿**والذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾ ومن الصالحات الهجرة للدين ﴿**لنبوئنهم**﴾ لننزلهم. وبالفارسية: [هر آينه فرود اديم ايشانرا] قال في «التاج»: النبوء [كسى را جابي فرآوردن] ﴿**من الجنة غرفاً**﴾ مفعول ثان لنبوئنهم أي قصوراً عالية من الدر والزبرجد والياقوت وإنما قال ذلك لأن الجنة في جهة عالية والنار في سافلة ولأن النظر من الغرف إلى المياه والخضر أشهى وألذ

﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ صفة لغرفاً ﴿خالدين فيها﴾ أي: ماكثين في تلك الغرف إلى غاية ﴿نعم أجر العاملين﴾ الأعمال الصالحة. يعني: [نيك مزديست مزد عمل كنند كان خيررا كو شكهاى بهشت].

﴿الذين صبروا﴾ صفة للعاملين أو نصب على المدح أي صبروا على أذية المشركين وشدائد الهجرة للدين وغير ذلك من المحن والمشاق. ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ أي: لا يعتمدون في أمورهم إلا على الله تعالى وهذا التوكل من قوة الإيمان فإذا قوي الإيمان يخرج من الكفر ملاحظة الأوطان والأموال والأرزاق وغيرهما وتصير الغربة والوطن سواء ويكفي ثواب الله بدلاً من الكل وفي الحديث: «من فرّ بدينه من أرض إلى أرض ولو كان شبراً استوجب الجنة وكان رفيق إبراهيم ومحمد» عليهما السلام أما استيجابه الجنة والغرف فلتركه المسكن المألوف لأجل الدين وامتثال أمر رب العالمين وأما رفاقته لهما فلمتابعتهما في باب الهجرة وإحياء سنتهما فإن إبراهيم عليه السلام هاجر إلى الأرض المقدسة ونبينا عليه السلام هاجر أرض المدينة.

وفيه إشارة إلى أن السالك ينبغي أن يهاجر من أرض الجاه وهو قبول الخلق إلى أرض الخمول ـ حكايت كنند از ابو سعيد خراز قدس سره ـ كفت در شهرى بودم ونام من در آنجا مشهور شده دركار من عظيم برفتند چنانكه پوست خربزه كه از دست من بيفتاد برداشتند واز يكديكر بصد دينار مى خريدند وبر آن مى افزودند باخود كفتم اين نه جاى منست ولائق روز كار من بس از آنجا هجرت كردم بجاى افتادم كه مرازنديق مى كفتند وهر روز دويار برمن سنك باران همى كردند همان جاى مقام ساختم وآن رنج وبلا همى كشيدم وخوش همى بودم ـ واز ابراهيم ادهم قدس سره حكايت كنند ـ كه كفت درهمه عمر خويش دردنيا سه شادى ديدم وباذن الله تعالى شادى نفس خويش راقهر كردم. در شهر انطاكيه شدم برهنه باي وبرهنه سرميرفتم هريكي طعنهٔ برمن همى زد يكى كفت «هذا عبد آبق من مولاه» مرا أين سخن خوش آمد بانفس خويش كفتم اكر كريخته ورميده كاه آن نيامدكه بطريق صلح باز آيي. دوم شادى آن بودكه دركشتى نشسته بودم مسخرهٔ درميان آن جمع بود وهيج كس را از من حقير تر وخوارتر نمي ديد هر ساعتي بيامدى ودست در قفاى من داشتى سوم. آن بودكه در شهر مطيه در مسجدى سر بزانوى حسرت نهاده بودم در وادى كم وكاست خود افتاده بي حرمتي بيامد وبند ميزر بكشاد وآب در من ريخت يعني تبول كرد وكفت «خذماء الورد» ونفس من آيات ساعت از آن حقارت خوش بكشت ودلم بدان شاد شد واين شادى از باركاه عزت در حق خود تحفهٔ سعادت يافتم. بير طريقت كفت بسا مغرور در سير الله ومستدرج در نعمت الله ومفتون بثناى خلق] فعلى العاقل أن يموت عن نفسه ويذوق ألم الفناء المعنوي قبل الفناء الصوري فإن الدنيا دار الفناء[هر نفسي چشندهٔ مر كست وهر كسى را راه كندبر مركست راهي رفتنى ويلي كذشتني وشرابي آشاميدني سيد صلوات الله عليه بيوسته امت را اين وصيت كردى «أكثروا ذكر هاذم اللذات» زينهار مرك را فراموش مكنيد واز آمدن أو غافل مباشيد.

از ابراهيم بي ادهم قدس سره سؤال كردندكه أي قدوه أهل طريقت واى مقدمهٔ زمرهٔ حقيقت آن جه معنى بودكه درسويداى دل وسينه تو يديد ار آمد تاتاج شاهي ازسر بنهادي ولباس سلطاني ازتن بر كشيدي ومرقع درويشي دريوشيدي ومحنت وبي نوايي اختيار كردي

ركفت آرى روزي برتخت مملكت نشسته بودم وبرجهار بالش حشمت تكيه زده كه ناكاه آينيه دربيش روى من داشتند در آيينه نكه كردم منزل خود در خاك ديدم ومرامونس نه سفر دراز دربيش ومرازادنه زنداني تافته ديدم ومرا طاقت نه قاضي عدل ديدم ومراحجت نه اى مردى كه اكر بساط امل توكوشه باز كشند ازقاف تاقاف بكيرد بارى بنكركه صاحب قاب قوسين جه ميكويد «والله ما رفعت قدماً وظننت أني وضعتها وما أكلت لقمة وظننت أني ابتلعتها» كفت بدان خداني كه مرا بخلق فرستادكه هيج قدمى از زمين برنداشتم كه كمان بردم كه ييش ازمرك من آنرا بزمين باز توانم نهاد وهيج لقمه دردهان ننهادم كه جنان بنداشتم كه من آن لقمه راييش ازمرك توانم فروبرد اوكه سيد اولين وآخرين ومقتداي أهل آسمان وزمين است جنين ميكويد وتومغرور وغافل امل دراز دربيش نهاده وصد ساله كار وبار ساخته ودل بر آن نهاده خبر ندارى كه اين دنيا غدار سراي غرورست نه سرور وسراي فرارست نه سراي قرار]

تاكى ازدار الغرورى ساختن دار السرور | تاكى ازدار الفراري ساختن دار القرار
اي خداوندان مال الاعتبار الاعتبار | وي خداوندان قال الاعتذار الاعتذار
ييش ازان كين جان عذر آردفرو ماند زنطق | بيش ازان كين جشم عبرت بين فرو ماندزكار

كذا في «كشف الأسرار».

﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها﴾ كأين للتكثير بمعنى كم الخبرية ركب كاف التشبيه مع أي فجرد عنها معناها الإفرادي فصار المجموع كأنه اسم مبني على السكون آخره نون ساكنة كما في من لا تنوين تمكين ولهذا يكتب بعد الياء نون مع أن التنوين لا صورة له في الخط وهو مبتدأ. وجملة قوله الله يرزقها خبره. ولا تحمل صفة دابة. والدابة كل حيوان يدب ويتحرك على الأرض مما يعقل. والحمل بالفتح: [برداشتن بسروبه بشت] وبالكسر اسم للمحمول على الرأس وعلى الظهر. والرزق لغة ما ينتفع به واصطلاحاً اسم لما يسوقه الله إلى الحيوان فيأكله. روي: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر المؤمنين الذين كانوا بمكة بالمهاجرة إلى المدينة قالوا: كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة؟ فنزلت والمعنى وكثير من دابة ذات حاجة إلى الغذاء لا تطيق حمل رزقها لضعفها أو تدخره وإنما تصبح ولا معيشة عندها [وذخيره كننده ازجانوران آدميست وموش ومور وكفته اند سياه كوش ذخيره نهد وفراموش كند. ودر كشاف از بعضى نقل ميكند كه بلبلى را ديدم خوردنى درزير بالهاي خودنهان ميكرد القصه جانوران بسيارند ازدواب وطيور ووحوش وسباع وهوام وحيوانات آبى كه ذخيره ننهند وحامل رزق خود نشوند] ﴿الله يرزقها﴾ يعطي رزقها يوماً فيوماً حيث توجهت ﴿و﴾ يرزق ﴿إياكم﴾ حيث كنتم أي ثم إنها مع ضعفها وتوكلها وإياكم واجتهادكم سواء في أنه لا يرزقها وإياكم إلا الله لأن رزق الكل بأسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا الفقر بالمهاجرة والخروج إلى دار الغربة

هست زفيض كرم ذو الجلال | مشرب ارزاق بر آب ولال
شاه وكدا روزى ازان ميخورند | مور وملخ قسمت ازاوميبرند

﴿وهو السميع العليم﴾ المبالغ في السمع فيسمع قولكم هذا في أمر الرزق المبالغ في العلم فيعلم ضمائركم.

وقال الكاشفي: [دانا بآنكه شمارا رزوى از كجادهد].

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

﴿ولئن سألتهم﴾ أي أهل مكة **﴿من﴾** استفهام **﴿خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر﴾** لمصالح العباد حيث يجريان على الدوام والتسخير جعل الشيء منقاداً للآخر وسوقه إلى الغرض المختص به قهراً. **﴿ليقولن﴾** خلقهن **﴿الله﴾** إذ لا سبيل لهم إلى الإنكار لما تقرر في المعقول من وجوب انتهاء الممكنات إلى واحد واجب الوجود **﴿فأنى﴾** [بس كجا] **﴿يؤفكون﴾** الإفك بالفتح الصرف والقلب وبالكسر كل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه أي فكيف يصرفون عن الإقرار بتفرده في الإلهية مع إقرارهم بتفرده فيما ذكر من الخلق والتسخير فهو إنكار واستبعاد لتركهم العمل بموجب العلم وتوبيخ وتقريع عليه وتعجيب منه.

﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء﴾ أن يبسط له **﴿من عباده﴾** مؤمنين أو كافرين.

اديم زمين سفره عام اوست بربن خوان يغماجه دشمن جه دوست

﴿ويقدر﴾ [تنك ميسازد] **﴿له﴾** أي: لمن يشاء أن يقدر له منهم كائناً من كان على أن الضمير مبهم حسب إبهام مرجعه ويحتمل أن يكون الموسع له والمضيق عليه واحداً على أن البسط والقبض على التعاقب أي يقدر لمن يبسط له على التعاقب.

قال الحسن: يبسط الرزق لعدوه مكراً به ويقدر على وليه نظراً له فطوبى لمن نظر الله إليه **﴿إن الله بكل شيء عليم﴾** فيعلم من يليق ببسط الرزق فيبسط له ويعلم من يليق بقبضه فيقبض له أو يعلم أن كلاً من البسط والقبض في أي وقت يوافق الحكمة والمصلحة فيفعل كلاً منهما في وقته وفي الحديث القدسي: «إن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الغني ولو أفقرته لأفسده ذلك وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك».

﴿ولئن سألتهم﴾ أي مشركي العرب **﴿من﴾** [كه] **﴿نزل من السماء ماءً فأحيا﴾** [بس زنده كرد وتازه ساخت] **﴿به﴾** [بسبب آن آب] **﴿الأرض﴾** بإخراج الزرع والنبات والأشجار منها **﴿من بعد موتها﴾** يبسها وقحطها. وبالفارسية: [بس از مردكي وافسر دكي].

ويقال للأرض التي ليست بمنبتة: ميتة لأنه لا ينفع بها كما لا ينتفع بالميتة **﴿ليقولن﴾** نزل وأحيا **﴿الله﴾** أي يعترفون بأنه الموجد للممكنات بأسرها أصولها وفروعها ثم إنهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي لا يكاد يتوهم منه القدرة على شيء ما أصلاً.

﴿قل الحمد لله﴾ على أن جعل الحق بحيث لا يجترىء المبطول على جحوده وأن أظهر حجتك عليهم **﴿بل أكثرهم﴾** أي: أكثر الكفار. **﴿لا يعقلون﴾** أي شيئاً من الأشياء فلذلك لا يعملون بمقتضى قولهم فيشركون به سبحانه أخس مخلوقاته وهو الصنم.

يقول الفقير أغناه الله القدير: قد ذكر الله تعالى آية الرزق ثم آية التوحيد ثم كررهما في صورتين أخريين تنبيهاً منه لعباده المؤمنين على أنه سبحانه لا يقطع أرزاق الكفار مع وجود الكفر والمعاصي فكيف يقطع أرزاق المؤمنين مع وجود الإيمان والطاعات

اى كريمى كه از خزانهٔ غيب ... كبر وترسا وظيفه خوردارى
دوستانرا كجا كنى محروم ... توكه بادشمنان نظر دارى

وإنه سبحانه لا يسأل من العباد إلا التوحيد والتقوى والتوكل فإنما الرزق على الله الكريم وقد قدر سبحانه مقادير الخلق قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وما قدر في الخلق والرزق والأجل لا يتبدل بقصد القاصدين ألا ترى إلى الوحوش والطيور لا تدخر شيئاً إلى الغد تغدو خماصاً وتروح بطاناً أي ممتلئة البطون والحواصل لاتكالها على الله تعالى بما وصل إلى قلوبها من نور معرفة خالقها فكيف يهتم الإنسان لأجل رزقه وأجله ويدخر شيئاً لغده ولا يعرف حقيقة رزقه وأجله فربما يأكل ذخيرته غيره ولا يصل إلى غده ولذلك كان صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئاً لغد إذ الأرزاق مجددة كالأنفاس المجددة في كل لمحة والرزق يطلب الرجل كما يطلبه أجله [خواجه عالم صلى الله عليه وسلم فرموده كه اى مردم رزق قسمت كرده شده است تجاوز نمى كند ازمرد آنجه از براى وى نوشته شده است بس خوبى كنيد در طلب روزى يعني بطاعت جوييد نه بمعصيت اى مردم در قناعت فراخى است ودرميانه رفتن وانداره بكار داشتن بسندكي وكفايت است درزهد راحت است وخفت حساب وهر عملي را جزاييست وكل آت قريب]: قال المولى الجامي:

درين خرابه مكش بهر كنج غصه ورنج ... جونقد وقت توشد فقر خاك برسر كنج
بقصر عشرت وايوان عيش شاهان بين ... كه زاغ نغمه سرا كشت وجفدقا فيه سنج

وعن بعضهم قال: كنت أنا وصاحب لي نتعبد في بعض الجبال وكان صاحبي بعيداً مني فجاءني يوماً وقال: قد نزل بقربنا بدو فقم نمش إليهم لعله يحصل لنا منهم شيء من لبن غيره فامتنعت فلم يزل يلح علي حتى وافقته فذهبنا إليهم فأطعمونا من طعامهم ورجعنا وعاد كل واحد منا إلى مكانه الذي كان فيه ثم إني انتظرت الظبية في الوقت الذي كانت تأتيني فيه فلم تأتني ثم انتظرتها بعد ذلك فلم تأتني فانقطعت عني فعرفت أن ذلك بشؤم ذنبي الذي أحدثته بعد أن كنت مستغنياً بلبنها وهذا الذنب الذي ذكر ثلاثة أشياء أحدها خروجه من التوكل الذي كان دخل فيه والثاني طمعه وعدم قناعته بالرزق الذي كان مستغنياً به والثالث أكله طعاماً خبيثاً فحرم رزقاً حلالاً طيباً محضاً أخرجته القدرة الإلهية من باب العدم وأدخلته من باب الإيجاد بمحض الجود والكرم آتياً من طريق باب خرق العادة كرامة لولي من أوليائه أولى السعادة ذكره اليافعي في الرياض.

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

﴿وما هذه الحياة الدنيا﴾ إشارة تحقير للدنيا وكيف لا وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة: والمعنى بالفارسية: [ونيست أين زنكانىء دنيا].

قال الإمام الراغب: الحياة باعتبار الدنيا والآخرة ضربان الحياة الدنيا والحياة الآخرة فهي إشارة إلى أن الحياة الدنيا بمعنى الحياة الأولى بقرينة المقابلة بالآخرة فإنه قد يعبر بالأدنى عن الأول المقابل للآخر والمراد بالحياة الأولى ما قبل الموت لدنوه أي قربه وبالآخرة ما بعد الموت لتأخره **﴿إلا لهو﴾** وهو ما يلهي الإنسان ويشغله عما يعنيه ويهمه والملاهي آلات اللهو

﴿ولعب﴾ يقال: لعب فلان إذا لم يقصد بفعله مقصداً صحيحاً.

قال الكاشفي: ﴿إلا لهو﴾ [مكر مشغولي وبيكاري ولعب وبازي يعني درسرعت انقضا وزوال ببازى كود كان مى ماندكه يكجا جمع آيند وساعتي بدان متهيج كردند واندك زمانى را ملول وMانده كشته متفرق شوند وجه زيبا كفته است]:

بازيجه ايست طفل قريب اين متاع دهر بى عقل مردمان كه بدين مبتلا سوند

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن هذه الحياة التي يعيش بها المرء في الدنيا بالنسبة إلى الحياة التي يعيش بها أهل الآخرة في الآخرة وجوار الحق تعالى لهو ولعب وإنما شبهها باللهو واللعب لمعنيين:

أحدهما: أن أمر اللهو واللعب سريع الانقضاء لا يداوم عليه فالمعنى: إن الدنيا وزينتها وشهواتها لظل زائل لا يكون له بقاء فلا تصلح لاطمئنان القلب بها والركون إليها.

والثاني: إن اللهو واللعب من شأن الصبيان والسفهاء دون العقلاء وذوي الأحلام ولهذا كان النبي عليه السلام يقول: «ما أنا من دد ولا الدد مني» والدد اللهو واللعب فالعاقل يصون نفسه منه انتهى.

قال في «كشف الأسرار»: فإن قيل: لم سماها لهواً ولعباً وقد خلقها لحكمة ومصلحة؟ قلنا: إنه بنى الخطاب على الأعم الأغلب وذلك أن غرض أكثر الناس من الدنيا اللهو واللعب انتهى ورد في الخبر النبوي حين سئل عن الدنيا فقال: «دنياك ما يشغلك عن ربك»: وفي المثنوي:

جيست دنيا از خدا غافل شدن نى قماش نقره فرزند وزن
مال را كر بهر دين باشي حمول نعم مال صالح خواندش رسول
آب در كشتى هلاك كشتى ايت آب اندر زيركشتى بشتى است
جونكه مال وملك را ازدل برانـد زان سليمان خويش جز مسكين نخواند
كوزهٔ سربسته اندر آب رفت از دل بر باد فوق آب رفت
باد درويشى جو در باطن بود بر سر آب جهان ساكن بود
كرجه جمله اين جهان ملك ويست ملك درجشم دل اولا شى است

قيل: الشر كله في بيت واحد ومفتاحه حب الدنيا وما أحسن من شبهها بخيال الظل حيث قال:

رأيت خيال الظل أعظم عبرة لمن كان في علم الحقائق راقي
شخوص وأصوات يخالف بعضها لبعض وأشكال بغير وفاق
تمر وتقضي أوبة بعد أوبة وتفني جميعاً والمحرك باقي

ومن إشارات «المثنوي» ما قال:

اى دريده بوستين يوسفان كرك بر خيزي ازين خواب كران
كشته كركان يك بيك خواهاى تو مي درانند از غضب اعضاى تو
خون نخسبد بعد مركت در قصاص تومكوكه مردم ويابم خلاص
اين قصاص نقد حيلت سازيست پيش زخم آن قصاص اين بازيست
زين لعب خواندست دنيارا خدا كين جزا لعبست پيش آن جزا

اين جزا تسكين جنك وفتنه است آن جواخصا است واين جون ختنه است

﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان﴾ أي: وإن الجنة لهي دار الحياة الحقيقية لامتناع طريان الموت والفناء عليها أو هي في ذاتها حياة للمبالغة. والحيوان مصدر حيي سمي به ذو الحياة وأصله حييان فقلبت الياء الثانية واواً لئلا يحذف إحدى الألفات وهو أبلغ من الحياة لما في بناء فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحيوان ولذلك اختير على الحياة في هذا المقام المقتضي للمبالغة. ﴿لو كانوا يعلمون﴾ لما آثروا عليها الدنيا التي أصلها عدم الحياة ثم ما يحدث فيها من الحياة عارضة سريعة الزوال.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن دار الدنيا لهي الموتان لأنه تعالى سمى الكافر وإن كان حيا بالميت بقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠] وقال: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ [يس: ٧٠] فثبت أن الدنيا وما فيها من الموتان إلا من أحياه الله بنور الإيمان فهو الحي والآخرة عبارة عن عالم الأرواح والملكوت فهي حياة كلها وإنما سماها الحيوان والحيوان ما يكون حياً وله حياة فيكون جميع أجزائه حياً فالآخرة حيوان لأن جميع أجزائها حي فقد ورد في الحديث: «إن الجنة بما فيها من الأشجار والثمار والغرف والحيطان والأنهار حتى ترابها وحصاها كلها حي» فالحياة الحقيقية التي لا تشينها الغصص والمحن والأمراض والعلل ولا يدكها الموت والفوت لهي حياة أهل الجنات والقربات لو كانوا يعلمون قدرها وغاية كماليتها وحقيقة عزتها لكانوا أشد حرصاً في تحصيلها ههنا فمن فاتته لا يدركها في الآخرة ألا ترى أن من صفة أهل النار أن لا يموت فيها ولا يحيا يعني: ولا يحيا بحياة حقيقة يستريح بها وأنهم يتمنون الموت ولا يجدونه انتهى.

قال في «كشف الأسرار»: [غافل بي حاصل تاشند شربت مرادى آميزي وتاكي ارزوي پزي. كاه چون شير هرچت پيش آيدمى شكنى. كاه چون كرك هرچه بيني همى درى. كاه چون كبك در كوههاى مرادمى پرى كاه چون آهو در مرغزار ارزو همه جرى. خبرندارى كه اين دنياكه توبدان همى نازى وتراهمى فرييدو دردام غرورى كشد لهو ولعبست سراى بى سرمايكان وسرمايهٔ بي دولتان وبازيچهٔ بى كار ان وبند معشوقهٔ فتانست ورعناى بى سرو سامان دوستى بي وفا وايةً بى مهر دشمنى پركزند بوالعجبى پرفند هركرا بامداد بنوازد شبانكاه بكدازد وهركرا يك دو زدل بشادى بيفروزد وديكروزش بانش هلاك مى سوزد].

أحلام نوم أو كظل زائل إن اللبيب بمثلها لا يخدع

وفي «المثنوي»:

صوفئ در باغ از بهرى كشاد صوفيانه روى بر زانو نهاد
پس فرورفت او بخود اندر نفول شد ملول از صورت خوابش فضول
كه چه خسبى آخر اندر رزنكر اين درختان بين وآثار خضر
امر حق بشنوكه كفتست انظروا سوى اين آثار رحمت آر رو
كفت آثارش دلست اي بوالهوس آن بورن آثار آثارست وبس
باغها وسبزها بر عين جان بربرون عكسش چودر آب روان
آن خيال باغ باشد اندر آب كه كند از لطف آب آن اضطراب
باغها وميوها اندر دلست عكس لطف آن برين آب وكلست

كرنبودى عكس آن سر وسرور پس بخواندى ايزدش دار الغرور
اين غرور آنست يعنى اين خيال هست از عكس دل جان رجال
جمله مغروران برين عكس آمده بر كمانى كين بود جنت كده
مي كريزند از اصول باغها بر خيالى ميكنند آن لاغها
چونكه خواب غفلت آيد شان بسر راست بينند وچه سودست آن نظر
پس بكورستان غريو افتادواه تا قيامت زين غلط واحسرتاه
أي خنك آنراكه پيش ازمرك مرد جان او از أصل اين رز بوبي برد

[اين حيات لعب ولهو در چشم كسى آيدكه از حياة طيبه وزندكاني مهر خبر ندارد مراورا دوستانندكه زندكاني ايشان امروز بذكر است وبمهر وفردا زندكاني ايشان بمشاهدت بود ومعاينت زندكاني ذكررا ثمرهٔ انس است وزندكاني مهررا ثمرهٔ فنا ايشانندكه يك طرف ازو محجوب نيند وهيچ محجوب مانند زنده نمانند].

غم كى خورد آنكه شادمانيش تويي ياكى ميرد آنكه زندكانيش تويى

فالعاقل لا يضيع العمر العزيز في الهوى واشتغال الدنيا الدنية الرذيلة بل يسارع في تحصيل الباقي.

قال الفضيل رحمه الله: لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان ينبغي لنا أن نختار خزفاً يبقى على ذهب يفنى. كما روي أن سليمان عليه السلام قال: لتسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما أوتي ابن داود فإنه يذهب والتسبيحة تبقى ولا يبقى مع العبد عند الموت إلا ثلاث صفات صفاء القلب أي عن كدورات الدنيا وأنسه بذكر الله وحبه لله ولا يخفى أن صفاء القلب وطهارته عن أدناس الدنيا لا تكون إلا مع المعرفة والمعرفة لا تكون إلا بدوام الذكر والفكر وخير الأذكار التوحيد.

﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿**فإذا ركبوا في الفلك**﴾ متصل بما دل عليه شرح حالهم. والركوب هو الاستعلاء على الشيء المتحرك وهو متعد بنفسه كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾ [النحل: ٨] واستعماله ههنا وفي أمثاله بكلمة في للإيذان بأن المركوب في نفسه من قبيل الأمكنة وحركته قسرية غير إرادية. والمعنى أن الكفار على ما وصفوا من الإشراك فإذا ركبوا في السفينة لتجاراته وتصرفاتهم وهاجت الرياح واضطربت الأمواج وخافوا الغرق. وبالفارسية: [پس چون نشينند كافران دركشتى وبسبب موج در كرداب اضطراب افتند]. ﴿**دعوا الله**﴾ حال كونهم ﴿**مخلصين له الدين**﴾ أي: على صورة المخلصين لدينهم من المؤمنين حيث لا يدعون غير الله لعلمهم بأنه لا يكشف الشدائد عنهم إلا هو.

وقال في «الأسئلة المقحمة»: ما معنى الإخلاص في حق الكافر والإخلاص دون الإيمان لا يتصور وجوده؟ والجواب أن المراد به التضرع في الدعاء عند مسيس الضرورة والإخلاص في العزم على الإسلام عند النجاة من الغرق ثم العود والرجوع إلى الغفلة والإصرار على الكفر بعد كشف الضر ولا يرد الإخلاص الذي هو من ثمرات الإيمان انتهى ويدل عليه ما قال

عكرمة: كان أهل الجاهلية إذا ركبوا البحر حملوا معهم الأصنام فإذا اشتدت بهم الريح ألقوا تلك الأصنام في البحر وصاحوا «يا خداي يا خداي» كما في «الوسيط» و«يا رب يا رب» كما في «كشف الأسرار» ﴿**فلما نجاهم إلى البر**﴾ البر خلاف البحر وتصور منه التوسع فاشتق منه البر أي التوسع في فعل الخير كما في «المفردات»؛ والمعنى بالفارسية. [پس آنن هنكام كه نجات دهد خداي تعالى ايشانرا از بحر وغرق وبرون آرد بسلامت بسوى خشك ودشت] ﴿**إذا هم**﴾ [آنكاه يشان] ﴿**يشركون**﴾ أي فاجؤوا المعاودة إلى الشرك. يعني [بازكردند بعادت خويش].

﴿**ليكفروا بما آتيناهم**﴾ اللام فيه لام كي أي ليكونوا كافرين بشركهم بما آتيناهم من نعمة النجاة التي حقها أن يشكروها ﴿**وليتمتعوا**﴾ أي: ولينتفعوا باجتماعهم على عبادة الأصنام وتوادّهم عليها ويجوز أن يكون لام الأمر في كليهما ومعناه التهديد والوعيد كما في اعملوا ما شئتم. ﴿**فسوف يعلمون**﴾ أي عاقبة ذلك وغائلته حين يرون العذاب.

وفي «التأويلات»: وبقوله: ﴿**فإذا ركبوا في الفلك**﴾ يشير إلى أن الإخلاص تفريغ القلب من كل ما سوى الله والثقة بأن لا نفع ولا ضرر إلا منه وهذا لا يحصل إلا عند نزول البلاء والوقوع في معرض التلف وورطة الهلاك ولهذا وكل بالأنبياء والأولياء لتخليص الجوهر الإنساني القابل للفيض الإلهي من قيد التعلقات بالكونين والرجوع إلى حضرة المكوّن فإن الرجوع إليها مركوز في الجوهر الإنسان لو خلى وطبعه لقوله: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾﴾ [العلق: ٨] فالفرق بين إخلاص المؤمن وإخلاص الكافر بأن يكون إخلاص المؤمن مؤيداً بالتأييد الإلهي وأنه قد عبد الله مخلصاً في الرخاء قبل نزول البلاء فنال درجة الإخلاص المؤيد من الله بالسر الذي قال تعالى: «الإخلاص سر بيني وبين عبدي لا يسعه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل» فلا يتغير في الشدة والرخاء ولا في السخط والرضى وإخلاص الكافر إخلاص طبيعي قد حصل له عند نزول البلاء وخوف الهلاك بالرجوع الطبيعي غير مؤيد بالتأييد الإلهي عند خمود التعلقات كراكبي الفلك. ﴿**دعوا الله مخلصين له الدين**﴾ دعاء اضطرارياً فأجابهم من يجيب المضطر بالنجاة من ورطة الهلاك ﴿**فلما نجاهم إلى البر**﴾ وزال الخوف والاضطرار عاد الميشوم إلى طبعه. ﴿**إذا هم يشركون ليكفروا بما آيتناهم**﴾. أي ليكون حاصل أمرهم من شقاوتهم أن يكفروا بنعمة الله ليستوجبوا العذاب الشديد ﴿**وليتمتعوا**﴾ أياماً قلائل ﴿**فسوف يعلمون**﴾ أن عاقبة أمرهم دوام العقوبة إلى الأبد انتهى: قال الشيخ سعدي:

ره راست بايدنه بالاي راست — كه كافرهم از روى صورت چوماست
ترا آنكه چشم ودهان داد وكوش — اكر عاقلى در خلافش مكوش
مكن كردن از شكر منعم مپيچ — كه روز پسين سر بر آرى بهيچ

قال الشيخ الشهير بزروق الفاسي في شرح حزب البحر: أما حكم ركوب البحر من حيث هو فلا خلاف اليوم في جوازه وإن اختلف فيه نظراً لمشقته فهو ممنوع في أحوال خمسة.

أولها: إذا أدى لترك الفرائض أو نقصها فقد قال مالك للذي يميد فلا يصلي الراكب حيث لا يصلي: ويل لمن ترك الصلاة. والثاني: إذا كان مخوفاً بارتجاجه من الغرق فيه فإنه لا يجوز ركوبه لأنه من الإلقاء إلى التهلكة قالوا: وذلك من دخول الشمس العقرب إلى آخر الشتاء. والثالث: إذا خيف فيه الأسر واستهلاك العدو في النفس والمال لا يجوز ركوبه بخلاف

ما إذا كان معه أمن والحكم للمسلمين لقوة يدهم وأخذ رهائنهم وما في معنى ذلك. والرابع: إذا أدى ركوبه إلى الدخول تحت أحكامهم والتذلل لهم ومشاهدة منكرهم مع الأمن على النفس والمال بالاستئمان منهم وهذه حالة المسلمين اليوم في الركوب مع أهل الطرائد ونحوهم وقد أجراها بعض الشيوخ على مسألة التجارة لأرض الحرب ومشهور المذهب فيها الكراهة وهي من قبيل الجائز وعليه يفهم ركوب أئمة العلماء والصلحاء معهم في ذلك وكأنهم استخفوا الكراهة في مقابلة تحصيل الواجب الذي هو الحج وما في معناه. والخامس: إذا خيف بركوبه عورة كركوب المرأة في مركب صغير لا يقع لها فيه سترها فقد منع مالك ذلك حتى في حجها إلا أن يختص بموضع ومركب كبير على المشهور. ومن أوراد البحر «الحي القيوم» ويقول عند ركوب السفينة: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [هود: ٤١]، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١]، ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧] فإنه أمان من الغرق.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ (٦٧)﴾

﴿أو لم يروا﴾ أي ألم ينظر أهل مكة ولم يشاهدوا **﴿أنا جعلنا﴾** أي بلدهم **﴿حرماً﴾** محترماً **﴿آمناً﴾** مصوناً من النهب والتعدي سالماً أهله آمناً من كل سوء **﴿ويتخطف الناس من حولهم﴾** التخطف بالفارسية: [ربودن] وحول الشيء جانبه الذي يمكنه أن يتحول إليه أي والحال أن العرب يختلسون ويؤخذون من حولهم قتلاً وسبياً إذ كانت العرب حوله في تغاور وتناهب **﴿أفبالباطل يؤمنون﴾** أي أبعد ظهور الحق الذي لا ريب فيه بالباطل وهو الصنم أو الشيطان يؤمنون دون الحق وتقديم الصلة لإظهار شناعة ما فعلوه وكذا في قوله: **﴿وبنعمة الله﴾** المستوجبة للشكر **﴿يكفرون﴾** حيث يشركون به غيره.

وفي «التأويلات النجمية»: **﴿أفبالباطل﴾** وهو ما سوى الله من مشارب النفس **﴿يؤمنون﴾** أي يصرفون صدقهم **﴿وبنعمة الله﴾** وهي مشاهدة الحق. **﴿يكفرون﴾** بأن لا يطلبوها انتهى إنما فسر الباطل بما سوى الله لأن ما خلا الله باطل مجازى أما بطلانه فلكونه عدماً في نفسه وأما مجازيته فلكونه مجلى ومرآة للوجود الإضافي.

واعلم أن الكفر بالله أشد من الكفر بنعمة الله لأن الأول لا يفارق الثاني بخلاف العكس والكفار جمعوا بينهما فكانوا أذم.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ (٦٨)﴾

﴿ومن أظلم﴾ [وكيست ستمكار تر] **﴿ممن افترى﴾** [بيد اكرد از نفس خويش] **﴿على الله﴾** الأحد الصمد **﴿كذباً﴾** بأن زعم أن له شريكاً، أي هو أظلم من كل ظالم، **﴿أو كذب بالحق﴾** بالرسول أو بالقرآن **﴿لما جاءه﴾** من غير توقف عناداً ففي لما تسفيه لهم بأن لم يتوقفوا ولم يتأملوا قط حين جاءهم بل سارعوا إلى التكذيب أول ما سمعوه **﴿أليس في جنهم مثوى للكافرين﴾** تقريب لثوائهم فيها أي إقامتهم فإن همزة الاستفهام الإنكاري إذا دخلت على النفي صار إيجاباً أي لا يستوجبون الإقامة والخلود في جنهم وقد فعلوا ما فعلوا من الافتراء والتكذيب بالحق الصريح مثل هذا التكذيب الشنيع أو إنكار واستبعاد لاجترائهم على الافتراء

والتكذيب أي ألم يعلموا أن في جنهم مثوى للكافرين حتى اجترؤوا هذه الجراءة.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ بأن يرى من نفسه بأن له مع الله حالاً أو وقتاً أو كشفاً أو مشاهدة ولم يكن له من ذلك شيء وقالوا إذا فعلوا فاحشة: وجدنا عليها آباءنا به يشير إلى أن الإباحية وأكثر مدعي زماننا هذا إذا صدر منهم شيء على خلاف السنة والشريعة يقولون: إنا وجدنا مشايخنا عليه والله أمرنا بهذا أي مسلم لنا من الله هذه الحركات لمكانة قربنا إلى الله وقوة ولايتنا فإنها لا تضر بل تنفعنا وتفيد. ﴿أو كذب بالحق﴾ أي: بالشريعة وطريقة المشايخ وسيرتهم لما جاء ﴿أليس في جهنم﴾ النفس ﴿مثوى﴾ محبس ﴿للكافرين﴾ أي: لكافري نعمة الدين والإسلام والشريعة والطريقة بما يفترون وبما يدعون بلا معنى القيام به كذابين في دعواهم انتهى. قال الحافظ:

مدعى خواست كه آيد بتماشا كه راز   دست غيب آمد وبرسينهٔ نا محرم زد

فالمدعي أجنبي عن الدخول في حرم المعنى كما أن الأجنبي ممنوع عن الدخول في حرم السلطان وقال الكمال الخجندي:

مـدعـى نـيـسـت مـحـروم دريـار   خـادم كـعـبـه بـولـهـب نـبـود

فالواجب الاجتناب عن الدعوى والكذب وغيرهما من صفات النفس واكتساب المعنى والصدق ونحوهما من أوصاف القلب. قال الحافظ:

طريق صدق بياموز از آب صافى دل   براستي طلب ازاد كي چوسرو چمن

حكي: عن إبراهيم الخواص رحمه الله أنه كان إذا أراد سفراً لم يعلم أحداً ولم يذكره وإنما يأخذ ركوته ويمشي قال حامد الأسوار: فبينما نحن معه في مسجده تناول ركوته ومشى فاتبعته فلما وافينا القادسية قال لي: يا حامد إلى أين؟ قلت: يا سيدي خرجت لخروجك قال: أنا أريد مكة إن شاء الله تعالى قلت: وأنا أريد إن شاء الله مكة فلما كان بعد أيام إذا بشاب قد انضم إلينا فمشى معنا يوماً وليلة لا يسجد لله تعالى سجدة فعرفت إبراهيم فقلت: إن هذا الغلام لا يصلي فجلس وقال: يا غلام ما لك لا تصلي والصلاة أوجب عليك من الحج فقال: يا شيخ ما عليّ صلاة قال: ألست مسلماً؟ قال: لا قال: فأي شيء أنت؟ قال: نصراني ولكن إشارتي في النصرانية إلى التوكل وادعت نفسي أنها قد أحكمت حال التوكل فلم أصدقها فيما ادعت حتى أخرجتها إلى هذه الفلاة التي ليس فيها موجود غير المعبود أثير ساكني وامتحن خاطري فقام إبراهيم ومشى وقال: دعه يكون معك فلم يزل يسايرنا حتى وافينا بطن مرو فقام إبراهيم ونزع خلقانه فطهرها بالماء ثم جلس وقال له: ما اسمك؟ قال: عبد المسيح فقال: يا عبد المسيح هذا دهليز مكة يعني الحرم وقد حرم الله على أمثالك الدخول إليه قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا﴾ [التوبة: ٢٨] والذي أردت أن تستكشف من نفسك قد بان لك فاحذر أن تدخل مكة فإن رأيناك بمكة أنكرنا عليك قال حامد: فتركناه ودخلنا مكة وخرجنا إلى الموقف فبينما نحن جلوس بعرفات إذا به قد أقبل عليه ثوبان وهو محرم يتصفح الوجوه حتى وقف علينا فأكب على إبراهيم يقبل رأسه فقال له: ما الحال يا عبد المسيح؟ فقال له: هيهات أنا اليوم عبد من المسيح عبده فقال له إبراهيم: حدثني حديثك قال: جلست مكاني حتى أقبلت قافلة الحاج فقمت وتنكرت في زي المسلمين كأني محرم فساعة وقعت عيني عى الكعبة اضمحل عندي كل دين سوى دين الإسلام فأسلمت واغتسلت

وأحرمت فها أنا أطلبك يومي فالتفت إلى إبراهيم وقال: يا حامد انظر إلى بركة الصدق في النصرانية كيف هداه إلى الإسلام ثم صحبنا حتى مات بين الفقراء رحمه الله تعالى.

يقول الفقير: أصلحه الله القدير في هذه الحكاية إشارات. منها كما أن حرم الكعبة لا يدخله مشرك متلوث بلوث الشرك كذلك حرم القلب لا يدخله مدع متلوث بلوث الدعوى. ومنها أن النصراني المذكور صحب إبراهيم أياماً في طريق الصورة فلم يضيعه الله حيث هداه إلى الصحبة به في طريق المعنى. ومنها أن صدقه في طريقه أدّاه إلى أن آمن بالله وكفر بالباطل. ومنها أن من كان نظره صحيحاً فإذا شاهد شيئاً من شواهد الحق يستدل به على الحق ولا يكذب بآيات ربه كما وقع للنصراني المذكور حين رأى الكعبة التي هي صورة سر الذات وكما وقع لعبد الله بن سلام فإنه حين رأى النبي عليه السلام آمن وقال: عرفت أنه ليس بوجه كذاب نسأل الله حقيقة الصدق والإخلاص والتمتع بثمرات أهل الاختصاص.

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾

﴿**والذين جاهدوا فينا**﴾ الجهاد والمجاهدة استفراغ الوسع في مدافعة العدو أي جدوا وبذلوا وسعهم في شأننا وحقنا ولوجهنا خالصاً. وأطلق المجاهدة ليعم جهاد الأعداء الظاهرة والباطنة أما الأول فكجهاد الكفار المحاربين وأما الثاني فكجهاد النفس والشيطان وفي الحديث: «جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم» ويكون الجهاد باليد واللسان كما قال عليه السلام: «جاهدوا الكفار بأيديكم وألسنتكم» أي بما يسوءهم من الكلام كالهجر ونحوه.

قال ابن عطاء: المجاهدة صدق الافتقار إلى الله بالانقطاع عن كل ما سواه وقال عبد الله بن المبارك المجاهدة علم أدب الخدمة فإن أدب الخدمة أعز من الخدمة.

وفي «الكواشي»: المجاهدة غض البصر وحفظ اللسان وخطرات القلب ويجمعها الخروج عن العادات البشرية انتهى فيدخل فيها الغرض والقصد ﴿**لنهدينهم سبلنا**﴾ الهداية الدلالة إلى ما يوصل إلى المطلوب. والسبل جمع سبيل وهو من الطرق ما هو معتاد السلوك ويلزمه السهولة ولهذا قال الإمام الراغب: السبيل الطريق الذي فيه سهولة انتهى. وإنما جمع لأن الطريق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق والمعنى سبل السير إلينا والوصول إلى جنابنا.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد المهاجرين والأنصار أي والذين جاهدوا المشركين وقاتلوهم في نصرة ديننا لنهدينهم سبل الشهادة والمغفرة والرضوان.

وقال بعضهم: معنى الهداية ههنا التثبيت عليها والزيادة فيها فإنه تعالى يزيد المجاهدين هداية ما يزيد الكافرين ضلالة فالمعنى لنزيدنهم هداية إلى سبل الخير وتوفيقاً لسلوكها كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى﴾ [محمد: ١٧] وفي الحديث: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم» وفي الحديث: «من أخلص لله أربعين صباحاً انفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه».

وقال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله: والذين جاهدوا في إقامة السنة لنهدينهم سبيل الجنة ثم قيل: مثل السنة في الدنيا كمثل الجنة في العقبى من دخل الجنة في العقبى سلم كذا من لزم السنة في الدنيا سلم.

ويقال: والذين جاهدوا بالتوبة لنهدينهم إلى الإخلاص. والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم إلى طريق العمل به. والذين جاهدوا في رضانا لنهدينهم إلى الوصول إلى محل

الرضوان. والذين جاهدوا في خدمتنا لنفتحن عليهم سبل المناجاة معنا والإنس بنا والمشاهدة لنا. والذين أشغلوا ظواهرهم بالوظائف أوصلنا إلى أسرارهم اللطائف والعجب ممن يعجز عن ظاهره ويطمع في باطنه ومن لم يكن أوائل حاله المجاهدة كانت أوقاته موصولة بالأماني ويكون حظه البعد من حيث يأمل القرب.

والحاصل أنه بقدر الجد تكتسب المعالي فمن جاهد بالشريعة وصل إلى الجنة ومن جاهد بالطريقة وصل إلى الهدى ومن جاهد بالمعرفة والانفصال عما سوى الله وصل إلى العين واللقاء. ومن تقدمت مجاهدته على مشاهدته كما دلت الآية عليه صار مريداً مراداً وسالكاً مجذوباً وهو أعلى درجة ممن تقدمت مشاهدته على مجاهدته وصار مراداً مريداً ومجذوباً سالكاً لأن سلوكه على وفق العادة الإلهية ولأنه متمكن هاضم بخلاف الثاني فإنه متلون مغلوب وربما تكون مفاجأة الكشف من غير أن يكون المحل متهيئاً له سبباً للإلحاد والجنون والعياذ بالله تعالى.

وفي التأويلات: **﴿لنهدينهم سبلنا﴾** أي سبيل وجداننا كما قال: «ألا من طلبني وجدني ومن تقرب إليّ شراً تقربت إليه ذراعاً».

قال الكاشفي: در ترجمهٔ بعضي از كلمات زبور آمده:

أنا المطلوب فاطلبني تجدني — أنا المقصود فاطلبني تجدني
اكر در جست وجوى من شتابد — مراد خود بزودى باز يابد

وفي «المثنوي»:

كركران وكر شتابنده بود — آنكه جوينده است يابنده بود
در طلب زن دائما توهر دودست — كه طلب درراه نيكو رهبرست

قالت المشايخ: المجاهدات تورث المشاهدات ولو قال قائل للبراهمة والفلاسفة أنهم يجاهدون النفس حق جهادها ولا تورث لهم المشاهدة قلنا: لأنهم قاموا بالمجاهدات فجاهدوا وتركوا الشرط الأعظم منها وهو قوله: فينا أي خالصاً لنا وهم جاهدوا في الهوى والدنيا والخلق والرياء والسمعة والشهرة وطلب الرياسة والعلو في الأرض والتكبر على خلق الله فأما من جاهد في الله جاهد أولاً بترك المحرمات ثم بترك الشبهات ثم بترك الفضلات ثم يقطع التعلقات تزكية للنفس ثم بالتنقي عن شواغل القلب على جميع الأوقات وتخليته عن الأوصاف المذمومات تصفية للقلب ثم بترك الالتفات إلى الكونين وقطع الطمع عن الدارين تحلية للروح فالذين جاهدوا في قطع النظر عن الأغيار بالانقطاع والانفصال لنهدينهم سبلنا بالوصول والوصال.

واعلم أن الهداية على نوعين هداية تتعلق بالمواهب وهداية تتعلق بالمكاسب فالتي تتعلق بالمواهب فمن هبة الله وهي سابقة والتي تتعلق بالمكاسب فمن كسب العبد وهي مسبوقة ففي قوله تعالى: **﴿والذين جاهدوا فينا﴾** إشارة إلى أن الهداية الموهبية سابقة على جهد العبد وجهده ثمرة ذلك البذر فلو لم يكن بذر الهداية الموهبية مزروعاً بنظر العناية في أرض طينة العبد لما نبتت فيها خضرة الجهد ولو لم يكن المزروع مربى جهد العبد لما أثمر بثمار الهداية المكتسبية. قال الحافظ:

قومي بجد وجهد نهادند وصل دوست — قومى دكر حواله بتقدير ميكنند

قال بعض الكبار: النبوة والرسالة كالسلطنة اختصاص إلهي لا مدخل لكسب العبد فيها وأما الولاية كالوزارة فلكسب العبد مدخل فيها فكما تمكن الوزارة بالكسب كذلك تمكن الولاية

بالكسب ﴿وإن الله لمع المحسنين﴾ بمعية النصرة والإعانة والعصمة في الدنيا والثواب والمغفرة في العقبى. وفي «التأويلات النجمية»: لمع المحسنين الذين يعبدون الله كأنهم يرونه.

وفي «كشف الأسرار»: ﴿جاهدوا﴾ [درين موضع سه منزل است. يكى جهاد اندر باطن باهوا ونفس. ديكر جهاد بظاهر اعداى دين وفار زمين. ديكر اجتهاد بإقامت حجت وطلب حق وكشفت شبهت باشد مر آنرا اجتهاد كويند وهرچه اندر باطن بود اندر رعايت عهد الهي مر آنرا جهد ويند اين ﴿جاهدوا فينا﴾ بيان هرسه حالست اوكه بظاهر جهاد كند رحمت نصيب وى اوكه باجتهاد بود عصمت بهرهٔ وى اوكه اندر نعمت جهد بود كرامت وصل نصيب وى وشرط هرسه كس آنست كه آن جهد في الله بود تادر هدايت خلعت وى بود آنكه كفت. ﴿وإن الله لمع المحسنين﴾ چون هدايت دادم من باوى باشم روى بامن بود زبان حال بنده ميكويد الهى بعنايت هدايت دادى بمعونت زرع خدمت رويانيدى به پيغام آب قبول دادى بنظر خويش ميوهٔ محبت ووفا رسانيدى اكنون سزدكه سموم مكر ازان بازدارى وبنايى كه خود افراشتهٔ بجرم ما خراب نكنى الهى توضيعفانرا پناهى فاصدانرا برسر راهى واجد انرا كواهى چه بودكه افزايى ونكاهى]

روضهٔ روح من رضاى توباد — قبله كاهم در سراى توباد
سرمهٔ ديده جهان بينم — تابود كرد خاكپاى توباد
كرهمه راى توفناى منست — كار من برمراد راى توباد
شد دلم ذره وار در هوست — دائم اين ذره درهواى توباد

انتهى ما في «كشف الأسرار» لحضرة الشيخ رشيد الدين اليزدي قدس سره.

هذا آخر ما أودعت في المجلد الثاني. من التفسير الموسم بـ«روح البيان» من جواهر المعاني.

ونظمت في سلكه من فوائد العبارة والإشارة والإلهام الرباني.

وسيحمده أولو الألباب.

إن شاء الله الوهاب.

ووقع الاتمام بعون الملك الصمد.

وقت الضحوة الكبرى من يوم الأحد.

وهو العشر السابع من الثلث الثاني من السدس الخامس من النصف الأول من العشر التاسع من العشر الأول من العقد الثاني من الألف الثاني من الهجرة النبوية.

على صاحبها ألف ألف تحية.

وقلت بالفارسية:

چو زهجرت كذشت بى كم وكاست — نه وصد سال يعنى بعد هزار
آخر فصل خزان شد موسم — كه نماند ورقى از كلزار
در جمادای نخستن آخر — بلبل خامه دم كرفت از زار
به نهايت رسيد جلد دوم — شد بتاريك روز اين بازار
جد وجهدى كه اوفتاده درين — شد بنوك قلم حقىٔ زار

تمّ المجلد السادس ويليه المجلد السابع إن شاء الله تعالى أوله سورة الروم

فهرس السور والآيات

سورة النور

سورة النمل

سورة القصص

سورة العنكبوت